


التربية الوالدية

رؤية منهجية تطبيقية في التربية الأُسرية




هشام الطالب • عبد الحميد أبو سليمان • عمر الطالب

التربية الوالدية

رؤية منهجية تطبيقية في التربية الأُسرية

هشام الطالب

عبد الحميد أبو سليمان

عمر الطالب

راجع الترجمة ونقَّحها

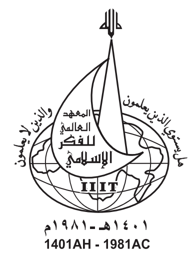
نزار العاني



١٤٠١هـ - ١٩٨١م

1401AH - 1981AC

المعهد العالمي للفكر الإسلامي



الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

التربية الوالدية: رؤية منهجية تطبيقية في التربية الأسرية

تأليف: هشام الطالب، عبد الحميد أبو سليمان، عمر الطالب

موضوع الكتاب:

١- أساليب التربية الحديثة
٢- الرضاعة الطبيعية
٣- بناء الشخصية ومراحل النمو
٤- تربية البنين والبنات
٥- التربية الصحية والتربية الجنسية
٦- الطلاق وتربية الأبناء
٧- مفاهيم مغلوطة وخرافات تربوية شائعة
٨- الآثار السلبية للأجهزة الإلكترونية

ردمك (ISBN): 978-1-56564-819-7

المعهد العالمي للفكر الإسلامي
المركز الرئيسي - الولايات المتحدة الأمريكية
The International Institute of Islamic Thought
P.O.Box: 669, Herndon, VA 20172 - USA
Tel: (1-703) 471 1133, Fax: (1-703) 471 3922
www.iiit.org / iiit@iiit.org

مكتب الأردن - عمّان
ص.ب 9486 الرمز البريدي 11191
هاتف: 4611421 6 962+ فاكس: 4611420 6 962+
www.iiitjordan.org

تصميم:

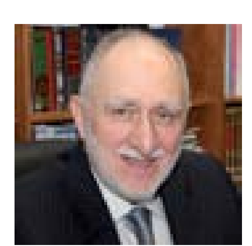
دار الفن للتصميم والإعلان
الأردن - عمّان +96265658787

طباعة:

Step Ajans تركيا

المؤلفون

هشام يحيى الطالب



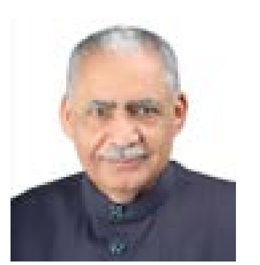
الدكتور هشام يحيى الطالب من مواليد الموصل بمحافظة نينوى بالعراق عام ١٩٤٠، حصل على درجة البكالويوس في الهندسة الكهربائية من جامعة ليفربول عام ١٩٦٢، وعلى درجة الدكتوراه في الهندسة الكهربائية من جامعة بردو بمدينة لافاييت بولاية إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٤.

وأثناء عمله مهندساً كهربائياً، سَرعان ما انخرط في العمل الإسلامي العام في أمريكا الشمالية، وهو العمل الذي ما زال مستمراً فيه حتى اليوم. شغل مناصب عدةً في منظماتٍ إسلاميةٍ مختلفةٍ، فكان أول مديرٍ متفرغٍ بإدارة التدريب القيادي بجمعية الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا The Muslim Students Association of the United States and Canada (MSA) (١٩٧٥- ١٩٧٧). وتقلّد منصب الأمين العام للاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية International Islamic Federation of Student Organizations (IIFSO) عام ١٩٧٦، ونظّم العديد من دورات التدريب القيادي والندوات داخل أمريكا وخارجها.

إضافةً لكونه عضواً في مؤسسة سار SAAR الخيرية التي عمل مديراً لها في الفترة من ١٩٨٣ إلى ١٩٩٥، وعضواً مؤسساً بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي عام ١٩٨١، وله العديد من المؤلفات، منها: كتاب «ميثاق الشرف الدعوي»، وكتاب A Training Guide for Islamic Workers (دليل التدريب القيادي للعاملين المسلمين)، الذي تُرجم حتى الآن إلى أكثر من عشرين لغةً. ويشغل حالياً منصب رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي في واشنطن العاصمة، وهو أبٌ وجدّ.

للاطلاع على المزيد من مؤلفاته يمكنكم زيارة الموقع: hishamaltalib.com

عبد الحميد أحمد أبو سليمان

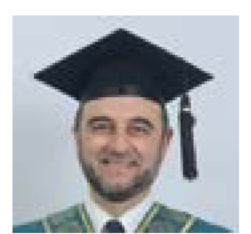


الدكتور عبد الحميد أحمد أبو سليمان من مواليد مكة المكرمة عام ١٩٣٦، أتمَّ بها تعليمه الثانوي، حصل على درجة البكالوريوس في التجارة من جامعة القاهرة عام ١٩٥٩، ثم أتبعها بدرجة الماجستير في العلوم السياسية من جامعة القاهرة عام ١٩٦٣، ثمّ حصل على درجة الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة بنسلفانيا عام ١٩٧٣.

شغل مناصب عدة خلال حياته العملية، منها: منصب سكرتير لجنة التخطيط العام بالمملكة العربية السعودية (١٩٦٣-١٩٦٤)، وكان عضواً مؤسساً لرابطة علماء الاجتماع المسلمين في أمريكا Association of Muslim Social Scientists (AMSS) عام ١٩٧٢، والأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي World Assembly of Muslim Youths (WAMY) (١٩٧٣-١٩٨٠)، ورئيس قسم العلوم السياسية بجامعة الملك سعود بالرياض (١٩٨٢-١٩٨٤) ومدير الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا (١٩٨٨-١٩٩٨).

كان دوره محورياً في تنظيم العديد من المؤتمرات الأكاديمية والندوات والمؤتمرات الدولية، وتقلّد منصب رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي. وصدر له العديد من المقالات والكتب المتعلقة بإصلاح المجتمع الإسلامي، منها: (النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية: اتجاهات جديدة نحو منهج وفكر إسلامي)، و(أزمة العقل المسلم) و(الخلافات الزوجية: استعادة الروح الإسلامية الكاملة للكرامة الإنسانية)، و(إحياء التعليم العالي في العالم الإسلامي) و(الرؤية الكونية القرآنية: نقطة انطلاق نحو الإصلاح الثقافي)، وهو أبٌ وجدّ.

عمر هشام الطالب



الدكتور عمر هشام الطالب من مواليد مدينة كركوك بالعراق عام ١٩٦٧، غادرها مع والديه إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٨، تخرج في جامعة جورج مايسون عام ١٩٨٩ بدرجة البكالويوس في الاقتصاد ودرجة البكالوريوس في علم الاجتماع. حصل أيضاً على درجتي الماجستير عام ١٩٩٣ والدكتوراه عام ٢٠٠٤ في علم الاجتماع من جامعة شيكاغو. حصل على منحة لمواصلة الدراسات العليا من المؤسسة الوطنية للعلوم (National Science Foundation) في الفترة من ١٩٨٩ إلى ١٩٩٢، عمل أستاذاً زائراً في علم الاجتماع بكلية دالي كوليج عام ١٩٩٨ بشيكاغو، وبجامعة إنديانا نورث ويست بمدينة جاري بولاية إنديانا عام ١٩٩٩.

عمل أستاذاً مساعداً لعلم الاجتماع وعلم الإجرام بجامعة آشلاند بولاية أوهايو (٢٠٠٠-٢٠٠٣)، وكبير مهندسي المعرفة بالشركة العالمية للتطبيقات العلمية (Science Applications International Corporation) بمدينة ألكساندريا بولاية فيرجينيا (٢٠٠٥-٢٠٠٦)، كما عمل أستاذاً مساعداً لعلم الاجتماع في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا (٢٠٠٩-٢٠١١) وأستاذاً محاضراً في علم الاجتماع في كلية الإمارات للتكنولوجيا في أبوظبي.

كتب العديد من الأبحاث عن الأسرة والتربية والأوقاف والمنظمات الخيرية والعمل الاجتماعي، وله حضورٌ دائمٌ في العديد من المؤتمرات الدولية في أنحاء العالم.

شكر وتقدير

كان من فضل الله علينا أن عهد إلينا مجلس أمناء المعهد العالمي للفكر الإسلامي بتأليف هذا الكتاب، وهي مسؤوليةٌ عظيمةٌ لا ريب.

ولا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الإخوة الأساتذة الأفاضل الدكتور أحمد توتونجي، والدكتور فتحي ملكاوي، والدكتور جمال برزنجي والدكتور يعقوب ميرزا؛ لحرصهم الشديد على استمرار سير قافلة العمل في المعهد العالمي للفكر الإسلامي في أثناء انشغالنا بإتمام هذا الكتاب.

كما نتقدم بشكرنا وتقديرنا للسادة المراجعين للكتاب في طبعته الإنكليزية، الذين قدّموا مقترحاتٍ قيمةً ساهمت في تحسينه واكتماله، وبصفة خاصّة: بتول طعمة، وزينب علوي، وميشيل مسعودي، والدكتورة واندا كراوس، ومائدة مالك، وساره ميرزا، ولا يفوتنا أن نُعرب عن تقديرنا للدكتور إقبال يونس، الذي راجع قائمة المحتويات الأولى للكتاب، ولينا ملكاوي وزينة الطالب، اللتين قامتا بإعداد الكتاب وتنسيقه فنياً وساهمتا مساهمة كبيرة في إعداد مُسَوَّدته.

والشكر موصول ومتصل

للإخوة والأخوات الأفاضل أكبر علي مير، وأشرف صابرين، وسيف الطالب، وزيد الطالب، ونهى الطالب، ومحمود شريف، الذين قاموا بكتابة العديد من مسوّدات هذا الكتاب على الحاسوب ونسخها، وكذلك إلى د. تنوير ميرزا وسلمى عشماوي، اللتين قدّمتا أمثلة واقعية في حلَقات النقاش التي عقدت عن التربية الوالدية في الجمعية الإسلامية لمنطقة دُلُس الكبرى All Dulles Area Muslim Society (ADAMS) في مدينة هيرندن بولاية فيرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية.

وكذلك إلى جنينة عبدالله، التي راجعت مجموعة من أفلام الفيديو عن الوالدية، وإلى ليلى سين على ملاحظاتها القيمة، وإلى حسن الطالب لتقديمه العديد من المراجع الغنية والملاحظات الضرورية؛ لتحسين طريقة العرض وإخراج الكتاب وإغناء محتوياته وتنسيقه.

وتفانت الأخت سلوى مدني في مكتبنا بجد ومثابرة في مراجعة أصول الكتاب مراراً وتكراراً، كما حبانا الله في مكتب لندن بالجهود القيّمة للأخت شيراز خان، وهي محررة كفؤة متميزة، ومعين لا ينضب من الإبداع والنقد البنّاء.

كما نعرب عن عميق امتناننا إلى الدكتور عماد الدين أحمد، رئيس مؤسسة منارة الحرية في واشنطن؛ وذلك لمراجعته وإضافاته القيمة، وملاحظاته لإغناء المحتوى وإثرائه.

ونشعر أيضاً بالامتنان إلى سيلفيا هنت لمراجعتها لنصوص الكتاب، ولسلمى ميرزا للتدقيق اللغوي، ولعبد اللطيف وايتمان للتصميم الفني والإخراج المميز. ونتقدم بشكرنا إلى هَنا عبد اللطيف وايتمان، للرسوم التوضيحية اليدوية. ونعرب أيضاً عن عميق تقديرنا إلى هيئة العاملين بمكتب المعهد العالمي للفكر الإسلامي بلندن؛ لما قاموا به من عمل تَمّيزَ بمستوىً عالٍ من الجودة، ولإشرافهم على إصدار النسخة النهائية المبهجة.

وخالص الشكر والتقدير أيضاً إلى خبراء التربية وعلم النفس الأساتذة الدكتور إسحق فرحان، والدكتور عبد اللطيف عربيات، والدكتور محمود رشدان، والدكتور فتحي ملكاوي، والدكتور عبد الرحمن النقيب، على مقترحاتهم القيمة ورؤاهم الأكاديمية.

ونتقدم بخالص الشكر والتقدير لمدير مكتبة المعهد الأستاذ صابر الكيلاني الذي قام بجهود ضخمة لإخراج الطبعة العربية وتنقيحها وتدقيقها مراتٍ عديدة للتأكد من سلامتها شكلاً وموضوعاً.

وثمة شكر خاص للدكتوره سميرة الرفاعي؛ خبيرة التربية الأسرية، والدكتور رائد عكاشة؛ المستشار الأكاديمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، على تبيئة الكتاب لينسجم مع الثقافة العربية الإسلامية. ونشكر دار الفن على تصميم الكتاب بنسخته العربية.

كما نشكر أفراد أسرنا الذين وفّروا لنا أجواءً مريحةً مشجعةً كان من شأنها تخفيف الضغوط الثقيلة في أثناء عملنا الطويل. ونتوجه بشكر وتقدير خاصٍّ إلى الدكتورة إلهام الطالب، رفيقة حياة الدكتور هشام طيلة نصف قرن، التي كان لتشجيعها وتضحيتها الأثر الأكبر في أن يرى هذا العمل النور. وقد كانت رؤاها الثاقبة وملاحظاتها القيمة حول موضوع الوالدية مصدراً مستمراً للإلهام الذي أعاننا على إتمام هذا العمل. ولا بد أن نعترف أننا قد «استقطعنا» الجزء الأكبر من الزمن الذي استغرقه هذا العمل الطويل من الوقت الذي كان ينبغي أن يخصص لعائلاتنا. فجزاهم الله جميعاً الخير على ماقدّموا وبذلوا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، الذي يسَّر لنا إنجاز هذه المهمة على هذا الوجه.

إهداء

إلى أمهاتنا وآبائنا قرّة العيون، وبهجة النفوس، الذين غمرونا بحبهم وتضحياتهم طيلة حياتهم، واضعين نصب أعينهم دائماً أن نتطور نحو الأفضل، فقاموا بتنشئتنا على أفضل ما استطاعوا، على الرغم من أنهم لم يحصلوا على تدريب أو تعليم رسمي في تربية الأبناء، فقد كانوا يحاكون ما كان يفعل آباؤهم وأمهاتهم معهم، مستخدمين الحكمة والتجارب الموثوقة للأجيال والحضارات السابقة، فعلّمونا الصلاح والاستقامة. نسأله تعالى أن يتغمدهم برحمته الواسعة.

نقدم هذا الكتاب إلى كل الأمهات والآباء حيثما كانوا وهم يكافحون لتربية أبناء ناجحين، والذين هم – على نبل مقصدهم – في حاجة إلى المعارف والمهارات اللازمة للتواصل الحكيم مع أبنائهم، ولإقامة العلاقات الأسرية على الحب والتواصل في رحاب مناخ البيت الأسري الرحيم الذي يحقق السعادة لأفراد العائلة.

وإلى كل الأسر التي ترغب في تربية أبنائها وتنشئتهم؛ ليكونوا رجالاً ونساءً على مستوى عالٍ من الأمانة والشجاعة والحب والإيمان، يحدوهم مناخ من الحرية والتفكير الإبداعي والإحساس بالاستقلالية المسؤولة.

وإلى زوجاتنا وأبنائنا، الذين تحملوا الكثير عبر السنين، وتحلوا بصبر لا ينفد، ولم يألوا جهداً في تشجيعنا أثناء عملنا في هذا الكتاب، سواء في مرحلة البحث أو في مرحلة الكتابة.

إلى كل هؤلاء نهدي هذا العمل.

سائلين الله الرحمن الرحيم، الواحد الأحد، أن يتقبل منا، وأن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، محاولين تقديم ما يحقق السلام والصلاح للإنسانية جميعاً لتربيةٍ والديةٍ رشيدةٍ.

المؤلفون

تصدير

إهداء إلى القارئ العربي

يسرنا في المعهد العالمي للفكر الإسلامي أن نهدي القارئ العربي نسخة مترجمة من كتاب «التربية الوالدية Parent–Child Relations»؛ إذ تمّت ترجمته من اللغة الإنجليزية إلى لغاتٍ عديدة. وهذا يدل على الأهمية الكبيرة لموضوع التربية الوالدية في السياق الحضاري والإنساني المعاصر.

يؤمن المعهد العالمي للفكر الإسلامي إيماناً كبيراً بمبدأ التثاقف ونقل التجارب بين الثقافات والحضارات والشعوب، لما لهذه المثاقفة من تأثير واضح في الإفادة من تجارب الآخرين؛ إذ إن هذا التسخير الحضاري جزء أصيل من التفكير الإسلامي المنطلق من الرؤية القرآنية. فالحضارة البشرية جهد متصل من التفاعل والأخذ والعطاء، والله سبحانه يتفضل على من شاء من الناس بأنواع من العلم والنظم والاكتشافات، لا تقتصر فائدتها على من توصّل إليها وإنما تعم سائر الناس. وفي الخبرة الحضارية الإسلامية نماذج تبادل الأخذ والعطاء والتفاعل الحضاري.

ويؤمن المعهد كذلك أن من شروط المثاقفة الناجحة الاستيعاب والتمثُّل والتجاوز؛ إذ لا يمكن للمشروع الحضاري المثمر أن يلتزم تجربة المنقول عنه حرفياً، فالتجربة الحضارية تتطلب وعياً وإدراكاً بمدى الخصوصيات الثقافية والمجتمعية. وبناء عليه ظهر ما يمكن تسميته بـ «التكييف» و «التَّبْيِئَة»، الذي يعني استيعاباً ووعياً بالخصائص الفكرية والمعرفية والفلسفية والثقافية والحضارية لأطراف عملية التثاقف، ويعني كذلك تفعيلاً للمرجعية في التصورات المنقولة.

ولعل من المناسب أن نوضّح للقارئ العربي جملة من الأمور تتصل بعملية «التَّبْيِئَة» التي حاول المعهد تمثلها قدر المستطاع أثناء نقله هذا السِّفر المعرفي المتكئ على علم وفن وتجربة. ومن هذه الأمور:

١. الأخذ بعين الاعتبار أن المتلقي المستَهدَف من هذا الكتاب هو الإنسان العربي عامة والمسلم خاصة، والشخصية العربية الإسلامية والأسرة العربية. ويعني هذا بصورة ما انتقاء الصور المناسبة للبيئة والثقافة العربية؛ فللصورة أحياناً قوةٌ بصرية ومعرفية تكاد تعادل قوة الفكرة المعبّر عنها. ومن يقارن الكتاب في نسختيه الإنجليزية والعربية، سيلمس هذا الفارق جلياً. ويعني حضور المتلقي العربي المسلم كذلك، إبراز مفردات الهوية، وأهمها مفردات المرجعية المتمثلة في النصوص القرآنية والأحاديث والسيرة النبوية وسيرة الصحابة، لما لهذه المفردات من أثر في التنظير والتطبيق؛ إذ حاول الكتاب استحضار هذه النصوص، وإنزالها مكانتها المناسبة في الكتاب.

٢. حاولت عملية «التَّبْيِئَة» الاتساق والانسجام مع روح الأفكار المتصلة بالتربية الوالدية، فأُسس التربية الوالدية ومنطلقاتُها وفوائدُها ومعوقاتُ تفعيلها، تشترك في حضورها في معظم المجتمعات والثقافات، مع الأخذ بعين الاعتبار النماذج المتعلقة بهذه التربية والظواهر المجتمعية التي ربما تتفاوت من مجتمع إلى آخر؛ من مثل ظاهرة انتشار الصديق الحميم الخليل/ العشيق (boyfriend - girlfriend)، أو استقلالية المراهق، والمساكنة ... إلخ.

٣. وانسجاماً مع الاتساق السابق الذِّكر رأينا من المفيد تثبيت النصوص والمقولات والتجارب التي وردت في النسخة الإنجليزية، وهي في أغلبها من البيئة الغربية ؛ وذلك لإبراز تصورات علماء الدين والحكماء والفلاسفة والمفكرين والعلماء الغربيين تجاه قضايا التربية الوالدية (بالتوصيف والتفسير والنقد). ومن ثمّ مقارنة ومقاربة ما عُرض بالتصوّر الإسلامي في كثير من الأحيان؛ حيثما كانت الفرصة سانحة لتجلية الرؤية الكلية الإسلامية تجاه التربية الوالدية، التي رأينا فيها انسجاماً مع طروحات كثير من العقلاء والحكماء الغربيين. وهذا يدل على أن خطاب الفطرة واحد، إن ابتعد عن التحيزات بجميع أشكالها.

٤. صحيح أن بعض الظواهر والنماذج التي وردت في النسخة العربية، لا تشكل ظاهرة عامة وقد نجد لها حضوراً ضعيفاً في وسطنا العربي في الوقت الحاضر، مثل مفهوم الصديق الحميم الخليل ، والثقافة الجنسية بالمفهوم الغربي، والتمتع بالحماية القانونية في التصرف بالجسد إلخ؛ إلا أن ظلال هذه الظواهر بدأت تخرج إلى العلن في منابر الإعلام والتواصل الاجتماعي العربي، وما الحديث عن ظاهرة «المساكنة» في دول عربية عديدة، إلا تعبير عن هذه الظلال. فتأتي النماذج التي عُرضت في الكتاب لتحذر مجتمعاتنا العربية من خطورة الانزلاق في المستنقع الغربي؛ فالكيّس من اتعظ بغيره. واستجلب الكتاب تحذيرات العقلاء الغربيين وتجاربهم تجاه هذه القضايا التي أوهنت البيوت الغربية.

٥. الحديث عن هذه الظواهر في سياقاتها الغربية، لا يعني التبنّي والتمثُّل، بل الكشف عن الظاهرة بصورتها الحقيقية، ومحاولة تلمّس طرق الحذر والاحتراس من الوقوع في شباكها، من خلال البرامج والتجارب والخبرات، فعملية بناء البرامج الفعّالة تحتاج إلى دراسة هذه الظواهر دراسة علمية عملية من خلال: توصيف الظاهرة، ومن ثم تفسيرها، واستشراف مآلاتها، وفي النهاية التحكُّم فيها.

٦. وأخيراً نعي أن هذا العلم قد يكون جديداً وطارئاً على العالم العربي و«الأكاديميا» العربية ومؤسسات المجتمع المدني، ما يعني صعوبة نسبية في تطبيق بعض الأفكار الواردة فيها؛ إذ تحتاج إلى تفاعل كبير، وقناعة مجتمعية بأهميتها، وتثقيف وتعلُّم من الوالدين، ورياضة نفسية بين أطراف هذه التربية (ونخص هنا الوالدين والأولاد والأسرة الممتدة بصورة خاصة، والدولة بمؤسساتها ومؤسسات المجتمع المدني بصورة عامة). ونحن على يقين أن المجتمعات العربية مهيّأة لاستقبال هذا النوع من الدراسات والتفاعل معها، لما تملكه من إرث حضاري، ومرجعية قويمة، حتى تأخذ مكانها الطبيعي في البناء الحضاري الإنساني.

والله ولي التوفيق

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

المحتويات ١٠

الفصل الثاني

التربية الوالدية السليمة، ما هي؟ وكيف نطبقها؟ ٨١

الفصل الثالث

التربية الوالدية السليمة، وضع الأهداف الصحيحة لها ١٠١

الجزء الثاني [٨-١٣]

التربية الوالدية في ظل تطور نمو الأطفال ١٦١

الفصل الثامن

الرضاعة الطبيعية ١٦٣

الفصل التاسع

دماغ الطفل، اسْتَخْدِمْهُ أو تَفْقِدْهُ ١٧٧

الفصل العاشر

بناء الشخصية ومراحل النمو ١٩٣

الفصل الحادي عشر

التربية الصحية للأبناء: النظافة والتغذية والتمارين الرياضية والنوم ٢٢١

الفصل الثاني عشر

التربية الجنسية للأبناء ٢٥٥

الفصل الثالث عشر

هل تختلف تربية البنين عن تربية البنات؟ ٣٠١

الجزء الثالث [١٤-١٧]

معدن الشخصية وبناء صفاتها الأساسية ٣٢٧

الفصل الرابع عشر

تعليم الحب والصدق والأمانة والثقة بالنفس واختيار الصحبة الصالحة للأولاد ٣٢٩

قصة هذا الكتاب

هذا الكتاب موجّه للآباء والأمهات جميعهم، أياً كانوا وحيثما وجدوا. ورؤية الكتاب هي ذات الرؤية البعيدة المدى التي يتبناها المعهد العالمي للفكر الإسلامي ليقظة العالم الإسلامي من حالة الركود الفكري والتراجع الحضاري الذي أصابه إلى استعادة الفاعلية الفكرية التي مثّلت حضارته الذهبية، ويركز الكتاب على إحياء العقل والوجدان المسلم فكرياً وأخلاقياً من خلال التربية الأسرية. وعلى الرغم من أن الكتاب لا يفصّل الأسباب المنهجية التفصيلية وراء التراجع الفكري في العالم الإسلامي اليوم، فإن إصلاح الفكر الإسلامي هو الموضوع الأساس الذي تتمحور حوله إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ومؤتمراته، وذلك بهدف إحياء الحركة الفكرية الإسلامية وإيقاظ الأمة من سباتها العميق.

من الضروري أن يعرف الآباء عملياً كيف يُنشّئون أبناءً صالحين، ذلك أن الأسس النفسية للمنظومة القيمية وأنماط الشخصية تتكون بشكل كبير في المحضن (البيت) أثناء الطفولة المبكرة، لذا جاء تركيزنا بالدرجة الأولى على التدريب على المهارات الثقافية والتربوية والاجتماعية في البيت بوصفه أساس التكوين النفسي والوجداني للطفل، وتعلمه الصواب من الخطأ، فمجرد معرفة الصواب لا يكفي في حد ذاته لاتّباعه تلقائياً؛ إذ إن إرادة الإنسان ووجدانه تقبلُ حكمَ العقل والانقياد له، بحيث يرغب الإنسان فيما يعتبره العقل صواباً ويتصرف بناءً عليه. وهنا يكون دور الآباء محورياً. حيث إن المدارس تعلم الأطفال أحداث التاريخ والحقائق العلمية والمهارات البدنية والفنية وتمدهم بالمعلومات، وهي أشياء يجب أن يكملها البيت والحياة الأسرية بالقيم والنظرة الكونية للإنسان.

يُسهم هذا الكتاب في تربية الأبناء وتنمية طاقات القيادة البشرية بصورها المختلفة، وقد نظَّم المعهد العالمي للفكر الإسلامي العديد من المؤتمرات والدورات التدريبية، ونشر أعمالاً أساسية لهذا الغرض، منها: «دليل مكتبة الأسرة المسلمة»، و«أزمة الإرادة والوجدان المسلم».

وقد جاء اقتراح إعداد كتاب عن علاقة الآباء بالأبناء خلال اجتماع مجلس أمناء المعهد العالمي للفكر الإسلامي في أغسطس عام ١٩٩٤ بجزيرة تيومان بماليزيا. واستجابة لطلب سابق من المعهد، قام الدكتور إسماعيل الفاروقي عام ١٩٨٢ بتأليف كتاب بعنوان «التوحيد وآثاره في الفكر والحياة»، وهو دليل مهم حول العقيدة الإسلامية والإيمان والحضارة. وبعد ذلك، في عام ١٩٩١، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالاشتراك مع الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية (IIFSO) الدليل الثاني الذي لقي نجاحاً واسعاً، وهو كتاب «دليل التدريب القيادي للعاملين المسلمين»، الذي يهدف إلى تعليم المهارات الشخصية والجماعية والقيادية الفعّالة، وبذلك يكون هذا الكتاب في التربية الأسرية هو الدليل الثالث في هذه السلسلة.

وإدراكاً منا لأهمية الأسرة كونها وحدة المجتمع الأساسية، أنشأ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان مدير الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا (١٩٨٨إلى ١٩٩٨) مقرراً دراسياً إجبارياً جديداً للطلبة بدرجة الدبلوم يُعنى بالزواج والتربية الأسرية، بغرض فهم عقلانية الزواج والقيم الأخلاقية في التربية الأسرية بين الطلاب، وتخريج العدد الكافي من المدرسين الذين يتولون تدريس هذا المقرر.

وقد بدأ مؤسسو المعهد العالمي للفكر الإسلامي سلسلة من الدورات التدريبية في عدة دول نُفِّذَت على ثلاث مراحل، وأعطيت الأولوية الآن لفكرة إصدار كتاب عن التربية الأسرية في المرحلة الثالثة.

المرحلة الأولى: (١٩٧٥-١٩٩٠)

مرحلة التعريف والإعداد والنشر والحشد، والتي ركَّزت على المهارات الأساسية وأدوات التنشيط المطلوبة لتحسين فعالية العمل وكفاءته وأدائه. وتُوّجت هذه المرحلة بإصدار كتاب «دليل التدريب القيادي للعاملين المسلمين» (١٩٩١) والذي عُدّ الكتاب الثاني للسلسلة أعلاه.

المرحلة الثانية: (١٩٩١-٢٠٠٠)

كرّست هذه المرحلة مبدأ التدريب القيادي كمؤسسة راسخة، وذلك بجهود عدد من المدربين اللامعين، منهم: د. عمر كاسولي في كوالالمبور، ود. إقبال يونس في واشنطن، ود. أنس الشيخ علي في لندن، ود. منظور عَالم في نيودلهي. وقد نفذوا الكثير من البرامج التدريبية في أنحاء العالم.

المرحلة الثالثة: (٢٠٠١-الآن)

في هذا القرن الحادي والعشرين يتم التركيز على التربية الوالدية، في حين استهدفت المرحلتان: الأولى والثانية النشطاء من الشباب والشابات، وأصبح من الواضح بشكل متزايد أن بناء خصائص ومقومات الشخصية الأساسية مكوِّن لا يقل أهمية عن المرحلة الشبابية، يبدأ منذ ولادة الطفل، بل منذ اختيار الأزواج. وبناء على ذلك، قرر المعهد العالمي للفكر الإسلامي التركيز على الدور المهم الذي يقوم به الآباء والأمهات بتطبيق المهارات التربوية لتنشئة مواطنين صالحين يتمتعون بصفات القيادة الاجتماعية الملتزمة بالمبادئ الخلقية المسؤولة، وفي إطار بيئة صحية منزلية تساعد الأبناء على النمو المطلوب. ومن هنا انبثقت فكرة إصدار هذا الكتاب.

فالتربية الوالدية ليست بالمهمة اليسيرة التي يُستخفُّ بها أو يقلل من شأنها أو يستصغر أمرها، بل إن لها تأثيراً عظيماً على نوعية الأبناء الذين نقوم بتنشئتهم، وعلى نوعية المجتمع الذي نطمح إليه، وأخيراً على نوعية الحضارة التي ننشدها للأجيال القادمة. ولذلك كان لزاماً علينا أن نوليها أقصى اهتمامنا، وأن نعطيها الأولوية القصوى. إننا نؤمن بذلك إيماناً عميقاً، ونحمل غيرنا بقوة من الكتّاب والباحثين، بل وندعوهم إلى تطوير كل مفردة من مفردات هذا الكتاب، وإشباعه بحثاً ودراسةً وتأصيلاً وتأليفاً. ويقوم المعهد العالمي للفكر الإسلامي بترجمة إصداراته إلى لغات عدة، والكتاب الذي بين أيدينا ما هو إلا خطوة نحو التربية الوالدية الجيدة. وحسبما يرى الكثير من الخبراء، فإن «أكبر تجارة في هذا العالم، وأهم وظيفة، وأعظم مهمة، وأفضل استثمار يمكن أن يقوم به البشر هو الاهتمام بتنشئة الأطفال وتربيتهم».

أهداف الكتاب وغاياته

يخاطب هذا الكتاب المليار من الآباء والأمهات في عالمنا بمعتقداتهم ومذاهبهم وأديانهم كافة، وهو موجَّه أيضاً إلى غيرهم ممن يرغبون في الإفادة بما حوى من نصائح وتوجيهات وأنشطة عائلية، ولسنا نخاطب به الخبراء والمتخصصين في التربية. ويركِّز الكتاب على العقبات والمشكلات الأسرية محاولاً تقديم الحلول المناسبة، ومستعرضاً طرائق تنشئة وتربية أفراد يتحلَّون بالصلاح والخلق القويم والصفات القيادية للمجتمع.

وتتمثل الأهداف الأساسية للكتاب فيما يأتي:

- تأكيد أهمية التربية الوالدية الصالحة في تنشئة الأبناء والأُسر، وذلك بجعل مسؤولية التربية الوالدية على رأس الأولويات، ليس على المستوى النظري فقط، بل على التطبيقات العملية أيضاً.

- تعليم الآباء «كيف» يكتسبون المهارات التربوية اللازمة لتنفيذ آليات الوالدية الصالحة؛ من أجل تنشئة مواطنين صالحين يتمتعون بقوة الشخصية وحسن الخلق، ويمتلكون الصفات اللازمة ليكونوا لَبِنَاتِ أساس في بناء المجتمع والحضارة الإنسانية في المستقبل.

- مساعدة الآباء في توفير البيئة المنزلية للأسرة السعيدة المتناغمة القادرة على أداء وظائفها، والتي تتمتع بقدرٍ عالٍ من الترابط والتماسك والتكاتف والتعاون بين أفرادها جميعهم.

ونتناول في الجزء الأول من هذا الكتاب فوائد التربية الوالدية الصالحة، مع تعريفها وبيان كيفية تحقيقها للوصول إلى الحلول المطلوبة لإحياء المجتمع، كما نتناول حال التربية الوالدية من واقع ممارستها اليوم، مستعرضين مصادر المعلومات المتوافرة في العالم الإسلامي والولايات المتحدة عن التربية الوالدية، مبينين كيف نربي أطفالاً ذوي خُلق سليم يمتلكون الصفات القادرة على إحداث تغيير إيجابي في المجتمع. أما الجزء الثاني من الكتاب؛ فيُلقي الضوء على الأساليب والأدوات اللازمة لدعم القوة البدنية والوجدانية العاطفية لدى الأبناء. ويعالج الجزء الثالث كيفية بناء مقومات الشخصية، ويناقش تأثير الإفراط في مشاهدة التلفاز وممارسة ألعاب الحاسوب والفيديو والهاتف النقّال على الأطفال وعلى الحياة الأسرية، مع تقديم بدائل عملية للأسرة تغني عن هذا الإفراط.

وقد صممنا في نهاية كل فصل عدداً من الأنشطة والتدريبات السهلة يؤديها الآباء والأبناء معاً، وتهدف هذه التدريبات في المقام الأول إلى تشجيع الحوار والتواصل المستمر بين أفراد الأسرة حيث يفهم بعضهم بعضاً بشكل أفضل، ويستمتعون بوقتهم معاً، ويتشاركون في اتخاذ القرارات، ويتبادلون المهارات. ومن شأن هذا أن يساعد على إقامة علاقات أسرية رحيمة مترابطة، وخلق بيئةٍ منزليةٍ سعيدةٍ. وقليلٌ من هذه الأنشطة يتطلب الرجوع إلى مصادر خارجية، مثل: استخدام مكتبة عامة أو استشارة آباء آخرين أو طلب نصائح مهنية ومتخصصة. ونوصي بشدة بأن تمارس الأُسر هذه الأنشطة داخل البيت أو حول مائدة الطعام خارج المنزل، راجين أن تؤدي هذه الأنشطة أو المناقشات بصورة إيجابية تفاعلية لتسد الفجوة التي لا تزال قائمة رغم خطورتها في الممارسات الوالدية اليومية، والتي عادة ما يتم تهميشها، وهذه المناقشات والتأملات والمحاورات الأسرية هي في حد ذاتها هدفٌ مهم وجدير أن نسعى إلى تحقيقه.

وأخيراً، فإننا سنُتبع هذا الكتاب وما يتناوله من قضايا بإصدارات أخرى في الموضوع نفسه، تندرج تحت عنوانين رئيسين، هما:

أولاً: (أ) فهم وظيفة الآباء في التربية وترسيخ الإيمان والتدريب على المهارات.

(ب) جعل الأسر السعيدة حاضنات ضرورية لتكوين وتطوير قادة فاعلين مستقبلاً.

وفيما يخص العنوان (أ)؛ فإن الفكرة هي مساعدة الآباء على تفهّم دورهم وقبوله في تطوير تصور أبنائهم عن الإيمان ومهارات القيادة. أما العنوان (ب)؛ فسيكون التركيز فيه على توفير بيئة أسرية هادئة مستقرة، حيث تكون «حاضنة» رحيمة لإنتاج أفراد يتّسمون بالتقوى والصلاح، قادرين على أن يكونوا قادة فاعلين لديهم الإحساس بالمسؤولية المدنية، وتمثّل موضوعات التواصل والمديح والنقد والغضب والوقت المشترك لأفراد الأسرة معاً الخطوات العملية الضرورية لتوفير البيئة الصحية المريحة. وسوف نُفصّل فكرة أن «الأطفال ملاحظون أقوياء ومحللون ضعفاء»، كما سنقدم اختبارات ميسَّرة وأنشطة عملية للآباء لنرى كيف يتعامل الأبناء واقعياً مع الآخرين، بما في ذلك تعاملهم بينهم، ومع أجدادهم وسائر أقاربهم، ومع ضيوفهم، ومع جيرانهم، ومع الفقراء، ومع المجتمع عامةً، ومع الحيوانات والنباتات، ومع البيئة من حولهم بصفة عامة.

ثانياً: الدور الضروري للقدوة الوالدية الحسنة: الآباء – الأنبياء

ستتم توعية الآباء بأهمية سلوكهم الشخصي لتطور أبنائهم. فلأن الأطفال مقلدون جيدون بطبيعتهم؛ يتحتم على الآباء أن يكونوا أفضل أسوةٍ عملية لأبنائهم، بحيث يصل الأبناء إذا حذوا حذوهم إلى أفضل مستوى يطمحون إليه. فحياة المصطفى محمد ﷺ بما تحمل من صفات توفر لنا الأسوة الحسنة كونه أباً وجداً وصديقاً حميماً للأبناء، وبدراسة سلوك النبي ﷺ واتخاذنا سنته نموذجاً يحتذى؛ نكون قد حددنا معايير الحياة الأساس للنصائح والإرشادات التي نقدمها.

وأخيراً، فإذا بذل الآباء قصارى جهدهم وطبقوا مقترحاتنا، فإننا نأمل أن نكون قد استطعنا تحريك دائرة إيجابية تتمثل في تنشئة أبناء أصحاء سعداء يشاركون إيجابياً في تحسين مجتمعاتهم، ويكونون هم أنفسهم في المستقبل آباء يمثّلون قدوةً جيدةً لأبنائهم وأحفادهم.

وفي مرحلة عمرية ما لو سُئلت الأمهات والآباء: «ماذا فعلتم لتجعلوا حياتكم مثمرة؟»، يمكنهم أن يجيبوا بثقة كبيرة: «لقد كنت أمّاً عظيمة/أباً عظيماً»، ومن يدري، فربما تجيء الإجابة: «لقد كنت جدة عظيمة/ جداً عظيماً» أيضاً! وهذا هو أملنا! والله الموفق والمستعان.

مقدمة

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وجعله قادراً على التفكير بعمق ودقة وبطريقة مركّبة، ومن هنا فإن تنشئة الأبناء تتطلب معرفة نظرية وعملية عن تطور ونمو الأطفال والرضع، ولأن الآباء الجدد يفتقرون إلى الخبرة في الممارسة الوالدية؛ فيحتاجون أن يتعلموا كيف يتعاملون مع الأبناء حتى قبل أن يكونوا أجنَّة في بطون أمهاتهم.

وعلى الرغم أننا نكدُّ ونجتهد في جمع المال واقتناء المسكن الأنيق والسيارات الفارهة والأثاث الفاخر، فإننا نغفل للأسف عن بذل جهدٍ مماثلٍ في تربية أبنائنا، على افتراض منّا أن الأمور تسير بصورة جيدة، من دون أن نعد لها الإعداد المناسب، وهكذا تُترك التربية الوالدية عَرَضاً من غير سابق تدبير، وهذه مجازفةٌ كبيرة، ومخاطرها جسيمة.

ويكتسب الآباء المعارف اللازمة للتربية عادةً عن طريق تجاربهم الشخصية بأنفسهم ثم اكتشاف الصواب من الخطأ، لذا قد يكون أداؤهم مع الأطفال اللاحقين أفضل من أدائهم مع الطفل الأول، الذي كان حقلاً لتجاربهم. غير أن المشكلة تكمن في أن الآباء يتعلمون هذه الدروس -التي لا تقدر بثمن- متأخراً أو بعد فوات الأوان، إذ يكون الأبناء وقتئذ قد كبروا ووصلوا إلى مرحلة النضج والبلوغ، ويصعب على الآباء الإفادة الكاملة مما تعلموه لتطبيقه على أبنائهم.

ومن أهم جوانب تربية الأبناء هو التواصل المستمر والفعّال، فالتواصل الفعّال مع الأبناء يساعد على تطورهم ليصبحوا بالغين سعداء، ولديهم الإحساس بالمسؤولية. ومن الضروري أن نعرف كيف ومتى نتحدث إلى أبنائنا، والأهم من ذلك أن نفقه كيف نستمع وننصت لهم في صبر وتركيز. فالآباء -على حبهم الفطري غير المشروط لأبنائهم- في حاجة إلى تحسين مهاراتهم لفن التواصل، الذي هو عملية متبادلة بين طرفين، من المهم جداً أن نعمل على أن لا تتوقف، وعلى الآباء أن يساعدوا أبناءهم في تطوير ما لديهم من قدرات وإمكانات إلى أقصى حد، ولكن من دون اللجوء للقوة. كما أن إفادتهم من الخبرات التي يتعرض لها غيرهم من الأمهات والآباء سوف يساعدهم كثيراً على تطبيق مهارات وأساليب في التعامل مع المواقف المستعصية.

ويحتاج الآباء أيضاً إلى إنعام النظر في بعض الموروثات القديمة، فليس كل قديم سليماً وصحيحاً. ومع ما نشهده في هذا الزمان من مستجدات ونوازل وظروف مستجدة تتطلب منا معالجات مبدعة وفاعلة، وبطبيعة الحال فالآباء يرجون أن يصبح أبناؤهم أفضل الناس، وسوف نلقي الضوء على بعض الأخطاء الشائعة التي يرتكبها الآباء بغير قصد منهم، وكذا المشكلات الظاهرة التي يواجهونها.

ومن الجوانب الأخرى التي نحاول استكشافها؛ كيفية تنمية الصفات «القيادية» لدى الأطفال. وقد يبدو الاهتمام بهذا الجانب غريباً بعض الشيء، إلا أننا نود أن نشير إلى أننا لا نعني بـ «القيادة» الرغبة والطموح في تولي الرئاسة والسلطة انفرادياً، وإنما نتطلع إلى بناء أشخاص يتمتعون بمستوى عالٍ من القوة البدنية والأدبية، ويلتزمون بالمعايير الأخلاقية والصفات الإنسانية ليصبحوا أعضاء فاعلين محسنين في المجتمع ولديهم الإحساس بالمسؤولية المدنية والمواطنة الصالحة.

لقد تحول البيت بالنسبة للعديد من المراهقين اليوم إلى فندق يبيتون فيه، ومطعم يُطعَمون فيه؛ لذا فمن الضروري توفير بيئة منزلية آمنةٍ سعيدة مستقرة لكل من الآباء والأبناء، فالبيت ليس مجرد مكان وجدران ومطعم فحسب، بل على كل عضو أن يتعلَّم كيف يؤدي دوره في عملية التواصل والترابط. ومن المؤسف أن نجد كثيراً من الآباء والأبناء اليوم غير قادرين على إقامة علاقات طيبة فيما بينهم، ولا يعرف كثير منهم كيف يحسّنون هذه العلاقة، بل إنهم قد يتخلَّون عن محاولة فهم أحدهم للآخر، ويتجنبون التعامل فيما بينهم بعد أن يصيبهم الإحباط والغضب فتحل القطيعة بينهم محلّ التوّدد والتراحم.

التربيـة الوالديـة مسـؤولية جسـيمة وضخمـة، وهـذا لا يجعلنـا نتخَّلـى عنهـا مخافـة الفشـل أو يأسـاً مـن إمكانيـة القـدرة علـى أدائهـا وإتقانهـا، فالفرصـة متاحـة دائمـاً للتغلُّب علـى التحديـات، وبإمكاننـا- مهمـا تأخرنـا -أن نصلـح علاقاتنـا مـع أبنائنـا إذا تجنبنـا جلـد أنفسـنا علـى أخطـاء الماضـي، فـلا فائـدة مـن القـول: «لـو كنـا فعلنـا كـذا، أو لـو كنـا لـم نفعـل كـذا»، فتمنـي المسـتحيل واللجـوء إلـى لفظـة «لـو» أمـر هـدّام لـن نجنـي مـن ورائـه سـوى المزيـد مـن الحسـرة والألـم، ربمـا نكـون قـد قمنـا باختيـارات غيـر صائبـة أو صالحـة أضـرت بأُسـرنا، لكـن علينـا أن نتذكـر دائمـاً أن قصدنـا كان تحقيـق الخيـر للأسـرة. علينـا أن ننظـر فقـط قليـلاً إلـى الـوراء وأن ننظـر كثيـراً إلـى الأمـام، فبـدلاً مـن أن نُشـغل تفكيرنـا بمـا كان يمكننـا أن نفعلـه أو بمـا كان يتطلـب منـا أن نفعلـه، علينـا أن نركِّـز علـى مـا يمكننـا أن نفعلـه الآن مـن أجـل غَـدٍ أكثـر إشـراقاً. ويمكننـا أيضـاً أن نعاهـد أبناءنـا علـى أن نصلـح أنفسـنا فنكـون آبـاء أفضـل، آخذيـن العبـرة مـن الماضـي، أمـا المسـتقبل فهـو فرصـة للتغييـر، فالماضـي أشـبه مـا يكـون بالطـوب الخراسـاني الصلـب، أمـا المسـتقبل فهـو أشـبه بالعجينـة الطريـة التـي نقـدر أن نُصوِّرهـا ونصوغهـا بأيدينـا كمـا نشـاء.

ويرجـو كثيـر مـن الآبـاء اليـوم (ونحـن منهـم) لـو كانـوا قـد عرفـوا أصـول التربيـة الوالديـة الرصينـة فنـاً وعلمـاً وروحانيـةً قبـل أن يكـون لديهـم أبنـاء. ولـو كانـوا قـد عرفـوا ذلـك لـكان هنـاك تحسُّـن جـذري فـي تربيتهـم لأبنائهـم. ويشـعر معظـم الآبـاء أنـه كان بإمكانهـم قضـاء مزيـدٍ مـن الوقـت فـي رعايـة أبنائهـم، وإذا نظـر كل منـا إلـى الماضـي؛ لاكتشـف أنـه كانـت أمامـه ثـروة مـن تجـارب الآخريـن، ولحظـات لا تقـدر بثمـن كانـت كفـيلة بإغنـاء حياتـه لـو كان شـاركها مـع أبنائـه. ونرجـو أن يسـامحنا أبناؤنـا علـى أخطائنـا، كمـا نرجـو أن يتجنـب الآبـاء الجـدد هـذه الأخطـاء.

يتميـز منهـج هـذا الكتـاب بتركيـزه علـى الوقايـة أساسـاً، وليـس العـلاج مؤخـراً فـي مـا نقدمـه مـن نصائـح وإرشـادات، فـلا ندعـي أننـا نعالـج مشـكلات مـن نـوع إدمـان المخـدرات وشـرب الخمـر والاكتئـاب والجريمـة والأمـراض الجنسـية، وإنمـا نسـتطيع أن نقـدم إجـراء «وقائيـاً»، ودليـلاً أُسـرياً يقلل كثيـراً مـن فـرص الوقـوع فـي هـذه المزالـق قبل أن تقع.

وتتطلـب التربيـة الوالديـة مهـارات وإعـداداً خاصـاً، حتى ينجـح الأبنـاء فـي حياتهـم ويكونـوا مصـدر فخـر لآبائهـم، فالمعلومـات عـن الوالديـة الجيـدة وطرائـق تحقيقهـا متاحـة الآن أكثـر مـن أي وقـت مضـى. وعلـى الرغـم أنـه لا توجـد للوالديـة طرائـق بديلـة مختصـرة، كمـا لا توجـد طرائـق مختزلـة لأي شـيء ذي قيمـة فـي هـذه الحيـاة، فـإن الفرصـة سـانحة أمامنـا لنشـرع فـي أن نكـون آبـاء أفضـل، فأنـت الآن أب أو أم، وسـتظل كذلـك إلـى الأبـد، سـواء أكان أبنـاؤك فـي الرابعـة أو فـي الأربعـين مـن عمرهـم.

تُعَـدُّ تربيـة الابـن ليكـون إنسـاناً سـعيداً ومتوازنـاً فـي حياتـه هـي أمـل كل الآبـاء، وهـذا الكتـاب سيضاعـف مـن فرصـك لتحقيـق هـذا الأمـل، وكـذا تحقيـق حلمـك فـي إقامـة علاقـة ناجحـة مـع أبنائـك. وليـس المهـم إلـى أيـن تأخـذك أحلامـك، بـل المهـم إلـى أيـن تأخـذ أنـت أحلامـك، علـى الرغـم أن أفضـل وقـت لتربيـة ابنـك المراهـق كان قبـل عشـر سـنوات، فـإن فرصتـك الثانيـة هـي هـذا اليـوم، فـلا تضيـع هـذه الفرصـة، وسـوف يوفقـك الله عـز وجـل ويبـارك لـك فـي نيتـك الصادقـة وعملـك المخلـص وأنـت علـى بصيـرة.

أوردنـا فـي الكتـاب بيانـات إحصائيـة مـن مصـادر عـدة وفـي تواريـخ متباينـة؛ لنعطـي القارئ فكـرة عـن الاتجاهـات العامـة السـائدة، ونمنحـه الأمـل فـي القـدرة علـى التغييـر. والإحصائيـات مـع أنهـا أداة مهمـة وأساسـية فـي اتخـاذ القـرارات السـليمة لكنهـا تتغيـر مـن حـين لآخـر، وقـد أوردناهـا مـن بـاب الاسترشـاد العـام لا أكثـر، فهـي ليسـت حقائـق ثابتـة مطلقـة.

وكان لكثيـر مـن الخبـراء أيضـاً ملاحظـات عـن تنسيق

هـذه السلسـلة وإخراجهـا. فاقتـرح بعضهـم نشـر الكتـاب فـي صـورة كتيبـات، واقتـرح آخـرون فصـل الجانـب النظـري عـن الجانـب العملـي التطبيقـي، بينمـا رأى عـددٌ آخـر مـن المراجعـين أن مـن الأفضـل إصـدار دليـل عملـي علـى طريقـة «اصنـع بنفسـك» يضـم النظريـة والتطبيـق معـاً، ونحـن نقـدِّر مزايـا كل هـذه المقترحـات، إلا أننـا الآن نقـدم هـذه كطبعـة أولـى مـن الكتـاب بصورتـه الحاليـة، ونأمـل أن نتلقـى آراء وتعليقـات قيمـة مـن القـراء الكـرام للعمـل بهـا فـي الطبعـات القادمـة، المؤمـل نشـرها بأحجـام وتنسـيقات مختلفـة.

وأخيـراً، فـإن هـذا العمـل هـو نتـاج خبـرات حيـاة المؤلفـين الثلاثـة عمليّـاً فـي العالـم الإسـلامي والعالـم الغربـي، وهـو يسـعى إلـى أن يقـدّم حكمـة الوحـي الإلهـي والهـدي النبـوي، إضافـة إلـى الإنجـازات البشـرية فـي كل مـن التـراث الإسـلامي والثقافـة الغربيـة؛ وعلـى هـذا فـإن هـذا الكتـاب يعـد مسـاهمة متواضعـة فـي مجـال العلاقـة بـين الآبـاء والأبنـاء.

المؤلفون

اكتوبر (تشرين الأول ٢٠١٨)

واشنطن العاصمة، الولايات المتحدة الأمريكية

الفرق في استعمال كلمتي الوالدين والأبوين

كلمة الوالدين تثنية لكلمة والد، والولادة تكون من الأمّ فقط، لذا كلمة الوالدين تقصد الأب والأم في اللغة مع الميل وتغليب لجهة الأمومة على الأبوّة. أمّا كلمة الأبوين فهي تثنية لكلمة أب مع الميل وتغليب لجهة الأبوّة على الأمومة.

حيثما وردت كلمة الوالدين فهناك تغليب للأم على الأب، لذلك نجد كلمة الوالدين وليس الأبوين في كلّ الآيات التي تَحُث على برّ الوالدين والرحمة والمغفرة والإحسان والدعاء لهما.

فمثلاً قوله تعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣-٢٤).

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًاۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًاۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف: ١٥).

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (لقمان: ١٤).

وأوصى النّبيّ ﷺ بالوالدين إحساناً، وخصّ الأم بمزيد من العناية لمّا سأله أحد الصّحابة: يا رسول اللّه، من أحق الناس بحسن صحبتي؟ فقال له: أمُّك، قال: ثُمّ مَنْ؟ قال: أمُّك، قال: ثُمّ مَنْ؟ قال: أمُّك، قال: ثمّ من؟ قال: أبوك.

أمّا كلمة الأبوين ففيها تغليب للأب، وحيثما وردت هذه الكلمة في القرآن فهي تدلُّ على هذا المعنى:

﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ (النّساء: ١١)

فقال لأبويه/ وأبواه لأنّ الآيتين تتحدّثان عن الإرث، فالرجل هو المسؤول عن الإنفاق، فميراثه مصروف وميراثها محفوظ، ونصيب الأب في الميراث أكبر من نصيب الأمّ. وفي سورة يوسف عليه السّلام: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ (يوسف: ١٠٠)

ولم يقل الوالدين لأنّ الرّجُل هو الذي يجلس على العرش عادةً.

وفي مجال التربية الوالدية نقول: رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيراً!

المصدر: ejaaba.com





الأم الباكية: جاءتني تبكي وتولول!

بعيون مِلؤها الدموع قالت الأم: عونَكَ يا أخي هشام! إنها ابنتي التي وهبتها كل شيء طَلَبَته مني، لقد قاربت الآن ١٩ سنة وقد هربت مع صديقها أمس ليلاً. ولا أعلم أين هي الآن؟

قلت لها: يا أختاه، ماذا تقصدين بأنك أعطيتها كل شيء؟

فأجابت: الغذاء والكساء واللُعب والنقود وكل شيء أرادته!

فسألتها: هل علّمتها الدين، والقرآن، وسيَر الرسل، والتاريخ الإسلامي؟

فردّت: كلّا، لكني أعطيتها كل شيء!

فتنهدت من داخلي: آه، يا حسرة على العباد، ننشئ أطفالنا غافلين عن الله، ونحرمهم من التربية الخلقية القويمة، ثم نتوقع أن يشبّوا ليكونوا مثل الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي! إن شجرة البلوط لا تثمر برتقالاً أو تفاحاً! إن هذه الأم المسكينة جاءت متأخرة ١٩ سنة. فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان!

لقد أخذ علاج هذه المشكلة سنة كاملة من الصبر والحب والحكمة، حتى تمكنا من استرجاع البنت مع زوجها (صديقها السابق) وإعادتها إلى صوابها، والاستمتاع بنعمة الخير والصلاح، ثم إنجاب أربعة أطفال بعد زواجهما.

إذا كنت تود أن تتجاوب مع أولادك فلا بديل للعلاقة الشخصية المباشرة وقضاء وقتٍ معهم كي يشعروا بالاعتماد عليك عند الحاجة، إن أفضل استثمار للوقت والمال والجهد هو التربية الوالدية الصحيحة للأطفال.

إن ولدك يستجيرك بصوتٍ عالٍ يصمُّ الآذان: أرجوك يا أبتِ، وأرجوك يا أمي: لا تمشيا أمامي فأنا لا أستطيع اللحاق بكما... ولا تمشيا ورائي فلا أستطيع أن أقودكما... ولكن أرجو أن تمسكا بيدي بجواركما فتكونا صديقيّ الحميمين!

الجزء الأول [١-٧] التربية الوالدية، وضع حجر الأساس

الفصـــــل الأول: لَبِنَة الأسرة، ما أهميتها؟ وما هي وظائفها؟

الفصـــل الثاني: التربية الوالدية السليمة، ما هي؟ وكيف نطبقها؟

الفصـــل الثالث: التربية الوالدية السليمة، وضع الأهداف الصحيحة لها

الفصـــل الرابع: الهدف الأسمى: تربية أولادٍ يحبون الله ورسوله

الفصل الخامس: التصدي للتحديات السائدة والهَفَوات

الفصـل السادس: المفاهيم المغلوطة والخرافات الشائعة في التربية الوالدية

الفصـــل السابع: عندما تسوء الأمور



الفصل الأول

لَبِنَة الأسرة، ما أهميتها؟ وما هي وظائفها؟

- **مقدمة**
- **أهمية الأسرة في الإسلام**
- **أهداف الأسرة في القرآن**
- **الانتقال إلى مرحلة الأبوة والأمومة**
  - تأثير الأولاد في الاستقرار الأسري
  - علاقة نسبة الطلاق بعدد الأولاد
  - مهمات أُسريّة
- **حجم الأسرة في الولايات المتحدة وبريطانيا بين الماضي والحاضر**
- **الأسرة أحادية الوالد**
- **نظرة على المعاشرة من دون زواج**
  - الخُلْع أو الطلاق من دون إبداء الأسباب المسوغة له
  - أسس نجاح الوالد المفرد
- **هل يُغني أحد الوالدين عن الآخر؟**
- **ملحوظة عن الإسلام والطلاق**
- **أثر الطلاق على الأولاد**
- **مدى الحاجة إلى نظام تربية وتعليم سليمين**
- **الحركات الإصلاحية والتربية**
- **الأسرة في أمريكا**
  - ما وراء إحصائيات الوفيات بالانتحار
  - الخرافات السائدة حول التربية الوالدية في أمريكا
  - دروس من مجزرة مدرسة (كولومباين) الثانوية في ولاية كولورادوا
- **مقارنة عامة بين الأُسَر في البلدان الإسلامية والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا**
  - التأثير الغربي على التربية الوالدية في العالم الإسلامي
  - قصتان عن مسلمين يعيشان في بريطانيا
- **التربية الوالدية في بريطانيا والولايات المتحدة**
- **أيهما أولى: الحق أم الحرية؟**
- **دراسة حالة عن الصدمة الثقافية عند التنقل بين الشرق والغرب، أين نربي أولادنا؟**
- **مفهومان مفقودان في الفكر الغربي: الله أكبر والله أعلم**
- **مقارنة بين القيم الأخلاقية العَقَدِيَّة والقيم الأخلاقية المتلائمة**
- **النموذج الزراعي للأسرة: الأولاد كالنباتات، والوالدان كالبُستاني**
- **الأنشطة ١–٨**

مقدمة



ما الأسرة؟ وما الغرض منها؟ كيف تعمل؟ ما أهدافها؟ ما الذي يجعلها قوية؟ ما الذي يزعزعها؟ ما المساهمات التي يمكن أن يقدمها كل فرد لأسرته كي تصبح أسرة ناجحة؟ كيف يقاس نجاحها؟ إن الجواب عن هذه الأسئلة كلها له تأثير مباشر على التربية الوالدية الرصينة، وطريقة تربية الأولاد.

من الضرورة أن يكون الآباء والأمهات والقرّاء على بينة من قدرة الأسرة المتماسكة واستطاعتها في إحداث التغيير الاجتماعي الإيجابي؛ لأن هذا التغيير الذي تحدثه لا يمس أفرادها فقط بل المجتمع كله. وسنبين أساليب التربية الوالدية في العالم الإسلامي بوجه خاص وفي الغرب بصورة عامة.

يُعرّف بعضهم «الأسرة»: أنها مجموعة من الناس تربطهم علاقة، ويرى غيرهم أنها علاقة اجتماعية، ويذهب آخرون إلى أنها مجموعة مؤلفة من الوالدين والأولاد الذين يعيشون معاً في منزل واحد، ومع أن هناك وجهات نظر عديدة في تعريف الأسرة، فإن تعريف الأسرة كثيراً ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالزواج والأولاد، فتنشأ لَبِنَة الأسرة بالزواج، وهو ليس شراكة بين شخصين فحسب، ولكنه أيضاً اندماج لأسرتين ممتدتين. فالأسرة في الإسلام هي مؤسسة تربوية تنشأ بالزواج، ويتفاعل أفرادها بعلاقات وطيدة، وتنهل من توجيهات الكتاب والسنة المنظمة للأسرة إنشاءً وضبطاً وإنهاءً.

وقد تغيرت لَبِنَة الأسرة الحديثة على مر السنين (خاصة في الغرب) إلى حد كبير، وتحولت من بِنْية (الأسرة الممتدة) إلى بنية (الأسرة النُّواة)، زيادة على تقليل عدد أفراد الأسرة، حيث يفضل الكثير من الناس الآن عدداً أقل من الأولاد مقارنة بالأجيال السابقة، فالأسرة جزء من ثقافة أكبر وأوسع، وتعدُّ ثقافة كاملة في حد ذاتها؛ لأن الأسرة هي عبارة عن منزل مُصغَّر للعبادة، وحكومة مُصغَّرة، ومدرسة صغيرة للعلم والتعلم.

أهمية الأسرة في الإسلام

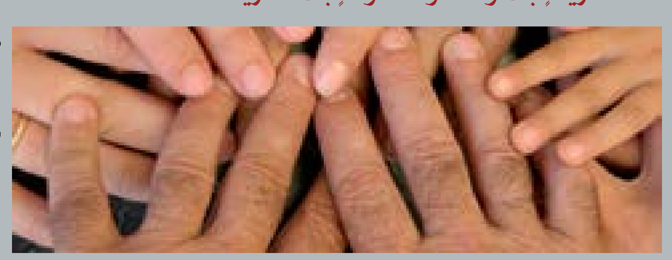
يولي الإسلام أهمية بالغة للحفاظ على الأسرة، ويؤكد القرآن الكريم أن البشر هم أكرم مخلوقات الله، وهم خلفاء في الأرض، فهم بحاجة إلى تأهيل وإعداد للقيام بهذه المهمة، لذلك ليس من قبيل الصُّدْفة أن مرحلة الطفولة عند البشر أطول، مقارنة بالحيوانات جميعها، فنقطة الانطلاق في «مدرسة الأسرة للتربية والتعليم» هي العلاقة الرحيمة بين الزوجين، فلا ينبغي لهذه العلاقة أن تكون مبنية على ما يشابه «صفقات العمل» أو «القوانين» (علماً بأن «قوانين الأسرة» ضرورية، كحد أدنى لحماية العائلة جميعها). ويتعين أن تبنى العلاقة بين الزوجين على المودة والرحمة، وأن يكون الوالد/ الوالدة في الأُسَر جميعها حتى أُحاديّة الوالد رؤوفاً وعطوفاً بأولاده، ومن دون هذا الأساس لن تتحقق معاني المواصفات الواردة في القرآن الكريم (قُرّة أعين، وللمتقين إماماً) في تكوين أسرة سعيدة وتربية أولاد ناجحين صالحين.

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٤)

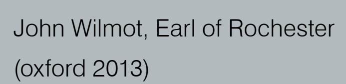
تعد الأسرة ضرورة للبشر جميعهم لتحقيق الصحة النفسية الكاملة، وقد خلقنا الله في أحسن تقويم، وكرمنا على العالمين، في تناسق تام في الصورة والطول واللون والحركة والمظهر، وكذلك من الناحية النفسية والروحية والعقلية، وأنعم علينا بأن نكون قبائل وشعوباً وأمماً لنتعارف بسلام واطمئنان.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤).

ست نظرياتٍ بلا أولاد.. وستة أولادٍ بلا نظريات!



«كان لـدي ست نظريات فـي تربيـة الأبنـاء قبـل الـزواج، والآن عنـدي ستة أطفال وليس لـدي أي نظريـة».



John Wilmot, Earl of Rochester
(oxford 2013)

فالحاجـة إلـى أُلفـة حقيقيـة وصحيحـة لا تكتمـل إلا إذا صـار الفـرد زوجـاً، فـلا يحصـل المـرء علـى الراحـة النفسـية الكاملـة واكتمـال دينـه إلا ضمـن قدسـية الـزواج، كمـا يؤكـد لنـا القـرآن الكـريم: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقـرة: ١٨٧).

والـزواج الـذي تُبنـى بـه الأُسَـر ينقـل الإنسـان إلـى مراحـل نمـو وتطـور كبيـرة ومتعـددة، مـن مرحلـة الضعـف فـي مرحلـة الطفولـة، إلـى مرحلـة النمـو والتعلم؛ لنصـل إلـى مرحلـة الـذروة فـي القـوة والشـدة، ونعـود فـي آخـر المطاف إلـى مرحلـة الضعـف والشـيبة (التـي تتضمـن فقـدان القـوة والمعرفـة والذاكـرة)، ويسـتمر الآبـاء والأمهـات فـي النمـو النفسـي فـي هـذه الرحلـة، كذلـك يسـتمرون فـي عطائهـم وأداء رسـالتهم تجـاه أولادهـم وأحفادهـم وسـائر أفـراد الأسـرة.

يطـرأ بعـد الـزواج عامـل آخـر للنمـو والتطـور وهـو الرغبـة فـي إنجـاب أولاد وتكويـن أسـرة، وفـي هـذه المرحلـة يمكـن أن تقـع أربعـة احتمـالات مختلفـة، هـي: أن ينجبـا بنـات فقـط، أو ينجبـا بنـين فقـط، أو ينجبـا بنـات وبنـين، أو أن يكـون أحـد الزوجـين أو كلاهمـا عقيمـاً. ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: ٤٩-٥٠).

إن الرغبـة فـي الإنجـاب تحقـق السـعادة النفسـية، وتتواصـل تلـك السـعادة مـع تجربـة الوالديـن برؤيـة أولادهـم متزوجـين، ثـم بإنجابهـم أولاداً (أحفـاد الوالديـن الأصليـين)، مـا يشـعرهم بامتـداد وجودهـم فـي المسـتقبل بـالأولاد والأحفـاد، ونـدرك جميعـاً حجـم الفـرق عندمـا يكـون لدينـا ولـد واحـد فقـط (فتـى أو فتـاة) فـي الأسـرة، والشـعور مختلـف تمامـاً عندمـا يكـون للولـد إخـوة وأخـوات، كمـا أن الشـعور يختلـف عندمـا لا يكـون للولـد عمـات وأعمـام أو خـالات وأخـوال أو أجـداد وجـدات، فوجـود الأسـرة الممتـدة يُمِدُّ الأولاد بالدعـم والمسـاندة، ويُسـهم فـي الاسـتقرار النفسـي، ويـزداد هـذا الشـعور عندمـا يكـون لهـم أسـرة أكبـر (مـن ناحيتـين: الأب والأم) حيـث تتـاح فـرص الدعـم والمسـاندة النفسـية عندمـا يكـون لـلأولاد مجموعـة مـن العلاقـات تمكنهـم مـن القيـام بـالأدوار المتنوعـة والمختلفـة فـي محيـط الأسـرة.

فاللأنثـى دورهـا حـين تكـون ابنـة وأختـاً وزوجـة وأمّـاً وخالـة وعمـة وجـدة، وللذكـر دوره حـين يكـون ابنـاً وأخـاً وزوجـاً وأبـاً وخـالاً وعمّـاً وجدّاً.

الأسرة تدوم لك!

إذا كنا سنموت غداً، فستعيّن الشركة أو المؤسسة التي نعمل فيها شخصاً آخر مكاننا في غضون أيام، بينما الأسرة التي نتركها سوف تشعر حين نموت بالخسارة ما بقت الحياة، فبعضنا يبذل ويعطي في العمل أكثر بكثير مما يبذل لأسرته، فهل هذا من الحكمة في شيء؟!

أهداف الأسرة في القرآن

تقوم الحياة الأسرية على تحديد الأهداف المرجوّة لها في ضوء رسالتها التزكّوية العامة، والتي تتجاوز إنجاب الأولاد للحفاظ على النوع الإنساني من الانقراض؛ إذ الوقوف عند هذا الحد من مجرد الحفاظ على الذات لا يحقق المعاني السامية للإنسان، ما يعني عمق الأهداف الأسرية ودقتها.



والأمانة، ويظهر ذلك جلياً في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات:٥٦).

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود:٦١).

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب: ٧٢)

خلق الله الإنسان من نفسٍ واحدة، وخلق منها زوجها، ومن هذين الزوجين جاءت البشرية جمعاء الرجال والنساء.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١).

ومع أن الآية وردت في صيغة المفرد، إلا أن تأكيد المسألة نفسها يأتي في صيغة الجمع أيضاً:

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (النحل: ٧٢).

كما تصف الآية الآتية فكرة خلق البشر على وجه الأرض للقيام بدور معين:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠).

تُحدد نصوص الكتاب الحكيم دور كل إنسان على وجه الأرض بوصفه خليفة للقيام بثلاثية : العبادة والعمارة

وبناءً عليه؛ فإن أهداف الأسرة تتمثل في ما يأتي: عبادة الله تعالى بالمعنى الشامل للعبادة، والخلافة في الأرض وعمارتها، والرضا بمشيئة الله في الرزق والعطايا، وصلة الرحم، والحفاظ على الحقوق وأداء الواجبات، وتحقيق الحاجات النفسية من السكينة والحب والرحمة بين أفراد الأسرة، والتي تبدأ بالعلاقة الزوجية ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١).

ومع أن الحب داخل الأسرة يحظى بمرتبة عالية، إلا أنه ليس أفضل أنواع الحب في الحياة، إذ لا بُدَّ أن تحظى محبة الله سبحانه وتعالى، الذي من صفاته الرحمة والعدالة والسلام ومحبة رسوله ﷺ، بأعلى مستوى من الحب، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٢٤).



فأساس الحب هو حب الخالق، الذي يظهر منه حبّ الفرد لأبويه وأولاده وأقربائه حتى لو أساؤوا إليه، وذلك لأن حبه لهم يظهر من حبه لله سبحانه وتعالى الذي تستمر نعمه على خلقه حتى عندما يسيئون. ويوضح القرآن الكريم الحب داخل الأسرة:

﴿...وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ (الإسراء: ٢٣)

تحظى الأم بقدر كبير من الحب والرعاية داخل محيط الأسرة، فرعايتها واجبة أوّلاً، فعندما سأل رجل النبي ﷺ: «يا رسولَ الله من أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمُّك، قال: ثم من؟ قال: أمُّك، قال: ثمّ من؟ قال: أمُّك، قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك» (البخاري).

ويرجو عباد الرحمن أمنيتين: حياة أسرية سعيدة، وأن يصبحوا جميعاً قادةً للمتقين.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤).

توضح الآية الكريمة أن هدف الجميع في الأسرة (بما في ذلك الآباء والأجداد والأولاد والأحفاد وامتداداتهم) هو السعادة والفرح والراحة. والهدف الثاني هو إعداد قادة صالحين. ويمكن تحقيق كلا الهدفين بتربية الأولاد على المبادئ المُثلى للسعادة، وهي الأمانة، وعبادة الخالق، وعمارة الأرض، وحب الله ورسله، وتجاهل هذه المبادئ يحرم الأسرة من السعادة.

وتظهر السعادة في تربية الوالدين لأولادهما حين يرونهم يتصرفون تصرفات سليمة متفقة مع مهمتهم في الحياة على هذه الأرض، فاستيعابنا لهذه المفاهيم، وارتقاؤنا لمستواها، وتوضيحها للأولاد أثناء مراحل نموهم المختلفة أمر ذو شأن عالٍ، وهو السبيل لزرع بذور الفضيلة والخير في قلب الأبناء وعقولهم؛ إذ غرس هذا كله أساس في إعداد الشخصية ذات الأخلاق الحسنة، وبتحديد أولويات الابن فوراً ومن البداية. ويقوي هذا الأساس من الاستقامة مناعة الابن في كيفية التعامل مع الإغراءات الكثيرة من حوله؛ إذ لا يمكننا الاعتماد فقط على «الشرطة» الخارجية

لحماية المجتمع، فأكثر الآليات فاعلية في الحماية: هي نظام القيم والأخلاق الذاتي الداخلي أو ما يسمى بالضبط الذاتي، إضافة إلى احترامهم وتقديرهم لذاتهم وقدرتهم على ضبط أنفسهم، فأخذ الوالدين بيد أبنائهم وتوجيههم للاستفادة من نص الوحي الإلهي يرسخ الإيمان والصدق والرحمة في مرحلة مبكرة من حياتهم.

الانتقال إلى مرحلة الأبوة والأمومة

للأسرة جانبان اثنان، هما: جانب الوالدين وجانب الأولاد. ينتقل الوالدان من مرحلة أن يكونا فردين إلى مرحلة ثلاثة أفراد لأول مرة عند إنجاب الطفل الأول، وبذلك يدخل الوالدان مرحلة جديدة من الحياة، ويخضع الوالدان عندئذ إلى فترة من التكيف بسبب التغيرات في نمط الحياة التي يفرضها إنجاب الأولاد، وتشمل هذه التغيرات الصعوبات والتحديات من جانب، والفرح والسعادة من جانب آخر.

عندما يولد طفل لأسرة مسلمة، فإن هناك ممارسات دينية معينة تقام للترحيب بالمولود الجديد (عبد الكريم، زيدان، ١٩٩٣)، هي:

- الأذان في أذن الطفل عند الولادة، «روى الحاكم عن أبي رافع ﵁ قال: «رأيت رسول الله ﷺ أذّن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة.» (الترمذي)

إن الأذان عند ولادة الطفل له حكمة إلهية، فهو إقرار بوحدانية الله، وتأكيدٌ لرسالة النبي محمد ﷺ، وتذكير للمؤمنين بأن يحرصوا على متابعة إقامة الولد للصلاة في المستقبل.

- تسمية الطفل، فيعطى الطفل اسماً حسن المعنى والدلالة، كي يتحلّى به بما يمليه هذا المعنى في حياته؛ فيصبح اسماً على مسمّى.
- التَّحْنِيك سنةٌ واردة عن الرسول الكريم ﷺ والتحنيك يعني مَضْغ التمر، أو الشيء الحلو بفم شخص صحيح غير مريض، ووضعه في فم المولود، ودَلْك حَنَكه به، وذلك بوضع جزء من التمر الممضوغ على الأصبع النظيف، وإدخال الإصبع في فم المولود، ثم تحريكه يميناً وشمالاً بلطف حتى يشمل الفم كله، ويمكن إدخال جزء من التمر الطري في فم الطفل ليمضغه ويستفيد منه، وإن لم يتيسر التمر فليكن التحنيك بمادة حلوة، وعسل النحل أولى من غيره. وهناك فوائد صحية للتحنيك تعود على جسد الطفل الوليد ونموه. يكون مستوى السكر في الدم للمواليد منخفضاً، وكلما قل وزن المولود كانت نسبة السكر منخفضة، وبذلك فإن المواليد الخداج (أقل من ٢,٥ كجم) يكون مستوى السكر عندهم منخفضاً جداً، وفي كثير من الأحيان أقل من ٢٠ مليجرام لكل ١٠٠ مليلتر من الدم، أما المواليد أكثر من ٢,٥ كجم؛ فإن مستوى السكر عندهم عادةً فوق ٣٠ مليجرام. (محمد على البار)
- ذبح العقيقة، وهي سنّة لا فرض، احتفالاً بمولد الطفل. وتشير كلمة عقيقة باللغة العربية إلى ذبح شاةٍ تقرباً لله وشكراً له على المولود. وقد ذبح النبي ﷺ شاتين عن كلّ من حفيديه الحسن والحسين، ويكون الذبح في اليوم السابع من الولادة أو بعد ذلك. ويمكن طَهْي اللحوم ودعوة الناس لأكلها، وتسمى عندئذ عقيقة، ويجوز إطعامها للأسرة وللآخرين في المجتمع من الفقراء والأغنياء سواء من دون تفريق بينهم. ويجب أن تكون الذبيحة على الأرجح سليمة وخالية من العيوب، وأن يقال عند ذبحها: بسم الله والله أكبر، اللهم لك وإليك، اللهم هذه عقيقة فلان. عن النبي ﷺ قال: «كُلُّ غُلامٍ رَهِينٌ بِعَقِيقَتِهِ، تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ

وَيُسَمَّى» (النسائي)، كذلك طلب النبي ﷺ من ابنته فاطمة أن تَزِنَ شعر الطفل المحلوق بالفضة وأن تتبرع بقيمة الفضة للفقراء. وعند اليهود طقوسُ مماثلة، أما عند المسيحيين فإن «التعميد» يلبّي مطالبهم عامةً. والـمَعْموديّة هي طقسٌ مسيحيٌ يمثل دخول الإنسان للمسيحية، وتتمُّ باغتسال المعمَّد بالماء سواءً بتغطيسه كاملاً تحت الماء مرة واحدة، أو بتغطيسه ثلاث مرات، أو برش الماء على وجهه إشارة إلى غسل روح القدس. ويعتقد بعض البروتستانتيين أنه لا لزوم لتعميد الأطفال، إلا أن أغلبية النصارى توجب تعميد الصغار، ويعدُّ العِماد خِتمٌ أبديٌ لكل شخص نال سرَّ المعمودية ويبقى مسيحياً حتى الممات.



تأثير الأولاد في الاستقرار الأسري

تتعرض الأسرة للضغوط منذ إنجاب الأولاد، فمع أن الأبوة والأمومة هبة عظيمة، إلا أن الإنجاب ليس دائماً الحدث السعيد الذي نتصوره، وعلى الآباء والأمهات أن يدركوا أن حياتهم ستتغير كثيراً، ويلزمهم إعداد أنفسهم لمواجهة التحديات التي تنتظرهم. وسيضطر الآباء والأمهات إلى التضحية وتقديم بعض التنازلات عن مصالحهم واهتماماتهم لصالح الطفل، وسوف يخضعان لامتحان لمعرفة مدى قدرتهم وتحملهم لهذا الزائر الجديد، ولن يكون من السهل، خاصة للأمهات، تحمل الإرهاق والتعب الذي سيصيبهن تلبيةً لحاجات الطفل المستمرة. ولا يتوقع الأب عند عودته إلى البيت، بعد إنجاب أول ولد، أن يجد دائماً الزوجة المبتسمة المسرورة والطفل السعيد والمنزل النظيف والوجبة الشهية، فبسبب أعباء الأمومة الجديدة عليها غالباً ما تكون منهكة غير بَشوشة وغير قادرة على العناية بزوجها كسابق عهدها.



أيتها الأمهات؛ لن يكون بمقدوركنَّ أن تكنّ كل شيء في الوقت نفسه! لا يوجد ما يُسمى أم بلا عمل.

لا تحاولي أن تكوني الزوجة المثالية والوالدة الجيدة وربة المنزل الناجحة والموظفة المتميزة في الوقت نفسه. يمكنك أن تفعلي كل هذه الأشياء المختلفة، ولكن في أوقات مختلفة. سيغير الأولاد حياتك الخاصة تغييراً كبيراً؛ لذلك عليك أن تتقبلي التغيير وتكوني ودودة ومَرِنة مع أفراد عائلتك.

يرافق مرحلة الأمومة إرهاق نفسي وجسدي وعاطفي بدرجات متفاوتة، فقلة النوم، والعناية الدائمة بالطفل، والانتباه له يؤثران على العلاقة بين الزوجين؛ الأمر الذي قد يسبب خلافات على الأغلب بين الأزواج، وتصبح الأمور المادية بين الزوجين أكثر أهمية من غيرها، بسبب التزام الطرفين بنظام معين للإنفاق، إضافة إلى العناية بالولد في الوقت ذاته.

وتزداد تأثيرات الأمور المالية على العائلة وهي تواجه أعباء العمل والمنزل والطفل الجديد، ويكون لهذا كله انعكاساته على الحياة الزوجية، كذلك تصبح حياة الوالدين مرهقة ومشحونة بالتوتر، خاصة الذين يعملون بدوام كامل، ويتجنب بعض الآباء والأمهات وضع أطفالهم في حضانة رعاية الأطفال، ويعملون بنوبات عمل بديلة لضمان وجود أحد الوالدين باستمرار مع الطفل في المنزل. ومع أن هذا أمر جيد للطفل، إلا أنه ليس بالضرورة أن يكون جيداً للزوجين كذلك. وقد يؤدي شعور الوالدين بعقدة الذنب بسبب ندرة توفر وقت كافٍ يقضونه مع الأولاد، زيادة على تفاقم الأمور أكثر بقضاء «الوقت المخصص للزوجين» لصالح «وقت الولد».

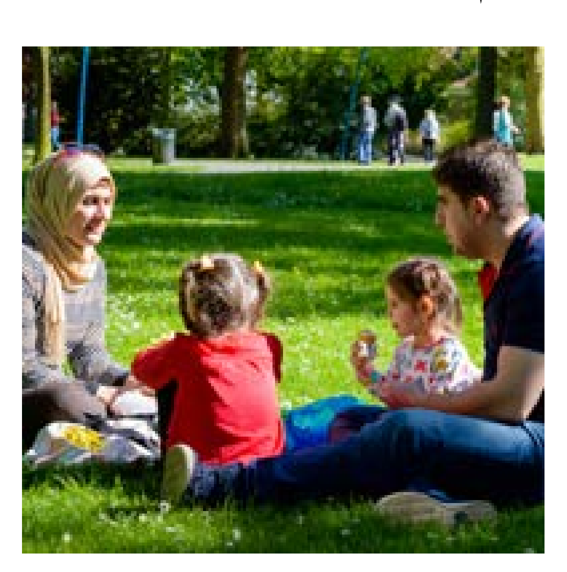
وفيما يأتي بعض الاقتراحات لمساعدة الأزواج في إدارة مرحلة الانتقال إلى الأبوة والأمومة، كي تكون وطأة التغيير والتوتر أخف على الأسرة من كونهما زوجين إلى أب وأمّ.

١. **تخصيص وقت كاف للزوجين يومياً أو أسبوعياً على الأقل،** كي يقضياه معاً دون الأولاد، ويمكن أن يتضمن هذا الوقت مثلاً: المشي، أو ممارسة الرياضة، إضافة إلى التحدث بالهاتف معاً خلال النهار، أو التبكير بالنهوض بضع دقائق عن الوقت المعتاد للتسامر. وكذلك قضاء بعض الوقت في تناول الطعام معاً، والتعبّد، والتمتع بالعلاقة الزوجية، حيث إن مطالب الطفل سوف تستغرق جلَّ الوقت، فيخصص وقت للتواصل حتى ولو كان على حساب تأخير غسل الملابس وتنظيف المطبخ والبيت.

٢. **تبادل أطراف الحديث عن الآمال والتطلعات،** ومناقشة أي مخاوف جديدة بخصوص أدوارهما كوالدين، وعن تأثير الأبوة والأمومة على صحتهما وعلاقتهما وعملهما.

٣. **مناقشة الخلافات،** وعدم الخوف من مواجهة الطرف الآخر عند الحديث عنها، والنظر إلى الخلاف بوصفه مؤشراً على وجود مشكلة يلزم حلّها، وطلب المشورة معاً بلا تردد من المتخصصين إن اقتضى الأمر.

٤. **الحديث مع صديق موثوق أو زميل في العمل ممن لديه تجربة الانتقال إلى مرحلة الأبوة والأمومة،** الأمر الذي يساعد على تخفيف مشاعر العزلة. والتأكد من التحدث مع شخص من الجنس نفسه، مع عدم



الإباحة بأي شيء من الأسرار الخاصة بالطرف الآخر.

٥. **الوعي بالدور التكاملي للوالدين في تنمية شخصية الأبناء،** فالأبوة والأمومة تبنى على شراكة لا تنفصم عراها بين الأب والأم، فمع أن لكل منهما مهمة مختلفة، فإنهما في الوقت نفسه يكمّل أحدهما الآخر. وحين يقوم الوالدان باللعب مع ولدهما، فإنهما ينميان شخصيته. فالأم تحتضن طفلها وتضمه إلى صدرها، فتفيض عليه من الحب والعاطفة، أما الأب؛ فيلاعبه كأن يلقيه بلطفٍ في الهواء (مسموح به فقط بعد بلوغه السنتين)، ويمسك به، ويسمح له بالركوب على ظهره، ويتصارع

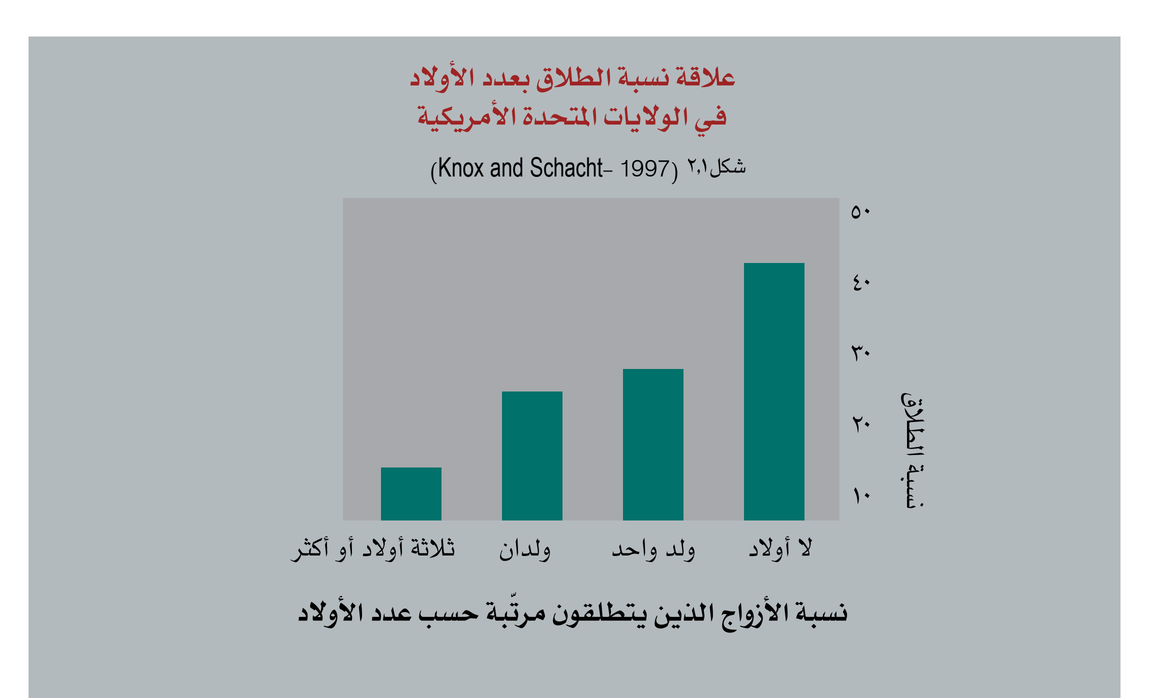
معه على الأرض، ومثل هذه الأنشطة تعلّم الولد الاعتماد على الذات، وتُعرضه لدرجة معقولة من الخشونة والمقاومة وتحمل المخاطر.

فالوالدن كلاهما بحاجة إلى القيام بدورهما في تنمية شخصية أولادهما؛ إذ إن الأبوة تعني للأب شراكة مع زوجته، ولا يقوم مقام الأب أحد في القيام بدوره في حماية الأسرة، فعليك أن تكون على معرفة تامة بوقت تدخلك بصفتك أباً، ومتى تتدخل بوصفك صديقاً، ومتى تتدخل لحماية ولدك، ومتى تتركه وحده كي يتعلم دروساً من الحياة، ويكونّ تجاربه الخاصة.

وبغض النظر عن كيفية تأثير إنجاب الأولاد على مشاعر الوالدين في علاقتهما الزوجية، فإن الأولاد يساهمون في زيادة الالتزام في العلاقة الزوجية.

فالوالدان اللذان لديهما أولاد صغار سيحرصان على الحفاظ على زواجهما لضمان توفير مستوى أفضل من العيش الكريم للأولاد. كما يشعر الوالدان (الأم خاصة) بمزيد من الضغوطات والأعباء بوجود الأولاد كي يحافظا على رابطة الزواج، حتى ولو كانا غير راضيين كاملاً عن علاقتهما الزوجية. وبغض النظر عن مدى زيادة الأبناء لسعادتهما الزوجية أو التقليل منها، فإنهم بلا شك يزيدون من بقاء العلاقة الزوجية واستمراريتها، لأنهم يمثلون بذلك المزيد من الضغوط والاعتبارات التي تجنب الزوجين الانفصال والطلاق.

يوضح الشكل ٢،١ أن زيادة عدد الأولاد في الأسرة يتناسب طرداً مع ثبات العلاقة الزوجية بين الوالدين واستقرارها.



علاقة نسبة الطلاق بعدد الأولاد في الولايات المتحدة الأمريكية

شكل ٢،١ (Knox and Schacht- 1997)

نسبة الأزواج الذين يتطلقون مرتّبة حسب عدد الأولاد

تعد نسبة الطلاق بين الأزواج ذوي الأبناء أقل ٤٠٪ من نسبة طلاق الأزواج من دون أبناء. (McKinley Irvin Family Law 2012).

٤٣٪ من الأطفال في أمريكا اليوم يتربون من دون آبائهم.

٧٥ ٪ من الأطفال ذوي الآباء المطلقين يقيمون مع أمهاتهم.

٢٨ ٪ من الأبناء الذين يعيشون مع أحد والديهم المطلقين يعيشون في دخل أسري أقل من مستوى خط الفقر.

نصف الأطفال الأمريكيين سيشهدون انفصال زواج آبائهم، منهم ما يقرب إلى النصف سيشهد انفصال الزواج الثاني.

يوضح آرثر بروكس Arthur Brooks في كتابه (Gross National Happiness - 2008) ازدياد احتمال كون الوالدين في الولايات المتحدة ممن لديهم أطفال أكثر سعادة ممن ليس لديهم أطفال؛ لأن الأطفال يضيفون معنى جميلاً للحياة، فالزوجان المتدينان اللذان يرتادان الكنيسة أسبوعياً ضعف عدد ما يرتاده العُزَّب، هم أكثر سعادة، ليس لأنهم أكثر غنىً، ولكن بسبب إغناء حياتهم بوجود الأولاد.

مهمات أُسريّة

الوالدان: إنشاء بيت سعيد.

الأولاد: التعلم من الوالدين وتقديم الدعم لهما.

الأجداد: تجميع الأسرة معاً عبر الأجيال، وتقديم الحب للأطفال، والنصح للوالدين، والخبرة العملية التي مروا بها لأبنائهم وأحفادهم، كما يقدم الجدان للوالدين العلاج الناجع للتخلص من توترات العمل خارج الأسرة، فيبث لهما الوالدان (أبناؤهما) مُختلَف المشكلات والهموم، ويتبادلان معهما الرأي والنصح، وينتهي بتخلّص الوالدين من تلك التوترات.

الأصدقاء: مساعدة الوالدين.

المعلمون: تعليم الأولاد.

الإصلاحيون: إيضاح طرائق التربية الوالدية الناجحة للوالدين.

مرحلة العيش مع الأولاد مرحلة عابرة من سلسلة مراحل حتى ولو كانت عَسِرَة ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٥-٦).

مع أن الآباء والأمهات الذين لديهم أطفال رُضّع يشعرون أحياناً أن الليالي الطوال التي يقضونها من دون نوم لن تنتهي أبداً، فإنهم سَيَرَون أولادهم - قبل أن يدركوا ذلك - وقد كبروا واستقلّوا عنهم، فالعلاقة بين الوالدين وأولادهما مآلها إلى الابتعاد عن بعضهم لاحقاً بصورة أو بأخرى، نقيضة ما يكون في العلاقة بين الزوجين، وكما بدأ الوالدان حياتهما الزوجية وحيدين قبل إنجاب الأولاد، فسيعودان لسابق عهدهما مرة أخرى بعد استقلال أولادهما وتركهما عشّ الأسرة. فالأبوة أو الأمومة هي أحد المراحل المهمة في الزواج والحياة؛ إذ قد يشكل الوقت الذي يعيشه الوالدان مع الأولاد نحو ثلث حياتهم تقريباً، وأكثر من نصف حياتهما الزوجية في الغالب، ومن يصبح والداً لمرة واحدة، فهو والدٌ إلى الأبد؛ إذ تستمر العلاقة بين الوالدين وأولادهما حتى بعد زواج الأولاد ومغادرتهم المنزل، ومن المهم أن تستمرَّ العلاقة سواءً أكان الأولاد يقطنون في مكان قريب من والديهما أو بعيد، ويبقى التواصل إلى أن يصبح الآباء والأمهات أجداداً، وحتى بعد مماتهما؛ إذ يُعدُّ ذلك من صلة الأرحام الدائمة.



حجم الأسرة في الولايات المتحدة وبريطانيا بين الماضي والحاضر

لقد أثَّرَ صغر حجم الأسرة في العلاقات داخل الأسرة، حيث يحصل الأولاد في هذه الأُسر الصغيرة الحديثة على أوقات أكثر من والديهم وما يسمى بطفرة الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية (وهم سبعة وسبعون مليون طفل أمريكي ولدوا ما بين عامي ١٩٤٦م و١٩٦٤م) أنجبوا ما يقدر بنحو ٨٠ مليون ولد فقط، وكان الدخل والتعليم في ذلك الوقت عاليين، فحجم الأسرة كان صغيراً. وتعمل وسائل تحديد النسل والإجهاض على تمهيد الطريق لينجب الوالدان أولاداً أقل.

وتضاءل أيضاً حجم الأسرة بسبب ارتفاع عدد الآباء العاملين وزيادة حركة تنقلات الأُسَر وابتعاد الآباء عن أسرهم وأقربائهم.

وسجلت بريطانيا ازدياداً ملحوظاً في عدد الأسر ذوي الطفل الواحد في خلال فترة أقل من جيل واحد. حيث سجلت إحصاءات ٢٠١٢ الآتي: هناك ٤٧ ٪ من الأسر لديها طفل واحد و ٣٩ ٪ لديها طفلان، في حين أن ١٤ ٪ فقط لديهم ثلاثة أطفال أو أكثر (Office for National Statistics). كما أن ٢٠٪ من النساء مواليد عام ١٩٦٤م لم ينجبن، في مقابل ١٢٪ لمن هم مواليد ١٩٣٧م. (BBC 2010).

وفي ١٩٦٠م ، ٧٧٪ من النساء الأمريكيات تركن بيوت أُسَرهنّ وتزوجن وأَنْجبن أبناء عند بلوغهن الثلاثين من العمر، بينما انخفضت هذه النسبة إلى ٤٦٪ في عام ٢٠٠٠م، وذلك حين بلغ منهن مواليد ١٩٦٠م الأربعين من العمر. (Kantrowitz and Tyre 2006). وكذلك فقد قُدِّر في عام ٢٠٠٠م بالولايات المتحدة الأمريكية متوسط عمر الفرد عند زواجه لأول مرة ٢٦,٨سنة للرجال و٢٥,١ سنة للنساء، وذلك بعد أن كان ٢٢,٨ للرجال و٢٠,٦ للنساء في عام ١٩٦٠م. (Pew Research Center 2011).

كانت الفكرة السائدة عند الآباء والأمهات في الماضي أن إنجاب الأولاد مثل صنع الكعكة، فإذا لم يكن الولد الأول جيداً فينجبون آخر، وإذا لم يكن الثاني جيداً ينجبون ثالثاً، وهكذا يمكن دائماً إنجاب أولاد جُدُد إذا لم يصلح الذين قبلهم! وقد اختلف الحال في الزمن الحاضر، فالكثير من العائلات لديها طفل أو طفلان فحسب، فهي تُوْلِيه أو توليهما قدراً أكبر من الاهتمام، فأصبحت الأسرة أصغر حجماً بسبب ضغوط عمل الأب والأم، وزيادة نسبة تَنَقُّل الأسر، وبسبب بعد المسافة بين مكان سكن الوالدين وأقاربهما.

الأسرة أُحادية الوالد

فـي الولايـات المتحـدة أكثـر مـن طفـل واحـد مـن بـين كل ثلاثـة أطفـال يعيـش مـع أحـد والديـه؛ أي مـا يعـادل ٢٤,٦ مليـون طفـل – ٣٥٪ مـن الأطفـال فـي عـام ٢٠١٣م. (Kids Count Data Center).

ففـي حـين أن معظـم هـذه الحـالات تكـون تحـت رعايـة أمهـات معيـلات، فـإن أيضـاً عـدد الآبـاء المفردين يعـد فـي تصاعـد مسـتمر. فـي مـا بـين عامـي ١٩٦٠م و٢٠١١م ارتفـع عـدد الأُسـر أُحاديـة الوالـد تحـت رعايـة الأب المفـرد تسـع مـرات مـن ٣٠٠,٠٠٠ إلـى أكثـر مـن ٢,٦ مليـون أسـرة، وكذلـك أرتفـع عـدد الأُسـر أُحاديـة الأم تحـت رعايـة الأم المعيلـة أكثـر مـن أربـع مـرات، حيـث أرتفـع مـن ١,٩مليـون إلـى ٨,٦ مليـون. (Pew Research Center 2013).

أمـا فـي بريطانيـا فـإنَّ ٣٠٪ مـن الأطفـال هـم نتـاج أسـر أحاديـة، والغالبيـة العظمـى مـن هـذه الحـالات تعيـش فـي رعايـة أمهـات معيـلات (٢٨,١٪ مـن إجمالـي الأطفـال)، وتعـد بريطانيـا مـن أعلـى دول أوروبـا مـن حيـث تعـداد الأمهـات المعيـلات فـي الأُسـر الأُحاديـة، حيـث تبلـغ نسـبة الأُسـر الأُحاديـة ذوي الأبنـاء التـي تعيـش فـي رعايـة الأم الـمُعيلة ١٨,٥٪ فـي بريطانيـا، مقارنـةً بمتوسـط ٩,١٪ فـي أوروبـا، [وذلـك مـن إجمالـي نسـبة ٢٠,٤٪ مـن الأُسـر ذوي الأطفـال فـي بريطانيـا تُعـد أُسـراً أحاديـة الوالـد] (European Commission 2014).

الأُسـر أُحاديـة الوالـد فـي تصاعـد مسـتمر لسـببين رئيسـيين همـا: الطـلاق والإنجـاب مـن دون زواج. ففـي ٢٠١٣م سـجلت الولايـات المتحـدة (١٥٩٥٨٧٣) حالـة مواليـد مـن أمهـات غيـر متزوجـات؛ أي نسـبة ٤٠,٦٪ مـن إجمالـي مواليـد هـذا العـام. (National Vital Statistics System 2015).

نظرة على المعاشرة من دون زواج

الـزواج بـكل التزاماتـه يُعـدُّ أمـراً غيـر مرغـوب فـيـه لـدى بعـض ممـن يفضلـون المعاشـرة مـن دون الـزواج أو الإقامـة معـاً مـع الشـريك، ففـي ٢٠٠٩م بالولايـات المتحـدة مـن بـين إجمالـي ١٩,٩ مليـون طفـل ممـن يعيشـون مـع أمهاتهـم غيـر المتزوجـات خمسـهم تعيـش أمهاتهـم بمعاشـرة رجـل ليـس زوجهـا.

وفقـاً لمؤسسـة CDC فـي الولايـات المتحـدة أكثـر مـن واحـد مـن بـين كل أول أربعـة مواليـد لنسـاء مـا بـين ١٥- ٤٤ مـن العمـر هـم نتـاج معاشـرة دون زواج، وهـو مـا يعـادل نسـبة ٢٦٪ فـي الفتـرة ما بين ٢٠١١ م – ٢٠١٣م، وبذلك تعد النسـبة فـي تصاعـد، حيـث كانـت ٢٢٪ فـي الفتـرة ما بين ٢٠٠٦م–٢٠١٠م، و٢١٪ عـام ٢٠٠٢م.

أمـا عـن إنجلتـرا ومقاطعـة ويلـز؛ فـتـقريبـاً ثـلـث المواليـد الأحيـاء؛ أي ٣١٪ مـن المسـجليـن فـي عـام ٢٠١٣م هـم نـتـاج مـعـاشـرة مـن دون زواج (Office for National Statistics 2014).

أقـرت دراسـة أمريكيـة قامـت بهـا الكليـة الأمريكيـة لطـب الأطفـال أن النسـاء اللواتـي أنجـبن أبناءهـن مـن دون زواج هـن أكثـر أربـع مـرات عُرضـة للانفصـال عـن شـركائهم فـي أول ثـلاث سـنوات بعـد الإنجـاب عـن النسـاء المتزوجـات. وقـد أوضحـت الدراسـة أن المعـدل المتزايـد للتعـرض للانفصـال يختلـف، حيـث يمثـل الضعـف فـي مـا بـين الأزواج الأمريكيـين مـن أصـل أفريقـي، ويتضاعـف ثـلاث مـرات فـي مـا بـين الأمريكيـين مـن أصـل مكسـيكي، ويصـل إلـى ثمانيـة أضعـاف فـي مـا بـين الأمريكيـين مـن أصـل أوروبـي.

إحصاءات حول المعاشرة من دون زواج

مـن إجمالـي ١٣٢,٢ مليـون منـزل فـي الولايـات المتحـدة فـي عـام ٢٠١٤م:

٥٩,٦ مليون به أزواج متزوجون.

٧,٩ مليـون يعيشـون فـيـه مـن دون زواج مـع شـركائهم مـن الجنـس الآخـر.

٣٤,٢ مليون منزل يعيش به شخص بمفرده.

(CPS Data, US Census Bureau)

من إجمالي ٢٦,٧ مليون منزل في بريطانيا في عام ٢٠١٤م:

١٢,٥ مليون به أزواج متزوجون.

٢,٣ مليـون يعيشـون فـيـه مـن دون زواج مـع شـركائهم مـن الجنـس الآخـر.

٦١٠٠٠ يعيشون فيه من دون زواج مع شركائهم من الجنس نفسه.

٢٨٪ منزل يعيش به شخص بمفرده.

(Office For National Census Statistics 2015)

الخُلْع أو الطلاق من دون إبداء الأسباب المسوِّغة له

الخُلْع هو شكل من أشكال الطلاق؛ إذ يوافق الشريكان على وضع حدٍ لزواجهما، ولا يحتاج القاضي لمعرفة الأسباب كي ينهي الزواج. وبعض الناس يسعون لوضع حد لهذا النوع من الطلاق، فقد وَقَّعَ رونالد ريغان، حاكم ولاية كاليفورنيا، وهو مطلّق، أول قانون في عام ١٩٦٩م يسمح للأزواج بطلب الخُلْع، وذلك استجابة لارتفاع معدلات الطلاق. كان الأمر قبل ذلك لمن رغب في أن يطلّق عليه أن يثبت للقاضي أن الطرف الآخر قد ارتكب مخالفةً تستلزم الطلاق (كانت أكثر الأسباب شيوعاً للطلاق، هي: الخيانة الزوجية، أو الإساءة والإيذاء أو الهَجْر)، وكان الزوجان يلجآن لطلب وسائل شتى تمكنهم من الانفصال، فقد يكذبان في المحكمة أو يستأجر كل منهما مخبراً ليتجسس على الآخر. وقد وُضع مشروع قانونٍ للخلع يَحدُّ من النزاعات بين الأزواج الطالبين للطلاق، ويتيح هذا القانون إمضاء الطلاق بإحسان، حتى إذا استنكر أحد الطرفين زواجه من الآخر، فإن الطرف الثاني يمكنه أن يخلع نفسه منه دون تقديم مُسَوّغ يستحق الطلاق. بعد ذلك لحقت كل ولاية من الولايات في أمريكا بولاية كاليفورنيا في تشريع يسمح بالخلع باستثناء ولاية نيويورك، مما ضاعف معدلات الطلاق في السنوات الثلاث التي تلت السماح بالخلع. (Leland 1996). يفتقد الآباء والأمهات المنفصلون الراحة الكبيرة ومزايا وجود مستشار جدير بثقتهم، بوصفه شريكاً آخر لهم ضمناً.

نؤكّد هنا فكرة أن ولادة الطفل خارج نطاق الزوجية أمر لا ينَزَعُ صفة الأبوة أو الأمومة العضوية عن أي منهما، ولكن قيامُ طرف واحد بأعباء تربية الأولاد يلزمه الكثير من الجَلَدِ والاعتماد على الذات، زيادة على توافر قدرة فكرية قوية؛ إذ إن الموازنة بين متطلبات العمل ومسؤوليات الأولاد والمنزل ليس أمراً هيناً، خاصة من دون وجود الشريك الآخر، مما يجعل التربية أصعب وأشق فكرياً وعاطفياً منها عند وجود الوالدين، فعندما يربي أحد الوالدين أولاده وحده يترتب عليه القيام بدوري الأبوّة والأمومة؛ فهو يتخذ القرارات المالية، ويضع النظم المنزلية، ويتعامل مع خلافات الأولاد وسلوكاتهم، إضافة إلى شعوره بالوحدة النفسية. إن هذا لا يعني أن الأمور ستكون دائماً أفضل في الأسر التي فيها والدان، فالمطلوب في الأحوال كلها من الآباء والأمهات أن تكون رؤيتهم للأشياء إيجابية، ولا سيما الآباء والأمهات المنفصلون الذين يربون أولادهم وحدهم.

وإذا نظرنا إلى الأمر من ناحية وجانب الأولاد، فإن النمو مع أحد الوالدين من دون الآخر يؤدي إلى فقدان الرعاية والحماية من الوالد الثاني (الأب أو الأم)، ولا يعني هذا بالضرورة أنَّ الطرف الغائب، يلزم أن يكون بعيداً أو مغيّباً، كما لا يمنع وقوع الطلاق بين الوالدين أن يكون لكل منهما دور فعَّال في حياة الأولاد؛ إذ يفتقر هؤلاء الذين يعيشون مع أحد الوالدين إلى المساندة من الطرف الغائب، ولا ينفي ذلك أنَّ الوالد الواحد في الأسرة أيضاً يمكن أن يوفر الحب والرعاية اللازمتين لأبنائه، فكلما زاد تحصيله العلمي ومهاراته ووعيه، قلّت معاناة أولاده.

وفي ما يأتي بعض الحقائق ذات الأثر السلبي على الأولاد في الأُسر أُحادية الوالد (McLanahan and Harper 2004):

- الأسر أحادية الوالد، هي أقل قدرة على حماية حاجات الأبناء المراهقين مقارنة مع الأسر التقليدية التي يعيش فيها كلا الوالدين مع أبنائهم.
- البنات اللاتي يكبرن من دون وجود آبائهن الشرعيين هن أكثر عرضة لممارسة الجنس في سن المراهقة.
- الأولاد والمراهقون الذين يعيشون من دون وجود آبائهم الشرعيين أكثر عرضة للمعاناة النفسية والجسدية، وسوء المعاملة العاطفية أو الجنسية.
- طلبة المدارس الثانوية الذين يأتون من بيوت فيها العلاقات الأسرية مفككة يسببون في الغالب مشكلات أكثر في المدرسة من غيرهم.
- الأولاد الذين يعيشون مع والد واحد أكثر ارتكاباً للجرائم والجُنح من غيرهم في بعض المجتمعات المحلية.
- الأولاد الذين يعيشون مع والد واحد أكثر عرضة للإيذاء أو الإهمال، وأكثر احتمالاً أن ينتهي بهم الأمر إلى السجن.



نقترح إعداد بعض المواد في التربية الوالدية في المدارس، فهناك سبعة من أصل عشرة من الناس يرون أن التربية الوالدية؛ هي موضوع ينبغي أن نتعلمه وندرّسه.

(Longfield and Fitzpatrick 1999)

يواجه الآباء والأمهات جميعهم مشكلات مماثلة، ولكن الأسر أحادية الوالد (المنفصلين) تحتاج إلى اهتمام أكثر في المسائل الآتية:

١. **الثقة بقوة الفرد الشخصية:** فإذا انهار الوالد، فإن عالم الولد يصبح مقلقلاً، إذ لا يوجد والد ثان يرجع إليه، لذلك على الآباء والأمهات المنفصلين الحرص أن يكونوا على درجة عالية من الحذر في تقدير الأمور والمحافظة على الهدوء والثقة إزاء ما يواجهون من مشكلات، وذلك يستوجب منهم أن يكونوا على درجة عالية من القوة والتماسك النفسي والعاطفي.

٢. **القيام بدورين:** حيث يجب على كل منهما ملء مكان الطرف الغائب في الأسرة، فيكون الوالد الذي يحيا معه الأولاد قريباً منهم عاطفياً وروحياً. وهناك العديد من الكتب التي توجه الآباء والأمهات الأحاديين وتعينهم في تربية أولادهم.

٣. **تعزيز الثقة بالنفس:** يتعين على الأولاد ألا يخجلوا من أن لديهم والداً واحداً يقوم على رعايتهم وتربيتهم، ويلزمهم أن يدركوا أنهم ليسوا مختلفين كثيراً عن أي شخص آخر له والدان يقومان على تربيته. ويقوم الوالد المسؤول عن تربية أولاده بتوفير منزل مريح ومناسب وحياة عائلية سعيدة لهم ما أمكن.

علّم أولادك مثلاً أن النبي ﷺ صار يتيم الوالدين وهو صغير في السن. ولتكن على حذر من المبالغة في حمل الأبناء على أمور بغية تعويضهم عن غيبة الوالد الثاني، وكن متيقظاً من أن يتلاعبوا بك بإشعارك بعقدة الذنب والمسؤولية لغياب الوالد الثاني.

٤. **حسن التواصل:** إن التواصل الدائم بين الوالد وولده أمر في غاية الأهمية، فهو يسهل الحياة على كل من الوالد وولده في إنشاء علاقة محبة ومودة ومنزل آمن وبيئة مساندة. وبمعنى آخر، إن كون أحد الوالدين المنفصلين يربي أولاده وحده لا يعني تجنب تلقي المساندة والدعم لهم من أي مرجع ثقة آخر. فيمكن أن تكون تجربة تربية الأولاد في بعض الأحيان من والد واحد ناجحة ومثمرة مثل تجربة الأسر التي فيها والدان (أو ربما تكون أفضل من بعض الأسر ذات الوالدين التي تعاني من الكثير من الصراعات والتوتر المستمرين).

أسس نجاح الوالد المفرد

نورد فيما يلي عدداً من النصائح المهمة للآباء والأمهات المنفصلين للقيام بها في تربية أولاد صالحين، وكذلك لتقليل الصراعات داخل الأسرة:

- العمل على تكوين شبكة من الأصدقاء والعلاقات الاجتماعية، وتوجيه دعوة لهم ولأولادهم إلى لقاءات اجتماعية وتناول الطعام بصحبتهم مع أولادك.
- التعرف على أسر أخرى أحادية، فلست وحدك الوالد الأحادي، ويمكن أن يوفر لك الأصدقاء المقربون المساندة العاطفية والمساعدة في حالات الطوارئ، وفي رعاية الأولاد، وآذاناً مُصْغية لمشكلاتك.
- تخيَّر الأصدقاء الذين يولونك اهتمامهم والجديرين بثقتك والمخلصين لك الذين يكونون عوناً لك في أوقات الشدة. وإذا كان لديك أسرة ممتدة فحافظ على هذه الروابط، وتبادل الزيارة مع أفراد عائلتك الكبيرة بصورة منتظمة، ولا يوجد ما يمنع من تقاسم أعباء التربية لأولادك بمشاركتهم.
- خطط لقضاء أوقات مليئة بالسعادة والقيام بأنشطة خارج البيت مع أولادك.
- حافظ على كل ما من شأنه أن يذكرك بمناسبات ومواقف قضيت فيها أنت وأولادك أوقاتاً سعيدة.
- شارك أولادك في اتخاذ القرار وحل المشكلات؛ الأمر الذي يعزز ثقتهم بأنفسهم، ويشعرهم بأنهم أعضاء فاعلون ذوو قيمة في الأسرة، فالمساعدة من كل فرد من أفراد الأسر ذات الوالد الواحد مطلبٌ يوميٌّ مهم، فالعمل كفريق واحد، وتقاسم الأعباء والأعمال، يقلل من الضغوط التي تواجهها الأسرة.
- لا تسمح لغضبك أو همومك أن تؤثر على حياة أولادك. فإذا استطعت أن ترى العالم من وجهة نظرهم فسوف تدرك أن الأولاد يشعرون بضعفهم، وأنهم معرضون للخطر، ويخشون إذا حلّ شيء ما للوالد من أن يصبحوا وحيدين في هذا العالم.
- إذا وقع الطلاق وحصل الانفصال لا تجبر الأولاد على الانحياز لطرفك دون الطرف الآخر، ولا تقدم لأولادك صورة أن هناك «والداً طيباً وآخر سيئاً» وعليهم الاختيار بينهما، فالأولاد لديهم ولاء كبير للأب والأم على حد سواء، وسيشعرون بالذنب بتقاذفهم إذا اضطروا إلى الانحياز لطرف دون الطرف الآخر، وبذلك ندرك الحكمة من تسمية القرآن الكريم للطلاق بالتسريح الحسن الجميل؛ أي الذي ليس فيه تشويه لصورة الآخر، فقد قال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ ...﴾ (البقرة: ٢٢٩)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ (الأحزاب: ٢٨) لذلك لابُدَّ أن يكون الطلاق بالتسريح الحسن الجميل.
- الإيجابية والتوكل على الله في كل شيء وقبل كل شيء هما شعارك، وتذكَّر أن الوالد المنفرد في تربية أولاده عندما تتوافر له مهارات التربية الصالحة يستطيع تنشئة أولاده وحده تنشئةً سليمة، مثل غيرهم الذين يربيهم كلا الوالدين، لكنه يحتاج إلى دعم ومساندة من الأصدقاء والأقارب والجيران. فالتربية الصالحة للأولاد لا ترتبط بالكم بقدر ارتباطها بنوع التربية، والنظرة الكونية الشاملة الصائبة للوالد.

هل يُغني أحد الوالدين عن الآخر؟

لا تستغني الأم عن الأب ولا يستغني الأب عن الأم، ولا يمكن لأحدهما أن يكون بديلاً كاملاً عن الآخر. لا شك أن الأطفال الذين يرتبطون بكلا الوالدين هم على الأرجح أفضل نمواً وتربيةً من الأطفال أحاديي الوالد، إذ تغرس الأمهات في أولادهن الحب والحنان والتسامح والصبر، ويوفر الآباء القوة والإحساس بالمسؤولية، وقوة التحمل والذكورية؛ أي المحفزات المفيدة جميعها للأطفال. وعموماً فإن فقدان الأم أشد قسوة على الأولاد من فقدان الأب؛ لذا يسمي العرب فقيد الأب باليتيم، أما فقيد الأم باللطيم، فالأم توفر أجواء الحماية والحب، وآمالها تتمحور حول الأولاد، وهي ربة بيت بدوام كامل، وتغدق الكثير من اهتمامها لهم، والأولاد عامة أكثر تعلقاً بها، كذلك يشغل الأولاد جدول أعمالها اليومية جميعه، وتملك الكثير من العطاء والتفاني والقدرة على أن تغمرهم بالمحبة والأمان والحنان كي ينجحوا في حياتهم.



هناك اعتقاد خطأ أن الابن يحتاج إلى الأب أكثر من الأم، والأبنة تحتاج إلى الأم أكثر من الأب، وواضح أن الأب مهم لابنته وابنه على حدٍّ سواء، ولكن بطريقة مختلفة لكل منهما، وكذلك حال الأم. يَمدُ الآباء بناتهم بمشاعر القوة، والدعم، والأمن، وتحتاج البنت إلى والدها كي تحصل على الخبرة في التعامل مع الذكور، وإلا قد يبدون لها غامضين أو مخيفين أو محيّرين.

هل يمكن للأم تجسيد دور الأب لأولادها الصبيان في العائلات أُحادية الوالد (وهي الأم هنا)؟ الجواب: لا يمكن، وليس من الضرورة ذلك. وبمقدورهم أن يتصوروا ملامح الأم أو الأب ويصفونه بأدق التفاصيل، حتى لو لم يروه أو يروها منذ مدة طويلة. كما أن لديهم القدرة على رسم صورة والدٍ مثالي من شخصيات عدة لأُناسٍ آخرين وتشكيلها في أخيلتهم. وتستطيع الأم مساعدة ولدها الذي فَقَدَ أباه في بناء صورة طيّبة لأبيه في مرآة عقله بتوفير فرصةٍ له ليكون مع أجداده وأعمامه وأخواله وأولادهم في أثناء وجودها معهم، كما يمكن أن تعرّف ابنها برجل موثوق به، مثل مدرس، أو إمام مسجد، ليقدم له النصيحة والعون في الموضوعات التي يحتاج الولد فيها إلى من يستهدي برأيه ويسترشد بعلمه تحت إشراف منها، فمثل هؤلاء الرجال يمكن أن يكونوا قدوة جيدة ومثالاً حسناً لابنها يُحتذى بهم.

ما المهم فعلاً؟ لن يهم مقدار ما في حسابك المصرفي، أو في أي من البيوت تسكن، أو أي نوع من السيارات تقود؛ فإنه بعد أربعين عاماً من الآن... ما يهم حقاً: كم كانت أهميتك وتأثيرك في حياة أولادك وأحفادك؟

ملحوظة عن الإسلام والطلاق

واحد من الأسباب الرئيسة لارتفاع عدد الأسر أُحادية الوالد، هو ارتفاع معدلات الطلاق، فالطلاق في بعض الثقافات والأديان محرم (كان الطلاق غير قانوني في البرازيل حتى عام ١٩٧٧م، وكان محرماً في القانون الهندوسي، ومحرماً في الفلبين وغيرها من الدول الكاثوليكية خاصةً)، أما الإسلام؛ فقد ضيَّق دائرته على الرغم من أنه يُسمح في نطاق ضيق وفق ضوابط وقيود، فيفضل للمسلم قبل الطلاق أن يلجأ إلى الوساطة الأسرية والتحكيم بين الزوجين، ويَطلب الإسلام من الأقارب ذوي الحكمة والثقة بذل الجهد الواسع من أجل إنقاذ الزواج، ويطلب من الزوجين التزام الأخلاق وتقوى الله في تجاوز مشكلاتهم وإداراتها تجنباً للانفصال من أول خلاف، خاصة أن انفصال أيّ من الزوجين سيكون له تأثير سلبي على الأولاد.

فعلى الوالدين بذل كل جهد ممكن للحفاظ على زواجهما، ويجب عليهما أن يكونا صادقين مع الأولاد عند وقوع الطلاق للأثر البالغ عليهما؛ إذ يلزم اطّلاع الأولاد على حقيقة ما يحدث للزوجين من دون مداراة أو اختراع للقصص الواهية، ويقوم الوالدان بتوضيح سبب انفصالهما عند الطلاق والزواج مرة أخرى من أزواج مختلفين، والتأكيد لأولادهما ما حصل ليس بسببهما، وإنما سيظلان يحبونهم. ويجب على الوالد أن لا يختفي من حياة الأولاد من دون أن يوضّح سبب ذلك لهم، فاختفاؤه فجأة يمكن أن يورث أبناءه ألماً وحزناً ومرارة، على النقيض من اعتقاد بعض الآباء والأمهات أن فعل ذلك يجنبهم الألم والحزن الذي تُسببهُ لحظات الفراق، وقد يقود تصرّف الوالد إلى قناعة الأولاد أنّ أباهم لا يُحبهم بالقدر الكافي، بل يجب عليه أن يشرح لهم ما حدث أو أن يودعهم على الأقل قبل مغادرته.

عندما يكون هناك والد بديل (زوج الأم أو زوجة الأب) أو أسرة بديلة فإنه لا فائدة تُرجى من محاولة الضغط على الأولاد لقبول الناس الجُدُد الذين ليسوا من عائلتهم العضوية ومعاملتهم كما لو أنهم كذلك، فقد يعوق توطيد العلاقات الكثير من التوتر، والغيرة، والتنافس غير المحمود. وفي النهاية، من الأفضل للطفل أن يتقبَّل الوالد البديل باسم «زوج أمي الجديد» (أو زوجة أبي الجديدة) بدلاً من محاولة التظاهر بأنه «الوالد الجديد».

إن الحضانة في حال زواج الأم تنتقل للجدة- أم الأم- ما لم يعترض الزوج الجديد وهو اليوم في ثقافة مجتمعنا الحالي مرفوض أصلاً، فلا يقبل الزوج الجديد أن يربي أبناء غيره، على خلاف ما كان سائداً زمن الصحابة، حيث كانوا يتسابقون على المطلقة، أو الأرملة التي استشهد زوجها كفالة لأبنائها (فالطلاق يُتْمٌ معنوي للأبناء والوفاة يُتْمٌ حقيقي) فيصدق عليهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: («أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا). (البخاري)

أثر الطلاق على الأولاد

غالباً ما يؤثر الطلاق سلبياً على العديد من نواحي الحياة، بما فيها العلاقات الأسرية والوضع المالي والصحة النفسية والقدرة على التأقلم النفسي والأداء التعليمي والأكاديمي، وأيضاً القدرة على بناء المستقبل، فارتفاع معدلات الطلاق وانخفاض معدلات الزواج، يؤدي إلى تزايد أعداد الأبناء الذين يعيشون مع أحد والديهم أو في رعاية أسرة بديلة، وتكون معدلات الفقر في الأُسر الأُحادية التي يعيش فيها الوالد مع شريك من دون زواج أعلى بكثير منها فيما بين الأُسر المكونة من شركاء متزوجين.

تُعَدُّ الولايات المتحدة الأمريكية مقارنة ببقية الديمقراطيات الغنية من أعلى معدلات الفقر فيما بين الأمهات المعيلات (Demography 2012).

وفي الولايات المتحدة عام ٢٠٠٩م، يعيش ٧٥٪ من أبناء الآباء المطلقين مع أمهاتهم، في حين يعيش ٢٥٪ مع آبائهم، ويكون هؤلاء الأطفال أكثر عرضة للعيش تحت خط الفقر (٢٨٪) مقارنة بالأطفال الآخرين (١٩٪) وأكثر عرضة للعيش في منازل مستأجرة (٥٣ ٪) مقارنة بباقي الأطفال (٣٦٪) ويكون النساء المطلقات قبل ١٢ شهراً أكثر مرتين عرضة للفقر من مثيلاتهن اللاتي طلقن حديثاً، (٢٢٪ في مقابل ١١٪ بالترتيب). (US Census Bureau 2011).

من المهم أن يتعامل الآباء والأمهات المنفصلين مع أفراد أسرة الطرف الآخر جميعهم تعاملاً لطيفاً وقائماً على الاحترام والتسامح، فالقرآن الكريم يحضنا في أكثر من موضع أن نتصرف بطريقة صحيحة إذا ما وقع الطلاق.
﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

(البقرة: ٢٢٩).



يَحتاجُ الطلاق إلى صبرٍ وجلدٍ وتسامح، فقد لا يتقبل بعض الأولاد الأب البديل أو الأم البديلة، وفي هذه الحالات؛ كل ما يمكن عمله هو الترفق واللين والاستفادة ما أمكن من عامل الوقت، فيوماً ما سيغادر الأولاد المنزل لبناء حياتهم الخاصة، وقد يكون انتهاء الزواج في بعض الأحيان مصدر ارتياح للأولاد بعد معاناتهم لفترة طويلة لقاء الخصومات والمنازعات والمشكلات بين والديهم، فيواجه الأولاد في تلك الفترة مشاعر من الولاء المزدوج. فمع أنهم قد يكونون في وضع أفضل من دون والدهم الذي سينفصل عن العيش معهم، إلا أنهم لا يستطيعون أن يسلموا بذلك من أنه لا يزال بينهم يحبونه ويرجون بقاءه معهم، لكن قد يرى الأولاد أن انفصال والديهما أفضل للأطراف جميعها، ويمكن أن يؤسس زوج الأم أو زوجة الأب الجديدين بدورهم رابطة أوثق أو أكثر جمالاً محاطة بالصداقة التي قد يكتب لها الاستمرار مدى الحياة مع الأولاد.

يواجه الوالد المنفصل مع ولده المراهق مشكلات مختلفة، لكن المهم في هذه المرحلة أن يكون الوالد حريصاً على ألا يجعل من ولده المراهق معتمداً عليه اعتماداً مُفْرِطاً، أو يجعله مكان شريكه الغائب؛ يقوم بالدور نفسه، فالابن في سن المراهقة ليس هو الزوج، والبنت في سن المراهقة ليست الزوجة، وقد يكون الأولاد بعد طلاق والديهما معرضين لخطر كبير وهو الاعتداء الجنسي والجسدي وسوء المعاملة النفسية، فيتحمل المراهقون الكثير من الأعباء للتعامل معها في الوقت الذي عليهم القيام بواجباتهم المدرسية، فالآباء والأمهات المنفصلون في حاجة إلى أن يكونوا على استعداد للسماح لأولادهم باختيار اهتماماتهم وهواياتهم المشروعة بأنفسهم، خاصة تلك التي تكون خارج المنزل، والمضي بها قُدماً، فلا ينبغي أن يكون الوالد المنفصل أنانياً ويَحْمِلُ أولاده على ما لا يرغبون، بدافع شعوره بالوحدة، مهما بلغ به هذا الشعور مبلغه.

يختلف الأولاد المولودون خارج إطار الزواج عن أولاد الأرامل أو المطلقين الذين يعيشون مع والدهم، ويظهر الفرق الرئيس بينهما في أن الصنف الثاني من الأولاد يشعر بالانتماء لأبيهم، فأبوهم المتوفى يمدهم بشعور الراحة، كما يشعرون أنهم لا يزالون يرتبطون به؛ الأمر الذي قد يساعد الأم في نقل شعور الأمان والحب للأولاد، فتستطيع توجيههم وتوفير بيئة محاطة بالود تمكنهم من أن يتفوقوا على أقرانهم الذين لديهم والدان، ويعيشون حياة أفضل.

إضافة إلى توفير الدعم والمساندة لأولادها، تستطيع الوالدة المطلقة أو الأرملة أن تربي أولادها تربية تجعلهم يحققون إنجازات عظيمة، إذا ما وفرت لهم فرصاً وموارد من أجل تحقيق ذاتهم وبناء ثقتهم بأنفسهم، ولهذا الجهد العظيم والصبر على التربية الذي تبذله الأرملة أو المطلقة بشارات إلهية نبوية، حيث قال النبي ﷺ «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار» (البخاري).

مدى الحاجة إلى نظام تربية وتعليم سليمين

إذا كنا نريد إصلاح تعليم أولادنا وتربيتهم، فنحن بحاجة ماسة إلى إلقاء نظرة فاحصة وعميقة على نظام التربية والتعليم في العالم الإسلامي. توجَّه الانتقادات إلى بعض مدارس المسلمين اليوم لافتقارها إلى الإدراك الحقيقي لطبيعة الأولاد. فعلى سبيل المثال، إن الطريقة التي يفكرون بها عندما يعدّون ألعاباً للأولاد؛ فيها إهمال وتفريط وأخطاء، ولا تستند المناهج الدراسية على مراعاة مراحل نمو الأولاد المختلفة؛ لأنها تقوم على الإجبار في الغالب، واتسامها بالجمود وعدم المرونة؛ فهي تتجاهل ميلهم إلى ممارسة الرياضة واللعب، وتقوم على التعليم بالحفظ والاستظهار عن ظهر قلب والتلقين، ونلاحظ بصفة عامة نوعين من التعليم في مدارس العالم الإسلامي سابقاً، هما:

أولاً: طريقة التعليم الخاص المنضبط، والمنظم وهو مخصص للنخبة من أولاد الحكام والأغنياء حيث يدرّس أولاد النخبة معلمون مؤهلون تأهيلاً عالياً، ويطلق عليهم اسم (مؤدِّب)، وكان يجري التدريس في قصور هؤلاء النخبة، وكانت مهمة المعلمين إعداد الأولاد ليكونوا قادة متميزين. وقد كان للحكام والخلفاء، مثل معاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان، والحجّاج الثقفي، وهارون الرشيد، وغيرهم، مربون راسخون في العلم والمعرفة. وقُدمت لهؤلاء المعلمين المؤدبين التسهيلات اللازمة جميعها لتعليم الأولاد علوم الدين، والأدب، والمهارات المختلفة، إلا أن هناك نقصاً في نظام تعليم المؤدبين؛ وهو أن الأولاد يحرمون من مزايا التعلُّم ضمن مجموعة الأقران من الطلاب. وهذه المزايا متوفرة في النظام التعليمي الثاني، وهو مدارس الكتّاب المفتوحة للعامة، حيث لا يتعلم الأولاد سوى بعض أجزاء من القرآن وقليل من أساسيات الحساب. ولم يكن عدد المعلمين كافياً ولا التسهيلات متوفرة، كما استخدم المعلمون العقاب البدني وسيلة لتأديب الطلاب، وكان الأولاد في هذه المدارس ممنوعين من اللعب، وكان التلقين هو الطريقة الأساسية للتعلُّم. ومن الجدير بالذكر أنه لا يزال هذان النظامان من أنظمة التعليم ساريين إلى حد ما حتى وقتنا الحاضر في بعض البلدان الإسلامية؛ حيث يُرسل الأغنياء أولادهم إلى المدارس الخاصة، محلياً أو خارجياً، والفقراء يرسلونهم إلى المدارس العامة قليلة الإمكانات والتجهيز. وتتوافر لدى المدارس الخاصة الموارد المالية لتوظيف المعلمين المؤهلين وتدريس المناهج الأجنبية مع بعض المناهج الخاصة، فضلاً عن توفير المرافق والتسهيلات الممتازة، بما في ذلك المختبرات، والوسائل البصرية، والمكتبات، والملاعب، مما قد لا يتوافر في المدارس العامة بوجه عام.

-وياللأسف-، تُخرّج هذه المدارس الخاصة المكْلِفة في البلدان الإسلامية عادةً طلبةً يحملون نظرة سلبية لثقافتهم الأصلية وتراثهم ودينهم. فأولادهم الضحية لهذا النظام، ويصعب تدارك هذه الخسارة أثناء « الفرص المتاحة » من أجل تربية غالبية الأمة وتثقيفها بعد أن تكون قد تشكّلت عقول الأفراد.

وعلى العموم، إننا إذا أردنا إحياء الأمة يَتعيّنُ تغيير طريقتنا في تربية الأولاد ونظام التعليم في المدارس، والحاجة ماسة للتركيز على مراحل الطفولة المبكرة، ويستحسن أن نبدأ في سبيل ذلك بمخاطبة أول المعلمين وهما الوالدان، معلما القِيَم، ومُشَكِّلا الظلال والملامح الأولى للشخصية، من أجل النجاح في هذا المسعى الحميد.



من الإنصاف أن نقول: إن نموذج التربية الوالدية المتوازن والجيد لا يطبَّق اليوم، سواء في العالم الإسلامي أو الغربي. ويستحسن بالمجتمعات التي تبحث عن التغيير الاجتماعي أن تدرك أن التربية الوالدية هي العامل الرئيس لتحقيق النهوض الحضاري للأفراد والمجتمع بشقيه: المادي (العمران) والمعنوي المتمثل بالسعادة الأخلاقية والروحية.

يحتاج بناء الحضارة إلى الكثير من المؤسسات التي لا تنجح وتتطور إلا إذا أدارها أفرادٌ صادقون وخلّاقون وفعّالون وموثوق بهم. وتعد مؤسسة الأسرة – الوالدان – أفضل من تُلقى على كاهلها مهمة تربية أفراد أقوياء العقل والروح والجسد والشخصية، ولا تترك هذه المهمة للمدارس ووسائل الإعلام والحكومات فقط، مع أن هذه المؤسسات تمد يد العون بدرجات متفاوتة في تنفيذ هذه المهمة، فلا كيان ولا مؤسسة أقدر على تلبية الحاجات المهمة للأولاد والحرص الطبيعي عليها من الوالدين، كذلك الإيثار والرحمة سمتان بارزتان ملازمتان للآباء والأمهات، والوالدان هما الشخصان الوحيدان اللذان يرغبان في أن يكون أولادهما أفضل منهما.

ويتفانى الوالدان في تربية أولادهما بأفضل الطرق، فمثلاً عندما يتحدث شخص إلى الآباء والأمهات حول موضوع المصالح المثلى لأطفالهم، فإنهم يصغون باهتمام، وما ينقصهم في هذا المجال غير فهم طريقة تحقيق هذه المصالح وكيف يعملون على تطبيقها. ونقطة الانطلاق في التربية للأولاد هي أن يدرك الآباء والأمهات مسؤوليتهم تجاهها. فتربية الأولاد مهمة ودائمةٌ دوام الحياة، وليست عملاً يستمر في السنوات الأولى من حياة الأولاد ثم ينقطع، مع أن هذه الفترة الأولى قد تكون أهم مراحل التربية. ويعد دور الأب والأم دوراً رئيساً في هذه المرحلة المبكرة من حياة الأولاد، مع أن بإمكانهما الاستمرار بعد هذه المرحلة في القيام بدور فعَّال في تشكيل لبنات شخصية الأولاد ونمط حياتهم في حال عرفوا كيف تكون التربية السليمة.

الحركات الإصلاحية والتربية

ركّزت العديد من حركات الإصلاح التقليدية العديدة اهتمامها على إقامة الشعائر الدينية وإصلاح الجوانب القانونية والسياسية، بينما ذهبت العديد من الحركات الإصلاحية العلمانية في العالم الإسلامي في الاتجاه الآخر، الذي اهتم بتقليد المستعمرين الغربيين الذين غزوا بلادهم سابقاً، ولم يصل إلى الجماهير من هذه الحركات كلها سوى وعود وآمال فارغة لم تتحقق قط.

كان العديد من الإصلاحيين يفيضون بالعاطفة والمشاعر، وقدموا حلولاً غير عملية مبنية على تقليد العصر الذهبي للإسلام، ولم يكن هناك تركيز حقيقي على دور النساء (الزوجات والأمهات) ومسؤوليتهن في تربية الأولاد، فنحن في حاجة ماسة لأدبيات شاملة تتعامل مع تنمية الأولاد، وتعليمهم، وتربيتهم في مختلف مراحل النمو. كانت هناك استجابة ضعيفة وخالية من الجماهير للدعوات المخلصة من المصلحين، سواءً أكانت هذه الدعوات تقليدية أم دينية أو علمانية حديثة في نهجها، واكتفى جُلُّ المسلمين بردة الفعل لا المبادرة. ولم يكن هناك تخطيط لاستخدام منهجيات مستمدة من تحليل وفهم عميقين لهذه المشكلة.

يتعين على المسلمين أن يدركوا أهمية التربية السليمة للأولاد وآثارها عليهم. فقد كان الصحابة الأوائل رضوان الله عليهم بالغين ناضجين عندما خاطبهم النبي ﷺ، وكانت سمات شخصياتهم الأساسية قد تشكلت من مرحلة الطفولة، فقد تربوا على الحرية والبسالة، ولم يتعرضوا للاضطهاد من الطغاة المتجبرين، وقد أشار النبي ﷺ إلى أهمية بناء شخصية الأولاد؛ إذ قال: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا» (مسلم).

تبدأ الصفات الشخصية للفرد بالتكوّن في مرحلة الطفولة، إذ من الممكن أن يكتسب الأولاد الخبرات والمهارات المختلفة في وقت لاحق على حين يبدأ تكوين هذه السمات والقيم عند الطفل في السنين الأولى ابتداءً من الرضاعة ومرحلة ما قبل المدرسة.



عندما بُعث النبي ﷺ بالرسالة كان عُمْرُه ٤٠ عاماً، وعُمْرُ أبي بكر ٣٧ عاماً، وعثمان ٣٠ عاماً، وعُمَر ٢٦ عاماً، وعلي ٨ أعوام، وعُمْرُ خديجة زوجة النبي ﷺ ٥٥ عاماً. وقد وضع القرآن الأهداف والقيم الأخلاقية وأُسس العقيدة الصافية، فأضافت لمعادن شخصيتهم الرؤية الكونية القرآنية السليمة. فيتعين على الوالدين البدء في وقت مبكِّر في بناء شخصية أبنائهم بالإفادة من أساليب ووسائل علم النفس، وعلم الاتصال، وعلوم التربية والتعليم، فتصنيف مرتبة الدول في سُلمّ التقدم يتحدد على الأغلب من طريقة تربية الأولاد مبكراً. وتجاهل هذه الفرصة السانحة بالاهتمام بالتربية الوالدية مُكلفٌ جداً، ولا تستطيع أي أمة تكبّد مثل هذه الخسارة الكبيرة، لذلك نستطيع تحقيق فائدة كبيرة في هذا المجال وتفادي الخسائر الكبيرة بعقد دورات في تربية الأبناء لكل من الآباء والأمهات ولمن سيصبح أباً أو أماً، ومن المفيد أيضاً في هذا الجانب إقامة الأنشطة المجتمعية؛ من أجل تعزيز الوعي في تربية الأولاد، كما يمكن أن يقدم تشكيلُ وزارة خاصة و/ أو إنشاء مؤسسات متخصصة مستقلة لتوعية الأبوين في التربية البنّاءة للأولاد في مختلف البلدان؛ خدمةً جليلة للإنسانية.



الأسرة في أمريكا

انخفض معدل الحمل والإنجاب بين المراهقين انخفاضاً ملحوظاً منذ التسعينيات، وانخفض معدل حمل المراهقين بنسبة ٥١٪ ومعدل إنجابهم بنسبة ٥٧٪ (National Conference of State Legislatures 2015).

وعالمياً تحتل الولايات المتحدة الأمريكية مرتبة الصدارة بين الدول الصناعية في هذا الأمر، فتقريباً واحدة من كل ٤ فتيات تحمل على الأقل مرة قبل بلوغها سن العشرين.

ذكرت السيدة هيلاري كلينتون وزيرة الخارجية الامريكية السابقة في كتابها «لا بد من قرية بأكملها لتربية الطفل» *"It Takes a Village to Raise a Child 1996"*

أن عدد المواليد غير الشرعيين قد قفز من ٥٪ في عام ١٩٦٠م إلى ٢٥ ٪ في عام ١٩٦٩م.

وازدادت هذه النسبة حيث بلغت ٤٠,٦٪ في عام ٢٠١٤م وفقاً لبيان مكتب الإحصاء US Census Bureau، وصدر عنه أيضاً أن ٢١ ٪ من الأطفال تحت سن ١٨ يعيشون في فقر، علاوة على ذلك فإن الولايات المتحدة سجلت الأعلى في معدلات قتل الأطفال على مستوى العالم الغربي، فهي تُصنّف في المركز السابع على مستوى العالم في نسبة جريمة قتل الأطفال ما بين (٠-١٩) من العمر حيث حدث في ٢٠١٢م أكثر من ٣٠٠٠ حالة قتل لأطفال قُصَّر. (UNICEF 2014).

ووفقاً لبيان مؤسسة CDC في عام ٢٠١٣م يعدُّ الانتحار السبب الثاني في وفيات الأطفال ما بين (١٥- ٢٤) من العمر (٤,٨٧٨) حالة وفاة والسبب الثالث في وفيات الأطفال ما بين (١٠-١٤) من العمر (٣٨٦) حالة وفاة.

ففي عام ٢٠١٠م من بين ١٦٥٩ حالة انتحار لأطفال ما بين (١٥-١٩) من العمر سجلت نسبة ٤٠٪ من هذه الحوادث تم ارتكابها بواسطة أسلحة نارية. وتعد الولايات المتحدة الامريكية الأعلى عالمياً في معدلات تملك الأفراد للسلاح، حيث إن حوالي ٨٨ فرد من بين كل ١٠٠ فرد يمتلكون أسلحة. (The Guardian 2012)

وفي عام ٢٠١١م، ٥٪ من طلبة الثانوية كانوا يحملون أسلحة في داخل الحرم المدرسي. (The Washington Post 2012)

ما وراء إحصائيات الوفيات بالانتحار

إنّ الإحصائيات المتعلقة بحوادث الوفيات الناتجة عن الانتحار لا تُظهر الصورة الحقيقية كاملةً؛ لأن عدد الحالات التي يعرض فيها الشباب لمحاولات انتحار أكثر من الذين يفقدون حياتهم بالفعل عن طريق الانتحار.

أظهرت دراسة استطلاعية في الولايات المتحدة الأمريكية على الشباب في الصفوف الدراسية الإعدادية والثانوية في المدارس الحكومية والخاصة أن أكثر من ١٧٪ من الطلاب قد عبّروا عن رغباتهم الجادة في الانتحار و ١٤٪ أبلغوا عن تخطيطهم للانتحار، في حين أن ٨٪ قد أبلغوا عن محاولاتهم الفعلية للانتحار خلال العام السابق على تاريخ هذا الاستطلاع. (CDC).

وعلاوة على ما ذكر فهناك أمور أكثر سلبية على الأطفال، (سواءً أكانوا فقراء أم أغنياء) فَهمُ يتعرضون للاغتصاب والإهمال ومشكلات نفسية عديدة يمكن تلافيها، مثال ذلك مرض السمنة المفرطة؛ حيث تضاعفت نسبة السمنة المفرطة والبدانة على مستوى الأطفال وزادت معدلاتها أربع مرات على مستوى المراهقين خلال آخر ٣٠ عاماً. في عام ٢٠١٢م أكثر من ثلث الأطفال والمراهقين كانوا يعانون من الوزن الزائد والسمنة المفرطة (CDC).

إن ٩٩٪ من المنازل الأمريكية لديها جهاز تلفاز وأكثر من نصف ذلك العدد لديهم تلفاز خاص بغرفة نومهم، حيث مشاهدة التلفاز وشاشات الإلكترونيات هي ثاني أطول عدد ساعات لنشاط يقوم به الأطفال بعد عدد الساعات النوم؛ إذ يشاهد الأطفال الأمريكيون التلفاز بمتوسط أربع ساعات في اليوم؛ أي ما يعادل ٢٨ ساعة أسبوعياً وهو ما يُمثل وقتاً أطول من الوقت الذي يقضيه الطفل في المدرسة، فالطفل الأمريكي قبل بلوغه

١٨ عاماً يكون قد شاهد أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ مشهد عنف يتضمن أكثر من ١٦,٠٠٠ جريمة قتل. وبرامج التلفاز تعرض أكثر من ٨١٢ مشهد عنف في الساعة خاصة برامج الأطفال ولاسيما أفلام الكرتون تعرض ما يقرب من عشرين مشهد عنف في الساعة. (American Academy of Child & Adolescent Psychiatry)

والأفلام والأغاني المصورة وألعاب الفيديو والإنترنت جميعها تتضمن مشاهد عنف ترفع مستوى العنف للشباب. وأظهرت العديد من الدراسات أن الأسباب الرئيسة للعنف في الإعلام هو الاعتداء وتبلد المشاعر والرعب.

وأظهرت العديد من الدراسات المتقصية العلاقة بين الإفراط في مشاهدة التلفاز والأداء الدراسي الضعيف ومشاكل التركيز والانتباه وأعراض تشخيصية أخرى؛ مثل اضطراب فرط الحركة وقلة الانتباه أو ما يعرف باسم ADHD.

وفي هذا الشأن قامت مؤسسة Kaiser Family بين عامي ٢٠٠٨-٢٠٠٩م بدراسة استقصائية أظهرت أن الاطفال ما بين ٨-١٨ يقضون متوسط ٧ ساعات و٣٨ دقيقة في اليوم الواحد في استخدام أجهزة مختلفة، وفي الغالب ما يستخدمون أكثر من جهاز واحد في الوقت نفسه، وهم في الإجمال يتعرضون لـ ١٠ ساعات و٤٥ دقيقة أمام الإعلام في اليوم.

وعلى العموم، إننا إذا أردنا إحياء الأمة يتعين تغيير طريقتنا في تربية الأولاد ونظام التعليم في المدارس، والحاجة ماسة للتركيز على مراحل الطفولة المبكرة، ويستحسن أن نبدأ في سبيل ذلك بمخاطبة أول المعلمين وهما الوالدان، معلما القِيَم، ومُشَكِّلا الظلال الأولى للشخصية، من أجل النجاح في هذا المسعى.

من الإنصاف أن نقول: إن نموذج التربية الوالدية المتوازن والجيد لا يطبَّق اليوم، سواء في العالم الإسلامي أو الغربي، ويستحسن بالمجتمعات التي



تبحث عن التغيير الاجتماعي أن تدرك أن التربية الوالدية، هي العامل الرئيس لتحقيق السعادة الأخلاقية، والروحية، والمادية.

يتبلد حِسّ الأولاد عندما يرون العديد من الجرائم يومياً، ويصبح ذلك أمراً اعتيادياً في حياتهم، ولا بد للآباء والأمهات من أن يكونوا على بينة من الرسائل السلبية التي يتعرض أولادهم لها كل يوم، وتحصينهم منها، ومحاولة الحد من سلبياتها على الأقل.

إن الكم الضخم من المؤلفات الأمريكية المتوافرة في موضوع التربية الوالدية لم تحقق التأثير المطلوب، ولذلك فنحن بحاجة إلى دراسة أسباب ذلك. ويبدو أن التربية الوالدية تأخذ منعطفاً إلى الأسوأ، على الرغم من التوجيهات والإرشادات ووجود العديد من البحوث والدراسات التي استمرت لعقود من الزمن في هذا المجال.

يتوجه التركيز العام في هوليوود إلى الإبهار في المظهر الخارجي بدلاً من الاهتمام بجمال الأخلاق والآداب. هناك تماثيل عارية للرجال والنساء في الأماكن العامة في بعض المدن، كما تشيع مسابقات الجمال التي تتمحور حول أجساد النساء وتخلو من الأخلاق والقيم الروحية. وقد عُمِّمت مسابقات الجمال هذه لتطال الكلاب والجمال والقطط! أما العقيدة الإسلامية، فتقر أن الله جميل يحب الجمال في كل شيء، ولكن أن يكون الاهتمام الأكبر فيها على جمال الشخصية والقيم والأخلاق. يقول الرسول ﷺ (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) (مسلم).

وعندما نتناول المشكلات العائلية؛ مثل المخدرات وقضايا الجنس، فإن الطريقة التي نحدد فيها المشكلة هي التي تملي علينا طبيعة الحل، فإذا نظرنا إلى المشكلة على أنها اقتصادية فسوف يكون الحل اقتصادياً، وإذا حددنا المشكلة على أنها اجتماعية، فسوف يكون العلاج اجتماعياً أساساً، وإذا نظرنا إليها من الجانب المادي، فسوف يكون الحلّ ذا طابع مادي. فعلى سبيل المثال، يقال في كثير من الأحيان: إنّ حلّ مشكلة المخدرات يكون بالتغلب على مصادر الإنتاج والإمداد وليس على جانب الطلب؛ لذلك صار الاهتمام متوجهاً إلى الخارج لحل المشكلة، وأدى هذا إلى استثمار حكومي ضخم في المعدات؛ مثل القوارب والطائرات لتجفيف منابع الإنتاج وأماكن التوزيع والمروجين، ولكن هذا لم يحلّ المشكلة في الواقع، وواصل كبار مروجي المخدرات الاستفادة الكبيرة من تجارتهم الدنيئة، وقد آن الأوان أن ينظر المجتمع إلى هذه البليَّة على أنها أساساً مشكلةٌ روحيةٌ وأخلاقيةٌ واجتماعيةٌ، فيتعاملون معها على هذا الأساس.

ينشأ عن الصراع بين الأهداف والوسائل في المجتمع الأمريكي قدر كبير من الالتباس في عقول الأولاد وتفكيرهم. ويوضح ويليام كيلباتريك William Kilpatrick في كتابه (لماذا لا يستطيع جوني التمييز بين الخطأ والصواب) *Why Johnny Can't 1993* *(Tell Right from Wrong* فالآباء والأمهات يريدون لأبنائهم أن يكونوا صادقين وموضع ثقة، وعادلين، ويتحكمون في سلوكهم وعلى درجة عالية من الأدب والاحترام؛ وعليه ما الذي يمنع الآباء والأمهات من غرس هذه الصفات والسلوكات في نفوس أولادهم؟

الخرافات السائدة حول التربية الوالدية في أمريكا

يكمن جزء من الجواب في التأثير القوي للخرافات حول تربية الأولاد، وسنذكر هنا بعض الأوهام المتعلّقة بلبنة الأسرة في أمريكا.

ينتقد ويليام كيلباتريك ما يأتي:

أ. خرافة تربية الأولاد على عدم احترامهم لأي سلطة؛ لأن الولايات المتحدة بُنيت أساساً على فكرة الفرد أو الذات واستقلال الفرد القوي الصلب. فقد خرج الرجل إلى الغابات وبنى بيته وزرع طعامه وأسس عمله الخاص، كان في الوقت ذاته يحمي نفسه وعائلته من الحيوانات البرية، واللصوص، والحكومات الأجنبية؛ أي إنه كان يعمل جاداً على التحرُّر والهرب من كل سلطة عليه.

لقد جاء أول الوافدين المسيحيين ومعهم (المورمون) إلى ما كان يسمى المستعمرات الثلاث عشرة في أمريكا، وهي مساحات شاسعة من الأرض كان فيها حكومات صغيرة جداً إلى المستوى الذي نستطيع أن نقول معه إنه لم يكن هناك أي نوع أو تصنيف للحكومات والسلطة، جاؤوا هرباً من المضايقات التي يتعرضون لها من الحكومات الدكتاتورية في إنكلترا، وفرنسا، وألمانيا، والتي حرمتهم من الحرية ومن حقوقهم الإنسانية.

استفاد كثير من الأمريكيين من فكرة الحكومة ذات السلطة المحدودة، وذهبوا إلى أن من الأفضل تنشئة الأولاد تحت سلطة ضئيلة، أو حتى دون أي سلطة على الإطلاق. والحقيقة أن الأولاد، على النقيض من الكبار، يظلون في حاجة إلى رعاية والديهم مع فرض سلطتهم عليهم كي يشبّوا أُناساً معتدلين أسوياء مقبولين في المجتمع.

ب. خرافة «الصبي السيّء الجيد».



يُصوَّرُ الصبيان «السيئون» في كتب القصص الأمريكية على أنهم محبوبون وسعداء، ومثال ذلك في الماضي الشخصيتان الشعبيتان: توم سوير ووبستر براون.

وفي وقتنا الحاضر فلم Dennis the Menace (دنيس الشقي)، ومسلسلات Bart Simpson (بارت سيمبسون)، و The Little Rascals (الأوغاد الصغار)، وغيرهم من الشخصيات «المحبَّبة» التي تعرض في الأفلام وعلى شاشة التلفزة، ويستحكم هذا التراث من القصص التي تشجع على التمرّد والعصيان في أخيلة الأولاد، لذلك تصبح كلمة «طاعة» في مفرداتهم كلمة غير مرغوبة.

ت. خرافة أن مجرد الحب كافٍ ليحفظ «الخير الغريزي» في الأولاد.

أدرك روسو هذه الفكرة، وهي أن الفضيلة تعتني بنفسها إذا تُرك الأولاد يكبرون وفق مقاييسهم وما يعتقدون، وما على الآباء والأمهات سوى أن يحبوا أولادهم، فيعني الحب، وفق مفهوم روسو، تجنب التدخل بتربية الأولاد وإعطاء الحرية الكاملة لهم.

ث. خرافة أن « الخبراء» دائماً على صواب.

لقد تنازل الآباء والأمهات عن مسؤولياتهم ومنحوها طواعية «للخبراء» في تربية الأولاد. ويعتقد أغلب الخبراء بخرافة «الخير الغريزي الطبيعي». كما يميل الخبراء إلى التركيز كثيراً على أن لكل فردٍ خصوصية فردية نادرة، وطبيعة خلاّقة، وعفوية تلقائية. ويطلب بعض الخبراء من الآباء والأمهات تكييف أنفسهم وفق سلوك أولادهم، بدلاً من تعليمهم للأولاد باتّباع الإرشادات وطاعة السلطة الوالدية.

جـ. خرافة أن المشكلات الأخلاقية هي مشكلات نفسية .

ينظر إلى المشكلات السلوكية للأولاد على أنها مشكلات عائدة إلى قلة الثقة بالنفس، أو هي نتيجة طبيعية لعدم تلبية احتياجاتهم النفسية، ولا يرى كثير من خبراء التربية أن جلَّ المشكلات السلوكية تُعزى إلى الهوى والشهوة ورغبات الأولاد الخاصة وأمنياتهم، لذلك نجد أن العديد من الكتب خُصصت للحديث عن «الثقة بالنفس واحترام الذات»، بينما كلمة «شخصية سوية» والمعدن النظيف لا تكاد تذكر في هذه الكتب، ومن الجدير ذكره هنا أن ثمة مقالات عن دراسات أجريت في تربية الأولاد سابقاً في مجلات متخصصة مثل:

The Ladies' Home Journal, Women's Home Companion, and Good Housekeeping لسنوات ١٩٠٠م، ١٩١٠م، ١٩٨٠م، وجدت أن ثلث هذه المقالات كانت حول تنمية الأخلاق الحميدة والشخصية الصالحة.

الخطايا السبع المميتة في المسيحية: الشراهة والجشع والكسل والحسد والغضب والكِبْر والشهوة.

ح. خرافة أن «الآباء لا حق لهم في غرس قيمهم وأخلاقهم في أولادهم».

يقول بعضهم: إنه يتعين على الأولاد أن يكوّنوا قيمهم الذاتية بأنفسهم. وفي الواقع ليس لدى الأولاد سوى فرصة قليلة للقيام بذلك؛ لأن الناس الآخرين في المجتمع يريدون فرض قيمهم الذاتية عليهم كذلك. فهل من المعقول أن يبقى الآباء والأمهات في موقف المتفرج ومحايدين إزاء تدخل الآخرين، في حين يُصرّ الآخرون من كتّاب السيناريو والترفيه والتسلية (كوميديا) ومروجي الإعلانات التجارية، ومعلمي الجنس على الترويج لأخلاقهم ومبادئهم التحررية وإقناع الأولاد بها؟ ومضمونه عندهم هو الترغيب بالخطيئة والذنوب وتيسير سبلها.

خ. خرافة «الأسرة المكونة من والدين ليست أفضل من الأسرة أحادية الوالد».

تعد مهمة تكوين الشخصية ذات الأخلاق الحميدة مهمة صعبة حتى لو عرفنا طريقة الوصول إليها، لكن الطلاق يجعل الوصول إلى هذه الشخصية أصعب بكثير. فنسبة الطلاق في أمريكا عالية؛ الأمر الذي يؤثر على أكثر من نصف الأسر. وأولاد الأُسر

الأحادية هم أكثر عرضة لخطر السقوط ضحايا المخدرات والانحراف والمشكلات العاطفية والحمل غير المرغوب، وهذا لا يعني أننا ننكر أن الأولاد من الأسر جميعها قادرون على التكيف النفسي السليم.

إن عبارة «أمٌّ جيدة بما يكفي» التي ابتدعها الطبيب النفسي البريطاني «دبليو وينكوت» بمعنى أنه لا بد للأم من أن تكون جيدة بما فيه الكفاية بحيث توفر لولدها الرعاية والاهتمام المطلوبين كي يصبح ذا شخصية سليمة، هذه العبارة تنطبق على الآباء والأمهات جميعهم. فلا شك أن الوالد العطوف المهتم بأسرته، الذي يربي أولاده وحده، يستطيع تربيتهم تربية أفضل من الأسرة التي يكون فيها الوالدان غير مهتمين ولا مبالين وغير واعين، خاصة إذا كان للوالد الذي يربي أولاده وحده أعضاء من عائلته الممتدة يساعدونه، وهو بدوره يوفّر أجواء عائلية محببة.

د. خرافة أن «أسرة علمانية خالصة، هي أفضل نموذج يُحتذى».

كانت فكرة قدسية البيت هي الفكرة السائدة في الحضارات المختلفة عبر العصور، وحتى في أمريكا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، إذ كانت تُقام العديد من الطقوس والشعائر أو القراءات في الكتاب المقدس داخل البيت، وهكذا ارتبطت حياة البيت بدائرةٍ أوسع منها وبرؤية وهدف أكبر، وأضافت هذه الرؤية المزدوجة للأسرة، باعتبارها مقدسة في ذاتها وأنها مجموعةٌ داخل إطار مقدس أوسع وسلطةً أكبر للوالدين وقوةً أكبر للروابط العائلية.



تتمكن الأسر التي تحوز على ولاء أبنائها من إعطاء انطباع بأنها تركّز اهتمامهما على أعمال جليلة مهمة؛ مثل مبدأ الإيمان، أو تراث تقليدي، أو حرفة، أو فلسفة، أو رؤية سامية للأمور -ويا للأسف- لا يبالي كثير من الأسر اليوم بأي شيء ذي قيمة. فلم تعد البيوت بمثابة «مساجد أو كنائس صغيرة» ولا «حكومات صغيرة» بل أصبحت لا تتعدى أن تكون: «فنادق ومطاعم صغيرة»، مؤقتة من دون أي شعور بالالتزام والتراحم، وأضحت القيم الأخلاقية لديهم مهمشة بل تكاد تكون معدومة، إلى حد أن يكون كل شيء مباحاً، ولا شيء ذا قيمة يهم في هذه الأسر.

ونتساءل هنا، ما الذي غيّر الأسرة في أمريكا بعدما كانت مجتمعاً كاملاً متضامناً إلى كونها مجموعة أفراد شبه مستقلين، كلٌّ يسعى إلى تحقيق رغباته الذاتية؟ ولعل اللوم في ذلك يقع على الكثير من علماء النفس الأمريكيين في العصر الحديث؛ إذ لم يكن جلُّ اهتمامهم ينصرف على الأسرة أو الزواج، بل على الفردية والانفصال.

فعلى سبيل المثال، أطلق «ألفريد أدلر» الذي يعد أبا الأمريكيين المتفائلين في علم النفس، على نظريته «علم النفس الفردي» (دراسة إنسانية للدوافع والعواطف والمشاعر والذاكرة في سياق خطة حياة شاملة للفرد). ومثال آخر في التركيز على موضوع الفردية ما يؤكده الدكتور ساردار تنوير (أستاذ التربية في جامعة سينسيناتي بولاية أوهايو) من أن مفهومَي «أنا» و«نفسي» يتم تدعيمهما بقوة داخل الفصول الدراسية؛ إذ يقول المعلمون للطلبة: «عليك أن تقرر بنفسك، وليس والداك يقرران نيابة عنك»، و«افعل ما تشاء». ومثال ثالث على ذلك، قالت فتاة لجدتها: «لا تلقِ عليّ الأوامر، فأنت لستِ والدتي»، وردّت الجدة: «لكنني والدة والدتك». (ندوة في مركز آدمز، ١٩٩٧م). وكما يقول المثل: «أنا ونفسي وعندي؛ ثلاثةٌ مهلكةٌ للعبيد».

في الحقيقة لا يتلقى الأولاد «الأوامر» من الوالدين في البيئة الدينية، بل يستمد كل أفراد الأسرة أوامرهم من الله تعالى كما وعوها من الكتب المقدسة، إن وجود أحكام دينية إيجابية وواضحة تظهر ما هو حق وما هو باطل ويضفي على التربية الوالدية الدينية سلطة أعلى من سلطة التربية الوالدية لدى الآباء والأمهات غير المتدينين.

إن الصور والأنماط الدينية أكثر شيوعاً في الثقافات الشرقية، على العموم؛ إذ لديها إحساس والتزام قويان بالأسرة والطقوس والتقاليد. وفي الأُسر الأمريكية لم يبق العديد من الطقوس، فأصبح الطقس اليومي الوحيد الذي يمارس بانتظام هو مشاهدة التلفاز واللعب بالهاتف الذكي. وينتقد هذا الوضع برنامج التلفاز الأمريكي The Simpsons (أسرة سيمبسون)، الذي هو نفسه -ويا للمفارقة- برنامج تلفازي وعلى العموم.

ضعفت الروابط العائلية في الولايات المتحدة بسبب ظهور «العقد الاجتماعي» بوصفه نموذجاً للأسرة؛ إذ تحل المصلحة الذاتية العقلانية محل الالتزام الأسري الأخلاقي المطلق، ومن وجهة نظرنا أن هذا النموذج من الأسر لا ينجح إذا ظن أعضاؤه أن الأسرة هي شركة تجارية مساهمة قائمة على أساس مصالحهم الشخصية بدلاً من كونها قائمة على الرحمة والحب والالتزام والولاء، وإذا كانت النظرة للأسرة قائمة على أساس الربح والخسارة فقط؛ وقتها تتطلب تربية الأولاد، أو العمل على بقاء الزواج ونجاحه مدى الحياة، تضحياتٍ شخصية قد تبدو في كثير من الأحيان غير عقلانية من وجهة النظرة المادية.

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب وقال له: إنه يريد أن يطلق زوجته لأنه لا يحبها، فقال له عمر: «ويحك، هل تُبنى البيوت على الحب فقط؟ فأين الرعاية وأين التذمم؟» (الهاشمي، ١٩٩٩م).

تشكر الأسرة الأمريكية النصرانية -الملتزمة بدينها والمتمسكة به- الله قبل تناول طعامها، وتدعوه في الليل قبيل النوم، وتؤدي الصلوات العادية وفق مبادئ الكنيسة وطقوسها، فتعطي هذه الممارساتُ أفراد الأسرة الإحساسَ بوجود هدف ومهمة عليا. فالبيت هو مركز الحياة الدينية، فيصبح بهذا مكاناً مقدساً، وتصبح الأولوية فيه لتنمية قدرة الأولاد الأخلاقية والروحية، ويُركز فيه على احترام الوالدين وكبار السن؛ مثل الأجداد والأعمام والأخوال والعمات والخالات، كما يبقي البيت على الاتصال الوثيق مع الأقارب، وتكون فيه الأعياد الدينية الرئيسة مناسبات سعيدة عندما يلتمّ شمل الأسرة، ولذلك لن نعجب حين نعرف أنه على الرغم من أن الجماعات اليهودية الأرثوذكسية الملتزمة بدينها تعيش في المدن ذات الكثافة السكانية العالية، فإن أولادهم بعيدون عن المخدرات والعنف والجنس غير المسؤول وبقية الشرور التي يُحدق خطرها بالأولاد الذين يعيشون في المدن، والحال نفسه ينطبق على العائلات الأمريكية المسلمة.

دروس من مجزرة مدرسة (كولومباين) الثانوية في ولاية كولورادو

أسفرت مذبحة مدرسة كولومباين الثانوية في ٢٠ أبريل ١٩٩٩م، في مدينة ليتلتون بولاية كولورادو، عن مقتل ١٥ شخصاً و إصابة ٢٦، إضافة لإصابة المئات بالصدمة، ووقعت بعدها حوادث عنف أخرى عديدة في مدارس في ولايات جورجيا، وكنتاكي، وأركنساس، وفيرجينيا وغيرها، وقد ركز الراحل الأستاذ «ديلناواز صدّيقي» على أن سبب مثل هذه الحوادث، هو مشكلة معدن الشخصية والأخلاق السيئة، وألقى بعض المحللين اللوم على نظام الأسرة المفككة، وذهب آخرون إلى أن السبب هو العنف المتفشي في وسائل الإعلام، وألقى آخرون اللوم على سهولة الحصول على البنادق والأسلحة الفتّاكة المشابهة للقنابل العنقودية، لكن يبقى هناك سبب مهم غائب في التحليل، وهو فقدان الإحساس بالمسؤولية الذاتية للإنسان وتحمّل كل فرد نتائج أفعاله، وعدم إدراكنا أن كلاًّ من معتقداتنا وتصوراتنا ونوايانا ومواقفنا وكلماتنا لها عواقبها سلباً وإيجاباً.



نلخص مقترحات الدكتور صدّيقي للوالدين كالآتي (٣٠ إبريل ١٩٩٩م):

- تعزيز التواصل الإنساني لبناء الأسرة المتماسكة، والتركيز على تربية وتعليم القيم الأخلاقية؛ مثل الصدق والحق والعدل والسلام.
- يتعين تعليم الأولاد المعتقدات الأساسية ومعايير ومقاييس الخطأ والصواب.
- تؤدي التفسيرات النسبية لما هو صواب إلى حالة من الفوضى في المجتمع، فالمفكر النسبي يدّعي أن تعريف ما هو صواب وما هو خطأ يعتمد على الظروف المتغيرة باستمرار، وليس على المبادئ الإنسانية الثابتة.
- تجنب إعطاء الشر فرصة مساوية للخير كي ينتعش في أي مكان، فنعلم الأولاد المعتقدات الإيجابية الخيّرة، ونساعدهم في القضاء على السلبية منها بقدر المستطاع.
- تحميل كل شخص مسؤوليته عن أفعاله بدلاً من الدفاع عن المجرمين والنظر إليهم على أنهم ضحايا المجتمع، وينبغي أن نقومّ أعمالنا وفقاً لمبادئنا، كما ينبغي لنا أن نرفض فكرة أن أي شخص آخر كان سيتصرف بالطريقة نفسها ونقوّم أو أسوأ منها، إذا وضع بالموقف نفسه الذي وضعنا فيه، وكأن الظروف المحيطة بالإنسان هي المسؤولة وليس الإنسان ذاته.

كذلك لا بد أن ندرك احتمالية استمرار وقوع الجرائم العنيفة أو حتى ارتفاع معدلاتها، ما لم نصل إلى تربية أسرية سليمة.

مقارنة عامة بين الأُسَر في البلدان الإسلامية والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا

إن معرفتنا الإنسانية محدودة وليست مطلقة. وهناك العديد من التحديات التي تواجهها الأسر، بغض النظر عن المكان الذي تعيش فيه، لكن بعض الأسر تواجه مشكلات أكثر خطورة من غيرها. فالتحضُّر والتصنيع والعلمنة لها تأثير كبير على الأسر التي تعيش في المدينة. وفي ما يأتي بعض أهم مشاهداتنا الشخصية لمشكلات الأسرة في المدن الكبرى في الولايات المتحدة وبريطانيا:

- الدعوة إلى ممارسة الجنس من دون زواج، وهي دعوة متاحة وفيها إغراء وجاذبية، الأمر الذي يؤدي إلى فوضى جنسية وتسيّب أخلاقي.
- الرقص المشترك، والسباحة المختلطة، وانتشار الموسيقى المثيرة للجنس.
- مواعيد الغرام بين الجنسين التي تشمل اللقاء والاتصال الجسدي هي النظام المتعارف عليه عند الرجال والنساء حتى تتوطد العلاقة بينهم، ويعلّم الآباء والأمهات ذلك للأولاد كونه الثقافة والعرف السائدين المقبولين عندهم.
- شيوع التعري في غرف خلع الملابس في الحمامات العامة، حتى إن بعض الحمامات ليس لها أبواب في بعض المدارس؛ فليس هناك خصوصية في الحمامات عامةً.
- ليس هناك تركيز كافٍ للامتناع عن ممارسة الجنس قبل الزواج. وتوزع بعض المدارس الواقي الذَّكَري، بل إن بعض الكنائس تُوزّعه على الشباب غير المتزوجين مجاناً.
- يقول بعض المعلمين لطلبته: «افعل ما تحب وما يحلو لك» من دون قيود أخلاقية، ولا بأس من إطلاق العنان للشهوة والرغبة، ويتعلم الأولاد أيضاً أن الفرد وليس الله تعالى هو السلطة النهائية.
- شيوع شرب الخمور، والتشجيع عليها.
- انتشار تعاطي المخدرات، وشيوع حمل الأسلحة والعنف في المدارس وبين الأولاد، في الأماكن العامة، ويلاحظ الترويج للعنف في البرامج التلفازية.
- تفشي الإجهاض، وتقلّص حجم الأسرة، والاتجاه إلى تكوين الأسر الصغيرة بدلاً من الأسر الممتدة.
- ارتداء الملابس الضيقة، للرجال والنساء، واستخدام النساء مستحضرات التجميل والعطور لإضفاء الجاذبية الجنسية، وكشف معظم الجسد لإثارة الإغراء، وعدم التشجيع على الزواج المبكر.
- ارتفاع نسبة الطلاق، مع زيادة عدد العائلات أحادية الوالد.
- إنجاب المراهقين للأولاد أصبح شائعاً، مما أنتج أمهاتٍ مراهقاتٍ غير متزوجات أكثر من ذي قبل. يقول الأستاذ «أولاسكي»: كان ٨٥٪ من الأمهات المراهقات في الخمسينيات يتزوجن في الوقت الذي يولد فيه أطفالهن (أولاسكي Olasky ١٩٩٤م).
- أصبحت ظاهرة الشذوذ الجنسي أمراً مقبولاً وطبيعياً وقانونياً، والولايات التي تشرع الزواج من الجنس نفسه في ازدياد مطّرد، وقد أصدرت المحكمة العليا الفيدرالية مشروعية ذلك على مستوى القارّة.

- ازدياد عدد كبار السن الذين يدخلون بيوت رعاية المسنين، بدلاً من الإقامة مع أولادهم وأحفادهم.
- الحفاظ على البكارة قبل الزواج أمرٌ نادر الحدوث، بحيث أصبح ينظر إلى العذراء في العشرينيات من العمر على أنها غير جذابة وغير مرغوب فيها.
- الأسرة تتفكك تدريجياً، وصلة الرحم والقيم الأخلاقية الحميدة أضحت أضعف من ذي قبل.
- الإشباع الجنسي بالتراضي أصبح مسألة شخصية محضة ومقبولة.
- تفشي الأمراض المنقولة جنسياً، خاصة الإيدز.
- أصبح تغيير أماكن عمل العائلات وإقامتها، والتنقل متكرراً أكثر من ذي قبل.
- أصبح الرجال والنساء أكثر استقلالية واستعداداً لتحمل المخاطر، وزاد عدد الأسر التي يعمل فيها كلا الزوجين.
- تقلص الفروق بين أدوار كل من الذكور والإناث.

وعلى الجانب الآخر، هناك العديد من المزايا الإيجابية للأسر في الولايات المتحدة وبريطانيا حسب المشاهدات الشخصية للمؤلفين، ومنها:

- المزيد من المشاركة المدنية واحترام حقوق الآخرين.
- التمتع بمستوى معيشة أعلى.
- ارتفاع نسبة المتعلمين.
- ازدياد المشاركة في الخدمات الاجتماعية والأشغال العامة. ومع تراجع الروابط الأسرية، فإن معونات المؤسسات الاجتماعية أصبح أكثر شيوعاً.
- التزايد في الحريات وتعدد البدائل لتحقيق الأهداف للفرد.

وعلى سبيل المقارنة، نورد أهم الملامح التي نراها في الأسرة في العالم الإسلامي في وقتنا الراهن:

- الزواج بين الأقارب أكثر شيوعاً.
- رب العائلة بصورة عامة أكثر تسلطاً، وتميل العائلة إلى الحماية الزائدة لأبنائها. والأولاد يخشون مواجهة قادتهم والتصدي لمسؤوليهم.
- تعد الروابط العائلية المتينة الملجأ الأخير للإحساس بالأمان، بسبب ما يعاني المجتمع من ضعف في العمل الاجتماعي العام وروح الفريق.
- يدير الأسرة نظام ذكوري متسلط، إذ التشاور والحوار داخل الأسرة قليل نسبياً، والمساواة العادلة بين الجنسين ضمن الأسرة الواحدة لا يرقى إلى المستوى المطلوب.
- إدراك الصعوبات التي يواجهها سكان المدن؛ نظراً لازدياد عدد العائلات التي تعيش في المدن، وتعد التربية الوالدية أصعب بكثير في المدينة مقارنة بغيرها.

وليس المقصود من التعميمين المذكورين تقرير أي النظامين الأسريين هو الأفضل، بل هو مجرد محاولة لإثارة قضايا ذات صلة بموضوع التربية الوالدية، للتفكير فيها ودراستها؛ للقيام بإجراء تصحيحي لها في كلا النظامين. وفي الواقع؛ هناك تأثيرٌ بالغٌ للثقافة الغربية على الأسر والتربية الوالدية في العالم الإسلامي، ولهذه التأثيرات نتائج متباينة، بعضها إيجابي، والآخر سلبي، فقد حل البشر محل الله تعالى في النظم التعليمية العلمانية باعتبارهم السلطة النهائية، وأصبحت المادية هي الأيديولوجية المهيمنة غالباً.

التأثير الغربي على التربية الوالدية في العالم الإسلامي

يقوم الفهم العلمي للكون على السبب والنتيجة فقط، ومع أن هذا التوجه العلمي يوفر لنا تفاصيل مثيرة حول العديد من الجوانب المادية في الكون، فإنه لا يقدم نظرة متوازنة شاملة عما هو مرئي وغير مرئي (غيبي).

وتُقرّ النظرة الكلية للمسلم بوحدانية الله (التوحيد)، وتحمّل الإنسان (الأمانة)، والمسؤولية عن عمارة الأرض (عمران- استخلاف) مع الإيمان بالجزاء والحساب في الآخرة.

إن للممارسات الأسرية العلمانية أثراً كبيراً على الأسر المسلمة بسبب تحكم وسائل الإعلام الغربية والهيمنة التعليمية للغرب على هذه الأسر. ويدعو «أبو الحسن الندوي» في كتابه «طريقة الوصول إلى تربية إسلامية حرة في الحكومات والبلدان المسلمة» (١٩٨٥م) إلى إصلاح شامل لنظام التربية والتعليم، ويذكر التأثير السلبي للمناهج الغربية التي افقدت الشخصية المسلمة توازنها وأضعفت الإيمان، فنشأ جيل لا نفع له لأمته من خرّيجي المدارس والجامعات التي تخرّج مسؤولين يحاربون الدين، ويضطهدون المؤمنين، ويقودون بلدانهم إلى الخراب الاقتصادي. كما يخرّج التعليم الحديث، الذي يُفرض على المجتمعات المسلمة، شباباً مضطرباً ليسوا قادرين على الدفاع عن قضية أخلاقية، أو تكوين وجهة نظر عالمية متوازنة تشمل الجانبين المادي والروحي للإنسان.

إن ما يُعد حسناً في الثقافات الأخرى قد لا يكون كذلك لأولاد المسلمين وثقافتهم. فعلى سبيل المثال، عندما حلَّل العلماء الأمريكيون ظاهرة النجاح المبهر للمدارس اليابانية؛ أكدوا أن معظم ما هو جيد لليابان ليس مناسباً للولايات المتحدة؛ لأنهما نظامان ثقافيان مختلفان. ويُحدث التقليد الأعمى للثقافات الأخرى العديد من المشكلات؛ لذا يُستحسنُ في التربية الوالدية التسلحُ بالمعرفةِ والحكمة بعيداً عن التقليد الأعمى، الذي يودي بأهداف التربية الوالدية إلى ما لا يحمد عقباه، ويوقع في شباك الفصام الثقافي والتغريب اللذين يتطلبان التصدي من جديد.

ويختلف التصدي للتغريب والحداثة من أمة لأخرى، فيوضح الأستاذ «علي المزروعي» (جامعة ولاية نيويورك) (١٩٩٦م) أنه «عندما تعاملت اليابان وتركيا وإفريقيا مع التقدم الاقتصادي والصناعي دون الاضطرار إلى التغريب الثقافي؛ برزت ثلاثة سيناريوهات مختلفة: (اليابان، وتركيا، وإفريقيا).

أما السيناريو الياباني؛ فقد كان رد فعل اليابانيين بنعم، نستطيع أن يكون لدينا التقنيات الغربية مع التصنيع، والحفاظ في الوقت نفسه على الروح والمثل اليابانية العريقة. وسلك «مصطفى كمال أتاتورك» في تركيا سلوك التغريب وعدَّه الطريق الوحيد للوصول إلى التصنيع والتحديث.» ومن هنا ندرك كيف أن تركيا «الكمالية الأتاتوركية» بذلت كل ما في وسعها في القرن العشرين لفرض التغريب على شعبها ونشره بالقوة، بما في ذلك إلغاء

الكتابة بالحروف الهجائية العربية واعتماد الحروف اللاتينية، وحظر غطاء الرأس للرجال؛ وإجبار النساء على خلع الحجاب، وارتداء اللباس الغربي؛ وكذلك تأسيس الدولة العلمانية المتعصبة. على حين نجد في إفريقيا في حقبة الاستعمار وما بعده: «تطبيق التغريب الثقافي، دون التحديث الصناعي والاقتصادي، وكان هذا الذي يجري، هو الأسوأ على الإطلاق.» (جمعية علماء الاجتماع المسلمين، نشرة ٢٠٠٢م).

قصتان عن مسلمين يعيشان في بريطانيا

الأولى: التحق السيد بكري من العراق بكلية ساند هيرست العسكرية في بريطانيا. كان زملاؤه في الكلية يستحمّون عراة في غرفة الاستحمام باستثنائه، فقد كان يبقي على ملابسه الداخلية في أثناء الاستحمام، فتساءل المسؤول عن سبب ذلك. لماذا لا تخلع ملابسك الداخلية، أليس لديك عضو جنسي؟ أجابه السيد بكري: إن المسلمين لا يكشفون أجزاءهم الخاصة (عوراتهم)؛ لأنه أمر أخلاقي ذو أهمية بالغة يجب ستره وعدم كشفهِ.

الثانية: كان السيد محمد يدرس في جامعة برمنجهام في إنجلترا، سألته صاحبة البيت الذي يقطنه: لماذا ليس لك صديقة؟ هل أنت مثليّ الجنس؟ أجابها محمد: إن ممارسة الجنس في الإسلام مسموح به بين الزوجين فقط!

التربية الوالدية في بريطانيا والولايات المتحدة

في استطلاع أجرته اليونسيف؛ صنفت ٢١ دولة غنية ضمن ستة مقاييس: (الرفاه المادي، والصحة والسلامة، والتعليم، والعلاقات الأسرية، والسلوكيات والمخاطر، وشعور الشباب بالرفاه). وخَلُص الاستطلاع أن تصنيف كل من الولايات المتحدة وبريطانيا جاء، ضمن خمسة من هذه المقاييس في الثلثين الأخيرين من هذه الدول (تقرير اليونيسيف ٢٠٠٧م). وتبين أن وضع الأولاد يسوء أكثر مع ارتفاع المستوى العام للثروة القومية، ومسوّغ ذلك عائدٌ إلى ارتفاع نسبة التباين وغياب المساواة الاقتصادية، وتدني مستويات الدعم الشعبي للأسر في كل من البلدين، إضافة إلى المستوى المتدني من الخدمات المقّدمة إلى الأسر ذات الأولاد، ما أظهر أن أمريكا وبريطانيا لا تستثمران كثيراً في ما هو في صالح الأولاد كما تفعل البلدان الأوروبية.

أدخلت في الدراسة المقاييس الفرعية الآتية: نسبة الذين يتناولون الوجبة الرئيسية اليومية مع عائلاتهم مرات عدة في الأسبوع، والرعاية الصحية والوقائية للأولاد، وحالات الأسر أحادية الوالد والعائل، والسلوكيات الخطرة عند الأولاد، وشرب الخمور، والنشاطات الجنسية المحفوفة بالمخاطر، ونسبة الأولاد الذين عاشوا في المنازل أُحادية الوالد أو التي فيها زوج أم أو زوجة أب، ونسبة الأولاد الذين تربطهم علاقات «طيبة» أو «مفيدة» مع الأولاد الآخرين، وخدمات الرعاية النهارية، والصحة والسلامة، ووفيات الرضع، واللقاحات لأمراض الطفولة، والوفيات الناجمة عن الإصابات والحوادث قبل سن ١٩، والمشاجرات على مدى العام السابق، والأولاد الذين تعرضوا للتخويف والترهيب في الشهرين الأخيرين.

أيهما أولى: الحق أم الحرية؟

الحرية الشخصية واحدة من أهم القضايا الرئيسة في تربية الأولاد، وقد غدت هدفاً في حد ذاتها في البلدان الصناعية الحديثة، حيث يمنح كثير من الآباء أولادهم حرية لا حدود لها تقريباً، الأمر الذي يظهرُ أثره في النهاية على الوالدين؛ لأنه يعمل على تشجيع الرغبات الأنانية للأولاد على حساب الحِسّ الجماعي والقيم الأخلاقية؛ إذ إن الرغبات غير المتحكم فيها لا ننكر خطورتها؛ لاحتمال أن تتجاوز حدود التعاليم الأخلاقية الرحيمة، كما تستعبد الناسَ ملذاتُ الحياة المادية، وتصبح التسلية والمتعة إدماناً كونها «معنى الحياة» بالنسبة للأولاد، وبذلك باتت الحرية المطلقة للأولاد في البلدان الصناعية الحديثة هي الحق المطلق بذاته.

أما في الإسلام؛ فتقام العلاقات الأسرية على نظرية الأدوار والمسؤوليات والواجبات، وليس على نظرية الحق وحده كما هي في الثقافة الغربية، وهو ما أشار إليه عدد من المفكرين البارزين، ومنهم المفكر الراحل الدكتور ماجد عرسان الكيلاني، حيث اعتبر أن نظرية المسؤولية هي الضمان الوحيد لاستمرار علاقات المودة في الأسرة؛ إذ إن حس المسؤولية يدفع للبذل والعطاء غير المحدود الذي يبتغي الأجر وفكاك الرقبة من الحساب ابتداءً من الله عز وجل، وهو ما يدفع المبذول له أيضاً لتبادل العطاء مع البذل، وهكذا حتى تتوثق العلاقات فتسودها الرحمة والمودة. في حين أن المطالبة بالحق وحده باستنزاف قدرات الآخر، وأن يكون العطاء مشروطاً بالأخذ فقط، ستكون البغضاء والفكاك النهاية المحسومة لتلك العلاقات. وبذلك يجري التركيز في الإسلام على المساءلة عن الأفعال والمسؤولية الشخصية، ولا يصح استبدالها المثل القائل: «عش اللحظة الحاضرة لأنك غداً ستموت» أو «غدٌ بظَهر الغيب واليومُ لي».



يصف القرآن هذه الظاهرة الإنسانية كالآتي:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية: ٢٣-٢٤).

التحرر من الرغبة والشهوات يؤدي إلى السلام الداخلي (Lao-Tzu, The Founder of Taoism، مؤسس الطاوية- القرن السادس قبل الميلاد).

النجاح الأول والأفضل هو التغلب على النفس (الفيلسوف اليوناني أفلاطون Plato).

يحتاج الأولاد إلى الإرشاد لتطوير عادات حسنة، واتخاذ خيارات مناسبة، والتمسك بالحقيقة كأسمى قيمة في ضمائرهم بحيث تتقدم على الحرية عندهم، فكل نظام في الكون له حدود، والحرية المنشودة هي التي تكون منظمة وبناءة، مع وضع ضوابط لها وفقاً لتوجيهات قيمية وأخلاقية بحيث لا تفضي إلى تسبيب الفوضى والدمار. والآباء والأمهات مسؤولون عن مساعدتهم أولادهم في بناء التوجهات وغرس المعتقدات التي تستند إلى المنظومة القيمية الأخلاقية التي أسست لها الكتب السماوية الأصيلة وتعاليم كل الأنبياء، فمعرفة الطبيعة البشرية تساعدنا على أن نوظف حريتنا في طاعة الله ونيل رضاه. والجمع بين كلا النوعين من المعرفة يقيناً من أن نتلبس بسلوكات عمياء تقضي هلاكنا وإلحاق الأذى بنا والدمار بمجتمعنا فخالقنا أعلمُ بمن خلَق، ولسوف نكون قريبين من الهدي الإلهي الصحيح، ونجد الإجابات الصحيحة عن تساؤلاتنا في الوقت المناسب إذا سرنا في طريق التجريب، والبحث العلمي، والمعرفة.

تعدُّ الأسرة لَبِنَةً مهمة في أيّ مجتمع، وسوف ينهار دونها، ولو لم تفهم الإنسانية الحاجة إلى بناء الأسرة منذ فجر التاريخ لما كان هناك - ربما - مجتمعات قادرة على الحياة والاستمرار وإعمار الكون إلى اليوم. والقيم الأخلاقية الأساسية للإنسان، مثل الصدق، والثقة، والاحترام للحياة وللممتلكات، والضبط الجنسي للنفس، والمساواة، والتحرر من القمع والعنصرية، هي متطلبات أساسية لوجود الإنسان وبقائه، ولا يمكن للمجتمع أن يزدهر ويتقدم من دون هذه القيم الأخلاقية، ولَبِنَة الأسرة هي أفضل محضن تترعرع فيها هذه القيم وتنمو. وليس علينا انتظار الإنسانية حتى تكتشفها بنفسها، فهي متأصلة في مكونات النفس الداخلية وفي طبيعتنا الفطرية ومكوناتنا، وقد تكشفت للبشرية كقيم أخلاقية أساسية منذ بداية وجود الإنسان، ولم يكن لحياة الإنسان والمجتمع على هذا الكوكب أن تزدهر من دونها، وليس من قبيل الموافقة أن النبي آدم عليه السلام، وهو أبو الإنسانية كلها على وجه الأرض، وحواء أمها، قد عُلّما هذه القيم الأخلاقية الأساسية الأبدية كي يعلّماها أولادهم، ولكل البشر في المستقبل.

توضح لنا التعاليم الربانية قدسية الحياة وقيمتها في قصة قابيل الذي قتل أخاه هابيل، فماذا كان يمكن أن يحدث لو أن آدم وحواء وأولادهما كانوا حاشاهم - معاقري الخمور، أو مدمني مخدرات، أو غير عابئين بأي من هذه القيم الأخلاقية؟ فالوحي هو المرشد العارف الموجه الذي يبصرنا الطريق في الصحراء الممتدة، وسوف تضيع الإنسانية وتهلك من دونه. وللدلالة على أهمية الوحي الذي يحمل المنهج السماوي تم تقديمه على خلق الإنسان في «سورة الرحمن» علماً أن الخلق متقدم زمناً لكن المنهج متقدم أهمية، فقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ (الرحمن: ١-٤).

فالحرية الراشدة تنتج أولاداً متحضرين، ومن ثمّ مجتمعات مدنية تستطيع الاستمرار في الحياة؛ لأن أفرادها يمتلكون الانضباط، والقيم، والممارسات البيئية السليمة. فكل جزء من أجزاء الكون له نظام محكم، فجزئيّاته بمختلف صورها وأحجامها، من الخلايا والذرات إلى المجرات السماوية، تشكل نظاماً دقيقاً، وتعمل أنظمتها المتناسقة جميعها وفق مجموعة من القواعد والحدود، وتجاهل هذه الحدود من شأنه أن يقود إلى تفكك هذه الأنظمة التي تقوم على مطلق التوازن والتكامل والانسجام، وينطبق ذلك على الحياة الاجتماعية، حيث يلزمها وجود حدود منضبطة مثل المنظومة الكونية ايضاً.

قال تعالى: ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴾ (الرحمن: ٥-٩).

وذلك كله يستوجب المحافظة على القيم الأخلاقية الأساسية أيّاً كان الثمن، فَـيَحْرُمُ على الإنسان العبث بحياته وإساءة استعمالها بالإقدام على الانتحار، بدعوى أن له الحرية المطلقة بالتصرف بنفسه حينما تسوء أموره إلى حد كبير يستدعي ذلك حسب ظنه، ولا الزنا، حتى لو رغب ذلك. وهكذا الأمر نفسه ليس له أن يدمن على شرب الخمور أو تعاطي المخدرات، مِن ثمَّ يهلك نفسه، ويُقّوضُ أسرته، ومجتمعه.

في ندوة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، سئل المؤلف الدكتور (جيرالد ديركس) (٢٠٠٤م)، القس السابق في الكنيسة الإنكليزية الإصلاحية (الميثوديست)، وقد اعتنق الإسلام عام ١٩٩٣م: ما الإصلاح الأكثر أهمية الذي يحرص أن يدخله على منهج الكنيسة الديني؟ فأجاب: «التخلص من مرض النسبية في القيم والأخلاق؛ لأنه دائم التغير، وبشكل خطير وبلا حدود». ويقف جيل الشباب مع فكرة أن تبقى القيم الأساسية ثابتة ومحفوظة ولا تتغير، إذ يشترك البشر جميعهم في احتياجاتهم الأساسية، ويحسنُ بنا الحفاظ على نظام الأسرة وحمايته لتجنب التفكك الحاصل في أسر البلدان الصناعية الحديثة.

في غمْرة حماسهم لإخراج الدين من الفصول الدراسية، قذفوا بالأخلاق والقيم خارجاً من النافذة.



قصة رونالد كيلير Ronald Keller

نحن بحاجة إلى نظام قيم مستقر روحياً يسير وفق معايير محددة ثابتة كي نعيش حياة سعيدة هانئة.

«ولدت عام ١٩٥٤م في شمال غرب الولايات المتحدة، ونشأت في أسرة كاثوليكية متدينة، ووفرت الكنيسة لي عالماً روحياً في طفولتي، لا شك أنه كان أكثر واقعية من أي شي في العالم المادي من حولي؛ ولكن حينما تقدمت بي السن، خاصة بعد أن دخلت جامعة كاثوليكية، وقرأت أكثر، بدأت علاقتي مع الدين تتغير إلى التساؤل والشك في المعتقد والممارسة.

وكان أحد أسباب ذلك التبدل والتغييرات المتكررة في القداس والطقوس الكاثوليكية التي أُحدثت بعد انعقاد المجلس الفاتيكاني الثاني في عام ١٩٦٣م، الأمر الذي أظهر لعوام النّاس أن الكنيسة لا تتبع معايير مستقرة ثابتة. كان رجال الكنيسة يتحدثون عن أهمية المرونة وتكييف الطقوس عند الحديث بينهم، ولكنهم يبدون أمام الكاثوليكيين العوام وكأنهم يتلمسون طريقهم إلى هذه الطقوس في الظلام. ومع أن الله لا يتغير، واحتياجات النفس البشرية الأساسية ثابتة وليس هناك وحي جديد من السماء، إلا أنني كنت أشهد تغييرات عديدة وأرصدها، أسبوعاً بعد أسبوع، وسنة بعد سنة، فقد زدنا وحذفنا من كتبنا المقدسة، وغيرنا اللغة من اللاتينية إلى الإنجليزية، وأخيراً جلبنا آلات الغيتار والموسيقى الشعبية إلى الكنيسة، وكان الكهنة يغالون في الشرح وإعادته وعموم الناس يهزون رؤوسهم محتارين، فكانت نتيجة البحث عن حقيقة العلة بين الكنيسة والواقع عند الكثيرين أنه ليس هناك علاقة قوية بين الدين والواقع منذ الأصل.» (Nuh Ha Mim Keller 2001)

دراسة حالة عن الصدمة الثقافية عند التنقل بين الشرق والغرب، أين نربي أولادنا؟

عندما تنتقل الأسر بين الشرق والغرب؛ فإنها تعاني من صدمة ثقافية في كلا الاتجاهين. نذكر على سبيل المثال قصة مؤسفة عن أسرة عادت إلى وطنها بعد التخرج من جامعة في الولايات المتحدة ولديها طفلان جديدان، ومع أن خيار العمل في أمريكا كان مهيأً للوالدين؛ إلا أنهما قررا العودة إلى بلدهما الأصلي كي يتقن أولادهما اللغة العربية والقرآن الكريم. فبدأ الولدان يعانيان من الصدمة الثقافية بوجودهما في بلد جديد منذ لحظة الهبوط من الطائرة، إذ علّقا حينها قائلين: «هذا مكان قذر» وعند وصولهم إلى الشقة كان كل شيء حولهم متسخاً، مع أن الشقة نظفت تنظيفاً حسناً بما في ذلك السجاد والجدران والسلالم، إلا الشرفة التي كانت الشيء الوحيد الذي لم ينظف! وكانت المشكلة الحقيقية التي واجهتهم بعد ذلك هي: كيف يمكن ترتيب ثيابهم في الخزانة في غمرة الغبار الموجود؟ وكان الحل هو تنظيف الشقة كاملاً بأنفسهم.



كانت الصدمة الثانية التي واجهوها؛ هي ضعف إتقان العمال الحرفيين لإصلاح الشقة، لقد كان مستوى عملهم دون المتوسط على الرغم من أن المواد المستعملة كانت ذات جودة عالية وغالية الثمن. وكانت أبواب الحمّام لا تغلق بالكامل، وكان البلاط جميلاً ولكنه متعرجاً وَزَلِقَاً، ومواد تمديدات المياه لامعة ولكنها تسرب الماء فضلاً عن نقص في المياه والانقطاع المتكرر لها؛ كانت الصنابير تُسَرِّب الماء، وضغط المياه ضعيفاً في الطابق الثالث، فكان عليهم ملء الدلاء بالماء وحفظها إلى الليل.

كان التعليم صدمة أخرى، فالمدارس الخاصة مُكَلِفة، والمدارس العامة فاجعةً تعليمية، حيث يفتقر المعلمون إلى التأهيل، والطلاب إلى التهذيب والانضباط، والآباء لا يبحثون في المزايا والعيوب حين إرسال أولادهم إلى المدارس على الإطلاق! وكانت الحافلات المدرسية الغاصَّة بالطلبة تسير ببطء شديد بسبب الازدحام وسوء صيانة الطرق، والأولاد يقضون ساعات فيها متنقلين من وإلى المدرسة، ويعد المشي عامةً للكثير أسرع من ركوب السيارة أو الحافلة، وعليهم أن يخططوا لرحلة طويلة وشاقة عند التفكير في زيارة قريب أو صديق، إضافة إلى أن قيادة السيارة تتطلب تكريس أفضل المهارات وبأعصاب مشدودة كالدخول إلى منطقة حرب ومواجهة المناورات المفزعة من الأعداء. زيادة على تلوث الهواء، والتلوث الصوتي والسمعي (الضوضاء والصخب)، وكان الأولاد لا يشعرون بالخصوصية والطمأنينة بسبب الأصوات العالية المستمرة المحيطة بمسكنهم، حتى إن الأصوات من المدرسة المجاورة، ومن الشوارع حولهم، ومن الجيران، تغزو غرف نومهم، والطريقة الوحيدة التي بها تنعم بلحظات سكينة وهدوء؛ هي السفر والفرار إلى القرى المجاورة، وهو مشروع كامل في حد ذاته.

هذا مثال على الصدمة الثقافية التي يمكن أن تواجهها الأُسَر عند الانتقال سواء من الغرب إلى الشرق أو خلافه. وهذا لا يعني تعميم هذه الصعوبات كونها حدثت لبعضهم، ولا يعني هذا أيضاً أنه يحسنُ بالأسر أن تعيش في الشرق فقط، أو في الغرب فحسب، فكل منها له حسناته وسلبياته وله مشكلاته، بالإضافة إلى أن لكل أسرة ظروفها الخاصة. وليس هناك إجماع حول أفضل مكان لإقامة الأولاد، فالأسر التي تختار الانتقال تدرك أنها تحصل على صفقة تشمل المحاسن والمساوئ مما يخيرها اتخاذ قرار مدروسٍ حكيم، فالحياة ما هي إلا سلسلة من الاختيارات.

مفهومان مفقودان في الفكر الغربي: الله أكبر والله أعلم

بيّن المرحوم الدكتور طه جابر العلواني - رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي سابقاً - فيرجينيا، في المناقشات العديدة التي أجريت في المعهد (٢٠٠٠م)، أن الغرب يفتقر إلى مفهومين أساسيين: الله أكبر؛ والله أعلم. وفيما يخص المفهوم الأول؛ فإن البشر حين يهملون الحكمة الإلهية في شؤونهم، فإنهم في الواقع يعلنون أنفسهم «آلهة» بدلاً من الخالق الواحد الأحد. فإذا أصبح الناس متغطرسين ومتكبرين؛ فإنهم يتصورون أنهم لا يخطئون، وأنهم المصدر المطلق للمعرفة، ثم يسوغون ما يشاؤون لأنفسهم وأسرهم، ومجتمعهم، وعالمهم، وبيئتهم. ويمكن أن ينتج عن هذا الفهم تدمير مملكتي الحيوان والنبات، وتلويث الأراضي والبحار والهواء، عن قصدٍ أو عن غير قصد.

فالكِبْر مثلاً يعمل على تدمير النظام والتوازن في الطبيعة والسماء والفضاء من حوله مثل: (طبقة الأوزون). ويؤدي عبث البشر بالنظام الإيكولوجي والطبيعة إلى أن يصبح الهواء النظيف والمياه النقية واللحوم والخضراوات

الخالية من المواد الكيميائية نادرة الوجود، كما يشكل الاحتباس الحراري خطراً حقيقياً للوجود البشري، وكل ذلك بسبب سوء تقديرهم والحفاظ على ما خلق الله لهم. ومهما تقدم الإنسان في العلوم والتكنولوجيا؛ يظل ضئيلاً ولا يكاد يبين في هذا الكون الكبير اللامتناهي الذي خلقه الله.

أما فيما يخص المفهوم الثاني؛ فللباحث العلمي أخلاق ومبادئ، منها: أن يقول عند جهله مسائل العلم: «الله أعلم». لقد أدت الاكتشافات والاختراعات التكنولوجية والعلمية للبشرية في القرن الحادي والعشرين إلى تفاخر العديد من طلبة العلم وزهوهم بالمعرفة الإنسانية، مع أنه كلما علم الإنسان أكثر؛ أيقن أنه ما أوتي من العلم إلا قليلًا. فالتواضع مع الآخرين والتذلل لله من المكونات الضرورية للمعرفة والعلم، ويتعين أن يسعى البشر باستمرار إلى اكتشاف مجالات جديدة من المعرفة، وأن يتذكروا دائماً أن الرغبة في التعلم هي نعمة من الخالق عز وجل، الذي منحنا الفهم وسخر لنا الأرض والكون. وقد سلّط القرآن الكريم الضوء على موضوع المعرفة والعلم في آياتٍ كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥).

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ (الكهف: ١٠٩).

مقارنة بين القيم الأخلاقية العقدية والقيم الأخلاقية المتلائمة

تغذي الأسرة القيم الأخلاقية الإنسانية مثل: (الحقيقة، والعدالة، والحب، والشجاعة، والصدق، والمسؤولية). وتقوم كل هذه القيم على مفهوم العقيدة؛ إذ إنها تسبق القيم الأخلاقية المتلائمة، وهما ليستا دائماً متوافقتين ومتماثلتين، جراء الاختلاف العقدي بين الناس، وعليه اختلاف تصوراتهم لما هو موائم من القيم الأخلاقية وما كان غير ذلك.

ففي المنظور الإسلامي القيم المتلائمة أو المناسبة هي التي تصدقها العقيدة أي التي يرشد إليها الوحي باعتباره المصدر الأول للتلقي فيما ينظم حياة الإنسان، لكن ليست كل المجتمعات تدين بالإسلام، فالتمتع في الحياة في هذا العالم هو غاية بعض المجتمعات، أما الغاية المتوازنة التي ينشدها المسلمون؛ فهي تحقيق سعادة الحياة الأبدية في الآخرة بالعيش حياة طيبة في هذا العالم، وهذا يعني أن تحقيق النجاح في الحياة الآخرة لا يتعارض مع الحياة الهنيئة الطيبة في الدنيا؛ فالنجاح في ذلك العالم لا يكون بإهمال هذا العالم وتعميره، وليس استمرار هذه الحياة إلا وسيلة لتحقيق الحياة الأبدية الأخروية.

قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧).

نصح النبي ﷺ أعرابياً كيف يكون واثقاً بربه فلا يضيع ناقته، وفي الوقت نفسه لا يغفل قوانين العلوم الطبيعية والاجتماعية ولا يكون بمنأى عنها، فقال له: «اعقلها وتوكل» (سنن الترمذي) ما يعني (ابذل وسعك للحفاظ على ناقتك ثم اعتمد على الله).

لا بدّ للإنسان من الموازنة بين الحياة الدنيا والآخرة على مبدأ «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»، وبذلك ندرك الحكمة من قول الرسول ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا» (الأدب المفرد، البخاري).

فبعقد مقارنة يسيرة بين ما كان عليه الناس الذين عاشوا في البلاد ذات النظم الشيوعية السابقة؛ وأولئك الذين عاشوا في بلاد الغرب؛ تظهر لنا هذه الفكرة بشكل أكثر وضوحاً، فمن المعلوم أن الشيوعية تهتم بالعمال ورعايتهم أكثر من الرأسمالية، ولكن العمال في الدول الشيوعية عانوا في الواقع أسوأ الظروف. ومع أن المنظومة القيمية الأخلاقية العملية في الدول الشيوعية تؤكد رعاية الناس والاهتمام بهم، إلا أن القيم في جوهرها كانت تنطوي على الظلم، والصراع المهلك بين طبقات المجتمع. فالدول الغربية الرأسمالية القائمة على المصلحة والمنفعة أفضل حالاً في هذا المجال من الأنظمة الشيوعية، وذلك بسبب انتشار القيم المسيحية العميقة فيها، التي جوهرها المحبة والإحسان والرحمة، ما جعل تلك البلدان أكثر اهتماماً بالطبقات الفقيرة والمحتاجة، في حين كانت معاناة الشعوب في ظل الشيوعية كبيرة.

ويرجع انهيار الشيوعية إلى قيمها وأفكارها الاستبدادية. ففكرها يقوم على المواجهة والصراع والخلاص من حقوق الملكية الفردية. ومع أن هذه الأنظمة زعمت أنها تسعى لتأسيس سلطة ونفوذ وسيطرة للطبقة العاملة، إلا أن هذه الطبقة (البروليتاريا) ظلت هي الأغلبية المظلومة، وهذا يتناقض والأهداف المعلنة لأيديولوجية ماركس. فبينما كانت الفلسفة الشيوعية مسطّحة وغير عملية، كان الوضع في الغرب أفضل بكثير، على الرغم من أن الرأسمالية لا تقدم أي شكل من أشكال المدينة الفاضلة لسكان الأرض.

لقد أوجدت الحضارة الغربية ظروفاً اجتماعية واقتصادية ظالمة للطبقة العاملة، استناداً إلى مفهوم الحرية غير الموجهة في الملكية الفردية وفلسفة المصلحة الذاتية القائمة على المنفعة، ومع ذلك فالقيم الأخلاقية الدينية عميقة ومتجذرة في الديانة النصرانية في الغرب، وقد ساعدت في التخفيف من حدة بعض الآثار السلبية على الطبقة العاملة الفقيرة، وذلك بالتقليل من الأضرار الناشئة عن الصناعة والتصنيع، بينما كانت أفعال النخب في الحزب الشيوعي على النقيض من ذلك، إذ كانوا يعملون لمصالحهم الشخصية عن طريق آلة بيروقراطية ضخمة أنشأوها بأيديهم، فكانت الطبقات العاملة في ظل الشيوعية هي الضحايا الرئيسة لهذه الأنظمة.

تعدُّ القيم الدينية الخيّرة عميقة الجذور ضرورية للمجتمعات والأفراد، وهي تدعم النظام الذي يقوم على أساسها وتسانده. ومع وجود القدر الكبير من المؤلفات والبحوث عن التربية الوالدية الصادرة في الغرب، إلا أن المعرفة الإنسانية تبقى محدودة. فليس الإنسان منتَجاً صناعياً «صنع في أميركا» أو «صنع في الصين»، وهما الدولتان اللتان نعرف عنهما الكثير، فنحن مخلوقون من «خالق الكون» واللّه وحده خالقنا ومدبر أمورنا كلها، وهو عالم بكل شيء.

تؤكد جين رانكن (Jane Rankin 2006) عالمة النفس في كتابها «خبراء التربية الوالدية: نصائحهم، وأبحاثهم، وتصويباتهم للأمور» *"Parenting Experts: Their Advice, the Research and Getting it Right"* أن هناك فجوة كبيرة بين مواعظ علماء التربية الوالدية وما توصلت إليه الأبحاث العلمية في الثلاثين سنة الماضية، وأن خبراء التربية الوالدية الغربيين في القرن العشرين أمثال: بنجامين سبوك Benjamin Spock، وبيري برازيلتون T. Berry Brazelton، وجيمس دوبسون James Dobson، وبينيلوبي ليتش Penelope

Leach، وجون روزموند John Rosemond، وغيرهم، يختلفون حول كثير من قضايا التربية الوالدية المهمة، مثل ضرب الأولاد، ووضع حدود لحريتهم، والقبول بفكرة الأمهات العاملات، وحضانة الأطفال، والتدريب على استخدام «النونية-القعّادة» للأطفال، والتلفاز. ومع التوجه إلى استمرار البحث في التربية الوالدية وتشجيعه، واستخدام ما هو متاح جميعه من أدوات في العلوم الاجتماعية والطبيعية والروحية، يلزم علينا أن نخفض جناح التواضع أمام من هو أعظم منّا، فمهما تقدمنا في البحوث العلمية نبقى بحاجة مستمرة إلى التماس التوجيه والحكمة من الهدي الإلهي الحكيم.

تكبُّر + **علم** = **جهل** (كما يقولون: التكبر مقبرة العلم)

تواضع + **علم** = **نور**

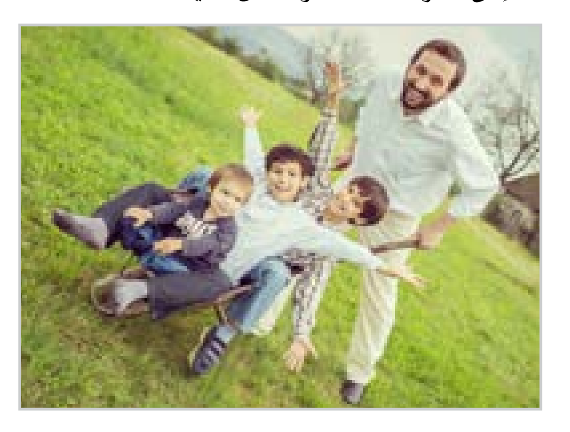
قبل مائة عام، وضع رئيس كلية (باليول) في جامعة أكسفورد - إنجلترا يافطة على باب مكتبه تقول: «أنا سيد هذه الكلية، وما لا أعرفه ليس علماً».

كن على يقين أن النظرة الدونية إلى الناس، وازدراء الآخرين، لا يؤديان إلى احترامهم لك.

النموذج الزراعي للأسرة: الأولاد كالنباتات والوالدان كالبُستانيّ

تأتي كلمة «الثقافة» culture في الإنكليزية من كلمة «الزراعة» cultivation، فالأولاد والناس يشبهون النباتات من عدة نواح؛ لأن كلا النوعين يحتاج إلى الرعاية والحنان؛ حتى ينمو نمواً أفضل في بيئة جيدة أعدت لهذا الغرض. فأفضل بيئة لنموّ الغراس أو الشتلات الصغيرة، في المناطق التي فيها نسبة تلوث عالية، هي البيوت البلاستيكية التي فيها احتباس حراري؛ لأنها تحتاج إلى أن يشتدّ عودها قبل أن تنفصل عن بيئتها وتزرع في الخارج، مما يعطي استثمارها أولوية وأفضلية؛ لأنها تصبح أكبر وأقوى وأكثر مقاومة للأمراض من النباتات الأخرى التي تزرع في البيئة نفسها. كذلك الحال للأولاد، فهم يحتاجون إلى الحماية والرعاية للنمو الأخلاقي السليم، «وبعد ذلك، سوف يكون أبناؤنا في شبابهم مثل النباتات المعتنى بها جيداً».

فالطفل الذي يلقى رعاية وتربية في بيئة منزلية جيدة سيكون أفضل صحة وأكثر مقاومة للأمراض الأخلاقية المنتشرة في مجتمعه. وهذا التشبيه يكون جلاءً لمن يعيشون في المجتمعات الزراعية، بينما هو أقل وضوحاً للمجتمعات الصناعية، حيث إنَّ الناس أقلّ خبرةً في العناية بالنباتات. ومع ذلك فالأطفال، بطبيعة الحال، أكثر من مجرد نباتات، فالنباتات غير فعالة ونشطة، على حين يفيض الأطفال بالطاقة والحركة، والفكر والإرادة، ومن هذا المنطلق، يتعين على الوالدين ممارسة دور نشط وفعال في تنميتهم لأنفسهم، وكذلك معرفة كيف يضعون حدوداً وقواعد لسلوكهم. على اعتبار أن أولادنا لا يزالون بحاجة إلى عون كبير لتنشئتهم، فالأخلاق الحميدة والقيم الكريمة، هي أفضل وسيلة يمكن أن يوفرها الآباء لأولادهم، فهي تعمل على تشجيعهم وتعزز عاداتهم الطيبة التي سوف تتحول يوماً ما إلى سلوكات حسنة وأخلاق حميدة.





الأنشطة

النشاط ١: المخاوف الرئيسة الثلاثة في القرن الحادي والعشرين

ناقش ما يأتي مع الأسرة. ما هي أسباب هذه المخاوف وكيف يمكن تجنبها؟

لقد تحدث الراحلان وليام باكلي William Buckley (كاتب صحفي محافظ) والسيناتور جورج مكغفيرن George McGovern (الديمقراطي الليبرالي)، في أثناء حفل التخرج في جامعة ساوث إيست ستيت عام ١٩٩٧م، عن ثلاثة مخاوف رئيسة:

الأول: تفكك الأسرة الأمريكية؛ الأمر الذي أدى إلى ارتفاع نسبة الأطفال غير الشرعيين (المولودون بلا زواج).

الثاني: تلوّث البيئة وتدميرها، إذ يجري بقدر كبير من المواد الملوثة ملء الأرض والهواء والمحيطات والمجاري المائية والغابات.

الثالث: إدمان الخمور، وهو يعمل على تدمير من يعاقرونها وتفكيك أسرهم.

النشاط ٢: تطبيق الصفات الحميدة على الأولاد

يجلس الوالدان مع أطفالهم ويناقشون كلاً من الصفات الآتية، وكيف يمكن اتباع طريقة عملية لغرس هذه الصفات في كل ولد؟

متفوقون، اعترف لهم بذلك

صادقون، ثق بهم

نشيطون، وجّههم

أبرياء، شاركهم فرحهم

مرحون، قدّرهم

طيبو القلب، تعلم منهم

محبوبون، احتفِ بهم

نبلاء، احترمهم

منفتحون، علِّمهم

محترمون، امنحهم قيمة ومكانة وتقديراً

محبّون للاستطلاع، شجعهم

معطاؤون، ادعمهم

عفويون، اسعد بصحبتهم

موهوبون، نمّهم وطوّرهم

متفرّدون، ثبّتهم

توّاقون، تنبّه إليهم

مضحكون، اضحك معهم

(Meiji 1999)

النشاط ٣: مناقشة الأسباب الحقيقية لعنف الأولاد

ناقش مع أولادك بعض الأحداث الدرامية من خلال تجاربهم الذاتية.

كانت مذبحة مدرسة (كولومباين) (١٩٩٩م) الثانوية في الولايات المتحدة مروعة، قَتَل فَتَيان في عمر ١٧و١٨، خمسة عشر شخصاً، وجُرح ستة وعشرون باستخدام المسدسات والقنابل. كانا يطلقان النار وهما يضحكان كما في الأفلام وألعاب الحاسوب، ثم ما كان منهما إلا أن أطلقا النار على نفسيهما وانتحرا. كانا قد صنعا ١٩ قنبلة في منزلهما. فليست مثل هذه الحوادث نادرة، لقد وقعت نحو ٢٢ حادثة مماثلة في الولايات المتحدة في الأشهر التي تلت هذه الحادثة. وفي أول ستة أسابيع من عام ٢٠١٤م حصلت ١٣ واقعة ضرب ناري في المدارس الأمريكية. (The Guardian)

ويثير هذا الحادث تساؤلات كثيرة مثل: لماذا يفعلون ذلك؟ من المسؤول؟ وما الطريق إلى الوقاية من هذه الحوادث؟ ما الذي يجب القيام به لمنع وقوع حوادث مماثلة في المستقبل؟ ما العبر المستفادة من هذه الحادثة؟ ما هي وسائل العلاج الفعّالة لمشكلة العنف؟

النشاط ٤: التعامل مع المشكلات الاجتماعية

ناقش مع عائلتك أسباب التدخين وآثاره، وتعاطي المخدرات، والإدمان على الخمور، والانتحار، والطلاق. ثم اقترح طرائق عملية مع عائلتك لتحسين المجتمع.

النشاط ٥: بعض العبر من أنموذج الدكتور سبوك (١٩٠٣- ١٩٩٨م)

اجلس مع عائلتك لمناقشة تجاربك في التربية في ضوء قصة حياة الدكتور سبوك في (Newsweek 1998 ,Mayer) التي نلخصها بالآتي:

فهم أوضاع تربية الأولاد في الولايات المتحدة ونظمها سيكون ناقصاً إذا لم ندرك تأثير الدكتور بنجامين سبوك الاختصاصي النفسي للأطفال، وهو من رواد القرن العشرين في مجال التربية الوالدية الحديثة، لقد حبته والدته حبّها وإرشاداتها وتوقعاتها العالية منه، وطلق زوجته المدمنة على الخمور بعد ٥١ سنة من الزواج، وأسس عيادة نفسية للأطفال، وأدرك بتجربته أن أكثر مشكلات الأطفال؛ هي مشكلات سلوكية وليست أمراضاً طبية مثل:

نوبات الغضب، ومص الإبهام، ورفض تناول الطعام، وعدم الرغبة في النوم، وعدم القدرة على التدرب على استخدام نونية/قعادة الأطفال للتبول فيها في الموعد المحدد.

نشأ الدكتور بنجامين مهتماً بفرويد، وخضع للتحليل النفسي مرتين، وهو عادة ما ينصح الآباء والأمهات بعدم الضغط على الأولاد، بل إظهار الاعتزاز والافتخار بهم. «ثق بنفسك. أنت تعلم أكثر مما تظن أنك تعلم». لقد عَلِمَ أن الحب هو أهم ما يحتاجه الأطفال من أمهاتهم وآبائهم، واستمع بعناية لمرضاه، ولكنه لم يكن كذلك مع أبنائه. عندما سألته إحدى الأمهات: «هل مسموح للطفل الصغير رؤية والديه عاريين؟» أجاب: «هذا سؤال مُشكل ولا يمكن الإجابة عنه إجابة سريعة». كانت أسرة الدكتور سبوك أسرة مفككة، فكان يقول: «من الصعب دائماً أن تقوم بما هو صحيح مع أولادك فليس الأمر سهلاً مثل الكتابة عن ذلك». أصبحت زوجته مدمنة على الخمور، وأصيبت بمرض عقلي أدخلها المستشفى. كان الدكتور سبوك بارد الإحساس، وشعر ولداه أنه هجرهما عاطفياً، واعترف في نهاية الأمر أنه كان مدمناً على عمله، فكان أفراد أسرته يتعانقون دوماً، لتعويض أنفسهم عن الحرمان الذي لاقوه في الماضي. واعترف أيضاً: «لم أقبِّل ولداي قط عندما كانا صغيرين».

طلب من ولديه أن ينادينا والديهما باسميهما الأوّلين - كان هذا وقتها يعدُّ خطوة متطرفة وفي الوقت ذاته تقدمية- إذ رأى الدكتور أن تربيتهما تعكس فلسفته التي كان يعتقد انها مهمة لتربيته لولديه؛ كان في الحقيقة أمرٌ غير واقعي، ولكن كان ذلك عن قصد منه كي يقول بزهو للعالم: «هذا ابني، وهو يناديني باسمي الأول.» عندما كان الدكتور سبوك يتحدث لولديه؛ كان حديثه في كثير من الأحيان كأنه امتحان شفوي لهما. فقد كان يتحدث بصوت هادئ كما يغلب على كتاباته، وبنغمات حادة كالتي يستخدمها في البيت، ولم يكن لديه أدنى فكرة عن التأثير الكبير لذلك على أولاده، كان يشدد على ولديه بألا يوقعا نفسيهما بحرج أو يجلبا العار للأسرة علناً، فقد كان رأي الناس الغرباء مهمّاً جداً له كوالد. كذلك يهمه آراء الغرباء والصحافة إلى حد كبير. فولداه كانا يرتديان ملابسهما بتأنق، ويطلب منهما أن يكونا مهذبين وقريبين من الناس، وإذا اختفت ابتسامة ابنه جون، أو بدا أنه مزاجي أمام الناس في موقفٍ ما، أسرع الدكتور سبوك ليطلب منه تعديل ذلك: «لا تكن عابساً، حاول أن تبدو مسروراً أمام الناس».

بدا الدكتور سبوك في حالة إنكار تجاه مشكلاته في البيت، وقد تعوّد ولداه البقاء بعيدين عنه، وظل ما يحدث من خلافات لدى جون ومايك مع والدهما طي الكتمان، وراوغا الصحفيين والمصورين عندما طلب مراسلو التلفاز والمجلات الإخبارية منهما الجلوس مع أبيهما للتصوير، وردّا ردوداً بغموض حول سلوك والدهما وتصرفاته في البيت، لم يعبّر الدكتور عن الحب والمشاعر الحقيقية تجاه ولديه، اللذين اعترفا علناً: «لم نقبّل أبانا قط». فكان الدكتور سبوك رمزاً أكثر منه رجلاً، وسلطةً أكثر منه أباً وإنساناً. كان الأب البارد الأحاسيس والمشاعر والصارم الذي يتجاهل احتياجات ولديه العاطفية.

ألقى سبوك باللوم على تربية والده له وتنشئته: «لم أر أبداً العاطفة والمودة الملموسة بين الأب والابن، لقد أحبني والدي، وقدم لي أشياء لطيفة، ولكن في غياب الإحساس بحنوه وبمودته، فكلما حاولت أن أتذكر إن كان قد قبّلني أو قبّل أحداً من الأولاد الآخرين في أي مناسبة، فإنني لا أتذكر أنه فعل ذلك معي أو مع أيّ من أشقائي».

العبرة من القصة: لا تأخذ بوجهات نظر الخبراء كالأعمى دون فحص. فمعرفتهم تبقى شخصية ومتغيّرة ولا يصح تعميمها.

هذه القصة أيضاً تذكر بحقيقة وأهمية الحب قولاً وفعلاً في حياة النبي ﷺ مع أسرته، فقد روى الزبير أن رسول الله ﷺ قبّل الحسن بن علي وضمَّه إليه، وجعل يشمُّه، وعنده رجل من الأنصار، فقال الأنصاري: أن لي إبناً قد بلغ، ما قبّلته قط، فقال رسول الله ﷺ «أرأيت إن كان الله نزع الرحمة من قلبك، فما ذنبي؟» (الحاكم النيسابوري)

النشاط ٦: مناقشة الصدمة الثقافية

يناقش الآباء والأمهات مع أولادهم تجاربهم الخاصة عن الصدمات الثقافية، ثم يطلبون منهم الحديث عن زياراتهم لبلدان أخرى، أو الحديث عن ثقافات زملائهم في الدراسة من شتى المنابت والأعراق، والأديان، والأجناس الأخرى.

إذا لم يزر الأولاد أقاربهم في الخارج قط، فنوصي، إذا سمحت ظروفهم المالية، أن يخططوا لإجازة عائلية مستقبلية كي يزوروا أقاربهم قدر الإمكان.

النشاط ٧: مناقشة عقلية القادة الحقيقيين

ناقش الاقتباسات الآتية مع عائلتك:

«لقد لاحظت أن القادة الفاعلين نادراً ما يكونون أبطالاً في الوظائف العامة. وليس هذا النوع من الرجال والنساء هم الذين يكونون أمام النّاس وفي مقدمة الركب. إنهم يتحركون بصبر، وبعناية، وباطراد، ويقومون بفعل ما هو صحيح.»
(Joseph Badaracco 2002)

«قد يرمي القادة إلى تطوير عقلية القطيع بين أتباعهم، لكن دون أن يصيبهم ما أصاب أبناءهم فيستسلمون لمثل هذا التفكير.» (دليل الآراء المتضاربة حول القيادة *Steven B. Sample, The Contrarian's Guide to Leadership*)

الخلاصة: ما نرمي إليه هو فعل ما هو صحيح، وليس ما درج الناس على فعله، أو كان أكثر معاصرة!

مناقشة: من يقرر الصواب من الخطأ؟ وكيف؟ هل هو أنت، أم أنا، أم هو، أم هي، أم التوجيهات الإلهية؟!

النشاط ٨: الحديث مع الأولاد عن تاريخ الأسرة

الجلوس مع أطفالك ومشاركتهم ما تعرفه عن أجدادهم.

لا تتحدث كثيرٌ من الأسر في حاضرنا مع أولادها عن تاريخ الأسرة. فالأولاد بحاجة إلى التعرف على حياة أجدادهم وجداتهم وإنجازاتهم وإخفاقاتهم ووظائفهم وخبراتهم وأنشطتهم ومواطن القوة عندهم.

من المفيد تعلُّم طريقة رسم شجرة العائلة والرسم البياني التنازلي الذي يصور المنحدرين من الفرد والطلاق والأمراض والعلاقات بين أفراد الأسرة، مثل: العمات والخالات والأعمام والأخوال وأبناء العم وأبناء الخال والأجداد من جانب الأم والأب. فقد وجَّه النبي ﷺ الفرد على معرفة نسبه وأجداده، وكان يستظهر غيباً تسلسل شجرة الأسرة إلى أبعد ما يكون. *(Encyclopdia of Islam,2009)*.

يعرف بعض الصوماليين ٢٠ جيلاً من أجدادهم، وعادةً ما يجتمعون في تجمع قبلي كبير لمشاركة ما يعرفونه عن نسب أجدادهم.

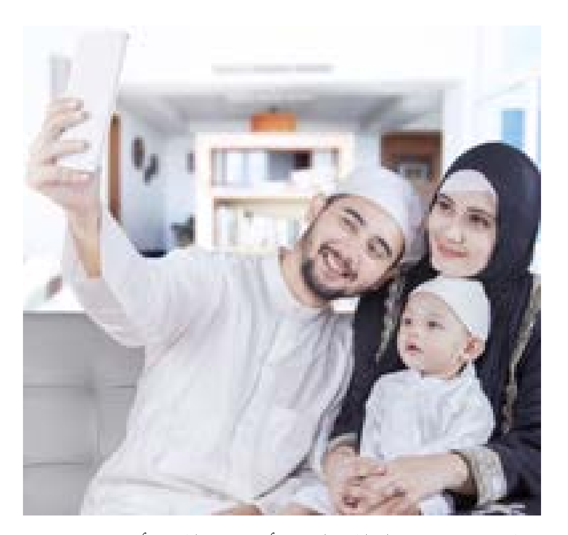


الفصل الثاني

التربية الوالدية السليمة، ما هي؟ وكيف نطبقها؟

- **مقدمة**
- **مراحل نمو الأولاد وتطورهم**
- **أساليب التربية الوالدية**
- **أثر الأساليب المختلفة في التربية الوالدية**
  - ثقافة الإكراه والتخويف والهيمنة
  - قصور الأسلوب الإكراهي
- **ما الذي يجعلنا نتنبأ بأسلوب التربية الوالدية؟**
- **البدء بالتربية الوالدية السليمة: لمحة عامة عن المهمة المنتظرة**
- **قضاء الوقت النوعي والمشاركة الفعّالة مع الأولاد**
- **الإفادة من مصادر المعلومات المتوفرة في مجال التربية الوالدية**
  - المصادر الإسلامية مقابل المصادر الغربية
- **إحصاء بالمؤلفات والمراجع عن التربية الوالدية**
- **هل ينبغي تعليم التربية الوالدية في المدارس الثانوية؟**
- **التوجيهات البريطانية لمناهج التربية في المدارس الثانوية**
- **الخلاصة**
- **الأنشطة ٩- ١٥**

مقدمة



ليس من قبيل المصادفة أن يرى المرء أسرة سعيدة تعيش في تناغم وانسجام، ينعم أفرادها ببيئة منزلية آمنة ومريحة، ويتحلّى فيها الأبناء بالأدب والخلق الحسن، بل لا بدّ أن يكون ذلك نتاج جهدٍ دؤوب مضنٍ من الوالدين لبناء علاقة متينة رحيمة تربطهم بأولادهم.

تعدُّ التربية الوالدية الجيدة استثماراً طويل الأمد وأساس النجاح في التنشئة العاطفية والنفسية والجسدية للأطفال، حيث تُسهم في توفير بيئة حاضنة تحكمها المودة، ينشأ فيها الأطفال ويترعرعون على توثيق أواصر المحبة التي تُعمِّق التواصل والتقارب بين الآباء والأبناء. ولا يخفى أنّ التواصل الفعّال هو ثمرةٌ من ثمار التفاعل الإيجابي بين الآباء والأبناء، وهذه الإيجابية بدورها تحفّز الأولاد على السعي إلى التميز والتفوق، في حين أن الانتقاد والتوبيخ لا يأتيان بخير.

والتربية الوالدية من أبرز الإشكاليات التي تواجه الآباء في وقتنا الحاضر؛ يُعزى ذلك لأسباب عديدة، منها: الافتقار إلى التعليم والتدريب المقنن في مجال التربية الوالدية، ما يعني الاعتماد على مرجعية الفطرة والتجربة الشخصية والموروث الثقافي من الأجداد والأصدقاء، والذين هم: إما غير متعلمين، أو أن تربية الأبناء عندهم لها بُعد ثقافيٌّ مختلف. ومن الأسباب أيضاً: التقليد الأعمى لثقافة الغرب على الرغم من تلقّي القدر الكافي من التعليم والتدريب. وهناك من يحتذي بنماذج وقدوات ليست أهلاً للاقتداء من الجيران وغيرهم، وبعضهم من يحاول تحقيق ما فاته تحقيقه شخصياً في سالف حياته مع أبنائه، ومنهم من يهمل واجباته أو يؤجلها، بسبب ندرة الوعي الكافي أو بسبب عدم وجود الوقت الكافي وزحمة الأعمال، فيتنازل عن هذا الواجب للمربيات أو للمعلّمين أو للأقارب أو لشاشات التلفاز أو لألعاب الحاسوب والإنترنت والهاتف الذكي، ونجد هذا ملحوظاً على وجه الخصوص في الدول الغنية بالنفط؛ إذ تستشري «العادة الخطأ» باستيراد المربيات والخادمات؛ الأمر الذي يؤثر سلباً في بناء شخصية الأبناء ومستقبلهم ويحولها من تربية إلى آفة.

يحاول هذا الكتاب تقديم العون للآباء لمعالجة الآفات الآنف ذكرها، والعمل قدر المستطاع للحد من الأخطاء غير المقصودة التي يقعون فيها وإزالتها؛ فهو بمثابة «بوليصة تأمين» تحمي الآباء من الأخطاء التي يقعون فيها.

ومع عظم دور الأبوة والأمومة وتأثيرهما في الأبناء، فإنّ الناس ينظرون إلى هذا الدور - وياللأسف - على أنه أمر غريزي لا يحتاج إلى تعليم وتخطيط وتأهيل مسبقٍ، فكم منا كآباء فكَّر في هذه المهمة المنوطة بنا بشكل جادّ؟ ومن يقوم بذلك سوف يدرك أنّ تربية الأبناء تحتاج إلى استعداداتٍ ومهارات وإستراتيجيات وتخطيط مدروس.

ولننعم النظر في الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: ما هي المهمة التي تستدعي معرفة متكاملة بعلم النفس، وعلم الإدارة، وعلم الاجتماع، وعلم الإنسان والتمريض، وفن الطبخ وفن التواصل؟

السؤال الثاني: ما هي الوظيفة التي لا تحتاج إلى شهادة رسمية أو رخصة لمزاولتها؟

السؤال الثالث: ما هي المهمة التي لا يستوعبها الناس استيعاباً صحيحاً، بل وتعد من أكثر المهام إغفالاً؟

السؤال الرابع: ما هي المهمة التي يصاحبها سوء معاملة وعنف؟

السؤال الخامس: ما هي المهمة الأشد تأثيراً على حياة الناس كافةً؟

السؤال السادس: ما هي المهمة التي يمثل فيها الوالدان دور المعلم الأول والأساس في تربية الأبناء؟

ويُجاب على الأسئلة السابقة كلها بـ: التربية الوالدية.

أَمعِنْ النظر في العبارة الآتية: نحن لا نوظّف ميكانيكياً أو سبّاكاً أو نجاراً أو كهربائياً أو طبيباً إلا إذا كان لديه مؤهل لهذه الوظيفة، إلا أن جُلّنا يحظى بوظيفة أب أو أم دون تدريب أو تأهيل سابقين!

فنحن ندرس نحو ست عشرة سنة للحصول على شهادة جامعية، بينما يمكن أن نصبح آباءً أو أمهاتٍ في سن مبكرة دون دراسة أو إعداد مسبقين، وندرك جميعاً ضرورة الحصول على رخصة لقيادة السيارة، أوالدراجة النارية، أو لقيادة الطائرة، ولا ندرك وجوب الضرورة ذاتها لقيادة الأسرة وتربية الأبناء.

ما الذي يفعله أغلبنا - وربما عن غير قصد- حين تناط إليه مهمة تربية الأبناء؟ قد لا نعطيها اهتماماً كافياً ولا نقدم لها ولو جزءاً يسيراً من الإرشادات والنصائح، بل قد يصل الأمر إلى درجة كبيرة من التهاون والإغفال، ومع هذا يبقى عند الآباء والأمهات بصيص أمل في الوصول إلى مستوى عالٍ في تربية أبنائهم من دون الاستعانة بتلك الإرشادات والنصائح على الرغم من ذلك كله، فقد يبذل الآباء والأمهات جهداً نزراً؛ مثل حضور اجتماعات أولياء الأمور في المدرسة وممارسة بعض الأنشطة الاجتماعية والرياضية؛ ليبرهن لأبنائه اهتمامه بهم



فحسب ، إلا أن ذلك كله هو جهد المقلّ، ولا يفعلون لهم مزيداً غير هذا الجهد الشكلي.

مراحل نمو الأولاد وتطورهم

يمر الأطفال بمراحل مختلفة من النمو والتطور، ومن الضروري أن يكيِّف الآباء أنفسهم مع هذه المراحل جميعها وفقاً للاحتياجات الخاصة للأبناء في كل مرحلة.

إن تقسيم النمو إلى مراحل على الأساس الغُدَدِي والعُضْوي يعتمد على نشاط الغُدَد الصّنوبرية والتيموسية في تعطيل أو تنشيط الغُدَد التناسلية، وتبعاً لهذا الأساس يقسم النمو إلى المراحل الآتية:

- مرحلة ما قبل الميلاد (من الإخصاب إلى الولادة) ٩ شهور.
- مرحلة المهد (من الولادة وحتى نهاية الأسبوع الثاني).
- مرحلة الرضاعة) من الأسبوع الثالث إلى نهاية السنة الثانية).
- مرحلة الطفولة المبكرة (من ٣ سنوات وحتى ٦ سنوات).
- مرحلة الطفولة المتأخرة (من ٧ سنوات إلى ١٠ سنوات للإناث، ومن ٧ سنوات إلى ١٢ سنة للذكور).
- مرحلة البلوغ (من ١١ إلى ١٣ سنة للإناث، ومن ١٢ إلى ١٤ سنة للذكور).
- مرحلة المراهقة المبكرة (من ١٣ سنة إلى ١٧ سنة للإناث، ومن ١٤ إلى ١٧ للذكور).

- مرحلة المراهقة المتأخرة (من ١٧ إلى ٢١ سنة).
- مرحلة الرشد (من ٢١ سنة إلى ٤٠).
- مرحلة وسط العمر (من ٤٠ سنة إلى ٦٠).
- مرحلة الشيخوخة (من ٦٠ سنة إلى نهاية العمر).

(إيمان يونس إبراهيم، علم نفس النمو، كلية التربية، ٢٠١٦).

ويشير المتخصصون إلى أنه عادة ما ينشأ تبارٍ أو سباق بين الآباء والأبناء على السلطة والموارد المتاحة لديهم. أما في ما يتعلق بالسلطة؛ فكلٌ يريد بسط سيطرته على الآخر، وفي ما يخص الموارد (المال، والمكان، والوقت) فغالباً ما يختلفون في كيفية توزيعها، علماً أن كل طرف يسعى للاستزادة منها.

يقل اعتماد الأبناء على الآباء في سن المراهقة والبلوغ، فينصرف الآباء إلى حياتهم الخاصة، ثم تنقلب المعادلة عندما يهرم الآباء، وتتقدم بهم السن فيصبحون أكثر اعتماداً على أبنائهم الذين أصبحوا بدورهم مستقلين عنهم، والاستقلالية في هذه المرحلة يمكن وصفها بالاعتماد المتبادل بين الآباء والأبناء؛ إذ من المهم أن يستمر الحب والنصيحة والمشورة والمشاركة والاهتمام بين الطرفين.



أساليب التربية الوالدية

هناك أربعة أساليب رئيسة يتَّبعها الآباء في تربية أبنائهم، ولا يمكن حصر أساليب التربية في تقسيمات محددة، حيث إنه كثيراً ما يتم المزج بين أسلوبين أو أكثر، وغالباً ما يطغى أسلوبٌ بعينه ويهيمن على الآخر.

١- الأسلوب التسلطي / الديكتاتوري

وفيه يقوم الآباء بإجبار أبنائهم على طاعة الأوامر ومعاقبتهم بشدة عند العصيان، ولا يكون للابن نصيبٌ يُذكر في المشاركة بالرأي، وينصب دوره في الالتزام بالقواعد والأوامر من دون إبداء الرأي أو الاستفسار، في هذا المناخ العقيم عاطفياً تنعدم روح التواصل المتبادل والقدرة على التشاور والتفاوض وتنصبّ الأهمية القصوى على الطاعة واحترام السلطة الأبوية، وفيه يقوم الآباء بفرض متطلباتهم من دون تجاوب أو تحاور مع الأبناء، وغالباً ما تسمى العلاقات الأسرية في هذا الأسلوب بالعلاقات العمودية، وتعكس نمط التربية بالقهر والإلزام.

٢- الأسلوب الحازم (الواعي)

وفيه يتواصل الآباء مع أبنائهم بدفء في المشاعر وتقدير لمتطلباتهم، في حين تُراعى حدود وتوقعات ثابتة يُحاسب فيها الأبناء على أفعالهم في مناخ غير عقابي،

ويحقق الآباء مطالبهم ويحددون نظم التعامل، ولكن في إطار من التجاوب والتفاهم مع أبنائهم وبطريقة تشجع على تنمية استقلالية الأبناء، ويساعد هذا النهج التربوي على جعل الطفل متزناً نفسياً وعاطفياً؛ حيث يتواصل فيه الآباء مع الأبناء بصدر رحب، وتسمى العلاقات الأسرية التي تحكم هذا الأسلوب بالعلاقات الأفقية، كما يعكس هذا الأسلوب نمط التربية بالالتزام وهو أقوى وأدوم في التأثير على سلوك الأبناء بإيجابية.

يشير Baurmind أن هؤلاء الآباء يراقبون سلوك أبنائهم ويحددون معايير واضحة للسلوك ولكن من دون تدخل أو تقييد، وتكون أساليبهم التأديبية بنّاءة وداعمة أكثر من كونها عقابية. يهدف الآباء في هذا الأسلوب لأن يكون أبناؤهم حازمين وفي ذات الوقت ملتزمين اجتماعياً ويجمعون بين ضبط النفس وروح التعاون» (Baumrind 1991 نقلاً عن Cherry 2015).

٣- الأسلوب المتساهل

وفيه يسمح الآباء لأبنائهم بفعل ما يرغبون دون فرض أي قيود أو متطلبات عليهم، وأيضاً يؤمن فيه الآباء بأن الأبناء يمكنهم اتخاذ القرارات دون الحاجة للإرشاد أو التوجيه الأبوي؛ لذا لا نجد مجالاً لخلافات تُذكر في هذا الأسلوب؛ حيث يميل الآباء المتساهلون لرغبات أبنائهم ويتجنبون الخلاف.

يستخدم الآباء في هذا الأسلوب المكافأة كوسيلة لتشجيع السلوك القويم عند الأبناء وتحقيق النتائج المرجوة كالأداء الأكاديمي المتميز، وكنتيجة لهذا الأسلوب التربوي تفوق استجابة الآباء لمتطلبات أبنائهم على التوقعات والمتطلبات المفروضة عليهم، وتغدو سيطرة الآباء ضعيفة على أبنائهم وتتاح للأبناء الفرصة للتلاعب بآبائهم. لذلك يعد هذا الأسلوب المتساهل منهجاً متراخياً للغاية، يكون فيه الآباء عادةً دافئين محبين لأبنائهم في مناخ تربوي عطوف.

٤- الأسلوب المتسيب الإهمالي

يكون الآباء منفصلين تماماً عن حياة أبنائهم؛ حيث يكتفون فقط بتوفير الحد الأدنى من أساسيات الحياة كالغذاء والمسكن ويتركون الأبناء يقومون بتربية أنفسهم. ولا يفرض الآباء في هذا الأسلوب أي متطلبات على أبنائهم ولا يستجيبون لأي من مطالبهم، ولا يتدخلون نفسياً في حياة أبنائهم، ويكون التعبير عن الحب والمشاعر في أضيق الحدود. ويظهر هذا الأسلوب غالباً نتيجة لانهماك الآباء المفرط في العمل أو انغماسهم الزائد بأنفسهم على حساب وقت الأبناء. وقد يكون أيضاً نتيجة لتعاطي الآباء للمخدرات مما يعوقهم عن القيام بمسؤولياتهم في التربية. عادةً ما يكون الأبناء نتيجة هذا الأسلوب مجروحين نفسياً وقد ينساقون لأساليب حياة منحرفة (Walton 2012).

في الغالب يفضّل علماء الاجتماع الأسلوب الحازم على سائر الأساليب، ففي أي فئة من هذه الفئات الأربع نصنف أنفسنا؟ ثم نتساءل: لماذا أخترنا هذا الأسلوب دون سواه، ويقودنا هذا للقيام بمراجعات لأنماط أساليبنا التربوية لنركز على الإيجابيات ونقلل السلبيات ما أمكن.

أثر الأساليب المختلفة في التربية الوالدية

الأسلوب المتبع في التربية الوالدية له أثر مهم جداً على الأبناء، فهناك دراسات عدة استخلصت العديد من النتائج، كما ذكر (Gemma Cherry,2014) و(Eleanor Maccoby,1992) كالآتي:

- الأسلوب التسلطي الدكتاتوري: عادة ما ينتج عنه أبناء مطيعون ماهرون، ولكنهم قليلو السعادة والتوازن الاجتماعي والثقة بالنفس.
- الأسلوب الحازم الواعي: ينتج عنه أبناء سعداء متمكنون وناجحون.
- الأسلوب المتساهل: غالباً ما ينتج عنه أبناء قليلو السعادة والقدرة على ضبط النفس، في حِين أنهم يكونون أكثر عرضة لمواجهة مشكلات مع السلطة ويكون أداؤهم ضعيفاً في الدراسة.
- الأسلوب المتسيب الإهمالي: وهو من أدنى الدرجات في مختلف نواحي الحياة، حيث يفتقر أبناء هذا الأسلوب الثقة بالنفس والقدرة على التحكم في الذات، وتكون كفاءتهم أقل من أقرانهم.

ثقافة الإكراه والتخويف والهيمنة

هناك اعتقاد سائد لدى بعض الآباء أن الأسلوب التسلطي في التربية الأبوية؛ هو طريق ناجح وفاعل من شأنه الحد من السلوكيات غير الصحيحة لدى الأبناء ومنعها؛ بدلاً من تشجيع السلوكيات الإيجابية وتعزيزها، فيتغلب أسلوب الأمر والإكراه والتخويف والهيمنة لديهم على ثقافة اللاإكراه والإقناع بين أفراد الأسرة، ويؤدي هذا بالأبناء إلى الشعور بالتنافر مع المجتمع.

والسلوك السائد عند هؤلاء الآباء عامةً هو الهيمنة وفرض النفوذ، وانحسار دائرة النقاش والحوار والمشاركة والتقبّل والتشاور، الأمر الذي يرسخ في عقول الأبناء بذور الاستبداد والإقصاء وإلغاء الآخرين منذ الطفولة، ومن ثم تمتدُّ هذه الممارسات والسلوكات التسلطية خارج المنزل لتغزو المدارس والمؤسسات الاجتماعية وصولاً في نهاية المطاف إلى الحكومات والنظم السياسية عامة. ففي هذه الأسر تطغى سلطة الآباء على الأبناء، وكذلك سلطة الإخوة الأكبر سناً على الأصغر، وسلطة الذكور على الإناث، فيكون الذكور عادةً هم المهيمنون على الأسرة، ويخلو المنزل من مفاهيم التحاور والمسؤولية المشتركة وتطغى عليه الخصومة والتعصّب، ويخالف هذا الحديث الشريف حول مفهوم الرعاية الأسرية: «كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيّته» (البخاري).

قصور الأسلوب الإكراهي

عادةً ما يقوم الآباء بإصدار الأوامر والتعليمات لأبنائهم من دون شرح أو توضيح أو استماع لوجهة نظر أبنائهم، فترى الأبَ يعمد إلى وضع لائحة بما على أبنائه اتباعه أو تجنبه. وحينما يسأل الابن عن السبب، فإن الرد هو: «نفّذ ما أطلبه منك»، أو «الأمر هكذا ومن دون سبب»، أو «افعل ما أقوله لك فقط» أو «لا تجادل كثيراً». وفي بعض الأحيان يوبخ الآباء والأمهات أولادهم ويتهمونهم بالفُضوليّة أو العقوق أو فقدان بعض الأدب والاحترام للآخرين عندما يتمادى الأبناء في الاستفسار عن أمرٍ ما، وقد يجيب الآباء المتسلطون إجابات غير دقيقة عن الأسئلة للتخلص من فضول أبنائهم فحسب. وليس هذا أن الآباء لا يولون أبناءهم اهتمامهم، بل على النقيض، فإنهم يحبونهم ويهتمون بهم ولكنهم يحاولون أن يكونوا أكثر صرامة، فيتحول هذا السلوك إلى استبداد، فيغلب على ظنهم أن التسلط هو السبيل الأمثل لإعداد الأبناء للمستقبل، فالتسلط والقهر ليسا من التربية السليمة في شيء، فهما يعوقان تنشئة أبناء أصحاء عاطفياً ونفسياً وعقلياً، والتنشئة السليمة لا تكون إلا بالتحاور والتشاور والمحبة المتبادلة، يقول الله عزّ وجل:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

ومع أن أسلوب التسلط قد يؤدي إلى احترام الأبناء لآبائهم ظاهرياً؛ إلا أنه أسلوب غير مجدٍ، لأنه يقوم على تقييد الحرية ويزرع في نفوس الأبناء الرعب والخوف كونه ليس نابعاً عن قناعة ومحبة.

ويمكن تلخيص واقع التربية الأبوية في وقتنا الحاضر على النحو الاتي:

- الأمية المستشرية في الآباء التي تُشكِّل عائقاً أمام التعلم واكتساب المهارات المختلفة.
- طغيان ثقافة الخوف والرهبة التي تولد «عقلية العبودية» المعوّقة للإبداع والمبادرة.
- تكريس عقلية القطيع والتقليد الأعمى واتباع الآخرين من دون تبصّر (ضع رأسك بين هذه الرؤوس) و(موتك مع الجماعة رحمة).
- اتّباع أسلوب التسلّط والإكراه داخل الأسرة وخارجها.

للتربية الوالدية القدرة على بناء الأسرة والمجتمع أو هدمها؛ بل وهدم حضارة أمة بأكملها، فبناء الحضارات عملٌ لا ينتهي؛ إذ إنه منهاج حياة متواصل ودؤوب، لها بداية وليس لها نهاية، ولأنها نمو وتقدم وتطور؛ فهي مسألة استكشاف وتحسين متواصلين للأساليب المتبعة. ومن هذا المنطلق فإن إثارة حماس الآباء وتشجيعهم على التفكير والتأمل في تداعيات التربية الوالدية وتأثيرها على المجتمع والحضارة الإنسانية يجب إيلاؤه الأهمية التي تليق به.

وحينما نربي أبناءنا في محضن تربوي يشوبه الخوف والقمع، فلن يتمكنوا من المجازفة واتخاذ القرارات، بل يميلون إلى الخضوع والخنوع والانطوائية والتهرُّب من المسؤولية، ويقودهم ذلك إلى تجنُّب المشاركة وترك النقاشات والمبادرات في الشؤون العامة والخوف من مواجهة أي سلطة تعترضهم، ويؤدي هذا إلى ظهور أنظمة استبدادية وديكتاتورية تقود المجتمع إلى الفساد والاستبداد.

وزيادة على ذلك، فإن هذه النمط من التربية يقود الأبناء إلى التنصّل من أداء واجباتهم تجاه المجتمع، كما يزرع فيهم روح العزلة وترك الاختلاط بالناس، مما يعوق قيام المؤسسات المهمة لبناء المجتمعات، وينتج عنه ثقافة رجعية تستند إلى الخرافات واللاعقلانية في التفكير التي تعوق مشروعات التنمية والتقدم في المجالات الحيوية المختلفة، وخاصة مجال العلوم والتكنولوجيا.

يعكس الأسلوب التسلطي نمطاً من التربية على الدوران في فلك الأشخاص، وهذا الأخير بيئة مناسبة لقبول الظلم والخضوع وتقديس الأشخاص ما يكون سبباً للتأخر والتخلف عن النهضة، في حين أن الأسلوب الحازم الواعي في التربية يربي شخصيات قادرة على الدوران في فلك الحق لا في فلك الشخص، وشتان بين من يبحث عن الحق ويتبعه ويدافع عنه، وبين من يستسلم بدافع الرهبة من الأشخاص، فاتباع الحق السبيل الموصل لبناء شخصيات قادرة على النهوض بأمتها.



ما الذي يجعلنا نتنبأ بأسلوب التربية الوالدية؟

هل هناك علاقة مشتركة في طريقة تربية الآباء لنا وطريقة تربيتنا لأبنائنا؟

يعتقد بعض الآباء ممن يسيئون معاملة أبنائهم أن لهم تجارب سيئة مع آبائهم، حيث إن آباءهم كانوا أيضاً يسيئون معاملتهم عندما كانوا صغاراً.

فهل التجارب الإيجابية لفردٍ ما مع أبويه أثناء طفولته تمكننا من التنبؤ بأن أسلوب ذلك الشخص سيكون إيجابياً ومتميزاً في تربيته لأبنائه بصفة عامة؟ وهل هناك مناقلة وتأثير لأسلوب التربية عبر الأجيال؟

كشفت دراسة في مجلة *Washington Family* (2006) أن كل مرحلة من مراحل النمو في حياة الأب أو الأم لها أثرها التراكمي في أسلوب تربيتهما لأبنائهما، ولا نستطيع أن نحدد في أي مرحلة يمكن التنبؤ بالأسلوب الذي سيتبعه أحد الوالدين في تربيته لأبنائه في المستقبل. كما أشارت دراسة أخرى أن

من يحظى بتربية إيجابية سليمة في أي مرحلة من مراحل طفولته أكانت من الأب أو الأم سيكون والداً محفزاً ومشجعاً لأبنائه، وتعكس هذه التنشئة الوالدية الإيجابية الداعمة تطوراً معرفياً للأبناء عند بلوغهم سن الثالثة. (Baumrind 2008)

وأشارت الدراسات أيضاً أن تفاعل الآباء مع الأطفال يختلف عن تفاعل الأمهات، فمع أن معظم الآباء والأمهات قد يتشابهون في أسلوب تجاوبهم وعطفهم وأسلوب تعليمهم لأبنائهم، إلا أنهم يختلفون في كون الآباء يميلون إلى مشاركة أبنائهم في الأنشطة الرياضية البدنية أكثر من الأمهات. كما أن كلا الوالدين يشاركان أبناءَهم الذكور أكثر من الإناث في النشاطات نفسها. ويتناسب مستوى التحصيل العلمي للوالدين طرداً مع تحصيل أبنائهم وأدائهم في داخل المدرسة وخارجها؛ وكذلك كلما زاد التحصيل العلمي للأب زاد اهتمام الأم بأولادها وتقديمها الدعم والتشجيع لهم.

على الرغم من أن أسلوبنا في تربية الأبناء عادةً ما يعتمد على محاكاة أسلوب آبائنا، لكنه قد يتعارض معهم في بعض الأحيان؛ إذ أشارت إحدى الدراسات أن ما يقارب النصف من الأجداد والجدات ذهبوا إلى أن طريقة تربية أبنائهم لأحفادهم تختلف عن طريقتهم، ويشيرون إلى أن أبناءَهم أكثر تساهلاً في تربية أحفادهم منهم، ويقول أقل من النصف من الأجداد والجدات أن أبناءهم يوكلون لأحفادهم أعمالاً منزلية ومسؤوليات أقل، ويقدمون لهم فرصاً أوفر مقارنة بما كانوا يقدمونه هم أي: (الأجداد والجدات) لأبنائهم (Zogby International 2006).

إن إنجاب الأطفال يوفر فرصة سانحة للأبوين لمراجعة الأساليب التي تربيا عليها، وكذلك لتطوير خبراتهما في هذا المجال في مراحل النمو المختلفة لأبنائهما بغض النظر عما كانت عليه طفولتهما أو عن البيئة العائلية التي ترعرعا فيها أو على مستوى تعليمهما أو مستوى دخليهما، فقد يختارون الأساليب السابقة ويطورونها ويحسّنونها في مراحل نمو أبنائهم. ويتزامن ذلك مع درجة النضج والوعي لدى الوالدين بأهمية التربية الوالدية ومكانتها.

في نهاية المطاف، مهما قدَّم الآباء لأبنائهم؛ فإن الأبناء يتمتعون باستقلالية كافية تجعلهم مسؤولين عن أفعالهم ومحاسبتهم عن تصرفاتهم. فكل ما يستطيع الآباء تقديمه هو الدعم والتوجيه دون إجبار حتى يأتي اليوم الذي يشعرون فيه بالسعادة والفخر ويقولون: «كنا أبوين جيدين».



البدء بالتربية الوالدية السليمة: لمحة عامة عن المهمة المنتظرة

يبدأ دور الأبوين قبل ولادة الطفل، وهو في صلب أبيه، فمن المهم أن يُحسن كلا الزوجين اختيار زوجه الصالح، أما بعد الزواج؛ فاستحضار طلب الذرية الصالحة امتداد طبيعي لحسن الاختيار، ويعقب ذلك الاستحضار المعنوي، تحضير مادي طبيعي، فدور الأم الحامل يقوم على العناية والاهتمام بصحتها بتغذيتها، حيث تنأى بنفسها عن تناول الأطعمة الضارة بصحتها وصحة جنينها، وتكون مهمة الزوج العناية بزوجه الحامل، والتخفيف من أعمالها المنزلية، ومشاركتها في تحمل هذه الأعباء، وتوفير ما يكفيها من الوقت للراحة والنوم والاسترخاء. ومما يجب على الآباء والأمهات أيضاً أن يكونوا مُلمّين بالمهمة التي تنتظرهم وعلى دراية كافيةٍ بها، وأن يمتلكوا المعلومات والمهارات اللازمة للوصول إلى الأهداف التي يرجونها من تربية أولادهم، والإحاطة بالتحديات والصعوبات التي ستواجههم مخافة أن يقللوا من شأنها أو يبالغوا فيها، وذلك لأنهم إن ظنوا التربية الأبوية أمراً سهلاً فحينئذ لن يهتموا بإعداد أنفسهم الإعداد المناسب والكافي، وإن اعتقدوا أنها مهمة شديدة الصعوبة، فربما

يصيبهم اليأس والقنوط ثم الاستسلام، في حين سيتبين للأبوين أن تجربة تربية الأبناء تعد من أكثر التجارب المثمرة والممتعة حين يمارسونها.

فحياة المرء عبارة عن سلسلة من الاختبارات، وتربية الأبناء واحدة من أكثر الاختبارات تحدياً في الحياة، على الرغم من كونها ممتعة ومجزية، لذلك من المهم أن ينظر إلى هذا الموضوع بواقعية، بعيداً عن التصور الخيالي أو المثالي. فلا شك أن حياة الأبوين تتغير بصورة كبيرة عند إنجاب الأبناء، ثم يتبع ذلك عمل ليس بالسهل وهو التربية، ويقوم بهذا العمل أبوان ليسا معصومين عن الأخطاء والهفوات، ولك أن تتصور معاناة الأبوين حين يلجأ الأبناء مثلاً إلى التلبس بأفعال وسلوكيات غير صحيحة، مرادها امتحان مدى صبر أبويهما وتحملهما أو عندما يكون الأبناء بمنأى عن والديهما، ما يجعل الأبوين دائمي التفكير فيهم والقلق عليهم.

ليس هناك داعٍ أن يصاب الآباء باليأس أو يحل القنوط بهم من قدرات أبنائهم واستعدادهم في أثناء مراحل التربية المختلفة؛ لأن كلاً من الأبناء له مواهبه وقدراته، تماماً كما هو الحال عند الآباء. وينبغي على الآباء والأمهات أن لا يكونوا بمعزل بيئي عن غيرهم، فيمارسون تربيتهم وحدهم؛ إذ الكثير ممن حولهم يملكون الكفايات المناسبة، ويمكن أن يشكلوا لهم شبكة دعم قوية في تربية أبنائهم بمد يد العون والمساعدة، وتشمل هذه الشبكة المدرسين والمربيين والأقارب وعلماء الدين والأصدقاء.

المطلوب: المحافظة على رباطة الجَأش في أثناء تربيتنا لأبنائنا، والتسرية عن أنفسنا عند وقوعنا في الزلّات أو السقطات، أو في حال ارتكابنا أخطاء غير متعمدة أو عن قصد حسن.

وسنذكر في ما يأتي بإيجاز الأمور التي على الأبوين التركيز عليها منذ بداية الحمل. حيث من الأهمية بمكان أن يرسخ في عقل الأبوين الهدف العام من التربية لتجنب ما يلزم فعله في المواقف المختلفة وما يجب تجنبه، فلننعم النظر في النصائح والإرشادات الآتية التي تساعدنا في حياتنا الأسرية بمنظار جديد بعيداً عن الضبابية والتشويش:

١- الإدراك بأن تنشئة الأبناء هي مسألة طويلة ومعقدة

فتربية أبناء صالحين وإعداد مواطنين فاعلين وقادة مستقبليين، هو عمل يومي دؤوب يحتاج إنجازه إلى سنوات وليس إلى أشهر أو أيام، فالعلاقات التي تكون خارج الأطر العائلية؛ كعلاقات الحب والصداقة والزمالة قد تنقطع أواصرها، ولكن العلاقة القائمة بين الآباء والأبناء، هي علاقة متجذرة وطيدة ومستمرة لا يمكن هدمها ولا قطع روابطها، وهي قادرة على أن تقف مصداً وصماماً أمان أمام أعتى العواصف، وتعد هذه العلاقة من أقوى العلاقات وأدومها في هذه الحياة، لذا كان من أصول المعاني اللغوية لمادة (أ س ر) ومنها الأسرة، الدرع الحصين.

٢- وضع الأهداف السليمة للتقدم والتطور

وضع الأهداف الواضحة السليمة من شأنه أن يجنبنا الارتباك واللبس في تحقيقها، فهي تحدد غاياتنا وكيفية تنفيذها (تجد جدولاً بأهداف التربية الأبوية في فصلٍ لاحق). فالأبوان معرضان لارتكاب أخطاء من دون أن يدركا، وذلك حين لا يضعان أهدافاً محددة أو خريطة طريق لخطتهما. كما لا يحول وضع الأهداف من دون ارتكاب أخطاء، لكن من المهم إدراك هذه الأخطاء ومعرفة سببها وتجنب الوقوع فيها مرة أخرى، وأخذ العبرة والدرس منها، الأمر الذي من شأنه يزيد شعورنا بالمسؤولية. ويشمل ذلك تحديد الأهداف لأبنائنا أيضاً.

فهل قدمنا لأبنائنا تعليمات واضحة الأهداف؟ وهل أرشدناهم إلى كيفية أن يعيشوا بتوافق وانسجام معنا؟ وهل رفدناهم بالمهارات الضرورية كي ينالوا رضانا ويكونوا عند حسن ظننا بهم؟

٣- كن قدوة حسنة، وعلّم أولادك الاعتماد على النفس

يتعلم الأولاد منظومة من القيم؛ مثل الكرامة والشجاعة والانضباط والحب والحنان والترابط والمسؤولية، يتعلمونها في محضنهم التربوي الأول؛ وهو الأسرة. ومن المهم أن نكسبها أولادنا، ونعمل على تدريبهم ليعتمدوا على أنفسهم في تدبير أمورهم من دون اللجوء إلى مساعدة الآخرين إلّا في أضيق الأمور. فلا تكفي نصائح الوالدين وإرشاداتهم كي يصبح الأولاد رجالاً ونساء مرموقين، فأسلوب التربية والتعليم القائمين على النمذجة والقدوة الصالحة المتمثلة بالنموذج الحسن،

تعد أنجع بكثير من المحاضرات وإعطاء التعليمات والإرشادات والنصح المباشر. كما أن القدوة الصالحة تنقل التربية الوالدية من مجرد التنظير والتعليمات الجافة إلى فاعليتها العملية، ما يجعل المتلقي أكثر قبولاً للسلوك المراد.

٤- تبادل الخبرة التربوية العملية مع الآخرين

هناك الكثير من المؤلفات والمصنفات والدراسات التي وضعها أرباب التربية وخبراؤهم التي تساعد الآباء وتقدم لهم المشورة الجيدة في هذا المجال، ومع أن الأبوين عادةً يتفقان على المبادئ العامة في التربية، فإنهما كثيراً ما يُخفقان في ترجمة هذه المبادئ إلى واقع عملي تطبيقي، إما بسبب نقص الخبرة والمهارة أو بسبب كثرة الأعمال اليومية التي تُشغلهما. وتُسهم مشاركة الآخرين تجاربهم أثناء تربيتنا للأبناء في الوصول إلى مهارات وقدرات أفضل، فالتربية الأبوية عملٌ مهمٌ جداً يحتاج إلى مشاركة الآخرين وتعاونهم، ولن يجدي نفعاً القيام به وحدنا.



٥- علّم أولادك التمييز بين الصواب والخطأ

كثيراً ما نسمع الآباء حين يصدر من أبناء الآخرين سلوكات غير مرغوب بها: «إن ولدي من المحال أن يفعل ذلك أو يصدر منه هذا الفعل المشين» أو: «إن ولدي مختلف عن غيره». ليس من المعقول أن نفترض أن أبناءنا معصومون من الخطأ وأنهم مفطورون على النجاح، فلا نصاب بالدَّهْشة أو الذهول إن تصرَّف أولادنا على نحو ما، خلاف رغباتنا أو توقعاتنا، لأن أولادنا كغيرهم من الأولاد الذين يعيشون في هذا الكون ومن حولنا، كلنا من آدم وحواء، نحمل الجينات المتشابهة، وقادرون على التفريق بين الخطأ والصواب، والعمل وفقاً لإدراكنا. كذلك معرضون لارتكاب الأخطاء والتلبُّس بالهفوات والسقطات؛ لأننا نواجه تحديات كثيرة مماثلة، كما أننا نعيش في بيئات متشابهة. والفرق بيننا هو أن بعضنا يرتكب أخطاءً أكثر من الآخرين، وبعضنا يتعلم ويصحح أخطاءه، بينما يصرّ آخرون على أخطائهم، ولا يعملون على تصويبها أو تداركها. إننا نواجه العديد من التجارب المتشابهة على الرغم من أن كلاً منا مختلف عن الآخر، ومن النادر أن نواجه أمراً في حياتنا لم يجرّبه الآخرون، أو لم يقعوا فيه.

٦- اعمل جاهداً على تطوير صفاتك الشخصية الرئيسة وترسيخها

أما على صعيد الإنسانية جمعاء؛ فلن تتقدم الحضارة الإنسانية إلا ببناء مؤسسات قوية الركائز، سليمة التنظيم، تضم أفراداً ذوي شخصيات قويمة بعيدة عن الأنانية والفساد، وتتحلَّى بصفات التواضع والصدق والمحبة للآخرين، وهذه السمات نادراً ما تكون وليدة المصادفة، إنما هي وليدة التربية الأسرية السعيدة المستقرة الملتزمة.

٧- طوِّر فن الحوار مع أولادك

لأحاديثنا مع أبنائنا والحوار معهم أثرٌ بالغ على مستقبلهم، فلنتكلم معهم عن أي شيء، وكل شيء، تكلم معهم عن يومك ورأيك في مسألة ما، أو تكلم عما يفكر فيه أولادك وما يستثير اهتمامهم، فمن المهم جداً أن يتعلم أولادك كيفية التعبير عن أفكارهم. فاجعل التواصل والتفاعل معهم من أولى أولوياتك، وحاول التعرف عليهم وافهمهم أكثر من ذي قبل، إضافة إلى تحسين العلاقة معهم، فإن ذلك كله عناصر ضرورية لتطوير لغتهم وقدرتهم على التعبير. حفزهم على الحديث، ولا تنشغل بالتلفاز أو بالإنترنت أو بالهاتف الجوّال أو بألعاب الحاسوب، الأمر الذي يجعل أولادك

ينفرون منك بسبب نأيك عنهم وابتعادك عنهم أساساً.

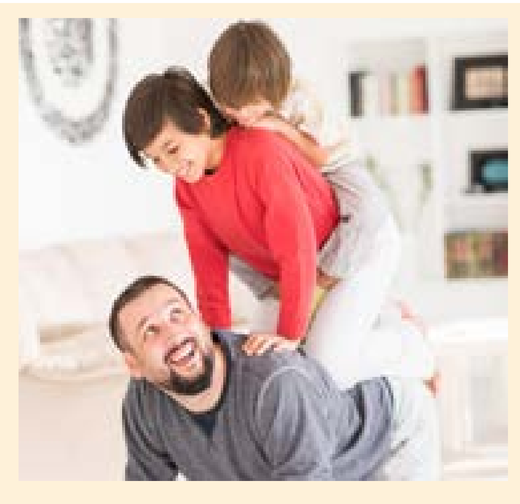
ويشمل التواصل مع الأبناء إجراء المناقشات الجادة وتبادل الدعابات، والمزاح واللعب معهم، لأن ذلك يشيع جوّاً من المرح وينفض غبار الملل ويُسرّي عن سآمة القلوب والأجساد، فالآباء والأمهات يقضون وقتاً طويلاً في تنشئة الأولاد، ويغفلون بقصد أو بغير قصد عن توفير جوٍّ من الفرح والمرح لهم، والتي تعدُّ أساساً مهماً في نموهم وبناء شخصياتهم. والأطفال لهم عالمهم الخاص بهم، فلديهم طاقات كبيرة يعمدون على تفريغها في أجواء من المرح واللعب، ومن المحزن أن ترى آباء وأمهات مملين، يبعثون على الكآبة؛ إذ يفضلون مشاهدة التلفاز على الخروج واللعب والاستمتاع مع أبنائهم، فالأولاد يمكنهم تقديم أفضل علاج للتخفيف من حدة الحياة المليئة بالضغوطات والقلق، وذلك بمساعدة الآباء والأمهات لهم للعودة إلى عالمهم الطفولي البريء، حتى ولو لبعض من الوقت، لكنه في حدّ ذاته يعني الكثير للطرفين.

فبعض الآباء والأمهات يظنون أن اللعب مع أولادهم يظهرهم بمظهر الضعيف، أو يذهب بماء وجههم، أو قلة جديتهم وإنجازاتهم في الحياة، وذلك أمر خطأ، فلعبهم مع أبنائهم وتبادلهم الضحكات معهم يشعرهم بالثقة وعدم الخوف على مستقبل أبنائهم، ويخفف من حدة التوتر لديهم، ويؤدي إلى التشارك في علاقة حب غير مرئية، كما يشجع الأولاد في التعبير عن أنفسهم بلا تردد أو خوف، فالمزاح الهادف الصادق عنصر أساس في التواصل والتفاعل بين الآباء والأبناء. وتسمى هذه الممارسات اليوم في علم التربية «ساعة اللعب على الأرض» ومن المعلوم ضرورتها للنمو النفسي السليم للأبناء.

٨- استمتع بالتربية الوالدية الناجحة

عطفاً عما ذكرناه آنفاً، فإن على الآباء والأمهات العمل بالتوجيهات السابقة، مشفوعةً بأجواء العطف والمرح والمزاح، كي يستمتعوا بالتربية السليمة. فأحياناً يركز الآباء المهووسون بالنجاح على الأهداف وحدها، وينسون المتعة في مسيرة الحياة الأسرية ذاتها، فيفتقدون حيويتها وأُنْسَها، فمن المهم ألا نغفل عن حقيقة أن مفهوم التربية الوالدية مفهوم شامل، وعمل رؤوف عطوف ودود.

قضاء الوقت النوعي والمشاركة الفعالة مع الأولاد



قد يدَّعي بعض الآباء والأمهات أنهم يقضون الكثير من الوقت النوعي مع أولادهم، وفي واقع الأمر، إن هذا الوقت لا يقضونه مع أولادهم، بل على مقربة منهم، فلربما يكونون في الغرفة نفسها بأجسادهم، ولكنهم فعلياً مشغولون بمشاهدة التلفاز، أو بالقراءة، أو بالتحدث بالهاتف، أو باستعراض رسائل البريد الإلكتروني، أو بالتحدث مع الضيوف الآخرين.

والمطلوب من الوالدين المشاركة الفعالة مع أولادهم في النشاطات المختلفة؛ مثل القراءة معاً، ولعب الرياضة، أو المسابقات، وحل الألغاز، والطبخ، وتناول الطعام والتنظيف، ومناقشة أفكار، والهرولة، والمزاح، والتسوق، وبناء المكعبات، وحتى بعض الأعمال المنزلية اليومية؛ أي إن المطلوب من الوالدين ألا يتركوا الأولاد وحدهم، بل يشاركونهم في أنشطتهم المختلفة، وهذا ما يعد قضاء وقت نوعي ومفيد وممتع عن طريق المشاركة الفعّالة.

هكذا يتم قضاء وقت نوعي، ولمدة كافية بالمشاركة العائلية، ولايُترك ذلك للخدم أو للآخرين؛ لأنهم ليسوا خلفاً أو عوضاً عن الأب أو الأم في القيام بهذه المهمات الأسرية.

أجرت جريدة (واشنطن بوست) استطلاعاً مشتركاً بالتعاون مع جامعة (هارفارد) حول أولويات العديد من الرجال والنساء؛ تبين أن مواجهة الضغوط الاقتصادية والنفسية، وتعزيز الروابط العائلية، والتواصل الفعال مع الأولاد، وحض الأمهات على أن يقضين معظم وقتهن في البيت مع الأولاد هي أهم الأولويات. وقد بدا واضحاً من هذا الاستطلاع أن الأولوية القصوى كانت للتربية الوالدية السليمة. (مجلة الأسرة، ٢٠٠٥).

الإفادة من مصادر المعلومات المتوفرة في مجال التربية الوالدية

الاطلاع على الكتب والمؤلفات والدراسات التي تحتوي آراء الخبراء ونصائحهم هو أحد السبل التي تساعدنا على التربية الوالدية الناجحة.

المصادر الإسلامية مقابل المصادر الغربية

تتوفر المؤلفات التي تبحث في التربية الوالدية على نطاق واسع في أمريكا الشمالية والغرب عامة. إضافة إلى أن هناك العديد من الكتب والمكتبات والمواقع الإلكترونية التي تقدم المعلومات والمعارف التي تجعل التربية الوالدية مثمرة وفعالة إلى درجة كبيرة.

إحصاء بالمؤلفات والمراجع عن التربية الوالدية

المكتبة	عدد العناوين
مكتبة الكونغرس	٢٤٦٤
اتحاد ست جامعات أمريكية	٣٢١٥
مكتبة مقاطعة فيرفاكس العامة، فيرجينيا	٤٣٢
المكتبة الوطنية الكندية	٣٦٢

ارتفع عدد الكتب المنشورة والموزعة من ٢٧٧٤ كتاباً في ٢٠٠٧ إلى ٣٥٢٠ كتاباً في ٢٠١١م

(Bowker Books in Print, Peterson 2012)

المصادر:

مكتبة الكونغرس – الولايات المتحدة (www.loc.gov)

مكتبة مقاطعة فيرفاكس العامة (www.fairfaxcounty.gov)

مكتبة وأرشيف – كندا (www.collectionscanada.gc.ca)

ولكن عندما يسعى الآباء المسلمون إلى طلب المشورة في التربية الوالدية من مصادر إسلامية فما هو المتوفر في ذلك لهم؟ يؤكد التل والقيسي (١٩٩٠) قلة المؤلفات الإسلامية الجيدة نسبياً، والقليل منها ما يقدم تفاصيل عملية عن كيفية غرس القيم ومعايير الأخلاق الحسنة المقبولة عند الأولاد، ويواجه الآباء والأمهات صعوبات في الاستفادة من المؤلفات القديمة في موضوع التربية الوالدية، فهي تتعامل مع أزمنة وتحديات مختلفة عما يواجهونه حالياً، زيادة على ذلك، تفتقر هذه المؤلفات على الرغم من كثرتها إلى التصنيف، والفهرسة، والمراجع الحديثة، كما أن المعلومات متفرقة في عناوين واسعة من المؤلفات التي تشمل كتب الفقه والتفسير والتاريخ والشعر والتصوف وكتب الوعظ والإرشاد.

ينوِّه الدكتور الزعبلاوي في كتابه (التنشئة في سن المراهقة) إلى أن هناك القليل من المؤلفات الإسلامية في موضوع تنشئة الأولاد، خاصةً في ما يخص سن المراهقة. وقد نشرت جمعية الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا (MSA) أول كتاب تلوين إسلامي للأطفال في عام ١٩٧٣م؛ إذ لم يكن هذا النوع من الكتب متوفراً هناك آنذاك.

لقد قاسى الآباء والأمهات الذين استقروا في الغرب من ندرة المؤلفات وشحّها والتي تخص تربية الأولاد. ويذكر الدكتور مناظر أحسن، المدير السابق للمؤسسة الإسلامية في ليستر - إنجلترا، أنه على الرغم من أن المجتمعات المسلمة في الغرب كانت قادرة على إنشاء عدد لا بأس به من المؤسسات والمساجد والمدارس، فإنها لم تتمكن من «إنتاج أدبيات كافية في اللغة الإنجليزية تلبي احتياجات تعليم الجيل الأصغر سناً في المنزل أو في المدرسة» (D. Owen 1996).

كما أن المكتبة الإسلامية تفتقر إلى الكثير من الكتب في التربية الأسرية، فالمؤلفات المنشورة قليلة، والحاجة الفعلية أكبر مما هو متوفر بكثير، كذلك تخاطب معظم المؤلفات الموجودة البالغين وتربيتهم، والقليل منها ما يتناول موضوع نمو الأولاد وتطورهم، وموضوع علم نفس المراهقين، بينما نجد هناك مؤلفات عديدة وكثيرة كتبها الفقهاء في موضوعات عدة، مثل: الجوانب الشرعية لعقود الزواج، وحقوق الأزواج والزوجات والأولاد وواجباتهم، وتفاصيل الطلاق، وحساب الميراث.

فالحاجة ماسة لمزيد من الكتب والأبحاث الإسلامية التي تبرز جانب الأسرة والعلاقات بين أفرادها، خاصة العلاقة بين الأشقاء، بما في ذلك الجوانب الاجتماعية والنفسية والتنموية لهذه العلاقات. وحينما ينشد أحد الوالدين العون والمساعدة في إحدى المسائل المتعلقة بالأسرة، فسيجد أن معظم الكتب المتوافرة في هذا الموضوع تبرز المسائل القانونية والفقهية الشرعية، حتى إن كثيراً من كتب التاريخ الإسلامي التي تدرَّس في المدارس الثانوية في العالم العربي تتجاهل العلاقات الإنسانية وتنمية الشخصية، وتعرض في الغالب على القضايا السياسية وسرد أحداث الحروب أو العلاقات بين الأمم.

زيادة على ذلك، خصصت مساحة صغيرة في كتب السيرة النبوية للحديث عن الحب الفطري الإنساني، والمودة، والاحترام الذي أبداه النبي محمد ﷺ تجاه الأطفال والأولاد، وكذلك لطفه عند التعامل معهم ورأفته بهم، واحترامه لهم، واستعداده للمشاركة في ألعابهم ومواساتهم تقديراً لاحتياجاتهم النفسية والعاطفية، ولنا في قصة الأخ الصغير لأنس بن مالك، الذي كان يكنى أبا عمير خير مثال، فقد مات عصفوره الذي رباه وكان يلعب به فحزن عليه كثيراً فلاطفه النبي عليه الصلاة والسلام تهدئةً لنفسه الحزينة قائلاً له: (يا أبا عمير ما فعل النغير) والنغير هو العصفور الصغير.

بالرغم أنه لم تتح للنبي ﷺ الفرصة لتربية أبنائه الذكور لأنهم ماتوا وهم في سن الرضاعة، ولكنه ﷺ ربى بناته فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم، وشارك في تربية أحفاده الحسن والحسين وأولاد أقاربه وأولاد آخرين في المجتمع عامة، كما ربَّى ابن عمه علي بن أبي طالب وابنه بالتبني زيد بن حارثة. ومن الطريف أن نعرف أن النبي ﷺ أولى الكثير من الاهتمام للأطفال، وأظهر لهم الرعاية، والعطف، والاحترام، على الرغم من انشغاله الكبير في تأسيس الدولة الجديدة التي كانت حينها تتعرض لتهديد مستمر من أعدائها داخل مكة وخارجها.

ولا يزال الاهتمام في المؤلفات الإسلامية حتى وقتنا الحاضر موجهاً إلى القيم والأهداف المجردة، من دون الاهتمام الكافي بالطرائق والوسائل العملية لتطوير الشخصية والقيم والأخلاق عند الأولاد، فليس هناك اهتمام كاف في فهم نمو ومراحل تطور الأولاد وكيفية تنمية شخصياتهم، كذلك هناك نقص في التقنيات العملية والمهارات المتنوعة والنماذج الواقعية؛ الأمر الذي يزيد من صعوبة تطبيق المبادئ الأساسية للتربية الوالدية في حياة الآباء والأمهات اليومية.

ويعد موضوع التربية (وهي كلمة تتضمن في اللغة العربية التنشئة والتعليم والتزكية) من أهم الموضوعات التي أهملت لقرون طويلة بسبب سيطرة الاستعمار وتسلطهم في بلاد المسلمين، إذ أعطيت الأولوية الكبرى في هذه الحقبة لتحرير الأرض من المستعمر وتخليصها من براثنه، وكانت موضوعات التغيير الاجتماعي، والإدارة الناجحة، والتنمية، غير مهتم بها، ولم تكن الكتابة في موضوع الأبوة والأمومة من الأولويات، ولم تقدم أبحاث علمية رصينة في هذا الموضوع لفترات طويلة.

أعطى الإصلاحيون الإسلاميون الذين عاشوا في القيروان وتونس وغيرها من البلدان؛ مثل: ابن سحنون، والقابسي، وابن الجزار، وعلي القبيسي والغزالي والماوردي والأشبيهي، أهمية كبيرة لموضوع رضاعة الأطفال، وكيفية ضبط سلوك الأولاد والقدرة على السيطرة عليهم، وإيقاع العقوبة عليهم في الفصول الدراسية، إضافة إلى موضوع تحفيز المعلمين ومكافأتهم، إلا أنهم لم يولوا تنمية الأطفال وتربيتهم الاهتمام الكافي، والتعليم، والأبوة والأمومة؛ الأمر الذي يفسر جزئياً عدم استطاعة الحركات الإصلاحية إحياء الحضارة الإسلامية على الرغم من الجهود الكبيرة والمخلصة والعبقرية في شخص قادتها.

إننا بحاجة ماسَّة إلى معرفة متميزة وعملية في موضوعات تربية الأولاد وبناء الشخصية، والإيمان الراسخ، والمهارات المناسبة، كي نكون قادرين على إقامة مجتمع متوازن من حولنا كمحور للنهضة ولضمان مستقبل زاهر. وفي سِيَر الأنبياء في القرآن قدوة لنا للسير على نهجهم والاحتذاء بهم للوصول إلى هذا المجتمع المنشود.

ومن الجدير بالذكر أن توافر فهم أعمق لعلم وفن التربية الوالدية يساعد أبناءنا على اكتساب الصفات القيادية في وقت مبكر، وفي سبيل هذا الغرض، كلف المعهد العالمي للفكر الإسلامي الدكتور ممتاز أنور الأستاذ في جامعة الكويت عام ٢٠٠٢م بالبحث عن المعلومات المتوافرة في موضوع التربية الوالدية عند المسلمين، وخلص في بحثه إلى أن هناك نقصاً في كتب التربية الوالدية الجيدة عند المسلمين، ووجد أن نسبة المتعلمين منخفضة جداً، خاصة بين الوالدات في معظم أنحاء العالم الإسلامي.

كما يعتمد أكثر الآباء والأمهات المسلمين على الملاحظة والتجارب الشخصية في تربية الأولاد، وهذا لا يعد كافياً للوصول إلى تربية ناجحة للأولاد. فهناك نقص واضح في المؤلفات ذات الجودة العالية في موضوع التربية الوالدية- جمعاً وتعريفاً- ، كما لا يتوافر أي تدريب رسمي حقيقي متاح في هذا الحقل حتى للآباء والأمهات المسلمين المتعلمين. ومع أنه من الصعب بمكان حصر المؤلفات في موضوع التربية الوالدية بدقة في لغات العالم الإسلامي جميعها إلا أنها غير كافية أو غير معروفة.

ينبغي للمربين أن يتعلموا ويمتثلوا بالصفات التي نوّه إليها القرآن الكريم للأنبياء والرسل، نذكر منها:

صدّيق

رؤوفٌ رحيم

أُوتيَ حُكماً وعِلماً

زِيدَ بسطةً في العلم والجسم

قويٌّ أمين

حفيظٌ عليم

هل ينبغي تعليم التربية الوالدية في المدارس الثانوية؟

نقترح إعداد بعض المواد في التربية الوالدية في المدارس، فهناك سبعة من أصل عشرة من الناس يرون أن التربية الوالدية؛ هي موضوع ينبغي أن نتعلمه وندرّسه.

(Longfield and Fitzpatrick1999)

شهد العالم تغيرات كبيرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، فبعد أن كانت الأجيال المتعاقبة من أفراد الأسرة الواحدة تعيش عمرها كاملاً في القرية أو البلدة نفسها، وكان الأجداد والجدات والعمات والخالات والأعمام والأخوال والأشقّاء الأكبر سناً قريبين لتقديم المشورة والمساعدة في التربية؛ أصبحت الحياة الأسرية أكثر تحدياً وصعوبة لأسباب عدة؛ مثل وجود عدد ليس قليلاً من الأسر أحاديّة الوالدين، وازدياد حالات الانفصال والطلاق، وازدياد نسبة الأمهات العاملات خارج البيت. ولأن جهود الذين يسهمون في التوجيه ممن كانوا يعيشون ضمن العائلة الممتدة قد تشتّتت في عصرنا هذا؛ ما دعا

إلى ضرورة وجود «معلّم التربية الوالدية» الذي تُرك شاغراً؛ بسبب تقلص هذه الشبكة الأسرية الممتدة، فهل ينبغي على المَدرسة القيام بهذا الدور؟ وقد تكون تربية الولد الثاني أسهل من تربية الولد الأول؛ لأن الوالدين يستفيدان من تجربتهم الأولى، وإذا كان بمقدورنا نقل تجاربنا هذه وتمريرها للآخرين، بشكل رسميّ أو غير رسمي، فهل يجب علينا ألا نفعل ذلك؟

هناك تحديات جسيمة تقف عقبة أمام توفير مساقات ومواد دراسية في موضوع التربية الوالدية. المهم أولاً أن نوضح ماذا نريد من هذه المساقات أن تقدم للطلبة، ثم ما دور المدرس فيها؟ فنحن في هذا الصدد معنيّون بوضع مساق عن الحياة الأسرية التي تتضمن مشاعر وأحاسيس وعلاقات وارتباطات بين أفرادها. ويذهب من يعارض تدريس التربية الوالدية في المدارس الثانوية إلى أن هذه المادة يتعين ألا تدرَّس في الفصول على أنها تراكيب وقوالب جاهزة مسؤول عنها جهات حكومية؛ الأمر الذي يسمح للمؤسسات التربوية أو للسياسيين الذين يرغبون بالتدخل في حياة الأسر الخاصة بفرض سيطرتهم ونفوذهم على ما يحدث من خصوصيات في العلاقات الأسرية في هذه المادة. يحسن أن يبقى حاضراً في مدارك الوالدين وتفكيرهم أن من المفيد في التربية الوالدية طلب العون من أصحاب التجارب وذوي خبرة، على ألّا يتخليا عن دورهما هذا كلياً للمعلمين والمشتغلين في هذا المجال. ولأن لكل عائلة تفردها وتميزها؛ ينصح الآباء والأمهات، بعد المشاورات، بالإنصات إلى تقديرهم الشخصي وحكمتهم وحكمهم على الأمور، وأن يتعلموا من أخطائهم، فذلك كله يصب في مصلحة المحافظة على النظام الداخلي للأسرة.

إننا بحاجة إلى توخي الحذر عند تقديم أي إرشادات وتوجيهات بشأن الأبوة والأمومة كي نتجنب التدخل الخارجي غير المناسب في خصوصية الأسرة، وحتى لا نعد مستبدين ومتبنين لمبدأ إخضاع الفرد وسلبه حقوقه؛ الأمر الذي من شأنه أن يقلل من ثقة الأبناء بآبائهم وأمهاتهم والرجوع إليهم لطلب مشورتهم والاسترشاد برأيهم. ويَحْسُن ألا يُسمح للمعلمين غير المدربين بالقيام بدور الوسطاء أو القضاة في معالجة الخلافات العائلية.

زيادة على ما ذكر آنفاً، هناك بعض العناصر المفيدة لمساق التربية الوالدية المعد إعداداً جيداً لا يمكن تجاهلها؛ حيث يتعين علينا تعليم الولد قيمة المسؤولية التي تقع على عاتقه عند تكوين أسرة جديدة، إضافة إلى الوقت والتكلفة اللذين سيحتاجهما لذلك، ومن الضروري الحفاظ على التوازن الذي يكتمل بإعداد المواد انطلاقاً من مبادئ التوحيد والتزكية والعمران، وبناء الأمة على المفاهيم القرآنية في التربية الأسرية.

التوجيهات البريطانية لمناهج التربية في المدارس الثانوية

يتعين أن يكون هناك توازن دقيق وحساس بين الوالدين والمدارس، ويحسنُ ألا تخلوَ الدروس الإلزامية من هذا التوازن. ومع أن وكالات الصحة والجمعيات الخيرية تقدم المساعدة للآباء والأمهات الجدد في ما يتعلق بالحمل والولادة، ورعاية الأولاد الرُّضَع، إلا أن تعليم الجوانب الاجتماعية والقيم الأخلاقية يبقى موضوعاً مثيراً للجدل.

بدأت الحكومة البريطانية تدريس مادة التربية الوالدية رسمياً للأولاد في المدارس الثانوية في عام ٢٠٠٠م، فتفكك الأسرة وسكنى الأولاد في بيت أحاديّ الوالدين، يمثل مشكلة خطيرة في بريطانيا، ووصلت هذه المشكلة مستويات مثيرة للقلق في أوروبا (Woolf 1999). وقد تناولت الحكومة البريطانية المبادئ الأساسية التوجيهية لتعليم التلاميذ في الموضوعات التي اقترحها المربون والعاملون في الخدمة المدنية وعلماء النفس، وهي:

- التعامل مع الخلافات الزوجية.
- معاقبة الأولاد العقاب المناسب.
- نصائح عملية حول طريقة التعامل مع نوبة غضب طفل في السوق.
- الأدوار المتوقعة من الأمهات والآباء.
- التكاليف والطرائق العملية لتنشئة الأولاد.

- تعزيز الثقة بالنفس للأولاد بالمدح والثناء.
- القيمة النسبية للأشياء المادية مقابل الحب والأمان.
- المسؤوليات إلى جانب الحقوق والاستقلالية.
- أهمية الزواج وقيمته.
- مهارة إدارة الوقت.
- التعامل مع الضغوط في الحياة الأسرية.

وقد رأت الحكومة البريطانية أن هذا المنهج من شأنه أن يساعد في خفض نسبة الحمل غير الشرعي عند المراهقات، وتقليل السلوك الإجرامي عند الأولاد، كذلك تيقنت من أن تعلم التعايش داخل قواعد الأسرة وقوانينها وانضباطها، هو الخطوة الأولى في تعلم العيش ضمن قوانين المجتمع، وتجنب ارتكاب المخالفات والجرائم التي تؤدي إلى السجن مستقبلاً.

مع أن التربية الوالدية عَسِرة وشاقة، إلا أنها التجربة الأمتع والأشد إثارةً وتحفيزاً والتي يمكن أن يمر بها الكثرة الكاثرة من الوالدين في حياتهم كلها.

(بتول طعمة، كاتبة وأم، رسالة شخصية)

العلم يقتضي منهجيات وهياكل واستراتيجيات، وفرضيات، والفن يتطلب حكمة، وبراعة، وحَدْساً، وحباً، ومنطقاً. وتربية الأولاد هي كل ذلك: علم وفن ومتعةٌ ذاتية.

هل أولادنا غير طبيعيين؟

يرى بعض الآباء والأمهات أن أولادهم غير طبيعيين؛ نظراً لما تشتمل عليه تربيتهم من تعقيدات.

تقول أُمٌّ:

«فاجأت جيراننا أنا وزوجي بتنظيف منزلهم حينما كانوا خارجه قبل أن يكون لدينا أولاد بسنوات، كان لديهم ثلاثة أولاد صغار، وكانت ألعابهم الكثيرة مبعثرة في أنحاء المنزل جميعه. بعد ست ساعات من التنظيف والترتيب شعرنا بالإرهاق، فاستلقينا على أريكتهم ونحن نهز رؤوسنا غير مصدقين ما يمكن أن يفعله الأولاد. قلنا وقتها: هذا لا يمكن أن يكون وضعاً طبيعياً عادياً، وإذا كان هذا هو الأمر الاعتيادي لمن ينجب الأولاد، فلن ننجبهم أبداً. ولكن بعد عامين وولدين، أيقنت أن وضع جيراننا كان عادياً مألوفاً، فحال غرفة جلوسنا الآن كما كان حال منزلهم».

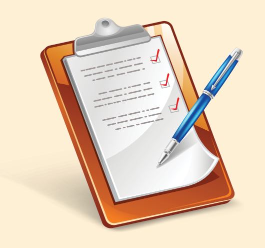
(Faber and Mazlish 1982)

الخلاصة

سواء دُرِّسَتِ المقررات دراسة رسمية أو غير رسمية، هناك أمرٌ واحدٌ مؤكد، وهو أن التربية الوالدية الصحيحة وتداعياتها على المجتمع عامة أصبحت معروفة على نطاق واسع، وأن الاستعداد لمواجهة الواقع قبل حدوثه، خلال مراحل الزواج، والأبوة والأمومة، وتنشئة الأولاد، يمكن فعلاً أن يكون السبيل لمنع الكثير من المعضلات التي قد يواجهها الآباء والأمهات مستقبلاً.

وإذا أدرك الوالدان ما يمكن تحقيقه بالقيام بدورهما كاملاً، والنجاح الذي يجلبه لهما هذا الدور وللمجتمع، فإنهما سيكونان حينئذ على استعداد لفهم علم التربية الوالدية الناجحة وفنها، وعندئذ أيضاً سيضحيان بكل ما في وسعهما بسعادة وبطيب نفس من أجل أبنائهما.

كذلك يعدّ الاعتماد على الحكومات، والمدارس، أو وسائل الإعلام، لبناء وتربية مواطنين نموذجيين؛ مقامرة في أحسن الأحوال، أما في أسوأ الأحوال؛ فهو تهرب كسول من واجبات الوالدين. فمن ذا الذي يستطيع بذل مزيد من الجهد المخلص في رعاية الأولاد أكثر من والديهم؟ أليس من المؤكد أنه لا جهة أخرى تستطيع أن تنافس الوالدين في ذلك!



الأنشطة

النشاط ٩: هل تساءلت لماذا؟

ناقِش ما يأتي مع أولادك، واستشهد بالتجارب الشخصية لأقاربك وأصدقائك.

تأمل: كيف يمكن:

- لشخص ما أن يكون عالماً كبيراً، ولكنه في الوقت نفسه مُخْفِقاً في العلاقات الاجتماعية؟
- للآباء والأمهات أن يكونوا محبين وعطوفين وحنونين، ولكنهم في الوقت نفسه لا يقضون وقتاً ولو كان قصيراً مع عائلتهم؟
- لشخص ما أن يكون متديناً، ولكنه غير منطقي وعقلاني في الوقت نفسه؟
- لشخص ما أن يكون لديه ثقة كبيرة بنفسه، ولكنه في الوقت نفسه لا يثق بالآخرين؟
- لشخص ما أن يكون مفكراً عظيماً، ولكنه في الوقت نفسه غير منظم؟
- لشخص ما أن ينفق بسخاء على نفسه، ولكنه في الوقت نفسه بخيل تجاه الآخرين؟
- لشخص ما أن يكون غنياً، وفي الوقت نفسه شديد البخل؟

ربما كان من الممكن أن تلعب التربية الوالدية السليمة دوراً مفيداً في تصحيح المشكلات أعلاه.

النشاط ١٠: أسلوبك في التربية

أي أسلوب من أساليب تربية الأولاد تجده أقرب إلى أسلوبك؟

حدد نقاط الضعف في أسلوب تربيتك لأولادك، واتخذ الخطوات اللازمة للتغلب عليها. ناقش هذا الأمر مع أولادك بانفتاح وشفافية وسلهم عن انطباعاتهم حول ممارستك للتربية.

النشاط ١١: قائمة بالتصرفات غير الصحيحة الشائعة عند الأولاد

هل ولدي غريبٌ فريدٌ من نوعه؟

يرى بعض الآباء أن أولادهم إما أفضل بكثير من الآخرين وإما أسوأ بكثير منهم، فينظرون إليهم كأنهم من سلالة خاصة. وفي الواقع؛ يتشابه الأولاد في غالبية الصفات مع أقرانهم، لذلك يعدّ تبادل الخبرات بين الآباء أمراً مفيداً جداً.

ضع قائمة بالمشكلات السلوكية التي تنطبق على أولادك، وناقش طريقة الحل. ابدأ بالمشكلات التي يسهل حلها من أجل تحفيزهم وتشجيعهم.

ضع قائمة: «ما عيوب ولدي؟»

وفي ما يأتي بعض المشكلات السلوكية للأولاد بصورةٍ عامة:

الفشل في المدرسة.

الكسل.

الإفراط في تناول الطعام، أو في قلة الأكل المضرة بالصحة.

له أو لها تسريحة شعر تزعجك.

الرد غير المؤدب على كلامك.

له أصدقاء أنت لا ترضاهم ولا تطيقهم.

رفض الصلاة والصيام أو الفروض الدينية.

الامتناع عن المشاركة في أعمال المنزل.

العبوس مع صمت طويل.

رفض اللباس الأنيق.

الانغماس في اللغو والمجادلات الكلامية.

قلة احترام كبار السن.

السهر والبقاء خارج البيت حتى وقت متأخر من الليل.

كره المكوث في البيت.

كثرة المكوث في البيت والانزعاج من الخروج منه.

السرقة.

الكذب.

التدخين.

السب والشتم واللعن.

المشاهدة الزائدة للتلفاز والاستخدام المفرط للهاتف الجّوال والأجهزة الحديثة.

ضرب الآخرين.

الردّ الفظّ عند النقاش.

مشاهدة أفلام الرعب أو الأفلام الجنسية.

تناول الوجبات السريعة دوماً.

قلة الأدب مع الجيران أو الزوّار أو الأقارب.

تشغيل التلفاز / المذياع بصوتٍ عالٍ.

تجنب غسل الوجه واليدين بشكل صحيح.

المكوث الطويل في الحمام.

بعثرة الأشياء في أنحاء المنزل.

ملحوظة للآباء والأمهات: هل تسمح ظروفك بأن تعكس هذا التمرين؛ أي أن تسمح لأطفالك بوضع قائمة: «ما عيوب والديّ؟» وهل لديك الشجاعة الأدبية والحكمة والشفافية لإشراكهم في هذا التمرين؟

النشاط ١٢: تأملات في قصيدة

اطلب من عائلتك الجلوس معاً، وليقرأ أحد أولادك هذه القصة بصوت عالٍ. اطلب من الجميع التفكير في سلوكهم الواحد تجاه الآخر، وتقديم الاقتراحات الملموسة للتحسين:

الأمُ: اصطدمت في طريقي بامرأة عن غير قصد قلت لها: آه، عفواً، اعذريني.

ردّت قائلة: اعذريني أنت أيضاً؛ أنا لم أنتبه.

كلانا كنا مهذبين

واصلنا السير في طريقنا بعد أن ودّع أحدنا الآخر بابتسامة ولكن، هناك في المنزل حدثت قصة مختلفة تماماً حول الطريقة التي نعامل بها من نحبهم من الصغار والكبار.

ففي وقت لاحق من ذلك اليوم عندما كنت منشغلة بإعداد العشاء وقف ولدي الصغير بجانبي متسمراً، وحين استدرت، اصطدمت به وأوشك أن يقع.

قلت بتجهّم: إياك أن تقف هكذا دائماً في طريقي!

مشى مبتعداً عني منكسر الخاطر لم أدرك مدى قسوة كلامي معه.

في ما بعد، حين استلقيت على سريري سمعت صوتاً خافتاً من داخلي يقول:

«حين تتعاملين مع شخص غريبٍ تتخيرين ألطف الكلمات لخطابه وحين تتعاملين مع أحد أفراد عائلتك الذين تحبينهم تؤذينه بسوء تعاملك وخشونة ألفاظك اذهبي وانظري إلى أرض المطبخ ستجدين هناك بعض الزهور التي أحضرها ابنك لك

اختارها لك بنفسه: ألوانها زهري وأصفر وأزرق لقد حافظ أمامك على هدوئه وأدبه حتى لا يفسد المفاجأة ولكنك لم تري الدموع التي ملأت عينيه الصغيرتين.

وقتها فقط شعرت بصغري وهواني مما ارتكبت وبدأت دموعي تنهمر..

اتجهت إليه بهدوء انحنيت راكعةً بجانب سريره وقلت:

أفِقْ يا صغيري، أفِقْ، هل أحضرت هذه الزهور من أجلي؟!

فتح عينيه وابتسم قائلاً: لقد وجدتها هناك قرب الشجرة

قطفتها لك لأنها جميلة مثلك توقعت أنها ستعجبك لا سيما الزرقاء منها.

قلت له: آه يا بني، أنا آسفة جداً على تصرّفي معك اليوم.. ما كان يجب أن أصرخ في وجهك.

قال: آه يا أُمّاه، لا تقلقي، أحبك على أي حال.

قلت له: أنا أحبك أيضاً يا بني، وأحب الزهور كثيراً، ولا سيما الزهور الزرقاء.

النشاط ١٣: بين آباء وأمهات اليوم وآباء وأمهات الأمس

تأمل هذه الأسئلة، ثم ناقشها مع أولادك:

كيف تصف علاقتك مع أبنائك مقارنةً بعلاقتك مع والديك؟ ما هي أوجه التشابه والاختلاف بين العلاقتين؟ هل تتواصل مع أبنائك بحرية أكثر مما كان والداك يتواصلان معك؟

(أجاب ٧٦٪ من الآباء الأمريكيين بنعم).

هل تتحدث مع أطفالك أكثر مما كان والداك يتحدثان معك عندما كنت في الجامعة؟

(أجاب ٧١٪ من الآباء الأمريكيين بنعم) (Kantrowitz and Peg 2006)

اطلب من أفراد أسرتك جميعهم أن يفكروا بطرائق ووسائل أكثر للتفاعل مع محيطهم والاتصال بمعارفهم، وحاول الاستشهاد ما أمكن بقصص الآباء والأجداد في هذا الجانب. فإيراد هذه القصص يساعد على تأكيد هويتهم وتغذية شعورهم بالانتماء لتراث الأجداد، كما تعلمهم تاريخهم الوطني الذي يكاد يندثر نتيجة لمحاولات الفكر الاستعماري طمس

معالم التاريخ الحقيقي عند الأجيال في أدبيات الدول الصناعية.

النشاط ١٤: تستطيع إحداث تغيير بوصفك والداً!

ناقش ما يأتي مع أولادك:

قال لي صديق: «لا يهمّ كثيراً كيف أربّي ولدي، فأنا مجرّد شخص واحد». لو توقف كل فرد في العالم عن محاولة إحداث تغيير لأنه شخص واحد فقط، إذاً من سيحدث التغيير؟ هذه مغالطة، فنحن نعلم أن أنبياء الله كانوا أفراداً، وبدأوا رسالتهم بمفردهم، كذلك كان الصحابة العظام رضوان الله عليهم، والعلماء، وكثير من الحكماء من الرجال والنساء في التاريخ، لقد بدأوا جميعاً تغيير العالم فرادى، ثم اسأل نفسك، من الذي أحدث تغييراً في حياتك؟ هل هو قريب، أم صديق، أم معلم، أم مدرب، أو مرشد ديني؟ أخبر أولادك بقصتك، ثم اطلب منهم المشاركة في قصتهم عن من أحدث تغييراً في حياتهم.

النشاط ١٥: أيها الأولاد، ماذا تتوقعون من والديكم؟

اطلب من أحد أولادك قراءة قصة («شجرة العطاء» لـ Shel Silverstein) أدناه بصوت عالٍ، ثم اطلب منهم أن يذكروا ما يتوقعونه منك. ماذا؟ ومتى؟ وكيف؟ وأين؟ بعد ذلك اذكر ما تتوقعه أنت من أولادك!

«شجرة العطاء» لشيل سيلفرستاين؛ هي قصة علاقة بين صبي صغير وشجرة في الغابة توفر للصبي ما يريده دائماً. فعندما كان يافعاً، وفّرت الشجرة أغصانها له كي يتأرجح عليها، وظلها كي يجلس تحتها، وثمرها من التفاح كي يأكل، وأغصانها كي يبني منزله. وكان كلما تقدم سِنّه؛ احتاج إلى المزيد من عطاء الشجرة؛ ولكن في الوقت نفسه لم يكن يقدم للشجرة الحزينة أي شيء بالمقابل، ومع ذلك كانت تحب صحبته، وفي نهاية قصة التضحية هذه، سمحت له الشجرة، وقد أصبحت كهلاً، أن يقطعها كي يبني قارباً ويبحر به، ففعل وترك الشجرة جذعاً يابساً، وبعد سنوات عدة، وبعد أن بلغ الفتى من العمر عتياً، عاد إلى الشجرة؛ لينعم بمكان هادئ للجلوس والراحة، فما كان من الشجرة؛ إلا أن قدمت له ما تبقّى من جذعها كي تسعد برفقته» وتثير هذه القصة تساؤلات كثيرة مثل: لماذا يفعلون ذلك؟ من المسؤول؟ وما الطريق إلى الوقاية من هذه التصرفات؟ ما الذي يجب القيام به لمنع وقوع أمورٍ مماثلة في المستقبل؟ ما العبر المستفادة من هذه القصة؟ ما هي وسائل العلاج الفعّالة؟

الفصل الثالث

التربية الوالدية السليمة، وضع الأهداف الصحيحة لها

- **تحديد الأهداف الصحيحة: الخطوة الأولى في تطبيق التربية الوالدية السليمة**
  - مخطط أهداف التربية الوالدية: الأهداف، القيم، الوسائل
- **مناقشة الأهداف: نظرة عن قرب**
  - أهداف مستوحاة من القرآن: دعاء عباد الرحمن وطموحاتهم
  - أهداف مستوحاة من حديث النبي ﷺ
- **القهوة وأولويات الأسرة**
- **خاتمة: ركّز اهتمامك دائماً على الهدف (الجائزة)**
- **الأنشطة ١٦- ٢٠**

تحديد الأهداف الصحيحة: الخطوة الأولى في تطبيق التربية الوالدية السليمة



يتعين على الآباء والأمهات القيام بالتربية الوالدية الذكية، فمع أن الكثير من الآباء والأمهات يخططون حياتهم المهنية والإجازات السنوية بأدق التفاصيل، إلا أنهم يهملون وضع خطة لهم ولأسرهم. ناهيك عن مجانبتهم لقراءة صورة الواقع وغاياته أو طموحات المستقبل وتطلعاته، ما يعني غياب التخطيط الاستراتيجي لأسرهم وغايات الإنجاز المنشود. فغياب الأهداف يؤدي إلى فقدان إنجازات كثيرة، فالتأرجح بين العمل والبيت والمدارس والإجازات، ومن أزمة إلى أخرى على أمل أن تتحسن الأحوال، يستغرق هذا كله وقتاً مهدوراً من مستقبل أولادنا دون انتباه منا، وكأننا نسير بهم بغير استهداء إلى مستقبل غير آمن، وعليه فنحن أحوج ما نكون إلى وضع أهداف طويلة الأجل واستراتيجية لتحقيق هذه الأهداف.

والمنهج المناسب للتربية الوالدية ينظر إلى الفرد والمجتمع كونهما وحدة متكاملة النظام، فلا يُبنى مجتمع قوي دون وجود أفراد أقوياء وصالحين، ولا يأتي مثل هؤلاء الأفراد من لا شيء، فهم يحتاجون إلى بيئة اجتماعية مبنية على التكافل والتعاون والتراحم بين الأفراد ابتداءً من حلقة الأسرة وانتهاءً بحلقة الأمة.

يطمح الآباء والأمهات إلى تنشئة أولاد صالحين في الأرض، ومواطنين أقوياء وموثوقين يكونون محط أمل رجاء في التنمية والإصلاح وإعمار الأرض، ومن دون هذه الرسالة والهدف يصبح الوجود البشري مفرغاً من المحتوى أو المعنى. فالحياة الحقيقية متكاملة تشمل مصالح الأفراد واهتماماتهم في الدنيا والآخرة، وفي الجوانب المادية والروحية، والشخصية والمجتمعية. وهذا هو الموضوع الرئيس والنظرة الكلية الكونية للآباء والأمهات في التربية الوالدية التي نطمح أن تكون موضع إجماع عليها.

مخطط أهداف التربية الوالدية: الأهداف، القيم، الوسائل

الأمنية الأولى: أسرة سعيدة (قرة أعين)	الأمنية الثانية: تنشئة قادة أتقياء صالحين (للمتقين أماماً)			
الأمنية الأولى: أسرة سعيدة (قرة أعين)	(١) القوة الجسدية والصحة واللياقة البدنية	(٢) الصفات الشخصية (المعدن)	(٣) العلم والحكمة والإيمان	(٤) المهارات: القدرات المهنية
• تواصل • ثناء/نقد بنّاء • التوجهات • المشاعر • الهدوء/الغضب • اللمس، القبلة، المعانقة، البهجة، المزاح • التفاهم المتبادل • قضاء الوقت معاً • البدائل عن التلفاز والهاتف الذكي النقّال • اجتماعات دورية للأسرة • الوجبات المشتركة • إدارة التوتر/الضغوط • الألعاب والأنشطة • المشاركة الفعالة مع الأولاد	• اختيار الزوج/الزوجة • نمو الطفل ومراحله • الرضاعة الطبيعية • معجزة الدماغ • الصحة: التغذية والرياضة والنوم • الجنس الآمن الحلال • تجنب المسكرات والمخدرات والتدخين	• الشجاعة • الحب • الصدق • الحرية • المسؤولية • الاستقلالية • الإبداع • احترام الذات والثقة بالنفس • الأمانة • الاحترام • الصبر • التواضع	• التربية/التعليم • الواجبات المدرسية • التعزيز والتشجيع والتمكين للأطفال • الانضباط مقابل العقاب • الإيمان • الهوية • الأسرة الممتدة	• القراءة والكتابة • مهارات الحاسوب • الأعمال المنزلية • إدارة المال والوقت • العطاء والكرم • الدعاء • فن اتخاذ القرار

يلخص مخطط أهداف التربية الوالدية أعلاه الأهداف المطلوبة لتحديد خريطة طريق وكيفية تنفيذها بغرس المبادئ والقيم ابتداءً من مرحلة الطفولة إلى البلوغ، وقد أُخذَتْ هذه الأهداف من الآية الكريمة التي تعبر عن التطلعات والأماني العميقة للوالدين: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان:٧٤). ثم من حديث الرسول ﷺ: «النَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا» (مسلم).

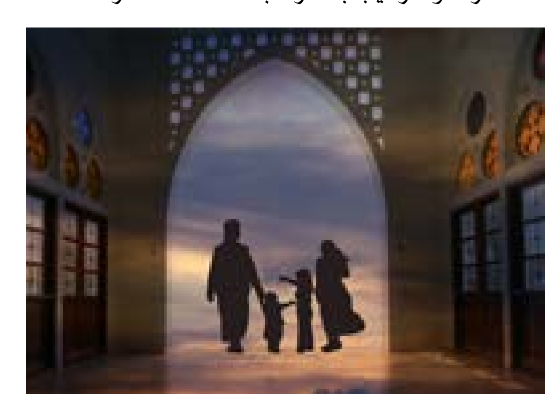
لقد تم تقسيم الأهداف إلى فئتين، وقسمت الفئة الثانية إلى أربعة أجزاء فرعية، كما هو مبيّن في الجدول. فالآباء بحاجة إلى الرجوع إلى هذا الجدول باستمرار لتكون الأهداف والقيم الأخلاقية ماثلة أمامهم في مسيرة التربية الطويلة، كذلك دراستها لتتبع مسارها في عقولهم، ومقارنة أفعالهم وتطورهم بناء على ذلك، الأمر الذي يعصمهم من أن ينزلقوا إلى هوّة التهاون أو السماح لأعباء الحياة وضغوطها اليومية الآنية بالطغيان على أولوياتهم الوالدية.

مناقشة الأهداف: نظرة عن قرب

١. أهداف مستوحاة من القرآن: دعاء عباد الرحمن وطموحاتهم

يدعو المؤمنون ربهم أن يهبهم من أزواجهم وذرياتهم قرة أعين؛ ويتكرر هذا الدعاء مرات عديدة في القرآن الكريم وتعني: قرة العين «الراحة والبهجة لنفوسنا»، لذلك كان أساس الدعاء الأولى للمسلم هو الفوز بحياة أسرية سعيدة.

وهذا لا يشير فقط إلى الأسرة صغيرة الأساس (النواة)، بل يتعدّاها إلى الأسرة الممتدة التي تشمل الزوج والأبناء والأجداد والأعمام والأخوال والعمات والخالات وأبناء العم والعمات وأبناء الخال والخالات، كما تتطلب بعض الشروط المهمة لبناء أسرة سعيدة يتواصل فيها الوالدان والأولاد، ويظهرون الحب والمودة، ويمارسون المديح والثناء والنقد البنّاء. وهناك شروط أخرى للوصول إلى أسرة سعيدة تشمل: بناء توجهات إيجابية، والتعامل مع المشاعر العاطفية بطريقة مسؤولة، والابتسامة، والتقبيل، والمعانقة، واللمس، والمصافحة، والتمتع بالوجبات الغذائية معاً، والقيام بالأعمال المنزلية مع الأولاد، وإطلاق المِلَح المستظرفة والترحيب بالأفراد بالفكاهة المستظرفة.



والطلب الثاني للمؤمنين من ربهم عز وجل هو أن يجعل أزواجهم وذرياتهم «أئمة للمتقين». وقد جاء في تفسير قوله تعالى: «واجعلنا للمتقين إماماً» تفسيرات عدة وهي: اجعلنا مثالاً للآخرين، وقدوة لهم، ودعاة للصلاح، ومرشدين للآخرين، وقادة للبشر، وقبل ذلك كله اجعلنا من المتقين، وممن يمهدون الطريق للآخرين، ويتقدمونهم فيه، هذا هو الهدف الثاني للأسرة الذي يركّز على تربية قادة ورعين ومتقين ومرشدين للإنسانية يحملون رسالة الخير والسلام للبشرية جمعاء.

وفي هذا الباب، نود أن نشير إلى أنه عند الكلام عن القيادة لا يعني السعي إلى السلطة والنفوذ، وإنما تربية أشخاص من ذوي القوة، والأخلاق المرموقة، والكفاءة العالية، والصفات الشخصية؛ ليكونوا قادة قادرين ناجحين. وكثيراً ما يكون لكلمة «قائد» دلالة سلبية عندما تشير إلى معنى غير سليم وهو أن يحرص كل عضو على نيل هذا المنصب؛ المخصص في النهاية لشخص واحد كقائدٍ أوحد.

وللتمييز بين القيادة والإدارة، فإن السعي لتمثل مبادئ القيادة الرشيدة نحو النجاح، بغض النظر عن المنصب الإداري. تلك هي قيادة النجاح، أما التمسك بأحادية المنصب الإداري الأعلى دون غيره فتلك هي الإدارة، ومن يتسلمها هو المدير، والفرق جلي بين سمات القائد والمدير، فعندما لا يكون هناك غير «قائد» رسمي واحد لأي مجموعة؛ قد تثير بذلك نوعاً من المنافسة غير المحمودة التي لا لزوم لها، ومشاعر من الطموح المحبط؛ فإذا كان لدى كل فرد رغبة شديدة لنيل هذا المنصب؛ فمن سيكون العمال أو الموظفون أو الأتباع؟ لذا يكون من أهدافنا في التربية إلهام أولادنا ليتمثّلوا الصفات التي تكون لها مبادئ القيادة الرشيدة عند أسوياء الناس.

فالقائد الحقيقي، هو من يشارك أفراد المجتمع في تحسين أوضاعهم القائمة؛ وهذه هي طريقة التقدم والتطور الفاعل. وبعبارة أخرى، لا تعني الصفات القيادية السعي والطموح إلى السلطة والنفوذ والمكانة والمنصب والمال، ولا تعني السيطرة والتحكم، بل خلاف ذلك تماماً. إن ما نقترحه هو أن يتربى الأولاد على صفات الكرم والتواضع، والسعي إلى الهدف السامي، وإدراك أنهم أعضاء فاعلون وذوو تأثير في المجتمع. فالأشخاص الذين بمقدورهم الحياة بيسر ومرونة في عالم مليء بالآراء المختلفة والمتناقضة، والذين يفيدون من ثقتهم بأنفسهم، هم من يضعون أهدافاً سامية لأنفسهم، ولا يعرقلهم أي شك بقدراتهم. ومن جانب آخر، فالأولاد الذين يخشون رفض المجتمع لأفكارهم ولمعتقداتهم أو عرقهم لن يكونوا قادرين على خدمة مجتمعهم، فيتعين إيلاء هذا أهمية كبيرة؛ نظراً لطبيعة المجتمع الذي نعيش فيه، فإذا لم يُعلَّم ويدرّب الأبناء ليكونوا على ثقة من أنفسهم أنهم سيكونون قادة لغيرهم بحق وعدالة؛ فإنهم ينقادون بسهولة لقيادة غير عادلة.



أين القادة؟ أنتم القادة!

- نحن القادة المنتظرون.
- ليست القيادة أن تكون فرداً مهماً، بل أن تقوم بخدمة هدف مهم.
- وليست أن تشغل منصباً، بل كيف تديره وتقود بنجاح.
- القيادة السليمة؛ هي فعل الصواب دائماً عندما لا يراقبك أحد سوى الله.
- كل شخص منا قائد لشخص آخر سواء أكان ذلك الشخص موظفاً، أو زوجاً أو طفلاً، بل حتى نفسك، أنت قائد!

القائد شخص يقود الآخرين وأعمالهم لتحقيق أهداف معينة، بينما المربي هو الذي يعد الأفراد ويؤهلهم لإنجاز الأهداف، لقد اختار النبي ﷺ على سبيل المثال، عمرو بن العاص وأبا عبيدة عامر بن الجراح لقيادة الجيوش، على حين بعث مصعب بن عمير إلى المدينة المنورة ومعاذ بن جبل إلى اليمن سفراء للإسلام «راعين ومعلمين ومربين ومرشدين» من أجل التعليم والتربية وتنشئة الصالحين.

لم تستخدم كلمة (قائد) في القرآن الكريم بل استُخدمت المصطلحات الآتية في الأحاديث والتراث بمعاني: الراعي - والحارس - والمشرف - والموجّه والمربي - والإمام - والشخص المقدام - والقدوة - والمهذب - وباني الأخلاق الحميدة (المؤدِّب) - والمعلم والمراقب - والمرشد - والمدرب.

وليس من قبيل المصادفة أن العديد من الأنبياء كانوا رعاة أغنام، بما في ذلك شعيب، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلى الله عليهم جميعاً، ويوحي عمل الراعي باللطف والعناية والاهتمام والتعاطف والتواضع مع الأتباع. وهذه هي الصفات الأساس اللازمة لتربية الأولاد، وكم هو جميل تشبيه الآباء والأمهات بالرعاة الذين يحرسون قطيعهم. وبناء على ذلك فإن القائد راع ومراقب ومدرب ومعلم.



قائد أم راعٍ؟

استُخدمت كلمة «قائد» في ثقافات مختلفة، ولكنها لم تستخدم في القرآن والسُّنة، واستخدمت كلمة «الراعي» كما ورد في الحديث:

«كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤولٌ عن رعيّته. الإمامُ راعٍ ومسؤولٌ عن رعيّته، والرجلُ راعٍ في أهله وهو مسؤولٌ عن رعيّته، والمرأةُ راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيّتها، والخادمُ راعٍ في مالِ سيّده ومسؤولٌ عن رعيّته، والرجلُ في مالِ أبيه راعٍ ومسؤولٌ عن رعيّته، فكلّكم راعٍ وكلّكم مسؤولٌ عن رعيّته» (البخاري).

٢. أهداف مستوحاة من حديث النبي ﷺ

يقول النبي ﷺ: «النَّاسُ مَعادِنُ، خِيارُهُمْ فِي الْجاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ، إذا فَقِهُوا» (مسلم).

يرشدنا هذا الحديث إلى فوائد جَمَّة، فبناء الشخصية ذات الأخلاق الحميدة تبدأ من مرحلة الطفولة المبكرة، ويسري هذا على كل إنسان، سواء أكان مسلماً أو غير مسلم (كما يرشد إليه الحديث)، فالشجاعة والإبداع والصدق والمحبة والثقة؛ صفات كان يتحلى بها العديد من الرجال والنساء قبل البعثة النبوية. كذلك نتعلم من هذا الحديث أن خير الناس هم أولئك الذين يمتلكون هذه الصفات الأخلاقية التي جاء الإسلام، فتممها ودعا إلى صالح الأخلاق منها وأضاف إليها الحكمة والمعرفة والتوجيه الإلهي. كما يخبرنا النبي ﷺ أن المشرك الذي يمتلك هذه الصفات يمكن أن يصبح إذا اعتنق الإسلام وفقهه من أفضل المسلمين أخلاقاً وشخصية.

مشرك رائد ← يسلم ويعي الإسلام ← مسلم رائد

ويظن بعض المسلمين أن صفات مثل: الشجاعة والصدق والأمانة عند المسلمين العظماء (مثل عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وحمزة) جاءتهم بعد أن اعتنقوا الإسلام، والحقيقة هي أنهم كانوا شجعاناً وصادقين وأمناء قبل الدخول في الإسلام. فالإسلام يتمم الأخلاق ويدعو إلى أحسنها من الفضائل والمكارم الحميدة، الموجودة سابقاً، ويضيف إليها الحكمة والمعرفة، وهنا حكمة المصطفى ﷺ (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق) «البخاري، الأدب المفرد».

ويولي هذا الحديث السمات الأخلاقية الحسنة اهتمامه، فتوافر بعض الشروط الضرورية في المؤمنين، مثل اللياقة البدنية والصحة الجيدة (خاصة للأم في أثناء الحمل والرضاعة) في غاية الأهمية. فالممارسات المؤذية، مثل تناول الخمور، وتعاطي المخدرات، والتدخين، وممارسة الجنس خارج نطاق الزواج تضر بصحة الأم الحامل والجنين.

ما يدعوننا لأن نسعى إلى غرس الأخلاق الحميدة وتنميتها كالشجاعة، والصدق، والإبداع، والأمانة، والكفاءة، والحب، والمسؤولية. وهذه الصفات بحاجة إلى تهيئة أجواء مناسبة كي تنمو وتزدهر بصورة طبيعية، لذلك تعد السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل من أهم السنوات التي يتعين أن تستثمر على أحسن صورة. إضافة إلى ذلك، يتعين على الآباء والأمهات إتاحة الفرصة لأولادهم لاكتساب مهارات القراءة، والكتابة، والتحدث، والقيادة، والسباحة، واستخدام أجهزة الحاسوب، والحرص على تعليم أولادهم الصبر والاحترام وفن اتخاذ القرارات. فكلما أتقن الأولاد هذه المهارات مبكراً؛ ازدادت الفوائد التي يجنوها من هذه المزايا، وفتحت لهم المزيد من الأبواب وتهيأت لهم الفرص الحقيقية.

لقد وُصف النبي محمد ﷺ من قِبل أصدقائه وأعدائه أنه الصادق الأمين، وكانت هذه صفاته الأساس قبل تلقي الوحي الإلهي، ويؤكد القرآن الكريم الجوانب نفسها المذكورة في الحديث النبوي السابق «خيارهم في الجاهلية» في وصفه للأنبياء الكرام عليه السلام، مثل نوح، ويونس، وإبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وعيسى، ويوسف، وأيوب، ويعقوب، والملك طالوت عليهم السلام. فقد وصف النبي يوسف عليه السلام نفسه في القرآن الكريم أنه «حفيظ عليم» وجاء وصف نبي الله موسى عليه السلام بأنه «القويّ الأمين»، وهذه الأوصاف تتضمن المؤهلات المهمة للقيادة وهي: القوة (قوة الجسم والشخصية والأخلاق)، والكفاءة (وتتطلب المعرفة والمهارات المختلفة)، والأمانة، بمعنى آخر أن معيار الحُسْن في السلوك الإنساني يعني في المنظور القرآني المزج بين الذوق الجمالي (القوي) والمبدأ الأخلاقي (الأمين). وعلى هذا فبعض الأنبياء الخمسة والعشرين المذكورين في القرآن وُصفوا بالحكمة والصدق والعلم والرحمة والرأفة والقوة والصبر والأمانة وإنجاز الوعود، وهذه هي الصفات الرئيسة التي يتعين علينا أن نركز عليها في التربية الوالدية لتربية أولادنا وتنميتهم.

لاحظ الآيات الكريمة الآتية:

إسماعيل: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٥٤).

يوسف: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف:٥٥).

موسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (القصص:١٤).

موسى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ (القصص:٢٦).

طالوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ﴾ (البقرة:٢٤٧).

محمد: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨).

القهوة وأولويات الأسرة



تناول والدٌ جرّةً كبيرةً فارغة وملأها بكُرات التنس ثم سأل أولاده: هل الجرة ممتلئة؟ فأجابوا جميعاً نعم، ثم التقط بعد ذلك علبة من الحصى وسكبها في الجرة، وبدأ يهزها برفق فأخذت الحصى تملأ الفراغات بين كرات التنس. ثم سألهم مرة أخرى عما إذا كانت الجرة ممتلئة، فأجابوا بالإجماع إنها كذلك، ثم التقط كيساً من الرمال وسكبها في الجرة، فملأ الرمل الفراغات المتبقية، وسأل الأولاد: هل الجرة ممتلئة؟ فردوا بالإيجاب. بعد ذلك أحضر كوبين من القهوة من على الطاولة، وسكب المحتويات في الجرة، فملأت المساحات الفارغة بين الرمال، ضحك الأولاد مما فعله الأب، فقال لهم: أريدكم الآن أن تتصوروا أن هذا الوعاء يمثل حياتكم، وكرات التنس هي الأشياء المهمة في حياتنا: العبادة والزوجة والأولاد، وصحتك، وأصدقاؤك، وممارسة هواياتك المفضلة؛ أي الأشياء التي إذا فقدت غيرها تبقى حياتك كاملة، بمعنى آخر هي الأساسيات التي لا تكتمل حياتك إلا بها. والحَصَى؛ هي ما دون ذلك من الحاجيات التي تهمّك ولكنك تستطيع أن تحيا من دونها، مثل عملك وبيتك وسيارتك. أما الرمال؛ فهي كل ما عدا ذلك من تحسينات الحياة ومكملاتها، مثل المرح والمتعة والأشياء الصغيرة.

إذا وضعت الرمل في الجرة أولاً، فلن يبقَ مكان للحصى أو لكرات التنس، والشيء نفسه ينطبق على الحياة. فلو أنفقت كل وقتك وطاقتك على الأشياء الثانوية الصغيرة؛ فلن تجد مكاناً للأشياء المهمة. وحتى تنجح في دنياك وآخرتك يستحسن أن تركز اهتمامك على الأمور ذات الأولوية للنجاح في الدنيا الآخرة. أقم الصلاة مع الأسرة، وقدم المزيد من الأعمال الخيرية، واقض بعض الوقت باللعب مع أولادك، واهتم بصحتك، واخرج لتناول العشاء مع زوجتك، وخصص وقتاً للدراسة، ثم لا تقلق دائماً، فسيبقى هناك وقت لتنظيف البيت والعناية بالمغسلة أو تنظيفها. اعتن بكرات التنس أولاً، وحدد أولوياتك، وما تبقّى فهو مجرّد رمال.

تساءل أحد الأولاد: وماذا بشأن القهوة؟ ابتسم الوالد وقال: أنا سعيد لأنك سألت هذا السؤال. القهوة تعني أنه مهما بدت حياتك ممتلئة؛ هناك دائماً مجال لتناول فنجان من القهوة أو الشاي مع صديق أمين.»

خاتمة: ركز اهتمامك دائماً على الهدف (الجائزة)

لقد ناقش هذا الفصل قضية الغايات والأهداف بشيء من التفصيل، متى تحدد ومتى تقع، ولكن تحديد الأهداف ما هو إلا الطريق الذي يقودك إلى الغايات، ولا يفوتنا أن يبقى في الذهن المنتَج النهائي، وهو تنشئة أولاد صالحين؛ لأن مثل هذه التنشئة سيكون لها تأثيرها المباشر على طريقة تعامل المرء مع الأولاد، وطريقة تنمية الصفات المطلوبة فيهم لتحقيق الأدوار التي يرجو الآباء والأمهات من أولادهم القيام بها عند البلوغ.

يتعين أن ننتبه إلى أخلاقنا وسلوكنا لو أردنا تحقيق الأهداف التي رسمناها لأولادنا ونحن في هذا بحاجة إلى:

١) تطبيق نظام متوازن بين الانضباط والتشجيع والدعم.

٢) أن نكون قدوة حسنة وأن نفعل ما نعظ الآخرين به.

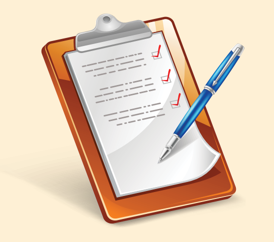
٣) جعل نظرتنا للأمور نظرة كلية شاملة ترتكز على الإحساس بالهوية والانتماء.

٤) الاعتراف بأخطائنا والاعتذار لأولادنا دون تقديم مسوغات وتفسيرات.

٥) أن نكلّل كلّ ما سبق بالإيمان والصلاة والدعاء، فالله تعالى يستجيب الدعاء من المخلصين الصادقين ويعينهم ويكلؤهم برعايته في الوقت الذي يختاره هو.



يعتمد مستقبل هذا العالم وأمنه إلى حد كبير على أجيال المستقبل. وتلعب التربية الوالدية دوراً محورياً في إصلاح المجتمع وتجديده، فلا نستخف ونستهين بآثارها، فالإنسانية تواجه مخاطر وتحديات كبيرة، يتعين أن نكون جادين في التعامل مع المهام الملقاة على عاتقنا، وهي اكتساب مهارات التربية الوالدية والعمل بها بجدٍ في حياتنا. يكون أطفالنا آباء وأمهات المستقبل، وسيعلّمون أطفالهم القيم والأخلاق والآداب التي غرسناها فيهم، وبذلك نبدأ دورة حياة تجلب الأمن والسلام والعدل والاستقرار للعالم، فالحياة لا تقاس بعدد الأنفاس التي نستنشقها، ولكن باللحظات التي تُبْهِرنا!



النشاط ١٦: مناقشة بيئة المنزل

اطلب من كل فرد من أفراد الأسرة الإجابة عن هذه الأسئلة:

هل تشعر بالسعادة عند دخول المنزل والخروج منه؟

ماذا تستطيع أن تقدم لجعل بيئة منزلك أكثر سعادة؟

اطلب أمراً واحداً فقط من كل فرد من أفراد الأسرة يقوم به؛ من أجل تعزيز السعادة في المنزل.

النشاط ١٧: أيها الآباء والأمهات؛ علموا أولادكم

راجع البنود أدناه بالتدريج (موضوعين أو ثلاثة كل جلسة) تأمّل، وناقش طريقة تعليمها لأولادك، ثم عالج النقص الحاصل في تدريب أولادك:

- طريقة زرع زهرة يحبونها، والأطفال عادةً يحبون اللعب بالطين والحفر وخراطيم المياه.
- تجنب رمي القُمامة على الأرض، والتعوّد على إماطتها إن وجدت.
- طريقة الاتصال بك في العمل.
- طريقة الاتصال بالطوارئ، ومتى؟ ولماذا؟
- سداد ما اقترضوه من دين بأسرع ما يمكن.
- أدب الحوار والاختلاف ومجاملة الآخرين.
- تجنب إيذاء الآخرين.
- عدم الخوف من الحيوانات والحرص على الرفق والإحسان إليها والتعامل معها برحمة.
- احترام كلمتهم وجعلها عهداً عليهم (وَعْدُ الحرِّ دينٌ عليه).
- إزالة الأوساخ التي يحدثونها.
- المشاركة والاهتمام: كما يقال فإن الفرح مع الآخرين فرح مضاعف، والحزن مع الآخرين نصف حزن.
- احترام السلطة الشرعية، ولكن من دون رهبة وخوف.
- تكوين صداقات مع أولاد من الأديان والأجناس والأعراق والألوان جميعها، حتى أولئك الذين لا يتكلمون لغتك.
- حثهم على تجربة أشياء جديدة، ولكن في حدود السلامة والمعقول.
- كيف يتصرفون إذا ضلوا الطريق.
- طريقة المنافسة والفوز من غير حزن وإحباط حال خسارتهم.
- الاستمتاع بما يقومون به من أنشطة حتى لو كانوا ليسوا الأفضل فيه.
- بذل قُصارى جهدهم، وطلب العون من الله عند وقوع مشكلة ما.
- الانتظار لحين انخفاض الأسعار قبل الشراء.
- كيفية غسل ملابسهم وطيها، وكذلك غسل الصحون والأواني.
- طريقة التعامل مع الكتاب وتقديره.
- الدقة في المواعيد، والاتصال في حال التأخر.
- البذل والعطاء والكرم والتبرع.
- كيف يكونون مرتبين وأنيقي المظهر.

الآباء والأمهات:

- لا تقل لولدك «لا تبك»؛ اسأله لماذا يبكي؟
- لا تشتر له كل ما يريده، حتى لو كنت تملك ثمنه.
- لا تنتقد أخطاءه، ولكن ناقشه في سبب تقصيره وحثه على بذل أقصى جهده.
- ثق بقدرات ولدك كما هي.
- لا تنتقد زوجتك أمام ولدك.
- لا تضع التلفاز أو الحاسوب في غرفة ولدك.
- لا تستخدم التلفاز كأنه حاضنة للأولاد.

النشاط ١٨: مصطلحات وأمثال غير صحيحة في الثقافة العربية

اشرح لأولادك بعض الأمثال السائدة في الثقافة العربية وادحضها، خاصة تلك التي تتناول موضوعات مثل الاستغراق في الذات، وعدم مراعاة الآخرين، والنفاق.

إذا لم تكن ذئباً، أكلتك الذئاب. (هذا المثل وما على شاكلته يحثّ على السيطرة والهيمنة والسلوك العدواني).

اليد التي لا تستطيع أن تعضَّها قبّلها (يشير إلى النفاق).

لماذا أبالي؟ (الاستغراق بالذات، والنظرة الأنانية).

إذا متُّ ظمآن فلا نَزَلَ القطرُ (عدم الاهتمام بما يجري للآخرين).

اتّقِ شرَّ من أحسنتَ إليه (موقف سلبي خطأ).

النشاط ١٩: النظرة الكونية الشاملة القائمة على الصداقة الحقيقية

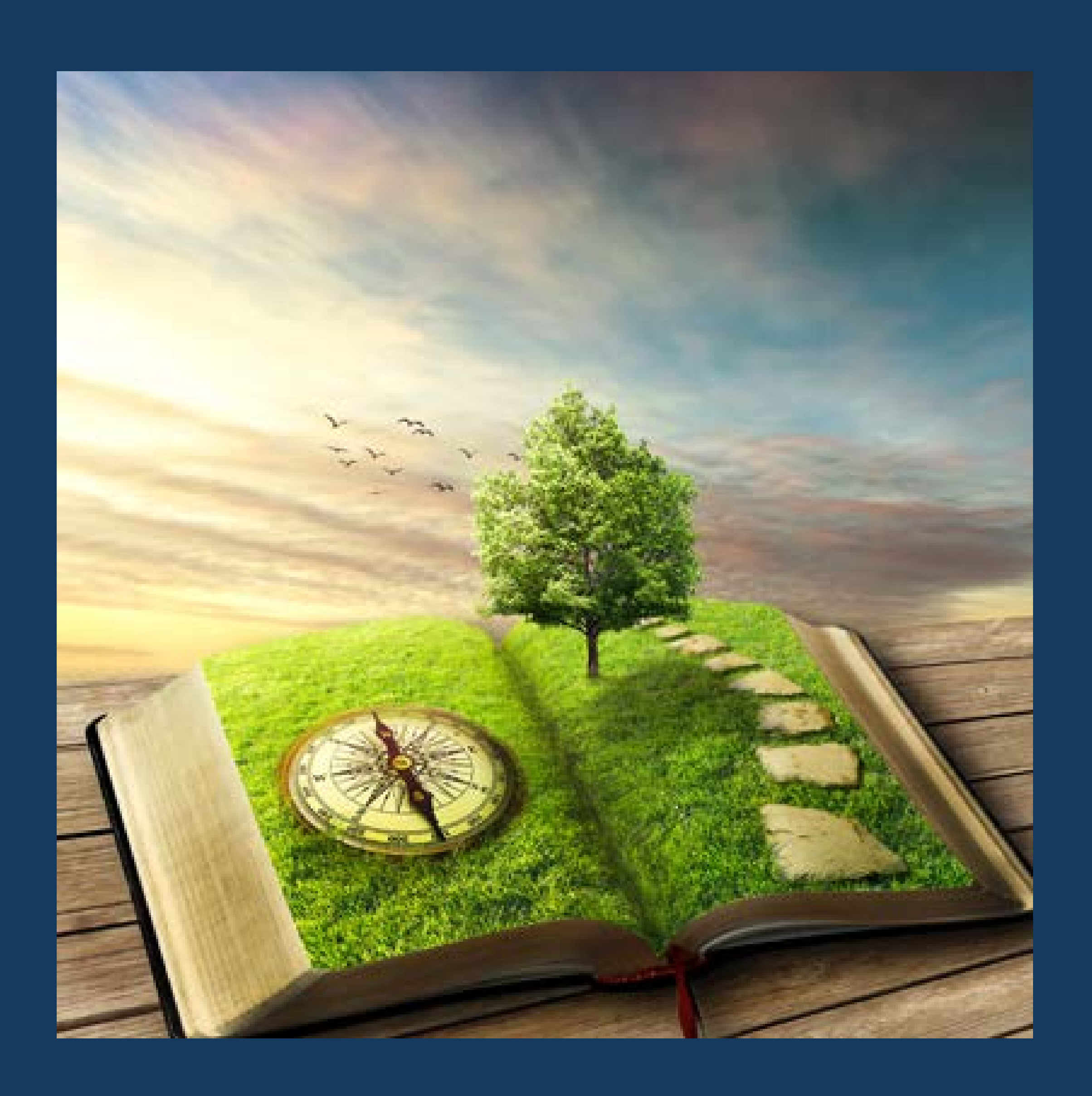
اشرح الحديث الآتي، ثم اروِ قصصاً عن صداقاتك التي سارت على نحو غير سليم، والتي شابها عدم وفاء أو عدم إخلاص.

«إنّ مِن عباد اللّه لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء؛ يغبطهم (الحسد المحمود) الأنبياء والشهداء بمكانهم من اللّه عز وجل. قالوا: يا رسولَ اللّه، من هم؟ قال: هم قوم تحابَّوا بروح اللّه على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فواللّه إن وجوههم لنور، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم تلا الآية (ألا إنّ أولياءَ اللّه لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.» (أبو داود).

النشاط ٢٠: نقاش هادئ بين أفراد الأسرة: يُجَدْوَل ويعقد بانتظام

- اعقد اجتماعاً للأسرة مرة كل شهر لمناقشة الأوضاع النفسية والاجتماعية والاقتصادية والدراسية لكل فرد من أفراد الأسرة.

تأكد من تجنب أي توتر لا مُسَوِّغ له يمكن أن يقع في أثناء المناقشات، وذلك بتخطيطك المسبق له.



الفصل الرابع

الهدف الأسمى: تربية أولاد يحبون اللّٰه ورسوله

- مقدمة
- الوسائل المتبعة اليوم لغرس بذور الإيمان في نفوس أبنائنا
- ثقافة الانكفاء على الذات: ضعف المشاركة في القضايا العامة
- الثقافة السائدة لدى العامة اليوم: نقص الإحساس بالمسؤولية الفردية
- ثقافة مشوهة: عقلية التخلف والخرافة
- النظرة الكونية غير الصحيحة: الضعف والخوف
- الطريقة المتوازنة: النهج الحكيم
- تعليم الأولاد حب القرآن الكريم
- تعليم الأولاد الصلاة: الصلة الدائمة باللّٰه
- تعليم الأولاد فن التوبة
- تعليم الأولاد السيرة النبوية وقصص الأنبياء عليهم السلام
- تعليم الأولاد الآداب الرصينة
- ما الأولى أن تقول لأطفالك أوّلاً: أحبّوا اللّٰه، أو: إنّ اللّٰه يحبكم؟
- معرفة الذات: مشكلة التربية والتعليم في العالم العربي
- الأنشطة ٢١-٢٥



مقدمة

تناولنا في فصلٍ سابق بعض الأهداف والقيم الرئيسة التي يتعين على الآباء والأمهات تحديدها في تربيتهم لأولادهم في مجالات التربية (الدينية والاجتماعية والنفسية)، ويتصدر الهدف الأسمى لمجالات التربية الوالدية قائمة الأولويات متمثلاً في الإيمان بالله تعالى. الوقت الذي نقضيه مع أولادنا محدود بلا شك، لذلك نحن بحاجة إلى تنظيم أوقاتنا، والمبادرة في إعداد جدول زمني في وقت مبكر ولا ننتظر أن ينوب عنا أشخاص آخرون في المهمة. فليس هناك أمل بأن الروحانية والأخلاق سوف تتبلور بطريقة مقبولة؛ إذ إن المجتمع الذي نعيش فيه يدعو باستمرار إلى العقلانية غير المتوازنة، وهي طريقة تفكير تقوم على استبعاد الله عز وجل ومراقبته من حياتنا، فالحذر كل الحذر من المدارس التي تضع الإله الخالق في آخر قائمة اهتماماتها.

الوسائل المتبعة اليوم لغرس بذور الإيمان في نفوس أبنائنا

يمكننا أن نصف النهج الديني السائد عند المسلمين في الوقت الحاضر أنه غالباً ما يكون شكلياً وقانونياً ويؤدي إلى السلبية في طريقة التربية. فالثقافة الدينية السائدة تميل إلى تقسيم الحياة إلى نشاطين رئيسين؛ أولهما: العبادات، وثانيهما: المعاملات. وتنحصر العبادات في التربية الوالدية على إقامة شعائر محددة تشمل الوضوء والصلوات الخمس وصوم رمضان والزكاة والحج حال الاستطاعة، وهي كذلك تحكم التعاملات الاجتماعية، بما في ذلك عقود الزواج والتجارة، وكذلك استظهار أساسيات العقيدة كالشهادتين.

ويتجاهل الآباء والأمهات المسلمون في كثير من الأحيان أهمية مسؤولياتهم على صعيد الأمة، إذ تتمحور اهتماماتهم حول ذاتهم، ولا يولون المسؤوليات الأخلاقية اهتماماً كافياً في ما يخص الأفراد الآخرين في المجتمع. ونتيجة لذلك، لا يُشجع الأولاد على المشاركة في الأمور المدنية مثل: الانتخابات والنقابات والمجالس المحلية، وما دام الوالدان قد علّما أولادهما الصلاة وقراءة القرآن؛ فإن الأولاد ينظرون إلى أنفسهم على أنهم يستحقون التهنئة لقيامهم بهذا الواجب العظيم على أحسن وجه، وهكذا يشبّ الأولاد معتقدين أن أداء العبادات الشخصية؛ هو العنصر الأساس والمركزي للحياة الأخلاقية، وأنهم إذا أدوا هذه الشعائر فإنهم يكونون بذلك قد أدوا كل ما عليهم من التزامات دينية وأخلاقية في الحياة. وهذا عادةً ما يؤدي بدوره إلى طغيان نمط حياةٍ سلبية التوجه، وتقوم على الفردية والتمحور حول الذات.

ويا للأسف، فإن هذا النوع من اللامبالاة له تداعيات واسعة النطاق، لأنه يدمر في نهاية الأمر الحياة العامة والمجتمع، والنتيجة: الخروج من هذه المعادلة بخسران مبين.



وفي الواقع، لا تعني العبادة أداء الشعائر فحسب، ولكنها تشمل القيام بالواجبات والأعمال جميعها، والمطلوب أداؤها في حياة المسلم وفقاً للمبادئ الإسلامية، وهي كذلك تعني الالتزام بالقيم، مثل: تعزيز الخير وتجنب الشر والمشاركة في الحياة العامة للناس والاهتمام بالآخرين. وإذا لم يقم الآباء والأمهات بتأصيل هذه الصفات في نفوس أولادهم، فسيورثونهم لامبالاة غير محمودة تستحكم حلقاتها عبر توالي الأجيال. لذلك بات جلياً وجود خلل وثغرات كبيرة في مسار التعليم الديني، وذلك بتأكيده الزائد على أداء الشعائر، وجعلها هدفاً في حد ذاته، والتقليل من شأن تزكية النفس والتنمية والعمران والتطوير الذاتي والاهتمام بالشؤون العامة.

وفي الحقيقة تتضمن كلمة «عبادات» أيضاً الذكر، وهو يعني التذكر المستمر لله والصلة به عز وجل للوصول إلى الاستقامة والبر والأخلاق وحسن السيرة والسلوك.

> قبل أن ننغمس في ما علينا فعله، يحسن بنا أن نتمعن في ما يحصل في محيط الأسرة.

ثقافة الانكفاء على الذات: ضعف المشاركة في القضايا العامة

أدت المواجهة التاريخية، والاستقطاب، والفصل بين العلماء والمفكرين المسلمين والقادة الطغاة والفاسدين، وكذلك عزوف الفقهاء عن المشاركة في الحياة العامة، وتركيزهم أساساً على الجوانب الشخصية والفردية من حياة الناس، وقلة تركيزهم على الشؤون العامة والسعي للوصول إلى الحكم العادل، والمشاركة السياسية، والشورى، والحقوق والواجبات المدنية، والعدالة الاجتماعية، وممارسة روح الأخوة، إلى تشويه الرؤية الإسلامية الكونية في الحياة. كما أثّرت النظرة السلبية إلى القضايا العامة على ضعف روح الفريق وغياب الاتفاق بين المسلمين للعمل على رفعة الأمة، وضعف الروابط الضرورية لبناء هذا الصرح العام المشترك.

فدوام الحضارة لا يمكن أن يكون إلا بالتركيز على الإخلاص الشخصي، والبناء على قدر كبير من الاهتمامات المجتمعية والعامة، وبمعنى آخر تطبيق مفهوم الاستخلاف في الأرض يكون بالعطاء والتطوير والقيام بواجب العمران القائم على الصالح العام جيلاً بعد جيل. ومع أن الاهتمام بالشؤون الشخصية والأُسرية في الفقه الإسلامي هو أمر ضروري، إلا أنه لا يكفي وحده في إنتاج بناةٍ لحضارة أمة، فخطابٌ كهذا قد يساعد في إنتاج الخير، ولكنه في النهاية يؤدي إلى السلبية وخنوع الأفراد والمجتمعات للهيمنة الاستبدادية.

ولا شكّ في أن الذين تربوا في ظل الثقافة الدينية الشكليّة والتقليدية؛ سيؤدون عباداتهم من وضوء وصلاة وصوم وحج تأدية سليمة، ولكنها وحدها لاتقود إلى الاهتمام بأمر الآخرين والمواطنة الصالحة والمشاركة العامة وتعزيز خدمة المجتمع. فالاعتماد الكلّي على الحكومات لتزويد الناس بالخدمات الجاهزة، بدلاً من تحمل كل منّا مسؤولياته الشخصية والعامة، يؤدي بنا إلى أن نصبح عاجزين عن التفكير الذاتي أو اتخاذ قرارات مصيرية لمستقبلنا، أو زيادة معرفتنا، أو العناية بمصالحنا، وبمعنى آخر، تنتصر اللامبالاة على المشاركة الفعالة، فالأولاد الذين نشأوا في مجتمعات من الظلم والاستبداد والقمع الديني لا يتوقع منهم أن يكونوا أحراراً أو مفكرين مبتكرين، أو يمتلكوا روح العمل الجماعي، أو أن يكونوا رواداً للتقدم الاجتماعي، بل ينتهي بهم الأمر غالباً إلى العُزْلة.

يرسّخ بعض الآباء والأمهات خلق الأنانية في أولادهم، وذلك منذ ولادة الطفل إلى وصوله مرحلة البلوغ. وغالباً ما ينصبّ اهتمامهم وجهدهم على ما سيرتديه ولدهم، عوضاً عن تعليمه الاهتمام والإحساس بالآخرين، أو غرس الشعور بالمسؤولية في وجدانه تجاههم، ولا سيما الفقراء والمحتاجين، أو الاهتمام بالبيئة عامة. وينفق الكثير منا أموالاً طائلة لشراء ألعاب لأولادهم قد تتكسر أو تتعطل بسهولة، في الوقت الذي نتجنب فيه الإحساس بمعاناة فقير يستجدي طعاماً أو ملابس على الأرصفة.



لا شك أن هناك انفصاماً وانقساماً في عقلية الأمة عامةً؛ إذ ينشغل كل فرد في التفكير بنفسه ومصالحه الشخصية والأسرية الآنية، بينما يتجاهل مصالح أمته، وأفراد في مجتمعه كالأقارب والجيران وينطبق هذا على الأفراد، وعلى الدول أيضاً. وهكذا غدت الثقافة الإسلامية الحالية ضيقة الأفق ومشوهة

وخالية من مشاعر حسن الجوار وروح العمل الجماعي التي نسعى أن تكون السمة المميزة لها.

تأمل هذا الموقف من مواقف أبي بكر الصديق، عندما كان على استعداد للتبرع بثروته كلها للمجتمع، فسأله الرسول ﷺ: «ما تركت لأهلك؟» فأجاب: «تركت لهم الله ورسوله». لم يكن عمل أبي بكر الصديق هذا دليلاً على إيمانه القوي فحسب، ولكنه أيضاً دليل على قناعته بأن النبي ﷺ والمجتمع سوف يتكفلان برعاية أسرته عند الحاجة. ولو شك أبو بكر يوماً أن أسرته سوف تعاني وتجوع وتضطر للتسول في الشوارع؛ لاحتفظ بمعظم ثروته واكتفى بالتبرع بجزء يسير منها.



لا يلقى باللوم والمسؤولية في الوضع الحالي البائس للعالم الإسلامي على اتساع رقعته الشاسعة التي تضم العديد من الأعراق بمختلف اللغات، أو على أن الأنظمة التي تحكم الناس في العالم الإسلامي قمعية، أو على المعاناة التاريخية الطويلة له تحت وطأة الاستعمار.. إلخ. فالمسلمون يشكّلون اليوم ما يزيد عن ربع سكان العالم، والإسلام يدعو إلى التعايش السلمي والتكافل الاجتماعي، كما يدعو إلى الوحدة والأخوة والتضامن والرحمة، فلا يعزى سبب تفرقهم إلى الإسلام، كما لا يمكن أن يُعْزى إلى العوامل السياسية والاقتصادية، فالركود الاقتصادي والسياسي هو عرض من الأعراض وليس سبباً.

ويبقى السؤال: من هو المسؤول؟

الجواب واضح في كتاب الله الكريم، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١). ولا يسعنا أن نشدد على هذا أكثر من التشديد الذي ورد في الآية، فسبب سوء حال المسلمين هم أنفسهم وبما كسبت أيديهم.

الثقافة السائدة لدى العامة اليوم: نقص الإحساس بالمسؤولية الفردية

تمثل كتب الفقه المرجعية الدينية والثقافية الأساسية في التربية، كونها المرشد للمسلم في تنميته لشخصيته، فكان من الضروري إعادة النظر فيها بإضافة أبعاد غائبة، مثل الاهتمام بالمجتمع المسلم خاصةً والمجتمع الإنساني عامة. ويتضح هذا البعد بجلاء في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر:٩).

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ (الماعون:١-٧).

وما لم نهتم بالآخرين في المجتمع، مثل الفقراء والأيتام والأرامل والجيران والمحتاجين، فلن نكون قادرين على تحقيق المجتمع الذي نطمح إليه. حيث إن هناك صلة مباشرة وقوية بين العبادة الشخصية السليمة ورفاهية المجتمع، فتأدية الشعائر الدينية مرتبطة برعاية الأيتام، وإطعام الفقراء، ومساعدة الجيران. والهدف الحقيقي للعبادة بمفهومها الشامل هو إعداد الفرد لخدمة البشرية والإنسانية. ويؤكد وجود ظاهرة التسول في شوارع العالم الإسلامي عن خلل متجذر في حياتنا اليوم في فهم معنى المسؤولية الحقيقية.



ترشدنا التوجهات النبوية إلى ضرورة الاهتمام بأمور الناس، حيث ورد عن النبي ﷺ أنه قال: (الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) (مسلم) وقال ﷺ (ما من امرئٍ يخذل امرءاً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحدٍ ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته) (مسند الإمام أحمد).

والكثير من الناس يشعر بمسؤولية ضعيفة تجاه أنفسهم أو الآخرين أو مستقبلهم، خاصة في المجتمعات التي يكون عائد العمل الجاد الصادق فيها ضئيلاً، أو يكاد يكون معدوماً للفرد، فينتج عن ذلك تجنب الفرد لبذل الجهد والاستقامة ويطالب الآخرين أن يؤدوا واجباتهم تجاهه، على حين ينكر أنه يدين بأي مسؤولية لنفسه أو لأسرته. فمفهوم المسؤولية تجاه النفس يكاد يكون مفقوداً في المجتمعات المسلمة المعاصرة، وهو نتيجة مباشرة لانتشار مفهوم الجماعية الذي يعطي الأولوية لعموم المجتمع على حساب الفرد. وتعدُّ القبلية والعشائرية من أقدم الأشكال البدائية للمفهوم الجماعي بوجهه السلبي في العالم الإسلامي، وقد استبدلت هذه الأشكال اليوم بصيرورة الإنسان عبداً للحكومات والأنظمة.

يعزز التفكير الجماعي بوجهه السلبي ثقافة الاعتماد على الآخرين بدلاً من الاعتماد على النفس. ومن الناحية الفكرية تؤدي عقلية القطيع إلى قتل التفكير الإبداعي الشخصي والابتكاري الاجتهادي، الذي يعد المحرك الرئيس للتقدم الإنساني. فمن الناحية الاقتصادية؛ فإنه يثبط أيّ حافز لزيادة إنتاجية الأفراد، ويحولهم إلى مستهلكين خاملين. ومن الناحية النفسية، فهو يحجب رؤية الأفراد لأنفسهم على أنهم خلفاء في هذه الأرض، كما تعزز الجماعية الهمجية ثقافة التبعية؛ إذ تقلُّ ثقة الفرد بنفسه، ومن الجانب الأخلاقي؛ فإنها تؤدي إلى الجبن والبخل، ومن الناحية السياسية؛ تؤدي إلى تناحر الفرق، ومحاولتها فرض إرادة بعضها على الآخر، أو فرض إرادة «الرجل القوي» على المجتمع كله.

وعلى نقيض ذلك، يدعو القرآن الكريم الأفراد كافة إلى القيام بدورهم بوصفهم خلفاء في الأرض، والخضوع باختيارهم لإرادة الله، ويشجع على العمل الجاد لتحقيق الخير بكافة دوائره بدءاً بدائرة النفس ومروراً بالأسرة، وانتهاءً بدائرة الأمة. وإذا كنا حقاً نرجو للآخرين ما نرجوه لأنفسنا؛ فإننا نحب للآخرين أن يكونوا عقلانيين ومسؤولين وأحراراً، وليس هذا هو الواقع. فالأولاد ينشّأون في بعض البلدان الإسلامية على السلبية وعدم التفكير النقدي، ويتعلمون من المسائل ما عفى عليه الزمن، كتعليمهم ما يتعلق بأحكام الرق من حيث بيعهم

وشرائهم. وحين ندرّس الشباب المسلم الموضوعات التي لا علاقة لها بحياتهم، فإننا نضيع فرصة ثمينة للتركيز على تزكية النفس وتنمية التعاطف ومحبة الآخرين والاهتمام باحتياجاتهم. وهذا النقص في التراحم هو آفة خطيرة في تكوين شخصية أجيال المستقبل.

يعدُّ السبب الرئيس وراء تعليم الأولاد حسابات الزكاة ليس فقط حساب النسب المئوية لما يترتب على الأنعام والتمر والشعير وغيرها من أصناف الزكاة، بل بغرس إدراك مفاهيم التكافل الاجتماعي والسماحة والتضحية والكرم، إضافة إلى البذل للمساكين والمحتاجين والفقراء ومصارف الزكاة وما هو أهم بكثير من الجوانب المادية لهذا الركن أن نغرس في نفوس الناشئة مشاعر عميقة من الرحمة والتعاطف، وكذلك تقدير معاناة من لا حيلة له ممن هم دون حد الكفاف للعيش الكريم. فممارسة الشعور بالأخوّة، وفرحة العطاء عن طريق الزكاة وغيرها من الأعمال الخيرية، هي القيم التي نحتاج إلى مزيد من التركيز لغرسها في نفوس الأولاد في هذا العمر المهم، لذا كان من معاني الزكاة التطهير وتزكية النفس، ويظهر ذلك جلياً في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٣).

ثقافة مشوّهة: عقلية التخلّف والخرافة

لقد بنيت الحضارة الإسلامية على أسس من المعرفة والعلم والموضوعية والعقل. ومما يدعو للارتياح أن نعرف أن العلماء المسلمين، الذين يعتقدون في معجزات أنبياء الله ورسله، يؤمنون أيضاً بأن المعجزة الكبرى للنبي محمد ﷺ هي القرآن الكريم. فالوحي القرآني يخاطب الفكر الإنساني ويقوم على المنطق والعقل، ويدعو إلى البحث والتأمل والاستكشاف والتفكير، وهذه هي الموضوعات المتكررة الغالبة في القرآن الكريم، والتي يحسن بالآباء والأمهات تنميتها في نفوس أبنائهم وتعظيمهما في عقولهم، فيشبّون مؤمنين بمجتمع العقل والمنطق، مع حفاظهم على الإيمان الراسخ بالله واليوم الآخر.

إن الحضارة الحقة لا يمكن أن تقوم على الخرافات والسحر والشعوذة، ولا أن يسمع المرء فيها قصصاً مَهولة عن الناس الذين يلجأون إلى التداوي عن طريق «قوى» الأرواح والجن والنجوم والسحر في التعامل مع مشكلاتهم الأسرية، بدلاً من اللجوء إلى العلاج الطبي أو النفسي الصحيح؛ إذ تعد هذه الممارسات غريبة على مبادئ الإسلام وفكره، وهي شديدة الضرر بفكر الأولاد. ويتمثّل دورنا كآباء وأمهات في غرس العقلية العلمية المسترشدة بتعاليم الوحي الإلهي التي بينها القرآن الكريم، حيث أكد في آيات كثيرة أن السنن الإلهية في الكون وقوانينه هي التي تحكم حياة الإنسان والكون المادي، وتتمثل تطبيقات تلك القوانين الإلهية في الطبيعة كاملة في شخصية النبي ﷺ كما يصفها القرآن الكريم:

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:١٨٨).

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ (الكهف:١١٠).

وقد أنتجت هذه العقلية العلمية الموضوعية واحدة من أعظم الحضارات التي عرفها العالم.

وساعد المسلمون أوروبا في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية في الخروج من العصور المظلمة التي غرقت فيها لقرون، وقادوها إلى عصر التنوير والنهضة. (الحساني ٢٠١١م).

فواجب الآباء والأمهات أولاً، ثم المدرسين ثانياً، تنشئة أولادٍ يتمتعون بالصفات الحميدة، إلى جانب فهمهم للسنن الإلهية في الطبيعة والكون، وفي العلوم الاجتماعية والإنسانية أيضاً.

وصف الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي أبعاد الحضارة الغربية على النحو الآتي:
تدين الحضارة الغربية الحديثة بالنظام الجمالي والقانوني للحضارتين الرومانية واليونانية.
وتدين بالأخلاق للنصرانية، وبالتفكير العلمي للمسلمين في إسبانيا. (مجلة الحوار / واشنطن ٢٠٠٢م).



النظرة الكونية غير الصحيحة: الضعف والخوف

قال النبي محمد ﷺ: "توشكُ أن تَداعى عليكم الأممُ كما تَداعى الأَكَلَةُ إلى قصعتها. قيل: أوَ مِن قلّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غُثاء كغثاء السيل، ولينزعن اللّه من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن اللّه في قلوبكم الوهن. قيل: وما الوهن يا رسول اللّه؟ قال: حبُّ الدنيا وكراهيةُ الموت" (أبو داود).

الطريقة المتوازنة: النهج الحكيم

يَجْدُر بالآباء والأمهات النظر بعمق في معتقداتهم الدينية؛ إذ إن الفهم الرشيد للتعاليم والمتطلبات الدينية سيكون له تأثير كبير على وسائل التربية وطرائقها. وتكمن أهمية ذلك للآباء والأمهات في أنه يجنّبهم تنشئة أولادهم على ثقافة الخوف والتخلف والأنانية والرجعية والإكراه. وقد أكّد العلماء والفقهاء الأوائل على كلٍّ من الشعائر والعبادات، وأكّد القرآن على الذِّكر، وهو تذكُّر اللّه عز وجل باستمرار وعدم الغفلة عنه. وكلا الأمرين ضروريٌّ لتربية الأولاد.

فالآباء والأمهات بحاجة لإدراك الرؤية الإسلامية الكونية الكلية لتعليمها لأولادهم في سن التمييز.

ويحسن بهم أن يبينوا لهم أيضاً أن وظيفتنا هي عمران الأرض وفقاً للقيم الصحيحة والقواعد التي سنّها اللّه عز وجل للبشرية، وأن العبادة هي وسيلة تزكية النفس لتحقيق تلك الغايات. ما يمنحهم فهماً كاملاً للغرض من الحياة، وهي السعي جاهدين للقيام بما هو صحيح.

وسلوك الوالدين هو النموذج الذي يحتذيه الأولاد عند تعرضهم لمواقف مشابهة، فالمحافظة على عباداتنا ودوام الذكر الذي يذكّرنا بواجباتنا، ويعمل على تحسين حياتنا، ويكسبنا رضى اللّه عنّا، فنحن مطالبون على وجه الخصوص أن نبذل

قُصارى جَهدنا في الحفاظ على الحياة الطيبة، والعناية ببيئتنا، وطلب العلم، وإغاثة المظلوم، وسوف يحصل الأولاد على فهم أفضل للمعنى الحقيقي من العبادات والهدف منها إذا رأوا آباءهم وأمهاتهم يمارسونها عملياً في حياتهم، بوصف هذه الحياة اختباراً للناس، كما أنها جهاد من أجل بذل قُصارى الجهد في تطوير مجتمعنا بشقيه الخاص والعام على حد سواء.

يتعين فهم الآيات الآتية الذكر على غرس النظرة العالمية المستنيرة وتأسيسها في تفكير الأولاد:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام:١٦٢-١٦٣).

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت:٤٥).

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان:٨-٩).

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور:٥٥).

تعليم الأولاد حبّ القرآن الكريم

يتعين على الآباء والأمهات الذين يسعون إلى تنشئة أولاد يحبون الله ويخافونه، تجنب تقديم القرآن الكريم لهم على أنه كتاب مقدس يُقرأ في مناسبات دينية فحسب، ثم يُنحّى جانباً بقية العام. فهل نركز في تعلُّمه وتعليمه على مجرّد سرد للمعلومات وإتقان أحكام تجويده، أم زيادة على ذلك التنمية العاطفية والنفسية في قلوب الأولاد؟ فاكتساب المعرفة والمعلومات يستمرّ طوال حياة المرء، أما التنمية العاطفية والنفسية السليمة؛ فمعظمها يكون في وقت مبكر من مرحلة الطفولة، وفي الغالب قبل سنوات المراهقة.

وما يجري في وقتنا هذا هو أن المسلمين يركزون في السنوات المبكرة من أعمار أولادهم على جانب الترهيب والخوف من الله ومن وعذاب النار، وقليلاً ما يذكرون لهم محبة الله لهم والرحمة والحنان بهم وجمال السماء والكون على سبيل المثال والترغيب بما عند الله لهم، إنهم يواصلون التأكيد لأبنائهم أحياناً على الكيفية التي سوف يحرقون فيها في النار إذا عصوا الله أو عصوا آباءهم أو ارتكبوا الأخطاء، ولكنهم يهملون في الوقت ذاته الإشارة إلى ثوابهم في الجنة إذا كانوا صالحين وأطاعوا الله وأطاعوا والديهم وساعدوا الآخرين وفعلوا الخير، علماً أن التربويين يشيرون إلى خطورة ذكر النار أو أي نوع من العذاب الآخروي للأطفال قبل سن العاشرة. إننا نهددهم مراراً بالعقوبات ونذكّرهم بها كما لو أنهم أشرار مجرمون، ولكن نادراً ما نذكرهم بالمكافآت التي سيحصلون عليها من ربهم عز وجل لحسن سيرهم وسلوكهم. ويشبّ الأولاد الذين ينشؤون في مثل هذه البيئة بنفوس يملؤها الخوف والرهبة، كما يميلون إلى السلبية وعدم الثقة بالنفس، ويمكن أن يصل بهم الأمر إلى أن يشعروا باليأس والتثبيط والقنوط من رحمة الله تعالى.

يبدأ الآباء عادةً في تحفيظ القرآن للأولاد بالجزء الأخير (جزء:٣٠ «عمَّ»)؛ لأن فيه قصار السوَر التي نزلت في مكة المكرمة في بداية رسالة الوحي. وهذه السور تعطي أمثلة للعبرة بذكر قصص الجاهلين والمتكبرين والظالمين من عتاة قبيلة قريش وقادتها الوثنيين الطغاة مثل (أبي جهل وأبي لهب). كما تتحدث هذه السور، التي هي من أوائل ما نزل، عن أولئك الذين عذَّبوا المسلمين، وتآمروا لقتل بعضهم ولقتل النبي ﷺ، وشنوا الحرب للقضاء على المؤمنين. لقد كان هدف هذه السور بشكل أساسي هو إعادة هؤلاء الطغاة إلى رشدهم، فوقعت هذه الآيات القوية الصاعقة على أسماعهم مثل الرعد، وذلك لأنها تتضمن تحذيرات وخيمة. وانظر إلى الأمثلة الآتية:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسَد:١).

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ (الهُمزة:١).

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ (الغاشية: ١-٧).

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (المطفّفين:١).

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (الكافرون:١).

هذا النوع من الخطاب، الذي لم يفترض أنه أصلاً للأولاد الأبرياء هو الآيات الأولى التي تدرّس لهم في الوقت الحاضر، والسبب؟ أن سوَرها قصيرة وسهلة الحفظ. والبديل هو البدء باقتباسات كثيرة مختارة من القصص القرآني الهادف.

فغرس مشاعر الأمن والحب والكرم والدفء والحنان في أثناء الطفولة المبكرة ينسجم مع نفسياتهم في هذه المرحلة تمام الانسجام، ومن الأفضل أن نبدأ معهم بالحديث عن حب الله ورحمته وعطفه وغفرانه وكرمه، وسائر جميل صفاته، وتعزيز مبدأ أنهم جيدون، وأن نعلّمهم كيف أنّ الله يحبهم، قبل أن نعلمهم كيف يحبّون الله؛ حقيقة محبة الله لنا تأتي أولاً، وحقيقة إيماننا بحبّ الله تأتي ثانياً.

يبدأ الآباء والأمهات، وبرفق، ببيان موضوع العقاب بالنار لمن اقترف شراً منذ أن يبلغ الأولاد مرحلة الوعي والبلوغ. ويُفترض أن يبدأ الحديث معهم عن السور التي تتضمن تحذيرات وتهديدات عند اقتراف الكبائر؛ عندما يصبحون قادرين على استخلاص الدروس والعبر، وإلا فسيستسلمون للخوف وفقدان الثقة بأنفسهم إذا حصل هذا في وقت مبكر. وهم عادةً ما يتمكنون من استخلاص العبر في أواخر مرحلة الطفولة وفي سنّ المراهقة، وعندما يتقدمون بالسن بعد ذلك سيبدأون بفهم الأفكار المجردة والعواقب المترتبة على أخطائهم على نحو أفضل.

فالنظر إلى رعاية الأولاد على أنها مسألة تنمية لعقلية أولادنا ونفسياتهم، خاصة عند تدريس القرآن الكريم لهم، يفرض على الآباء والأمهات اختيار الآيات التي تتناسب مع مختلف مراحل نمو أولادهم من القصص القرآني الرائع. لقد عرف معظم الصحابة القرآن عندما كانوا بالغين، وكان للقرآن تأثير عميق في نفوسهم، فتعززت فيهم الصفات التي كانوا يتحلون بها سابقاً، مثل: الشجاعة والقوة والإبداع وما وجههم إليه من معايير أخلاقية جديدة وسامية. فيتعين على المتخصصين في العلوم القرآنية وخبراء التربية وعلماء النفس والاجتماع تقديم المشورة حول طريقة تربية الأولاد بالآيات التي تناسب كل مرحلة عمرية. مع التأكيد على تناول آيات القرآن كلها دراسةً وفهماً على مدى حياة الفرد جميعها.

ويبقى السؤال: ما التسلسل الذي يَحسنُ بنا أن نتبعه في تدريس الآيات القرآنية؟ وما الآيات التي نركّز عليها؟ وفي أي مرحلة عمرية؟

وقد يكون من غير المناسب البدء بالجزء الأخير كله لمجرد أنه يحتوي على ٣٧ سورة قصيرة؛ إذ سهولة الحفظ لا ينبغي أن تكون الحكم الوحيد في هذا. ويتعين على الآباء والأمهات الناطقين بلغة غير اللغة العربية شرح معاني الآيات لأولادهم بلغاتهم الخاصة؛ إذ يتم التركيز حالياً على القدرة على قراءة اللغة العربية وحفظ الآيات من دون معرفة المعنى. ويُوصى الوالدان باختيار ترجمة جيدة للقرآن، وتدعيم دروس قراءته بدروس تفسيره؛ من أجل أن يبدأ أولادهم بتطوير علاقة بين النظرة العالمية ورسالة القرآن. وإذا عجز الوالدان عن القيام بذلك؛ فيَجْدُر أن يعيّنا معلماً، وأن يراقبا طريقة تدريسه لأولادهم وما يدرسون، كما يُسْتحسن تشغيل تسجيلات للقرآن بانتظام في المنزل حتى يألف الأولاد سماعه، ومن المهم أن يتعود الأولاد المواظبة على قراءة القرآن بحيث يثابرون على ذلك كل يوم. ومن شأن تعلم العربية كلغة ثانية أن يعينهم على تعلم القرآن والتفاعل معه بشكل مباشر. وينتشر العديد من كتب الأولاد الجيدة التي تحتوي قصص الأنبياء المأخوذة من القرآن الكريم، مع العبر المستفادة من هذه القصص، ويَحْسُن بالأهالي شراء هذه القصص أو استعارتها بحيث يصاحب قراءة القرآن سرد قصصه؛ الأمر الذي يثير في نفوس الأولاد التشويق والتحفيز لقراءة القرآن.



تعليم الأولاد الصلاة: الصلة الدائمة بالله

ومن تعليم الصلاة الشعائري إلى الصلة الدائمة بالله تعالى في كل الأحوال، ومن معينات ذلك الأذكار، والأدعية. فهناك العديد من الأدعية القصيرة التي تشحذ العقل بفكرة وجود الله الحي القيوم، وهي سهلة التعليم والتعلم، وتساعد الأولاد على اكتساب عادة حمد الله وشكره، وطلب هدايته وحمايته. ويستطيع الآباء والأمهات، بتعليمها لأولادهم، أن يجهضوا أي محاولة لتغييب وجود الله في حياتهم. فعلى سبيل المثال، على الآباء والأمهات ذكر الله بصوتٍ عالٍ قبل البدء بتناول الطعام وعند الانتهاء منه، والطلب من أولادهم تكرار دعاء الطعام بعدهم، ودعاء دخول المنزل ومغادرته، وعند الذهاب إلى النوم وعند الاستيقاظ. ويَحْسُن أن يصاحب ذكر الدعاء توضيح الغرض من الدعاء؛ الأمر الذي يغرس في نفوسهم الامتنان والعرفان لخالقهم. إن تعوّدك ترديد (بسم الله) أمام أولادك سيدفعهم إلى الاقتداء بك وترديدها بعدك. وقد يبدو ذلك أمراً ليس مهماً أو ربما مملاً في البداية، إلا أن من المهم المحافظة عليه، ففي نهاية الأمر سوف تُعزِّز عادة المواظبة على الذكر، وتجعل الصلة بالله جزءاً من حياتهم اليومية، وسوف يجعلهم ذلك يتلمسون رحمة الله في كل شيء، وبذلك ندرك الحكمة في قول النبي ﷺ (كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عز وجل فهو أبتر. أو قال: أقطع) (مسند الإمام أحمد).

يَحْسُن جعل الصلاة أمراً ظاهراً وطبيعياً ومهماً في حياة الوالدين اليومية، لأنهما يمثلان خير قدوة لأولادهم. فارفع الأذان أمام أولادك عند الصلاة، وتعامل مع دخول أوقات الصلاة بجدية، كإغلاق التلفاز واستعداد الجميع للصلاة كي تقام في جو مناسب. كما يَحْسُن بالآباء والأمهات الصلاة أمام أولادهم بخشوع وطمأنينة، فعندما يعجل الوالدان بالصلاة، يلاحظ الأولاد هذا فيقلدون آباءهم في ذلك ويصلون من دون خشوع. كذلك الدعاء في السجود؛ كي يتعلم الأولاد فعل ذلك، ويكون الدعاء طلباً لشيء يشعر الوالدان بأنهما بحاجة إليه من العلي القدير تلبيته لهم من غير قطيعة. ويوجه الآباء أبناءهم للصلاة بتدرج وتدريب عبر مراحل، تبدأ ببيان حكمتها شكرًا لنعم الله تعالى، ثم تأتي مرحلة التعليم والتطبيق في جو مليء بالحب والرحمة والترغيب، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ ﴾ (طه:١٣٢).

تعليم الأولاد فنّ التوبة

يتعين على الأولاد إدراك أن أفعالهم كلها مراقبة من اللّه تعالى، وأنه عالِمٌ بكل شيء وإذا ما اقترف أحدهم معصية يجمل به أن يبادر بالاستغفار والتوبة فلا يكفي أن يقول الولد (آسف) ثم يمضي في طريقه كأن شيئاً لم يكن، بل يحسن به أن يعي أن الندم من ارتكاب الذنب أو المعصية يجعله يتوجه إلى اللّه أولاً، وهذا من شأنه أن يمهد الطريق لمراقبة اللّه أكثر من ذي قبل، ويتيح للآباء والأمهات تعليم أولادهم حب اللّه ورحمته بهم؛ الأمر الذي يمكنهم عندئذ من تعميق صلتهم باللّه.

على الآباء والأمهات ألا يتوقعوا من أولادهم أن يشكروهم على جهودهم في تربيتهم، بل ربما قد يحصل نقيض ذلك أحياناً من مقابلة الأولاد آباءهم بنوبات غضب ومقاومة، ومع ذلك فالاستمرار بتفسير المواقف وشرح أسبابها بحزم أمرٌ في غاية الأهمية، إضافة إلى بذل الكثير من المودة عندما يتوبون؛ الأمر الذي يعزز داخلهم التوبة النصوح والامتناع عن ارتكاب المعاصي، وعندما يكبر الأولاد ويؤذون الآخرين أو يخطئون بحقهم، فسيعرفون ما عليهم فعله لطلب مغفرة اللّه وتوبته، ولنا في التوجيهات النبوية خير مثال في التأكيد على فرح اللّه تعالى بتوبة عبده المذنب وقبوله من جديد، فقد قال النبي ﷺ: (للّه أشد فرحاً بتوبة أحدكم، من أحدكم بضالته إذا وجدها) (مسلم).

تعليم الأولاد السيرة النبوية وقصص الأنبياء عليهم السلام

ينصح الآباء والأمهات بتكوين مكتبة صغيرة منتقاة في المنزل لاكتساب عادة القراءة مع أولادهم بانتظام، لكي يشاركوهم في دراسة سيرة النبي ﷺ (حياته، وطفولته، وشخصيته، ورسالته وتعامله مع بناته وأحفاده وأصحابه).

ويتيح القصص النبوي للأولاد دخول عالم الأنبياء، وتشكيل رابطة قوية معهم، والاقتداء بهم. ويتعين أن تكون هذه القصص ملوّنة كي تتناسب مع كل مرحلة من المراحل العمرية للأولاد، كما يجب أن تركز على الجوانب التي تثير اهتمامهم. ويقرأ الآباء والأمهات لأبنائهم القصص التاريخية والبطولات وعن أهم القادة العظام عبر التاريخ. كذلك شارك أولادك وحدثهم عن إنجازات الحضارة الإسلامية، وقم بصحبتهم بزيارة المتاحف كي تتيح لهم الفرصة للتعرف على الفن الإسلامي والتاريخ والهندسة المعمارية، فالمتاحف أماكن مدهشة بما تحوي من مقتنيات من التراث والتاريخ تكون أداة يستلهمون منها التاريخ، وعادةً ما تقام فيها أنشطة مخصصة لهم؛ الأمر الذي يمكّن الوالدين من الاستفادة منها في تعليم أولادهم وتربيتهم.

هناك أيضا مواقع ممتازة على شبكة الإنترنت مخصصة لهذا الموضوع، مثل المواقع التي تتحدث عن إنجازات المسلمين في الألف سنة الأخيرة.



وتظهر المواقع والكتب وأقراص الفيديو الرقمية التي تتضمن مواد سمعية وبصرية؛ الجمال البالغ للعالم الذي نعيش فيه، فهي أيضاً مصدر آخر كبير من مصادر الإرشاد والتوجيه. ويتعين أن يشاهد الأولاد أفلاماً جذّابة في العرض والصور، خاصة تلك التي تصف عجائب خلق اللّه (معجزة النحل والنمل والعنكبوت مثلاً).

ويتزايد تعمق تأثيرات الرؤية العلمية في وجدان الأولاد مع تزايد أعمارهم، فكن على استعداد للإجابة عن أسئلة حول موضوعات نظرية لم تثبت صحتها علمياً مثل نظرية التطور وغيرها. فالأولاد يملكون نفسية هشة لحظة دخولهم العالم الخارجي الأوسع، وسيكون الآباء والأمهات ساذجين للغاية إذا ظنوا أن مبادئ العقيدة

سوف تتسلل إلى الأولاد عن طريق الانتشار والإيحاء والتماسّ العفويّ. وحين تتجذّر معرفة الله ومخلوقاته في نفوس الأولاد؛ يسهل التعامل مع مغالطات وسفسطائيات العلمانيين والملحدين في أفكارهم. ولا شك في أن الأولاد يحتاجون إلى درجة كبيرة من الثقة والأساس الثابت الراسخ كي يستطيعوا التغلب على أي محاولة لتشويه رؤيتهم للعالم وتحريفها أو تشكيكهم في ثوابتهم.

تعليم الأولاد الآداب الرصينة

يتضمن مفهوم الإسلام للسلوك مفهوم الآداب وحسن التعامل. ويجدر تعليم الأولاد عبارات (من فضلك) و(شكراً لك) و (الحمد لله) و (إن شاء الله)، إضافة إلى (السلام عليكم) تحية الإسلام التحية الجميلة التي تستبدل في كثير من الأحيان إلى كلمة «مرحباً» أو «أهلاً» أو «وداعاً» أو «صباح الخير» أو «مساء الخير» وغيرها، فالأولاد بحاجة إلى أن يتربّوا على آداب الطعام والشراب وارتداء الملابس اللائقة وطريقة التصرف اجتماعياً بكل احترام. ومن المهم الحفاظ على بيئة منزلية نظيفة ومرتبة ومنظمة كي يستوعب الأولاد هذه العادات ويعوها جيداً بأنفسهم؛ فالترف يفسد الأولاد.

وأحياناً يفضّل طهي طبق عادي على طهي عشاء فاخر؛ لكي يتعلموا تقدير قيمة الطعام عند تناولهم وجبة لذيذة بعد أن يكونوا قد جرّبوا الوجبة العادية. وقد يغرس الثناء والإعجاب المبالغ فيه بالأولاد الزهو والغرور أو التكبر فيهم.

فلا يَجْمُلُ بنا شراء كل ما يطلبونه، وإذا ما رغبوا بشيء ما رغبة ملحّة، فيسمح لهم بالحصول عليه ولكن بعد أن يقوموا ببعض الأعمال المنزلية، أو الاستفادة من الموقف بتذكيرهم حين يطلبون شيئاً ولا يُعطوه؛ بأن الله تبارك وتعالى قد يعطيهم شيئاً أفضل منه. إن إعطاء الأولاد حلولاً بديلة عندما لا نسمح لهم بالحصول على ما يريدون؛ يُهيئهم للواقع الذي سيعيشونه في العالم الحقيقي، كذلك فإن القيم والأنظمة جميعها التي يتعلمونها تعود عليهم بالفائدة سائر حياتهم.

ما الأَوْلى أن تقول لأطفالك أولاً: أحبّوا الله، أو: إنّ الله يحبكم؟

إذا تعلم الأولاد أن يقولوا: «أحب الله الذي خلقني وخلق الأرض والسموات والشمس والقمر» فما الرسالة التي تقدمها لهم؟

في بداية طفولتهم لا يكون لدى الأولاد أي مفهوم عن الله، لأنه سبحانه لا يكون حاضراً في عقولهم في هذه المرحلة العمرية المبكّرة (فكرة مجردة لم يعُوها بعد) فما الذي يهمهم في حبّهم أو عدم حبّهم لشيءٍ لا يعقلونه؟ زيادة على ذلك، فالوجود والكون في نظر الأولاد واقع عادي ولا يعد في نظرهم شيئاً فريداً أو متميزاً.

عَلِّم الولد

أن الله يحبك، وأنه خلقك ووالديك، وخلق الكون لمتعتك وراحتك، وقتها يودّ الولد أن تكون له علاقة مع هذه الكينونة الغامضة، المحبة والعطوفة، وأن يتطلع ليعرف المزيد عنها.



هناك علاقة قوية بين العبادة والحياة والخضوع الطوعي لإرادة الخالق، ولا بدّ أن يُبنى سلوكنا على الرغبة في مرضاته، فهو المصدر الأبدي للخير والحقيقة، والسبيل لإرضاء الله هو اتباع توجيهاته وتعاليمه، لتحسين نوعية حياتنا وحياة الناس من حولنا.

نحن نعزز قيمنا الروحية بكوننا خيرين وجادين بالعمل، وصادقين ومفيدين للآخرين، وهذا ما يقربنا إلى الخالق سبحانه، ونحن نساعد أنفسنا بمساعدتنا الآخرين باحترامنا لحقوق الحياة والملكية والشرف، وبنشر العدالة والرحمة والحرية، وتجنب الظلم ومقاومة الاضطهاد. ويتطلب منا كل هذا المجهود وعياً مستمراً وذكراً لله وصفاته الحسنى، كما تعزز المداومة على العبادات هذا الوعي، إضافة إلى حبنا لله العظيم، فيرضى عنا، ورضا الله يمكّن العابد الصادق من تعزيز قوة النجاح لديه في تحقيق ما هو خير وحق.

معرفة الذات: مشكلة التربية والتعليم في العالم العربي

هناك صيحات مدوية في العالم أجمع من أجل التعلم، والحرية، والاجتهاد، والبحث. ويُظهر تقرير الأمم المتحدة للتنمية الإنسانية العربية (٢٠٠٩) توجهاً يبعث على القلق في أنحاء العالم العربي الحديث جميعه، يخص التقدم العلمي والبحث، وهو أن العرب اليوم متخلفون عن غيرهم من الدول حتى في الحفاظ على تقاليدهم الثقافية الغنية.

وأظهرت دراسة للأمم المتحدة عام ١٩٩١م أن الدول العربية سجلت أدنى المستويات في العالم في عدد الكتب التي تصدرها، وجاءت أوروبا في الصدارة، إذ تُصدّر أكثر من خمسة أضعاف ما تنشره الدول العربية مجتمعة.

ويسلِّط التقرير الضوء على التفاوت المتزايد بين البلدان العربية وباقي دول العالم. فقد ضيقت الدول العربية الخناق على الحريات والإبداع والحوار في ظل القمع والتسلط: «الحريات رهينة لقضايا الأمن الزائفة وما ينتج عن ذلك من رقابة، إذ نصبوا أنفسهم رقباء للآداب العامة، وبدعوى هذا كله أنكرت الحريات، وأول ضحايا هذا الإنكار هو الإبداع والمبادرة والابتكار والمعرفة». (The Economist 2003).

إن على الآباء والأمهات عدم التنصل من مسؤولياتهم تجاه الأولاد؛ وذلك بالتنازل عن دورهم للمدارس الرسمية وللحكومات، ولا بدّ من الوقوف في وجه التحديات، وأن يلعبوا دوراً رئيساً في محاولة تغيير المجتمع، فهم القدوة، وهم أول المعلمين لأولادهم. إنهم «فتيل» مسألة الإصلاحات الفعالة، أما المحركون لهذه المسألة؛ فهم المفكرون المصلحون والمربون الذين يعلّمون الآباء والأمهات ما يجدر القيام به وكيفية القيام به للوصول إلى التغيير المنشود، وإذا اقتنع الآباء والأمهات بشيء لصالح أولادهم؛ فسوف يقومون بما هو مطلوب منهم اتجاهها قدر استطاعتهم ومن دون تردد، وهم يمتلكون تأثيراً نفسياً عظيماً على أولادهم يمكنهم من إعادة تشكيل شخصية أجيال المستقبل.



النشاط٢١: تقدُّم اليابان وألمانيا مقابل تخلّف البلاد الإسلامية

قُم بمناقشة الأسئلة الآتية في اجتماع مع مجموعة من ثلاثة من الآباء والأمهات.

لماذا لم تحرز العديد من البلدان الإسلامية تقدماً، على حين أن اليابان وألمانيا، اللتين دُمرتا في الحرب العالمية الثانية، هما الآن من بين الدول الرائدة في العالم؟

ولماذا لا تزال بعض الدول الإسلامية تلقي القمامة في الأنهار، ولديها نظام تعليم قاصر، وتصدّر المواد الخام بأسعار رخيصة جداً ثم تشتريها مرة أخرى موادَّ مصنعة بأسعار مكلفة للغاية؟ على سبيل المثال، يجري تصدير طن من خام الحديد بمبلغ ٢٠٠٠ دولار، ثم يعاد شراؤه على شكل أجهزة حاسوب وألعاب إلكترونية وآلات دقيقة بملايين الدولارات. ولماذا يسجّل العالم الإسلامي واحداً من أعلى مستويات الأمية في العالم؛ مع وجود الأوامر القرآنية بالحض على القراءة (اقرأ)؟ هل من الممكن أن يُعزى ذلك كله لعدم قيام الوالدين بالتربية الأسرية المطلوبة؟

النشاط ٢٢: إنشاء الروابط بين الأولاد وخالقهم في وقت مبكر

مع أن الصلوات الخمس تذكرنا بالله بطريقة ممنهجة؛ يبقى هناك العديد من الأنشطة الأخرى التي نحتاج إلى أدائها للتواصل المستمر مع الخالق.

يحتاج الأولاد إلى تعلُّم المحافظة على ذكر الله في الأوقات جميعها، وهناك طريقة فعَّالة لتعليمهم حفظ الأدعية التي وردت عن النبي ﷺ والتي تملأ المساحة من وقت الاستيقاظ إلى وقت النوم. إنها لا تستغرق وقتاً طويلاً، وتُحسّن من حالة الإنسان الذهنية، كما توجه عملنا إلى الطريق الصحيح خاصةً عندما نبدأ نتناول الطعام، وحين ننتهي منه. ويُستحسن أن يختار الآباء والأمهات دعاء أو دعاءين كل أسبوع، وبعد تعليم الأولاد معنى هذه الأدعية؛ يجري التأكد من تطبيقها تطبيقاً صحيحاً قبل الانتقال إلى الدعاء الذي يليه:

ومن هذه الأدعية التي علّمنا إيّاها النبيّ الكريم ﷺ:

إذا أفاق من نومه قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور».

إذا أصبح قال: «أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا شريك له...»».

إذا نظر إلى المرآة قال: «اللهم كما حسنت خَلْقي حسِّن خُلُقي».

إذا لبس ثوباً قال: «الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة.»».

إذا دخل المسجد قال: «اللهم افتح لي أبواب رحمتك»».

إذا خرج من المسجد قال: «اللهمّ إنّي أسألك من فضلك»».

إذا أكل طعاماً قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممّن لا كافي له ولا مُؤوي»».

إذا شرب الماء قال: «الحمد لله»».

إذا دخل الخلاء قال: «بسم الله، اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»».

إذا خرج من الخلاء قال: «غفرانك، الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني»».

إذا خرج من البيت قال: «بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، (أو): اللهم إني أعوذ بك من أن أَضلّ أو أُضَلَّ أو أَزلّ أو أُزَلّ، أو أَظلِمَ أو أُظلَم، أو أَجهلَ أو يُجهَلَ عليّ».

إذا دخل البيت قال: «اللهمّ إنّي أسألك خيرَ المَولِجِ وخيرَ المَخْرَجِ، بسم الله ولَجْنا، وبسم الله خَرَجْنا، وعلى الله ربِّنا توكلنا».

النشاط ٢٣: تقدير نِعَم الله وبركاته

يشجع الأولاد على أن يدعوا الله تعالى بكلماتٍ يختارونها بأنفسهم، ثم مناقشتها مع والديهم في ضوء الأدعية الواردة أعلاه.

النشاط ٢٤: وضع المشكلات في إطارها الصحيح

اطلب من طفلك أن يقرأ بصوت عالٍ القصة الحقيقية الآتية، ناقشها معه، مضيفاً تجاربك الذاتية عليها:

كنت أعرف رجل أعمال شابّاً، كان يملك استثمارات بمليارات الدنانير، ثم واجه مشكلات مالية في غاية الخطورة، وترتَّب عليه جرَّاءها ديون ضخمة لم يتمكن من تسديدها. سألته كيف يتدبر أموره فأجاب: «ما دمت أستطيع الاستيقاظ في الصباح والسير على قدمي، فأنا بخير! «قلت لنفسي: إن هذا الرجل بالتأكيد مجنون، كيف يشعر بالطمأنينة وأنه بخير وهو لا يستطيع تسديد ديون مترتبة عليه بعشرات الملايين من الدنانير! ثم فجأة تذكرت الحديث الشريف: «من بات آمناً في سِربِه، معافىً في بدنه، عنده قوتُ يومِه وليلته، فكأنما حِيزَتْ له الدنيا بحذافيرها.» (الأدب المفرد، للبخاري).

النشاط ٢٥: سبعة مفاهيم لتعليم الأولاد

اطلب من ولدك قراءة الحديث التالي: ثم قف عند كل مبدأ، واربطه بتجارب حقيقية.

«سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَلاَءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا؛ فقَالَ إني أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ.» (البخاري ومسلم).





الفصل الخامس

التصدي للتحديات السائدة والهفوات

- **مقدمة**
- **التحديات الرئيسة التي تواجه الآباء والأمهات**
  - قلة الخبرة
  - الضغوط اليومية
  - الكَدْح اليومي: التربية الوالدية عملٌ مستمر: ٢٤ ساعة يومياً، ٧ أيام أسبوعياً، ٣٦٥ يوماً سنوياً
  - التربية الوالدية مهمة موقوتة وغير مرنة واستثمار طويل الأجل
  - تأثير الوالدين واحدٌ من بين تأثيرات عديدة
  - الأطفال عاجزون عن الكلام
  - التربية الوالدية علوم متداخلة التخصصات
  - عمل الأب والأم معاً كفريق واحد
  - التربية الوالدية مهارة تتطلب الإدارة الحكيمة للموارد
  - صورة الوالدين في أذهان الأولاد كثيراً ما تكون خلافاً لمقصد الوالدين
  - تبيّن ماذا تقول للأولاد، ومتى؟
  - غرس المفاهيم غير الصحيحة في نفوس الأولاد بلا قصد
  - التحدي المتمثل في تكوين صورة إيجابية عن الذات
  - مشكلات تربية الأطفال من أب مسلم وأم غير مسلمة
  - مشكلات تربية الأطفال في بيئة تختلف فيها جنسية وثقافة الأب عن الأم
- **عِبَرٌ تربوية**
- **خاتمة**
- **نشاط ٢٦**

مقدمة

حاولنا في الفصول السابقة وضع أسس لخطةٍ في التربية الوالدية السليمة، مع بعض التدابير الرئيسة موضع التنفيذ. وأكدنا أيضاً أن يصاحب الخطة استخدام الغرائز الفطرية الذاتية في التربية الوالدية كدليل إرشادي وتوجيهي للوصول إلى تنشئة أولاد صالحين، والنهج الذي استخدمناه مرن بما فيه الكفاية كي يتيح للوالدين إرساء أسس خاصة بأحوالهم، وتجريب خياراتهم في تربية أسرهم بأنفسهم، في سبيل الوصول إلى الهدف العام، وهو تربية أولاد صالحين مصلحين، لديهم إحساس بالمسؤولية، ويتمتعون بمهارات اجتماعية، كما أكدنا أن تربية أولاد صالحين لها تداعيات واسعة النطاق تتجاوز راحتنا الذاتية والحياة المنزلية السعيدة، فهي في الحقيقة لبنة رئيسة في بناء المجتمع والحضارة الإنسانية؛ لأن اكتمال الغاية النبيلة للتربية الوالدية لا تكون إلا بمزاوجة الإصلاح مع الصلاح «مصلح صالح» وعدم الاكتفاء بالصلاح وحده.

وعلى أي حال؛ فإن الخطة الجيدة، مع أنها تسهل مهمة التربية الوالدية الصعبة، لا تكتمل إلا إذا استطاعت أن تصل بالآباء والأمهات إلى برّ الأمان وهم يواجهون التحديات والهفوات المحتملة في التربية، ونتطرق هنا إلى بعض التحديات والعقبات التي تواجه التربية الوالدية، وتقديم الحلول المناسبة لها.

التحديات الرئيسة التي تواجه الآباء والأمهات

التربية الوالدية تبدو سهلة عندما لا تعرف كيف، وصعبة عندما تعرفها على حقيقتها، لا نقصد بصعبة هنا أنها مستحيلة، وإنما هي ممكنة مع الوعي وبذل الجهد الكافي.



يقول الأولاد: يدفعنا والدانا إلى الجنون

ويقول الآباء والأمهات: أولادنا يدفعوننا إلى الجنون

كفى صراخ أحدكم على الآخر!

افهموا المشكلات.

ناقشوها وحللوها وتوصلوا إلى حل معاً **وبصبر!**

يشعر الآباء والأمهات ببعض الطمأنينة والارتياح عندما يكتشفون أنهم ليسوا وحدهم في هذا الكفاح، علماً بأن مناقشة الوالدين لهذه الصعوبات مع آباء وأمهات آخرين ستُثري خبرتهم، وقد يتفاجأ كثير منهم بالمقدار الكبير من القواسم المشتركة بينهم. ونقدم هنا بعض الأمثلة على الصعوبات التي تواجه الآباء والأمهات في هذا المجال:

قلة الخبرة

هو التحدي الرئيس الذي يواجه الوالدين عند ولادة أول طفل لهما، بجهلهما طريقة التعامل مع العديد من القضايا، ومع أنهما قد يكونان تعلما بعض النظريات، فيتعين أنهما سيكونان مفتقرين للخبرة العملية. وهذا نوع من التدريب الميداني على العمل في الميدان، ولكن بصعوبة إضافية؛ إذ إنه يتم بغياب المدربين والموجهين.

الضغوط اليومية

تقضي كثير من الأمهات يومهن في البيت، بينما يعمل الآباء خارج البيت؛ لذلك يتعرض الآباء والأمهات غالباً إلى ضغط ناجم من توزيع الأعمال القائم على نوع الجنس. قد تكون الأمهات في المساء راغباتٍ في

زيارات اجتماعية، بينما يُفضل الآباء المكوث في البيت؛ الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى وقوع الخلاف بينهما إذا لم يكن أحدهما متعاطفاً ومتسامحاً مع الآخر، مع العلم أنه إن لم يعي الوالدان اختلاف هذه الرغبات جراء اختلاف الأدوار لربما أصبح كل منهما سبباً لشقاء الآخر، وإفشاله في تحقيق أهدافه الأسرية.

ليست الأبوة توفير الاحتياجات المادية فحسب!! بل يحسن أن ندرك، ونحن نتقدم بالعمر، أن كوننا آباء ناجحين لا يكون فقط بتوفير غذاء لأولادنا، وتأمين سقف يأويهم.

الكدح اليومي: التربية الوالدية عملٌ مستمر ٢٤ ساعة يومياً، ٧ أيام أسبوعياً، ٣٦٥ يوماً سنوياً

إن التربية الوالدية ليست مجرد عمل نقوم به في ساعات عمل مكتبية محددة، ونكون بعدها في حِلّ من إتمامه. إنه عمل متواصل لأربع وعشرين ساعة في اليوم، ولسبعة أيام في الأسبوع، ولمدة ٥٢ أسبوعاً في السنة، من دون عطلة أو إجازات، كما لا يوجد «طلاق» من الأولاد، ففي اللحظة التي تصبح فيها أباً أو تصبحين فيها أماً، يبدأ التزام يستمر لبقية الحياة بل حتى بعد الممات، ويجدر أن لا يتعارض أي شيء آخر مع هذا الالتزام الأبدي، فالأسرة هي المؤسسة والجماعة البشرية الوحيدة التي تلازم الإنسان مدى الحياة وحتى الموت أو بعده، فاللقاء بينهما في الآخرة على أعمالها المتشابهة في الصلاح أو الفساد، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴾ (الرعد:٢٣).

- ما الأصعب: أن تكون والداً؟ أو رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية؟

«أستطيع القيام بأمر واحد فقط من هذين الأمرين: إما أن أكون رئيساً للولايات المتحدة، أو أتحكم بابنتي (أليس Alice). ولا أستطيع القيام بالعملين معاً.» ثيودور روزفلت Theodore Roosevelt، رئيس الولايات المتحدة (1858-1919م) (Porter and Cervantes 2007)

- «كلمة واحدة أقولها يطيعها الملايين بدقة، ولكن لا أستطيع جعل بناتي الثلاث ينزلن لتناول الإفطار في الوقت المحدد».

الضابط البريطاني آرشبالد وافِل Archibald Wavell (1883-1950م) (Shaw 1998).

- مقولة أحد التربويين: «لا تظنوا أنكم تربون الطفل عندما تتحدثون إليه فحسب، أو ترشدونه أو توجهونه؛ بل إنكم تربونه في كل لحظة من حياتكم حتى وأنتم غير موجودين في المنزل، ومما له أهمية كيف تلبسون ثيابكم؟ وكيف تتحدثون مع الآخرين؟ وعن الآخرين؟ وكيف تسرون وتقابلون الأصدقاء والأعداء؟ وكيف تضحكون؟».

التربية الوالدية مهمة موقوتة وغير مرنة واستثمار طويل الأجل

مهمة الأبوة والأمومة لا يمكن تأجيلها أو إعادة جدولتها أو إهمالها منذ لحظة الولادة بل حتى في أثناء الحمل. ويحسن بالوالدين تفهم نمو أبنائهم وتطورهم؛ إذ تُحددها ساعاتهم البيولوجية الذاتية، فلا يستطيع الوالدان تعجيلها أو إبطاءها، ولو حاولا التدخل لترتب على ذلك كارثة، فالعالم اليوم يعيش في تسارع مستمر، ولكن نموّ الأولاد يبقى طبيعياً، ومن الحكمة أن ننصاع لوتيرة الطبيعة، وسرُّها هو الصبر، فعلينا أن نتواصى بالصبر في مسيرة التربية الوالدية. الأبوة والأمومة مسألة بطيئة وتفاعلية بين أعضاء الأسرة جميعهم، وقد يستغرق الأمر سنوات قبل أن يدرك الآباء والأمهات ما إذا سيكون ولدهم صالحاً أو طالحاً.

تأثير الوالدين واحدٌ من بين تأثيرات عديدة

يتعين على الآباء والأمهات أن يكونوا على علم ودراية أن العالم الذي يعيش فيه أولادهم دائم التغيير



والتأثير، فالتطورات السريعة في التكنولوجيا، أوجدت تحديات أكبر من أي وقت مضى متمثلة في ظواهر مثل: الإنترنت، والتلفاز، والهواتف النقالة، ودردشة الإنترنت، والموسيقى الرقمية، والأقراص المدمجة، وألعاب الحاسوب. وانتشر التقليد الأعمى لنجوم الأفلام والموسيقى والرياضة، كما انتشرت وسائل اللهو وأحاطت بالأولاد من كل جانب، وهكذا لم يعد للآباء والأمهات مطلق الحرية في تربية أولادهم، فهم يواجهون منافسين أشدّاء وجذّابين، منهم الممثلون، والرياضيون، والإنترنت، والأصدقاء. فهناك الكثير من التأثيرات، الإيجابية والسلبية على الأولاد. ولا يستطيع الوالدان جعل الإنترنت أقل ازدراءً، أو جعل أصدقاء السوء أحسن خلقاً، أو وسائل الإعلام أقل ابتذالاً.

ومع أن تأثير الآباء والأمهات هو التأثير الأول والمهم، إلا أن تأثير الأقران يبدأ بالازدياد كلما تقدموا في السن حتى دخولهم الجامعة، ويعكس الأولاد أخلاق أصدقائهم وسلوكهم وقيمهم في هذه المرحلة، ويصبحون في أثناء المراهقة متعلقين بأقرانهم تعلقاً شديداً، ويبدأ تأثير والديهم يقل تدريجياً. كما يؤثر الأشقّاء بينهم تأثيراً مهماً وقد يكون هذا التأثير مستديماً، فهم يقومون بدور المرآة الاجتماعية، والقدوة (وفقاً للعمر) بعضهم بعضاً. وقد يكونون في بعض الحالات مصدر منافسة وغَيرَة. كذلك تؤثر المتغيرات البيئية على الأولاد مثل: الموقع الجغرافي، والمستوى الاقتصادي، وحجم الأسرة، والطبقة الاجتماعية للأسرة، والدّين السائد، والعلاقات العرقية.

لكن ما سبق لا يمنع أن يكون الثقل الرئيس والمتابعة في التربية تلقى على كاهل الأسرة، حيث يشير بعض التربويين أن ٨٠٪ يقع على عاتق الأسرة، و٢٠ ٪ على المؤثرات الأخرى، ما يعني أن لا يقف الوالدان عاجزين أو آيسين من إمكانية التغيير.

الأطفال عاجزون عن الكلام

انظر ملياً مدى صعوبة التواصل مع الحيوانات، ثم فكّر بعد ذلك في الأطفال أنهم لا يتكلمون، لذلك كان من الصعب معرفة احتياجاتهم ومشاعرهم وأفكارهم ورغباتهم. ولا نملك إلا أن نخمن ذلك تخميناً، فليس الطفل بالغاً صغيراً، وليس البالغ طفلاً كبيراً، ونصيحتنا للآباء والأمهات في هذه المرحلة؛ هي القراءة لأطفالهم والاطلاع على الأدبيات الخاصة بتربيتهم على اختلاف مراحلها.

- **إدراك ووعي لا يتصور!**

عندما كنت صبياً في الرابعة عشرة من عمري؛ كنت جاهلاً ولا أطيق أن يكون والدي موجوداً وقريباً مني، لكن عندما بلغت الحادية والعشرين؛ دهشت من مدى ما تعلّم أبي في سبع سنوات.

الروائي مارك توين Mark Twain

- **آها، آها! الآن عرفت ....**

لا يدهش الأولاد بوالديهم حتى سن الـ ٤٠، عندها يفاجأون أنهم أصبحوا مثل والديهم - وبذلك فهم يحافظون على النظام نفسه ويكررونه.

كاتب أمريكي، Quentin Crewe

- **التغير في تصورات الأولاد**

تقول الأم ربيكا: آه، أتمنى أن أكون بنصف الروعة التي يظنها ولدي بي حينما كان صغيراً، وبنصف الغباء الذي يظنه بي في أثناء المراهقة!
(Brown 1994) Rebecca Richard

- **الأبوة والأمومة مهمتان موقوتتان**

«نحن مدانون بارتكاب أخطاء وزلات كثيرة، ولكن أسوأها الإهمال والتخلي عن الأولاد الذين هم ينبوع الحياة.

نستطيع أن نؤجل أشياء كثيرة نحتاجها، ولكن الأولاد لا ينتظرون، فاللحظة الحاضرة هي التي تتشكل فيها عظامه، ويصنع فيها دمه ويتطور فيها دماغه. ولا نستطيع أن نقول له: «غداً»، لأنه هو «اليوم».

الروائية التشيلية جابريلا مسترال الحائزة على جائزة نوبل

التربية الوالدية علوم متداخلة التخصصات

تتطلب التربية الوالدية مجموعة متداخلة من المهارات التي قد لا نعي الكثير منها، وترتبط بمجالات وعلوم عدة، مثل: علم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد والطب والأحياء والإدارة والفن. حيث إنّ التربية الوالدية هي فن وعلم في الوقت نفسه. ولا يفتأ العالم حولنا يتغير ويضع باستمرار عقبات أكثر تعقيداً أمامنا، لذلك أصبحت التربية الرصينة ضرورية أكثر من أي وقت مضى. فالحصول على أعلى الدرجات العلمية في العلوم أو في الفنون لا يكفل لنا القناعة والأسرة السعيدة؛ لذا كان لا بد من التواصل المستمر مع أولادنا؛ فهم عنصر أساس للتربية الوالدية الفعّالة.



عمل الأب والأم معاً كفريق واحد

ليس العمل الجماعي سهلاً وهو يشكّل تحدياً كبيراً للآباء والأمهات، ويحسن بالوالدين أن ينسجما معاً بالعمل لصالح الأولاد. فكل زوج أو زوجة هما مشروع أم أو أب في المستقبل، فكم منا فكر في تربية الأولاد قبل الزواج؟ فالعمل معاً كفريق يتطلب أكثر من الحب والإخلاص، والمعرفة والمهارات والتوجهات الإيجابية. ومن المهم ألا يتبادل الوالدان اللوم عندما تسوء الأمور ويتهم كل منهما شريكه بالتقصير في واجباته تجاه الأولاد. فالتغيير الذي يحدث للابن أو للابنة هو تغيير مستمر، والانتقال الناجح من الطفولة إلى البلوغ يتطلب قدراً كبيراً من التعاون والتنسيق بين الأب والأم، كما يعد التعاون بين الوالدين من أجل أبنائهما تعاوناً من باب البر ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ (المائدة:٢).

التربية الوالدية مهارة تتطلب الإدارة الحكيمة للموارد

قد يكون من الممكن توظيف محاسب مالي للأسرة، أو توظيف مدرس خصوصي للأولاد، أو ممرضة لصحة الأسرة، إلا أنه لا يمكن توظيف أحدٍ للقيام بمهمة الوالدين. فإدارة الأسرة تتطلب من الآباء والأمهات الحب والوقت والتركيز، وهذا جزءٌ لا يتجزأ من عمل الأبوة والأمومة المباشر الذي يَجْمُلُ أن يقوم به الآباء والأمهات بأنفسهم، ومن المفيد إنعام النظر في التجارب الماركسية في روسيا السوفييتية، حيث أُوكلت مهمة التربية لموظفين خارج الأسرة، كما حاول الإسبارطيون اليونان الشيء نفسه قبل ذلك، وباءت تلك التجارب بفشل ذريع ظهرت آثاره على الأولاد الذين أخضعوا لهذه التجارب. وتصبح الإدارة الجيدة للوقت والموارد أكثر أهمية في الأسر أحادية الوالد، حيث يكون جدول الأعمال أكثر ازدحاماً منه في الأسر ذات الوالدين عادةً.

صورة الوالدين في أذهان الأولاد كثيراً ما تكون خلافاً لمقصد الوالدين

قد يفسر الأولاد مساعدة الوالدين على أنه تدخل في شؤونهم، ويرون في رعايتهم وحبهم على أنهما يعاملانهم كأطفال، وفي نصائحهما على أنها أوامر من الرئيس. وبالرغم من أن الواقع هو المهم، إلا أن طبيعة فهم الأولاد للأمور هو الواقع بالنسبة لهم، ولهذا كان من المهم للغاية معرفة تصورات الأولاد، ومشاعرهم، وردود أفعالهم. فاسأل أولادك غالباً: هل أعجبك ما فعلتُ؟

تبيّن ماذا تقول للأولاد، ومتى؟

يروي الآباء القصص لأبنائهم سبيلاً لحثهم على الإيضاح لأوامرهم تارة، وضبط سلوكيات أبنائهم أو الحرص على تعليمهم أخذ الدروس المستفادة من القصة تارةً أخرى، ولكن على الآباء النظر إلى خصوصية ثلاثة أمور، هي:

- نوعية القصة ومناسبتها للموقف والقدرات العقيلة للأبناء.
- الوقت المناسب لطرح تلك القصة.
- ويضاف إلى ما سبق تقصي الأثر المتوقع بمنظور الأبناء وقدراتهم لا بمنظور الآباء وقدراتهم.

إخبار أولادك: ماذا؟ ومتى؟

عليك أن تحدد في نهاية هذه القصة المرحلة المناسبة لها من العمر؟

اصطاد كل من الأسد والذئب والثعلب بقرة وماعزاً وأرنَباً. قال الأسد للذئب: «قسّم الفريسة»، قال الذئب: «البقرة لك، والماعز لي، والأرنب للثعلب.» فانقض الأسد على الذئب وفصل رأسه عن جسده. ثم سأل الأسد الثعلب: «كيف تقسم الفريسة؟» أجاب الثعلب: «الأرنب وجبة إفطارك، والماعز وجبة غدائك، والبقرة وجبة عشائك.» استغرب الأسد ودُهِش لقول الثعلب، فسأله: «أيها الثعلب الحكيم، من علّمك الحكمة؟» قال الثعلب: «رأس الذئب المقطوع.» عندما تسرد مثل هذه القصص للأولاد الصغار، فسوف يتعلمون الخوف والجبن والنفاق، ولكن إذا سردتها للبالغين، فسوف يتعلمون الحذر والاحتراس في الكلام. إن اختيار المرحلة العمرية بما يتناسب مع القصص والدروس التعليمية التي نرويها لأولادنا عنصر تربوي حاسم وأساس.

هذه بعض الحيل الذكية التي يستخدمها الآباء والأمهات لتسهيل معيشتهم إضافة لتعليم أولادهم الانضباط والنظام والنظافة والمسؤولية. وعلى أي حال، ينبغي على الآباء والأمهات أن يحرصوا على أن يشرحوا لأولادهم عندما يصلون إلى سن التمييز الأسباب الحقيقية، وأن ما سمعوه وهم صغار ليس أكثر من تخيلات، بحيث يطهر الأولاد عقولهم من هذه المغالطات. والشيء بالشيء يذكر ففي العالم المسيحي تشيع خرافة سانتا كلوز (بابا نويل) الذي يمطر الأولاد بالهدايا من المدخنة في مواسم أعياد الميلاد، وإنه لأمرٌ خطير أن يعتقد بعض الأولاد الكبار أن سانتا كلوز (بابا نويل) حقيقة وليس خرافة.

غرس المفاهيم غير الصحيحة في نفوس الأولاد بلا قصد

قد لا تكون العبر التي يستنتجها البالغون من القصص هي نفسها التي يستخلصها الأولاد. إضافة إلى ذلك، فإنه من المُغْرِي أحياناً للآباء والأمهات اعطاء الأولاد معلومات غير صحيحة؛ لتيسير حياتهما. فمثلاً عندما يأكل الأولاد الرمان، يطلب منهم أكل كل الحبات تجنباً لسقوط حبة واحدة على ملابسهم أو على الأثاث؛ لأنه من الصعوبة تنظيف بقع الرمان، فيقولون لهم إن الرمان يحتوي على حبة واحدة من الجنة حتى يأكل الأولاد الحبات جميعها، فلا يفرّطون بأي حبة. وبالمثل، يجري في بعض البيوت تنظيف حبوب الرز وغسلها للاحتفاظ بكل حبة رز في أثناء الغسل، فتؤكد الأمهات على بناتهن بأن يحرصن على الحفاظ على كل حبة؛ لأن بينها حبة واحدة فقط من الجنة.

وصف بعض الآباء والأمهات من أصحاب النيات الحسنة الحوادث الآتية كما يأتي:

الحادث ١: حين رفض سليم دخول الحمام في رياض الأطفال، سأله المعلم عن السبب، فأجاب: «أخبرني والداي أن الجن والشياطين يسكنون بيوت الخلاء، وأخاف أن أكون معهم وحدي».

الحادث ٢: صبي اسمه حامد وقع في حيرة؛ إذ قيل له: إن الملائكة لا تدخل الحمامات، وهناك مَلَكان موجودان باستمرار على كتفيه يسجلان كل ما يفعله. فكيف سيذهب الملكان معه إلى الحمام؟! إنه ما يزال يبحث عن الجواب لهذه المشكلة!

وكثيراً ما يقدم بعض الآباء والأمهات تفسيرات خطأ لأبنائهم تتعلق بحرمة لحم الخنزير. ويستنتج الأولاد من هذه التفسيرات أن الخنازير حيوانات شريرة وعليهم أن يكرهوها ويؤذوها بقسوة. وبذلك يجب على الآباء والأمهات أن يبينوا لأبنائهم أن الحيوانات جميعها خلقها الله لغايةٍ ما، وأنها من بديع صنعه سبحانه، وإن كان بعضها ليس صالحاً للأكل، ولكن جميعها خُلقت لأجل غرض نافع لنا قد لا نفهمه أحياناً، فيَحسُنُ أن نعامل الحيوانات والنباتات بإحسان ورفق.

يقدم بعض الآباء والأمهات المتحمسين بقصد حسن رسالة خطأ بكراهية الناس الذين يرتكبون الأخطاء، فلا يفرقون بين العمل السيء والشخص المرتكب له، لذلك فإنهم يكرهون التدخين والمدخنين معاً، مما يؤدي بالأولاد إلى كره الناس بدلاً من محبتهم ومحاولة تصويبهم. كما قد يظن الأولاد أنهم أرقى من غيرهم وربما يصيبهم الكبر والغرور، علماً أن الرؤية التربوية تميز بين السلوك والشخص، فالإنسان مكرم عند الله تعالى، وبذلك استحق سجود الملائكة ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾ (الحجر: ٢٩) والذي ينبغي أن يوجه إليه النقد أو التعديل هو السلوك.



التحدّي المتمثل في تكوين صورة إيجابية عن الذات

قد يقع الأولاد بسهولة في فخ اضطراب عادات الأكل أو الرغبة المفرطة بمساحيق التجميل والملابس بسبب ما هو شائع من اعلانات حول الجمال من أفلام السينما والتلفاز، ونجوم الموسيقى اللامعين، وترويج مجلات الموضة مما تصلهم رسائل مغلوطة خاصة للفتاة مفادها: أنت جميلة لأنك نحيفة أو أنت قبيحة لأنك بدينة!

يبدأ الأولاد بالانتقال من مرحلة الطفولة البريئة إلى محاكاة حياة الكبار في سن مبكرة، فيصاحب ذلك انعدام الشعور بالأمان بسبب عدم الوصول في هذه السن إلى درجة الكمال التي يطمحون إليها.

فـيَجْمُلُ أن يسعى الآباء لجعل الأولاد يحسون بالرضا من الوسائل المتوافرة في المجتمع والروابط الأسرية، على أن لا يكون الإحساس بالرضا مستقى من مصادر الدعايات والإرضاء الخارجية التي توهمهم بها وسائل الإعلام حول المال والسلطة والشهرة الفارغة.

مشكلات تربية الأطفال من أب مسلم وأم غير مسلمة

لقد أباح الإسلام زواج المسلم من الكتابية (نصرانية أو يهودية)، وعلى الزوجين في هذه الحالة أن يتفهما القضايا التي سوف تنشأ أثناء تربية الأطفال كي يكونا واعين ومنتبهين للمشكلات والتحديات التي قد تنشأ مستقبلاً، أخذين التدابير اللازمة للعلاج الأمثل في حينه.

تعد البيئة الأسرية ممثلة بالوالدين ابتداءً المحضن الرئيس الذي يشكل نفسية الطفل، ويصقل شخصيته، لا سيما في السنوات العشر الأولى من عمره، فبالمقدار الذي تتوافق فيه توجهات الوالدين وانسجامهما بقدر ما يعكس ذلك على تربيتهم لأطفالهم؛ إذ الأسلوب التربوي الأول في مرحلة الطفولة هو القدوة والنماذج الحية وليست التوجيهات اللفظية بـ (افعل ولا تفعل).

كما يساعد التوافق الوالدي على تحقيق أهداف ورسالة الأسرة النبيلة، تلك الأهداف المستقاة من الوحي، وإن أي اضطراب فيها منشؤه الاختلاف في العقيدة يوازيه اضطراب في تربية الأطفال، وهو من أبرز التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة.

إن الاختلاف العقدي بين الزوجين الذي يظهر بصورة واضحة في الأسرة التي يكون فيها الزوج (الأب) مسلماً والزوجة (الأم) كتابية، يظهر مشاكل وتساؤلات لا يمكن إغفالها في تربية الأطفال منها:

١. مسألة المقارنات الدائمة التي توقع الأطفال في التمزق النفسي واضطراب الانتماء، سواء النفسي أو الاجتماعي، فضلاً عن الديني طبعاً.

٢. ضعف ثقة الأطفال بدينهم وحضارتهم الإسلامية وقيمها السامية.

٣. بروز مشكلات الحضانة أو الهروب بالأولاد خارج البلاد ثم تغيير دينهم عند لحظات الاختلاف بين الزوجين، وغيرها من المسائل التي تتداخل فيها القضايا القانونية مع التربوية.

٤. هل ستحقق الأم (الزوجة) التي لا تدين بدين الإسلام غايات التربية الوالدية التي يراد لها أن تكون متوافقة مع القرآن والسنة النبوية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الطفل في حياته الأولى والفترة المهمة له يقضيها مع أمه وفي رعايتها وكنفها. وبذلك ندرك الحكمة في توجيهات النبي ﷺ: (فاظفر بذات الدين) (البخاري).

مشكلات تربية الأطفال في بيئة تختلف فيها جنسية وثقافة الأب عن الأم

إن حالة الاختلاف العقدي بين الزوجين التي أشرنا لتأثيراتها ومشاكلها مع الأطفال، تقابلها صورة أخرى يتفق فيها الزوجان في العقيدة لكنهما يختلفان ويتغايران تغايراً ثقافياً واختلافاً في الجنسيَّة (البلد)، على الرغم أن كليهما مُسلمان، لكن هذه وحدها لا تعفيهما من ضرورات أخرى ذات أهمية في التربية الوالدية.

مما لا شك فيه أن الزوجين إن لم يحسنا تقدير ذلك الاختلاف الثقافي بينهما والتمركز حول نقاط الاتفاق - وإن كانت محدودة - مع الاحترام في الاختلاف، يصبح لذلك تأثير في التربية الوالدية، من حيث درجة انسياق الأطفال لأحد الوالدين من دون الآخر أو التكتلات في الأسرة، بحيث تصبح العلاقات تحزّبية أكثر من كونها جماعية بروح الفريق الواحد، ولا سيما إن سقطت في الأسرة

ثقافة احترام الاختلاف، فالأطفال يتبعون توجيهات الأسهل والمحبب لهم ولو كان غير مناسب، ومرة أخرى مقارنات وتمزقات ثقافية تعيق تحقيق أهداف التربية الوالدية.

عبرٌ تربوية

أولاً: حدد الأولويات الصحيحة. كيف يعلم الآباء والأمهات أبناءهم تحديد الأولويات؟ فإنه لايهم ما نعرفه، إذا كنا لا نعرف ما يهم. إذا كنا ننسى الإله الأبديّ، فسنصبح عبيداً للآنيّ.

ثانياً: العلاقة أكثر أهمية من التعليمات والارشادات. فالحكمة هي: ركّز على أنظمة قليلة، ومهمة، وملائمة، وسهلة، وقابلة للتطبيق من الآخرين. فالنُّظمُ ليست سيئة، ولكنها تغير السلوك من الخارج إلى الداخل، بدلاً من أن تنطلق من الداخل إلى الخارج. وعلى أي حال، فالحب يمكن أن يغيّر القلب والحوافز عند المرء.

ثالثاً: استيعاب النص: ومن المهم للآباء والأمهات استيعاب توجيهات الله وكلماته لهم قبل غرسها في نفوس أبنائهم. فتكون هذه الكلمات جزءاً من الآباء والأمهات قبل أن تكون جزءاً من الأولاد، ففاقد الشيء لا يعطيه؛ لذا كان عليك أن تطبق ما تدعو إليه، وإذا لم يطبّق في المنزل، فلا تأمل في محاولة نقله إلى الآخرين وتصديره.

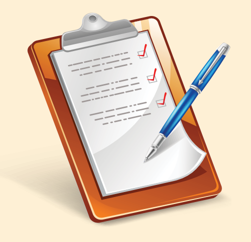
رابعاً: ليست المدة الزمنية هي المهم، ولكن مقدار الوقت المفيد الممتع والنوعي. فَيَحْسُن أن ينتهز الآباء والأمهات «اللحظات المناسبة للتعليم» وأن يخططوا لها عندما لا تأتي بشكل تلقائي طبيعي.

فالآباء والأمهات عرضة لمنح أبنائهم كل شيء ما عدا شيئاً واحداً هم في أمس الحاجة إليه، ألا وهو الوقت؛ إذ ينحو مجتمعنا منحى ما يتطلب العمل الخارجي وليس ما تتطلب الأسرة. فالأسرة ليست هي التي تحدد أولويات جدول أعمالنا غالباً، ولكن أعمالنا هي التي تحدد أولويات أسرتنا.

خامساً: ما يستحق أن نتذكره يستحق تكراره. فيتعين على الآباء والأمهات أن يبرزوا القيم ويؤكدوها ويكرروها ويوضحوها. ومن المهم أيضاً أن يكونوا دقيقين وموجزين وسهلين وسمحين. أرهم وأخبرهم: يتعين على الآباء تعريف أبنائهم بالأقارب، والقادة، وأعضاء البرلمان، ورجال الدين، والأئمة، والضيوف، ممن يجسدون القيم التي يعلّمها الوالدان.

خاتمة

مع كل التحديات، تبقى التربية الوالدية تجربة ممتعة، وقابلة للتنفيذ والتطبيق ومليئة بالمكافآت الذاتية لكلا الوالدين، كما تتعدد التحديات من تأثيرات أصدقائنا السلبية، والجنس في وسائل الإعلام، وسوء الفهم، وسوء الإدارة، زيادة على أن المفاهيم الخطأ، والخرافات، والهفَوَات في هذا المجال كثيرة ومتعددة.



النشاط ٢٦: إيصال المفاهيم المهمة للأولاد

اشرح لأولادك مع ذكر أمثلة واقعية ما يأتي:

- لا يهم ما تعرف إن كنت لا تعرف ما يهم (الأولويات).
- القضية ليست إعطاء جدول أعمالنا أولوية، بل جدولة أولوياتنا.
- املأ قلبك بحب الله، كي تقدر على منح الحب للآخرين. فلا يمكنك إعطاء ما ليس عندك، ففاقد الشيء لا يعطيه.
- للآباء والأمهات: طَبِّق ما تعظ به. صورة واحدة أفضل ألف مرة من كلمة. ومثال عملي أفضل ألف مرة من صورة.





الفصل السادس

المفاهيم المغلوطة والخرافات الشائعة في التربية الوالدية

- **مقدمة**
- **بعض الخرافات عن التربية الوالدية**
- **بعض المفاهيم المغلوطة في التربية الوالدية**
  - التقليد الأعمى للأساليب الموروثة
  - التقليد الأعمى للآخرين
  - تحقيق أمانينا الشخصية في أبنائنا
  - تفويض مهام الأبوة والأمومة
  - الآباء والأمهات الصالحون يربّون أولاداً صالحين بالضرورة
  - التربية الوالدية ملَكَةٌ طبيعية
  - من السهل غرس القيم الأسرية
  - يكفي الحدس والحس السليم والمنطق والحب في التربية
  - افتراض كفاية استعمال المنطق مع الأولاد
  - افتراض كسب الحرب ضد أولادنا
  - اعتماد الوالدين على أنهما الأكبر سناً وبيدهم السيطرة
  - معاملة الأولاد جميعهم بالطريقة نفسها
  - معاملة الأولاد وكأنهم بالغون صغار
  - تلبية رغبات الأولاد الشرائية جميعها
- **نشاط ٢٧-٢٨**

مقدمة

أكدنا في فصل سابق أن التربية الصالحة للأولاد لها تداعيات واسعة النطاق تتعدى حرص الوالدين على راحة البال والحياة الأسرية السعيدة، بل هي من أهم لبنات بناء المجتمع والحضارة. وقد أوجزنا أهمية الأهداف، وفصّلنا بعض التحديات والصعوبات الرئيسة التي يتعين على الآباء والأمهات أن يكونوا على دراية بها.

وسنركز في هذا الفصل على كشف بعض الافتراضات والخرافات الشائعة التي تتخفى في غطاء نصائح من أجل الوصول إلى تربية والدية فعالة، كما سنسلط الضوء على بعض المزالق والهَفَوات والعوائق التي يقع فيها الآباء والأمهات، وسنبين كيفية تجنبها.

وثمة سبب آخر للنظر في هذه الهفوات والخرافات؛ هو وضع خطة للتربية الوالدية الصالحة. لأنها تسهل مهمة التربية الوالدية الصعبة، إلا أنها لا تكتمل إلا إذا استطاعت أن تهدي الوالدين للطريقة التي يتغلبان بها على العوائق والعقبات المحتملة التي سيواجهونها.

بعض الخرافات عن التربية الوالدية

تحتاج تربية الأولاد إلى عاطفة تكفي لتجذب عدداً كافياً من الأزواج الجدد للعمل بدوام كامل، ألا وهو القيام بدور الوالدين، فالمجتمع لا يمكن أن يستمرّ من دون انضمام أعضاء جدد إليه باستمرار. وقد يظن بعض الآباء والأمهات أن تربية الأولاد تنطوي على متعة من كل الجوانب، وأن الوالدين الصالحين سيربيان أولاداً صالحين، فالحب والحدس السليم ليسا كافيين لتربية الأولاد تربية صالحة، ولن يقدّر الأبناء التضحيات التي يقدمها والداهم لهم تلقائياً؛ إذ إن التربية الوالدية ليست وراثية أو فطرية، إنما هي متعلمة ومكتسبة؛ فليس من السهل غرس القيم في نفوس الأولاد تلقائياً. وفي الحقيقة، فإن كثيراً من المعتقدات لا تعكس واقع الأبوة والأمومة.

لقد لخصنا في ما يأتي بعض المعتقدات الشائعة عن الأبوة والأمومة (الخرافات) التي ليس لها أساس في الحقيقة والواقع. (Knox and Schacht, 1997).

الخرافة ١: الآباء والأمهات مستمتعون دوماً مع أبنائهم: يشاهد الآباء والأمهات المستقبليون الإعلانات التلفازية التي تعرض مقاطع مصورة لآباء وأمهات شباباً يلعبون مبتسمين مع أولادهم في الحديقة، ويرون أن هذه هي حقيقة تربية الأولاد: متعة لا نهاية لها، بينما الحقيقة مختلفة تماماً.

تقوم فكرة المتعة والمرح أساساً على أن المرء له حرية الاختيار في أن يأخذ بهذا الأمر أو يتركه، بينما لا ينطبق هذا على الأبوة والأمومة، إذ يَحسن بالآباء والأمهات البقاء مع الأولاد والاستمرار في رعايتهم، سواء يملكون خبرة أم لا، فعند الإنجاب يصبحون أبوين إلى الأبد ولا يمكنهم الانسحاب مهما رغبوا في ذلك، لأنه طريق لا رجعة عنه.

> **كان توجيه الطفل في السابق مسألة يسيرة، عندما كانت أمك تجرّك بالقوة من أذنك جراً.**

الخرافة ٢: الأولاد يقدرون جهود الوالدين: يرى بعض الآباء والأمهات أنه عندما يُلبّي للأولاد كلُّ ما يريدون فإنهم سوف يقدرون هذه التضحيات لآبائهم، وليس هذا بالضرورة صحيحاً، فربما لم يقابل الأولاد آباءهم وأمهاتهم الذين منحوهم الحب والرعاية بالشكر والتقدير والاحترام. كذلك يفترض بعض الآباء والأمهات أن أولادهم سوف يقدرونهم إذا وفَّروا لهم احتياجاتهم المادية مثل: الملابس، والألعاب، وأجهزة الحاسوب، والسيارات، وقد لا يتحقق هذا في كثير من الأحيان؛ لأن بعض الأولاد يظنون أن لهم حقاً مكتسباً في كل ما يمنحه والداهم لهم، ولا يشعرون بواجب التقدير تجاههما.

الإنسان يطلب ويرجو، ولكن الله يفعل ما يشاء. قد تخطط لكل الاحتمالات قبل ولادة الطفل الأول، ولكن هيهات، فعند وصوله ستفاجأ بكل ما لم يكن في الحسبان!

يقولون إنَّ:

• «الجنون وراثي؛ يورثه أولادك لك!»

Sam Levenson (Brown1994)

• «الحكمة هي فن معرفة ما يجب أن تتغاضى عنه».

William James (Lazear1993)

يمكن الحصول على الخبرة في التربية الوالدية من التجربة الشخصية الأولى، ولكن التجربة معلم صعب؛ فهي تعطي الاختبار أولاً قبل أن تعلم الدرس. حاول أن تردد الدعاء: «اللهم لا تجعلني أتعلم كل درس في حياتي من تجربتي الشخصية؛ «لذا قالوا حكمة مفادها «إن السعيد من اتعظ بغيره، والشقي من اتعظ بنفسه».

الخرافة ٣: الفهم الخطأ للتضحية: يرى بعض الآباء والأمهات (بسبب مشاعرهم الخيّرة) أنه يلزم أن يحرقوا أنفسهم خدمةً لأولادهم، زيادة على ذلك، يظنون أن الدّين يطلب منهم ذلك، والحقيقة هي أن المال والبنين يُعدّان زينة الحياة الدنيا للآباء والأمهات، وليسا شكلاً من أشكال التعذيب والمعاناة.

قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف:٤٦).

ليس مطلوباً من الآباء والأمهات، خاصةً الأمهات تقديم تضحيات غير محدودة لأبنائهم، أو أن يكونوا مثل الخدم في تلبية احتياجاتهم، بل يُجمل بالأولاد مساعدة الأمهات وخدمتهن أولاً، ثم يعقب ذلك خدمة الأولاد.

الخرافة ٤: المسؤولية الأولى للآباء والأمهات هي علاقتهم مع أولادهم: على النقيض من ذلك، يَحسُن أن تنصب المسؤولية الأولى للأبوين على أنفسهم أولاً ثم على العلاقات مع الآخرين.

حقق التوازن بين نفسك، وأولادك، وخالقك، فهناك حقوق متعددة.

ومما يُروى في هذا أن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه لما رأى من أبي الدرداء رضي الله عنه شدة على نفسه، قال له: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ سَلْمَانُ». (البخاري).

يفهم من هذه الحادثة أن الآباء والأمهات مطالبون بالاعتناء بصحتهم ورغباتهم المشروعة وصداقاتهم وإجازاتهم أيضاً؛ إذ إن كل ذلك يعينهم ويهيؤهم لخدمة أعضاء الأسرة كافة.

بعض المفاهيم المغلوطة في التربية الوالدية

التقليد الأعمى للأساليب الموروثة

يتعلم معظمنا عادات معينة من والديه، وليس كل هذه العادات دائماً حسنة ومفيدة، وقد يكون بعضها قديماً ومؤذياً وعفى عليه الزمن.

تقول إحدى الأمهات: «أصبحتُ أشعر وكأنني أُمّي في اللحظة التي عرفت فيها أنني حامل». ويؤكد بعض الآباء والأمهات، من باب الوفاء والامتنان لوالديهما، أنهما قدما لهم أفضل تربية. نعم لقد تلقَّى الكثيرون منا الحب والرعاية الرحيمة من والديهم، بارك الله فيهما، فقد كانا يرجوان لنا الأفضل بالتأكيد، إلا أن ذلك لا يعني أننا نمتلك المعارف والمهارات اللازمة للتربية الوالدية البناءة فلكل زمان حاجاته وتحدياته.

التقليد الأعمى للآخرين

التقليد الأعمى لا يستقيم في التربية الوالدية، فكل ولد مميز في بعض النواحي، وما ينفع مع فرد؛ قد لا ينفع مع آخر، فالآباء والأمهات في حاجة مستمرة إلى اكتشاف أفضل الطرق للتعامل مع أولادهم في المواقف المختلفة. ولا بد أن يرسّخ في أفئدة الوالدين، عند التشاور

مع الآباء والأمهات الآخرين حول أساليب التربية، أن كل أسلوب سيثبت جدواه ويؤتي ثماره فقط عند تطبيقه في مسألة وسياق محددين، فيوصف بعض الآباء والأمهات بأنهم متساهلون أو ديمقراطيون، على حين يوصف بعضهم بأنهم صارمون ودكتاتوريون متسلطون.

تحقيق أمانينا الشخصية في أبنائنا

هذا خطأ في السلوك الوالدي. فهناك آباء وأمهات يسعون إلى تحقيق أهدافهم، التي فشلوا في تحقيقها بأنفسهم، وذلك بدفع أولادهم إلى تحقيقها. ومثال ذلك، كان أحد الآباء يحلم أن يصير طبيباً أو مهندساً ولم يستطع، فأجبر ولديه على دراسة الطب أو الهندسة، مع أن ابنه وابنته لا يرغبان في دراسة أي من التخصصين، فإدراكنا أن الأولاد ليسوا مجرد امتداد لوالديهم، بل لديهم استقلالهم وأمنياتهم وطموحاتهم الخاصة بهم والمختلفة عنّا.

وقد يكون من المُغري للآباء والأمهات أن يصبح

> **مفاجأة جديدة عند كل خطوة**
>
> • «لم تكن التربية الوالدية شيئاً نتعلمه، بل كانت شيئاً نقوم به حين ننجب أطفالنا». (David Elkind)

أولادهم امتداداً لهم، فيحاولون تصحيح عيوبهم بأبنائهم، بل تصحيح أخطائهم التي ارتكبوها بحق والديهم في الماضي، وهذا السلوك الوالدي أيضاً صورة من صور التربية بالقولبة أو الإلزام التي لا يختلف التربويون على رفضها.

فإذا لم يكن الآباء لاعبي كرة قدم جيدين؛ حاولوا أن يكون أولادهم أبطالاً في هذه اللعبة، وإذا كانوا ضعيفين في مادة الرياضيات، تطلعوا لأن يكون أولادهم مثل آينشتاين، وإذا فشل الآباء والأمهات في أن يصبحوا سياسيين مرموقين؛ أرادوا لأبنائهم الفوز في كل منافسة سياسية. ليست الأبوة والأمومة طفولة ثانية متقدمة، وليس الأولاد نسخاً مصغرة عن والديهما، فيجمل احترامهم لما هم عليه بالفعل؛ وليس لما نريدهم أن يكونوا عليه مما يوافق رغباتنا وأمانينا الشخصية.

تفويض مهام الأبوة والأمومة

تتولى الأم أو الأب في العادة مهمة التربية الوالدية. وفي الواقع لا يمكن للأب أن يحل محل الأم، ولا يمكن للأم أن تحل محل الأب، شأنهما شأن اليد اليسرى التي لا يمكن أن تحل محل اليد اليمنى ولا اليمنى محل اليسرى، فكل من الوالدين له دور محدد خاص به. كذلك لا يمكن للجَدّين أو الأقارب أو المربيات أن يحلوا محل الوالدين في مهام الأبوة والأمومة، فهؤلاء كلهم بدائل لا يعد أي منهم كافياً ليأخذ دور الوالدين، ويجدر أن لا يلجأ لها إلا عند الضرورة وبضوابط معينة.

الآباء والأمهات الصالحون يربّون أولاداً صالحين بالضرورة

يرى كثير من الناس أن السبب في انتاج أولاد طالحين (متعاطين للمخدرات أو لصوص أو مرتكبي الفواحش أو فنانين فاسدين) يرجع إلى تربية والديهم لأنهما لم يقوما بواجبهم بالشكل المطلوب، وهكذا نلقي اللوم كله على الآباء والأمهات عندما يخفق الأولاد، على حين قد يكون خلاف ذلك تماماً عند العديد من الآباء والأمهات الصالحين الذين بذلوا قصارى جهدهم لتربية أولادٍ صالحين مثل: (النبي نوح عليه السلام وابنه). وعلى النقيض من ذلك، هناك كثير من الحالات قد يكون فيها الآباء والأمهات سيئين، ثم يرزقون أولاداً صالحين مثل: (النبي موسى عليه السلام الذي نشأ وتربّى في بيت فرعون، والنبي إبراهيم عليه السلام الذي تحداه أبوه «عمه» المشرك ووقف ضده).

التربية الوالدية ملَكَةٌ طبيعية

يرى بعض الناس أنه ليس هناك ضرورة للحصول على تأهيل وتعليم مبرمج لتربية الأولاد، فنجد أن عدد الدورات في تعليم قيادة السيارات تفوق عدد الدورات في التربية الوالدية. وينتج عن ذلك وجود فروقات واختلافات واضحة بين الأمهات المبتدئات اللاتي لم يحصلن على تدريب أو تعليم، وبين الأمهات المتمرسات الحاصلات على التدريب والتعليم. وستكون الأمهات المبتدئات أقل قدرة على فهم أبنائهن واحتياجاتهم، ولن يكون عندهن القدرة والمعرفة التي تجعلهن يتوقعن سلوك أولادهن حينما يكبرون، بينما ستكون الأمهات المتمرسات أكثر فهماً لطريقة تفكير أولادهن وتصرفاتهم، ثم من لم يحصل على تدريب وتعليم في التربية ربما سيميلون إلى تكرار أخطاء آبائهم وأمهاتهم وأصدقائهم.

من السهل غرس القيم الأسرية

وتعني القيم الأسرية للكثيرين ما يأتي:

- احترام كبار السن وعامة الناس.
- تقبل الاختلافات بين الناس.
- القدرة على مناقشة الخلافات بهدوء والتعاون على حلها. «أدب الاختلاف».
- التمسك بالخير، حتى عندما يكون غير سهلٍ أو غير مرغوب فيه.
- تقديم الالتزامات والوفاء بها.
- الحفاظ على الكرامة الشخصية في الأوقات جميعها.
- مساعدة الآخرين وخدمة المجتمع.

ومن الواضح أنه لا يمكن تعليم الأولاد القيم أعلاه كافة، وتربيتهم عليها وعلى غيرها من المثل العليا بسهولة؛ لأنها تحتاج إلى تركيزٍ وجهد، لكن في الوقت نفسه تربيتهم على القيم المذكورة ليست أمراً مستحيلاً أو لا يمكن تحقيقه، فالله تعالى لا يضيع أجر عامل أخذ بكامل الأسباب وتوكل عليه سبحانه، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (هود: ١١٥).

يكفي الحَدْس والحِسّ السليم والمنطق والحب في التربية

يحتاج الآباء والأمهات إلى التعلّم واكتساب المهارات؛ لأن الأبوة والأمومة عبارة عن سلسلة لا نهاية لها من الأحداث الصغيرة، والصراعات الدورية، والأزمات المفاجئة التي تستدعي الاستجابة في الوقت المناسب. ولهذه الاستجابات عواقبها؛ لأن كل استجابة تؤثر في شخصية الأولاد تأثيراً حسناً أو سيئاً؛ لذلك كانت الاستجابة المناسبة لاحتياجات الأولاد مهارةً يتعين تعلُّمها؛ إذ تتشكل شخصية الأولاد وفقاً لتجاربهم مع الوالدين ومع الناس في المواقف المختلفة، لذلك لا تُبنى الصفات الشخصية عفوياً أو بالقهر والقوة، فلا يستطيع أحد تعليم الولاء والإخلاص عن طريق المحاضرات، وتعليم الشجاعة عن طريق المراسلة، وتعليم الرجولة أو الأنوثة عن طريق التناصح أو التناضح، بل يتطلب بناء الشخصية معرفة بعلم نفس الأولاد ومراحل نموهم. كما أن السبيل إلى أن يتأكد الآباء والأمهات من أن أولادهم المراهقين سيصبحون متعاطفين وملتزمين وشجعان؛ هي أن يتعلم الآباء والأمهات عملياً الطرق الصحيحة في تحويل المثل والقيم التي يرغبون في أن يتحلى بها أولادهم إلى نتائج ومخرجات نافعة وملموسة في أخلاق الأولاد وتصرفاتهم.

افتراض كفاية استعمال المنطق مع الأولاد

لا تقوم العلاقات بين الوالدين والأبناء على التفكير العقلاني وحده، حيث إن العادات والعواطف أيضاً تدخل ضمن هذه المعادلة. فلا يستطيع الوالدان مثلاً إقناع الأولاد بقولهما: «كلوا الفواكه والخُضَروات

لفائدتهما العظمى من الفيتامينات والمعادن الضرورية لصحتكم»، فمع أن المنطق ضروري للإقناع، إلا أنه لا يعد كافياً.

إن تحقيق احتياجات الطفل هدف مهم، ولكن الأهم الوسيلة والكيفية التي يتم بها هذا الإشباع، فالنجاح التربوي في التربية الوالدية يشير إلى ضرورة الربط بين احتياجات الطفل الجسدية وإثرائها بجوانب معرفية ونفسية تشكل مغريات ومحفّزات للطفل، فعلى سبيل المثال: الأهل الذين يبررون النوم المبكر لأطفالهم بمجرد الاستيقاظ المبكر، قد لا يكون هذا المبرر هدفاً أو محبوباً لدى الطفل، ولكن ربطه بمفاهيم معرفية ونفسية أخرى من: جمال الوجه، وتحسين القدرة على اللعب مع زملائه، أدعى وأرغب في القبول، وهذا يعني بطريقة أخرى تنمية القيم وبنائها قبل تشكيل السلوك بحيث ينطلق سلوكه من مفاهيم معرفية ونفسية محببة لديه تجعل أداءه السلوكي أكثر انتظاماً وأقرب للاتزان والرسوخ.

افتراض كسب الحرب ضد أولادنا

قد يكسب الآباء والأمهات بعض «المعارك» مع أولادهم من حين إلى آخر، إلا أنه في نهاية المطاف قد يردّ الأولاد على ذلك انتقاماً وكراهية تجاههم. فعلى سبيل المثال، قد يجبر الآباء والأمهات ابنتهم على تخصص جامعي بالقوة ثم تخفق تلك الفتاة في تحصيل العلامات وتجبر أهلها على دفع رسوم جديدة، وبذلك تكسب الحرب ضد والديها، وقد يمنع الوالدان ابنهما من قيادة السيارة فيسرق ابنهما السيارة، ويتسبب في حادث أليم ليعاقب والديه. وليس أمام الآباء والأمهات إلا بديل واحد وهو كسب أولادهم إلى جانبهم، ويكون ذلك بالاستماع إليهم والتفاهم والتحاور معهم ومحبتهم ومخاطبتهم بالمنطق والعقل والعاطفة، ولا شك أن التربية مهمة حساسة تتطلب الصبر والتواصل الفعال عبر السنين.

اعتماد الوالدين على أنهما الأكبر سناً وبيدهم السيطرة

يدرك الأولاد وهم صغار أنهم في نهاية المطاف سوف يكبرون ويكونون أقوياء، فإذا استخدم الوالدان قوتهما كي يخشاهما الأولاد؛ فإن الأولاد قد يستخدمون الأساليب نفسها عند بلوغهم سن المراهقة وما بعدها. وإذا استطاع الوالدان أن يكسبوا أولادهم لجانبهم بأساليب التفاهم والاقتناع، حينها سيبنون علاقة صحية مع الآخرين، وسيدركون أن قوة الوالدين ستكون قوة تضاف إلى قوتهم. فالآباء والأمهات الذين يربون أولادهم بالإجبار والقسوة؛ قد لا يدركون أنهم إذا استخدموا الحب والإقناع، بدلاً من الإكراه، فإنهم قد يحققون النتائج نفسها، بل ربما أفضل، وإذا كنا سنتوصل للنتائج نفسها، فلماذا يبقى الإصرار على استخدام القهر والتمسك به في التربية؟



معاملة الأولاد جميعهم بالطريقة نفسها

قد يفترض الوالدان أن أولادهم جميعاً متشابهون، وليس هذا صحيحاً؛ لأنهم مثل الزهور مجتمعة في باقة، فلا يخلو الأمر دائماً من وجود زهرة تتجه اتجاهاً مناقضاً لما يرغب به منسّق الزهور. كما يختلف الأولاد في قدرتهم على تحمل التوتر والضغط، والتعلم، وفي مستوى ثقتهم بأنفسهم، وفي طريقة تعاملهم مع المواقف

الاجتماعية المختلفة، وفي هواياتهم. وسرعان ما يدرك الوالدان الخصوصية المميزة لكل ولد، أو اختلافه عن الأولاد الآخرين الذين يعرفونهم أو عمن قرأ عنهم في الكتب والإنترنت. إضافة إلى التباينات بين البنات والبنين وطبيعة الدور الاجتماعي المختلف لكل منهما، فكل واحد من الأولاد فريدٌ في شخصيته، لا يتطابق معه أحد من إخوته حتى ولو كانا توأمين أو بينهما قواسم مشتركة.

عاملهم كأبنائك وبناتك فقط

«أنت لا تربي أبطالاً بل أبناء. ولو عاملتهم معاملة الأبناء فإنهم سيصبحون أبطالاً، حتى لو كان ذلك في نظرك أنت وحدك.»

(Schirra)

معاملة الأولاد وكأنهم بالغون صغار

قد يعتقد الآباء والأمهات إلى أنه يجدر أن يعاملوا أولادهم الصغار سناً وكأنهم بالغون صغار السن. ويوضح الجراجرة (١٩٨٨) أن معاملة الأولاد معاملة تتوافق مع صغر سنهم تختلف عن معاملتهم على أنهم بالغون صغار السن، كما يؤكد أن أهم مرحلة من مراحل حياتنا؛ هي مرحلة الطفولة. فلا ينفع تطبيق أفكار التعامل مع البالغين على الأولاد بوصفهم نسخة مصغرة من البالغين. فالولد ليس بالغاً صغير السن والبالغ ليس ولداً كبير السن.

والواقع أن الآباء والأمهات بحاجة ماسة إلى فهم علم نفس الطفل، وهو ليس سهلاً فاحتياجات الطفل البيولوجية المتطورة تتغير؛ أي إذا كان الطفل جائعاً أُطعم، وإذا كان تعباً فتريحه، وإذا اتسخت حفاضته فتغيرها. فالحاجات النفسية للطفل صعبة الفهم، بل إن فهم البالغين لمكونات أنفسهم على درجة كبيرة من الصعوبة، على الرغم من أنهم في العادة قد يعرفون أنفسهم أفضل من غيرهم.

الأولاد يدربون والديهم

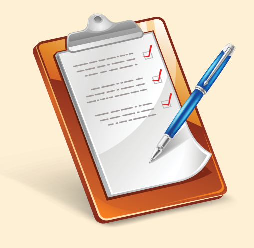
«لا تكمن قيمة الزواج في أن البالغين ينتجون أولاداً، بل في أن الأولاد ينتجون البالغين.»

(Peter De Vries)

تلبية رغبات الأولاد الشرائية جميعها

يحسُن بالآباء والأمهات ألا يهرعوا لشراء كل ما يطلبه أولادهم، وألا يلبوا رغباتهم جميعها، فليست وظيفة الوالدين أن يكونوا خدماً طائعين لأولادهم، بل ليعلموهم، ويدربوهم ويؤدبوهم وليوكلوا إليهم أعمالاً منزلية لينجزوها، ويفهموهم أن الحياة لا تقف على الأخذ فحسب، بل على العطاء أيضاً، فإن إعطاء الأولاد كل ما يريدون دوماً سيجلب نتائج سيئة؛ وستبقى هذه العادة تنمو وتتضخم عندهم لدرجة إغراق الوالدين بمطالب مستمرّة -حتى بعد أن يكبروا- فلا تنتهي طلباتهم من شراء الملابس وأقراص الفيديو الرقمية والألعاب، إلى آخره من الحاجات التي لا نهاية لها.





النشاط ٢٧: التجارب الشخصية الصعبة

من تجربتك الخاصة، بوصفك والداً، هل يمكنك أن توضح لماذا كانت الأبوة والأمومة مهمتين عسيرتين؟ وكيف؟

قم بذلك أثناء اجتماع للأسرة مع أولادك، فقد تتفتح عيونهم على حقائق واقعية من الحياة كانوا غافلين عنها.

النشاط ٢٨: مناقشة أفكار عن التربية الوالدية

اشرح هذه الآيات في جوٍّ أُسري، بحضور أفراد الأسرة جميعهم، ثم ناقش أفكارك الشخصية، وابسط القول عن المعاناة والمتعة في تربية الأولاد، ثم استشهد ببعض القصص الحقيقية عن أشخاص تعرفهم!

قال أحد الآباء: «خلق الأولاد لمعاقبة والديهم»، أمّا القرآن الكريم فيقول: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف: ٤٦).

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التغابن:١٤).

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التغابن:١٥).

الفصل السابع

عندما تسوء الأمور

- مقدمة
- الحنق والتمرد ونوبات الغضب والدموع
  - بعض وسائل تأديب الولد الغاضب
- أنت وولدك: التمّرد والتنمّر
  - عند تعرض ولدك للتنمر، ما الخطوة القادمة؟
  - خطوات مقترحة للتطبيق عند التتمرّ
- المراهقون: نقد مفهوم المراهقة
- الغضب عندنا وعند مراهقينا
- قد يكون الغضب ضاراً أو نافعاً
- هل يجلب غضب مراهقك الغضب لنفسك؟
- ما الذي نستطيع فعله لمراهقينا ولأنفسنا؟
- ملاحظات حول التواصل الجيد
- الأنشطة ٢٩-٣٠

مقدمة

يتناول هذا الفصل ما يمكن القيام به عندما تسوء الأمور بين الآباء والأولاد، وسنركز على طريقة التعامل مع الصعوبات والمشكلات، ولن نرجع إلى الماضي ونلح في سؤال أنفسنا: في أي جانب من واجبات الأبوة والأمومة قصّرنا؟ كما يتناول الفصل قضايا الحَنق (الغضب الشديد)، ونوبات الغضب، والتنمر، وسوء السلوك في المراهقة. كذلك يبحث في التواصل المنفتح بوصفه أداة حيوية للتغلب على المشكلات مع أولادنا؛ وعلى هذا ليس هناك مشكلة، مهما عظمت، لا يمكن حلها إذا عولجت بأناة وتركيز وتخصص.

ليس هناك ضمان كامل لنجاح أي علاقة إنسانية، وهذا يشمل العلاقة بين الوالدين وأولادهما، فاحتمال أن تسوء الأمور أمر وارد، وقد يحدث هذا عادةً. حينما كنت تنظر بكل فخر إلى مولودك القادم حديثاً إلى الحياة، كان يغمرك آنذاك الأمل والتفاؤل، ودعوت الله تعالى أن ييسر لك الأوقات التي ستقضيها معه، كما توقعت من طرفه الحب والطاعة والاحترام، وقلت في نفسك: «لا شك ستنشأ بيننا علاقة بناءة ومثمرة!»

بعد خمسة عشر عاماً تخاطب نفسك قائلاً: «ما الخطأ الذي حصل؟» لقد أديت واجباتي كلها على أكمل وجه، وقدّمت أفضل ما عندي، وحاولت قُصارى جَهدي تربية ولدي على الحب والانضباط والإيمان، فكيف تحول في سن المراهقة إلى هذا النموذج السلبي المهين؟

أصابت الصدمة أحد الوالدين عندما لاحظ أن ابنه النبيه الذكي، الذي كان طالباً فائقاً وذا صحة وعافية، غدا يعاني من نقص في الجوانب العاطفية والنفسية. قد لا يلاحظ بعض الآباء والأمهات أن ولدهم يعاني من مشكلات عاطفية ونفسية، خاصة إذا كان وضعه في المدرسة جيداً، وسليم الجسم والعقل، وقد يكون الأول في صفه ولكنه يفتقر إلى الاتزان النفسي. ويمكن أن تصل إلى الوالدين فكرة أو تعليق عارض من المعلمين أو الأصدقاء أو الأقارب من احتمال وجود هذا النقص في ولدهم، حينئذٍ يجب على الوالدين أخذ الأمر بجدٍ ويجدر بهما أن يتخذا إجراءات وخطوات تصحيحية مباشرة.

غالباً ما قد تسوء الأمور فعلاً في الأسرة، ولا يُجمل أن يعزى ذلك مباشرة إلى تقصير الأبوين ولومهما بالضرورة. يخضع ابنك أو ابنتك إلى تغير مستمر، فالانتقال من الطفولة إلى البلوغ يصطحب معه عادة صعوبات عديدة ويتعين على الآباء والأمهات أن لا يتهيبوا من أَيٍّ هذه الصعوبات؛ إذ إنّ التغلب عليها ممكن بالتربية الوالدية السليمة، وينتج عن هذه التربية تجربة مثمرة. فالتربية الوالدية الناجحة تعود إلى عوامل كثيرة تشمل آمال وأمنيات ودعوات، زيادة على اكتساب المعرفة والمهارات المتنوعة، وكذلك الاستفادة من توجيهات الآباء والأمهات الآخرين المبنية على خبراتهم وتجاربهم الشخصية.

تقول إحدى الأمهات: «نحن نعيش في ضاحية متوسطة، وتخرج أولادنا من أفضل المدارس، وقضينا معهم أوقاتاً كثيرة، وقمنا بنشاطات تقوّي تماسك أسرتنا، مثل المخيمات، والتزلج، والسباحة، لكن ابننا الآن في السجن، بعد أن سرق متجراً، وأصيب بطلقة نارية في رجله. سألنا أنفسنا طويلاً حتى توقفنا عن السؤال: ما هو الخطأ الذي ارتكبناه؟ لقد مضى من عمره ثلاثة وعشرون عاماً قبل أن ينجرف إلى علاقة صداقة مع مجموعة من الشباب الذين قرروا فجأةً سرقة المتجر».



الحَنق والتمرّد ونوبات الغضب والدموع

يستمر الأولاد في النمو والتعلم طوال الوقت، وفي أثناء ذلك يواصلون اختبار مدى تحكم والديهم وفرض سلطتهما عليهم، ويمكن أن يتحول ذلك مع الزمن إلى حرب إرادات، ولا يمكن لعددٍ كبيرٍ من محاضرات الوالدين إيقاف صراخ الأولاد العنيدين وإزعاجهم في المنزل وفرض آرائهم، وقد يلجأ الأولاد الصغار إلى سلاح البكاء الطويل لجلب الاهتمام ونيل مطالبهم، وبهذا يستطيعون التأثير في والديهم عندما يصبح أسهل الحلول عند الوالدين هو الاستسلام لرغبات أولادهما. وهذا خطأٌ بيّن يظهر عواره وخلله على المدى البعيد، إذ يعزز استسلامهما للأولاد، وإثارة الاهتمام بهم بهذه الطريقة، اعتقاد الأولاد أن سلاح البكاء سوف يؤتي أكله كل حين. كذلك لن تحل المشكلات بالصراخ والضرب والإجبار، فالحل هو استخدام وسيلة ذكية للتأديب تعلّم الأولاد احترام القواعد الخاصة في البيت، وترك السلطة بأيدي الوالدين.

بعض وسائل تأديب الولد الغاضب

الانضباط ينضج التصرفات، والعقاب يخمد التصرفات.

- تكلم بصوت طبيعي مركّزاً على عواقب السلوك السيء والعصيان. إذا لم ينجح هذا؛ ركز على التواصل الصوتي والبصري قبل اتخاذ أي إجراء، واستخدم نبرة حازمة وصوتاً هادئاً، ولا تلجأ إلى الصراخ.
- دع الولد يعرف أنك جاد، وانظر مباشرة إلى عينيه، ذكّره مرات عدة تذكيراً واضحاً وبطيئاً، فإذا لم يستمع إليك، اقترب منه، وحافظ على التواصل الصوتي والبصري، وكرر ذلك بهدوء.
- إذا لم ينفع هذا طبق قاعدة العواقب: عدّد للولد النتائج المترتبة إذا لم يَنْصَع لك، لا بد من متابعة تنفيذ العواقب والحرص عليها لفرض الاحترام، وإلا فلن يعدك جاداً عند تحذيرك له. إذا كان يصرخ ويَئِنُّ ويعبر عن غضبه بوسائله المختلفة؛ فلا ترد بالطريقة نفسها، بصِّر الولد بالعواقب، وأعلمه بالوقت الزمني الذي تتوقعه منه للتنفيذ، ولا تطالبه بالاستجابة الفورية لطلباتك، وإذا نفذ المطلوب فدعه وابتعد عنه.
- هناك العديد من الإجراءات التي يمكن للآباء والأمهات اتباعها. راقب ولدك، واعرف ماذا يحب، وما الذي يحزنه إذا حُرم منه، واحجبه عنه لبعض الوقت من دون تردد، قد يكون ذلك لعبة مفضلة له أو زيارة لصديق حميم، أو رحلة إلى مكان ما. وبمجرد أن يندم ويهدأ، كافئه على تعديل سلوكه، وأظهر له حين تكافئه عاطفة جياشة، وقد تضطر لمتابعة فرض التأديبات واحدة تلو الأخرى لتعزيز معنى القصد منها، إذا استمر الولد بالتصرف الخطأ.
- خَصّص ركناً «حَيّزاً» لطفلك الصغير لحجزه فيه، واستمر في أداء عملك بهدوء في أثناء ذلك إلى أن يعتذر، واصفح عنه إذا اعتذر على الفور، ومن ثم تناسَ بسرعة خطأه لإضفاء أجواء أحسن وألطف. إن فكرة هذا «الحيّز» المخصص للتأديب تزعزع انتباه الولد الصغير، ويشعر فيها بفقدان مزية وجوده مع الآخرين ولا تتحدث معه أثناء ذلك؛ لأن المفروض أن يقضي وقت الحجز وحده منفرداً في مكان يسبب له الملل، خلافاً لغرفة نومه. ويجدر تحديد فترة العَزْل هذه بدقائق معدودة، وإذا حاول الحديث دفاعاً عن نفسه، أو تكلم بغضب فتجاهل هذا.
- كافئ الولد عندما يتصرف تصرفاً حسناً وإن كان يسيراً. ولا تَرْشِه كي يلتزم السلوك الحسن، أو حينما يشرع بنوبة غضب؛ لأن هذا ليس من الحلول المناسبة التي يتعلم منها الأولاد شيئاً مفيداً.

أنت وولدك: التمّرد والتنمّر «Bullying»

للتنمر تأثير كبير على أولادنا، وإن تحديد بوادر حدوث التنمر مبكراً يجعلنا نتجنَّب كثيراً من الألم والاضطراب. يحدث التنمر ضد ولدك عند السخرية أو المضايقة أو الهجوم عليه من الآخرين. ويحسن أن يتنبه الآباء والأمهات لهذا الأمر، لأن العديد من الأولاد يخافون من إخبار والديهم عندما يتعرضون لذلك، فانتبه لأي سلوك غير عادي يصدر من ولدك، وتجاوب معه بهدوء عندما يقع شيء غير عادي. هناك موقع مخصص للتنمر عبر الإنترنت (http://www.bullying.co.uk) لمعالجة هذه المشكلة ونقرأ فيه فقرة:

«يقْدِم قرابة ١٦ طفلاً في المملكة المتحدة على قتل أنفسهم كل عام بسبب ما يعانونه من التنمّر. ويأتي الرد من مدارسهم عادةً بأنها لم تكن على علم بما يجري، ولكن الـمُتَنَمِّرين يعرفون بالضبط ما يفعلون، كذلك من تنمّروا عليهم. وعندما يموت أحدهم، أو يصاب بمرض يحتاج فيه لعلاج طبي ونفسي من التنمر، وعندها سيكون قد فات الأوان على الشعور بالندم».

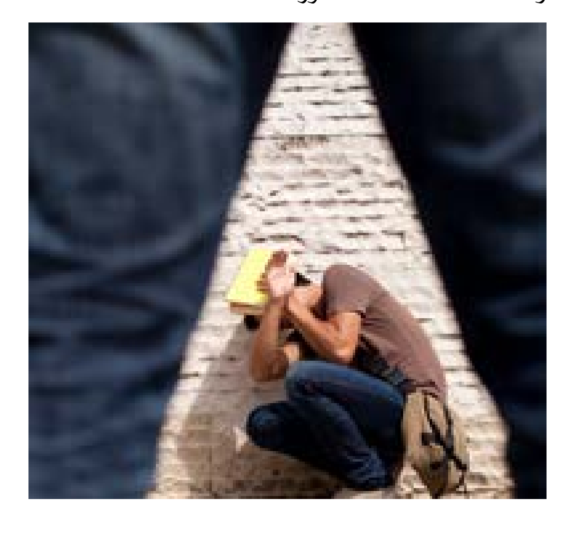
يضع موقع www.Bullying.co.uk على شبكة الإنترنت قائمة بالمؤشرات التي تدل على أن ولدك يتعرض للتَّنَمُّر من الآخرين، هي:

- ملابس ممزقة.
- فقدان المال.
- خلاف مع أصدقاء كانوا صالحين.
- المزاجيّة وضيق الخلق.
- الهدوء والانطواء.
- الرغبة الزائدة في البقاء داخل المنزل.
- العدوانية مع إخوته وأخواته.
- تراجع المستوى الدراسي.
- صعوبة في النوم.
- القلق والاضطراب.
- الرجوع إلى المنزل مصاباً بجروح وكدمات.
- المطالبة بشراء بديل عن الأشياء المسروقة.

عند تعرض ولدك للتَّنَمُّر، ما الخطوة القادمة؟

لا يرغب الأولاد في الحديث عن تعرضهم للتنمر، لذلك كانت طريقة الوالدين في التعامل مع هذه المشكلة مهمة وحاسمة، والحل يتجنب المبالغة في رد الفعل، والابتعاد عن توجيه أسئلة مباشرة ومحرجة إلى ولدك. اسأله مثلاً: «كيف كانت المدرسة اليوم؟» فربما يكون مثل هذه السؤال مفيداً في استخراج مكنونات أنفسهم عن الذي حدث. وقد لا يرغب كثير منهم في التحدث عن يومهم الدراسي، وينظرون إلى السؤال على أنه استجواب وتدخل سافر في خصوصياتهم، لذلك فإن ملاحظة أي سلوك غير عادي مهم جداً.

فحرصنا على أن يشعر أولادنا بالارتياح، وأن يكونوا منفتحين بما فيه الكفاية عند الحديث مع والديهم عن التنمر أمر بالغ الأهمية. ومن الضروري أن يعتادوا التواصل المنفتح منذ الطفولة المبكرة؛ لأنها تمكنهم من الحديث عن مخاوفهم وتشعرهم بالتقارب العائلي والتحدث عن مشكلاتهم بلا وجل؛ الأمر الذي يوفر الكثير من الوقت والجهد. فطلبك من ولدك أن يخبرك عما يقع له من مشكلات لن يجدي شيئاً إذا كان ولدك لا يشعر بالراحة والثقة عند مناقشة الأمور معك.



خطوات مقترحة للتطبيق عند التَّنَمُّر

الخطوة الأولى لحل مشكلة التَّنَمُّر، بأن تكون قريباً من مدرسة ولدك. والخطوة الثانية هي ترتيب لقاء مع معلمه لمناقشة الموضوع.

- لا تعلّم الولد الرد على المُتنَمِّر؛ لأنه في نهاية المطاف لن يكون هو الحلّ، وقد يسبب المزيد من المشكلات. فضرب طالب آخر لن ينهي المشكلة، ويمكن أن يسبب في حرمان ولدك من الدراسة لفترة زمنية، أو حتى طرده.
- حافظ على هدوئك بوصفك والداً، ولا داعي للقلق أو التسرع في الاتصال بوالدي الولد المُتنَمِّر على ولدك. ومع أن هذا عادةً يكون أول رد فعل للوالدين، إلا أنه في بعض الأحيان يزيد الأمور سوءاً، فمن الأفضل أن يكون الاتصال مع والدَي المتنمِّر من أحد المسؤولين في المدرسة.
- واظب على الحديث مع ولدك للتأكد من أن التنمر قد توقف، وإن لم يحصل ذلك، عاود اتصالك بالمسؤولين في المدرسة مرة أخرى.
- ساعد ولدك على أن يكون أكثر مرونة في مواجهة التنمُّر، وذلك عن طريق زيادة ثقته بنفسه، كذلك يسهّل من ذلك تَعلّمه فنون المقاومة والدفاع عن النفس، وهناك برامج عديدة لذلك.
- علم ولدك استراتيجيات السلامة الخاصة بالأولاد، وكيفية طلب المساعدة من الكبار عند الشعور باحتمالية وقوع الاعتداء من المتنمرين. وتحدث معه عن من يلجأ لطلب المساعدة، ودربه على ما ينبغي قوله في هذا الموقف، وبتمثيل مشهد التعرض للتنمر وتقمص الأدوار. أكّد لولدك أن الإبلاغ عن تعرضه للتنمُّر ضروري وهو أمر لا يدعو للشعور بالذنب.
- اطلب من المعلمين اقتراح نشاطات يفعلها الولد في وقت الاستراحة والغداء في مكان آمن في مدرسته.
- استشر المواقع العلمية على الإنترنت.

وتعرف على كيفية تعامل الآباء والأمهات الآخرين مع هذه المواقف، والإستراتيجيات التي يستخدمونها.

المراهقون: نقد مفهوم المراهقة

قد تكون سنوات المراهقة المرحلة الأكثر تحدياً من مراحل تربية الأولاد. يقول الدكتور عماد الدين أحمد: إذا توافر للمراهقين بيئة فيها حرية فيمكن أن يكونوا قادة. ثم يعرّف المراهقة على أنها «فترة ما بين سن البلوغ وسن الشباب» وكان البلوغ هو بداية مرحلة الشباب في المجتمعات السابقة، وقد نصت الأديان السماوية على هذه الحقيقة في شعائرها وشرائعها. في الإسلام، تصبح الفتاة امرأة مع بداية الحيض عندها، ويصبح أداء الصلاة واجباً على كل من وصل سن البلوغ (وهو الاحتلام عند الذكور)، وإن كان التدريب على الصلاة يبدأ من الصغر. وفي اليهودية، عندهم ما يسمى Mitzvah ميتزفا، حين يعلن الشاب «أصبحت اليوم رجلاً».

سنوات المراهقة هي الوقت الذي يحتاج الشباب فيه إلى أن توكل إليهم مسؤوليات الرجال لمساعدتهم على تحقيق النضج. وفي العصر الحديث؛ حلَّ التعليم الرسمي محل النماذج القديمة التي سادت المجتمعات آنذاك؛ ومن أجل إلزام عامة الناس على النظام التعليمي الرسمي الحديث؛ كان التركيز منصباً على إنكار حقيقة أن المراهقين يستطيعون التصرف مثل الشباب، ومن ذلك أنه لا يسمح تعيينهم موظفين متدربين في كثير من البلدان حتى انتهائهم من التعليم الرسمي الطويل، وبالذات بعد اجتيازهم مرحلة المدرسة الثانوية (١٧-١٨ سنة) أو مرحلة الكلية (١٩-٢٢سنة). فإرغام الأولاد على نظام المدارس، الذي يضع نفسه في مقام الوالدين وبديلاً عنهما، قد استدعى ترسيخ فكرة أن المراهقين هم أولاد صغار وليسوا

شباباً غير ناضجين. وليس من قبيل الموافقة أن تنص القوانين على أن سن المساءلة القانونية للأولاد جميعهم، هو سن ١٨ أو ٢١، وفي الواقع، يكتمل الأولاد جسمياً في سنة ١٦-١٧ تقريباً، وعادة لا ينضجون قبل سن الرشد، على حين ينضج الناس عاطفياً في أوقات مختلفة من المراحل العمرية (ويبدو أن بعضهم لا يكتمل أبداً !!).

كانت معاملة المراهقين في الماضي معاملة البالغين؛ إذ تحفز قدراتهم العقلية والقيادية والنضج العاطفي وتعززها. أما النموذج الحديث؛ فيدعو إلى معاملة المراهقين معاملة الأطفال؛ الأمر الذي يعزز التبعية لديهم، وعدم الشعور بالاستقلالية، كما يضعف الشعور بقيمة الذات عندهم. وفي المجتمعات التقليدية يشارك من كان عمره ١٥سنة في التدريس، والأعمال التجارية، والمجتمع المدني، وفي الحروب، وربما يكون في هذا العمر قد تزوج. بينما تعامل هذه الفئة في المجتمع الحديث معاملة الأطفال، وعليهم الانتظار حتى الوصول إلى المرحلة الجامعية للتفاعل المعرفي الجاد، بل إن عليه أحياناً الانتظار حتى دخول مرحلة الدراسات العليا.

فتأخير تحمل المراهقين لمسؤوليات تشعرهم بأهميتهم ودورهم، قد كلف ثمناً باهظاً، ودفعهم إلى اللجوء إلى وسائل غير مشروعة وسلوكيات أخرى لسد حاجاتهم النفسية، الأمر الذي يتسبب في مشكلات عدة للمجتمع. فابتداءً؛ ليس المراهقون جميعاً قادرين على الدراسة الرسمية، وهناك من بينهم من يشعر باستياء شديد تجاه نظام المدارس الذي يشعرهم بأنهم مقيدون، كما يشعر الطلبة المستحقون والراغبون في التعلم الجاد بالاستياء من معاملتهم معاملة الأولاد. وبموجب القانون يمنع الأولاد من العمل حتى سن ١٦، ولربما اضطرهم ذلك إلى أعمال غير مشروعة مثل: الاتجار بالمخدرات. وقد يلجأ أولئك الذين قد يسعون إلى تبوّؤ مكانة في المجتمع المدني، ولا تتيح لهم القوانين فعل ذلك، إلى الانضمام إلى العصابات. وقد يشعر أولئك الذين قد يبدعون ويتفوقون في الدراسات غير الرسمية، أو الدراسات الأكثر تقدماً، بالإحباط في فصول المدرسة المقولبة. وبعد إجراء تشخيص للعديد منهم؛ وجد أنهم يعانون من «اضطراب نقص الانتباه ADD»؛ لأن عقولهم تتطوف في أماكن أخرى، حيث لا يركزون على المهام التي تطلب منهم، لأنهم يجدونها مملة ولا تسترعي انتباههم زيادة على أنه ليس فيها أي نوع من التشويق.

يقع العلاج القانوني لهذه المشكلات خارج نطاق هذا الكتاب ومع ذلك، فمن المهم للآباء والأمهات تجنب الأخطاء التي يرتكبها المجتمع الحديث. لا تعامل الشباب البالغين معاملة الأطفال، بل عاملهم كما تعامل زملاءك في العمل. وانتبه دائماً إلى أنهم بحاجة إلى التوجيه والتجربة، وفي الوقت نفسه يتعين أن تدرك حاجتهم إلى الاحترام والمسؤولية والإرشاد، كذلك شجعهم على تحمل أكبر قدر ممكن من المسؤولية، وامنحهم بعض المسؤوليات المالية أيضاً، مثل العمل في الإجازة، كي يعتادوا على عالم العمل وكسب الدخل.



الغضب ينقصه حرف d فقط - في اللغة الإنكليزية - لينقلب إلى خطر (anger-danger)

قد يكون غضب المراهقين من أصعب المشاعر التي يواجهها الآباء والأمهات للتعامل معها. وتوضح ليندا ليبيل Linda Lebelle (خدمات المراهقين) المسألة باستخدام المثالين الآتيين لتوضيح الحالة:



الغضب عندنا وعند مراهقينا

مثال ١: فتاة في الصف التاسع، تشعر أن لا شيء ذو قيمة وأهمية في الحياة، ومهما حاولت الانسجام مع محيطها فلا ينفعها ذلك. حاولت قبل يوم المشاركة في مسرحية مدرسية، وعندما اعتلت خشبة المسرح شعرت كأنها تجمدت ولم تستطع المواصلة. الآن، يعرف من في المدرسة جميعهم ما حدث، وهي متأكدة أنهم يضحكون كلما ذكر ذلك الموقف، وقالت: إنها لن تخبرهم مدى سوء ما تشعر به نتيجة لذلك، وهي تعرف ما يفكرون به، وهم محقون في أنها ليست جيدة بما فيه الكفاية، ونتيجة لهذا فلن تشعر بالانسجام معهم، وهي تكره من في المدرسة جميعهم.

مثال ٢: ضَرَبَ ابنٌ شاب حائط غرفة نومه بقوة، ولكن ذلك لم يكن كافياً له للتعبير عن غضبه. ثم رمى علبة مشروبات غازية داخل البَهْو في البيت، ولطخ السائل البني المحلّى بالسكر الجدران والسجاد. وصرخ بوجه أبيه قائلاً: «لا تستطيع إجباري... لن أرافقك إلى أي مكان! سأفعل ما أريد!» ثم ركض إلى أسفل الدرج وخرج من الباب الأمامي. وتبعه والده، وناداه بأعلى صوته ليعود للمنزل، لكنه استقلَّ سيارته وانطلق بعيداً. كان ذلك الابن غاضباً من والده، وقال: إنه مشغول بأشياء أخرى يفضلها على زيارة أسرته، وهي الخروج مع أصدقائه، ولن يدع والده يدير حياته؛ لأنه يعلم أنه سيتمتع كثيراً عندما يدخن الحشيش ويتناول الكحول.

ما الأشياء المشتركة بين هذه الشابة والشاب؟

إنهما يقاتلان قتال الغاضب، ولا يحصلان على ما يريدان، ولا تجري الأمور بما يطمحان، وحينما يشعران باستياء شديد وبالعداء تجاه شخص ما، أو شيء ما، يدركان أن الأمور ليست دائماً تحت سيطرتهما.

الغضب شعور، وليس سلوكاً.

يمثل السخط والاستياء والغضب والحنق أشكالاً مختلفة من أشكال التعبير عن الغضب. فكما رأينا في المثالين السابقين، تكبح الفتاة لجام غضبها وتنسحب، ويتمرد الشاب ويدمر الممتلكات، ولسوف يستمران في سلوكهما هذا، أو قد يزيد، إلى أن يقررا النظر بإمعان إلى جذور غضبهما، ومحاولة إدارته بصورة أفضل.



قد يكون الغضب ضاراً أو نافعاً

الغضب عاطفة مخيفة، وتشمل أشكال التعبير السلبي من العنف الجسدي واللفظي والتحيز والقيل والقال والغيبة والسلوك المعادي للمجتمع والسخرية والإدمان والانسحاب والاضطرابات النفسية، وهذا في حدّ ذاته يدمر الحياة، وينهي العلاقات، ويسبب الضرر للآخرين، ويعطل العمل، ويحجب التفكير الفعال، ويؤثر على الصحة البدنية، ويهدم المستقبل. ولكن هناك جانب آخر له، وهو أنه يبرز لنا وجود مشكلة؛ فيحفزنا على التخلص من أمور تزعجنا في حياتنا، كذلك يساعدنا على مواجهة قضايانا والتعامل مع الأسباب الكامنة وراء غضبنا.

بعض أسباب الغضب

الإيذاء والإساءة - الكآبة - القلق - شرب الخمور - تعاطي المخدرات - الصدمة - الحزن

هل يجلب غضب مراهقك الغضب لنفسك؟

يواجه المراهقون الكثير من القضايا العاطفية، فهم يواجهون قضايا الهوية، والانفصال، والعلاقات والأهداف. فالعلاقة بين المراهقين وآبائهم قابلة للتغير باستمرار؛ لأن المراهقين في هذه المرحلة يصبحون أكثر استقلالية، وهذا قد يُحدث الارتباك والإحباط الذي يؤدي إلى الغضب والتصرف وفق ردود الفعل الآني لكل من الآباء والمراهقين.

ما لم نعمل على تغيير سلوكنا، نحن الآباء فإننا لا نستطيع مساعدة المراهقين في تغيير سلوكهم. نحن بحاجة للاستجابة وعدم الاكتفاء بردود الأفعال الصادرة من أحدنا تجاه الآخر، وليس القصد من هذا إنكار الغضب، بل التحكم بعواطفنا والتعبير عنها تعبيراً استباقياً؛ للوقاية من وقوع المشكلات قبل حدوثها.

ثمة فَرْقٌ بين كظم الغيظ وكبت المشاعر، فالأخير سلبي يولّد مزيداً من المشكلات النفسية، أو لربما الجسدية التي تؤدي بصاحبها إلى ما لا يحمد عقباه، فهو يظل في تكديس مستمر لمشاعره السلبية خيفة أن يظهرها للآخرين أو يعلموا بها، في حين أن الطرح القرآني يبين السبيل النفسي للتخلص من هذا الكبت بما أسماه «كظم الغيظ» وهو التعبير الراقي عن الغضب بتفريغ المشاعر بصورة إنسانية لائقة لابكبتها السلبي باسم التدين أو التسامح، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٤) فرتب العفو بعد التعبير والتنفيس الراقي للمشاعر، وهذا أمر طبيعي؛ لأن كبت المشاعر السلبية لا يتيح فرصة صادقة للعفو أو التسامح.

ما الذي نستطيع فعله لمراهقينا ولأنفسنا؟

استمع إلى مراهقك، واحرص على مراعاة مشاعره والتركيز عليها، وحاول فهم الوضع من منظور ولدك، وكن متعاطفاً. إن إلقاء اللوم على ولدك واتهامه يصنع مزيداً من الحواجز، ويقلل التواصل بينكما. أخبره بحقيقة شعورك، والتزم بالحقائق، وتعامل مع اللحظة الراهنة، وأظهر اهتمامك وحبك له. اعمل على إيجاد حل يخرج الجميع منه رابحين. تذكر أن الشعور بالغضب ينبغي ألا يؤدي إلى سلوك عنيف. فمساعدة المختصين لابنك المراهق أمر بالغ الأهمية له، ولنفسك، ولعائلتك خاصة، عندما يكون هناك عنف، أو عداء مزمن، أو اكتئاب، أو خطر الانتحار.

ملاحظات حول التواصل الجيد

تسير الأمور في العالم المثالي بطريقة سلسة ومتناغمة وفقاً لما خطط لها. لكن في العالم الحقيقي لا تسير الأمور دائماً على نحو ذلك، ولن تتحقق الأهداف التي وضعها الوالدان، والمبادئ التي عملا بها، والجهود التي بذلاها للأسرة، ما لم يكن هناك تواصل سليم ومستمر.

عندما تسوء الأمور لا تدع مجالاً للغضب والإحباط أو خيبة الأمل للتفاقم. فكر في المشكلات بهدوء، ومارس آليات التواصل السليم. ويمكن تطبيق بضعة مبادئ للتواصل الجيد، التي من شأنها أن تحلَّ كثيراً من نوبات الغضب والمشكلات الناجمة عنها والصراع على السلطة في البيت، والنزاعات التي تطرأ حين وصول الأولاد إلى مرحلة ما قبل المدرسة، ثم في مرحلة المدرسة، وما يلي ذلك من سنوات المراهقة.

اسمح لأولادك بالتحدث، واستمع إليهم دون تعالٍ

أو نفاذ صبر، شجعهم على الحديث عن كيف قضوا يومهم، وشجعهم على أن يحكوا قصة من القصص، أو يناقشوا مشكلة ما، وحاول ألا تقاطعهم. وقد حلت في وقتنا الحالي الثقافة البصرية (التلفاز، والأفلام، والهواتف النقّالة، والإنترنت) محل الثقافة الشفوية في الماضي، حين كانت رواية الحكايات والمناقشة جزءاً لا يتجزأ من المجتمع والحياة الأسرية. فالتحدث له مزايا عدة، فهو يعطي الأولاد الثقة في التعبير عن أنفسهم، ويجعل منهم فصحاء واضحين عند التعبير عنها، ويغرس فيهم قدرة طبيعية على مناقشة القضايا المهمة والأقل أهمية مع والديهم. ومع أن واجباتك كوالد تشق عليك درجة ربما تجد معها صعوبة في التحدث، إلا أن ولدك يستحق منك ذلك، كونه إنساناً سينمو وسيتشبث بك في المستقبل، بدلاً من أن تكون في نظرهم مجرد شخص يوفر لهم الرعاية الجسمية (المطعم والملبس).

يعلم التواصل الجيد الأولاد السلوك الحسن والاحترام عند التفاعل مع الآخرين، خاصة احترام الوالدين. كن على بينة من سلوكك: فلا بدّ أن تكون مهذباً، ومتيقظاً، ومتحكماً بسلوكاتك. فجعل الأولاد واثقين ويشعرون بالأمان أمر في غاية الأهمية. بادر في طرح قضايا فكرية للنقاش مع أولادك ما أمكنك ذلك، وحاورهم في مسائل مختلفة، وانقد الآراء بانفتاح؛ لأن ذلك يدربهم على التفكير الناقد، ويُطوِّر قدراتهم الفكرية والعقلية. لا تستهن بذكاء أولادك ولا تستخف به، وقدّر وجهات نظرهم ولا ترفضها حول الموضوعات المختلفة التي يدلون دلوهم فيها. فالمشكلة الآن في القرن الواحد والعشرين؛ هي أن التواصل إلكتروني رقمي تحول إلى اتصال بسبب توفر الآلات التقنية المختلفة، فتقلص الوقت المُتاح للتواصل العائلي المباشر إلى حدٍّ كبير.

يعدّ وقت تناول الوجبات معاً وقتاً مناسباً للحديث، وإذا رسخ الوالدان عادة إقفال التلفاز وتقنيات الاتصال النقّالة في أثناء تناول الطعام معاً، فهذا يسهل جوانب حياتهم عندما يكبرون. فالتلفاز عامل جذب يشدُّ الانتباه إليه، ويعيق أي تطوير لعلاقات عميقة خاصة في أوقات الوجبات، التي تعدُّ فرصة جيدة من أجل توطيد الترابط الأسري. لا تفقد السيطرة على الوضع بفقدان تحكمك بنفسك، كأن تلجأ إلى أساليب مختلفة للتحكم في أولادك والسيطرة على سلوكهم، فمن الأفضل تجنب أي تواصل حتى تذهب نوبات غضبك.

تحدث مع الأولاد حسب مستواهم، بدلاً من التحدث معهم من برج عاجي، وكن حنوناً وعطوفاً معهم، وضع يدك على يدهم بحنان في أثناء التحدث، واقترب منهم، وتلمسَّهم بأدب؛ ليشعروا بالقرب منك، والأنس بوجودك، حتى يعتادوا التعبير عن مشاعرهم بوجودك بحرية.





النشاط ٢٩: تساؤلات للآباء والأمهات والمراهقين وإجاباتها

تعدُّ الخطوة الأولى في تحديد الغضب وإدارته والتحكم به بالنظر داخل أنفسنا. ويَحسُن بالآباء والأمهات والمراهقين الجلوس معاً قدر الإمكان وتبادل هذه الأسئلة، والتحدث عن أنفسهم لتحقيق الوعي الذاتي. ويهدف هذا النشاط للشروع في المناقشة وليس تقديم إجابات صحيحة محددة:

من أين يأتي الغضب؟

ما الحالات التي تولد الشعور بالغضب؟

هل أفكاري تبدأ بالعبارات الإلزامية مثل: «يجب»، «ينبغي»، «دائماً»، «أبداً»؟

هل توقعاتي غير منطقية أو غير معقولة؟

ما الخلافات التي لم تجد حلاً في ما بيننا؟

هل لي دَوْر عند حدوث أذى أو خسارة أو خوف؟

هل أدرك الإشارات التي تظهر عليَّ عند الغضب مثل: الشد على اليدين، وضيق التنفس، واحمرار العينين والتعرّق؟

كيف أختار طريقة التعبير عن غضبي؟

لأي شيء أوجه غضبي؟ ولمن؟

هل استخدام الغضب وسيلة لعزل نفسي، أو لتخويف الآخرين؟

هل أتواصل تواصلاً فعالاً؟

هل أركّز على ما يُصنع لي أكثر من تركيزي على ما أستطيع أن أصنعه للآخرين؟

ما مدى مسؤوليتي عما أشعر به؟

ما مدى مسؤوليتي عن كيفية إظهار غضبي؟

هل أتحكم في مشاعري؟

النشاط ٣٠: نشاط حلّ المشكلات

اجتمع مع زوجين أو ثلاثة أزواج لمناقشة طريقة التعامل مع قضية الشاب في المثال أدناه، ثم قارن أفكارك مع طريقة النبي ﷺ في التعامل مع الموقف.

ورد «أَنَّ فَتًى شَابًّا، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: «ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ فَجَلَسَ قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟، قَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِم، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ. فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ» (مسند الإمام أحمد).

لقد كان بمقدور النبي ﷺ أن يواجه هذا الشاب بالوعظ والزجر والنَّهْر، ولكنه قربه منه، وهو بحركته العاطفية تلك، أراد احتواءه وإشعاره بالحنان، وهذا ما يجعل لنصح النبي ﷺ وكلامه تأثيراً عليه. ثم تعامل معه بأسلوب تربوي مهذَّب، وخاطب كرامته واحترامه لنفسه، وساعده باستخراج تلك النُّكْتة السوداء من قلبه، ولم يكتفِ النبي ﷺ بهذه الحركة الأبوية الشفوقة، بل وضع يده أيضاً على صدره، ودعا له، وأرشده إلى إجراءات فعالة في ضبط النفس، ولم يكن للتوبيخ أوالصراخ أو التهديد بعقاب النار في جهنم، مكان ليحجزه عن فعله الذي أراده.

هذا الأسلوب في العلاج يبين لنا الفرق بين المعرفة النظرية والفهم العميق للمشاعر النفسية الإنسانية. فقد كان الشاب يبحث عن حل عند اكتشافه لنزعاته الجنسية، فلم يُلقِ النبي ﷺ محاضرة عن الخطايا، بل ناشد كرامته الفطرية النقية وضميره الحي. واتبع ﷺ النهج النفسي لتحقيق الأهداف الأخلاقية والدينية. إنها ليست حالة معزولة، ولكنها مدرسة فكرية متجذرة تضع لنا منهجاً لحلّ المشكلات من أجل تنشئة أولادنا وتطويرهم وتنمية الجوانب الخلّاقة في نفوسهم.



الجزء الثاني [٨-١٣] التربية الوالدية في ظل تطور نمو الأطفال

الفصل الثامن: الرضاعة الطبيعية

الفصل التاسع: دماغ الطفل: استخدمه أو تفقُدهُ

الفصل العاشر: بناء الشخصية ومراحل النمو

الفصل الحادي عشر: التربية الصحية للأبناء: النظافة والتغذية والتمارين الرياضية والنوم

الفصل الثاني عشر: التربية الجنسية للأبناء

الفصل الثالث عشر: هل تختلف تربية البنين عن تربية البنات؟



الفصل الثامن

الرضاعة الطبيعية

- **مقدمة**
- **الرضاعة في القرآن الكريم**
- **الفوائد الصحية والنفسية للرضاعة**
- **الرضاعة والمرأة العاملة في أمريكا وبريطانيا**
  - معدلات الرضاعة الطبيعية في أمريكا وبريطانيا
  - مكان العمل والرضاعة الطبيعية في الولايات المتحدة الأمريكية
  - مكان العمل والرضاعة الطبيعية في بريطانيا
- **إطلالةٌ على الرضاعة في العالم الإسلامي**
  - الألبان الصناعية وسوء التغذية والمرض
- **آراء الإمام ابن حزم في الرضاعة**
- **مدة الرضاعة الطبيعية**
- **نصائح مفيدة للأمهات المرضعات**
- **نموذج غذاء يومي مقترح للأم المرضعة**
- **الأم القوية بدنياً**
- **نشاط ٣١**



مقدمة

تُعد الرضاعة الطبيعية خطوة أساسية وحاسمة في تربية أولاد أقوياء وأصحاء جسدياً وعاطفياً، والإسلام يحثُّ على الرضاعة وتقوية أواصر القربى التي تنشأ بين الأطفال الذين رضعوا من أم واحدة وتسمى القرابة الناشئة بسبب الرضاع (الأخوة من الرضاع)، وعلى سبيل المثال: لماذا لا يمكن للشاب صلاح مثلاً الذي يبلغ من العمر ٢٠ سنة من تركيا؛ الزواج بفاطمة، الشابة من إندونيسيا؟ الجواب: عندما كان عمر صلاح سنة، رضع لبضعة أيام من أم فاطمة الإندونيسية، فجعلت هذه الرضاعة من صلاح أخاً لفاطمة بالرضاعة، وعلى هذا أصبح محرماً على صلاح الزواج من أخته فاطمة، إضافة إلى ذلك أن شقيقات فاطمة وعماتها وخالاتها جميعهنَّ أصبحن بحكم الرضاع المحرم لزواج شقيقات صلاح وعماته وخالاته، وبذلك يحرم على صلاح الزواج بهن لأنهن أصبحن من محارمه. لذلك لهن أن يخلعنَ الحجاب بحضوره. ومن اليسير أن نفهم علاقات الدم والمصاهرة، وكذلك علاقات الإخوة في الله القائمة على رابطة العقيدة والإيمان، ولكن كيف يمكننا أن نفهم أنه بإرتضاع مقدار معين من اللبن الموجب للتحريم صار أولئك الغرباء محارم مع بعض فتحولوا من غرباء إلى إخوان وأخوات، هذا مثال من الأمثلة التي توضح جانباً من أهمية لبن الأم.

أمعِن النظر في موضوع نقل الدم. فلو استُبدِل دم شخصٍ ما بدم مخلوق آخر بالكامل؛ فلا تنشأ بينهما علاقةٌ قربى حتى لو تكرر نقل الدم مرات عدة. فنقل الدم يكون في الحالات الطارئة، كما يسهم زرع الأعضاء في تحسين حياتنا، ولكن كلا الأمرين لا يؤدّيان إلى أي علاقة قرابة مهما تكرر كمّاً ونوعاً.

ويجمع الفقهاء على تحريم وجود بنك لحليب الأمهات في الإسلام، ويضع الإسلام القرابة الناشئة من الرضاعة على قدم المساواة مع القرابة الأسرية البيولوجية لقول النبي ﷺ: (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) (صحيح البخاري)، وهذا يعني أن الطفل الذي يتناول حليباً إنسانياً مجهولاً قد يتزوج أخته من الرضاعة أو خالته أو عمته أو غيرها من المحرمات عليه، إلا أنهم لا يتوارثون، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء:٢٣).

يركز القرآن الكريم على الرضاعة الطبيعية كونها تولد علاقة حب بين الأم وطفلها وتمنحه الحنان والدفء في السنتين الأوليين، إذ إن فقدان أو نقص الحب والعطف والحنان عند الطفل يمكن أن يؤدي إلى الاضطرابات النفسية المختلفة،

وأكد الخبراء في مؤتمر البيت الأبيض الذي عقده الرئيس الأمريكي السابق كلينتون، وبالدليل القاطع، أن «عقول الأطفال تنشط من وقت ولادتهم وتتشكل حسب تجاربهم الأولى» (Begley and Wingert,1997)؛ إذ تسهم السنتان الأوليان في أثناء الرضاعة الطبيعية إلى حد كبير في تشكيل عقل الطفل وتفكيره.

هناك خمسة شروط ليتحقق بها الرضاع المحرّم الذي يكون سبباً للقرابة من الرضاعة حسب ما ورد في غالب الآراء الفقهية، وهي:

- أن يكون خمس رضعات معلومة فأكثر.
- أن تكون كل رضعة مشبعة للطفل.
- أن تكون الرضعات متفرقات وليست متتابعات.
- إثبات الرضعات الخمس الموثقة بشهادة شهود عدول.
- أن تكتمل الرضعات الخمس جميعها قبل أن يبلغ الطفل السنتين.

وإجمال ذلك بإيجاز: خمس رضعاتٍ معلومة مشبعاتٍ غير متتابعاتٍ دون السنتين.

الرضاعة في القرآن الكريم

ويشير القرآن الكريم إلى الرضاعة الطبيعية في الآيات الآتية:

١. ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة:٢٣٣).

٢. ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (لقمان: ١٤).

٣. ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأحقاف:١٥).

٤. ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾ (الطلاق:٦-٧).

تناول القرآن الكريم موضوع الرضاعة الطبيعية في أربعة مواضع مختلفة يحث الأمهات في بعضها على إرضاع أطفالهن لمدة عامين؛ مع حث الوالد كذلك على بذل وسعه في الاسترضاع الطبيعي لولده، وفي مواطن أخرى جاءت التوصية بالوالدين مع خصوصية بر الأم؛ لما بذلته من حمل ورضاع.



في ضوء ما سبق من الآيات الكريمة يمكن قول الآتي:

أنه لا تقع على الأم المرضع مسؤولية توفير نفقتها، حتى لو طلقت، كي يمكّنها ذلك من التفرغ لرعاية طفلها رعاية كاملة. ولضمان التفرغ للرضاعة الطبيعية، فقد خفف الشرع الحكيم بعض العبادات على النساء المسلمات (بما في ذلك الأمهات)، فهن معذورات من أداء الصلوات

الخمس جماعة وصلاة الجمعة لما يعلم من مسؤولياتهن، كذلك وضع عنهنَّ بعض العبادات رفقاً بحالهنَّ وليوفر لهن جدولاً زمنياً مرناً لرعاية أطفالهن في المقام الأول، وتتيح هذه التدابير للأمهات رعاية أطفالهن شخصياً بدلاً من نقل وتحميل هذه المسؤولية الحساسة للمربيات، حيث إن الطفل يعتمد اعتماداً كلياً ومباشراً في العامين الأولين من عمره، جسدياً ونفسياً وعاطفياً، ولا يمكن لزجاجة الرضاعة البلاستيكية التي تحوي الحليب الصناعي (formula) أن تكون بديلاً لصدر الأم الحنون وحبها وعطفها، وقد يكون من الصعوبة بمكان البرء مما يلحق الطفل من ضرر جسدي ونفسي كونه لم يرضع رضاعة طبيعية، وقد يسبب ذلك له ضرراً بالغاً.



لقد كانت الرضاعة الطبيعية تؤخذ على محمل الجد في الدولة الإسلامية الأولى، ففي زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه (القرن السابع الميلادي)، كان يخصص لكل طفل حديث الولادة حقوقاً مالية، على نمط الضمان الاجتماعي الحديث، لضمان حصوله على الرضاعة الطبيعية الصحية (مجلة الحق، ١٩٦٧).

وعلى هذا إذا كانت الأم لا تستطيع إرضاع طفلها – بسبب انعدام الحليب في صدرها – فإن المرضعة تصبح أماً له في الأمور كلها ما عدا الميراث، ويكون أولادها إخوة وأخوات للطفل الذي أرضعته (الإخوة والأخوات بالرضاعة) ويصبح زوجها أباً للطفل بالرضاعة، ويحرم الزواج بين الطفل وكل من إخوته وأخواته بالرضاعة، والأب البيولوجي هو المسؤول عن دفع أجور مرضعة ابنه، وإذا توفي الأب، فيجب على الورثة الإنفاق على الأم المرضعة، وكذلك على الطفل، إلى أن يبلغ السنتين التي هي أقصى مدة للرضاعة الطبيعية.

الفوائد الصحية والنفسية للرضاعة

ينفرد لبن الأم في كونه الملائم الأمثل للطفل حيث يحتوي على عدة مئات من الجزيئات الحيوية المميزة التي تقي الجسم من العدوى والتلوث والالتهاب، ويساهم في تقوية المناعة ونمو الأعضاء وتكاثر البكتيريا النافعة للجسم، كما يحتوي لبن الأم على العديد من العوامل الضرورية التي لها كبير الأثر في النمو الصحي للأمعاء والأوعية الدموية والجهاز العصبي والغدد الصماء. إضافة إلى أن لبن الأم يتغير في التكوين من اللبأ إلى لبن آخر في الرضاعة ويختلف في مكوناته بين الرضاعات ومن يوم إلى يوم ومن أم إلى أخرى (Pediatric Clinics of North America,2013).

فقد أشارت مقالة صدرت في *Environmental Health Perspectives,2008*، إلى أن تكوين لبن الأم يخضع لتغيرات عديدة تتلاءم مع فترة الرضاعة وحسب تطور حالة نمو الطفل، ويتكون لبن الأم من مكونات غنية بالبروتينات والكربوهيدرات والدهون والأحماض الدهنية والمعادن والفيتامينات، ومن أكثر المكونات التي تحارب الإصابة بالأمراض احتواؤه على الكم الهائل من مضادات الأجسام والكرات البيضاء والهرمونات leukocytes والمبيدات المضادة للميكروبات peptides والسيتوكينات cytokines والكيموكينات chemokines وعوامل حيوية أخرى ضرورية لحماية الطفل من مسببات الأمراض التي قد تصيبه في الأسابيع والأشهر الأولى من الولادة.

فقد ذكرت حكومة ولاية نيوساوث ويلز في أستراليا (New South Wales,Australia,government report) في تقريرها لسنة ٢٠١١ العديد من فوائد الرضاعة الطبيعية:

- يحتوي لبن الأم على الغذاء الذي يحتاجه الطفل بالنسب الصحيحة المناسبة لحالة هضم الطفل وقدرة جسده على امتصاص الغذاء، والمكونات الغذائية للبن الأم تتغير يومياً حسب احتياج الطفل، لذلك، فالأطفال المبتسرون الذين يولدون قبل اكتمال حمل التسعة أشهر وقد يضطرون للوضع في الخداج «الولادة المبكرة للأطفال»، ولهم تكوين خاص

للبن الأم يجعله مناسباً لحالتهم ولمعدتهم الصغيرة الحساسة، ويساعدهم ذلك على مكافحة الأمراض والتلوث، فلبن الأم أسهل في الهضم من الألبان الصناعية.

- يوفر لبن الأم مصدراً قويا لمد الجسم بالزنك الحيوي.
- للبأ تأثيرٌ ملينٌ يساعد الطفل حديث الولادة في عملية الإخراج والتخلص من البراز.
- يحفظ لبن الأم بطريقة طبيعية وآمنة وفي درجة حرارة ملائمة ومتاح دائماً عند الطلب، ولا حاجة لاستخدام الزجاجات وتنظيفها ولا داعي لتحضير الألبان الصناعية.
- تتيح الرضاعة الطبيعية ارتباطاً نفسياً وعاطفياً قوياً بين الأم ورضيعها.
- تساعد الرضاعة الطبيعية الأم في فقدان الوزن الزائد في أثناء فترة ما بعد الولادة.
- تقوم الرضاعة الطبيعية بدور مانع للحمل، حيث إن الأم المرضع لا تحيض لذلك تقل فرص الحمل طوال فترة الرضاعة (يسمى هذا بانقطاع الطمث في أثناء الرضاعة) فهي وسيلة طبيعية وآمنة ومريحة لمنع الحمل. ولكن أشارت الـNHS أن هذه الوسيلة لمنع الحمل تقل كفاءتها وتعد غير مضمونة عندما يستبدل اللبن الطبيعي بأطعمة وسوائل أخرى فلا بد للأم أن ترضع بالكامل تقريباً؛ أي إن الطفل لا بد أن يرضع طبيعياً بالكامل وألا يقدم له إلا القليل من الألبان الصناعية، بعدما يبلغ الطفل ٦ أشهر.
- للرضاعة الطبيعية دورٌ أساسٌ في تحسين القدرة العقلية للطفل، حيث يحتوي لبن الأم على مقومات البناء الجسمي التي ليس لها مثيل في أي من الألبان الصناعية، فالطفل الذي يرضع طبيعياً حتى ولو شهراً واحداً يحصل على ثمانية درجات أعلى في اختبار الروضة لتقييم الذكاء، وهذه الدرجة ترتفع مع امتداد فترة الرضاعة الطبيعية. (BBC 2002)
- تبين أن الأطفال الذين رضعوا من الألبان الصناعية يكونون أكثر عرضة للإصابة بالأمراض التي تؤدي إلى الوفاة في العام الأول من العمر.

(Reviews in Obstetrics & Gynecology 2009)

- إعطاء الطفل حديث الولادة ألبان الأبقار والألبان الصناعية الأخرى، يساهم في الإصابة بأمراض الحساسية.

تمنح الرضاعة الطبيعية حماية ضد العديد من الأمراض، وفي تقرير صدر عام ٢٠٠٧ من «Agency for Healthcare Research and Quality» توصلوا للحقائق الآتية:

- تساعد الرضاعة الطبيعية على خفض مخاطر الإصابة بسرطان الثدي والرحم للنساء اللاتي أرضعن أطفالهن.
- الرضاعة الطبيعية لمدة ثلاثة أشهر على الأقل تقلل من الإصابة بمرض السكر نوع ١ في الطفولة، كما أنها تخفف من الإصابة بمرض السكر نوع ٢ في وقت لاحق من العمر.
- تقلل الرضاعة الطبيعية أيضاً من مخاطر إصابة الأم المرضع بمرض السكر نوع ٢ النساء غير المصابات من قبل بمرض السكر.
- تساعد الرضاعة الطبيعية لمدة ستة أشهر على الأقل بتقليل فرص إصابة الطفل بمرض سرطان الدم أثناء فترة الطفولة، بانخفاض الإصابة بمخاطر سرطان الدم الليمفاوي الحاد ١٩٪ و١٥٪ وانخفاض من مخاطر الإصابة بأبيض الدم النقوي الحاد myelogenous leukemia
- اقترنت الرضاعة الطبيعية بانخفاض مخاطر حدوث متلازمة الموت المفاجئ للرضيع (بنسبة ٣٦ ٪). وتعد الرضاعة الطبيعية لمدة ثلاثة أشهر على الأقلّ مرتبطة بتقليل مخاطر الإصابة بالأزمات الصدرية في العائلات التي ليس لديها تاريخ مرضي في الإصابة بالأزمات، وذلك بنسبة ٢٧ ٪ ، وأيضاً التقليل بنسبة ٤٠٪ من الإصابة بالأزمات في الأطفال أقل من ١٠ سنوات في العائلات التي لها تاريخ مرضي.
- هناك علاقة بين الرضاعة الطبيعية وانخفاض معدل الإصابة بالبدانة والوزن الزائد في فترة المراهقة والنضج.

- تساعد الرضاعة الطبيعية في التقليل من مخاطر الإصابة بالتهاب القلب ومرض الجلد الإكزيما.
- الأطفال الذين يرضعون طبيعياً أقل كثيراً في الإصابة بأمراض متعددة من التهابات المعدة والأمعاء (أقل ٦٤٪ كما أظهرت دراسة في انجلترا).
- تقلل الرضاعة الطبيعية من فرص الإصابة بأمراض الجهاز التنفسي في القنوات السفلية لدى الأطفال، فقد انخفضت ٧٢ ٪ حالات احتياج الطفل للعلاج في المستشفيات بين الأطفال دون العام من العمر والذين اعتمدوا كليةً على الرضاعة الطبيعية لمدة أربعة أشهر أو أكثر.
- الرضاعة الطبيعية تقلل من مخاطر الإصابة بنزيف ما بعد الولادة لدى الأمهات.
- التوقف المبكر عن الرضاعة الطبيعية أو انعدامها تماماً يزيد من مخاطر إصابة الأمهات باكتئاب ما بعد الولادة.



يعدُّ حليب كل حيوان ملائماً لاحتياجات أطفاله فقط، إذ تختلف مكونات حليب كل حيوان عن غيره. ويوضّح الجدول الآتي النسب المئوية للمكونات الأساسية لحليب الإنسان والبقر والجاموس والماعز، إذ يشكل الماء حوالي ٨٨٪ من المكونات، والباقي على النحو الآتي:

نسبة الماء = ٨٨٪ من الحليب

مصدر الحليب	البروتين ٪	الدهن ٪	السكر ٪	المعادن ٪
الإنسان	١,٥	٣,٥	٦	٠,٢
البقرة	٣	٤	٤	٠,٨
الجاموس	٣	٦	٤	٠,٨
الماعز	٣	٤	٤	٠,٨

(الولايات المتحدة، وزارة الزراعة، ٢٠١٠)

أوصت الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال بالرضاعة الطبيعية والاعتماد عليها كلياً مدة ستة أشهر تقريباً، وإضافة بعض الأطعمة مكملات غذائية، وذلك مدة سنة أو أكثر، بناءً على رغبة الأم والطفل معاً.

الرضاعة والمرأة العاملة في أمريكا وبريطانيا

معدلات الرضاعة الطبيعية في أمريكا وبريطانيا

تزداد معدلات الرضاعة الطبيعية في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث وصلت إلى ٨٠ ٪ من حديثي الولادة ٥١٪ في عام ٢٠١٢ رضعوا حتى عمر ستة أشهر بعد أن كانت هذه النسبة ٣٥٪ في عام ٢٠٠٠ ، و٢٩ ٪ استمروا في الرضاعة حتى عمر ١٢ شهر بعد أن كانت هذه النسبة ١٦ ٪ فقط في عام ٢٠٠٠، تشمل هذه المعدلات أيّ رضاعة طبيعية، وليس فقط الرضاعة الطبيعية منفردةً حتى عمر ٦ أشهر والتي ارتفعت معدلاتها من ١٠ ٪ في عام ٢٠٠٣ إلى ٢٢ ٪ في عام ٢٠١٢ (CDC).

أما في بريطانيا فقد ارتفعت معدلات الرضاعة الطبيعية المبكرة من ٧٦٪ في عام ٢٠٠٥ إلى ٨١٪ في عام ٢٠١٠، في حين أن ٣٦٪ من الأمهات استمرت في الرضاعة الطبيعية حتى ستة أشهر في عام ٢٠١٠ إلا أن معدل الرضاعة الطبيعية منفردة حتى ستة أشهر بلغ فقط ١٪ (NHS 2012).

مكان العمل والرضاعة الطبيعية في الولايات المتحدة الأمريكية

من أهم الأسباب لعدم رغبة النساء في الرضاعة الطبيعية هو متطلباتها، حيث إنّ الطفل حديث الولادة يرضع ١٢ مرة في خلال ٢٥ ساعة؛ غالباً ما بين ١٠ إلى

١٥ دقيقة من كل ثدي، لذلك فإن دمج هذا الجدول مع ساعات العمل ليس سهلاً.

في عام ٢٠١٠ تم العمل ببند «فترة الراحة المعقولة» في قانون حماية المريض وتوفير الرعاية، ويحتم هذا البند على أصحاب العمل في الولايات المتحدة إتاحة فترة راحة مناسبة لكل موظفة حتى تتمكن من استخراج حليبها على مدار عام كامل من ميلاد الطفل، ويوفر صاحب العمل المكان الملائم الخاص (غير الحمامات)، وأن يكون بعيداً عن مرأى العامة والموظفين لتتمكن الأمهات من استخراج حليبهن، وتكون فترات الراحة بلا أجر من أصحاب العمل. أما إذا كان عدد الموظفين أقل من ٥٠ موظفاً فإن أصحاب العمل ليسوا مجبرين على توفير فترة الراحة إذا كانت تعوق سير العمل . (US Department of Labor)

منحت جائزة اليونسيف في عام ١٩٩٣ لشركة (جون هانكوك التعاونية للتأمين على الحياة) لتوفير غرف رضاعة تحتوي مضخة كهربائية لحليب الصدر، وكراسي مريحة، وثلاجة داخل مبنى الشركة. وتبينت الشركة أن متوسط عدد الموظفات الحوامل سنوياً يبلغ ٣٠٠ موظفة، وأن البرنامج قد وفر ٦٠,٠٠٠ $ منذ إنشائه؛ لأن الأطفال الذي يرضعون من أمهاتهم أقل عرضة للإصابة بالأمراض، فلا تضطر أمهاتهن إلى التغيب عن العمل لرعايتهم في البيت، كذلك يصبح الرجوع إلى العمل بعد الولادة أكثر سهولة، فتميل الأمهات الجدد إلى أخذ إجازة أمومة أقصر مدة، كما تغيب الأمهات المرضعات عن العمل لمدة تصل إلى ٢٧ في المئة أقل من الأمهات اللاتي لا يرضعن أطفالهن رضاعة طبيعية؛ لأن الأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية في الولايات المتحدة أقل معاناة من الأمراض بنسبة ٣٥ في المئة من الأطفال الذين يرضعون الحليب الصناعي (Rona Cohen، كلية التمريض، جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس).

مكان العمل و الرضاعة الطبيعية في بريطانيا

على المرأة العاملة في بريطانيا والتي ترغب في إرضاع طفلها بعد الولادة أن تتقدم بطلب مكتوب لصاحب العمل ويفضل أن ترسله قبل معاودة العمل بعد الولادة، حيث إن القانون يلزم أصحاب العمل بتوفير أماكن راحة للعاملات الحوامل والمرضعات على أن يكون فيها أماكن مخصصة للاستلقاء، ومع ذلك فإنه لا يوجد قانون يلزم أصحاب العمل بتوفير أماكن مخصصة للأمهات لاستخراج حليبهن وحفظه في الثلاجة، ولا يوجد ما يلزمهم بتوفير فترة للراحة بأجر للأمهات. والحمامات وغرف المرضى غير مناسبة لما فيها من مخاطر صحية عديدة، ولكن على أصحاب العمل تلبية طلبات الأمهات والمرونة في أوقات العمل في حدود المعقول، وتوفير الوقاية الصحية والأمان والحماية من التحرش والتفرقة الجنسية المباشرة وغير المباشرة.



إطلالة على الرضاعة في العالم الإسلامي

أولت المجتمعات الإسلامية انتباهاً كبيراً إلى الرضاعة الطبيعية والمرضعات في الماضي، وكان من الشائع أن النساء من الأقارب أو الجيران أو الأصدقاء يشاركن في إرضاع الطفل الجديد من حليبهن، وكان لهذه الممارسات مزايا اجتماعية، إذ إن العديد من المتزوجات في سن ١٥ أو أقل، والفتيان تحت ١٨، في حاجة إلى مساعدة وتوجيه من الأجيال الأكبر سناً، إضافة إلى مساعدة الأسر الممتدة في تخفيف بعض أعباء الأمهات الشابات.

وفي العصر الحديث تغيّر نمط التوجهات الاجتماعية والثقافية في البلدان الإسلامية، ويظهر هذا أكثر وضوحاً في المدن والمناطق الحضرية، إذ إن الرضاعة الطبيعية آخذة في الانخفاض بسرعة أكبر مما يحدث في المناطق الريفية بسبب كثافة تسويق شركات أغذية الأطفال، فمبيعاتها وأرباحها تزداد من الحليب المصنّع.

الألبان الصناعية وسوء التغذية والمرض

تَعْتَبِرُ كل من منظمة الصحة العالمية WHO وUNICEF أن الشركات المصنعة لغذاء الأطفال سبب رئيس في قتل الأطفال في الدول النامية وتطالب حكوماتها بوقف الدعاية لهذه الشركات، حيث قدرت اليونيسيف أن الأطفال الذين رضعوا صناعياً ويعيشون في بيئة أمراض وظروف غير نظيفة يكونون من ٦ إلى ٢٥ مرة أكثر عرضة للوفاة بسبب الإسهال، من الأطفال الذين رضعوا طبيعياً و٤ مرات أكثر عرضة للوفاة بسبب الالتهاب الرئوي من الأطفال الذين رضعوا طبيعياً، فالألبان الصناعية هي وجبات ملوثة وفقيرة غذائياً وتحتوي على جرعات هائلة من البكتيريا مذابة في ماء ملوث مستخرج من مصادر غير معقمة.

فالماء الملوث وقلة التعقيم مع غياب التبريد المناسب وعدم القدرة على الاتبّاع السليم لإرشادات إعداد الوجبة، كل ذلك يساهم في تفاقم التأثير الكارثي من الألبان الصناعية، ففي بعض الأحيان، تقوم الأمهات باستخدام الألبان الصناعية باهظة الثمن ظناً منهن أن ذلك يمكّن الطفل من الاحتفاظ بالوجبة لفترة أطول.

يساهم سوء التغذية في وفيات حوالي (٣,٠٠٠,٠٠٠) طفل سنوياً، أي ٤٥٪ من إجمالي وفيات الأطفال *(The Lancet,2013)*.

أكثر من ثلثي هذه الوفيات يحدث في الأشهر الأولى من العمر، وغالباً ترتبط هذه الحالات بسوء التغذية والعادات الغذائية غير المناسبة مثل: استخدام الألبان الصناعية أو مكملات غذائية غير مناسبة وفي وقتٍ غير ملائم. (WHO,2010).

يسبب فقر الغذاء أثناء الحمل، وسوء التغذية لدى الطفل، في إعاقة نموه الجسدي وقد يوقفه تماماً، ويعد الأطفال الذين عانوا من سوء التغذية هم أكثر عرضة للإصابة بالبدانة وبأمراض أخرى قد تصيبهم في وقت

لاحق من العمر مثل مرض السكر.

وأقر برنامج الغذاء العالمي أن طفلاً واحداً من بين كل ٦ أطفال تقريباً من (١,٠٠٠,٠٠٠) طفل في الدول النامية يعانون من نقص الوزن، وواحد من بين كل أربعة أطفال في العالم يتوقف نموهم، ويرتفع هذا المعدل في الدول النامية إلى طفل من بين كل ٣ أطفال.

الرضاعة الطبيعية المثلى للطفل تحت عمر عامين لها الأثر الأكبر في استمرار بقائه على حياته من كل التدخلات الوقائية، وإمكانية تفادي أكثر من ٨٠٠,٠٠٠ حالة وفاة (أي ١٣٪) من إجمالي الوفيات في الأطفال تحت عمر ٥ سنوات في الدول النامية. (cited by UNICEF 2013 The Lancet).

تقدر المؤسسة الخيرية «انقذوا الأطفال Save The Children» أن ٢٢٪ من وفيات الأطفال حديثي الولادة من الممكن تفاديها إذا ما بدأت الرضاعة الطبيعية في الساعات الأولى من الولادة، و١٦٪ منها كان يمكن تفاديها إذا ما بدأت الرضاعة الطبيعية في خلال أول ٢٤ ساعة من الميلاد.

يحصد السوق العالمي لإنتاج الألبان الصناعية المليارات وتزداد المبيعات ما بين ١٠ إلى٢٠ ٪ سنوياً في الدول منخفضة ومتوسطة الدخول، في حين تبقى المبيعات في حالة قريبة من الركود في دول الدخول المرتفعة.

في دول شرق آسيا والمحيط الهادي انخفض عدد الأمهات المرضعات ما بين عام ٢٠٠٦ – ٢٠١٢ من ٤٥٪ إلى ٢٩٪ (Save The Children, 2013).

بعض شركات إنتاج الألبان الصناعية والبديلة للبن الأم تستخدم أساليب وخطط دعائية لإقناع الأمهات أن الألبان الصناعية هي أفضل ما يمكن تقديمه كطعام لأبنائهم، حتى وإن عجزوا عن تحمل أسعارها.

آراء الإمام ابن حزم في الرضاعة

تعد الرضاعة الطبيعية حقاً طبيعياً للأطفال على أمهاتهم، ويتعين أن تشجَّع الأمهات على إرضاع أطفالهن. قال ابن حزم: «وَالْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ وَالِدَةٍ – حُرَّةً كَانَتْ أَوْ أَمَةً – فِي عِصْمَةِ زَوْجٍ أَوْ فِي مِلْكِ سَيِّدٍ، أَوْ كَانَتْ خُلُوًّا مِنْهُمَا- لَحِقَ وَلَدُهَا بِالَّذِي تَوَلَّدَ مِنْ مَائِهِ أَوْ لَمْ يَلْحَقْ-: أَنْ تُرْضِعَ وَلَدَهَا – أَحَبَّتْ أَمْ كَرِهَتْ، وَلَوْ أَنَّهَا بِنْتُ الْخَلِيفَةِ، وَتُجْبَرُ عَلَى ذَلِكَ إلَّا أَنْ تَكُونَ مُطَلَّقَةً، فَإِنْ كَانَتْ مُطَلَّقَةً لَمْ تُجْبَرْ عَلَى إرْضَاعِ وَلَدِهَا مِنْ الَّذِي طَلَّقَهَا إلَّا أَنْ تَشَاءَ هِيَ ذَلِكَ، فَلَهَا ذَلِكَ، أَحَبَّ أَبُوهُ أَمْ كَرِهَ، أَحَبَّ الَّذِي تَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ أَمْ كَرِهَ». (ابن حزم، مج ١٠).



مدة الرضاعة الطبيعية

يختلف الفقهاء في المدة التي يجب أن تقضيها الأم في إرضاع طفلها، ولكنهم يتفقون على أن الرضاعة الطبيعية ينبغي ألا تتجاوز السنتين، ويذهبون إلى أنه إذا كانت صحة الأم سليمة وحليبها متوافراً، فمن الأفضل أن لا يفطم الطفل قبل سن ال ٢١ شهراً، وأن يستمر الإرضاع إلى سنتين لمن أراد أن يتم الرضاعة لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ (البقرة:٢٣٣).

ويعلّق يوسف علي على الآية ١٥ من سورة الأحقاف قائلاً: «إن المدة القصوى للرضاعة الطبيعية، وهي (سنتان)؛ تتوافق مع الوقت الذي تكتمل فيه عادةً الأسنان الأولى للطفل»، وتظهر القواطع السفلى اللبنية التي في وسط الفم ما بين الشهرين (٦-٩)، ثم تظهر الأسنان اللبنية الأخرى على فترات، حتى تظهر الأنياب،

وتظهر الأضراس بعد حوالي ٢٤ شهراً، وبذلك تكتمل الأسنان اللبنية للطفل، فيصبح قادراً على مضغ الطعام وعجنه، وعلى أن يستغني عن حليب أمه بكليته. ومن جهة أخرى، يسبب إرضاع الطفل الأذى للأم بعد أن تنمو عنده المجموعة الكاملة من الأسنان اللبنية، وتبدأ الأسنان الدائمة بالنمو في عمر ٦ سنوات، وتظهر الأضراس الثانية في عمر ١٢ سنة، وقد تظهر الأضراس الثالثة التي هي ضروس العقل في أثناء المرحلة العمرية من ١٨-٢٠ عاماً، أو قد لا تظهر على الإطلاق.

ويذهب بعضهم إلى أن الرضاعة الطبيعية إذا تجاوزت سنتين تضر الطفل جسدياً، وعقلياً، ونفسياً. وأوصت الأكاديمية الأمريكية لأطباء الأطفال (AAP) في عام ١٩٩٧ الأمهات بإرضاع أطفالهن بين ٦ و ١٢ شهراً على الأقل. والواقع أن ٢٠٪ فقط من الأمهات الأمريكيات يرضعن أطفالهن بعد سن ٦ أشهر. وزادت الأكاديمية الأمريكية المدة في وقت لاحق بتوصيتها للأمهات بالرضاعة الطبيعية لمدة لا تقل عن السنة. وأوردت فوائد الرضاعة الطبيعية للأم مثل: التقليل من احتمال إصابتها بكل من سرطان الرحم وسرطان الثدي، ومرض هشاشة العظام.

وقد تحدث النبي ﷺ عن استئجار مرضع للطفل، إذ على الأم ابتداءً إرضاع طفلها ما لم يكن هناك سبب صحي يمنعها من ذلك، فإن وجد ما يمنعها يلجأ في هذه الحالة إلى استئجار مرضع. ويوضح ذلك قوله ﷺ: «انْظُرْنَ مَن إخْوَانُكُنَّ ، فإنَّمَا الرضَاعَةُ من المَجَاعة» (البخاري).

نصائح مفيدة للأمهات المرضعات (مقتبس من الأمين ١٩٩٨)

الرضاعة الطبيعية مهارة قابلة للتحسين والتطوير وفي ما يأتي بعض النصائح المفيدة للأمهات كي يصبح الإرضاع لهنَّ أمراً يسيراً وشيِّقاً:

- هيّئي نفسك قبل ولادة طفلك، بقراءة بعض الكتب التي تتحدث عن الرضاعة الطبيعية، والتحقي بالدروس التدريبية في المستشفى المتعلقة بإرشادات الرضاعة الطبيعية وتغذية الرضع وصغار الأطفال، أو من مختصين في الرعاية الصحية، أو من مستشار في الرضاعة أو مهنيين صحيين مدربين. كذلك التحقي ببرامج لمنظمات تُشجع الرضاعة الطبيعية.
- اختيار الهيئة الملائمة أثناء الإرضاع أمر مهم، تأكدي من أن (٢,٥ إلى ٣,٥سم) من الحلمة داخل فم الطفل، ولا تنحني باتجاه الطفل، كذلك قربي الطفل إليك، وعادةً ما يكون استخدام وسادة مفيدة في جعل وضع الإرضاع يسيراً ومناسباً.
- دعي الطفل يرضع من ثدي واحد حتى يلين تماماً وتتغير حركة مص الطفل من قوية إلى بطيئة، ثم اعرضي الثدي الآخر؛ إذ إن تليين ثدي واحد في كل وجبة إرضاع أفضل من الإرضاع الجزئي من كلا الثديين. وتكون الكمية الأولى التي تخرج من صدر الأم مثل الحليب الخالي من الدسم، والكمية الوسطى مثل الحليب كامل الدسم، والأخيرة مثل القشدة، وتضبط هذه القشدة الإرضاع وتساعد في منع بكاء الطفل المفرط.
- يسبب كبر حجم الثدي الاحتقان وهو أمر طبيعي في الأيام الأولى، وإذا لم يستطع الطفل الرضاعة من الحلمات المحتقنة؛ فأخرجي كمية صغيرة من الحليب قبل البدء بالإرضاع.
- عالجي الحلمات المتهيجة باستخدام ملطف ملائم، وخففي الألم عن طريق تجفيف الحلمات بتعريضها للهواء، ثم ضعي عليها منتجات طبيعية مثل: زيت الزيتون العضوي أو اللانولين النقي (دهن الصوف).
- اشربي الكثير من الماء، والحلبة والثوم فهما يزيدان من إدرار الحليب.
- من المهم أن تبدأي بالإرضاع في أول ساعة أو ساعتين بعد الولادة؛ إذ يكون الطفل وقتئذٍ في حالة تأهب وتيقُظ.
- كم مرة تكفي؟ في ما يخص الأسبوعين الثاني والثالث؛ قد تحتاجين لإيقاظ طفلك لإرضاعه، ولا بدّ أن يرضع الطفل على الأقل كل ثلاث ساعات خلال النهار، وكل أربع ساعات في الليل. ويعد الإرضاع المستمر والمتكرر ضرورياً للطفل لزيادة إدرار الحليب، فكلما زاد إرضاع الطفل زاد إنتاج الحليب، وحينما يزيد وزن طفلك زيادة مناسبة؛ فلا مانع أن يتناسب مع رغبته في عدد وجبات

الإرضاع.

- إرضاع الطفل حليب الأم داخل القارورة الزجاجية: تجنبي إعطاءها الطفل الذي يرضع رضاعة طبيعية من الحليب الطبيعي إلى أن تستقر الرضاعة وتنتظم، وعادة ما يحدث هذا بين الأسبوعين الثالث والخامس، ومما ييسر انتظام الرضاعة في بعض الأحيان أن يعطي شخص ما غير الأم الزجاجة الأولى التي فيها حليب الأم للطفل. ويمكن مع قليل من الممارسة أن يتنقل معظم الأطفال بين الاثنين: الرضاعة من الزجاجة والرضاعة من صدر الأم.
- ينتظم بعض الأطفال بالرضاعة منذ البداية، في حين يحتاج الآخرون وقتاً أطول لتعلمها، فلا بأس إذا لم ينجح الأمر في البداية.
- لا تتخلي عن الرضاعة الطبيعية. لقد روت أمٌّ أن انتظام إرضاع طفلها استغرق وقتاً استمر لستة أسابيع، وتلا ذلك رضعات مريحة وطويلة.
- قد تعاني حلمات الأم خلال الأسبوع الأول من التقرحات المؤلمة. إذا حدث ذلك فاعصري قليلاً من الحليب قبل الإرضاع وبعده، ثم افركي الحلمات بالحليب، ثم دعي الحلمات تجفّ بالهواء.

تستمتع الأمهات ولا شك بإرضاع الطفل، فهو لا يحتاج إلى تحضير، وينمّي شعوراً بالقرب من الطفل، كما تقلّ معه احتمالية إصابته بأمراض الأذن.

وينبغي للأمهات وضع قائمة بمقدمي خدمات الدعم كي تتصل عند أي صعوبة خلال أول يومين من الرضاعة.

نموذج غذاء يومي مقترح للأم المرضعة

تساعد التغذية السليمة الأم على الحفاظ على تدفق الحليب الكافي، وتمدها بالطاقة اللازمة، وتساعدها على التخلص من الوزن الزائد بسبب الحمل. ومن المهم أيضاً أن تشرب الأم الكثير من الحليب؛ حتى لا تعاني من نقص الكالسيوم في المستقبل.

في ما يأتي نظام غذائي مقترح للأمهات:

- ثلاث حصص من البروتين، مثل الدجاج والسمك.
- حصتان من الطعام الغني بفيتامين (C)؛ مثل البرتقال.
- خمس حصص من الكالسيوم، مثل: الحليب أو الجبن.
- ست حصص من الفواكه والخضروات؛ مثل: جوز الهند والهليون.
- ست حصص من الكربوهيدرات المعقدة، مثل: خبز القمح الكامل.
- حصة واحدة من الأطعمة الغنية بالحديد، مثل: لحم البقر أو البقوليات.
- كميات صغيرة من الأطعمة الغنية بالدهون، مثل: الجبن أو الحليب كامل الدسم.
- ثمانية أكواب من الماء.
- الفيتامينات للحوامل أو المرضعات.



الأم القوية بدنياً

قال رسول الله ﷺ: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحَبُّ إلى الله من المؤمنِ الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ» (مسلم). فاللام في كلمة «القوي» استغراقية، وهي تفيد العموم والشمول في اللغة، ما يعني أن الحديث يشير إلى كافة أنواع القوى، بما فيها قوة الإيمان والجسم معاً؛ إذ تشمل الجوانب البدنية (البيولوجية) وكذلك الجوانب الروحية والأخلاقية.

قالت إحدى الأمهات: «إن إرضاع الطفل أمر رائع. حتى في منتصف الليل، عندما أنظر إلى ذلك الوجه وأفكر: أنا أعني له كل شيء في حياته، فكيف يمكنني ألا أرضعه؟ إن الميزة العاطفية للإرضاع مفيدة لي ولطفلي في الوقت نفسه».

في ضوء الفصول السابقة نستنتج ما يأتي:

تستطيع أي أمة أن تتفوق في القوة المادية على الأمم الأخرى جميعها باتباع هذه التوجيهات:

- اختيار الزوجين السليمين من الأمراض.
- الامتناع عن صور الممارسات الجنسية جميعها خارج

إطار الزواج، ويضمن هذا خلُوّ الآباء والأمهات وأبنائهم من الأمراض المنتقلة التي تنشأ عن طريق ممارسة الجنس كالإيدز وغيره.

- الطعام المناسب، حيث يتناول الآباء (والأمهات الحوامل) والأطفال الأطعمة الصحية التي تساعد على زيادة التمثيل الغذائي للجسم كونها نافعه ومغذية، وتجنب أكل لحم الخنزير والدم والجيف والحيوانات المخنوقة.

ويحث القرآن الكريم على شرب الماء والحليب، ومن المفيد كذلك أكل العسل والفواكه (التمر والعنب والتين والزيتون)، وكذلك اللحوم (لحوم الدواجن، والمأكولات البحرية، ولحم البقر، والضأن)، والخضار (البصل والثوم والخيار والحبوب والبقوليات مثل: العدس والحمص والفول).

- اتباع أسلوب حياة صحية ونظيفة، فنتخلص من الجراثيم والفيروسات، ويجري ذلك بغسل اليدين قبل تناول كل وجبة وبعدها، واستخدام اليد الشمال وفي كل شأن مستقذر، واستخدام اليد اليمنى لتناول الطعام، وكذلك الوضوء خمس مرات في اليوم.
- تجنب تناول المسكرات كالخمور وتعاطي المخدرات والمفتَّرات كالتدخين وغيرها، حينئذ سينمو الجنين، على وجه الخصوص، نمواً سليماً إذا تجنب والداه المواد الكيميائية والضارة .
- الرضاعة الطبيعية للأطفال، ينمو الأطفال الذين يرضعون حليب الأم نمواً سليماً، وتتطور شخصيتهم وتصبح قوية، ويتمتعون بالقوة البدنية والنفسية، حيث يغدون صالحين وقادة للمتقين، ويَحسن أن تكون إجازة الأمومة أكثر من ثمانية أسابيع، فإذا جعلت إجازة الأمومة سنة واحدة مثلاً فذلك يتيح للأمهات وقتاً كبيراً لرعاية أطفالهن لتربية قادة المستقبل، وهناك بعض الدول المتقدمة كألمانيا واليابان تمنح الأم سنوات عدة إجازة بعد الولادة.

وختاماً نقول: إن أول سبع سنوات تعد ذات أهمية كبيرة في بناء شخص قوي وسليم صحياً وذي مزايا قوية، وهي تشكل فرصة مهمة يتعين أن تستثمر في تربية الأولاد، وغرس القيم النبيلة في نفوسهم. وتؤهل المبادئ التوجيهية آنفة الذكر المجتمع ليصبح خير أمة أخرجت للناس.

فإذا حرصنا على تربية أولاد أقوياء وصالحين، فذلك يفتح الأبواب أمامنا ويوفر البنية الفوقية لغرس الإيمان في قلوبهم وتعليمهم الحكمة وإكسابهم المعرفة والمهارات المختلفة التي تهمهم في حياتهم، كما كان حال نبي الله يوسف عليه السلام ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف: ٢٢) والنبي موسى ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (القصص:١٤). وغيرهما.



تعد الرضاعة الطبيعية أساساً متيناً تبني عليه خير أمة للأسباب الآتية:

أ. تمد الطفل بالقوة والطاقة النفسية والجسدية.

ب. هي شكل من أشكال التغذية، ذات مواصفات وفوائد كبيرة، مقارنة بالحليب الصناعي – الغذاء البديل.

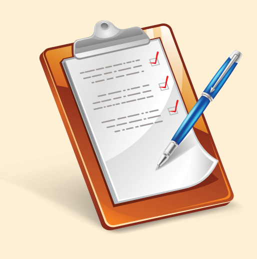
ت. هي الطريقة الأمثل في تغذية الأطفال.

ث. ناهيك عن الترابط المعنوي والنفسي بالغ الأثر للرضاعة الطبيعية على العلاقات الأسرية، حيث تشكل الأسر المترابطة اللبنة الأولى في وجود المجتمع وكيانه.

بينما تواصل المعرفة البشرية التوسع والتغير، يؤكد الوحي الإلهي بعض الأحكام في الوجوب النهي والأباحة؛ كي يستفيد منها الناس ويستهدوا بها في حياتهم، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء:٩)



الأنشطة



النشاط ٣١: نقاش بين الآباء والأمهات

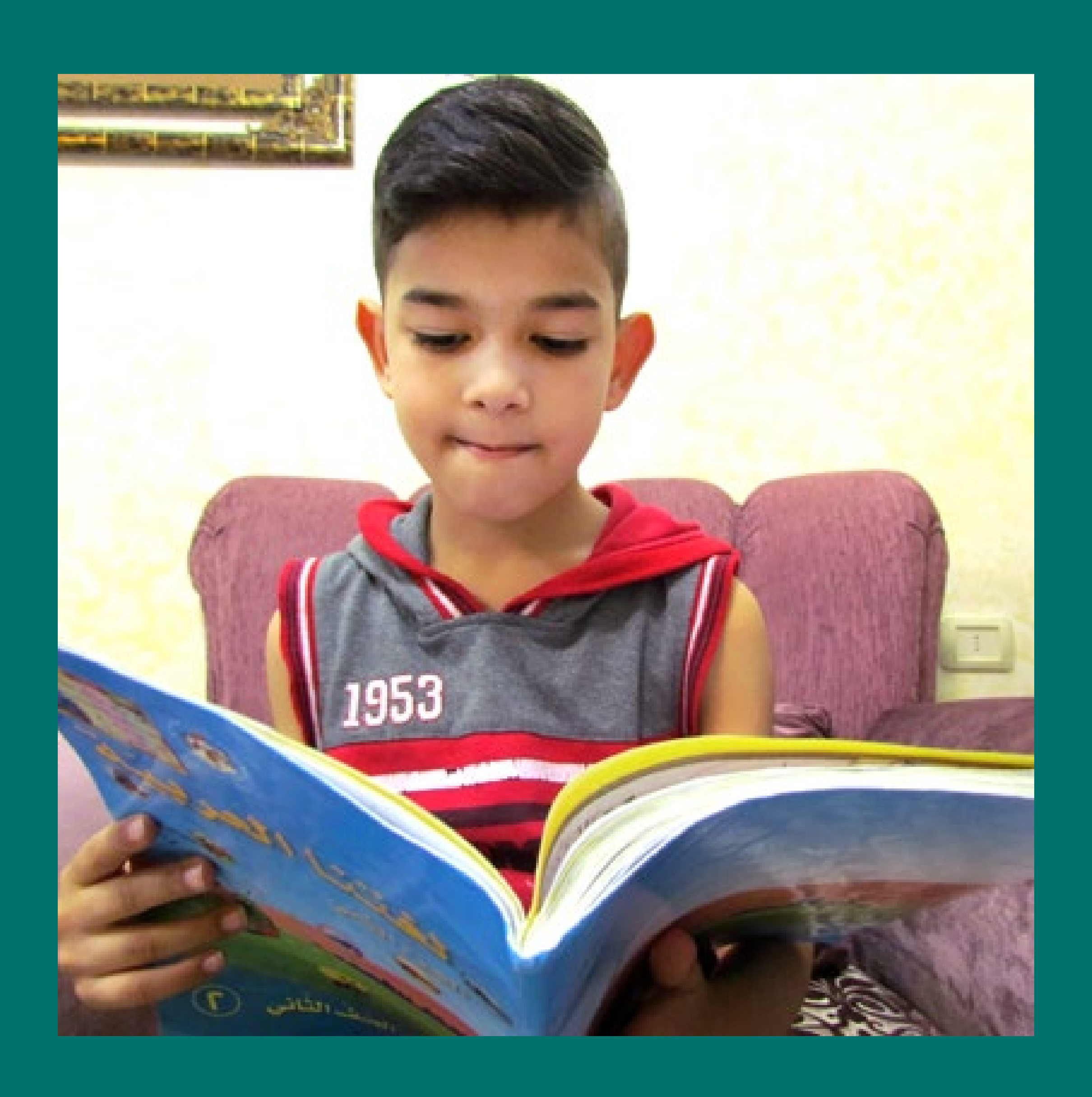
اجمعِ العديد من الآباء والأمهات لمناقشة موضوع «طريقة تربية طفل صالح»، ودعهم يتبادلون تجاربهم الشخصية، الإيجابية منها والسلبية.

في اجتماع أولياء أمور الطلبة السنوي، ناقش الآباء والأمهات موضوع كيفية تربية طفل صالح. وطرح في النقاش العديد من التجارب القيمة. وفي النهاية، قال أحد الوالدين الحكماء: «كل ما قيل ضروري، لكنه غير كاف، لأنه حتى لو كنت تتبع جميع القواعد المطلوبة؛ فإنه دون نعمة اللّه تعالى عليك ورحمته سوف يكون طفلك مخيِّباً للأمل.

وصل الآباء والأمهات إلى إجماع على النحو الآتي:

بغض النظر عن مدى الجهد الذي يُبذل، يتعين أن تجمع دائماً بين علمك ومهاراتك وإرشادات الأقران من العوائل، وبين ابتهالك وتضرعك إلى اللّه وطلب توفيقه ومعونته في هذه المهمة النبيلة المتمثلة في الأبوة والأمومة.

تحتاج تربية طفل إلى أسرة، وقرية، وأمّة، وتعاون الجميع، وإلى رحمة من اللّه، أما الانعزال عن المجتمع وترك الاختلاط بالناس فهو ليس حلاً أبداً.


1953

الفصل التاسع

دماغ الطفل: استخدمه أو تَفْقِدْهُ

- **مقدمة**
- **الفرصة السانحة**
- **تطور الخلايا العصبية والشبكات الدماغية:**
  - البصر
  - الصوت
  - الموسيقى
  - الحركة
  - المفردات والحفظ عن ظهر قلب أثناء الطفولة
- **كيف تحدث التغييرات في الدماغ؟**
- **برنامج (البدء المبكر) في مرحلة ما قبل المدرسة في الولايات المتحدة**
- **ما الذي يستطيع الوالدان عمله في ظل التغيرات التي تحدث للدماغ؟**
  - الدماغ المنطقي
  - الدماغ اللغوي
  - الدماغ الموسيقي
    - حكم الإسلام في الموسيقى والغناء
    - الصور والتماثيل في الإسلام
- **دور التربية الوالدية في تطور دماغ الطفل**
  - أنماط مهمة في البيئة
  - حث الأطفال على المشاركة في الأنشطة البدنية
  - التحدث مع الأطفال بدقة
  - تحدث مع أطفالك بإيجابية
  - توفير المناخ الإيجابي المعزز والمستشرف للمستقبل
  - تشجيع تكرار السلوك الحميد عند الأطفال
- **هل نقرر نجاح الإنسان قبل سن الخامسة؟!**
- **نشاط ٣٢**

مقدمة

يؤكد القرآن الكريم أن الأطفال يولدون لا يعرفون شيئاً، لكنهم مزودون بأدوات اكتساب المعرفة؛ السمع ثم البصر وأخيراً الفؤاد: مكان العقل والمشاعر والعواطف ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل:٧٨). ويوضح علم الأحياء أن مركز السمع يقع في الجزء الأمامي من الدماغ، على حين يقع مركز البصر في مؤخرته، وتقع بينهما مراكز الدماغ الأخرى، وهذه المراكز تشكل الإدراك الذي يصبح به المرء مسؤولاً عن قراراته. ومن الجدير بالملاحظة أن القرآن يورد هذه الكلمات في الترتيب نفسه معاً، متحدة ومترابطة رباطاً لا ينفصل: السمع والبصر والفؤاد ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء: ٣٦).

نحن بحاجة إلى فهم تكوين دماغ الطفل ونموه وتطوره؛ لأن ذلك يطلعنا على تجارب الطفل الأولى وكيفية تشكيلها لدارات الدماغ التي تخص المنطق والرياضيات والموسيقى واللغة والعاطفة وغيرها. وحين نفهم هذا يمكننا وقتها إدراك قيمة الرضاعة الطبيعية في العامين الأولين من حياة الطفل؛ إذ تسهم في تشكيل عقل الطفل وتفكيره.

الفرصة السانحة

«لابد أن نفهم مراحل تكوين الطفل، كي نستطيع التعامل معه تعاملاً سليماً، إذ تكتمل المراكز الموجودة في مناطق مختلفة من الدماغ في أوقات مختلفة، معظمها في مرحلة الطفولة. لذلك تختلف حساسية الدارات لتجارب الحياة في الأعمار المختلفة. قدّم لأطفالك التحفيز الذي يحتاجون إليه، وفي الوقت الذي يحتاجون إليه، وكل شيء بعد هذا ممكن؛ فإذا أخطأت في فعل ذلك؛ فمن المرجح أن تؤول نتائج الأمور بينكما إلى الفشل» (Begley ,1996).

مع أن دماغ الإنسان يزن فقط نحو ثلاثة أرطال (١٣٦٠ غرام)، إلا أنه يحتوي على تريليونات من الخلايا العصبية وشبكات التوصيلات الدماغية، وقدرة عظيمة



على معالجة المعطيات. ولو تصورنا أن كل مدينتين في العالم يربط بينهما طريق سريع رئيسي، وأن طرقاً سريعة أخرى تربط هاتين المدينتين بالمدن الرئيسة الأخرى، إضافة إلى القرى في العالم كافة، فهذا المثال يقرّب لنا حجم عمل العقل ولا يفيه حقه في الواقع. حتى لو تصورنا أن هناك طرقاً فرعية تربط القرى جميعها في العالم، فإن الشبكة الكبيرة من الطرق الرئيسة والثانوية لا تكاد تقارب التعقيد الموجود في الدماغ، ناهيك عن أن الأراضي المتاحة على كوكبنا لن تكون كافية لشق هذه الطرق التي تمثلها شبكات الدماغ المتداخلة.

المشكلة تقع في ما يخص تطور الدماغ ونموه فإذا لم تنشأ هذه الطرق في السنوات الأولى من الطفولة، فيصعب إنشاؤها لاحقاً. -ويا للأسف- هذا هو ما يحدث، فكثيراً ما تضيع الفرص في استثمار السنوات الأولى للأطفال لتحقيق الأنفع والأجدى، فمن الضروري معرفة كيفية تطوير الترابطات والعلاقات في الدماغ ومن ثم بذل كل جهد لتطويرها عند أطفالنا.



قوة استيعاب الدماغ

كم عدد المدخلات التي يمكن أن يستوعبها دماغ الطفل الذي يبلغ ٣ سنوات؟ إذا تصورنا الدماغ كجهاز حاسوب متطور جداً، فإن محيط الطفل الخارجي يعمل كلوحة المفاتيح للإدخال. حيث إن ذاكرة هذا الحاسوب سعتها كبيرة للغاية، ففي السنوات الثلاث الأولى يمكن تخزين معلومات يفوق ما يمكن أن يُدخله جيش من البشر، وتتباطأ وتيرة التعلم عند نهاية السنة الثالثة أو الرابعة من العمر، ويظل الحاسوب يقبل المعلومات ولكن بقدرة أقل، ويزيد التباطؤ كلما تقدمنا في العمر، وحين نصل سن الشيخوخة تبدأ خلايا الدماغ ونقاط الارتباط العصبي تذوي؛ لذلك علينا أن نستثمر السنوات الثلاث أو الأربع الأولى للأطفال قبل أن تفوتنا من بين أيدينا.

(Kotulak ,1993)

الفرصة السانحة (يمثل هذا الجدول البدايات)

ما قبل الولادة	الولادة	سنة	سنتان	٣ سنوات	٤ سنوات	٥ سنوات	٦ سنوات	٧ سنوات	٨ سنوات	٩ سنوات

النمو الحركي العضلي

التحكم العاطفي

الرؤية

التعلق الاجتماعي

المفردات

تعلم لغة ثابتة

الرياضيات / المنطق

الموسيقى

Rycus and Huges 1998

تطور الخلايا العصبية والشبكات الدماغية



«تتقاطع في الدماغ مليارات الخلايا العصبية، ويتحكم بعضها بالتنفس، أو يدير ضربات القلب، أو ينظم درجة حرارة الجسم، أو ينتج ردود الأفعال والاستجابات المختلفة، وتبقى تريليونات ثم تريليونات من الخلايا العصبية وشبكات الاتصالات بينها غير مستعملة، وهي مثل رقائق البنتيوم في الحاسوب قبل أن يبدأ المصنع في إدخال البرامج إليها. وإذا استخدمت الخلايا العصبية فإنها تتكامل مع دارات الدماغ بواسطة اتصالاتها وارتباطاتها بالخلايا العصبية الأخرى، وإذا لم تستخدم فإنها قد تموت، فتجارب الطفولة هي التي تحدد أي الخلايا العصبية تستخدم وتربط الدارات في الدماغ، تماماً كما يفعل مبرمج الحاسوب حين يستخدم لوحة المفاتيح في إعادة تهيئة الدارات في الحاسوب وتصنيفها، فالمفاتيح التي ينقر عليها- أي التجارب التي يواجهها الطفل- تحدد ما إذا كان الطفل سيصبح ذكياً أو مملاً أو خائفاً أو واثقاً أو فصيحاً أو معقود اللسان، ولا شك أن التجارب الأولى للطفل تكون مؤثرة إلى درجة أنها تغير ما سيؤول إليه الشخص تغييراً بالغاً (Nash ,1997).

عند البلوغ يترابط الدماغ ويتشابك مع أكثر من ١٠٠ مليار خلية عصبية، وكل منها يمتد إلى الآلاف من الخلايا العصبية الأخرى؛ إذ إنّ للدماغ في المحصلة أكثر من ١٠٠ تريليون من الترابطات والتشابكات العصبية؛ أي أكثر من عدد المجرات المعروفة في الكون المكتشف إلى الآن- وهذا يعطي الدماغ سلطته التي لا تضاهى.

لقد كانت النظرة التقليدية أن مخطط التشابك والترابط والتعالق الموجود في الدماغ، وهو يشبه مخطط منزل جديد، محدد سلفاً عن طريق الجينات الموجودة في البويضة المخصبة في الرحم. ومع أن نصف هذه الجينات تؤدي دوراً في الجهاز العصبي المركزي، إلا أنه لا يوجد عدد كاف منها لتحديد عدد التشابكات الكبيرة المتجمعة في الدماغ، وهذا يفتح المجال لاحتمال آخر، وهو أن الجينات قد تحدد فقط دارات الدماغ الرئيسية، على حين يوجد شيء آخر هو الذي يكوّن تريليونات الترابطات الدقيقة، والشيء الآخر هو البيئة، وهي عبارة عن الرسائل التي لا تعد ولا تحصى التي يتلقاها الدماغ من العالم الخارجي. فـ «هناك مرحلتان أساسيتان للتشابك العصبي في الدماغ: المرحلة الأولى التي لا يشترط فيها التجربة، والمرحلة الثانية، عندما تكون التجربة حاضرة.» (Carla Shatz,1996، جامعة كاليفورنيا في بركلي ١٩٩٧) فإذا ما تم التشابك فإن قدرة الدماغ لها حدود زمنية لتكوين نفسها، وإن ما يطلق عليه اسم «**المراحل المفصلية**» هي «الفرص السانحة التي تفتح مؤقتاً ولوقت قصير قبل الولادة ثم تبدأ بالانغلاق واحدة تلو الأخرى مع مرور السنين»، كما أن التداعيات المترتبة على ذلك واعدة ومزعجة، وكل شيء وارد الحدوث عند اختيار المدخل الصحيح وفي الوقت المناسب، وإذا فوتت تلك الفرص المتاحة؛ وقتها نتحول إلى التعامل مع ما يمكن أن نسميه «**الدماغ المعاق**»؛ أي دون الكامل، وغالباً تكون المكاسب التي يغتنمها الطفل في البرامج المدرسية المكثفة مثل برنامج Head Start البداية المبكرة مؤقتة ولا تستمر طويلاً؛ لأن هذه التعليمات المكثفة تبدأ متأخرةً جداً؛ مما يجعلها عاجزة عن إعادة بناء الترابطات والتشابكات والعلاقات في الدماغ من الأساس.

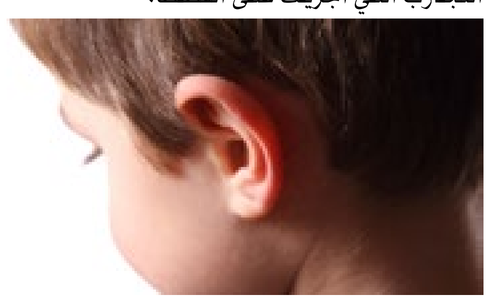
وليس صواباً أن يؤجل تعليم الطفل لغة ثانية. ويستنكر تشوغاني في هذا الصدد: «من الذي قرر خطأ أن تعليم اللغة الأجنبية لا يبدأ إلا في المدرسة الثانوية؟ عندها يكون قد فات الأوان» (Dr. Harry Chugani) مستشفى الأطفال في ميشيغان). علماً بأن الرأي الآخر يميل إلى البدء بتعليم لغات أخرى بمدارس أمريكا في سن الحادية عشرة والثانية عشرة.



البصر

يمكننا أن نصف مراكز البصر والسمع والحركة والعواطف في الدماغ كالآتي:

يحصل لدارات البصر طفرة في نمو خلاياها العصبية في المرحلة العمرية ما بين ٢ إلى ٤ أشهر، وتتوافق طفرة النمو هذه مع بدء الأطفال في ملاحظة العالم حولهم والانتباه له، وتصل أوجها عند عمر ٨ أشهر تقريباً حين ترتبط كل خلية عصبية تقريباً بـ ١٥,٠٠٠ خلية أخرى بطريقة مذهلة حقاً، والطفل الذي تصاب عيناه بإعتام عدسة العين وهو في سن الثانية؛ سيظل أعمى حتى إن أجريت له جراحة بعدها لإزالة الإعتام، كما أكدت التجارب التي أجريت على القطط.



الصوت

تقول باتريشيا كوهل (Patricia Kuhl) من جامعة واشنطن: «فقد الأطفال القدرة على تمييز الأصوات التي ليست أساسية في لغتهم في عمر ١٢ شهراً، وتكتسب ثرثرتهم صوت لغتهم»، وهذا ما يفسر أن اليابانيين

لا يستطيعون التمييز بين الصوتين (ل) و (ر)، فالفعل «لعب» مثلاً يلفظه اليابانيون «رعب»، وهناك العديد من الأقوام ممن يلفظ حرف الضاد (ز) فيلفظ كلمة (الضالين) مثلاً (الزالين).

فتعلم وإتقان لغة ثانية بعد (**وليس مع**) اللغة الأم أمر صعب للغاية، تقول باتريشيا: «تَحُدّ الخريطة الإدراكية للّغة الأم من تعلم اللغة الثانية»، على سبيل المثال: إذا كانت الدارات العصبية مرتبطة ومتشابكة أساساً للغة الإسبانية كونها اللغة الأولى، فإن ما تبقّى من الخلايا العصبية غير المخصصة والمحددة تفقد قدرتها على تشكيل الترابطات والتشابكات الأساسية الجديدة للغة اليونانية كونها اللغة الثانية، فالطفل الذي يتعلم لغة ثانية **بعد سن الـ ١٠ سنوات** من غير المرجح أن يتقن اللغة الثانية واللهجة مثل لغته الأم، ولهذا السبب كان من الضروري استماع الأطفال غير العرب لتلاوات القرآن في أثناء مرحلة الطفولة لإتقان أصوات الحروف العربية جميعها.

يبدأ تحويل الأصوات إلى كلمات عند الأطفال حين تكوّن الدارات العصبية الأساسية، فكلما سمع الطفل المزيد من الكلمات، كان تعلمه للغة أسرع، والأطفال الذين تحدثت أمهاتهم إليهم كثيراً عرفوا (١٣١) كلمة في سن ٢٠ شهراً أكثر من الأطفال الذين كانت أمهاتهم لا يولين اهتماماً للكلام الكافي مع أطفالهن. وتزيد هذه المفردات الإضافية في سن ٢٤ شهراً، ليصل الفرق إلى (٢٩٥) كلمة، ولا يهم أيّ الكلمات المستعملة، حتى وإن كانت ذات مقطع واحد؛ لأنها في النهاية تجدي نفعاً على ما يبدو.

وتكوّن أصوات الكلمات دارات عصبية تستطيع أن تستوعب المزيد من الكلمات، وهناك عدد ضخم من المفردات لا نستطيع تحصيلها إلا عن طريق التعرض المتكرر لسماع الكلمات، ومن المفيد أن نلاحظ في هذا السياق الآثار الإيجابية الكبيرة عند وجود العديد من الأشقاء الذين يتحدثون مع الطفل لتطوير لغته.

وبالإمكان في ضوء ما سبق إدراك أهمية الكتاتيب في العهود الأولى للحضارة الإسلامية، والتي كان يتلقى الطفل فيها الثراء اللغوي لمفردات القرآن الكريم كماً ونوعاً، وهو ما دعا الأنجليز والفرنسيين كما يشير (Jason) صاحب كتاب (Militant Islam) زمن ثورة الخميني، وترجمة العنوان بمعنى «الإسلام الثوري»، والذي يشير فيه صاحبه إلى خطة الإنجليز والفرنسيين في اكتشاف السر وراء قوة الفرد المسلم الذي يكبر ويصعب قهره وغزا العالم كله، فوجدوا السر في الكتّاب (الكتاتيب)، حيث يرسل الأهل ابنهم إلى الكتّاب من سن (٣-٦) سنوات فيحفظ القرآن الكريم كله، وفي سن السابعة يدرس ألفية ابن مالك، فيصبح طفلاً جباراً يحمل في هذا العمر حصيلة لغوية لا تقل عن (٥٠٠٠٠) كلمة، فاقترح الفرنسيون إلغاء الكتّاب في الدول التي خضعت تحت سيطرتها، في حين دعا الإنجليز إلى بناء المدارس الأجنبية لأبناء الأغنياء والمدارس الحديثة التي لا تجعل منهاجاً للقرآن الكريم، فتضعف لديهم اللغة العربية -لغة القرآن- ويحل مكانها اللهجة العامية، وتصبح بذلك اللغة العربية الفصحى عنده غريبة وكأنها لغة أجنبية عنه، كما تضيع على الطفل فرصة التعلم اللغوي للمصطلحات ودلالاتها، في السنوات العشر الأولى من عمره، وتضيع عليه الـ(٥٠٠٠٠) كلمة.

الموسيقى

يقول إلبرت وآخرون (Albert et al, 1995): إن السماع المبكر للموسيقى يعيد تشكيل الترابط والتعالق الموجود بين الدارات العصبية، حين صورت أدمغة الموسيقيين الذين يعزفون الآلات الوترية بالرنين المغناطيسي، وجد أن مقدار المساحة المخصصة في دماغهم للإبهام وأصابع اليد اليسرى أكبر بكثير من حجمها لدى الذين لا يعزفون أي آلة وترية.

ويذهب أفلاطون إلى أن الموسيقى هي الأداة الأكثر فعالية في التعليم، وقد عرف العلماء في وقتنا الحالي سبب ذلك، إذ أشاروا إلى أن الموسيقى تدرب المخ على مستويات عالية وراقية من التفكير، بناءً على تجربة أجريت حول قوة تأثير الموسيقى بمراقبة مجموعتين من الأولاد في مرحلة ما قبل المدرسة، حيث تلقت مجموعة من الأطفال دروساً في العزف على البيانو، وكانوا يغنون يومياً، ولم تفعل ذلك المجموعة الثانية ولوحظ بعد ٨ أشهر تفوق المجموعة الموسيقية ممن أعمارهم ٣ سنوات في لعبة

حل الألغاز، وسجّل ٨٠٪ منهم نسبة أعلى من رفاقهم في الذكاء المكاني (القدرة على تصور العالم بدقة).

ومن المحير في الأمر أن هذه القدرة الموسيقية عادةً ما تتحول لاحقاً إلى مهارات هندسية ورياضية معقدة. وبرأي الفيزيائي جوردون شو من مدينة إيرفين بولاية كاليفورنيا: « إن التدريب المبكر للموسيقى يعزز قدرة الطفل على التفكير العقلي» (Begley,2000).



يبدو أن هناك علاقة وثيقة في الدماغ بين الموسيقى والرياضيات والمنطق، كما تتميز مهارات التفكير العليا بالأنماط العقلية السامية بهذه المواد الثلاث؛ حيث إن مدرسي الأطفال لا يعلمونهم الرياضيات العليا أو الشطرنج، ومع ذلك نجد عند الأطفال اهتماماً بالموسيقى وفي كيفية التعامل معها، وفي دراسة قام بها فرانسيس راوشير (Frances Rauscher) من جامعة ويسكونسن؛ قدّم دروساً في العزف على البيانو لبعض الأطفال، وأعطى آخرين دروساً في الغناء، وتبين بعد ٨ أشهر، أن الأطفال الذين أُعطوا دروساً في الموسيقى «تحسنوا تحسناً ملحوظاً في الذكاء المكاني والتحليل» مقارنة مع الذين لم يعطوا مثل هذه الدروس، وظهر هذا التحسن في قدرتهم على إيجاد الطريق الصحيح في لعبة المتاهات، ورسم الأشكال الهندسية، والتعرف على أنماط قطع ذات لونين بعد إخفائها عنهم واختبارهم فيها، وعندما يدرب الأطفال خلاياهم العصبية القشرية بالاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية؛ فإنهم يقوون بذلك الدارات العصبية التي تستعمل في فهم الرياضيات، كما تثير تلك الموسيقى أنماط الدماغ الكامنة، وتعزز أيضاً من استعمال المنطق المركب في المهام المختلفة (Nash,1997).

إن تشجيع الأطفال على تعليم عزف الآلات الموسيقية له عدة فوائد بوصف الموسيقى وسيلة لتنمية العقل والذوق، وليست هدفاً بحد ذاته.، ولا يفهم مما سبق تنشئة الأطفال على الفيديو كليب وصخب الموسيقى الحالي، الذي فقد معنى الفن أصلاً، إذ الدراسات السابقة أشارت إلى الموسيقى الكلاسيكية وليس إلى الجنون الموسيقي المعاصر، الذي تسربت آثاره السلبية إلى بيوتنا وخصوصياتنا وأبنائنا بمشاهد التلفاز ووسائل التواصل الاجتماعي المجانبة للأخلاق، وخصوصاً خلق الحياء.

الحركة

تبدأ حركات الجنين عند سبعة أسابيع من الحمل، وتبلغ الذروة ما بين الأسبوعين الـ ١٥ و١٧، وهو الوقت الذي تبدأ فيه أجزاء الدماغ التي تتحكم في الحركة بالتشابك والترابط والتعالق، وتستمر هذه المرحلة الحساسة لمدة زمنية معينة: إذ تستغرق نحو السنتين لخلايا المخيخ - التي تتحكم بالحركة وهيئة الجسم - لتكوين الدارات الوظيفية، ويبدأ الكثير من التنظيم بالحدوث باستعمال الطفل للمعلومات المستقاة من حركته في العالم المحيط به، فتقييد نشاط الطفل يحول دون تكون التشابكات المرتبطة بعضها بعضاً في المخيخ، إذ ترسل حركات الطفل الأولى المضطربة إشارة إلى القشرة الدماغية الحركية؛ وكلما تحركت الذراع أكثر؛ قويت الذراع وصار الدماغ متحكماً تحكماً أفضل في تحريك الذراع تلقائياً وبسلاسة، ولا تدوم هذه الفرصة السانحة سوى لعدد قليل من السنوات، فمثلاً: إذا وضع الطفل داخل قالب cast مقيداً وغير قادر على تحريك جسمه إلى أن يبلغ سن الرابعة، فإنه سوف يتعلم المشي لكن ليس بسلاسة ويسر مطلقاً (Carmichael, 2007).

والتمارين الرياضية ليست ضرورية فقط للقلب، فهي مهمة أيضاً للدماغ؛ لأنها تمده بالمواد الغذائية على شكل جلوكوز، كذلك تزيد من الاتصالات والترابطات العصبية، وكل ذلك يسهم في تسهيل التعلم على الأطفال من الأعمار جميعها، حيث يحتاج الأطفال إلى الأنشطة البدنية داخل الفصول الدراسية، ولا ينفعهم الجلوس في مقاعدهم وحفظ الشعر وجداول الضرب فحسب، فالطفل يحتفظ

بالمعرفة التي يحصل عليها في المادة لمدة أطول حين يتحقق التواصل الشفوي مع العاطفي والبدني معاً.

المفردات والحفظ عن ظهر قلب أثناء الطفولة

يمكن أن تفسر الاكتشافات البيولوجية السبب لكثير من الأطفال الناطقين بغير العربية لحفظ القرآن في سن مبكرة، حيث إن بعضهم حفظه كاملاً قبل سن الـ ١٠. ومن الملاحظ أننا لا نجد عند الدول الصناعية تركيزاً خاصاً على الحفظ عن ظهر قلب عند الأطفال، علماً أن الحفظ يوفر للدماغ الأساس الذي يبنى عليه تعلم اللغة، وستكون الفرصة سانحة للحفظ الأمثل؛ الذي يدوم حتى سن الـ ١٢سنة، فكلما استعمل المخ مزيداً من الجلوكوز ازداد نشاطه، علماً أن استهلاك أدمغة الأطفال للجلوكوز من سن الرابعة إلى البلوغ يعادل تقريباً ضعف معدل استهلاك البالغين له، لذلك فالعقول الشابة؛ هي أشد قدرة على اكتساب المعلومات الجديدة، ويفضل أن تدرس الموضوعات المعقدة مثل: المثلثات أو اللغات الأجنبية في سن مبكرة؛ فمن السهولة للطفل في المدرسة الابتدائية أن يستوعب اللغة الثانية حين يسمعها، بل أن يتحدث بها دون لكنة.



كيف تحدث التغييرات في الدماغ؟

تحفز التمارين الرياضية النمو والتطور في منطقة الدماغ المرتبطة بالذاكرة، مما قد يؤدي إلى تحسين وظيفته، ووجد الباحثون أن التمارين الرياضية تزيد من حجم الدم في منطقة التلفيف المسنن (dentate gyrus) وهي (قُرين آمون) في الدماغ، وتعدّ منطقة مهمة للذاكرة والتعلم آذنة لخلايا دماغية جديدة للتكون في هذه المنطقة (Carmichael, 2007)

برنامج (البدء المبكر) في مرحلة ما قبل المدرسة في الولايات المتحدة

لم يكتب لبرنامج البداية المبكرة (Head Start) النجاح، وهو برنامج فيدرالي وفر إمكانات شاملة للتنمية المبكرة للطفولة عند الأطفال من ذوي الدخل المتدني منذ عام ١٩٦٥، والفكرة أن ما يكسبه الأطفال من المعرفة يختفي بعد مرور نحو ثلاث سنوات من عمرهم، ويعود سبب إخفاق البرنامج وعجزه، توقيته لضم البرنامج أطفالاً أعـ مارهم سنتان وثلاث وأربع سنوات. في عام ١٩٩٢ بدأ المشروع الهجائي (Abecedarian)، ووزع الأطفال من (١٢٠) أسرة فقيرة على أربع مجموعات للتعليم المبكر المكثف في مركز الرعاية النهارية للأطفال: المجموعة الأولى ممن أعمارهم من (٤-٨) أشهر، والمجموعة الثانية من (٤ أشهر – ٥ سنوات)، والمجموعة الثالثة من (٥ أشهر – ٨ سنوات) لم يقدم لهم تعليم مبكر مكثف. ويبرز تساؤل هنا: ما معنى أن «تعلّم» أطفالاً

أعمارهم أربعة أشهر؟ هذا يعني إعطاءهم مكعبات وخرزاً للعب بها، أو التحدث إليهم، أو اللعب معهم.

لقد صممت ٢٠٠ ونيف من «الألعاب التعليمية» لتعزيز التطور المعرفي أو اللغوي أو الاجتماعي أو الحركي. وتبين في نهاية الدراسة أن الأطفال الذين التحقوا بالمشروع الهجائي من المرحلة العمرية ما قبل المدرسة حصلوا على نتائج أعلى في الرياضيات والقراءة من الأطفال الآخرين عندما بلغوا سن ١٥سنة، وظهر من نتائج الدراسة أيضاً؛ أنه كلما بكر الأطفال بالالتحاق بالمشروع الهجائي ازداد حفاظهم على المكاسب لمدة أطول.

فالمسألة التي تدعو للقلق هي: إذا أغلقت نوافذ التعلم والمعرفة قبل أن تنتهي المرحلة الابتدائية في المدرسة، فهل يفقد الأطفال الذين فوتوا فرصهم التعليمية كل الآمال في الحصول على هذه الفرص ثانية؟ وماذا نصنع للأطفال الذين لم يشرع آباؤهم وأمهاتهم بتوجيههم لعدّ الخرز لتحفيز قدراتهم في الرياضيات، ولم يتكلموا معهم لبناء قدرتهم اللغوية؟ فالأمل لا يزال هناك دون شك، فالدماغ يحتفظ بالقدرة على التعلم في مراحل الحياة جميعها، فتأمل الأشخاص الذين لم يتعلموا اللغة الفرنسية في جامعة وأتقنوها في وقت لاحق من حياتهم أو بعد التقاعد، ولكن على المستوى الأعمق تبرز مشكلة أن الأطفال الذين لا تحفز عقولهم قبل رياض الأطفال؛ سيكونون أقل قدرة على التعلم واكتساب القدرات المختلفة.

أعلن رئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير (Tony Blair) في ٣٠ أيلول ١٩٩٧، في خطابه في المؤتمر الوطني لحزب العمال البريطاني (في برايتون، إنجلترا)، أنه يلزم أن تبدأ مرحلة ما قبل المدرسة في عمر ثلاث سنوات بدلاً من أربع سنوات، وذلك للاستفادة من أهمية التوقيت المبكر في نمو الدماغ وتطوره.

والخلاصة أنه على الرغم من أننا نولد بإمكانيات عظيمة، فإنها لا تصل إلى حدها الأقصى إلا إذا طورت ونميت واعتني بها، لذلك يتعين على الآباء والأمهات أن يعرفوا كيفية نمو العقل وتطوره، وكذلك كيفية اكتسابه للمعرفة.

وهناك ثلاث مهارات ينبغي أن تُدعّم في عقل الطفل في الوقت المناسب:

- الدماغ المنطقي (المنطق والرياضيات)
- الدماغ اللغوي
- الدماغ الموسيقي

ما الذي يستطيع الوالدان عمله في ظل التغيرات التي تحدث في الدماغ؟

الدماغ المنطقي

العمل: لعبة العد مع الأطفال. على سبيل المثال، اطلب من الأطفال تجهيز الطاولة كي يتعلموا العلاقات الفردية، واحداً لواحد في ما بينهم. أعط كلاً منهم طبقاً واحداً، وشوكة واحدة، وفي الوقت نفسه، شغل الموسيقى الهادئة.

المهارة: المنطق والرياضيات

الفرصة السانحة للتعلم: من الولادة إلى ٤ سنوات

ما نعرفه: دارات الرياضيات الموجودة في قشرة الدماغ، تقع بالقرب من دارات الموسيقى.

الأطفال الذين يدركون مفاهيم سهلة، مثل: القليل والكثير، والواحد والأكثر، ويكون تحصيلهم الدراسي أفضل في الرياضيات.

الدماغ اللغوي

المهارة: اللغة

الفرصة السانحة للتعلم: من الولادة إلى عمر ١٠ سنوات

ما نعرفه: تمثل الدارات في القشرة السمعية الأصوات التي تشكل الكلمات التي تتشابك وتترابط وتتعالق أثناء السنة الأولى من عمر الطفل، وكلما زاد سماع الأطفال للكلمات في سن الثانية نمت مفرداتهم، وإن مشكلات السمع تعيق القدرة على ربط الأصوات بالحروف.

العمل: يجمل بالوالدين التحدث مع أطفالهما كثيراً،

وإذا أرادا لأطفالهما إتقان لغة ثانية؛ فيفضل أن يعلماهم ذلك قبل سن العاشرة. ويتعين معالجة التهابات حاسة السمع عندهم بالعلاج الطبي الفوري.

الدماغ الموسيقي

المهارة: الموسيقى

الفرصة السانحة للتعلم: من ٣ إلى ١٠ سنوات

ما نعرفه: عازفو الأوتار لديهم مساحة كبيرة من القشرة الحسية المخصصة لإصبع السبابة في اليد الشمال. قليل هم العازفون الماهرون الذين بدأوا العزف بعد عمر ١٠ سنوات، وتساعد دروس الموسيقى على تطوير مهارات التخيل المكاني.

العمل: تسجيلات هادئة لأصوات الطيور والطبيعة، أو أن يغنيا أغنيات أو ينشدا نشيداً (أغاني دينية وتواشيح) مع أطفالهما، وكذلك سماع موسيقى هادئة. قدم للأطفال آلات موسيقية لمعرفة ما إذا كانوا سيظهرون أي موهبة موسيقية أو حتى اهتمام بأي من هذه الآلات.

حكم الإسلام في الموسيقى والغناء

يجيز الإسلام الغناء والموسيقى على الرغم من بعض الخلافات الفقهية في الموضوع، شريطة ألاّ يروّج ذلك للشر والإثارة الجنسية، وألاّ يؤثر سلباً على أداء الالتزامات الدينية. لقد استمع صحابة النبيﷺ وتابعوهم إلى الأغاني والموسيقى، خاصة في المناسبات السعيدة مثل: الزفاف، والاحتفالات بالمولود الجديد وغيرها من الاحتفالات، وكانت تغنَّى فيها الأغاني وتُعزف الآلات الموسيقية مثل: الطبول والدفوف، والناي.



روى البخاري ومسلم أن الأحباش كانوا يلعبون بحرابهم في المسجد في يوم عيد وكانت السيدة عائشة تنظر إليهم حيث تشير هذه الحادثة إلى حرصه ﷺ للتسرية عن زوجته عائشة رضي الله عنها.

وروت عائشة رضي الله عنها: «دخل رسول الله ﷺ وسلم وعندي جاريتان تغنّيان بغناءِ بُعاث وهو يوم من أيام الجاهلية بين الأوس والخزرج انتصرت فيه الأوس، فاضطجعَ على الفراشِ وحوّل وجهه، فدخل أبو بكرٍ فانتهرني وقال: مزمارةُ الشيطانِ عند رسول الله؟ فاقبلَ رسولُ الله ﷺ، فقال: دعْهما، فلما غفَل ـــ أي أبو بكر ـــ غمزتُهما فخرجتا.

وكان يومَ عيدٍ يلعبُ فيه السودانُ - أي الحبشة - بالدَرَق والحِراب، فإمّا سألتُ رسولَ الله ﷺ، وإمّا قال: تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم. فأقامني وراءه وخدّي على خدِّه يسترُني بثوبه، وأنا أنظرُ إلى الحبشةِ يلعبون، وهو يقول: دونَكم يا بني أَرْفَدَة، لقبٌ للحبشة سُمُّوا به لأنه كان أشهَرَ أجدادهم، حتى إذا مللتُ قال: حَسْبُكِ؟ قلت:نعم. قال: فاذهبي» (مسلم والبخاري مع اختلاف في بعض ألفاظهما).

إنه درس للآباء والأمهات للإتاحة الفرصة لأولادهم للترويح عن أنفسهم وتمتيعها، بدلاً من منعهم من وسائل الترفيه الجائز. وفي هذا الوقت نرى الموسيقى والفن عامة –ويا للأسف– يعملان على نشر الرذيلة مثل: إثارة الشهوة الجنسية، وتعاطي المخدرات، والإدمان على الخمور. ومع هذا توظف الموسيقى للتعليم والتسلية الراقية.

لا يوجد أي حديث صحيح يحرّم الموسيقى والغناء، وقد ردّ القرضاوي (٢٠٠٧) الأحاديث جميعها التي تحرم الموسيقى والغناء؛ لأنها تفتقر إلى الدقة، أو إلى الصحة في المعنى أو الرواية، أو كليهما. ولا توجد أي إشارة

إلى أي تحريم لهما وفي أي وقت كان، زيادة على ذلك، هناك العديد من الأدلة الأخرى جاءت تشير إلى عدم تحريمهما، منها على سبيل المثال:

١. أن أبا بكر رضي الله عنه دخل على عائشة رضي الله عنها وعندها جاريتان تغنيان وتضربان بالدف، ورسولُ الله ﷺ مسجّى بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف رسولُ الله ﷺ وجهَه وقال: (دعْهما يا أبا بكر فإنها أيامُ عيد). (البخاري ومسلم).

٢. أن عائشة رضي الله عنها زَفَّتِ امرأةً إلى رجلٍ من الأنصار، فقال النبي ﷺ: (يا عائشة، ما كان معكم لهوٌ؟ فإن الأنصارَ يعجبهم اللهو). (البخاري).

٣. دخل عمرُ رضي الله عنه والحبشةُ يلعبون في المسجد، فزجرهم عمر، فقال رسولُ الله ﷺ: (دعْهم يا عمر، فإنما هم بنو أَرْفَدة) (النسائي).

ليس المجال هنا لإثارة النقاش الفقهي حول الغناء والموسيقى، فقد تناوله القدماء والمحدثون بكثير من التفصيل، ولكن -حسبنا القول مطمئنين إلى الأراء الواردة في هذا الشأن- ليس هناك نص قاطع من القرآن الكريم والسنة المطهرة في تحريم الغناء والموسيقى، فلو كان حكمها يقتضي التحريم بالقطع لكان هذا واضحاً في النصوص كما هي الدلالة في باقي المحرمات مثل: الزنا والخمر التي لم تكن محل خلاف، وعليه يمكن الخروج بالرأي الآتي:

هناك فرق بين الغناء والموسيقى، فالأول بإجماع هو كلام أي نص، حلاله حلال وحرامه حرام -سواء رافقه موسيقى أو لم يرافقه- فكل كلام طيب ليس فيه بذاءة ولا فحش ولا خروج عن الأدب والحياء ولا يؤدي إلى التحريض على محرم فليس فيه شي.

أما المعازف والموسيقى بكل أنواعها، فكل المعازف التي لا يرافقها خمر أو فحش أو غانيات أو عاريات أو تكسر في الصوت والحركات المهيجة وإثارة الغرائز أو المجون، والتي ليس فيها ما يخرج الإنسان عن كرامته وحيائه فهي على أصلها من الإباحة، مثل: الموسيقى الحماسية والتربوية والأعياد والاحتفاء بالمولود وما كان للترفيه والترويح عن النفس غير الملهي عن الواجب وغيرها.

فالقاعدة العامة التي يُحكم بها على الأعمال هي النيات، كما أن أي عمل يؤدي إلى الباطل بعيداً عن الصواب يتعين تجنبه. فالموسيقى المثيرة جنسياً، والأغاني الفاحشة التي تدعو إلى الرذيلة والمحرمات؛، هي حرام بالتأكيد، مثلهما مثل أي موادّ إباحية. أما أنواع الموسيقى والغناء الأخرى مما لا يروّج للرذيلة وينشرها، فهي جائزه.

رأي ابن سينا في الموسيقى

قال ابن سينا: هناك أنواع معينة من الحمى ناجمة عن عوامل نفسية. وأكّد ابن سينا تأثير الموسيقى الإيجابي على المرضى جسدياً ونفسياً على حد سواء، ومن الجدير ذكره أن لابن سينا مؤلفاً في علم الموسيقى، هو جزء من كتابه الشفاء المكون من أربعة أقسام، القسم الثالث فيه سماه جوامع علم الموسيقى، وكتب الكثيرون عن تأثير ابن سينا في علم الموسيقى وتأثُّر الأوروبيين بكتبه في هذا المجال.

الصور والتماثيل في الإسلام

الصور والتماثيل مشروعة في الإسلام بشرط ألا تصور العري، أو تظهر الفاحشة وغيرها من صور الفجور، وقد كان الاستخدام الرئيس للصور والمنحوتات في العصر الجاهلي وفي زمن الرسول ﷺ في عبادة الأصنام والتقرب إلى اللّه زلفى، ولذلك حرمها الشرع، فبعض الكلمات التي نستعملها في وقتنا الحاضر كانت تستعمل قديماً بمعنى مختلف، فكلمة (سيارة) مثلاً وردت في سورة يوسف بمعنى (القافلة من المسافرين) ولكن الكلمة نفسها تعني اليوم وسيلة النقل المعروفة، وهو استخدام مختلف تماماً. وإذا أعملنا المنهج اللغوي نفسه على ما كان يطلق عليه اسم الصور والتماثيل قديماً، فإنه يصبح في وقتنا الحاضر شاملاً للرسوم واللوحات والصور والأفلام والشاشات الإلكترونية والمنحوتات ثنائية الأبعاد وثلاثية الأبعاد.

لقد كانت الصور والتماثيل (الأصنام) تستخدم على مدى حقب زمنية طويلة للعبادة والطقوس الدينية، وعندما لاحظ الرسول ﷺ أن الأطفال كانوا يلعبون بالدمى لم يمنعهم من فعل ذلك. تروي عائشة رضي اللّه عنها «كنت ألعب بالبنات (أي التماثيل والدمى على هيئة البنات) وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول اللّه ﷺ إذا دخل يتقمعن (أي يختفين ويستترن) فيسربهن إليَّ فيلعبن معي (أي فيرسلهن إليَّ لنكمل اللعب) (البخاري).

وهكذا يحرم استخدام أي صورة أو نحت في وقتنا الحالي، وفي كل وقت، صنماً للعبادة، تحريماً قاطعاً، ومع ذلك فإن معظم المنحوتات أو الصور اليوم لا تستخدم للعبادة بل لأغراض العلوم والتكنولوجيا والإعلام والتعليم والترفيه وجوازات السفر وبطاقات الهوية وبطاقات الائتمان، وهذه الاستخدامات للتماثيل والصور ليست محرمة في أحاديث الرسول ﷺ، بل ما يمسّ الدين والعقيدة وكان محل تقديس هو موضوع التحريم، وعليه يلزم لذلك أن يكون استخدامنا لها في عصرنا الحالي، بأشكالها وصورها المختلفة، في الأغراض النافعة وليس في الأمور الضارة أو الفاسدة.

دور التربية الوالدية في تطور دماغ الطفل

يهتم الأطفال بتعلُّم اللغات، والأنماط، وأنواع العلاقات جميعها، وهم لا يكتفون بمشاهدة ما يجري ويقع في الحياة فحسب، كما كانوا يفعلون وهم أطفال رضع، بل يرغبون الآن أن يصبحوا جزءاً منها ويشاركوا في التفاعل معها بكافة الصور الممكنة والمتاحة من منظورهم، وفي ما يأتي بعض الأفكار للآباء والأمهات لتنمية اهتمامات أطفالهم الصغار وإحداث تغيير إيجابي في نضجهم وتطور عقولهم:

أنماط مهمة في البيئة

هناك نمطان مهمان في البيئة يسهمان في تطور دماغ الطفل ونضجه، وهما التسلسلات والمواقف، كما سيأتي تفصيلهما؛ فالنمط الأول يشمل التسلسلات وترتيب الأحداث، ولقي أمور مهمة جداً للأطفال الصغار، فتسلسل الأحداث وترابطها بوجه خاص هو الأكثر إثارة للاهتمام، فأدمغة الأطفال تربط الأحداث ربطاً طبيعياً في علاقة السبب والنتيجة، وعلى الوالدين إظهار التسلسل الصحيح من الأحداث الفيزيائية وتوضيحه لأطفالهما، كآثار الضوء والحرارة والمياه والجاذبية والرياح والعادات الاجتماعية مثل: طرقهم الباب قبل الدخول، وإعطاء الدور للآخرين، وقولهم «شكراً»، وعادةً ما يكون الأطفال في هذه المرحلة العمرية مفتونين بمعرفة التسلسل الموجود في الأعمال المنزلية، مثل: التنظيف أو الطبخ أو ارتداء الملابس.

أما النمط الثاني وهو الأكثر أهمية يتمثل بالمواقف، فالأطفال لا يهتمون بالمواقف بالدرجة نفسها التي

يهتمون بها بالتسلسلات والارتباطات، ومع ذلك فهم يبدأون من الشهر ١٣-١٩ بالاهتمام بتصنيف النماذج. على سبيل المثال: ما الأشياء؟ من الناس؟ وما الأحداث المتسلسلة والمرتبطة بتجربة حصلت في مطعم أو مكان ما؟ ويستخدم الأطفال من سن ما قبل المدرسة هذه المعلومات لفهم البيئة عامة والتكيف معها. ويجدر بالآباء والأمهات من دون استياء توضيح المعلومات التي تتعلق بأسئلة: «ما»، و«من»، وحتى «لماذا» و «كيف» عندما يواجهون مواقف مع أطفالهم تثير مثل هذه الأسئلة أو تلك التساؤلات.

وتسمى هذه بالعقلية السؤولة للطفل، وبقدر ما تجد رعاية واهتمام واستجابة إيجابية من الوالدين بقدر ما تسهم في النضج العقلي للطفل، أما إذا وجد الأطفال الاستجابات السلبية من الوالدين التي تظهر الضجر وعدم الرضا أو الإجابة على مضض دون رغبة أو حب، فإن ذلك سيكون ذا علاقة بتراجع النضج العقلي للطفل، علماً أن بعض الدراسات حددت مرحلة العقلية السؤولة للطفل لحد ٤ سنوات، وفي ضوء استجابات الوالدين يتقدم ذاك النضج العقلي أو يتراجع.

حثّ الأطفال على المشاركة في الأنشطة البدنية

يسهل تعلم المفاهيم المكانية عند المشاركة البدنية، وعلى سبيل المثال: فإن كلمة «تحت» ستظهر أهميتها أكثر عندما يطلب من الطفل الاختباء «تحت» طاولة حين استخدام هذه الكلمة، ويزاد عليه أمثلة كثيرة من توظيف المصطلحات المكانية، مثل: الاختباء خلف الباب أو الاصطفاف في مقدمة طابور أو السير معاً بمحاذاة، ناهيك عن الفائدة اللغوية التي يحصل عليها الطفل مع هذا النشاط البدني، فوضع الأطفال في منطقة محصورة مع مجموعة محدودة من المجسمات من شأنه أن يحدّ من تطورهم، فاحرص على أن تكون حاضراً مع أطفالك أطول فترة زمنية ممكنة، مرشداً لهم، حريصاً على المحافظة على سلامتهم، والتفاعل معهم قدر الإمكان.

التحدث مع الأطفال بدقة

يساعد حديث الآباء والأمهات مع أطفالهم في تطوير مفرداتهم، ويريد الأطفال في هذه المرحلة العمرية (١٢-٢٤) شهراً معرفة أسماء الأشياء الموجودة حولهم، ويجدر بالوالدين حين ذِكر هذه الأسماء لأطفالهما أن يكونا واضحين قدر الإمكان، كما يساعد لمس الأطفال للأشياء على تعلم اللغة واكتسابها، وكذلك استخدام الوالدين للقرائن «السياق» في العبارات التي يستخدمونها ويوظفونها في لغتهم «أنا ذاهب لإحضار كتاب» مع توضيح للعمل الذي سيقومان به بالتمثيل والإشارة إلى الكتاب في هذه الجملة مثلاً، وحين توجه الأم سؤالاً إلى طفلها، ثم تكرر إجابته مع توسع واستطراد وإعادة لصياغة إجابته على نحو صحيح ومفصل، فإنها بذلك تطور قواعد اللغة عند الطفل وتساعده على إقامة حدودها وقوانينها على لسانه، بالإضافة إلى رفع مستواه في تركيب الجمل والتعبير عن ذاته، ورغباته وحاجاته بصورة صحيحة. فعلى سبيل المثال: إذا أجاب الطفل بـ «قفص» عن سؤال الأم: «أين العصفور؟» يرد الوالد: «نعم، العصفور في القفص» وبذلك تقدم لطفلها البناء الكامل للجملة.

تحدث مع أطفالك بإيجابية

يتناسب الاختلاف بين الأسر طرداً مع مقدار الحديث الذي يجري بين أفرادها، فكلما ازداد تعليم الوالدين -على العموم- ووعيهم بأسس التربية الوالدية، واطّلاعهم على ما كُتب حول التعامل مع الأطفال، زاد تحدثهم إلى أطفالهم، وبذلك تتطور الكلمات والمفردات عند أطفالهم تطوراً فعالاً ومثمرا، ويميلون إلى امتداح أي تصرف حسن يقوم به أطفالهم، كما يعبرون عن موافقتهم على السلوك الحسن لأطفالهم موافقة واضحة وصريحة، يصاحب ذلك عبارات تشجيع وتعزيز مثل: «هذا أمر حسن»، و«هذا صحيح»، و«أنت محق»، و«أحب هذا»، و«أحسنت».

توفير المناخ الإيجابي المعزز والمستشرف للمستقبل

إن ما يظهره الآباء والأمهات من مشاعر (إيجابية كانت أم سلبية) لأطفالهم يؤثر على عقول هؤلاء الأطفال، والاختلافات التي تحدث بين الأمهات المكتئبات وأطفالهن تؤدي إلى نشاط عقلي عند الأطفال يشبه اكتئاب الأمهات (Field et al, 1988)؛ إذ الأجواء المرحة والمناخ المليء بالبهجة، والتفاؤل عند الأسرة قد يساعد على نشوء طفل مرن عاطفي، كما يتأثر الأطفال بالطاقة العاطفية لوالديهم وبمقدار إيجابية القائمين على العناية بهم ودعمهم؛ حيث يجعل الاتساق والانسجام في الأمور الروتينية التي نتعامل بها مع الأطفال، فيغدو وتعلمهم أسهل وأيسر، ويوفر لهم قدراً أكبر من الأمان العاطفي والنفسي.

وفي ما سبق إشارة إلى إخفاء الخلافات الزوجية أمام الأطفال مهما بلغت، ومحاولة الوالدين بناء وتهيئة المناخ الإيجابي لأبنائهم حتى في أحلك الظروف، وهنا تتمايز الوالدية الإيجابية عن السلبية، إذ تظهر الحاجة للتميز في ضبط الانفعالات وإدارتها في اللحظات الحرجة أكثر من اللحظات الانبساطية في العلاقة الزوجية، فالنجاح يقترن ببذل الجهد لا بالاسترخاء، فجل الناس أبعد ما يكونون عن محاولة حُسن الإدارة في لحظات الغضب إلا المتميزين، الذين استحقوا هذه التسمية.

تشجيع تكرار السلوك الحميد عند الأطفال

الممارسة والتكرار مهمان لتعلم الطفل، وما يستنتجه الطفل من موقف معين هو جزء من المعرفة الكلية عن هذا الشيء أو ذلك الحدث أو الظرف. وفي الواقع، قد يستحضر الأطفال عنصراً واحداً مما قد يسمعونه، أو يرونه، أو يشعرون به في مناسبات عدة، قبل أن يلاحظوا أي متعلقات أخرى معه، فعقل الطفل يحتاج إلى وقت، حتى يفكر ويدرك حقائق البيئة التي تحيط به وبما يحصل من أحداث، وعلى الآباء والأمهات ألا يتعجلوا فيضغطون على أطفالهم لإدراك ذلك؛ فهناك الكثير في انتظارهم ليتعلموه!



هل يتعرف الجنين على صوتك؟

تشير الدراسات إلى أن بعض التعلُّم يحدث للجنين وهو في الرحم في الأسابيع الأخيرة من الحمل، ومن المستحسن للآباء والأمهات التحدث مع الجنين كي يعتاد الطفل على صوت والديه. (Henry Billier, 1993)

وتشير الدراسات الفرنسية واليابانية الأخيرة سماع الجنين للأصوات في الشهرين الأخيرين من الحمل.

تظن بعض الأمهات أنهن يستطعن الجمع بين تربية الطفل بتفرغ كامل والعمل بدوام كامل، وهذا أمر في غاية الصعوبة، إذ إن المرأة في اللحظة التي تصبح فيها أُمّاً لا خيار لها سوى أن تقدم الاهتمام بالأطفال على العمل، وعلى المجتمع رفض الصور جميعها التي تقلل من شأن ربات البيوت والأمهات والأسرة، ويستحسن المشاركة الفعالة للاحتفال بالطفولة والأمومة، والإعلاء من شأنهما في المجتمع.



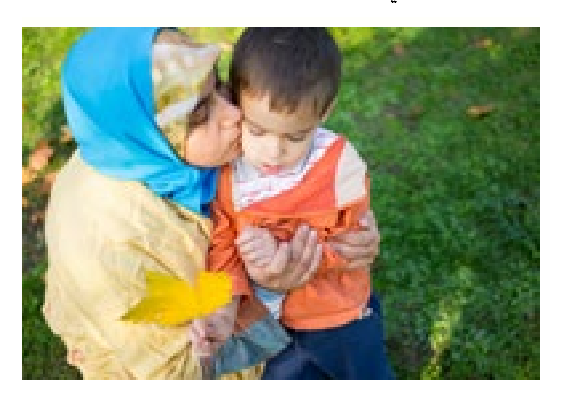
يحتاج الفتيان إلى المزيد من والدعم العاطفي أكثر مما نعطيهم ويتلقون منا عادة.

هل نقرر نجاح الإنسان قبل سن الخامسة؟!

هل سيعتمد نجاح المجتمع على تطور الدماغ؟ إن البنية الأساسية (الهيكل العظمي) للإنسان تحددها الجينات، والجينات محددة ولا يمكن إحداث تغيير كبير فيها، كما تعتمد إنتاجية الإنسان ومساهماته إلى حد كبير على تشكيل الدماغ، إذ تنشأ تريليونات من الترابطات والشبكات في دماغ الطفل قبل سن ال ١٠ سنوات، وأكثرها يتكون في سن ثلاث سنوات، وبذلك فإن الدول التي تهتم برعاية أطفالها مبكراً يتاح لها فرص كثيرة للنجاح، وإذا لم تقم بما هو مطلوب منك في مرحلة الطفولة فقد لا يتاح لك تعويضه لاحقاً.

إن تحقق الاستثمارات في الأطفال في الثلاث السنوات الأولى من عمر الأطفال يعد الحد الأقصى من العائد على المجتمع، وإن حدوث الاتصالات والترابطات الأمثل للمخ في المرحلة الزمنية ما بين الولادة والأربع سنوات تقريباً هو أحد الأسباب التي جعلت القرآن الكريم يوصي بقوة بالرضاعة الطبيعية للطفل مدة تصل إلى السنتين كأعلى حد.

يبدأ بناء الطفل البناء العاطفي والبدني السليم، إضافة إلى تعليمه وتأديبه من لحظة الولادة؛ حين يؤذّن الوالد في أذنه اليمنى، فتكون أول كلمة يسمعها «اللّه أكبر» وهي الكلمة المفقودة في الغرب، وتستمر الأم بإرضاعه الرضاعة الطبيعية التي تكسبه الحب والدفء والشعور بالانتماء، ثم يبدأ الشعور بالاستقلالية عند الطفل، وبذلك يُمنح الطفل -بتوجيهات الوحي التي تجمع بين العناية المعنوية بالآذان والعناية الجسدية بالرضاعة الطبيعية ممزوجة بالعاطفة- نمواً يعزز تطوره الإيجابي ونجاحه المنتظر.





الأنشطة

النشاط ٣٢: تأسيس لعادة كتاب الشهر

يُنصح الوالدان بإنشاء نادٍ مصغر للكتاب لهما ولأولادهما وربما بالاشتراك مع عددٍ من العائلات، والمداومة على قراءة الكتب أسبوعياً أو شهرياً وفقاً لجدول زمني يُتفق عليه، على أن تتوافر المرونة في هذا الجدول لتكوين عادة القراءة وتنميتها لديهم وجعلها زاداً يومياً. يقرأ كل عضو كتاباً مناسباً ثم يقدمه للآخرين بصورة موجزة، يلي ذلك عقد مناقشة مفتوحة له، ويفضل أن تكون المناقشة بعد تناول وجبة خفيفة، ويَحسُن أن يختار كل فرد مِلْحَة مستظرفة هادفة يقولها أثناء ذلك، إلى أن يصل الالتزام بهذا الجدول إلى مستوى العادة.



الفصل العاشر

بناء الشخصية ومراحل النمو

- **مقدمة**
- **الشجاعة والإبداع والصدق والأمانة والحب والمسؤولية والاستقلالية والحرية**
- **تشكيل المعدن الخلقي**
- **مكونات الشخصية ليست سطحية بل عميقة الجذور**
- **إلى أي مدى نثق بالمنظورات النفسية للشخصية؟**
- **مراحل النمو والتطور**
- **مراحل نمو الإنسان وتطوره في القرآن الكريم**
- **معجزة الإخصاب والحمل والإنجاب**
- **مراحل نمو الإنسان وتطوره من الولادة إلى الشيخوخة**
- **استثمار مراحل النمو والتطور**
  - الرضاعة في أول سنتين
  - الحب والخوف من الله
  - الحفظ عن ظهر قلب
  - التحفيظ بين الشرق والغرب
  - جوانب التربية الروحية والإيمانية
  - حساسية المراهق تجاه النقد
  - التركيز على بناء الهوية
  - تعلم لغة ثانية
- **الأنشطة ٣٣-٣٥**

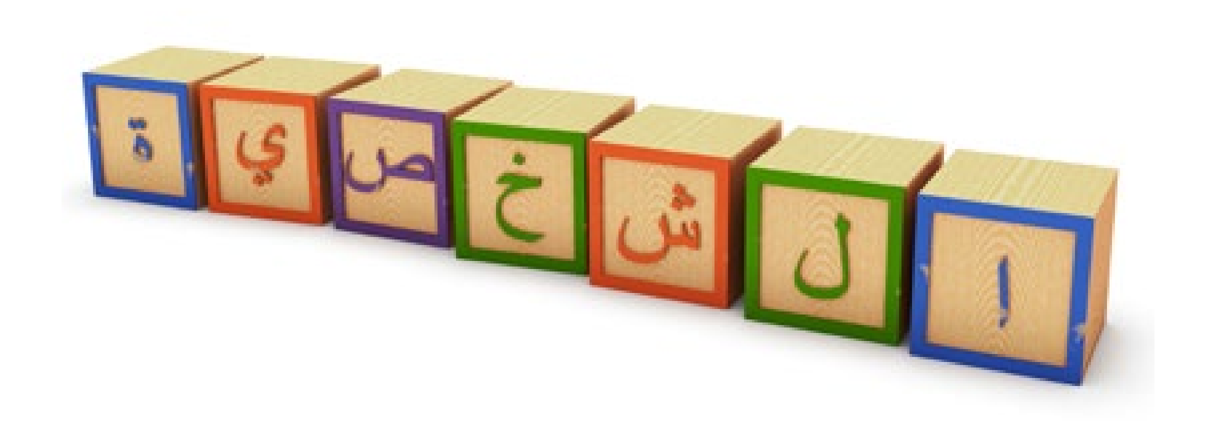
مقدمة

يكمن جوهر التربية الوالدية في بناء شخصية الناشئة، وتعليمهم المفاهيم الصحيحة، وغرس القيم الأخلاقية في نفوسهم، بحيث تجعل من الخير والاستقامة ديدناً عندهم منذ صغرهم.

ولا يخفى أن الأولاد يقلدون سلوك والديهم، لذلك كان من الضروري أن يكون الآباء والأمهات يمتلكون من التأثر والحساسية ما يدفعهم إلى تلمس حاجات أولادهم النفسية والعاطفية عبر مراحل نموهم، وأن يكونوا قدوة حسنة كذلك، فعلى سبيل المثال: عندما لا يلتزم الوالد بالوفاء بموعده مع رجل آخر، فالاعتذار الصادق كفيل بأن يصحح خطأه، ولكن إذا حصلت

رجالاً ونساءً يكونون قدوة وأئمة للمتقين؛ وقادة يصنعون المستقبل لشعوبهم، وذلك المبتغى لا ينال إلا بالتمتع بخصال اللياقة البدنية والقوة، فضلاً عن توافر «العناصر الصحيحة، أو المعدن الأساس للشخصية»، وهذه هي الصفات الذاتية للقيادة، ولبِنات البناء التي تشكل ركائز الشخصية، وإذا ظهر في مكونات الشخصية أي خلل أو ضعف؛ عندها تتعطل البنية الأساس الداخلية للإنسان، وإنّ أولى مكونات المعدن الأساس للشخصية هما: قوة الإيمان والعلم.

كما تشمل مكونات المعدن للإنسان جوانب أخرى غير الإيمان والعلم، وهو المنبت الأخلاقي الأصيل



مخالفة الموعد مع الأولاد فإن ذلك سيترك أثراً أعمق في نفوسهم؛ لأنهم قد يشعرون بالإهمال والتهميش والنظرة الدونية إليهم، ناهيك عن استبعاد مثال يؤمنون به أو قيمة يقتنعون بفاعليتها في الحياة. فارتباط الأولاد العاطفي بالموعد قد يكون قوياً، فيشعرون عند إخلاف الموعد بالخذلان من الوالد، وقد تدفعهم مثل هذه الأفعال من والديهم في هذه المرحلة إلى انعدام الثقة والخذلان بينهم أو الحكم بالكذب عليهم.

إن أول مبتغى يتوق إليه عباد الرحمن أن يروا

-محضن التربية الوالدية- فالهداية تأتي من المعرفة والإيمان والحكمة، ويتم ترشيد الأفراد الضالين ذوي الشخصية القوية بالإقناع العقلي الرشيد، على حين لا يملك أولئك الذين تفتقد شخصيتهم القوة والمنبت الأصيل القويم أن يصبحوا قادة ورواداً في المجتمع، حتى لو تحلّوا بقيم روحية عالية؛ وعلى هذا يتعين السعي للوصول إلى التربية الأسرية الصالحة بالعمل على بناء هذه العناصر في شخصية الأطفال في وقت مبكر من حياتهم.

ثلاثية البناء الخُلُقي

الحب ← العلم ← الفعل

القلب: يحب الخير

الدماغ: يعرف الخير

العادة: تفعل الخير

يكمن هدف تربية الأولاد في إعداد بالغين مستقلين بذاتهم ومستشعرين أهمية المسؤولية، وبلغة أخرى مواطنين صالحين مصلحين.

تشير كلمة «الشخصية» إلى الوحدة المتكاملة الناتجة عن تفاعل شديد التعقيد بين مكوني الإنسان (الروح والجسد)، فيشمل مفهوم الشخصية بالمفهوم العام جميع الطبائع والسجايا والخصال والآداب والأخلاق والشرف والسمعة والتميز والتفوق، وعلاقات متبادلة بين الآخرين بما يميز الإنسان عن غيره من البشر، إذ لا يمكن دراسة الشخصية بمعزل عن البيئة التي يتفاعل فيها الإنسان مع غيره، وأول هذه البيئات الأسرة، وما يلاقيه الفرد من تربية والديه. إذ تعنى التربية الوالدية ببناء الصفات القيادية منذ الطفولة، وعلى رأسها الشجاعة والحرية والإبداع والحب والمسؤولية والكرم والصدق والأمانة والثقة بالنفس والاستقلالية والمثابرة والعدالة وروح الفريق. وتستمد بعض الصفات وتكتسب من صفات أخرى أكثر أصالة منها كونها صفات أصول لا فروع، أو تأتي مركبة من أكثر من صفة، وقد تكتسب بعض هذه الصفات في وقت لاحق من حياة الفرد كونها ليست جِبِلّية فطرية، على حين يتكون أكثرها أثناء مرحلة الطفولة.

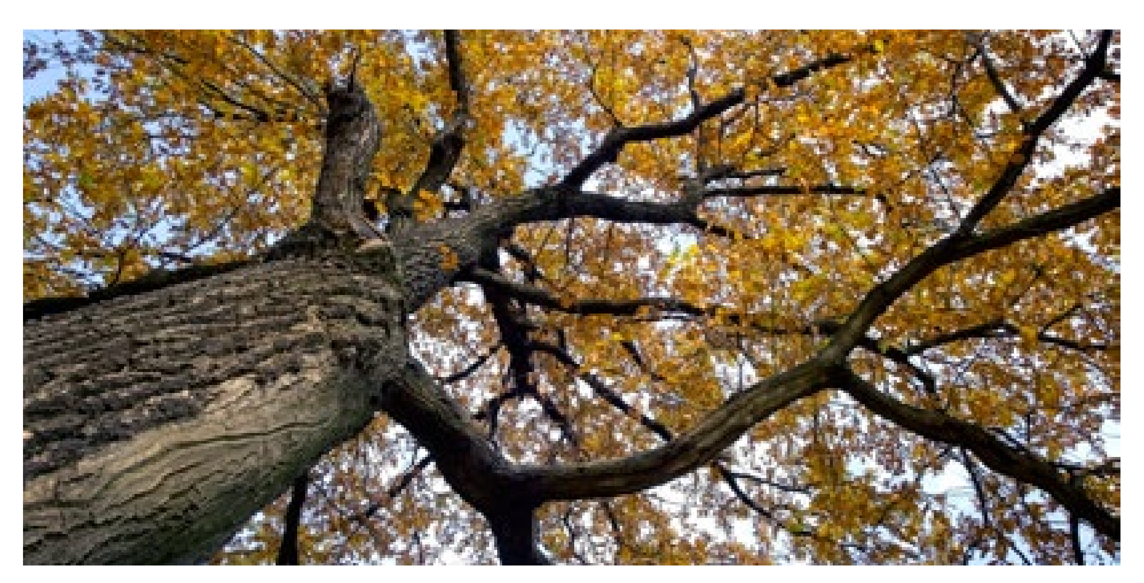
ويجيء هذا الكتاب ليلقي الضوء على الصفات الآتية التي لها دور في بناء معدن الشخصية:

الشجاعة والإبداع والصدق والأمانة والحب والمسؤولية والاستقلالية والحرية

يمتلك قادة العالم ذوو التأثير البالغ سواء أكانوا صالحين أم طالحين، عناصر من الصفات المذكورة سابقاً في شخصياتهم، فتأمل في الرواد ذوي الأسوة الحسنة بدءاً من آدم وحواء ثم نوح وإبراهيم وسارة وهاجر وموسى ومريم وعيسى ومحمد (عليهم السلام جميعاً).

وفكّر كذلك في صحابة رسول الله ﷺ وآل بيته رضي الله عنهم خديجة، وعائشة، وأبي بكر، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وفاطمة، والحسن، والحسين، وخالد بن الوليد، وعمار بن ياسر وسمية وكذلك في البطل العثماني محمد الفاتح، وفكّر أيضاً في القادة الآخرين: مثل عمر المختار، وعبدالكريم الخطابي، وابن باديس ومانديلا لقد كانوا جميعاً شجعاناً ومبدعين ويتمتعون بحس عالٍ بالمسؤولية.

إن الوصول إلى مراكز القيادة يتطلب معدناً أصيلاً في الشخصية غير معيب، وصفات متكاملة من الشجاعة والإقدام والمسؤولية، وإلا كان تحقيق تلك المراكز القيادية صعب المنال، وهو الدرس الذي نتعلمه من السياق القرآني، فبعد أن أنقذ الله موسى عليه السلام وبني إسرائيل من استعباد فرعون لهم في مصر، ونجاتهم منه، لم يعتمد على هذا الجيل العاجز القاصر للارتقاء بالأمة أو لتحقيق نصرٍ جوهري وعظيم على يديه، والسبب أنهم كانوا يفتقرون إلى الصفات المطلوبة لذلك وهي: الشجاعة والحرية والإبداع، إذ الافتقار لمثل تلك الصفات دعتهم للقول بلا استهجان: ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤)، كما أن بني إسرائيل عاشوا لأجيال عدة عبيداً يعانون من الخوف والرهبة من الفراعنة. ولم يستطع موسى عليه السلام تغيير سمات شخصيتهم الأساسية بالإيمان والتعليم، حيث إنهم بلغوا سناً يصعب معه التغيير، إضافة إلى أن «معدنهم» كان معاباً غير قادر على التغيير، فانتظر موسى حتى يزول هذا الجيل المتهالك، ويولد جيل جديد معطاء قوي من الأحرار في صحراء سيناء التي تاهوا فيها أربعين سنة، مما جعله قادراً على تربيتهم وتنشئتهم رجالاً أشداء يتمتعون بالشجاعة والحرية والصدق والشعور بالمسؤولية، وقد استغرق بناء شخصياتهم نحو ٤٠ عاماً، واستفاد موسى وهارون عليهما السلام من صحراء سيناء الحرة الصافية لبناء رجال أقوياء ومؤمنين من بني إسرائيل، ممن ولدوا في الصحراء بعد الخروج من عبودية فرعون في مصر، وكانت مرحلة جديدة من التربية على القيادة لجيل جيد يحمل المعدن والمنبت الأصيل كذلك.



يمكن القول أنه يتعين على الوالدين -خصوصاً والمربين عموماً- البدء في بناء شخصية أولادهما أثناء الطفولة المبكرة، وألا يتوقعا أن يسهما بالكثير بعد سن البلوغ لتغيير عناصر الشخصية الأساسية، إذ تكون جُلُّ معادن صفاتهم الشخصية قد تشكلت سابقاً. والمهم في هذا كله، العمل الجاد في جو أسري مفعم بالمودة والمحبة والرحمة، مع علمنا أن بناء الشخصية جهد وعطاء مستمران ومتواصلان في المراحل العمرية كافة، إلا أن تأثيرهما الأكثر فعالية يكون أثناء مرحلة الرضاعة والطفولة المبكرة إلى نحو سن الخامسة تقريباً.

المعدن القيمي الأساس هو الذي يصنع الإنسان السوي، إضافة إلى الحوادث والظروف والموافقات

تشكيل المعدن الخُلُقي

تعد السنوات القليلة الأولى من حياة الطفل هي الأكثر فعالية في بناء الشخصية، فتشكل الشخصية يوماً بعد يوم، وفكرة بعد فكرة، وحادثةً بعد حادثة، وكل ذلك يوجب على الوالدين الصبر والمثابرة والمتابعة المستمرة.

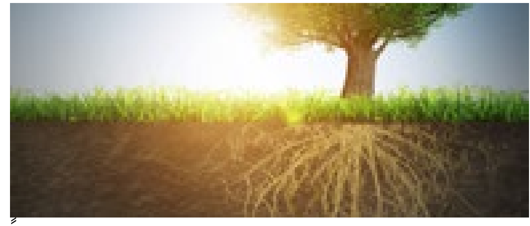
متى تشكّل الشخصية؟ وهل يمكن إحداث التغيير فيها لاحقاً؟ إننا لا نعرف الإجابة الدقيقة عن هذين السؤالين. ويذهب الدكتور سبوك (Spock) إلى أن المرحلة العمرية ما بين ٥ أشهر وسنة ونصف قد تكون الأكثر أهمية في تكوين اتجاهات (attitudes) الناس الأساسية نحو الحياة؛ إذ يبدأ الأطفال في هذه المرحلة بالشعور بأنهم أشخاص مستقلون، ويصرون على هذه السجية فتنشأ عندهم الرغبة في تناول اللقمة بأيديهم، وحمل أكوابهم والشرب منها وحدهم ورفضهم أن يُحضنوا لوقت طويل، زيادة على أنهم يشكلون تعلقهم الأول الحقيقي بوالديهم. وإذا كان الوالد/ الوالدة شخصاً دافئاً وحنوناً، فإن الأطفال يتوقعون من الآخرين أن يكونوا مثله، إضافة إلى أن محبة الوالد تعزز الحب في نفوسهم وترسخه. وإذا كان الوالد، من ناحية أخرى، بارداً وشكّاكاً، فسوف ينمون على الشيء نفسه ويتوقعون من الناس أن يكونوا باردين وفاترين، ويلاحظون الجوانب الباردة فقط عند الناس، كذلك يطور الأطفال في هذه المرحلة (٥ شهور - سنة واحدة) في ما يخص نظرتهم لأنفسهم، افتراض أنهم جذابون أو غير جذابين، وصالحون أو طالحون، مطيعون أو مشاكسون، وكذلك يتضح فيهم أن يصبحوا متفائلين أو متشائمين.

ويكتسب الأطفال ما بين سنة ونصف وثلاث سنوات شعوراً محدداً عن أنفسهم، وحساً بالاستقلالية، ومع ذلك، يصبحون أكثر وعياً باعتمادهم على والديهم، كما

يشعر الطفل بعدد من الأفكار المتضادة: الاستقلال مقابل الاعتماد، والنظافة مقابل التلوث، والطاعة مقابل العناد، والحنان مقابل العداء، ويعتمد تحول شخصية الأطفال في نهاية السنة الثالثة على مدى دفء العلاقة مع والديهم.

يحسن بالآباء والأمهات إنشاء علاقة قوية ورحيمة مع أطفالهم، وإذا كان الوالدان مثلاً متسلطين، وأطفالهما مطيعين مستكينين، فقد تتشكل لديهم الشخصية المنقادة. وإذا كان الوالدان عدائيين وغير منسجمين، ولا يتركان لأطفالهما بعض المجال للحديث عند النقاش والنزاع، فقد ينشأ الأطفال أيضاً عدائيين. وإذا كان الوالدان عسرين متشددين كثيراً في قضايا النظافة، فقد ينصاع الأطفال انصياعاً طبيعياً لهما، فيكونون موسوسين ومهووسين بالنظافة.

مكونات الشخصية ليست سطحية بل عميقة الجذور



يشير مفهوم الشخصية إلى النمط الدائم نسبياً للأفكار والمشاعر والسلوك الذي يميز الفرد عن غيره من البشر، ومن المعلوم أن السلوك الإنساني يشمل جميع استجابات الإنسان وأعماله التي تصدر عنه سواء كانت ظاهرة أو باطنة، سوية أو منحرفة، وهي تتعقد وتتنوع في مستويات عدة، بحيث يصعب وضعها في مستوى واحد (التل، ٢٠٠٥م).

و في ضوء ما سبق يمكن القول إنه ليست الشخصية أمراً يسهل على الآخرين مدّ الأطفال بها عن طريق التعليم أو التجربة فقط، بل تكمن مسألة بناء الشخصية وتشكيلها في وقت مبكر بالعناية والاهتمام الشديدين، ولا شكّ أن هذا الأمر يتطلب من الوالدين الصبر الجميل مثل الشجرة الضخمة التي تحتاج إلى وقت طويل كي ترسخ جذورها عميقاً في الأرض.

«أفضل هدية يمكن أن يهبها الوالد إلى الطفل هي معدن الشخصية الحسنة» (توفيق ١٩٦٧).



أنت غبي وأحمق

الوردة، والطفل، والوالدان

الطفل كالوردة، تزهر ويفوح عطرها الزكي، وتبهر من يراها بجمالها، ومع ذلك تحتوي الكثير من الأشواك، ويحمل الوالد الحنون العطوف الوردة من ساقها باعتناء، ويرعاها إلى أن تنمو وتزهر، مع أنها قد تخز يده في بعض الأحيان، ويحاول الوالد العجول تجنب الأشواك فيمسك بالوردة من براعمها الغضة مباشرة، فيتسبب في إتلافها، إنه بذلك يجنب نفسه وخزة الألم، ولكنه يجهز على الوردة. فالأحرى بالوالدين أن يتعاملا مع أطفالهما بأعلى درجات الحرص والرعاية والصبر، مثلما يتعاملان مع الوردة.

الولد لغز مختلف

«عالم الأولاد عالم رائع يعسر على البالغين فهمه. وهو معقد للغاية إذ لا يستطيع الآباء والأمهات والمفكرون والفلاسفة وعلماء النفس والمدربون والعلماء أن يتقنوه بالكامل.»
(خليل أبو الحب، ١٩٧٩)



إلى أي مدى نثق بالمنظورات النفسية للشخصية؟

على الرغم من أننا نقدر النظريات المختلفة في علم النفس في مجتمعاتنا اليوم ونستفيد منها، لكننا نحذر من النظريات في التنمية البشرية والسلوك والقيم الأخلاقية، وذلك يعود إلى سببين، الأول: **هو استمرار تغيرها**، والثاني: **هو أن علماء النفس لا يتفقون حول العديد من القضايا في هذه النظريات.** ويتعين على المسلمين ألا ينحرفوا عن الجادة؛ لأنهم يملكون توجيهاً ثابتاً من الوحي الإلهي؛ الأمر الذي يسمح لهم بالحفاظ على الصراط المستقيم ويمنعهم من التأرجح بين تناقض الآراء بين الحين والآخر؛ فخالق النفس أعلم بما يُصلحها ويحقق سعادتها.

ومن الأمثلة على تلك النقاشات التي لا نهاية لها، التي أضحى علماء النفس في حيرة وتردد منها: الطَّبع والتطبُّع، والوراثة مقابل البيئة، يقول رايت (Wright,1998) في هذا الخصوص:

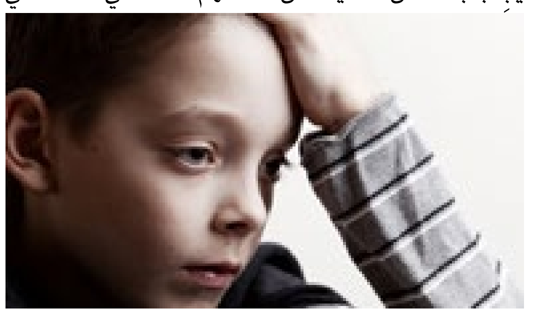
«يجدر بعلماء النفس التوقف عن البحث الذي دام قرناً من الزمن عن المفتاح لتربية أولاد صالحين، وليس ذلك لأنهم وجدوا الحل، بل لأن الحل غير موجود، فليس للآباء والأمهات أي تأثير بالغ وطويل الأجل على تنمية شخصية أولادهم».

هذا هو رأي رايت Wright الذي يناقض ما تؤكده جودث هارس (Judith Harris, 1998) فهي تؤكد أن نحو نصف الاختلافات الموجودة في شخصية الأولاد لا ترجع لأسباب وراثية، حيث إن تأثير البيئة الحاسم في هذا يقع خارج المنزل، فيتشبع الأولاد قيم أقرانهم، ويجدون لهم مكانة وقيمة في بيئتهم، إذ يصبحون متصفين بالخشونة أو اللطف، أو الحماقة أو التعقّل، وتبدأ سماتهم الشخصية بالتمكن وبأخذ صورتها النهائية، وإذا كان الوالدان حاذقين فيمكنهما تشكيل سلوك أولادهما داخل البيت، ومع ذلك فقد يكون الولد في العالم الأوسع خارج البيت شخصاً مختلفاً.

ومن المؤكد أن المفاهيم النفسية الشائعة حول القدرة على تربية ولد صالح بأسلوب خارق للتربية الوالدية ليس صواباً، ففي الواقع علماء الهندسة الوراثية السلوكية وجدوا أن التوأمين المتماثلين اللذين تربيا معاً من الممكن أن يكونا متشابهين أكثر من التوأمين المتماثلين اللذين تربياً منفصلين، كذلك يكون ترتيب الولد بين أشقائه وشقيقاته، حسب ترتيب زمن الولادة، عاملاً مهما في التربية، فربما يُعامل الأشقاء الصغار معاملة مختلفة من الآباء والأمهات، أو يواجهون تأثيراً بيئياً من محيطهم، مثل: تعرضهم للتنمُّر أو المعاملة القاسية من أشقائهم.

لقد أطلق صبي في مدرسة أركنساس النار على زملائه في المدرسة، بينما لم يفعل شقيقه الأصغر مثل ذلك، فما السبب؟ هل شعوره بالرفض في أجواء المدرسة جعله متجهماً نكداً لدرجة حرجة؛ لأنه فهم أنه محبوب بدرجة أقل من شقيقه داخل المنزل؟ وهل رَفْضُ زملائهِ له في المدرسة هو الذي جعله مكتئباً لأنه لم يتأثر بأسلوب تربية والديه، بينما كان هذا الأسلوب نافعاً مع أخيه؟ وهل يكمن الحل في أنه يتعين تكييف أسلوب التربية وفقاً لتنوع احتياجات كل ولد على حده؟ وفي ما يبدو أنه لا أحد يعرف السبب.

يستطيع الآباء والأمهات الاسترخاء، إذ إن العلم لم يُجِب بعد عن العديد من أسئلتهم، فما هي المدة التي



ينتظرونها ليرشدهم العلم كيف يتعاملون مع أولادهم؟ فالبشر بحاجة إلى الثقة في الوحي الإلهي الثابت وفي ممارسات الأنبياء العملية.

ومن الجدير ذكره أن العلوم نوعان: ما كان موضوعه المادة وهي العلوم الطبيعية، وما كان موضوعه الإنسان وهي العلوم الإنسانية، أما العلوم الطبيعية فقد أطلق فيها العنان للعقل والتجربة لاستكشاف خصائص المادة، وتسخيرها لما فيه نفع للبشرية وخيرها ما دامت مضبوطة بأخلاق العلم. أما النوع الثاني وهي العلوم الإنسانية فمن باب تكريم الإنسان لم يجعله اللّه تعالى فيها محلاً للتجربة، فجعل مصدر المعرفة الأول لهذه العلوم هو الوحي وما عداه من العقل أو التجربة منضبطاً به ويعمل في فلكه، حيث يزود الوحي الإنسان بخصائص النفس البشرية كما هي على حقيقتها دون أن يجعلها محلّ اجتهاد أو اختلاف فتضلّ الطريق فتشقى.

ونؤكد هنا أن هذه ليست دعوة لرفض النظريات النفسية مطلقاً، وإنما هناك حاجة حقيقية إلى بحوث أكثر جديةً؛ تهتدي بالوحي الإلهي لمساعدة الأسر في تربية الأولاد، حيث إن بعض النظريات المادية والملحدة تضر المجتمع البشري أكثر مما تنفعه، وإن المعادلة التي توصلنا بها إلى التربية الصحيحة هي الجمع بين الفهم السليم للوحي الإلهي والمعرفة الإنسانية المتراكمة جمعاً حكيماً وبصيراً.

مراحل النمو والتطور

سنتناول المراحل اللازمة من تطور الإنسان لتمكين الوالدين من معرفة التطور التدريجي، الذي يقع لأبنائهم في مختلف المراحل العمرية، وبذلك الوصول إلى فهم أوسع لاحتياجاتهم في كل مرحلة، وسنبيّن أيضاً كيفية الاستفادة من جوانب عدة لها علاقة بكل مرحلة؛ لتحسين نتائج التربية الوالدية بتوضيح حالة التطور في جسم الإنسان وعقله أثناء سنوات النمو المختلفة.

وعلى سبيل المثال، نرى بعض الآباء والأمهات يرغمون أبناءهم على تناول المزيد من الطعام، وفي هذه الحالة يقاوم أولادهم ذلك مقاومة عنيدة، وفي مرحلة لاحقة، تتغير الأمور وتزداد شهيتهم للطعام ويبدأون في الأكل طوعاً، ليس بسبب إرغام الوالدين لهم، بل بسبب مقتضيات تطور السن أساساً، وللأسباب نفسها، قد يثور المراهقون فجأة على الآباء والأمهات والبيئة المحيطة بهم، ولكن حينما يتقدمون بالسن؛ ينحسر هذا التوجه والميول نظراً للمراحل الطبيعية للنمو والنضوج.

ينصح الأطباء الآباء والأمهات أن يكونوا على علم ووعي بوصول أولادهم إلى معالم المراحل المحددة في النمو والتطور، فعدم وصول الأولاد إلى هذا في سن معينة يتعين إطلاق جرس التحذير إلى أنهم ربما كانوا يواجهون مشكلة صحية خطيرة، وأفضل حماية يقدمها الوالدان في هذه الشأن أن يكونا على علم ودراية بهذا الأمر، ولا داعي للخوف من أخذ استشارة طبيب العائلة عن سبب حدوث ذلك، كذلك لا يحملهم ذلك على الشعور بالقلق إذا لم يصل ولدهما إلى كل مرحلة في الوقت المحدد.

ينمو الأطفال ويتطورون حسب النمط الوراثي العام والطبيعي للإنسان، ويجمل بالآباء والأمهات التخلي عن أحلامهم الخاصة إذا أرادوا مد يد العون والمساعدة لأولادهم في تحقيق طموحاتهم، فليس الأولاد نسخةً مثل آبائهم وأمهاتهم، لأنهم يتمتعون بشخصية مستقلة، وينصح الآباء والأمهات بالسماح للواقع أن يكون واقعاً معاشاً، واتباع طريقة وأسلوب طبيعيين في هذا الأمر الذي يقوم على خصلتين رئيستين هما: الصبر والآناة (أي الحلم) .

مراحل نمو الإنسان وتطوره في القرآن الكريم

ندرج أدناه آيات من القرآن تتعامل مع مختلف مراحل تطور الجسم البشري:



﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ (الطارق: ٥-٧).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (الحج: ٥).

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل: ٧٨).

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ (الروم: ٥٤).

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون: ١٢-١٦).

هناك مراحل عدة من الخلق والنمو المذكورة في هذه الآيات، وهي على النحو الآتي:

- **التراب:** الذي أضيف إليه الماء فصار طيناً، وهذه هي المادة التي خلق منها البشر جميعهم، كما ثبت بالأدلة العلمية أنهم من الأرض خلقوا، وفيها يُعادون، ومنها يخرجون مرة أخرى.
- **نفس واحدة:** خُلق أول زوجين، آدم وحواء، من نفس واحدة، والنفس لغةً مؤنثة، ومن الملاحظ أن كلمة زوج في القرآن تشير إلى المذكر والمؤنث معاً، فهي تشمل الرجل والمرأة كزوجين، وهذه الثنائية تجعل وجود الاثنين مع بعضهم وليس كيانين مستقلين.
- **التكاثر:** تدرُّج خلق السلالة والذرية بدءاً بالزوجين وهو كالآتي: بويضة مُلقَّحة (ماء الرجل: نطفة، مع ماء المرأة: البويضة) علقةً مضغةً عظاماً ثم لحماً (يغطي العظام).
- **خلق آخر (الجنين):** يكون تقريباً بعد ٤ أشهر من حمل الجنين، وقد تطور إلى مرحلة جديدة من الحياة، إلى شكل الإنسان. الجنين لا يعد الآن شيئاً مادياً فحسب، ولكن يصاحبه الروح، وبهذا يصبح له نصيب من ميراث الوالدين، وفي هذه المرحلة سيكون له حقوق فقط، ولا تترتب عليه واجبات.
- **طفل:** يكون الإنسان طفلاً في هذه المرحلة لا يملك أدنى قدر من المعرفة، وليس بيده حيلة.
- **الفصال (الفطام):** سنتان كحد أقصى – يرضع الطفل حليب أمه مدة لا تزيد عن عامين، وجاء الحض على الرضاعة الطبيعية في القرآن في خمس آيات. (ذكرت في فصل سابق).

- **سن البلوغ - بلوغ سن (الحلم):** وفي هذا السن يبدأ إنتاج السائل المنوي للذكر، والحيض للأنثى، مع نمو الهرمونات الجنسية، ويصبح الإنسان في هذه المرحلة قادراً على التكاثر والتناسل الذي يجعل منهما في ما بعد والداً أو والدةً.
- **الأشد - ينضج الرجل و المرأة من هذه المرحلة:** يقول يوسف علي: «إن عمر القوة الكاملة يتراوح بين ١٨ و ٣٢، مع أن النبي ﷺ أذن للذكور الراغبين في سن ١٥ بالمشاركة في المعارك والحروب والغزوات، وقد يتأخر النضج عند بعضهم، ولأولئك الذين نضجوا، قد تكون سن الرشد تقريباً عند الـ ٤٠ سنة ثم في أثناء الكهولة في العمر الوسيط» .
- **الشيخوخة (شيخ، أو شيبة، أو يُرد إلى أرذل العمر) ثم ضعف:** تبدأ الذاكرة والمعرفة بالضعف تدريجياً. وتتميز أيضاً بتناقص المعرفة ونسيانها؛ حتى يصل الإنسان إلى مرحلة لا يعرف معها شيئاً بعد أن عرف الكثير، وبهذا يكون الإنسان قد مر بمراحل عدة: الضعف، ثم القوة، ثم القوة الكاملة، ثم الضعف، وأخيراً أرذل العمر.
- **الموت:** له موعد محدد من الخالق لا يستأخره ولا يستقدمه، وهذا الجسد المادي الذي نشأ وتطور من تراب إلى إنسان، يعود للتراب مرة أخرى.
- **البرزخ:** ما بين الموت ويوم القيامة: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون: ٩٩-١٠٠).
- **القيامة (البعث) - اكتمال دورة الخلق:** ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (طه: ٥٥).
- **الخلود:** الحياة في النار لمدة معينة أو للأبد والخلود في الجنة أبداً، رهناً بأفعالنا وبرحمةِ ربنا، وبهذا تكتمل دورة خلق الكائن البشري من العدم إلى الفناء إلى الأبدي.

يضع القرآن الكريم هذه المراحل المميزة في منظورها الكوني الصحيح: في البدء لم يكن البشر موجودين، ثم خلق الله كياناً واحداً، روحاً ونفساً واحدة، ومن تلك النفس الواحدة خلق الله زوجها (من غير المعروف كيف؛ فالقرآن الكريم لا يفسر هذا)، ثم تزاوجا، وجرى بذلك ظهور نظام جديد للإنتاج إلى حيِّز الوجود، وهو التزاوج بعد انعقاد نظام مقدس من الزواج الرسمي، وذلك لصون أهم وحدة في المجتمع والمحافظة عليها: الأسرة المكوّنة من الأب، والأم، والأولاد.

معجزة الإخصاب والحمل والإنجاب

توضح د. أُوْين (D'Oyen, 1996) أنه عندما تلقح الحيوانات المنوية للأب بويضة الأم؛ فإن البويضة المخصبة حديثاً لا يكاد حجمها يتجاوز حجم النقطة الموجودة فوق أحد الحروف على هذه الورقة، وبعد أسابيع قليلة تصير مثل لقمة صغيرة ممضوغة بالفم، وعندما يصبح عمرها أربعة أسابيع تظهر فيها بدايات أعضاء جسمية أكثر، ويبدأ قلب صغير بالخفقان الذي يستمر إلى أن يموت الإنسان ويبلى، ويكون طولها الآن نحو سنتمترين، ثم يصل في الشهر الرابع من الحمل إلى نحو خمسة عشر سنتمتراً، حين تصبح شكلاً مكتملاً مع بروز أصابع اليدين والقدمين والحاجبين.

ومع أن الجنين لا يتنفس ذاتياً، وتكون عيناه مغمضتين، إلا أنه يسمع نبضات قلب أمه وصوتها والأصوات العالية حوله مثلما يسمعها المرء حين يكون رأسه تحت المياه، ويركل الجنين ويتمطط، ويدور في الاتجاهات جميعها، ويمص إبهامه، وقد يبتلع في بعض الأحيان قليلاً من السائل السلوي بالرحم وتصيبه الحازوقة، وتشعر الأم بهذه الحركات، وعندما يزداد نمو الجنين، يستطيع الأب أن يضع يده على بطن الأم ويشعر بركلاته وحازوقته، وقد لا تستطيع الأم النوم في الليل؛ لأن الطفل قد يرغب بالتحرك في الوقت الذي ترغب فيه أمه بالنوم.

وعلى الأم أن تتناول من الطعام المغذي الكافي لتساعد الجنين على النمو، إلا أن حجم الطفل في ازدياد؛ فلن يسهل عليها أكل وجبة كبيرة كالسابق لكبر الرحم ولضيق المكان! وعند الشهر السابع من الحمل؛ يثقل وزن الطفل ويصعب على الأم التنقل بسهولة ويسر، فتحتاج الحوامل إلى عناية واهتمام خاصين، وإلى من يساعدها في أعمال المنزل، وبعد نحو تسعة أشهر، يصبح وزن الطفل ما بين ٣ إلى ٥ كيلو، وطوله ما بين ٤٥ إلى ٥٢ سم. وعندها يصعب عليه التحرك داخل الرحم، فيحين الوقت ليبدأ حياته في العالم الخارجي.

عندما تحين ساعة الولادة؛ فإن الرحم، الذي جعله الله تعالى أقوى العضلات في الجسم، يبدأ بالانقباض لدفع الطفل خارجاً، فيصبح جسم المرأة مهيأ للإنجاب دون مساعدة طبيب، وتكون الولادة عادة آمنة وتعدّ حدثاً سعيداً، على خلاف ما يعرض من سيناريوهات مبالغ فيها على شاشة التلفزة، ومع أن ألم الوضع والمخاض يكون شديداً بسبب التقلصات القوية للرحم، فإنه يغلب على معظم الأمهات القوة والشجاعة عندما يتعلق الأمر بأطفالهن، فينسين كلّ الآلام عندما يضممن طفلهن الجديد بين ذراعيهن.

يصف الله تعالى الحالة النفسية للمرأة عند الحمل بقوله: ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾؛ أي عناء فوق عناء أو ضعفاً فوق ضعف، وفي واقع الأمر، تشعر الحامل أحياناً بحكة، وبضيق في الصدر، والانزعاج السريع، وتتذبذب مشاعرها بسرعة بين الاكتئاب والسعادة، كما قد تصاب بالقلق والتوتر كثيراً، وقد رخّص الله تعالى لها الإفطار في شهر رمضان على أن تقضي هذه الأيام في وقت لاحق عندما تكون قادرة على الصوم، وبعد الولادة تتوقف عن أداء الصلوات اليومية الخمس -حتى ينقطع دم النفاس- ولا تقضيها؛ لأن الله تعالى قد وضع ذلك عنها، وهذا كله إشارات قوية للزوج والأقارب ليمدوا لها العون والمساعدة، وفي كلّ ما يلزم من القيام نفسياً وجسدياً بالواجبات المنزلية، والطعام المغذي الصحي الجيد والجو المناسب؛ كي تنعم بنوم عميق وراحة بال، خاصة في أثناء وقت قيامها بإرضاع طفلها رضاعة طبيعية والتي قد تستمر عند بعض الأمهات إلى السنتين من العمر.

مراحل نمو الإنسان وتطوره من الولادة إلى الشيخوخة

تجري مراحل النمو وفق مستويات مادية ونفسية، ويتطلب التعامل معها تعاملاً مناسباً، ومن الجدير ذكره أن السنوات المذكورة لكل مرحلة من مراحل النمو إنما هي على وجه التقريب لا التحديد.

من معالم مراحل النمو كما وردت في التراث: لاعب ابنك سبعاً، وأدبه سبعاً، وآخه سبعاً، ثم ألق حبله على غاربه.

يُطرح هنا سؤالان مهمان، وهما: متى تتشكل لبنات الصفات الشخصية؟ وهل يمكن تغييرها في وقت لاحق؟ ومع أنه لا أحد يعرف الإجابة الدقيقة عن هذين السؤالين، إلا أن بعض التعميمات الجيدة بهذا الخصوص تكون مفيدة على أي حال.

وفي ما يأتي شرح وبيان للمراحل العامة للنمو والتطور التي تم اعتمادها من قبل الباحثين من بين العديد من الآراء المختلفة والمتعددة:

من الولادة إلى ٤ أشهر

تؤكد الآية الكريمة ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل:٧٨) أن البشر يولدون بلا معرفة، وأن الله سبحانه يهبهم السمع والبصر والفؤاد (الإدراك وأدوات اكتساب المعرفة) وهي نعمٌ يتعين عليهم أن يشكروا خالقهم عليها.

من (لحظة الولادة – ٤ شهور)، تتنقل نظرات الطفل دون تركيز أو تمييز لكل ما حوله، ثم يبدأ بالتحديق في وجوه الناس، فيحدق في النظر في ملامح أمه أكثر من تحديقه في وجوه الآخرين، كما يجفل عندما يسمع

صوتاً مفاجئاً، ويرتد بصره عند رؤيته وميضاً صادراً من أضواء ساطعة، ويستطيع أن يمد ذراعيه ويرجعهما إلى مكانهما الطبيعي، كذلك يستطيع أن يدور برأسه من جانب إلى آخر، ثم يتمكن من تميز صوت والديه وملامحهما، ويبدأ بالتبسّم والمناغاة، ويستطيع الطفل في الشهر الرابع التدحرج، وعادة ما يكون رأس الصبي أكبر قليلاً من رأس البنت (Spock, 1974).



يجب على الوالدين في هذه الفترة اتباع جدول اللقاحات الخاص بطفلهما، ولا يُحسن هز الطفل في هذا العمر؛ لأن الدماغ لا يكون قد استقر بالكامل، وإذا شرع الطفل بالبكاء بلا توقف، وكانت درجة حرارته طبيعية، فهذا يعني أنه قد حان وقت تغيير حفاضته، أو حان وقت طعامه، أو وقت نومه، أو أنه يريد أن يُحمل، وإلّا فإن بكاءه لعلة حقيقية، وبكاء الطفل، مع أنه مرير وصعب على الوالدين، أمر طبيعي، أما إذا كان بكاءً مفرطاً وتصعب تهدئته، فلا بد للوالدين من استشارة طبيب أطفال.

٥ إلى ١٨ شهراً

ربما تكون هذه المرحلة أهم مراحل النمو التي يبدأ فيها تشكّل ميول الإنسان الأساسية تجاه الحياة، علماً بأن الميول لا تتحدد ولا تكتمل إلا بين سن (١٦–١٨) شهراً تقريباً، ويبدأ الطفل بالشعور أنه فرد منفصل عن والديه، مع الإصرار على الشعور بشيء من الاستقلالية مثل: الرغبة في حمل زجاجته، وألا يُحضن وقتاً طويلاً. كما يشكل ارتباطه بوالديه الارتباط الحقيقي الأول له، وإذا كان والداه شخصين حنونين ودافئي المشاعر، فإنه يتوقع أن يكون الآخرون كذلك، كما تسهم محبة الوالدين في تعزيز الحب داخله ورفده به، وعلى الخلاف، إذا كان والداه شخصين باردي المشاعر فسينمو في اتجاه مشابه لهما تماماً، وسيتوقع من بقية الناس أن يكونوا باردي المشاعر مثل والديه، ولذلك سيشكل برود المشاعر عنده جانباً أساسياً في شخصيته، وفي ما يتعلق بمفهومه عن نفسه ووعيه بذاته، وفي حال إذا كانت علاقة الطفل ضعيفة جداً مع والديه، فلن يستطيع الربط بين الأشياء والأفكار ربطاً جيداً، ولا ننسى أن للرضاعة الطبيعية تأثيراً كبيراً على تطور الطفل جسدياً وعاطفياً.

ويتعين على الوالدين استشارة الطبيب إذا كان الطفل لا يقدر على الزحف بعد في هذه المرحلة، أو غير قادر على الوقوف دون أن يستند إلى شيء، أو لا يصدر أصواتاً، أو لا يستطيع أن يشير إلى الأشياء، وعندما يصبح عمره ستة أشهر، يكون قادراً على الجلوس دون الاستناد إلى شيء أو مساعدة من أحد، كذلك الوصول إلى شيء ما باستعمال يد واحدة ونقله إلى اليد الأخرى، والجلجلة، وتمييز اسمه عندما يناديه أحدٌ به، وينام معظم الأطفال وليس جميعهم، في هذه المرحلة العمرية أثناء الليل، وبعضهم ينامون نهاراً ويصحون ليلاً، ويظهر أول سن غالباً في عمر ستة أشهر.

ويقدر الطفل على إبقاء رأسه مرفوعاً إلى أعلى، وتكون نظراته منتظمة، ويسمع ويرى بشكل طبيعي، ويتعين على الآباء والأمهات أن يميزوا بين صرخة الطفل «أنا جائع» وصرخة «أحتاجك»، كما يرجع عند البنات عامة الوصول إلى بعض المراحل التطورية الحركية أسرع قليلاً من الصبيان، مثل هز الخشخيشات، مع أن الفتيان ينمون جسدياً بشكل أسرع منهن.

عند الشهر التاسع يتمكن الطفل من الزحف والوصول إلى أشياءٍ قد تؤذيه، إضافة إلى أنه يميز الأصوات المختلفة ويحاول تقليدها ومحاكاتها، ويستطيع بقبضته مسك الأشياء والتقاطها مثل الكماشة، كذلك يقدر على

قرقعة شيئين معاً، وعندما يبدأ الطفل بالزحف يبدأ عالمه بالتوسع تدريجياً، ويبدأ بعض الأطفال في هذه المرحلة بمحاولة النهوض للوقوف على أقدامهم، ثم يبدأون بالمشي متشبثين بالأثاث من حولهم، زيادة على ذلك، ينتهي كل شيء يلمسونه تقريباً إلى أفواههم؛ لأنهم يتعودون على استشعار الأشياء بفمهم، وقد تصل أيدي الطفل إلى أماكن لا يتصور الوالدان أنه يمكن أن يصل إليها من هو في عمره، وهذا يدعو لجعل محيط الطفل وبيئته آمنة، مخافة أن يلحق به مكروه أو يصيبه أذىً.



وفي عمر السنة يستطيع الأطفال المشي والنطق ببضع كلمات، وكذلك إطعام أنفسهم، وقد يتعلمون قول ماما أو بابا، ولا يفهم الطفل في هذه المرحلة معنى العقاب فهماً حقيقياً، ولكنه يعي معنى كلمة «لا»، وهنا يأتي الدور التربوي للوالدين أن لا يسمعاه كثيراً كلمة «لا» حتى لا يعتاد على ترديدها في المستقبل فتؤدي به إلى العناد، إذ ينبغي أن لا يستعمل قاموس كلمة «لا» مع الأطفال إلا بحذر ووعي في توجيه سلوكهم وأنشطتهم وسائر ممارساتهم اليومية، ومن المهم إعادة توجيه الطفل من ممارسة أي من النشاطات غير المرغوب فيها إلى نشاط آخر مرغوب فيه، وبطريقة متناسقة في ممارستها، ولا يدرك الأطفال أنهم يسيئون التصرف قبل عمر السنة، وكل ما يعرفونه هو أن هناك عالماً واسعاً وجاهزاً للتجريب.

يتقن الطفل المشي بين العمر (١-٢ سنة)، ولأنه يقوى على المشي فإنه يصبح أكثر استقلالية، ويبدأ بالاستمتاع باستكشاف الأشياء من حوله، كما يقدر على ركل الكرة والركض وتسلق السلالم واستخدام الدرابزين والكتابة بالطباشير الملونة أو أقلام السبورة كتابة عشوائية غير هادفة، وتكون تصرفات الأطفال في هذه المرحلة تلقائية عفوية؛ لأنهم لا يستطيعون التمييز في هذه السن بين السلوك المهذب وغير المهذب، أو بين ما هو جيد أو رديء، ولا يعي الأطفال من هذه الفئة العمرية المنطق أو الحل الوسط، فيحسن بالوالدين تقديم الخيارات لأطفالهم، وإعطائهم مساحة من الحرية ليشعروا بنوع من الاستقلالية، ويتعين أن تكون الأوامر والنواهي قليلةً قدر الإمكان، مع التركيز على المداومة على توجيه النصائح والإرشادات المهمة لهم.

من المفيد جداً، لتطوير لغة الأطفال والمراكز المنطقية الإدراكية في أدمغتهم، تعريضهم لسماع تلاوة قرآنية هادئة، وتسجيلات هادئة لأصوات الطبيعة، وموشحات، وأناشيد (أغانٍ دينية)، وإيقاعات هادئة، إذ يساعد ذلك في تطوير المراكز الدماغية المختلفة عندهم.

ويجدر بالآباء والأمهات القيام بالاهتمام بطفلهما ومراقبته باستمرار لفترة زمنية طويلة، وتوفير الأنشطة المفيدة له، مثل: الرسم وألعاب التركيب، ويأخذون باستشارة طبيب الأسرة إذا كان تركيز طفلهم لا يزال ضعيفاً. وعدم القلق والاضطراب مما يقع ويعتري طفلهم من نوبات الغضب على الرغم من أنها مصدر إحباط لهم، ولكنها عموماً ليست أمراً يدعو للقلق. ومن الجدير بالذكر أن السمع يتطور عند الطفل تطوراً أسرع من البصر، ويستجيب للأصوات العالية، ولا يرى بوضوح قبل وصوله عمر ٦ أشهر، ويلي السمع والرؤية تطور الإدراك والتمييز.

١٨ إلى ٣٦ شهراً

يكتسب الأطفال في هذه المرحلة إحساساً واضحاً بأنفسهم وبأنهم مستقلون، ولهم رغباتهم الذاتية، كذلك يصبحون أكثر وعياً باعتمادهم على والديهم، لذلك يشعرون بتضاربات عدة منها: الاستقلال مقابل الاعتماد، والنظافة مقابل

الاتساخ، والتعاون مقابل العناد، والمودة مقابل العداء. كما تعتمد شخصية الأولاد في نهاية السنة الثالثة من عمرهم على مقدار الامتثال للأوامر أو مدى تأكيد الذات عندهم، وكذلك على مزاجهم الفطري وعلى دفء العلاقة التي تطورت مع والديهم أثناء هذه الفترة التي يغلب عليها التوتر نوعاً ما.

المرحاض بين الخبراء والبحث العلمي

يدعو (برازيلتون Brazelton) الآباء والأمهات إلى الثناء على نجاح طفلهم في استخدام المرحاض، ولكن «مديحاً لا مبالغة فيه» للحفاظ على جو بيتي مريح، ويبدأ التدريب على استعمال بيت الخلاء في السن التي يقدر فيها الأولاد على اتباع التعليمات وتقليد الآخرين، وعادة ما يكون ذلك في سن الثانية تقريباً.

ويقول (ليتش Leach): لا تتعبوا أنفسكم ببدء تدريب الأطفال على استخدام المرحاض قبل ١٥ شهراً، ولا تعتمدوا على أنهم قادرون على ذلك قبل سن الثالثة، حتى وهم مستيقظون في النهار، ولا تتذمروا، فأنتم تستطيعون أن تؤخروا التدريب إلى وقت لاحق يتناسب مع عمر الطفل وقدراته.

ويذهب (روزموند Rosemond) إلى أنه إذا تأخرت الأم كثيراً في التحكم في طفلها في سن الثانية، فإنه لا ينضج نضجاً صحيحاً، وقد يواجه مشكلات سلوكية في وقت لاحق من حياته.

ويثبت البحث العلمي أن الأطفال يتعلمون في فترات زمنية مختلفة، ويتطلب تدريب البنات على استعمال المرحاض نحو تسعة أشهر من العمل المتواصل المحفز، ويحتاج البنون إلى وقت أطول.

(Lemonick,1999)



وفي العامين الأولين، ينمو الطفل نمواً سريعاً، ويتغير تغيراً ملحوظاً، ويتعلم شيئاً جديداً باستمرار، وبعد هذين العامين، يبدأ نمو الأولاد في التباطؤ، وبالركض والقفز والتسلق ونقر الأشياء، وركوب دراجة ثلاثية العجلات، كما يقلدون الأفعال ويحاكون الأقوال، ورسم ما يشبه الدوائر والمربعات وحل الألغاز السهلة، ويبدأ اهتمامهم في هذا العمر على استعمال المرحاض، وفي هذه المرحلة، يستطيع الأطفال التحدث بجمل قصيرة، كما يمكن أن يعرفوا نحواً من ٥٠ كلمة.

يحتاج الآباء والأمهات إلى التحلّي بالصبر على سيل الأسئلة التي تصدر من أطفالهم من نوع «لماذا»، ومن المهم تشجيع الفضول عندهم والعقلية السؤولة والصبر على ذلك في هذه المرحلة مع التقويم الإيجابي، ومن المناسب كذلك البدء في تكوين المهارات الاجتماعية، مثل: مشاركة الآخرين وتبادل الأدوار معهم.

وإذا لاحظ الآباء والأمهات أن طفلهم يتكلم كلاماً غير متناسق، وضعيف الاهتمام بالاختلاط بالأطفال الآخرين، ويعاني من السقوط المستمر، فعليهم أن يستشيروا طبيب أطفال العائلة.

وتظهر التغيرات بوضوح حين تبدأ عند البنات طفرة النمو، وحين يبدأ الصبيان بالوصول إلى معالم النمو أسرع من ذي قبل، ومن المتعين أن يكسب الطفل (٢٥٠) كلمة كحد أدنى عند سن الثالثة، علماً أن عدد المفردات (الكلمات) التي يكتسبها الطفل تعتمد على عوامل أهمها: عدد أفراد الأسرة، وتسلسل الطفل في الأسرة، وثقافة الوالدين، ومقدار تفرغهما للأسرة والثقافة المحلية.



٤ إلى ٧ سنوات

قد يقلّ أكل الأولاد في سنّ الرابعة عما كان عليه في السنة الثانية؛ لأنهم في هذه السنّ لن ينموا بالسرعة نفسها، ويصبحون أقل نشاطاً، ويستمر الأولاد في النمو ويتعلمون أشياء جديدة باستمرار حتى يبلغوا سنوات المراهقة، إذ يشهدون وقتها تغيراً كبيراً، ويصل مستوى الطاقة بين سنّ الرابعة والخامسة أعلى مستوياته من المشي والركض والقفز؛ الأمر الذي يجعل الآباء والأمهات يتمنون لو يعود أولادهم إلى مرحلة الزحف!

وقد يصبح الأولاد يغارون من الأطفال الآخرين، وقد يؤدي هذا بهم إلى السلوك العدواني، لذلك فإن من الأهمية بمكان أن يتعامل الوالدان مع أولادهم جميعاً بمساواة وعدل. ومن الأمثلة الجيدة في هذا السياق؛ قصة غيرَة إخوة النبي يوسف عليه الصلاة السلام منه، التي أدت إلى معاداته وإيذائه.

إن اندماج الصبي مع والده، الذي هو من نفس جنسه، والبنت مع أمها، يجعل تأثير كل منهما أكثر أهمية مع تقدم الأولاد في السن. إذ يراقب الأولاد والدهم وهو يقوم بأعمال التصليح المنزلي، وتراقب البنت أمها وهي تقوم بالأعمال المنزلية. كما يستطيع الآباء والأمهات غرس مبادئ الحب والاحترام في أولادهم من خلال أنفسهم، ومثال حي وواقعي على الحب المتبادل والاحترام بينهما جميعاً، والمشاركة في عمل الأشياء معاً، بما في ذلك اللعب، والقراءة، وإطعام الحيوانات، وإقامة الصلوات، وسوف يساعد هذا على ترسيخ أسس الثقة بالآخرين وغرسها فيهم، والثقة بالنفس، والتواصل المنفتح.

ويتعلم الأولاد الدِّين من مراقبة والديهم وهما يقومان بعباداتهما معاً، وبذلك ندرك أنه إذا زرعت الأخلاق الحسنة في الأولاد قبل تعرضهم للعالم الخارجي، فمن الأرجح أنهم سوف يفعلون الصواب عندما يكبرون، ويتزكى سلوكهم على الوجه المرغوب.



٧ إلى ١٥ سنة

هذا هو سن التعليم الابتدائي، وفي نهاية هذه المرحلة تتكلل بداية البلوغ الجنسي والمراهقة السلوكية؛ ولأن الصبيان والبنات بدأوا يكبرون؛ يزداد قربهم من مشابهة الرجال والنساء والتصرف مثلهم، وتبدأ هذه التغييرات عادة ما بين سن ٩ و ١٣ للبنات، وبين ١١ و ١٥ للبنين. ويسمى هذا الوقت سن المراهقة، إذ يبدأ الأولاد بالنضج ويصبحون بالغين وقادرين على إنجاب الأطفال.

ومن الجدير ذكره التمييز بين البلوغ والمراهقة؛ حيث يشير البلوغ إلى مرحلة النضج الجنسي واكتمال الوظائف الجنسية وما يصاحبها من تغيرات داخلية وخارجية في جسم المراهق ونفسه، أما المراهقة فهي لغة من «راهق»، أي دنا واقترب، وبذلك تشير إلى مرحلة الابتعاد عن الطفولة والاقتراب من الرشد والنضج، فالمراهقة مرحلة متوسطة وحلقة

وصل بين الطفولة والرشد أو بين مرحلة الاعتمادية والاستقلالية؛ لذا تتميز بتغيرات جسدية وعقلية وانفعالية واجتماعية في سبيل الوصول إلى مرحلة إثبات الذات والاستقرار (من طفل غير ناضج إلى شخص ناضج بكل أبعاد شخصيته).

وفي ضوء ما سبق ترمز مرحلة المراهقة إلى التغيرات السلوكية عموماً والتي تعد التغيرات الجسدية (البلوغ) جزءاً منها؛ وهذا ما يجعل مرحلة المراهقة تحتاج إلى مزيد من التفهم والمتابعة؛ بوصفها مرحلة انتقالية حاسمة في حياة أبنائنا. كما يمكن القول أن بلوغ مرحلة النضج الجسدي لا يعني بالضرورة الوصول إلى النضج العقلي أو الانفعالي أو النفسي أو الاجتماعي (أبو سعد، ٢٠١٣م).

كما سبق وذكرنا يمر الأولاد بالعديد من التغيرات البدنية، والعقلية، والعاطفية والروحية التي تحدث أثناء فترة المراهقة، ويبدأون في إدراك أن ملامحهم غدت مختلفة عما كانت عليه في السابق، وأنهم يشعرون بمشاعر مختلفة من ذي قبل، وأنهم يفكرون بطريقة مختلفة عنهم قبل عام واحد.

وتميل الفتاة التي تقترب من سن المراهقة إلى زيادة الوزن فجأة استعدادا لطفرة النمو، ثم يزيد طولها عدة سنتمترات في أشهر قليلة، ويبدأ وركها وصدرها في الاتساع، وينمو الشعر تحت إبطها وحول أعضائها الخاصة، ويمر الصبي كذلك بطفرة نمو مماثلة، وقد يأكل بكثرة وشره، وتبدأ كتفاه في الاتساع، وينمو الشعر تحت إبطه، وحول أعضائه الخاصة وعلى وجهه وصدره، ويصير صوته أخشن كصوت الرجل، ويكتشف كذلك البنون والبنات أن حجم أحذيتهم تزداد كل بضعة أشهر، إنه الوقت المناسب للوالدين ليعملوا على التأكيد على أن يداوم أولادهم على الصلوات ويحافظوا عليها أكثر من ذي قبل.

نلاحظ التطورات الآتية (٧–١٥ سنة):

- يصبح الأولاد أكثر حساسيةً للنقد؛ ويشعرون بالغضب بسهولة، ويصيرون أكثر عاطفية ومزاجية من ذي قبل.
- يتفاعل الأولاد تفاعلاً أكبر مع أصدقائهم، ومنهم يكتسبون قيمهم ومعاييرهم الأخلاقية، وبذلك، فإن من المفيد للآباء والأمهات مرافقة أولادهم في الزيارات الاجتماعية، ومعاينة سلوكهم والعمل على تعديله.



- يشعر الأولاد بالخجل والحاجة إلى التشجيع للتعبير عن آرائهم التي يتعين احترامها.
- تنمو عضلات جسمهم بسرعة، ويميلون إلى ممارسة الرياضة مثل: الجري والتسلق والسباحة وكرة القدم وكرة السلة.
- يعتمدون على أنفسهم في تناول الطعام واللبس والنظافة الشخصية، وتحين الفرصة لتعليمهم آداب الطعام والشراب، والتواصل الاجتماعي، ويحسن تعليمهم الأدعية الواردة في اليوم والليلة.

هذه هي فترة «الخمول الجنسي» أو الجنس الخامل، فيفضلون صحبة من هو من جنسهم، ويجب أن لايشاهدوا صوراً مثيرة لشهواتهم على التلفاز، أو في المجلات أو في الكتب، وبعد سن العاشرة من العمر يتعين أن يناموا مستقلين عن أشقائهم أو شقيقاتهم حتى بين الجنس نفسه.

١١ – ١٣ سنة: الحيض للبنات

تبدأ معظم الفتيات ممن أعمارهن بين ١١و١٣ بالحيض (بدء الدورة الشهرية) حيث تخرج كمية صغيرة من الدم من المهبل لمدة ٣-٧ أيام تقريباً من كل شهر، وهي إشارة إلى أنهن أصبحن قادرات على إنجاب الأطفال، ولا ضرر من النزيف الذي يحدث بسبب الدورة، ولا يعد مؤذياً (وهو أمر طبيعي، فالنساء جميعاً خلقن هكذا)، وهذا الدم هو البطانة الرقيقة الداخلية للرحم، إذ يبدأ المبيضان في إنتاج بيضة كل شهر بالتناوب، وتتشكل بطانة مليئة بالدم في الرحم كنوع من العش الآمن الذي ينمو فيه الجنين، ومن دون الحيوان المنوي من الذكر للتخصيب لا تنمو البويضة وتصبح البطانة قديمة؛ فيتخلص الرحم منها عن طريق الحيض. وتتكرر هذه المسألة الطبيعية كل ٢٧-٣٠ يوماً من (الشهر القمري) تقريباً.

آلام الدورة الشهرية

يشكو الملايين من النساء من عدم الراحة في أثناء وقت الحيض، وتدوم مشكلات الدورة الشهرية لأيام، وتتراوح بين آلام معتدلة إلى حادة، وتتضمن الأعراض: الانتفاخ، والتقلصات، وآلام أو حساسية الثدي، والصداع النصفي، والطمث، ونزيف الدم الشديد ولفترة طويلة، وتقلب المزاج والتعب.

(Kalb, 2003)

والمرة الأولى التي تحيض فيها الفتاة هي حدث مهم في حياتها، وهو ما يعني أنها وصلت فترة البلوغ والشباب، وأنها قد غدت امرأة شابة، ومن تلك اللحظة فصاعداً ستسأل عن أداء الواجبات الدينية جميعاً تماماً كأي امرأة مسلمة بالغة مثل: الصيام والصلاة، وستر جسمها وتغطيته بشكل يتوافق مع الشروط الواجب توافرها، وفي حال ظهورها أمام الرجال الأجانب من غير محارمها. ويعاني نحو نصف النساء من الحيض، فقد يحدث لهن تشنجات أو يشعرن بالتعب أو يصبحن سريعات الانفعال. لذا يجيز الإسلام للمرأة الإفطار في رمضان في أثناء الحيض، وعليها قضاء هذه الأيام بعد رمضان، وتمتنع المرأة في فترة الحيض عن الصلاة – دون قضائها في وقت لاحق- وعن لمس المصحف في أثناء الدورة الشهرية، وعند انتهاء الحيض؛ تغتسل لتنظيف بدنها وتهيئة نفسها للصلاة وسائر العبادات.

١٣ إلى ١٥ سنة: مرحلة بلوغ الفتيان

ينتج الفتيان حيوانات منوية عند وصولهم إلى سن البلوغ ويصبحون شباباً، وفي بعض الأحيان، وبينما هم في نومهم، ينتصب عضو الذكر عندهم ويفرز الحيوانات المنوية، وهذا ما يسمى بالاحتلام، وذلك لأن هذه الحيوانات المنوية تعيش في السائل المنوي، وعندما يخرج هذا السائل، فإنه يبلل الملابس الداخلية، وهو سائل ليس نجساً (عند الشافعية والحنابلة) وليس بولاً، وخروجه لا يدعو للخجل؛ لأن الصبي هنا قد أصبح رجلاً وقادراً جسدياً على أن يصبح والداً، وأنه أصبح مسؤولاً عن واجباته الدينية كأي رجل مسلم بالغ، وقد لا يحصل الاحتلام لبعض الفتيان، ومع ذلك يعتبرون شباباً بالغين بدءاً من سن ١٥ سنة وفقاً للشريعة الإسلامية، أو عندما تظهر لديهم

علامات جسدية أخرى لسن البلوغ كخشونة صوتهم.

وعلى أي حال، يجب على الفتيان والفتيات الالتزام بالصلاة والصوم بانتظام بدءاً من سن ١٢سنة، حتى لو تأخرت لديهم علامات البلوغ.

يلامس بعض الفتيان والرجال عضوهم التناسلي عن قصد للوصول إلى انتصاب، فيخرج بعض السائل المنوي نتيجة لتلك الملامسة، فيتلذذون بمتعة قذف السائل المنوي للخارج، وهذا ما يسمى العادة السرية أو الاستمناء، ويشجَّع على هذا السلوك في بعض المجتمعات الليبرالية، لكن الإسلام لا يؤيّد أياً من الإناث أو الذكور عليه لما فيه من أضرار نفسية وجسدية.

١٥ – ٢١ سنة: تفهم المراهقين

في هذه المرحلة العمرية يكون صوت الفتيان أعلى وأخشن وأكثر ذكورة، وصوت البنات ناعماً وأكثر أنوثة، وتزداد عضلات الفتيان حجماً لتصبح أقوى، وتنمو صدور الفتيات أكثر، وتزداد نسبة الدهون في جسمهن، ويزيد طول الساقين والذراعين للفتيان، ويصبح الكتفان عريضين، والقدمان أكبر حجماً، كما يظهر الشعر على الوجه وينمو تحت الإبطين وحول الأعضاء الخاصة، ويسبب عدم التناسق المؤقت في نمو الساقين والذراعين عيباً ملحوظاً عند المشي – مثل السقوط وعدم الاتزان – والتعامل مع الأشياء، وتحتاج جميعها لبعض الوقت كي تعود طبيعية ومتناسقة.

قد يتبع المراهقون عواطفهم ويقدمونها في اتخاذ قراراتهم بدلاً من العقلانية في ذلك، حيث تطغى العواطف على العقل والفكر في هذه المرحلة، ويعيش المراهقون حالة نفسية قلقة ومضطربة، فهم يستغرقون في القلق حول أنفسهم ومظهرهم، فيحرصون على مظهر أسنانهم مثلاً بأن يضعوا جهاز تقويم لها، ويضطربون حين يظهر حب الشباب (البثور أو البقع) على وجوههم، ويقلقون من زيادة الطول أو القصر أو السمنة أو النحافة، كما تجعلهم التغييرات في الجسم عصبيين وغير واثقين بأنفسهم، لدرجة أنهم يقلقون بشأن مستقبل حياتهم المهنية، واختيار الجامعة التي سيلتحقون بها لمتابعة دراستهم، ومن سيتزوجون، وأمورهم المستقبلية عامة، هذه الأفكار تجتمع لتترك المراهقين في جو مزاجي حرج وبنفسية قلقة ومتوترة.

وقد تتسبب الهرمونات المسؤولة عن نمو الجسم أيضاً في تقلبات المزاج: فيشعر الفتيان بالتوتر أو الغضب دون سبب واضح، وربما تبكي الفتيات، أو يصبحن سريعات الانفعال لأدنى سبب، وفي بعض الأحيان يرغب الشباب أن يعاملوا مثل البالغين، ولكنهم يتصرفون مثل الأطفال، ومع أن هذه المشاعر يمكن أن تسبب الإرباك والحيرة لمن حولهم، فالناس الأصحاء عادة يتعلمون السيطرة على مشاعرهم والتحكم فيها، والتفكير قبل التحدث، إلا أنها طبيعية ما دامت ضمن نطاق السيطرة وحدود المعقول.

يرى ابن سينا أنه يتعين أن نبدأ بتعليم القرآن الكريم لأولادنا في اللحظة التي يكون فيها الولد على استعداد لتلقيه جسدياً وعقلياً، فعلّمه الحروف الألفبائية وأساسيات الدين، ثم حدد له قصائد في موضوعات مثل: الأخلاق، والإشادة بالمعرفة، ونبذ الجهل، والإحسان إلى الوالدين، وفعل الخير للآخرين، وتكريم الضعفاء والفقراء ومساعدتهم، وعند انتهاء الولد من تعلم القرآن واللغة؛ يجدر توجيهه لممارسة هوايات وأنشطة معينة متوافقة مع قدراته واهتماماته. (الأبراشي، ١٩٧٦)



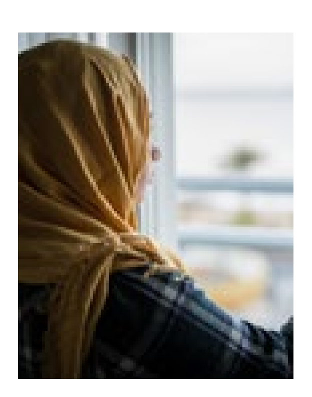
نذكر من الناحية الإيجابية لفترة المراهقة عمل العقل والفكر، حيث في سن ١٣ أو ١٤ تقريباً، يستطيع المراهقون تعلم أشياء معقدة لم يكونوا قادرين على فهمها في الماضي، وهو الوقت المناسب لهم لتعلم العديد من المهارات التي يحتاجونها في حياتهم، مثل: الطبخ، ورعاية الأطفال، وتصليح الأشياء وصيانتها في المنزل، كما يتعلم المراهقون مهارات اجتماعية كثيرة، مثل: كيفية الكلام والاختلاط مع الآخرين والمشاركة في مختلف المنظمات والجمعيات، وكيفية تحمل مزيد من المسؤولية تجاه أنفسهم وتجاه الآخرين، ويستطيعون العمل بوظيفة بدوام جزئي بينما هم يواصلون تعليمهم، أو ربما العمل بدوام كامل أو كمتطوعين.

يقدم الإسلام تدابير وقائية عدة للمراهقين في هذه المرحلة، مثل:

- غض البصر عن الجنس الآخر.
- ممارسة الرياضة لتصريف الطاقة.
- التعوّد على صوم يومي الإثنين والخميس والإفطار الجماعي مع الآخرين
- طلب الإذن أوالاستئذان قبل دخول البيوت أو غرف الآخرين.
- تجنب الخلوة (الانفراد مع الجنس الآخر وراء أبواب مغلقة).
- نوم الإخوة والأخوات في سرير منفصل (ويمكن النوم في الغرفة نفسها) بعد سن ال ١٠، ومن المثير للاهتمام أن أنظمة السكن في بريطانيا تتطلب من الأولاد الذين تزيد أعمارهم على ١٠ سنوات النوم منفصلين عن الجنس الآخر في غرفٍ منفصلةٍ (قانون السكن، ١٩٨٥)، وربما سنكون مبالغين لو طلبنا تطبيق هذه القاعدة عالمياً، إذ سيغدو كوكبنا مزدحماً بالعمارات الشاهقة.

ومن الناحية غير المادية، هناك قضايا عدة من المهم ملاحظتها في ما يخص المراهقين، وهي كالآتي:

- **المراهقون في مرحلة بناء هويتهم الشخصية:** يحتاج المراهقون إلى بعض الخصوصية والبقاء بمفردهم، فكونهم يكبرون في السن فإنهم يفكرون في أشياء كثيرة مثل: من أنا؟ لماذا أنا هنا؟ ما هي حقيقة الحياة؟ ما أسباب الكثير من المشكلات في العالم؟ وهو الوقت الذي يتساءل فيه الشباب عن أشياء كثيرة تعلموها، ويبحثون عن إجابات لها وأفكار جديدة عنها، وفي بعض الأحيان يتسبب هذا الأمر في التوتر والجدال مع والديهم، علماً أن المراهقين يصبحون أكثر استقراراً عادةً في الفترة ما بين (١٦ – ١٩ سنة)، وتعد الفترة (١١– ١٩ سنة) طويلة وعسيرة على الأسرة، وتتطلب الكثير من الصبر والتفهم.



- **المراهقون يطوّرون قدرتهم على التجريد:** إنهم يبدأون بالتصور والتخيل، فهم يستطيعون توقع حدوث المشكلات ووضع حلول مناسبةٍ لها، وخلافاً للسنوات السابقة من عمرهم، وقد كانوا في أثناءها يفكرون فقط في الحاضر القريب، ويمكنهم إدراك الأزمان بشكل صحيح: الماضي والحاضر والمستقبل، كذلك يدركون معنى الأيام والأسابيع والشهور والسنوات، والقرون، ويبدأون يشعرون بأحداث التاريخ ومروره؛ وبذلك، تتجاوز أسئلتهم الأشياء المادية وتخوض في أصل الحياة وتعقيداتها ومشكلاتها، وطبيعتها، والأهداف والوسائل والقيم والأخلاق، وبداية الكون ونهايته، والحياة الدنيا والحياة الآخرة.

- **تطور شعور التدين عند المراهقين:** تسمى المراهقة عصر التنبه الديني، إذ يقدم المراهقون وجهات نظر قوية حول المعاصي، والجنة والنار، والتوبة، والقيامة، والخلود، والقضاء والقدر، والحرية، والحتمية. ويصبحون أكثر استقراراً وموضوعية في نظرتهم للحياة في فترة العشرينيات من أعمارهم.
- **ازدياد أحلام اليقظة والتخيل عند المراهقين واحتياجاتهم:** تبدأ أحلام اليقظة في هذه المرحلة العمرية، وهي وسيلة مهمة في التعبير عن رغبات المراهقين، وموجِّهة لأنفسهم، وتعدّ واحدة من أشكال النمو العقلي، وهي ظاهرة صحية بشرط ألا يبالغ فيه؛ إذ لا ينبغي أن يصبح هذا الشعور جانباً مفرطاً ومتعمقاً في حياتهم الخاصة أو العامة.



هل تساءلت يوماً، لماذا كان الطلبة هم الذين يقودون المظاهرات الضخمة في بلدان متعددة؟ سبب ذلك هو أن المراهقين مثاليون ونشيطون وعاطفيون وشغوفون للغاية، ويؤمنون بقوة بآرائهم الإصلاحية أو التطرفية، وهذا شيء مرتبط كثيراً بخصائص المرحلة العمرية التي يمرون بها.

- **انخراط المراهقين في انتقاد الآخرين، بدءاً من الوالدين:** فقد ينتقدون والديهم في جوانب مثل: الملابس، والطعام، والذوق، والتصرف بالمال، وطريقة تربية أشقائهم، ويقارنون كل ذلك بآباء وأمهات أقرانهم، وقد ينتقدون أيضاً المدارس والمجتمع والحكومة، ويتبنون أساليب متطرفة في سبيل الإصلاح والتغيير الاجتماعي، وهذا ما يجعل رعايتهم أكيدة؛ ليحسن استثمار طاقاتهم ويتوجه سلوكهم بصورة إيجابية.
- **ميل المراهقين إلى النظرة المثالية:** تعد المثالية أمراً شائعاً بين المراهقين نظراً لقلة تجاربهم، وضعف خبرتهم في الحياة، ولعدم تلوثهم المجتمعي والأسري بعد. حيث يرفض المراهقون ذوو النظرة المثالية سلطة آبائهم وأمهاتهم أو سلطة المجتمع، خاصة عندما يستمر نبذ أفكارهم ومواجهة الحلول التي يقدمونها بالرفض دون تفسير مقنع لهم لهذا الرفض، وقد يصاب المراهقون بالإحباط والاضطراب، الذي يؤدي بهم إلى العزلة الحسية والشعورية والنفور في نهاية الأمر، وقد يصبح المراهقون ذوو النظرة المثالية عاجزين ويائسين، وربما فقدوا الثقة بأنفسهم وبالآخرين.



سلسلة الأحداث المحتملة

المثالية في سن المراهقة مع قلة الخبرة ← رفض الوالدين والمجتمع لهم ← الصراع ← الانعزال ← الاغتراب ← النفور فقدان الثقة ← العجز ← القنوط ← اللامبالاة ← السلبية ← (العدوانية، التطرف، الجنوح...).

- **شعور المراهقين بالضياع**: يتعرض المراهقون لقضايا عدة في حياتهم لا بد لهم من اتخاذ قرار فيها، وعندما يتخذون هذه القرارات بمفردهم، دون استشارة الوالدين أو ذوي الخبرة، فإنها غالباً ما تكون قرارات خاطئة، وما يحتاجون إليه في هذا العمر هو إيجاد بيئة داعمة ومحفزة ومشجعة، تكون غير مباشرة وغير ملزمة لهم، لمساعدتهم في اتخاذ القرارات الصحيحة في ما يهم حياتهم.
- **حاجة المراهقين إلى الشعور بالإنجاز**: يحتاج المراهقون إلى الشعور بالإنجاز لإثبات وجودهم وذواتهم، وإلى تحمل المسؤوليات المحددة بدقة ليشعروا أنهم ناجحون ومنجزون، وإن تجنب إعطاء أي مسؤوليات ذات قيمة على عاتقهم يجعلهم يشعرون بالإهمال وعدم الأهمية. ومن جانب آخر، فتحملهم مسؤوليات أكثر أو أشق من اللازم تفوق طاقاتهم وتجعلهم يشعرون بالعجز والفشل والإخفاق، فيتعين التوازن والاعتدال والوسطية في ذلك، وهنا يأتي دور المربي الحاذق.
- **قدرة المراهقين على الحفظ: هناك نوعان شائعان من الحفظ**: حفظ التلقين عن ظهر قلب (تلقائي) والحفظ القائم على الفهم والاستيعاب (أو المباشر وغير المباشر). حيث إن التعلم بالتلقين والاستظهار هدفه استرجاع النصوص مع فهم ضعيف المستوى، بينما يتضمن حفظ الفهم استيعاب المحتوى، وتنزيل المعنى على موضوعات أخرى، وكذلك استنتاج روابط جديدة بين عناصر المحتوى المقروء، ويبدأ تطوير الحفظ التلقائي المباشر في مرحلة الطفولة ويمتد إلى عمر ١٥ سنة (السيد، ١٩٧٥)، ثم تقل حدته وسرعته ومداه، بينما يبدأ الفهم غير المباشر في وقت لاحق من هذا العمر، ويستمر في التطور والنمو في أثناء سنوات المراهقة وحتى منتصف العمر.

٢١ إلى ٤٠ سنة: مرحلة الشباب

هذا هو سن النضج والقوة والتكاثر لأكثر الناس، ويكتمل العقل نضجه تماماً في سن ٤٠ ويسمى سن الحكمة، وبعد هذا السن يعتمد التطور والنضج على الخبرة والتجربة.

٤٠ – ٦٥ سنة: العمر الوسيط (الكهولة)

لا يعتمد التطور والنضج في فترة العمر الوسيط هذه على النمو الجسدي فقط، ولكن على التدريب والتعليم والخبرة والمهارة والتمرين، ويبدأ الضعف يتسرب إلى الجسد ويدب فيه تدريجياً في هذه المرحلة من العمر، وهنا يجدر أن يداوم الشخص في مثل هذا السن على ممارسة الرياضة والتغذية الصحية والسماع لتوجيهات الأطباء والعمل بها.

٦٥ سنة فأكثر: الشيخوخة

تبدأ الشيخوخة وتنتهي بما يسمى فترة أرذل العمر، حين تبدأ المعرفة والذاكرة بالاضمحلال والضعف، فإذا عاش الإنسان فترة طويلة أكثر؛ يبدأ اكتسابه للمعرفة وقدرته على الحفظ بالضعف، وقد يصيبه في هذه السن ما يسمى بمرض الزهايمر (الخرف) الذي يأتي على الذاكرة فيضعفها، وهناك أسماء أخرى لهذه المرحلة العمرية، وهي الشيخوخة والضعف والشيبة.

وهكذا تبدأ دورة الحياة بولادة الطفل وهو لا يملك أي معرفة أو علم أو خبرة، ولكن الخالق جهّزه بوسائلها وآلياتها، وهي: السمع والبصر والفؤاد، ويأتي التوجيه من الله تعالى للبشر لأن يكونوا شاكرين له: «ولعلكم تشكرون»، ثم ينتقل الإنسان من مرحلة الضعف إلى مرحلة القوة، ثم يعود ليدخل من جديد في مرحلة الضعف في فترة الشيخوخة، ويصبح البشر بين الولادة والشيخوخة «عارفين» ويأتي التوجيه من الله تعالى لهم ليكتسبوا الفهم والحكمة: «**لعلكم تعقلون**».

وفي المرحلة النهائية من الحياة -نهاية الرحلة- ينبغي أن يتميز الناس بالصلاح ويتجنبوا الكبائر، ويقبلوا على الالتزام بالطاعة؛ إذ في عمر ٦٠ سنة، لن يكون للناس عذر في ارتكاب الرذائل، كما يُفهم من قول النبي ﷺ: (أعذر الله إلى أمرئ بلغ من العمر ستين) (البخاري). كلما كبرنا في السن وامتد بنا الزمن، ضعفت ذاكرتنا، ولكننا نحافظ على قوانا العقلية قوية، فيا لها من نعمة عظيمة!

طوبى لمن بدأ حمد الله وشكره في وقت مبكر من حياته، ونضج حتى وصل مرحلة الحكمة، فعرف وفهم الهدف والغاية من وجود البشر على هذه الأرض ومهمتهم فيها.



استثمار مراحل النمو والتطور

لا يتطور الطفل تطوراً يشبه حركة الساعة التي تسير على منوال واحدٍ طوال الوقت، فكل طفل له ساعته العضوية الخاصة به ويتطور ضمن أسلوبه الخاص، ووفق نمطه. ويتعين على الوالدين إيلاء الساعة الداخلية للأطفال بالاهتمام والتركيز والعناية.

الطفل نافذتنا لانتهاز الفرص

- قلب الطفل نقي وصفحة بيضاء – يعني هنا الخيرية والفطرة السليمة، وليس صفحة بيضاء بمعنى خالية من أي شي – ولديه ميل طبيعي للاحتفاظ بكل شيء، كما ينجذب إلى كل شيء.
- الطفل على استعداد لقبول المعلومات والتعليمات الموجهة له جميعها.
- هذه هي الفرصة الذهبية للوالدين للتفاعل مع أولادهم وتعليمهم أقصى مدى ممكن!



الرضاعة في أول سنتين

فـي هـذه المرحلـة يبـدأ بنـاء العناصـر الأساسـية المهمـة للشـخصية، وتكـون النتيجـة طفـلاً معافـى بدنيـاً وعاطفيـاً، ويبـدأ تشـكل مراكـز الدمـاغ للطفـل، والترابـط الدماغـي، وشـبكات الدمـاغ، وهـي تريليونـات بـين الخلايـا العصبيـة فـي مرحلـة الطفولـة، وتبـدأ ببنـاء عناصـر الشـجاعة، والإبـداع، والحـب، والصـدق، والأمانـة، واللغـة، فـي هـذه المرحلـة، وتنقـل الأمهـات إلـى أطفالهـن بالرضاعـة مزايـا عاطفيـة بالغـة، إضافـة إلـى الفوائـد الطبيـة الكثيـرة لحليبهـن الطبيعـي؛ إذ ينقلـن معـه حـين يرضعـن أولادهـن فـي العامـين الأولـين؛ الحـب والرحمـة واحتـرام الـذات. كمـا تسـتفـيد الأمهـات المرضعـات أيضـاً كثيـراً فـي مـا يخـص الجانـب النفسـي فـي العلاقـة الدافئـة مـع الطفـل بدنيـاً وعاطفيـاً.

الحب والخوف من الله تعالى

يحتـاج الأطفـال إلـى أن يتعرفـوا فـي سـن مبكـرة علـى الحـب والأمـل والثـواب مـن اللّه الرحمـن الرحيـم، ويحسـن تأجيـل تعريفهـم بمفاهيـم: الخـوف والعقـاب والجحيـم حتـى سـنوات المراهقـة، وذلـك عندمـا يبـدأون باسـتيعاب المفاهيـم المجـردة والصـور؛ إذ مـن شـأن الإلحـاح علـى تهديـد الأولاد بعـذاب النـار يـؤدي إلـى الحـد مـن الحريـة والإبـداع والخيـال لديهـم؛ بسـبب سـرعة تأثـر عقولهـم فـي المراحـل الأولـى مـن العمـر بمثـل هـذه المفاهيـم، وإن تخويـف الأطفـال وترهيبهـم كفـيل أن يسـلب منهـم شـجاعتهم، وقدرتهـم علـى المجازفـة، واتخـاذ القـرارات والثقـة بأنفسـهم.

الحفظ عن ظهر قلب

يثيـر الشـيخ محمـد الغزالـي فـي كتابـه «كيـف نتعامـل مـع القـرآن» (١٩٩٢) مسـألة متـى يكـون الوقـت الأفضـل للتركيـز علـى حفـظ القـرآن، ومتـى يكـون التركيـز علـى الفهـم، وهـو يبحـث فـي تسـاؤله هـذا عـن الإجابـة الصحيحـة. ويبـدو لنـا الآن أنـه يتعـين التركيـز أساسـاً علـى التحفـيظ أكثـر مـن الفهـم والشـروحات حتـى سـنوات المراهقـة، ثـم يكـون بعدهـا التركيـز علـى الفهـم والتفسـير فـي مرحلـة مبكـرة مـن سـن المراهقـة، وبهـذه الطريقـة يسـتخدم أفضـل إمكانـات الدمـاغ للوصـول إلـى الثمـرة النهائيـة لمـا حُفـظ فـي السـنوات المبكـرة، والفهـم المبنـي عليـه الـذي جـاء فـي وقـت لاحـق.

التحفيظ بين الشرق والغرب

لا شـك أن انخـراط الأولاد فـي البـلاد الإسـلامية فـي مـدارس تحفـيظ القـرآن فـي مرحلـة مـا قبـل المدرسـة يؤتـي ثمـاراً طيبـة، ومـع أن غالبيـة المسـلمين (أربعـة أخماسـهم) لا يتكلمـون العربيـة، إلا أن قسـماً منهـم قـادرون علـى حفـظ القـرآن بكاملـه دون فهمـه، ويأتـي تعلـم تفسـير القـرآن وفهمـه فـي وقـت لاحـق فـي سـنوات المراهقـة. ولا تـزال نظـرة الغـرب للحفـظ حتـى هـذا الوقـت كنظـام تعليمـي غيـر معتمَـد عندهـم، سـواء فـي حفـظ الإنجيـل أو الشـعر أو المسـرحيات، ومـع ذلـك كان النصـارى فـي وقـت سـابق يمارسـون الحفـظ للإنجيـل، بل إن بعـض الأولاد مـن النصـارى العـرب حفظـوا أجـزاءً مـن القـرآن الكريـم مبكـراً فمنحهـم ذلـك مزيـة تواصـلٍ كبيـرة؛ بسـبب الرصيـد الكبيـر الـذي اكتسـبوه مـن المفـردات الغنيـة فـي القـرآن وتعبيراتـه، كذلـك زودهـم هـذا بالملكـة الذهنيـة القـادرة علـى التخزيـن والحفـظ والاسـترجاع إضافـةً إلـى فـن البلاغـة والأدب.

جوانب التربية الروحية والإيمانية

يتعـين التركيـز علـى هـذا الجانـب فـي أثنـاء سـنوات المراهقـة؛ لأن الأولاد يكونـون أكثـر تقبـلاً للمفاهيـم المجـردة فـيها، مثـل: الجنـة والنـار والآخـرة، كمـا تبلـغ طاقاتهـم وعواطفهـم فـي هـذه المرحلـة ذروتهـا، كمـا يتعـين أن يوجَّـه اهتمامهـم إلـى الاسـتقامة والروحانيـة والتضحيـة مـن أجـل الصالـح العـام وخيـر البشـرية جمعـاء، ويجمـل توجيـه عواطـف المراهقـين إلـى أن تكـون متوازنـة مـع العقلانيـة، كذلـك يحتاجـون إلـى تقويـة صلاتهـم بخالقهـم والاهتمـام بشـعائرهم التعبديـة وتثبيتهـا بالعلـم والمعرفـة النافعـة لتسـاعدهم فـي التحكـم بعواطفهـم عنـد حـدوث الأزمـات، إضافـة إلـى تقويـة وازع التـوكل علـى اللّه سـبحانه وتعالـى فـي أنفسـهم.

حساسية المراهق تجاه النقد

هنا يدرب المربون المراهقين ويوجهونهم بلباقة؛ حتى لا تؤذى مشاعرهم أو يجرح احترامهم لذاتهم، فيكون هدفنا توجيه نموهم وتطورهم، وليس التسبب بفقدان ثقتهم بأنفسهم. ولا يفوتنا أن المراهقين يحملون في عقولهم آفات الحسد، والغيرة، وعقد المقارنات مع أقرانهم في هذه المرحلة العمرية، وبذلك يتعين معاملتهم ومعاملة أشقائهم جميعاً بمساواة وعدل وإنصاف دون تمييز أو ميل لواحد دون الآخر.

التركيز على بناء الهوية

كما يحسن التركيز على بناء هويتهم، إذ يبدأ المراهقون في هذه الفترة بتفحّص أنفسهم، والمجتمع، والكون، وما وراء الطبيعة والغيب، ويعدّ هذا هو الوقت المناسب لمناقشة المفاهيم الحقيقية للإسلام، مثل: التوحيد، والاستخلاف، والتزكية، والعمران، والأمة والدعوة، والرؤية الكونية، وأهداف الحياة، والعلاقة مع النفس ومع الآخرين ومع البيئة ومع الخالق، ويتعين في هذه المرحلة أن تتبنى فيهم النظرة الكونية الكلية الصحيحة للخالق وللحياة والكون والنفس.

تعلم لغة ثانية

لا يتعين تأجيل هذا التعليم حتى سنوات المراهقة، ويحسن أن يبدأ هذا التعليم قبل سن العاشرة، وهي المرحلة التي تتكون فيها الأصوات عندهم في الخلايا العصبية في الدماغ والترابطات التي تجري فيه، وكلما كان تعلم اللغة أبكر كان أفضل وأدعى للطفل؛ لأنه يكون قادراً على نطق الأحرف جميعها مثل الناطقين بلغة الأم دون لكنة أو عجمة.

ويمتلك الأولاد قدرة كبيرة على تعلم لغات عدة أثناء طفولتهم المبكرة دون أن يجدوا أدنى صعوبة. «فصغر الأدمغة لديها أعظم استعداد لاستيعاب اللغة وفهمها واكتسابها، والشخص الذي يصبح ثنائي اللغة في سن مبكرة يسهل عليه تعلم لغة ثالثة ورابعة في وقت لاحق. وبالمقارنة مع البالغين أو طلاب المدرسة الثانوية، فإن الأولاد الصغار أكثر قدرة على تعلم اللغة الألمانية، ويكون نطقهم قريباً جداً من نطق أهل اللغة أنفسهم، بل يستطيع هؤلاء تقليد ومحاكاة النغمات الخفية للغة الماندرين (الصينية)» (Glod 2006). وينطبق الأمر نفسه على تعلم اللغة العربية، واللغات الأخرى على حد سواء.

الحافظ الفارسي للقرآن بعمر ست سنوات!

الحافظ هو الذي يقرأ القرآن كله من ذاكرته دون الاستعانة بالمصحف، حتى إن لم يفهم اللغة العربية، لقد حفظ سيد محمد حسين طباطبائي، ولغته الأم هي الفارسية، القرآن كله وهو في سن السادسة، يقول والده:

«كان عمره سنتين عندما أدركت موهبته»، تعلم الولد بالاستماع إلى والدته التي هي أيضاً حافظة، وهو يحفظ الآيات بالاستماع إليها مرة واحدة فقط أو مرتين، ويقرأ القرآن يومياً؛ ليثبّت ما حفظه، وهو مولع بقصص الأنبياء، خاصة قصة سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام. (أخبار المسلم، ١٩٩٨).

إنها معجزة القرآن أن يحفظ ما بين دفتي القرآن عدد كبير من الذين لا يفهمون اللغة العربية ولا يعقلونها! واليوم، هناك الآلاف من الأولاد ممن هم أقل من ١٠ سنوات، ومن مختلف الأعراق والأجناس، ممن يحفظون القرآن كاملاً بنصه الأصلي باللغة العربية، وهم لا يفقهون معناه.

الحافظ السوري للقرآن وعمره أربع سنوات ونصف!

هو أصغر طفل حفظ القرآن كله في الرابعة والنصف، اسمه عبد الله أحمد شغالة من حلب في سوريا، ومواليد عام ١٩٩٦. بدأ حفظ القرآن وهو في سن الثالثة، وأكمل حفظه قبل سن الرابعة والنصف، ثم حفظ في سن الخامسة ١٠٠٠ حديث نبوي وأكثر من ١٠٠٠ بيت من الشعر.

بدأت قصته مع الحفظ في متجر والده، عندما سمعه والده وهو ما يزال في سن الثانية يغني أغنية لأم كلثوم «ظلموني الناس» بعد أن سمعها مرة واحدة من مذياع الجيران، حينها قرر والداه توجيه قدراته للقرآن، فبدأ تلاوة بعض الأجزاء على مسامعه، فكان يحفظها من المرة الثانية، وفي غضون أشهر قليلة، أتقن عبد الله التلاوة وفقاً لقواعد التجويد، وفي سن الخامسة، حصل على المركز الأول في المسابقة الوطنية لحفظ القرآن في سوريا، وكانت أعمار منافسيه في تلك المسابقة ما بين ١٤ إلى ٣٠ عاماً، فكان عبد الله أصغر حافظ للقرآن الكريم يفوز بالجائزة الأولى في مسابقات حفظ القرآن (مجلة الأسرة، ٢٠٠٥).

يروي الدكتور نزار العاني مدير «الكلية الجامعية للأم والعلوم الأسرية» في الإمارات العربية المتحدة أنه شهد طفلاً من الباكستان في سن الرابعة والنصف يحفظ القرآن كاملاً!

الحفظ المبكر للقرآن يساعد البالغين في المدارس الثانوية

قال الدكتور يوسف خليفة (وزير التربية والتعليم السابق في السودان):

إن تجربتنا مع الحفّاظ في مختلف الخلاوي (مدارس التحفيظ في القرية) والمدارس في السودان، أثبتت أن أولئك الذين يحفظون القرآن لديهم ذاكرة جيدة تساعدهم على التخزين والاسترجاع واستيعاب المفاهيم والمشكلات المعقدة، وأعطي هؤلاء الطلاب، الذين لم يسبق لهم ارتياد المدارس الحكومية العلمانية العادية، مادة تحضيرية لمدة سنتين في مختلف العلوم، لتأهيلهم لدخول الجامعات، فنجح ٩٠٪ منهم في امتحان القبول العام في الجمهورية، وكانوا على قدم المساواة مع غيرهم من الطلاب الذين ارتادوا المدارس العلمانية لمدة ١٢ عاماً.

كذلك وجدت نينا عبد اللّه (١٩٩٤) أن الحفظ في السنوات المبكرة يساعد على تقوية الحفظ في السنوات اللاحقة من الحياة.

الأنشطة



النشاط ٣٣: أمورٌ كثيرةٌ تزعجني وتؤرقني

نوصي الوالدين مناقشة الفقرات الآتية بتأنٍّ مع الأولاد على مراحل متعددة حسب الوقت المتوفر للعائلة، ومن ثمَّ الاتفاقُ على الطريقة المناسبة التي تجنّبهم الأفعال والسلوكيات غير الصحيحة

يزعجني أن:

- لا يلقي الأولاد قمامتهم في أماكنها المخصصة، ويتخلص الوالدان منها بدلاً منهم.
- تُلقى القمامة حول سلة المهملات، وليس في داخلها.
- يتأخر الناس عن مواعيدهم أو يُخلّوا بها.
- يتأخر الزوج عند عودته إلى المنزل دون إبلاغ زوجته مسبقاً.
- ينسى الناس ربط أحذيتهم ولا يذكّرهم أحد بذلك.
- يخرج الناس من دورات المياه دون غسل أيديهم.
- لا يقفل الناس باب الحمام بعد دخوله.
- يترك الناس أكواب الشاي أو القهوة أو الماء أو العصير على مكاتبهم طوال الليل دون شربها لآخر قطرة.
- لا يصفّف الناس شعورهم وحواجبهم ولحاهم الطويلة.
- يترك الناس الدبابيس والملاقط وكباسات الورق متناثرة في أنحاء المكتب وعلى الأرض.
- يبتسم الوالدان عندما يخطىء أولادهم في بيوت الآخرين دون التحرك للأخذ على أيديهم.
- ينشر الناس الشائعات وينغمسون في الغيبة باستمتاع، علماً بأن القرآن يشبه ذلك بمن يأكل لحم أخيه ميتاً.
- يُسأل الطفل سؤالاً صعباً أو سهلاً فيسرع والداه بالإجابة نيابة عنه، وهو ساكت.
- يقاطع الناس الأولاد في كثير من الأحيان حين يتحدثون.
- يجبر المضيف الضيف على تناول ما يزيد عن حاجته من الطعام بقوة.
- يعلّق الناس تعليقات عنصرية أو يطلقون النكات المشينة على غيرهم.
- يضع الناس الطعام الكثير في طبقهم، ثم يلقون ما فَضُل منه في مكبِّ القمامة.
- يفاجئ الناس زيارة الأصدقاء دون موعد سابق.
- يتدخل الضيوف ويعاقبون أطفال المضيف دون إذن منه.
- يخلف الوالدان وعودهم لأطفالهم ولا يتبعون ذلك باعتذار صادق.
- يطلب الناس النصيحة منك وهم يخفون جزءاً من الموضوع.

- يستخدم الشباب المصاعد بدلاً من الدَّرَج.
- لا ينقل الرسول إليك الرسالة نقلاً دقيقاً وكاملاً بل يزيد وينقص.
- يمكث الزوار وقتاً طويلاً في زيارة المريض في المستشفى أو في بيته.
- يغضب شخص ما منك ويقاطعك دون ذكر سبب سُخطه.
- يُذهب الناس المال، والماء، والغذاء، والورق، والدواء، والوقت، والمناديل، والصابون بلا تدبير.
- يرسل الناس الرسائل النصية من هواتفهم المحمولة أو يقرأونها أثناء قيادة السيارة (خلافاً للقانون في أكثر البلدان).
- يسعل الناس أو يعطسون في وجهك دون تغطية أفواههم وأنوفهم بمنديل أو خرقة.
- لا يغلق الناس هواتفهم الجوالة في الصلاة والاجتماعات والمكتبات.
- انبعاث رائحة كريهة من ملابس الناس وجواربهم وأفواههم.
- يبلل الناس الأرضيات والمغاسل والجدران في الحمامات دون تجفيفها.
- يتحدث أكثر من شخص معاً وفي الوقت نفسه.
- يطلق السائقون أبواق سياراتهم من غير حاجة أو ضرورة.
- يكرر بعض المتحدثين كلمة أو عبارة كثيراً، وبشكل يلفت الانتباه، وهو لا يدرك ذلك التكرار.
- يتحدث الشخص بصوت عال جداً ويزعج الآخرين، أو يتحدث بنبرة خافته يصعب على السامعين فهمها.
- يترك الناس الغرف والأماكن مضاءة عند مغادرتهم المكان.
- يتجاوز شخص الطابور دون إذن من الناس المصطفّين أمامه.
- يُصِرُّ الضيوف على مخالفة تعليمات المضيف في منزله.
- يتأخر المضيف في تقديم الطعام للحاضرين في انتظار ضيف متأخر عن الموعد.
- يهدر الناس الماء عند غسل أيديهم.
- لا تقفل صنابير الماء بإحكام.
- لا يستخدم الناس المناديل للتفل بل يتمخطون على الأرض.
- لا يزيل الناس القمامة من الطريق، ونحن مأمورون بإماطة الأذى عن الطريق.
- يقف الناس ليتحدثوا في الممرات ويزعجون السائرين والعابرين.
- يتحدث شخصان أو يهمس أحدهما إلى الآخر في الاجتماعات.
- يرتكب الشخص خطأً ثم لا يُقرّ به ولا يعتذر بصدق.
- يدعو الناس الآخرين إلى مناسبة ولا يخبرونهم سلفاً بإعداد طعام لهم كي يتهيّأوا لذلك.
- يسحب بعضهم عدداً كبيراً من مناديل الورق من صندوقها.

- يتجاوز المتحدثون الوقت المخصص لهم للحديث دون إذن.
- يعبس الناس بدلاً من الابتسام.
- تُحّيي شخصاً ولا يرد التحية بمثلها، أو بأحسن منها.
- يجعل الناس غرفهم مظلمة جداً، أو مضيئة جداً.
- يزعج الناس الآخرين بصوتهم العالي، أو بفضولهم، أو بطلب حاجتهم.

يمكن لكل فرد من أفراد الأسرة إضافة ما يزعجه لهذه القائمة ويقترح حلّاً عملياً ومناسباً لها.

النشاط ٣٤: حفظ دعاء

احفظ هذا الدعاء مع أسرتك:

قال النبي ﷺ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ) (البخاري).

ناقش الصفات المذكورة في هذا الحديث وحددها بطرح الأسئلة الآتية: ما الذي يدعو إلى تجنب هذه الصفات السلبية عند بناء الشخصية؟ وهل يمكن للوالدين تأجيل تعليم أطفالهم الصفات الحسنة ومعالجة الصفات السلبية حتى سن البلوغ؟ وما التجارب الشخصية العملية التي يمكن أن ترويها لأطفالك في هذا الموضوع؟ يمكنك أن تستفيد من القضايا التي طرحت في هذا الحديث، وهي:

- الهم والحزن
- العجز والكسل
- الجبن والبخل
- غلبة الدين وقهر الرجال

النشاط ٣٥: نصيحة للآباء والأمهات

أيها الأب وأيتها الأم، ناقشا الفقرات الآتية، ثم قررا كيفية تطبيقها مع أولادكما:

- أعط أولادك أكثر قليلاً مما يتوقعون، افعل ذلك وأنت سعيد ومستبشر.
- لا تصدقّ كل ما تسمع، ولا تنفق كل ما تملك.
- عندما تقول: 'أحبك' يجب أن تكون صادقاً في ذلك.
- عندما تقول لشخص ما: «أنا آسف» انظر في عينيه.
- لا تسخر من أحلام أولادك؛ لأن الناس الذين ليس لديهم أحلام ليس لديهم الكثير.
- عندما تخاصم، كن منصفاً، ولا تسب الآخرين.
- لا تحكم على الأفراد بالحكم على أقاربهم.
- عندما يسألك شخص سؤالاً لا ترغب بإجابته، ابتسم واسأله: لماذا تريد أن تعرف؟
- ينطوي الحب الكبير والإنجازات العظيمة على مجازفاتٍ كبيرة.

- قل: «يرحمكم اللّه» عندما تسمع أحداً يعطس بعد تحميده.
- عندما تخسر السباق أو اللعبة، لا تفوّت الدرس والعبرة من ذلك.
- احترم نفسك، واحترم الآخرين؛ وتحمل مسؤولية أفعالك.
- لا تدع خلافاً يسيراً يقضي على الرابطة الأسرية الرحيمة.
- عندما تدرك خطأك؛ اتخذ خطوات حثيثة؛ لتصحيح الخطأ بدءاً بالاعتذار الصادق.
- ابتسم عندما ترد على الهاتف؛ لأن المتصل تصل إليه ابتسامتك عن طريق نبرة صوتك.
- اقض بعض الوقت وحدك للتأمل والتدبر بصورة منتظمة.

الفصل الحادي عشر

التربية الصحية للأبناء: النظافة والتغذية والتمارين الرياضية والنوم

- **مقدمة:**
  - الصحة في فترة الحمل
  - جرعات اللقاح (التطعيم) بعد الولادة: ما له وما عليه
    - الأثر البالغ لجرعات اللقاح (التطعيم)!
    - الآراء المعارضة للقاح (التطعيم)
    - اللقاح أعظمُ صفقة عالمية للصحة
- **النظافة والتنظيف**
- **بعض الممارسات الإسلامية في النظافة والتنظيف**
  - النظافة في دورة المياه
  - الشعر والأظافر
  - عادات صحية للجسم والروح
- **التغذية**
- **توجيهات الوحي عن التغذية**
- **قبسٌ من كلام الإمام الغزالي في آداب الطعام**
  - الإفراط في الطعام والتخمة
  - مشكلات زيادة الوزن في أمريكا وبريطانيا
- **حقائق عن الأولاد والتغذية**
  - التغذية أثناء فترة الحمل
  - التغذية من الولادة إلى ما قبل سن المراهقة
  - التغذية أثناء المراهقة
  - عيّنة نظام غذائي مقترح لما بين (٢-١٠ سنوات)
  - الأسئلة الشائعة
- **الأولاد وممارسة الرياضة**
- **لماذا كانت التمارين الرياضية مهمة لولدي؟**
  - سبل تشجيع الرياضة عند الأولاد
  - جدول تمارين رياضية مقترحة
  - الحذاء الصحي لرياضة الأولاد
- **النوم: أهميته وفوائده**
- **الآثار الصحية لقلّة النوم**
- **المسكرات: شرب الخمور والوقاية من تعاطي المخدرات**
  - الأولاد والإغواء
  - المؤشرات المبكرة لتعاطي المخدرات، وما العمل عند اكتشافها؟
  - واجب الآباء والأمهات لوقاية أبنائهم من المسكرات والمخدرات
  - الإدمان مقابل التواصل الأسري السليم
  - برامج الرعاية بعد المعالجة: استخدام الدين كوقاية
- **خرق القانون**
- **الأنشطة ٣٦-٤٢**

مقدمة

كان هناك مريض دائم الشكوى للأطباء من ألم حاد، فقال طبيبه: «أنت تنفق الكثير من الوقت والمال والجهد في حماية استثماراتك في الآلات والمباني، ولكنك تهمل أهم استثماراتك على الإطلاق ألا وهو بدنك.»

إن القول المأثور: «الوقاية خير من العلاج»، أو «درهم وقاية خير من قنطار علاج» سيحافظ على مصداقيته وصحته دائماً، وهذه حكمة توجب على الآباء والأمهات مزيداً من الاهتمام في تطبيق الوقاية، ويحسن بهم ألا ينتظروا وقوع ما يُلمّ بهم من كوارث أو مصائب أو أسقام وأوجاع وغيرها وما شاكلها حتى ينتفضوا ويتحركوا، فإن أي خطأ صحي ذي بال يُرتكبُ بحق الأطفال يحتمل أن يدمّر مستقبلهم، فالآباء والأمهات يتحملون في هذا الجانب مسؤولية مزدوجة، وهي صحتهم وصحة أطفالهم.

ومن المؤسف أن معظم الناس ينفقون قنطاراً على العلاج في وحدة العناية المركزة بدلاً من إنفاق درهم على الوقاية قبل نزول السقم وحلول الأمراض، إذ فعل المطلوب في الوقت المناسب شيء سهل ويسير، ولا يكلفنا كثيراً، ونتيجته مجزية جداً، في حين يسبّب التقاعس والتقصير في الأمور الصحية الندم والألم وما لا يُحمد، وتكون عواقبه وخيمة وأكثر خطورة حين يسبب ضرراً مستديماً للأولاد، ولا يمكننا تصور درجة الشعور بالذنب الذي يسببه إهمال صحة الطفل إذا أصيب بمرض كان من الممكن تفاديه بسهولة، أو إذا كان قد فات الأوان لفعل أي شيء، مهما حاول المرء من علاج أو أنفق من مال.

للصحة أولوية قصوى، وليس من الممكن أن ينعم المرء بأسرة جيدة، أو عمل مناسب، أو تعليم جيد، أو يقضي وقتاً طيباً، إذا كان لا يتمتع بصحة سليمة، فالعقل السليم في الجسم السليم، ولا يستقيم النمو العقلي والنفسي للطفل المريض كما هي استقامته عند الطفل المعافى.

وبما أن للصحة هذه المكانة العالية فالجدير ذكره العناية بها في تربيتنا لأبنائنا، وهي ما تسمى التربية الصحية، وتعرف الأخيرة أنها: تأهيل وتدريب الطفل على جميع الممارسات الصحية سواء ما يتعلق منها بالغذاء أو النوم أو النظافة أو ممارسة الرياضة، وحفظ البدن من الأضرار وغيره، وتعنى كذلك بالطفل في فترة الأجنة- منذ كان جنيناً في بطن أمه- قبل أن يخرج للحياة والعالم الخارجي. وتعد التربية الصحية مسؤولية والدية تستحق أن نعطيها القدر الكافي من العناية.



الصحة في فترة الحمل

تتحمل الأم الحامل مسؤولية كبيرة تجاه جنينها لإنجاب أطفال أصحاء، وينبغي عليها أن تحرص على تناول الأطعمة المغذية، والنوم الكافي، وزيارة الطبيب بانتظام، وممارسة التمارين الرياضية، كذلك تجنب مخاطر التعرض للعدوى البكتيرية وتعاطي المواد الضارة مثل: المخدرات والخمور، والتدخين؛ كونه من العادات المضرة للغاية، ويتعين على الأم تجنبه في فترة الحمل على وجه الخصوص؛ لأن الجنين يمتص كل شيء يحتاجه من أمه- المواد الغذائية والأوكسجين - عن طريق المشيمة والحبل السري، لذلك فإن التدخين لا يُلحق بالجنين السموم من

دخان التبغ فحسب، بل إنه يلحق أضراراً بالغة بوظيفة المشيمة أيضاً. واقرأ التحذير الآتي المكتوب على علب السجائر.

تحذير صحي
يسبب التدخين سرطان الرئة وأمراض القلب والشرايين، ومضاعفات خطيرة للحامل.

بيئة خالية من الدخان: إذا وُجِدَت الإرادة وُجِدَ الحل!

تستطيع الدول الحد من التدخين إلى حد كبير إذا قطعت على نفسها عهداً جادّاً، فقد حصل ذلك في الولايات المتحدة.

يافطة التدخين ممنوع - في عام ١٩٨٥ كان عدد البلديات الملتزمة بقانون خلو الأماكن الممنوعة من التدخين ٢٠٢، وبحلول عام ٢٠٠٣ زادت إلى ١٦٣١.

ومع ذلك، وبصرف النظر عن القانون، يحسن بالآباء والأمهات إبعاد أولادهم عن أجواء الدخان داخل المنزل وخارجه بكل الوسائل الممكنة.

إذا أصيبت الحامل بعدوى التهاب فيروسي فيتعين استشارة الطبيب على الفور لتجنب إلحاق الأذى بالجنين، ويحسن بها أن تقوم بالمراجعة الفورية للطبيب أثناء الرضاعة الطبيعية، فقد تسبب العدوى التي تنتقل للطفل العمى أو الصمم أو التخلف العقلي أو الفصام أو مرض التوحد، كما يتعين على الحوامل إجراء فحص الدم في أثناء الحمل؛ لتجنب الإصابة بأمراض الدم التي قد يؤدي بعضها إلى تلف دماغ الطفل أو حتى وفاته.

جرعات اللقاح (التطعيم) بعد الولادة: ما له وما عليه؟

نقدم هنا الآراء التي تؤدي وتعارض أخذ اللقاح؛ كي نتيح للآباء والأمهات الوصول إلى اختيار مدروس، فالطبيب يفحص الطفل، ولا سيما العينين والأذنين وردود الأفعال، كما يختن الذكور تجنباً للأمراض التناسلية والإلتهابات. ويدرك كثير من الآباء والأمهات ضرورة التلقيح، ويتبعون جدولاً زمنياً محدداً سلفاً من الطبيب، إلا أن ٨٠٪ منهم لا يدركون التوقيت المطلوب لأخذ اللقاح، فتعطى معظم اللقاحات قبل سن الثانية خلافاً للمواقيت الصحيحة لذلك.

الأثر البالغ لجرعات اللقاح (التطعيم)!



هناك ستة أمراض قاتلة في مرحلة الطفولة هي: الحصبة، وشلل الأطفال، والسل، والكزاز، والسعال الديكي، والدفتيريا، وهي تقتل ملايين الأطفال كل سنة، وأغلبهم من الذين يعانون من سوء التغذية أثناء الصغر، وضعف مقاومتهم للأمراض، فاللقاحات الواقية من هذه الأمراض معروفة منذ عقود عدة، وقد ثبت نجاحها في القضاء على هذه الأمراض في البلدان المتقدمة. فكل طفل تقريباً في أمريكا ملقح من أمراض الطفولة الرئيسة، ولكن لا يزال ٢٠٪ من الأطفال في البلدان النامية لا يستطيعون الحصول على اللقاحات اللازمة، ويموت كل عام ما يقرب من ثلاثة ملايين طفل في العالم بسبب الأمراض التي يمكن الوقاية منها عن طريق التلقيح.

(For the Children: The Gift of Health, Education, and Hope," Donation Pamphlet, UNICEF", 2003)

اقرأ قصة اكتشاف اللقاح الآتية لأبنائك:

«جاء الدكتور إدوارد جينر (Edward Jenner) بفكرة التطعيم المبتكرة عام ١٧٩٦، وتعد قصته من روائع قصص الإبداع. هناك عدة أنواع من الأفكار الجيدة في الطب: الواضحة، وغير الواضحة، والنوع الذي اخترعه الدكتور جينر حيث علم من جيرانه في بلدة جلوسترشاير الريفية، في إنجلترا، أن أحد الأشخاص الذين أصيبوا بمرض جدري البقر لم يصب بالجدري الفتاك، فظنَّ أن المرض الأول يطلق دفاعات الجسم التي تتصدى للمرض الثاني فتتغلب عليه، بدت الفكرة لزملائه لا عقلانية، إذ لم يكونوا قد عرفوا آنذاك مفهومي «الجهاز المناعي» و«الجراثيم» (Carmichael, 2007)، ومع ذلك آمن جينر بفكرته، وكذلك آمنت بالفكرة أم لطفل أصيب بالمرض، فسمحت للطبيب بتجريب الفكرة على ابنها جيمس فيبس البالغ ٨ سنوات، جمع الطبيب القيح من النساء حالبات البقر في مزرعتها اللاتي أصبن بالمرض في الربيع وحقن به الصبي، وانتظر بعد ستة أسابيع فحقن الصبي بالجدري، ثم انتظر وقتاً أطول إلى أن تأكد من أن الطفل جيمس لن يصاب بالمرض، ثمَّ أعلن جينر بزوغ فجر عصر جديد باكتشاف اللقاح، لقد ظن الناس أن جينر شخص مجنون عندما اقترح فكرته المبدعة؛ وهذا شأن المكتشفين والمخترعين في معظم الأحيان.

أحدث اكتشاف اللقاح تغييراً كبيراً في العالم بعد القضاء على الجدري، وتخلص العالم المتقدم كذلك من شلل الأطفال والحصبة، لقد كان واحداً من أهم الابتكارات الطبية في القرنين الماضيين، ومن أكثر الابتكارات اقتصاداً في التكلفة؛ إذ إن اللقاحات لا تشفي من المرض، لكنها تمنعه، فإذا لُقِّح ١٠٠ شخص وتمتعوا بصحة جيدة فهذا سيحمي آلاف الآخرين من الإصابة.

وهكذا تنقذ اللقاحات أعداداً لا تعدّ ولا تحصى كل عام، لكنها -ويا للأسف- لا تزال غير متوفرة لملايين البشر في مناطق شاسعة من إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، إذ لا يحصل الأطفال في هذه البلدان على أي أو بعض من اللقاحات الأساسية المتوفرة في البلدان المتقدمة، فيموتون نتيجة لذلك. ولا يوجد الآن لقاح ضد أمراض عالمية قاتلة كالإيدز والسل والملاريا، وهي تقتل ٦ ملايين نسمة كل عام، على الرغم من التقدم الكبير في العلوم الطبية الحديثة.

الآراء المعارضة للقاح (التطعيم)

نحب أن نورد بعض الآراء المعارضة للتطعيم للأمانة العلمية على الرغم من الفوائد الكبيرة للتطعيم، الذي ننصح به الآباء لإنقاذ أولادهم من الأمراض الفتّاكة، حيث لا يدرك معظم الناس الآثار الجانبية المحتملة للقاحات أثناء الطفولة، فالمعارضون للتلقيح يؤكدون أن السبب الكبير لنجاح اللقاح يُعزى للتقدم الملحوظ في مجال الوعي الصحي عامة، خاصة في ما يتعلق بتوفر المياه النظيفة والصرف الصحي، وقلة الازدحام في السكن، والتغذية الجيدة، والمستويات المعيشية العالية للسكان بصورة عامة.

«تحتوى اللقاحات والطعوم جميعها مواد كيميائية سامة، وحمضاً نووياً من الأنسجة الحيوانية والأجنّة المجهضة، والبروتينات الغريبة، وذلك في شكل فيروسات أو بكتريا حية أو ميتة، وتستند تقنية اللقاح الحالية على فرضيات علمية قديمة عمرها أكثر من مائتي سنة، تنص على أن اللقاحات والمطاعيم «تحفز بأمانٍ استجابة الجسم المناعية».

تسبب إضافة المواد الكيميائية السامة إلى اللقاحات مشكلات في الجهاز المناعي والعصبي؛ لأن الجسم لا يستطيع التخلص من المواد الضارة بسهولة، وهي تتراكم في أنسجة المخ وأنسجة الأعضاء، وتتلف الأعصاب، وعندما لا يتخلص الجسم من البروتينات الخارجية والحمض النووي تخلصاً كاملاً، أو يحيد تأثيرها بواسطة النظام المناعي للجسم، فإنها تخترق الجسم عبر الأغشية الخلوية».

(dangersof vaccines.com)

إضافة لذلك فإن الجهاز المناعي يستغرق سنوات ليتطور بالكامل بسبب تعرضه للبكتيريا والفيروسات التي يتدرب الجسم على التخلص منها مع الحمى، والمخاط، والتعرق والطفح الجلدي، كما يحرم اللقاح الأطفال من فرصة الحصول على هذه المناعة الطبيعية التي تدوم مدى الحياة من الأمراض غير الضارة نسبياً مثل: الحصبة والنكاف، والحصبة الألمانية، وجدري الماء والسعال الديكي، كذلك يجعل اللقاح الجسم في حال من التأهب والتيقظ لشيء قد لا يحدث أبداً، ولذلك فيحتمل أن يكون النظام المناعي معرضاً لشدة التأثر والإصابة بالحساسية.

يذهب المعارضون للقاح إلى القول إن الصحة الجيدة؛ هي أفضل وسيلة لتوفير المناعة والتحصين ضد المرض. فليست الجراثيم «قابعة في الخارج» متهيئة للنيل منا. وإذا كنا أصحاء داخلياً، فإن الجسم يقوى على مقاومة نزلات البرد والأنفلونزا والحصبة وكل شيء حولنا، فالمفتاح هو مدى قابلية الجسم للمرض.

(Head, 1999) و (Sinclair, 1995)

ونحب أن نكرر هنا أن نترك للآباء وللأمهات حرية الاختيار المدروس بالتشاور مع أطبائهم في التطعيم أو عدمه، كما يوصي أطباء الأطفال أن يُفحصوا فحصاً طبياً في سن السادسة، والثامنة، والعاشرة، وسنوياً ابتداء من سن الحادية عشرة فصاعداً، وتكمن مزايا الفحوصات في أنها تكشف المشكلات الصحية مبكراً، وبذلك يمكن علاجها علاجاً فعالاً. وإلا قد تتحول إلى أمراض مستعصية، وتقدم بعض الدول فحوصاً طبية لطلبة المدارس الابتدائية في بداية كل عام دراسي، وهو عمل يستحق الكثير من الثناء والإطراء، حيث تحدد أمراض الأطفال مبكراً مثل: ضعف السمع، أو البصر، أو النطق. وينبغي على الآباء والأمهات التركيز على الوقاية من الأمراض، فضلاً عن التطعيم، وذلك بتوفير الحد الأدنى على الأقل من ضرورات الصحة، وهي: النظافة، والتغذية، والنوم، وممارسة الرياضة، وهو ما ستتناوله الأوراق اللاحقة بالتفصيل.

اللقاحُ أعظمُ صفقة عالمية للصحة

إن ١٥ دولاراً قد تحمي طفلاً، في الوقت الذي أحرزنا فيه مكاسب كبيرة في العقدين الماضيين بتحصين أكثر من ٨٠ ٪ من أطفال العالم؛ فلا يزال أكثر من مليون طفل يلقون حتفهم كل عام بسبب غياب الخدمة الصحية الأساسية العامة ذات التكلفة الزهيدة.

النظافة والتنظيف

تعد النظافة خط الدفاع القوي والفعال لدى البشر ضد البكتيريا والعدوى الفيروسية، وعادة ما تكون اليدان السبب الرئيس في انتقال العدوى إلى الجسم، وذلك عندما يلمس الإنسان العين أو الفم أو الأنف أو الأذنين، ومن هنا، فإن غسل اليدين عدة مرات في اليوم يفوّت الفرصة على الجراثيم لدخول الجسم ويجعل مثواها مجاري الصرف الصحي عبر المغاسل.

قدمت الكاتبة الأمريكية روز وايلدر لين (١٨٨٦-١٩٦٨) أمراً مثيراً للاهتمام، في كتابها اكتشاف الحرية *(The Discovery of Freedom)* أن «الناس يتهمون النبي محمد أنه متعصب، لكنني وجدت أنه كان متعصباً لأمر واحد فقط – ألا وهو النظافة والتنظيف».

ذكر رسول الله ﷺ فضل الوضوء خمس مرات قبل الصلوات: «مثَلُ الصلوات الخمس كمثَلِ نهرٍ جارٍ غمرٍ – أي الكثير – على بابِ أحدِكم يغتسلُ منه كلَّ يوم خمسَ مرات» (مسلم)، وفي رواية جعل النبيﷺ الوضوء تطهيراً للبدن من الأدران– أي الأوساخ– وتطهيراً للنفس من الذنوب والخطايا. فقال: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا» (مسلم).

مفهوم النظافة بين الرجل والمرأة



من حيث نظافة اليدين فتعد النساء أكثر نظافةً من الرجال في الولايات المتحدة وبريطانيا، وفي ضوء دراسة أعدتها جامعة ولاية ميتشجن الأمريكية على المراحيض العامة في الحانات والمطاعم والمباني العامة، وجد أن ١٥٪ من الرجال لم يغسلوا أيديهم في مقابل ٧٪ فقط من النساء، كما أنه من بين من غسلوا أيديهم فقط ٥٠٪ من الرجال استخدموا الصابون مقابل ٧٨٪ من النساء، كما أظهرت الدراسة أيضاً أن ٥٪ فقط من الأفراد الذين استخدموا المراحيض قاموا بغسل أيديهم مدة كافيةً لقتل الجراثيم التي تسبب الأمراض. وفي الإجمالي ٣٣٪ من الأفراد لم يستخدموا الصابون و ١٥٪ لم يغسلوا أيديهم على الإطلاق.

وفي إنجلترا تم مقابلة المارة في محطات البنزين على الطرقات السريعة العامة أدعى فيها ٩٠٪ منهم أنهم قاموا بغسل أيديهم بعد استخدامهم للحمامات. في حين رصدت أجهزة التسجيل الإلكترونية أن فقط ٣٢٪ من الرجال و٤ ٪ من النساء قاموا بغسل أيديهم بالفعل. ووجد أن وسيلة الدفاع الأفضل للوقاية من انتشار الأمراض هي غسل اليدين بإتقان مدة ما بين (١٥-٢٠) ثانية بالماء والصابون.

سؤال: كيف كانت السلطات الإسبانية تكتشف أيام «محاكم التفتيش» القاسية للمسلمين واليهود، أولئك المسلمين الذين يتظاهرون أنهم نصارى بعد إجبارهم بالقوة على التنصير؟

الإجابة: كانوا إذا لاحظوا أن الشخص يحافظ على النظافة عرفوا أنه لا يزال مسلماً وأنه يتظاهر بالنصرانية أمام السلطات (أحمد، ١٩٩٧).

بعض الممارسات الإسلامية في النظافة والتنظيف

يتجاوز الهدي النبوي في النظافة والتنظيف مسألة غسل اليدين والوجه والقدمين خمس مرات في اليوم، فيدعو إلى غسل اليدين قبل تناول وجبة الطعام وبعدها، وبعد استخدام بيت الخلاء، ويحث على الحفاظ على الصحة العامة. والنظافة كانت من أهم إسهامات الإسلام في مجال الطب. ونستطيع أن نجزم بأن المياه النظيفة، والنظافة الشخصية السليمة، أنقذت أرواحاً أكثر مما فعلته كثير من أنواع المضادات الحيوية. وكان سبب ذلك الالتزام عند المسلمين، وهو الاقتداء بأفعال النبي ﷺ وأقواله، كمثل قوله: «الطهورُ شطر الإيمان» (مسلم)، و «إنّ لجسدك عليك حقاً» (البخاري).

وكان النبي محمد ﷺ يستعين بالطب التقليدي المتعارف عليه في عصره عندما كان يمرض، وأحياناً كان يصف العلاجات للناس، كما كان النبي ﷺ فرداً قوياً ويتمتع بصحة جيدة، ويشارك في الكثير من الأنشطة البدنية الشاقة (بما في ذلك مشاركته في العديد من المعارك وحفر الخندق عندما كانت المدينة المنورة على وشك أن تتعرض للهجوم)، كذلك كان يصعد سنوياً إلى غار حراء الشديد الارتفاع والصعب المسلك، وكان ذلك يتطلب جهداً بدنياً كبيراً.

يتعين على الآباء والأمهات بجعل النظافة الشخصية أولوية عند أبنائهم من أول يوم يولد فيه الطفل، وأول ما يعلمه له هو النظافة، باعتبار الأطفال أكثر

تعرضاً للاتساخ من الكبار، ويجدر الاهتمام بالنظافة الشخصية للأطفال، فهم بعد فترة زمنية سيتحملون مسؤولية الصلاة والصوم والالتزامات الدينية الأخرى، مثلهم مثل الكبار، لذلك كان من المهم إعدادهم جيداً، والحفاظ على أجسادهم وملابسهم والبيئة المحيطة في الأوقات كلها.

النظافة في دورة المياه

يفرض الإسلام الحفاظ على الملابس الداخلية ومواضع العفة نظيفة قدر الإمكان، باعتبار الطهارة شرطاً من شروط الصحة للعبادات؛ لذا يوصى بتغيير الملابس الداخلية والجوارب يومياً لتجنب الروائح المكروهة، وإذا وقع البول على الملابس فينبغي غسلها لإزالة أي لون أو رائحة عنها، وينصحنا النبي ﷺ بتنظيف أنفسنا جيداً بعد استخدام المرحاض، وهو ما يسمى في كتب الفقه (آداب الاستنجاء)، وذلك بإزالة جميع آثار البول أو البراز بالماء أو بشيء نظيف وجاف، مثل ورق التواليت، ويستحسن الاثنين معاً إذا توفرا، بحيث لا يبقى أي أثر للأوساخ أو النجاسات على الأمكنة التي جرى تنظيفها، وينبغي أن يتوافر في منزل المسلم خرطوم رش خاص بجوار المرحاض، أو وعاء ماء لاستخدامه لهذا الغرض، وتستخدم اليد اليسرى للتنظيف واليد اليمنى لتناول الطعام، وذلك كاحتراز احتياطي يقينا من أي جراثيم يمكن أن تكون عالقة باليد اليسرى، رغم غسل المرء ليديه بالصابون بعد استعمال دورة المياه.

كما يفضل تجفيف مواضع العفة بعد التنظيف بالماء (خاصة للإناث) لمنع العدوى التي يمكن أن تحدث بسبب الملابس الداخلية الرطبة أو نمو الفطريات، وعلى الإناث أن يمسحن من الأمام إلى الخلف وليس من الخلف إلى الأمام. ويوصى أيضاً بارتداء ملابس داخلية قطنية فضفاضة، لأنها تعين على توفر تهوية مناسبة للأعضاء الداخلية وتجف بسرعة أكبر من الملابس الداخلية المصنوعة من النايلون أو البوليستر الصناعيين وينبغي غسل اليدين بالصابون بعد استخدام دورة المياه؛ للتأكد من إزالة أي رائحة أو أوساخ تحت الأظافر أو حولها. وقد شدد الرسول ﷺ على تقليم الأظافر بصورة دورية.

هل تعلم أن ٩٨ ٪ من إصابة الأطفال بالعدوى تأتي من وضع أيديهم في فمهم؟ امنع ذلك عن طريق استخدام اللهايات النظيفة. (Gookin,1996)

الشَّعر والأظافر

يعد الشَّعر الذي ينمو تحت الإبطين وحول مواضع العفة مصدراً للروائح المنفّرة، حيث يوفر بيئة مثالية لنمو البكتيريا بوجود الرطوبة وعدم التعرض للشمس، وتقلل إزالة هذا الشعر من رائحة الجسم، وتصبح الفرص أقل للإصابة بالمهيجات المزعجة، مثل: الحكة أو القمل. قال رسول الله ﷺ: «من الفطرة: حلقُ العانة، وتقليم الأظفار، وقص الشارب». (البخاري).

يُزال شعر الإبط وشعر العانة باستخدام طرائق سهلة وسريعة نسبياً، مثل النتف والحلق، أو باستخدام عدد من الكريمات والمراهم الخاصة، أو باستخدام تقنية الليزر الجديدة التي ليس فيها أضرار على الصحة ما دامت منضبطة بالمعايير الطبية، وتعد إزالة الشعر مرة واحدة كل أربعين يوماً كافية، أو كلما نما نمواً زائداً، ويوصى باستخدام مزيل طبيعي لعرق الإبط، خاصة قبل البدء في ممارسة الرياضة أو الذهاب إلى المدرسة أو للمسجد، وذلك لتفادي إيذاء الآخرين، كما ينصح باستخدام مزيلات العرق الطبيعية، أما مانعات التعرق؛ فهي مؤذية ويحسن تجنبها.

لا يحبذ الإسلام عادةً ترك الأظافر تطول، حيث إن الأظافر الطويلة بؤرة لتجمّع الأوساخ، ويمكن أن تؤدي إلى نقل الأمراض للآخرين خاصة حين إعداد

الطعام، مع العلم أن طلاء الأظافر يمنع وصول الماء إليها، وبذلك لا يكتمل الوضوء على الوجه الصحيح، لذا على المرأة المسلمة أن تراعي ذلك عند الصلاة وتتنبه إليه، كما يجوز صبغ الأظافر بالحناء؛ لأنها لا تغلف سطح الظفر، ومن المندوب أيضاً للرجال استخدام الروائح والعطور الطبيعية، خاصة قبل الذهاب إلى المسجد، ويجوز للنساء وضع العطور ولكن داخل المنزل، ما دامت تخلو من الرجال غير المحارم فيها.

هل تنظف لتعيش أو تعيش لتنظف؟ تجنب التطرف!

- حصلت امرأة على لقب «السيدة النظيفة»؛ لأنها كانت نظيفة بإلحاح للغاية، فهي لا تعيش إلا لتتنظف، وكان بيتها بيئة معقمة ناصعة، وجعلت حياة أولادها كالجحيم؛ لأنها حرمتهم من فرحة اللعب والاختلاط بالآخرين حتى لا يتسببوا في أي فوضى أو توسيخ للمنزل، لقد كان منزلها نظيفاً جداً، لدرجة أنه كان نظيفاً طارداً للسعادة التي لم تسمح لها السيدة نظيفة من دخول البيت، والسبب أن السعادة غير نظيفة بما فيه الكفاية لتستحق أن تدخل بيتها! لقد ضحت بالسعادة والاستقرار من أجل هوسها بالنظافة المفرطة. يحسن أن يسمح للأولاد بقدر من الفوضى المقبولة، ومن النوع الذي يمكن تنظيفه في وقت لاحق، ويعد الهوس بأي شيء أمراً غير طبيعي، بما في ذلك الهوس بالنظافة.
- روى طبيب ذات مرة حالة مريض نفسي في مستشفى للأمراض العقلية كان يغسل يديه بالصابون بعد كل مصافحة للآخرين، حتى بعد مصافحته الكادر الطبي المتخصص بما فيهم الأطباء.
- يتعين أن يتعلم الأطفال في وقت مبكر غسل أيديهم قبل تناول الطعام وبعده؛ حتى يغدو ذلك من عاداتهم.

عادات صحية للجسم والروح

- الرضاعة الطبيعية للأطفال (على ألا تتعدى العامين).
- الختان.
- غسل الجنابة واجب لدى الزوجين كما يؤكد على غسل يوم الجمعة.
- الامتناع المؤقت عن ممارسة الجنس مع الزوجة الحائض والنفساء حتى تطهر.
- الاستحمام دورياً، والوضوء لأداء الصلوات الخمس.
- غسل اليدين بالصابون قبل تناول الطعام وبعده، وبعد الخروج من دورة المياه.
- العناية بالأسنان باستخدام السواك (وهو ما يعادل اليوم فرشاة الأسنان ومعجون الأسنان).
- النوم في الليل والعمل في النهار، حيث جعل الله الليل لباساً والنهار معاشاً.

يقولون إن النظافة «نصف الإيمان»، ولأسباب صحية أيضاً يحرّم القرآن الكريم تناول لحم الخنزير، والمنتجات التي تحويه، والجيف، والدم، وأنواع المسكرات جميعها، والصيام من الفجر حتى غروب الشمس يومياً مدة شهر في كل سنة في شهر رمضان، ومن شأن الصيام أن يمنح الراحة الصحية والنفسية للجسم، فضلاً عن العديد من الفوائد الطبية، كذلك يحقق للنفس التأمل والذكر وأداء الصلاة والراحة والطمأنينة.

يقلل ختان الذكور ٥٠٪ من احتمالية الإصابة بمرض الثآليل التناسلي (Human Papilloma Virus HPV)، الذي يأتي من التهابات عنق رحم المرأة، وفي بعض الحالات النادرة يمكن أن يؤدي إلى سرطان عنق الرحم في عمر ٢٤ سنة، ويعد مرض الثآليل التناسلي بين الأمراض الأكثر شيوعاً المنقولة جنسياً في الولايات المتحدة الآن.

وفي ما يأتي توجيهات إسلامية طبية مهمة للحياة:

- يتعين الحفاظ على حق الحياة للإنسان.
- يسمح بنقل الدم بعد فحص تام ودقيق.
- لا تجوز مساعدة الآخرين على الانتحار، كما لا يجوز الإجهاز على المريض، حتى لو كان الشفاء بعيد الاحتمال.
- لا يجوز التشريح ما لم ينص عليه القانون أو المصلحة الاجتماعية.
- لا يشجع إبقاء المريض الذي على وشك الموت على أجهزة اصطناعية لفترة طويلة (هناك من يعتبر ذلك قتلاً رحيماً) مع الامتناع عن إبقائه في حالة غيبوبة.
- لا يسمح بالإجهاض إلا إذا أريد به إنقاذ حياة الأم أو نتيجة للاغتصاب، وكذلك عند وجود عيب خَلْقي أو عقلي حسب بعض الآراء، ويرجع فيه إلى أهل الاختصاص من الجانبين الطبي والفقهي.
- يشجع على التبرع بالأعضاء.
- يسمح بزراعة الأعضاء (مع بعض القيود).
- يسمح باستخدام تقنية الإنجاب الاصطناعية بين الزوج والزوجة، وذلك أثناء فترة زواجهما فحسب.
- يُحرَّم عمل قوم لوط والسحاق وممارسة الجنس خارج إطار الزواج.
- يؤكد الإسلام على كتابة الوصية للفرد، وكذلك إعداد وكالة طبية قانونية موثقة لاستخدامها عند العجز عن اتخاذ القرارات الخطيرة في أثناء استفحال المرض.
- الهندسة الوراثية لعلاج الأمراض جائزة، ولكن الاستنساخ يتطلب المزيد من البحوث الطبية والفقهية للنظر في جوازه.



التغذية

تعد فترة أول ألف يوم؛ هي أهم فترة في التغذية في حياة أي إنسان. (الإيكونوميست، ٢٦ مارس ٢٠١١) فالتغذية السليمة ضرورية لسلامة الطفل وعافيته، وليس كل الأطعمة التي تقدم له مغذية ومفيدة. فليس الطعام هو ما نحب تناوله، ولكن هو الذي يمدنا بالتغذية الصحية وما يحتاجه الجسم.

يجدر بالأمهات في السنتين الأوليين إرضاع أطفالهن رضاعة طبيعية ما أمكن؛ لما فيها من فوائد عاطفية وبدنية وعقلية واجتماعية ونفسية للطفل، كما يحسن بالأبوين توفير تغذية متوازنة للطفل قبل الفطام، وبعده، إذ يتعين أن تشمل الوجبات اليومية للطفل المكونات الغذائية جميعها، مثل: منتجات الألبان، والحبوب والفواكه، والخضروات، واللحوم، إذ توفر هذه المجموعات الغذائية، الفيتامينات، والمعادن الأساسية للنمو، كما يلزم غسل الفواكه والخضروات

جيداً؛ لأنها قد تحوي البكتيريا، والمواد الكيميائية، والتلوث، والأتربة.

ويذكر القرآن الكريم الكثير من المصادر الغذائية الضرورية المعروفة والنافعة، وهي تشمل مختلف أنواع اللحوم (البقر، والإبل، والضأن، والماعز، والطيور والمأكولات البحرية) والحبوب (القمح)، والبقول (الفول والعدس)، والمكسرات، والفواكه، والخضروات (العنب، والتين، والزيتون، والرمان، والتمر، والبصل، والثوم، والخيار).

وكذلك ذكر القرآن الكريم الحليب والعسل، حيث يصف القرآن العسل أن فيه علاجاً وشفاء للناس، فيحسن تشجيع الأطفال على أكل العسل بانتظام بعد العام الأول من العمر، وعلى الآباء والأمهات التعامل مع سائر الأطعمة بتوازن قدر الحاجة؛ لئلا يصل الطفل إلى مرحلة الإفراط أو التخمة، وهو ما سنفصله في الصفحات التالية، كما لا ننسى أن عليهم توفير مياه نقية وخالية من المواد الكيميائية قدر الإمكان لأولادهم.

توجيهات الوحي عن التغذية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٨٧ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾ (المائدة: ٨٧- ٨٨).

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١).

﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٢).

﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٦٨-٦٩).

﴿ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ١٩) .

﴿ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴾ (الواقعة: ٢٠-٢١).

قال النبي ﷺ : «ما ملأ ابنُ آدم وعاءً شراً من بطنه بحسبِ ابنِ آدم لقيماتٌ يُقِمْنَ صُلبَه، فإنْ كان لا محالة فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنَفَسه» (سنن الترمذي).

ونلخص دلالات النصوص الشرعية بالآتي:

- تناول أنواع الطعام جميعها باعتدال، وتناول القليل من كل شيء وليس الكثير من شيء واحد.
- أن تكون نباتياً كاملاً يتطلب ذلك الكثير من المعرفة والخبرة، فاحرص على أن يشمل طعامك كميات معتدلة من اللحوم.
- تجنب أكل لحم الخنزير والجيف وشرب الخمور وتعاطي المخدرات وشرب الدخان، فهذه لا تمت للغذاء الصحي بصلة وهي ضارة وغير نقية.
- لا تملأ معدتك تماماً، وتوقف عن تناول الطعام وأنت راغب في تناول المزيد.
- أضف العسل إلى نظامك الغذائي اليومي، ففيه شفاء وعلاج.
- تناول زيت الزيتون باعتدال، فهو يمدك بـ HDL، الكولسترول الصحي، ويقلل من الكولسترول الضار LDL.
- تجنب تناول أي أطعمة بها مواد كيميائية، ومبيدات حشرية، ومواد اصطناعية مضافة وحافظة (Preservatives).

وصفة غريبة من طبيب الأطفال

عندما استلم الأب من الطبيب ظرف الوصفة الطبية لابنته المريضة، وجد ١٠ دولارت مع مذكرة من طبيب الأطفال يقول فيها: «اشترِ وجبة جيدة ونافعة لابنتك، فهي تعاني من سوء التغذية.»

هذه الحادثة هي من الأمثلة التي تدل على مدى إهمال الوالدين توفير الأغذية الصحية الضرورية لأولادهم كي ينموا نمواً سليماً، فنمط الحياة السريعة وصراعها اليومي المحموم أدى بالآباء والأمهات إلى إهمالهم توفير الطعام الطيب المغذي والمفيد لأولادهم، فيتعين على الآباء والأمهات توفير الاحتياجات الأساسية لأطفالهم من الغذاء الصحي المفيد في السنوات الأولى من نموهم قبل فوات الأوان، فكلا الاحتياجات المادية والنفسية ضرورية لهم.

- تناول الفواكه قبل الطعام (الوجبة الرئيسية) لا بعدها، وهو الترتيب الذي أشارت إليه الآيتان (٢٠-٢١) من سورة الواقعة.

قبس من كلام الإمام الغزالي في آداب الطعام

ذكر الإمام الغزالي (١٠٥٨-١١١١م) في كتابه (إحياء علوم الدين) فصل «رياضة النفس وتهذيب الأخلاق» عدداً من آداب الطعام سيما بحق الطفل، وواجب التربية الوالدية بتعليمه تلك الآداب، وتمت إعادة صياغتها بصورة مبسطة تتمثل بما يأتي:

١- «أول ما يغلب على الطفل من الصفات شره الطعام، فينبغي أن يؤدب فيه، ويأخذ الطعام بيمينه، بعد البدء باسم الله، والأخذ مما يليه.

٢- يحسن بالمسلم ألا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وألا يحدق النظر إلى من يأكل، وأن لا يسرع في الأكل، وأن يجيد المضغ، وأن لا يوالي بين اللقم، ولا يلطخ يده ولا ثوبه بالطعام.

٣- وينبغي أن يذم أمام الصبي من هو أكول شره، ويذمّ عنده كثرة الطعام، ويمدح عنده الصبي المتأدب بالآداب والأخلاق وقليل الطعام.

٤- يتعين أن يحبب إليه إيثار غيره بالطعام، وعدم المبالاة به، والقناعة بالمتوفر منه، وأن يأكل من الطعام أياً كان نوعه، وأن يقاوم الرغبة الشديدة في الطعام والشراب والملابس الفاخرة.

٥- تؤدي كثرة الطعام في سن الطفولة إلى السمنة لاحقاً في سن البلوغ، وتسبب البدانة أمراضاً عديدة»

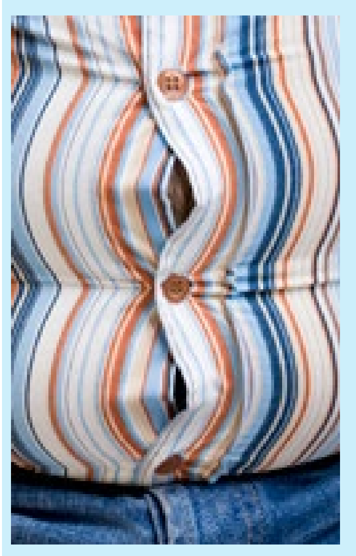
(الغزالي، إحياء علوم الدين، مج ١، ج٤، ص ٦٥٢).

الإفراط في الطعام والتخمة

يتعين على الأولاد تناول المأكولات المغذية بأنواعها المختلفة، لكن بتجنب الإفراط في ذلك، ويؤكد القرآن الكريم: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١).

فانتبه لما يدخل جسمك «القويم»، وتذكر أن ما تأكله يؤثر عليك، وتعلّم أن «تأكل لتعيش» وليس أن «تعيش لتأكل»، وهناك فكرة خطأ شائعة، وهي أن الطفل البدين يتمتع بصحة جيدة، وهذا ليس صواباً. ومع ذلك، وبخلاف الأمر مع البالغين، يعد تناول نسبة معينة من الأطعمة التي تحتوي على الدهون والزيوت للطفل أمراً جيداً وصحياً.

مشكلات زيادة الوزن في أمريكا وبريطانيا



مشاكل السمنة المفرطة في أمريكا وبريطانيا

- نحن شعب يأكل بعينه وليس بمعدته، فكلما زادت رؤيتنا للطعام أكثرنا من لأكل. (Dr. Sanjay Gupta CNN,2008)
- أيها الآباء: لديكم الفرصة لوضع الطعام الصحي أمام أبنائكم في الأماكن المناسبة بمنازلكم.
- يعد أكثر من ثلث (٣٥٪ أو ٧٨,٦ مليون) البالغين بأمريكا من البدناء وهم (٣٦٪ من النساء و٣,٥ ٪ من الرجال) وأكثر من الثلثين من ذوي الوزن الزائد أي ما يعادل (٦٦٪ من النساء ٧١٪ من الرجل)، كما يعد حوالي ١٧ ٪ من الأطفال ما بين سن ٢ الى ١٩ من البدناء و٣٢٪ إمّا من البدناء أو من ذوي الوزن الزائد، كما أن أكثر من طفل من بين كل ١٠ أطفال يصبحون بدناء مبكراً فيما بين عمر سنتين إلى خمس سنوات.

(Statistics for 2012–2001; CDC and FRAC)

فقد تضاعف معدل السمنة المفرطة منذ ١٩٧٠، ويطلق مصطلح زيادة الوزن أو الوزن الزائد على من هم يعانون من وزن يفوق وزنهم المثالي بمقدار ٢٠٪.

- تعد بريطانيا أعلى نسبة سمنة مفرطة على مستوى أوروبا الغربية، حيث تضاعفت نسبتها ثلاث مرات خلال آخر ٣٠ عاماً. وأظهرت إحصائيات بريطانية لعام ٢٠١١ أن ٢٥ ٪ من البالغين من البدناء و ٦٢٪ يعدون بدناء أو من ذوي الوزن الزائد؛ وهذه النسبة هي ٢٤٪ من الرجال و ٢٦٪ من النساء هم من يحسبون من البدناء و ٦٥٪ من الرجال و ٥٩٪ من النساء إما من البدناء أو من ذوي الوزن الزائد، فتقريباً يعد ٣ من كل ١٠ صبيان أو بنات ما بين عمر ٢ الى ١٥ من ذوي الوزن الزائد أو من البدناء وأكثر من ١٦ ٪ هم بالفعل من البدناء. (NHS, 2013).
- يعد مرض السمنة المفرطة لدى الأطفال في ازدياد بمعدل أسرع منه لدى الكبار، ووفقاً للـ CDC، فإن السمنة المفرطة لدى الأطفال تضاعفت وزادت أربع مرات عند المراهقين في خلال آخر ٣٠ عاماً في أمريكا، والأسباب الرئيسة للسمنة المفرطة أو البدانة هو أسلوب الحياة القائم على قلة الحركة، والإفراط في تناول الطعام، وأيضاً تناول مأكولات ومشروبات ضارة وغير صحية.

التغذية المتوازنة ونوعية الغذاء الذي نتناوله أمر بالغ الأهمية؛ فقد يعاني الطفل من سمنة مفرطة، ولكنه في الوقت نفسه يعاني من سوء التغذية، ودور الوالدين كبير في تأهيل الأطفال على تطوير عادات أكل طعام صحية، وهو جزء مهم من التربية الصحية.

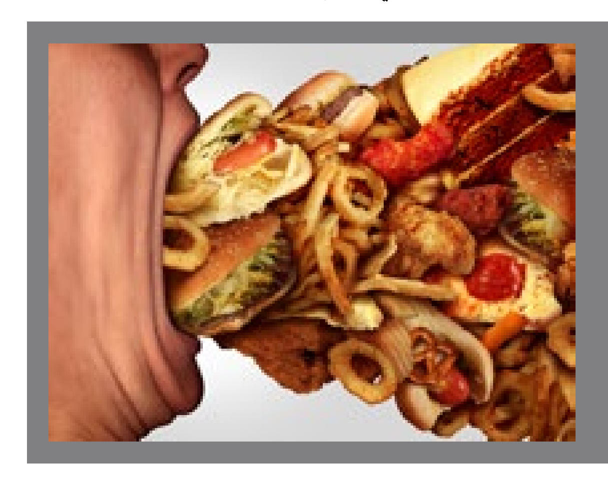
الطفل الذي رفض أن يقول الحمد لله

دعا أحدهم ضيفاً على وجبة الإفطار، فقال الضيف لابنه في عمر السابعة، بعد أن أكل ٤ بيضات، و٤ شرائح من الخبز، وفطيرة جبن مشوي: «يا بني، قل الآن: الحمد لله». رد الابن: «ولكن يا أبي ما زلت جائعاً ولم أنته بعد، لا أريد أن أقول الحمد لله الآن! عند ذلك أدرك المضيف السبب في أنه لم يستطع حمل الولد من الأرض عندما حاول ذلك. لقد كان الطفل بديناً حقاً!

يتعين على الآباء والأمهات الحذر من إفراط أولادهم في الأكل (التخمة)، قال النبي ﷺ: (ما ملأ ابنُ آدم وعاءً شراً من بطنه، بحسبِ ابنِ آدم لقيماتٌ يُقِمْنَ صُلبَه، فإنْ كان لا محالة فاعلاً فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنَفَسِه) (سنن الترمذي).

وأسفرت نتائج أجراها باحث من الدنمارك أن المراهقين في الولايات المتحدة هم الأسمن مقارنة بالمراهقين في ١٥ دولة متقدمة، ويأكل ما يقارب من ثلث الأطفال في الولايات المتحدة الوجبات السريعة في كل يوم. ووجد أن سوء التغذية، هو العامل الرئيس في وفاة الملايين من الأطفال في أنحاء العالم، ويسبب للملايين الشلل، ويضعف من مقاومة الجسم للأمراض، وهو من أسباب الإعاقة الذهنية، وتلعب مسألة تغذية الأطفال الدور الأكثر تأثيراً في مرحلة ما بين الحمل وحتى سن الثالثة (اليونيسيف، ٢٠٠٣).

إذا رغبنا تشكيل بيئة غذائية سليمة لأطفالنا وتربية صحية لائقة يتعين علينا توفير بيئة بيتية خالية من الوجبات السريعة؛ كونها وسيلة مفيدة مهمة في ذلك، كما أنها أكثر فعالية من إجبار الأطفال على تناول ما هو مفيد لهم؛ إذ يسبب تناول الفتيان الطعام بشراهة زيادة حجم بطونهم، وعند الفتيات زيادة في حجم مفاصلهن وصدورهن وأردافهن.



يحفر الإنسان قبره بأسنانه!

حقائق عن الأولاد والتغذية

يندرج أسفل هذا العنوان معلومات وحقائق طبية متعلقة بتغذية الفرد من لحظة كونه جنيناً ولغاية الرشد، ويتزامن مع هذا الطرح إرشادات للتربية الوالدية في مجال الصحة الغذائية، إذ تربية الإنسان بمفهومها الشامل لا تقف عند جانب أحادي في الشخصية، إنما تتعداه لتشمل كافة الجوانب (الصحية، والنفسية، والاجتماعية والروحية ...) وهو ما تفصّله العناوين الفرعية الآتية:

التغذية أثناء فترة الحمل

تناولي الطعام ولا يغيب عنك طفلك، حتى قبل أن تكوني حاملاً، لوضع طفل سليم وصحيح. وتعد فترة (٤-٦) أسابيع الأولى من الحمل؛ فترة حرجة في نمو الطفل، وقد لا تدرك الأم في هذه الفترة أنها حامل أصلاً، ويلزم الزوجات والأمهات اللاتي يتوقعن الحمل أن يأخذن ٤٠٠ ميكروغرام يومياً من حمض الفوليك، سواءً بشكل مباشر أو من أغذية معينة، وهو أمر مهم لنمو دماغ الجنين وحبله الشوكي، وبهذه الطريقة نتجنب ٥٠ إلى ٧٠٪ من العيوب الشائعة التي تصيب الجهاز العصبي، وتعد زيادة الوزن من ١٠ – ١٥ كغم أثناء فترة الحمل أمراً طبيعياً (سادزلاند وستوفير Sutherland and Stoever,1997).

التغذية من الولادة إلى ما قبل سن المراهقة

يقل النمو المذهل الذي يحدث للطفل في السنة الأولى عنه في السنة الثانية، جنباً إلى جنب مع فقدان الشهية للطعام، ويكسب الأطفال عادة ٣ -٤ كغ فقط أثناء سنتهم الثانية، ويبدو عليهم واضحاً قلة تناول الغذاء، كما يأكل الأطفال ما هم بحاجة إليه عندما تقدم لهم مجموعة متنوعة من الأغذية الصحية في كل وجبة.

يتعدى النظام الغذائي المعتاد في الولايات المتحدة حد الاستهلاك العالمي من أربعة جوانب: السعرات الحرارية من الدهون الصلبة، ونسبة السكر المضافة، ونسبة الحبوب المكررة والصوديوم وأيضا الدهون المشبعة. في الوقت الذي يستهلكون فيه كميات أقل من الضروري من الخضروات والفاكهة والحبوب الكاملة ومنتجات الألبان والزيوت.

إن الحفاظ على نظام غذائي صحي متوازن مهم جداً، إذ تساعد التغذية السليمة على النمو الأمثل للأطفال، فهي تقي من زيادة الكوليسترول وارتفاع ضغط الدم وتقلل من مخاطر الإصابة بأمراض مزمنة؛ مثل أمراض القلب والشرايين والسرطان والسكر كما تقلل من مخاطر التعرض للسمنة المفرطة وهشاشة العظام وفقر الدم وتسوس الأسنان. (CDC).

في ضوء ما سبق لا بد من الوعي لدى الوالدين بأهمية ونوعية الغذاء عبر المراحل العمرية؛ إذ يكون حرص الوالدين غير الناضج أحياناً سبيلاً للتدخل السلبي؛ حيث إن العديد من الأطفال في الولايات المتحدة ممن كان والداهم يعطيانهم غذاءً قليل الدسم، عن حسن نية، صاروا يعانون من سوء التغذية. والعبرة من الموضوع أنه يجب ألا يكون هناك تحكم بكمية الدهون في طعام الأطفال دون سن الثانية؛ لأن الدهون توفر الطاقة، وكذلك الأحماض الدهنية المفيدة للجلد، وتساعد الدهون كذلك الجسم على امتصاص الفيتامينات: أ، د، ي، ك، وعندما يستطيع الطفل شرب حليب البقر؛ قدّم له الحليب العادي كامل الدسم، وليس النوع الذي يحوي ٢ في المئة من الدسم أو الخالي من الدسم، إلى أن يبلغ سن الثانية على الأقل.

التغذية أثناء المراهقة

مع أن العديد من الأولاد على علم ودراية تامة بالقواعد الأساسية للحفاظ على الصحة، إلا أنهم لا يتبعونها دائماً، ويعدّ توفير الغذاء الصحي الذي يتقبله من هم في هذه المرحلة تحدياً كبيراً، فقد يأكل من هو في عمر ثماني سنوات كل ما يقدم له على مائدة الطعام، ولكن يرفض من عمره ١٤ سنة الطعام نفسه الذي أكله قبل شهر. وهناك بعض الحلول في التربية الوالدية الصحية لحث الأولاد وتشجيعهم على المساعدة في التخطيط لإعداد وجبات الطعام، وتجنب جعل الطعام مسألة مُشكلة، فيتعين مثلاً التركيز أثناء تناول الوجبات على مشاركة الآخرين في الحديث عن الأحداث الحاصلة في ذلك اليوم أكثر من التركيز على الطعام نفسه. ولأن الأولاد في مرحلة المراهقة ينمون بشكل أسرع من أي وقت مضى منذ مراحل نمو السنة الأولى، فإن الفتيات يحتجن إلى ٢,٠٠٠-٢,٥٠٠ من السعرات الحرارية يومياً لنموهن، ويحتاج الفتيان إلى ٣,٠٠٠-٤,٠٠٠ من السعرات الحرارية، ويحتاج الأطفال الأكثر نشاطاً إلى سعرات أكثر، والاحتياجات الغذائية المتزايدة في سن البلوغ تصل ذروتها غالباً في عمر ١٥ للفتيات و١٩ للفتيان. كما تحتاج الفتيات إلى كالسيوم إضافي حتى يبلغن سن الـ ٢٥؛ لأنه يزيد من كثافة عظامهن التي تكون في طور النموّ في هذه المرحلة، ويساعد في عدم تعرضهن لهشاشة العظام في وقت لاحق، ومن المهم للأطفال ألا تفوتهم أي وجبة؛ لأنهم سيفقدون عناصرها الغذائية المهمة، كما أن تناول وجبات طعام صغيرة على مدار اليوم أفضل من إلغاء وجبات النهار وتناول وجبة كبيرة في الليل (Sutherland and Stoever ,1997).



عينة نظام غذائي مقترح لما بين ٢ إلى ١٠ سنوات

وفقاً لجمعية (التغذية) الأمريكية؛ يتعين أن يشتمل غذاء الأطفال اليومي على:

- ٦-١١ حصة من الحبوب.
- ٢-٤ حصص من الفواكه.
- ٣ حصص من الخضار.
- ٢-٣ حصص من اللحوم والأسماك والدواجن والبقول المجففة.
- ٢-٣ حصص من منتجات الألبان.
- كميات قليلة جداً من الدهون، والزيوت، والحلويات، وتعدّ المكسرات والبذور مصادر جيدة للزيت.
- وضع الكثير من الطعام في الطبق أمرٌ سيء لأي عمر.

لكن كيف يمكن للآباء مساعدة أطفالهم على تناول ما يكفيهم من المجموعات الغذائية الرئيسة كل يوم؟ الجواب هو توفير كميات صغيرة من مختلف الأطعمة الصحية دائماً أمام أعينهم في البيت.

الأسئلة الشائعة

نذكر في ما يلي بعض النصائح المفيدة للطعام الصحي (Underwood and Kuchment, 2008):

١. ما الخيارات التي يجدر أن يقدمها الوالدان للأولاد؟

على الآباء والأمهات تقديم مواد غذائية تحتوي على مجموعة من العناصر المغذية وهي: الزلاليات (البروتين) والحليب والفواكه والخضروات والخبز والنشويات والكربوهيدرات الثانية مثل: المعكرونة والأرز والبطاطا، ثم يختارون ما يشاؤون من المتوافر، وليس على الآباء والأمهات أن يحرموا أنفسهم مما يشتهون فيأكلوا فقط مما يحبه أولادهم من الأطعمة، فإنه يكفي الأبوين أن يضعوا على المائدة نوعاً واحداً مما يأكله أولادهم عادةً، حتى لو كان هذا النوع الخبز أو الفاكهة. فنقص الفيتامينات عند الأولاد نادر بالعادة، لذلك ليس هناك حاجة في معظم الحالات لمكملات غذائية إضافية.

٢. هل من المستحسن أن يكون الولد نباتياً؟

الأساس الذي يتعين العمل به أن يكون لديك نظام غذائي متوازن من اللحوم والخضروات، حيث إن الله تعالى خلق هذه الأغذية الطيبة النافعة جميعها لهدف، ولذلك يفضل الأكل من الأطعمة المسموح بها جميعاً ولكن باعتدال ودون إسراف. وكلما قللت من تنوع المواد الغذائية للأولاد زاد خطر إصابتهم بسوء التغذية. فالاستغناء عن اللحوم والدواجن

والأسماك مثلاً يجعل من الصعب على الأطفال الحصول على حاجتهم من الحديد والمعادن. ويمتص جسم الإنسان قرابة ٣-٨٪ من كمية الحديد والمعادن التي يحتاجها من الخضار والحبوب، مقارنة مع نحو ٢٠ في المئة من الحديد من اللحوم. فمثلاً البرتقال والطماطم من المصادر الغنية بفيتامين سي C، ويساعد تناولهما على امتصاص الحديد من أغلب الأطعمة التي نأكلها. وقد يكون الغذاء النباتي قليل الدهون والسعرات الحرارية، مما يصعب على الأولاد التزود بالسعرات الحرارية التي تكفيهم.

٣. طفلي يكره الحليب، فكيف يحصل على ما يكفيه من الكالسيوم؟

من المهم لمرحلة ما قبل المراهقة ومرحلة المراهقة بصفة خاصة الحصول على ما يكفي من الكالسيوم، وذلك لأن الأولاد يكتسبون ما يعادل نصف كتلة العظام للبالغين أثناء فترة المراهقة، حيث إن الحليب هو أفضل مصدر للحصول على الكالسيوم، وإذا كان الولد لا يشربه فمن الممكن إضافته إلى الأطباق التي يتم طبخها مثل: الحساء، والكاستارد، والمهلبية، والصلصة. وهناك خيارات أخرى من الأغذية الغنية بالكالسيوم وهي: اللبن، والجبن، والبوظة. ويحتوي الحليب الممزوج بالشوكولاتة سكراً أكثر من الحليب العادي، ولكنه مع ذلك يعد مصدراً جيداً للكالسيوم.

٤. هل أسمح لولدي بتناول الطعام بين الوجبات الرئيسية؟

نعم، يحتاج الأطفال إلى وجبات خفيفة بالتأكيد، ولا يستطيعون أن يأكلوا الكثير في الوجبة الواحدة بسبب صغر معدتهم، إلا أن لديهم احتياجاً للطاقة العالية، فهم بحاجة الى أكل شيء مغذٍّ كل ساعتين إلى ثلاث ساعات، وتساعدهم الوجبات الخفيفة أيضاً على الحصول على المواد الغذائية التي يحتاجونها بسبب تفويتهم الوجبات الرئيسة، وينصح بتنظيم أوقات تناول الوجبات الخفيفة. وإذا كان الأولاد يفطرون الساعة ٧ صباحاً، فتقدم وجبة خفيفة لهم الساعة ٩ أو ١٠ حتى لو شعروا بالجوع قبل ذلك، وقد يكون الالتزام بالجدول الزمني صعباً، خصوصاً إذا كان الطفل لا يأكل ما يكفيه ولا يأخذ ما يحتاجه، فيكون والداه سعيدين للغاية حين يأكل بغض النظر عما يأكله. فالأولاد الذين يأكلون متى ما شاؤوا، يتناولون نصف كمية الذين يتناولون وجبات الطعام الرئيسة والوجبات الخفيفة بانتظام.

إعداد الوجبات الخفيفة، تُعدُّ وكأنها وجبات كاملة ولكن بكمية أقل، وممكن أن تشمل: الفواكه والخضروات، وبعض البروتين، وبعض النشاء، وبعض الدهون. ومن الوجبات الخفيفة الجيدة البسكويت العضوي، والحليب، والتفاح، والفول السوداني، والزبدة، والمقرمشات، والجبن، وعصير الفواكه الطازجة.

٥. أنا قلق لأن أولادي لا يأكلون الخضار والفواكه على الإطلاق مع ضرورتها لما فيها من فوائد غذائية مفيدة، فماذا أفعل؟

يأكل الأطفال الأمريكيون في المتوسط زهاء ½ ١ حصة من الفواكه و ½ ٢ من الخضار يومياً، ولا شك أن الأطفال لا يستسيغون طعم الكثير من الفواكه والخضار، ومع ذلك فمن المهم أن تقدم لهم ووضعها أمام أعينهم باستمرار؛ إذ لا بد في نهاية المطاف من أن يأكلوا شيئاً منها. ولإقناعهم بتناول هذه الأطعمة وجعلها أكثر ملاءمة واستساغة لهم ينصح بما يأتي:

- مزج الفاكهة بالحليب لجعلها خفيفة المذاق.
- تقدم الفاكهة المجففة - الزبيب والموز والمشمش والكرز- وحدها، أو خبزها في داخل البسكويت أو الكعك.
- إضافة الخضار إلى الحساء والطاجن والمَرَق.
- من المهم تجنب رشوة الأطفال من أجل تناولهم الأطعمة المفيدة، فقد يأكل الأطفال الخضار إذا كانت الحلوى أو الشوكولاتة مكافأتهم بطبيعة الحال، ولكن بهذه الطريقة لن يجعلوها على المدى الطويل ضمن برنامجهم الغذائي؛ لأن الأطفال سيستنتجون أن والديهم يلجأون إلى الاحتيال عليهم لتناولها؛ بسبب أن الطعام غير سائغ أو غير لذيذ.

- يجدر بالوالدين تجنب جعل تناول كل ما في طبقهم مسألة جدية ولا مجال للتفاوض فيها، وإذا كان الطفل يقاوم أكل زهر القرنبيط والملفوف مثلاً، فيمكن حينئذ أن نعرض عليه الحليب والبسكويت العضوي كبديل يحتوي الكالسيوم.

٦. ما الأطعمة الغنية بالألياف التي يوصى بها للأولاد؟ ولماذا؟

من الأمثلة على الأغذية الغنية بالألياف: التفاح، والتين، والبرتقال، والكمثرى، والفراولة، والبطاطا، والفاصوليا، والعدس، وخبز القمح الكامل، وخبز الشعير، والرز البني، وحبوب النخالة. ومن الفوائد الرئيسة للألياف أنها تحمي من الإصابة بالسرطان، وتقلل من الإفراط في الأكل. كما تقلل من امتصاص الدهون والسعرات الحرارية في الأمعاء، وتحتفظ بالمياه في الجسم، وتبعث على الشعور بالامتلاء الذي يسكت الجوع.

٧. يعد وقت وجبة الفطور في الصباح هو أكثر الأوقات التي يكون فيها أفراد العائلة عصبيّي المزاج وعلى عجلة من أمرهم، فهل هذه الوجبة ضرورية بالفعل؟

نعم، من المهم أن يبذل الوالدان جهداً للتأكد من أن الأسرة تتناول وجبة الفطور، حتى لو استيقظنا قبل ١٥ دقيقة أبكر، فالأولاد الذين لا يتناولون وجبة الفطور يجدون صعوبة في التركيز في المدرسة وفي اللعب، فهذه الوجبة تمد الدماغ والجسم بالطاقة اللازمة، والمعدة الخاوية تسبّب الشعور بالوهن وضعف القدرة عامة.

٨. ابنتي مصممة على أن تكون نحيفة، فكيف أعلمها تناول الطعام الصحي بدلاً من إصرارها على تجنبه؟

إن ٧٨٪ من الفتيات المراهقات الأمريكيات يرغبن في أن يقل وزنهن، لذلك يتجنب بعضهن أكل اللحوم، فيحتجن وقتها إلى نسبة عالية من بدائل البروتين مثل: الفاصوليا المجففة والعدس والبازلاء والحليب والجبن والبيض والمكسرات. وإذا غدت البنت في سن البلوغ فمن المهم أن يبين لها أنها تحتاج إلى طبقة جديدة من الدهون تحت جلدها تعمل كاحتياطي للطاقة التي تحتاجها في طفرة النمو التي تمر بها، وإذا أصرت على حالها من دون تناول وجبة العشاء، فتحتاج حينها إلى مراجعة الطبيب.

٩. في بعض وجبات عشائنا يقتصر طعامنا على الوجبات السريعة، فماذا تقترح أن نفعل؟

يتعين على الآباء والأمهات تجنب تقديم المشروبات الغازية والبطاطا المقلية والبرجر لأولادهم، وأن يقدموا لهم بدلاً من ذلك الدجاج المشوي والسمك والسلطة والحليب قليل الدسم واللبن.

١٠. هل يصعب إرضاء طفلك في الطعام؟

يصنف المربون الأطفال بأنهم من الصعب إرضاؤهم في الطعام، في حين قد يكون رفضهم لنوع محدد فقط من الطعام أمراً طبيعياً.

فيمكن للطفل أن يرفض نوعاً جديداً من الطعام على الأقل ١٠ مرات قبل أن يستسيغه بالفعل. ومن ناحية أخرى، فإن تناول الوجبات مع الأسرة يعد أمراً مهماً، فالأطفال الصغار يقلدون آباءهم في عاداتهم الغذائية وطريقة تناولهم للطعام ويتعلمون الكثير من أحاديثهم وآرائهم حول الطعام.

وقد أظهرت دراسة أجرتها Harris Interactive أنه في الولايات المتحدة الأمريكية ٢٦ ٪ فقط من الأسر يجلسون سوياً مع أولادهم لتناول وجبة العشاء يومياً (ارتفعت النسبة لتصل إلى ٣٦٪ دون أطفال). أما في بريطانيا فقد بين استطلاع (Telegraph, 2013) أن حوالي ٢٠٪ من الأسر يجلسون سوياً للعشاء مرة أو مرتين في الأسبوع، وأن ٤٠٪ من الأسر يجلسون سوياً لتناول وجبة ثلاث مرات في الأسبوع.

علاوة على ذلك فإنه أسرة واحدة من بين كل ٥ أسر تتناول الوجبة الأسرية أمام التلفاز، كما أنه

ما بين ٢٠٪ و٣٠٪ من الأطفال المراهقين في العَالَم المتقدم صناعياً يهملون وجبة الإفطار. (Deshmukh-Taskar et al., 2010 ; Corder et al., 2011 cited in Frontiers in Human Neuroscience, 2013).

عند بلوغ الثالثة من العمر يعتبر التعوّد هو العامل الوحيد والأكثر أهمية في تحديد أنوع الطعام التي سيستمر الطفل في تناولها، ففي حين أن ٩٢ ٪ من الأطفال في العمر ما بين ٢ إلى ١٩ سنة يستهلكون خضراوات يومياً (NCHS Data Brief,2014) ، إلا أنها غالباً ما تكون على شكل البطاطا المقلية. كما تعد منتجات الطماطم كالصلصة وصلصة المكرونة أيضاً من المنتجات الشائع استهلاكها من الأطفال، أما عن الأطفال الأكبر عمراً، فهؤلاء تتغير ميولهم في اختيار طعامهم لتماثل ما يتناوله أقرانهم، وقد انخفض استهلاك الألبان في الولايات المتحدة وبريطانيا، أظهرت مقارنة أمريكية لاستطلاعين للرأي أحدهما بين عامي ١٩٧٧ و ١٩٧٨ والدراسة الأخرى في عامي٢٠٠٧ و٢٠٠٨ ارتفاع نسبة الأطفال قبل بلوغ سن المراهقة في الولايات المتحدة الذين لم يشربوا اللبن في اليوم المعين من ١٢٪ إلى ٢٤٪ في حين انخفضت نسبة الذين شربوا اللبن ثلاث مرات أو أكثر في اليوم الواحد من ٣١٪ إلى ١٨٪. أما عن المراهقين فقد ارتفعت نسبة من شربوا اللبن من ٤١٪ إلى ٥٤٪ في حين انخفضت نسبة من شربوا اللبن ثلاث مرات أو أكثر في اليوم الواحد من ١٣٪ إلى ٤٪

أما في بريطانيا؛ فقد انخفض معدل استهلاك اللبن الحليب تقريباً ١٤٪ في عام ٢٠١٣ مقارنة بـ ٣/٢٠٠٢. (DEFRA Family Food Survey 2015 cited by AHDB Dairy 2015).

ففي الوقت الذي انخفض فيه معدل استهلاك الألبان زاد استهلاك العصائر السكرية. فما بين عام ١٩٩٨ الى ٢٠٠٨، وارتفعت نسبة الأطفال مستهلكي العصائر السكرية في الولايات المتحدة من ٧٩٪ إلى ٩١ ٪. (Lasater G., Piernas C and Popkin BM 2011cited by Harvard T.H. Chan School of Public Health) .

وهناك إحصائيات بين ١٩٩٩ و٢٠٠٨ أظهرت أنه في الوقت الذي انخفض فيه استهلاك المشروبات الغازية تضاعفت ثلاث مرات نسبة استهلاك مشروبات الطاقة عند الشباب والمراهقين. *(Journal of the Academy of Nutrition and Academics, 2013).*

ومع ذلك فإن المشروبات الغازية ما زالت تعد الأكثر استهلاكاً في المشروبات السكرية. لذلك فإن استهلاك المشروبات السكرية ساهم بنسبة كبيرة في زيادة السمنة المفرطة والبدانة، فمشروب المياه الغازية حجم ٢٠ أوقية يحتوي على ١٥ إلى ١٨ ملعقة سكر وأكثر من٢٤٠ سعر حراري، في حين أن حجم ٦٤ أوقية من المياه الغازية يحتوي على اكثر من ٧٠٠ سعر حراري. (Harvard T.H. Chan School of Public Health).

أما في بريطانيا فإن المشروبات السكرية، التي يحظر تناولها على الأطفال ما بين عمر ٤ إلى ١٠ سنوات، وجدت أنها أعلى مساهم في إمدادهم بالسكر.

حيث يستمدون السكر بنسبة ٣٠٪ من المشروبات الباردة والعصائر، و٢٩٪ من البسكويت والكيك وحبوب الإفطار، و٢٢٪ من الحلويات والشكولاتة والسكر والمربات وأنواع أخرى من الحلوى، و١٢٪ من الزبادي المحلى والأجبان والأيس كريم وأنواع أخرى من منتجات الألبان المحلاة.

لذلك فإن ١٢٪ من الأطفال في عمر الثالثة عانوا من تسوس الأسنان في عام ٢٠١٣، و٢٨٪ من الأطفال تسوست أسنانهم قبل بلوغهم الخامسة من العمر (Public Health England, 2015).

ماذا أولاً؟ العمل أم الفطور؟

إياك أن تبدأ العمل قبل الفطور. وإذا فرض عليك أن تعمل قبل الفطور فابدأ بتناول وجبة خفيفة أولاً!

١١. هل التوابل جيدة للصحة أم سيئة؟

أسفرت نتائج دراسة أجريت من قبل عالمين في جامعة كورنيل، أن التوابل تعمل على قتل ثلاثين نوعاً من البكتيريا المختلفة التي تفسد الطعام. احرص على تضمين التوابل الآتية في الغذاء: البصل والثوم والفلفل والليمون، كذلك العديد من الأعشاب؛ مثل: البقدونس (الكَرَفْس) والزعتر البري والكمون والقرنفل والنُعنع والزنجبيل. (Sherman and Billing,1998)

١٢. يغيّر العلماء آراءهم حول فوائد الأغذية المختلفة، فماذا نفعل؟

يدعونا العلماء إلى «نسيان ما نعرفه عن البيض والسمن والملح، فقد غيرت أبحاثهم الكثير مما عرفناه من النصائح التقليدية حول أنواع الطعام المفيد مراراً وتكراراً، إلى درجة أنه يبدو أن الأبحاث جن جنونها، فلا يكاد يمر أسبوع دون أن ينشر بعض الخبراء تقريراً جديداً يعلن أن طعاماً جديداً أو فيتاميناً أو نشاطاً ما أو وضعاً معيناً؛ إما يعيد العافية لأوعيتك الدموية أو يتلفها – وكلما فتح الباحثون موضوع أي من هذه النصائح المتوارثة؛ فإن النصيحة الجديدة عادة ما تتعارض مع القديمة» (Lemonick, 1999)

فما الحل؟ وماذا نفعل إزاء التعارض، الذي يحدث حول فائدة عنصر غذائي معين بين الآراء القديمة والأبحاث الجديدة؟ الحل هو اتباع التوجيهات القرآنية الأساسية وسنة النبي ﷺ عن الغذاء والتغذية، إن التغذية الجيدة هي مسألة اختيار عادات أكل صحية في أثناء الطفولة؛ كي تصبح ثابتة مع تقدم العمر، إضافة إلى تناول كمية معتدلة من أصناف عدة، فالقاعدة أن نأكل قليلاً من كثير وليس كثيراً من قليل.

الأولاد وممارسة الرياضة

«تعال إلى هنا!» «لا تركض في أرجاء المنزل!» «قلت لك: لا تلعب بالكرة داخل المنزل!» هذه هي بعض الأمثلة على الأوامر الكثيرة التي يوجهها الآباء والأمهات لأطفالهم، وهم مخطئون، بل يحسن أن يقولوا خلاف ذلك: «اذهب والعب كرة السلة» «اذهب والعب كرة القدم مع أصدقائك.» «اذهب واركض وامش لمسافات طويلة.» ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (يوسف: ١٢).

تعني ممارسة الرياضة للأطفال اللعب والنشاط الدائم، فالطفل النشيط عادةً ما تكون عضلاته وعظامه أقوى، وجسمه أنحف، ولديه نظرة عامة إيجابية أفضل للحياة، كما تساعد ممارسة الرياضة الأطفال على النوم نوماً مريحاً، وتجعل الأولاد أكثر قدرة على التعامل مع التحديات المادية والعاطفية اليومية، مثل: الجري للحاق بالحافلة في الصباح، والانحناء لربط الحذاء، أو الدراسة للاختبارات. وخلاصة القول: إن قلة النشاط البدني في مرحلة الطفولة عادةً ما يؤدي إلى قلة النشاط في مرحلة البلوغ. (الولايات المتحدة الأمريكية، مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها (U.S. Center for Disease Control and Prevention).

لماذا كانت التمارين الرياضية مهمة لولدي؟

ترتبط زيادة النشاط البدني بزيادة متوسط العمر المتوقع وانخفاض خطر الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية، وتؤدي الرياضة البدنية إلى منافع جسمية ونفسية واجتماعية، فالأطفال قليلو النشاط من المرجح أن يصبحوا بالغين خاملين. ويساعد النشاط البدني على:

- التحكم بالوزن.
- اعتدال ضغط الدم.
- زيادة الكولسترول النافع.
- الحد من الإصابة بمرض السكري وبعض أنواع السرطان.
- تحسين الحالة النفسية بما في ذلك زيادة الثقة بالنفس والتقدير العالي للذات.
- يدرب على المشاركة والعمل بروح الفريق.



(جمعية القلب الأمريكية)



وتعد قلة الرياضة أو انعدامها السبيل الأسهل للسمنة المفرطة للأطفال، التي تعاني منها بعض دول العالم، حيث يعاني نحو ٢١٪ من زيادة الوزن في صغرهم وهم أكثر عرضة لأن يعانوا منها عند البلوغ، حيث تزيد السمنة من الإصابة بمرض السكري، وأمراض القلب، والجلطة الدماغية، والسرطان، وأمراض مزمنة أخرى. حيث تعد الرياضة وسيلة للوقاية من السمنة وغيرها من الأمراض ممارسة الرياضة ابتداءً من مرحلة الطفولة؛ لأنها تعزز القوة، والمرونة، والقدرة على التحمل، وينصح بها للأطفال منذ عمر السنتين أو أكثر.

سبل تشجيع الرياضة عند الأولاد

للتربية الوالدية لدى الآباء والأمهات دور كبير في مساعدة الأطفال على اكتساب عادة ممارسة الرياضة بانتظام، ونقدم هنا بعض الاقتراحات:

- تقليل الوقت الذي يمضيه الأولاد في مشاهدة التلفاز وممارسة ألعاب الفيديو والهاتف الذكي: حيث يلاحظ أن العديد من الأطفال بعد عودتهم من المدرسة يشاهد التلفاز، وينشغلون بواجباتهم وحدهم لحين عودة آبائهم وأمهاتهم من خارج البيت، وتجري هذه البرمجة بدعوى المحافظة على سلامتهم، فالأطفال بحاجة إلى أن يكونوا نشطين بعد المدرسة، ولتحقيق ذلك يتعين على سبيل المثال تأجيل مذاكرتهم بعض الوقت وليس فور عودتهم من المدرسة.
- تشجيع الطفل على المشاركة في الأنشطة التي تناسب أعمارهم، ولا ينصح أن يشاهد الأطفال التلفاز دون السنتين على الإطلاق. (الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال).
- تعليم الطفل أن النشاط البدني هو متعة، وأن ممارسة الرياضة لها صور متعددة ومتنوعة وواسعة مثل: اللعب بالبطاقات، والألعاب الفردية والجماعية، فإذا استمتع الطفل بالرياضة؛ فلا شك أنه سيستمر في القيام بها.
- لا تستخدم اللياقة البدنية كنوع من العقاب، فإذا أمر المعلم الطالب بالركض خمس دورات حول المدرسة كعقاب على خطئه، فهو تصّرف غير صائب.
- الوالدان قدوة لأبنائهما، فيتعين عليهما ممارسة الرياضة بانتظام، صعود الدرج بدلاً من استخدام المصعد، وامشيا بدلاً من قيادة السيارة، وهرولا بدلاً من المشي وهكذا.
- ويحسن بأفراد الأسرة جميعهم ممارسة الرياضة، فلا يجلس الوالدان على الأريكة ويطلبا من أولادهما الخروج واللعب.
- الجمع بين الرياضة المنظمة واتباع نظام غذائي صحي، هو السبيل الأمثل إلى عيش نمط حياة طيبة، فيتعين على الأولاد تناول الفواكه، والخضار، والحبوب بانتظام.
- تشجيع الأنشطة الترفيهية التي تعزز القوة، والمرونة، والقدرة على التحمل، ويمكن أن تبنى القوة عن طريق ممارسة نشاط يسير، مثل: لعبة التأرجح، وعبور القضبان، والوقوف على اليدين، والمصارعة، كذلك تشجيع المنافسة في تمارين السحب والدفع والضغط.
- علم أولادك التمارين الهوائية. حيث إن القلب في هذه التمارين ينبض أسرع، مما يسبب التنفس بعمق؛

الأمر الذي يؤدي إلى تقوية عضلة القلب وزيادة دفع الأوكسجين إلى خلايا أكثر في الجسم، وتشمل التمارين الهوائية: كرة السلة، وكرة الطائرة، وكرة القدم، ورياضة الدراجات، والتزلج على الجليد، والتزلج بالعجلات، والسباحة، والتنس، والمشي، والركض البطيء، والجري.

جدول تمارين رياضية مقترحة

يُعدّ وضع جدول لممارسة التمارين الرياضية للأولاد أمراً مهماً لنموهم، والحد الأدنى من ممارسة الرياضة يعتمد على العمر، وتوصي الرابطة الوطنية للرياضة والتربية البدنية (NASPE) بالآتي:

العمر	الحد الأدنى من النشاط اليومي	ملاحظات
الرضّع	لا يوجد وقت محدد	ينبغي أن يعين النشاط البدني على النمو العضلي الحركي
طفل من سنة إلى ثلاث سنوات	ساعة ونصف	٣٠ دقيقة من النشاط المبرمج و٦٠ دقيقة من اللعب الحر
ما قبل المدرسة	ساعتان	٦٠ دقيقة من اللعب الحر ٦٠ دقيقة من النشاط البدني المبرمج
مرحلة المدرسة	ساعة أو أكثر	جلسات تمارين رياضية متعددة مقسمة إلى ١٥ دقيقة أو أكثر

توصي جمعية القلب الأمريكية بالآتي:

- كل الأطفال عمر السنتين أو أكبر عليهم بالمشاركة في أنشطة ممتعة وبجهود معتدلة على الأقل ٦٠ دقيقة يومياً على أن تكون هذه الأنشطة مناسبة وملائمة ومتغيرة بحسب تطور الطفل.
- وإذا صَعُب على الطفل ممارسة النشاط لمدة ٦٠ دقيقة متصلة في اليوم، فعليه بمحاولة مزاولة النشاط ٣٠ دقيقة على فترتين أو ١٥ دقيقة على أربع فترات لممارسة نشاط بدني قوي.

قال النبي محمد ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير» (مسلم).

وتشير كلمة قوي في الحديث إلى قوة الإيمان وقوة الجسم معاً، بناءً على الفهم اللغوي لدلالة (الـ) الاستغراقية، والتي تعني الشمول والعموم.

ينطبق مبدأ «استخدمه أو اخسره» على أربطة الجسم، وعضلات القلب، وخلايا الدماغ، فممارسة الرياضة البدنية أمر مهم لتطوير الذات، ومع أن الوصول إلى حالة بدنية سليمة أمر حسن؛ فإن الثبات والاستمرار على ذلك يعد تحدياً كبيراً، وللياقة البدنية تأثير إيجابي على مستوى الطاقة لدينا، وميولنا الذهنية، وتطلعاتنا الروحية، وإذا مارست رياضة الجري يوم الإثنين ثم لم تجرِ مرة أخرى حتى يوم الجمعة، فلا تحاول مضاعفة الكيلومترات يوم الجمعة لتعويض ما فاتك من الأيام السابقة، فلا ترهق نفسك، واستمر في الجري اليومي، ومارس التمارين في صالة الألعاب الرياضية أو خارجها، وحيثما كان ذلك ممكناً.

حتى الأطفال الرضع بحاجة إلى بعض التمارين في فترة ما بين تناولهم طعامهم ونومهم، فعلى سبيل المثال؛ من هم في مرحلة ما بين الولادة إلى عمر سنة واحدة يوضعون على ظهورهم، ثم تحرك أرجلهم بلطف بحركة المراوحة، أو وضع أرجلهم على بطونهم لتشجيعهم على رفع رؤوسهم، أو وضعهم على بطانية على الأرض كي تدفعهم إلى تحريك جسمهم ليصلوا إلى الألعاب أو إلى أشياء أخرى آمنة.

الحذاء الصحي لرياضة الأولاد

نشر خبير اللياقة البدنية (سام ميرفي) مقالات مثيرة في صحيفة الجارديان الإنجليزية، أشار فيها إلى أن مشي الطفل حافي القدمين أفضل من المشي بالحذاء، فقد تسبب أحذية الأطفال آثاراً ضارة على نمو دماغ الطفل. وتنوه طبيبة الأطفال (تريسي بيرن) أن المشي حافي القدمين ينمي عضلات القدم وأربطتها، ويزيد من قوة قوس القدم عند الطفل، ويسهم في استقامة عوده، ويزيد من وعي الطفل بالمكان الذي يتحرك فيه.

ويتعين ألا تكون الأحذية وفقاً للموضة، فقد تسبب التلف للأقدام الصغيرة، وقد أظهر بحث من طبعة ٢٠٠٧ في مجلة طب الأقدام The Foot، أن هناك أحذية أطفال جامدة وصلبة تماماً، وتفتقد المرونة اللازمة للأنشطة البدنية مما يؤدي إلى تقييد في الحركة، فالأقدام معرضة لخطر كبير من الأحذية غير المناسبة أو الضيقة، وقد تصبح ضارة جداً للقدم؛ لأن القدم تتوافق مع شكل وتركيبة الحذاء الذي تلبسه، فلا يترك الحذاء الضيق والصلب مجالاً للقدم بالنمو نمواً طبيعياً.

تدعو نتائج الدراسات السابقة لمزيد من الوعي لدى الآباء والأمهات؛ ما يدعوهم لتوفير عوامل الراحة لأبنائهم عند شراء الملابس والأحذية دون الالتفات لآخر صيحة أو صرعة، أو الجمال والجاذبية. كذلك على الوالدين تشجيع أبنائهم على المشي حفاةً في كثير من الأحيان خصوصاً في المنزل وحوله، وأينما كان ذلك ممكناً (Murphy,2010).

النوم أهميته وفوائده

من المهم للأطفال الحصول على قسطٍ كافٍ من النوم، كي يتمتعوا بصحة سليمة وفعالية يومية، وتستمر عادات النوم عادةً في مرحلة الطفولة إلى المراحل اللاحقة من حياتهم. حيث يشير تقرير (مجلس النوم الأفضل) في الولايات المتحدة إلى أن ما يقرب من ثلثي الناس يقولون: إن أداءهم الوظيفي يتأثر من قلة النوم؛ كما أن ٢٦٪ من الرجال و ١٣٪ من النساء يعترفون أنهن يأخذن غفوة أثناء العمل.

ومن المتعين أن يكون النوم في الليل؛ لأن أجسامنا مبرمجة على الاستيقاظ في النهار والنوم في الليل، فالأجسام مهيأة لتنعم بالراحة بين غروب الشمس والفجر، ولا بأس من بعض الاستثناءات في الحالات القصوى؛ على سبيل المثال في شمال أوروبا، الليالي قصيرة جداً في الصيف، وطويلة جداً في الشتاء، وفي منتصف الصيف يحين وقت الغروب في شمال أسكتلندا نحو الساعة ١٠:٣٠، وشروق الشمس نحو الساعة ٣:٠٠ صباحاً، يفصلهما فقط وقت الشفق، وفي فصل الشتاء يكون الغروب نحو الساعة ١٥:٣٠ مساء، وشروق الشمس نحو الساعة ٩:٠٠ صباحاً.

إذ لا يعوض النوم أثناء النهار نقص النوم ليلاً، فأخذ قسط كاف من النوم في الليل يساعد الإنسان على أن يتمتع بصحة سليمة، ويقلل من الإصابة بالأمراض. لقد أصبح من عادة بعض المسلمين البقاء مستيقظين طوال الليل في شهر رمضان والنوم بدلاً من ذلك في النهار! ولم يرد في الصيام تبديل الليل بالنهار والنهار بالليل، إن هذا يحدث خللاً في الطبيعة الاعتيادية لساعات أجسامنا البيولوجية، إذ تبدأ عند غروب الشمس آلية حساسة تقع في قاعدة الدماغ بإرسال إشارات كيميائية إلى أجزاء الجسم لحملها على الاسترخاء، ويبدأ التحضير للنوم مع اقتراب حلول الظلام بالتثاؤب، ثم تبدأ الجفون بالتثاقل، وحركاتنا بالتباطؤ، ثم حين نغفو، يتوقف الدماغ عن استقبال ما حولنا، ويتحكم بآلية النوم هرمون الميلاتونين ومقدماته من السيروتونين، وتتحكم

هاتان المادتان الكيميائيتان بجودة النوم وبمساعدة ظلام الليل.

يؤدي السهر ليلاً والنوم نهاراً (خلاف الدورة الطبيعية للحياة) إلى اختلال «الساعة البيولوجية» التي تحضنا على النهوض من النوم ونحن نشعر بالانتعاش والحيوية والانتباه في الصباح، ويعد التلاعب بهذه الساعة الفطرية إلى التسبب باضطراب النوم، ليصبح غير كاف لتلبية احتياجات أجسامنا وعقولنا، وحينما لا نحصل على قسطٍ كافٍ من النوم تضعف الاستجابات والقدرات النفسية لدينا، وتتباطأ قدراتنا البدنية واستجاباتنا، ويعد هذا أمراً غير محمود لما له من عواقب وخيمة على صحتنا، خاصة في أثناء ممارستنا لعملٍ ما أو قيادتنا للسيارة، أو غيرها من الأعمال التي تتطلب اليقظة والانتباه الكامل، إذ تكون استجاباتنا ضعيفة ومضطربة بسبب قلة النوم، مما يسبب ارتكاب الأخطاء أو الحوادث، فعقولنا تحتفظ بسجل مبين فيه النقص في ساعات النوم ليتم تعويضها بساعات كافية من النوم الجيد، لأن قلة النوم أمر تراكمي، ويحتاج الجسم غالباً من (٧-٩ ساعات) من النوم ليلاً للحصول على أداء عقلي وبدني معقول، وكلما قل نومنا قلّ إنتاجنا وحيويتنا، كذلك تؤدي قلة النوم إلى التهيج وعدم التوازن، وضعف مهارة الإدراك العقلي.

كما وجد أن تغيير نظام النوم ليكون في النهار مع الاستيقاظ ليلاً يؤثر سلبياً في عمل الغدة الصنوبرية عند الإنسان؛ مما يزيد من احتمالية إصابته بالسرطان؛ تقول إيفا تشيرنهامر (Eva Schernhammer) من كلية الطب في جامعة هارفارد: «إن الميلاتونين قادر على منع أورام الخلايا من النمو، فهو واق من السرطان.» وإن تعرض المرء للضوء في الليل سوف يقلل إنتاج الجسم من الميلاتونين؛ الأمر الذي يزيد من خطر الإصابة بالسرطان. (Stein,2005).

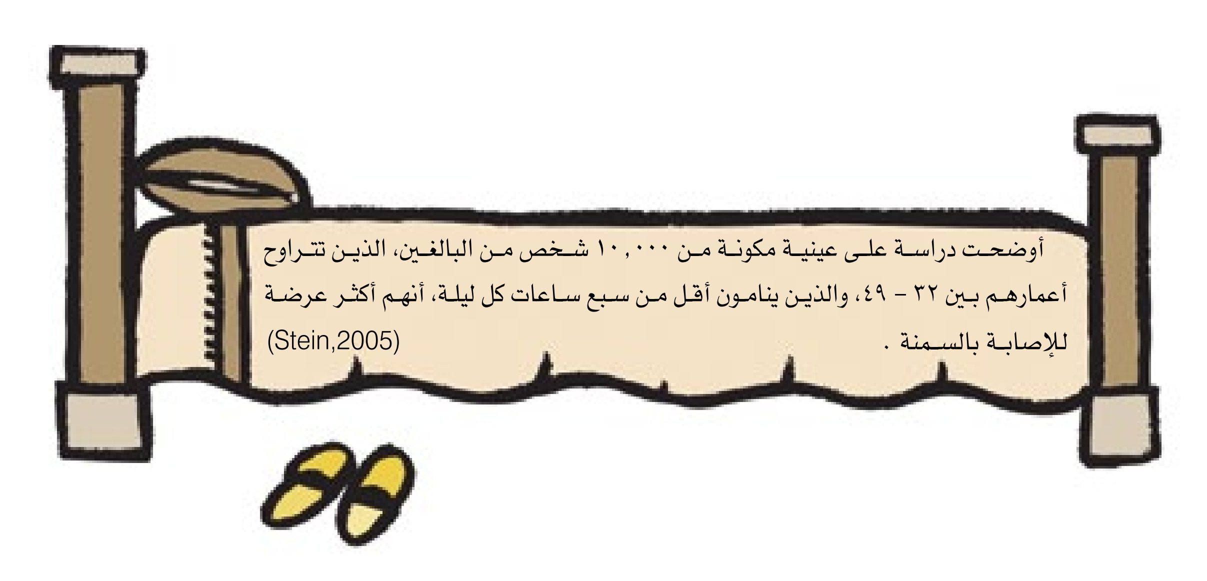
الآثار الصحية لقلة النوم

تؤثر قلة النوم سلباً على إصلاح الخلايا المناعية وتحفيز الخلايا المناعية المقاتلة، فهي توهن آليات الدفاع في الجسم؛ مما يزيد من مخاطر العدوى والمرض، في المقابل تحسن أنماط النوم السليم والكافي، الصحة، والذاكرة، واليقظة، والاستجابات العقلية، وردود الفعل العضلية، كما يمكننا النوم الجيد من العمل بفعالية ومسؤولية، والنوم الكافي يَحول دون ارتكاب الأخطاء واتخاذ القرارات غير الصائبة، وإهدار المال، والكوارث التي قد تودي بحياتنا، وذلك لأن أجسامنا وعقولنا ترتبط بعضها بعضاً، فالدماغ والجهاز العصبي والجهاز المناعي كلها متواصلة بناقلات إرسال عصبية (المواد الكيميائية في الدماغ) التي تصدر عن النظام العصبي العطوف. حيث يعزز النوم المريح الطاقة، والمزاج، والذاكرة، والقدرة على التفكير والتركيز.

ويعزى داء السمنة في جزء منه إلى انخفاض في متوسط عدد ساعات النوم، وربما بتعطيل البروتين والهرمونات التي تنظم الشهية، حيث يضع العجز عن النوم الجسم في حالة من التيقظ والتنبه العالي، ويزيد من إنتاج هرمونات التوتر، ويسهم في ارتفاع ضغط الدم، وهو من العوامل الأساسية التي تؤدي إلى خطر الإصابة بالنوبات القلبية والجلطات الدماغية، ويكون لدى الناس المصابين بالحرمان من النوم استعداد عالٍ للإصابة بالتهابات في الجسم، وهي من العوامل التي تؤدي إلى الإصابة بأمراض القلب، والجلطة الدماغية، والسرطان ومرض السكري. كما تساعد الغفوات القصيرة في مواجهة الآثار الضارة لعدم النوم أو قلته، حيث أصبحت القيلولة الآن للعاملين والموظفين طبيّاً ونفسياً في غاية الأهمية، ويعدها علماء النفس استعادة كاملة لنشاط النصف الأول من النهار. ففي اليابان يأخذ العمال والموظفون ٤٠ دقيقة للقيلولة اليومية.

القيلولة عند الرسول ﷺ

كان من عادة النبي ﷺ أخذ قيلولة (غفوة قصيرة) بعد صلاة الظهر، ونقل عنه أنس بن مالك «قِيلوا فإنّ الشياطينَ لا تَقِيل» (السيوطي وحسّنه الألباني). وقد وجد الأطباء أن قيلولة الظهيرة الوجيزة تساعد على تجديد النشاط الذهني والبدني، وإمداد الجسم بشعور الانتعاش في الأوقات التي ينخفض فيها مستوى حيوية الجسم؛ الأمر الذي يزيد من إنتاجية الفرد ويقظته، كما تحسن مزاجه وتقلل من تسببه في الحوادث.



ويسهم النوم في بناء البطانة التي تحمي أوعيتنا الدموية، ويسهّل وظيفتها، وهذا يُفسِّر حقيقة أن الناس أكثر عرضة للذبحات ولسكتات القلب في أثناء ساعات الصباح الباكر؛ حيث وجدت بعض الدراسات كما أشار الدكتور (حسام موافي)، أن لكل مرض توقيتاً، ومعظم أمراض الجلطات والأوعية الدموية توقيتها في الساعة (٨) صباحاً، وتفسر آليته بأن النوم يخفض ضغط الدم، فيفرز الدم بحكمة الله تعالى مواد كيميائية لتضييق الأوعية بحيث لا ينخفض ضغط الدم إلى الصفر فيموت الإنسان، ولكن مع ذلك يخشى أن يؤدي الاستمرار في تضييق الشرايين إلى غلقها مرة واحدة فتسبب له الجلطة، وهذا الخطر يحدث غالباً في الساعة (٨) صباحاً ، إلا الشخص الذي يستيقظ قبل ذلك الوقت ثم ينام، فإنه يتجاوز ذلك الخطر؛ وبذلك ندرك الحكمة في صلاة الفجر وآذانها الذي فيه: «الصلاة خير من النوم».

نومك مبكراً واستياقظك مبكّراً؛ يجعلان منك سليماً وغنياً وحكيماً.

(Benjamin Franklin)



المسكرات: شرب الخمور والوقاية من تعاطي المخدرات

انطلاقاً من حديثنا عن ضرورة الحفاظ على الصحة الجسدية؛ يتعين على الآباء والأمهات والأبناء تجنُّب تعاطي المسكرات، كونها تشكل، وكذلك السجائر، خطراً على الأمهات الحوامل، وعلى الأطفال، وعلى الحيوانات المنوية عند الأب، كما هي خطر على الجميع دون استثناء.

ويسبّب الإدمان على شرب الخمور وتعاطي المخدرات مثل: الماريجوانا والكوكايين والهيروين وعقاقير الهلوسة تلفاً كبيراً في خلايا الدماغ، ويؤثر سلباً على الدورة الدموية والإنجاب، ويسبب أمراضاً في الجهاز التنفسي، ويؤدي إلى العدوانية، والتصور السلبي للواقع والحياة، وعدم وجود الحافز. كما أن تعاطي المخدرات وإن كانت من النوع الخفيف مثل الماريجوانا، قد يكون أحد مسبّبات الإصابة بمرض انفصام الشخصية.

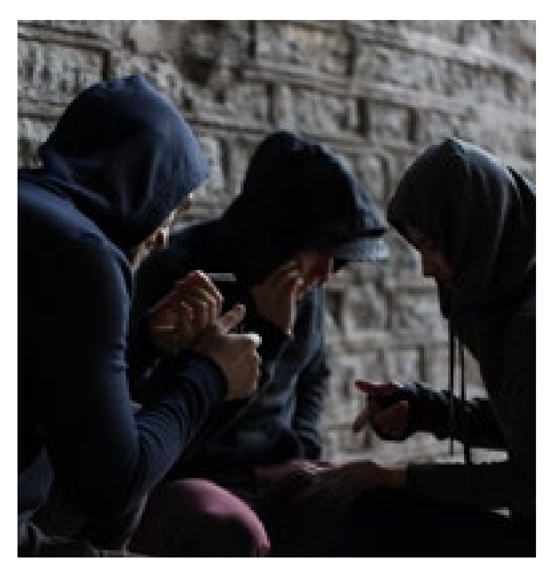
درهم وقاية خير من قنطار علاج

السيجارة عبارة عن كمية من التبغ ملفوفة في ورقة، تشتعل من أحد طرفيها، وعلى الطرف الآخر شخص أحمق يدخنها

يقتضي الإدمان على شرب الخمور أو إدمان المخدرات علاجاً طبياً ونفسياً متخصصاً، ونأمل أن تُسهم النصائح الآتية في الحد من إدمان الخمور والمخدرات، فالمشكلات الرئيسة لا تحدث بالضرورة بسبب اقتراف خطأ فادح؛ بل قد يكون ذلك بسبب تراكم عدة عوامل ثانوية، وإذا نجح الوالدان في خلق جو أسري سعيد ورحيم، قلّت احتمالية بحث الأولاد عن تلبية حاجاتهم خارج البيت.

الأولاد والإغواء

قد يدعى الأولاد من أصدقائهم أو معارفهم إلى تجربة تعاطي المخدرات، عندها يتعين أن يكونوا يقظين حازمين على موقفهم بالابتعاد عن تعاطي المخدرات، فسنوات المراهقة (١٤-٢٠) هي من أصعب الأوقات في الحياة، وإن من المهم جداً في هذه المرحلة التسلح بالمعرفة لأضرار المخدرات. فالتربية الوالدية تقتضي أن يقوم الوالدان بلعب الأدوار مع الابناء؛ كي يعرفوا كيف يتصرفون على الفور إذا تعرضوا لإغراء أو ضغط من أصحابهم لتعاطي المخدرات.



المؤشرات المبكرة لتعاطي المخدرات، وما العمل عند اكتشافها؟

يتعين على الوالدين الانتباه والحذر ومتابعة ظهور أي من الدلائل والعلامات المشيرة لتعاطي الأولاد للمخدرات، والكشف المبكر عن فعلهم هذا قبل فوات الأوان، ومن العلامات الأكثر شيوعاً هي: الأقراص المعدنية المحروقة، والملاعق ملتوية المقابض، وأغطية العلب المعدنية المحروقة، والمرايا، وشفرات الحلاقة، ولفافات الورق، وعلب المواد المذيبة وزجاجاتها، وأوراق السجائر، وقطرات العين، وزجاجات العقاقير، ونقاط الدم في الحمام أو على ملابس المراهقين، ورفض التشمير عن سواعدهم، وتغير في الشهية، والرغبة العارمة المفاجئة بالحلويات، وقلة الرغبة بالنوم، واستحالة الاستيقاظ في الصباح، والمكالمات الهاتفية الغريبة والمبهمة، والسلوك المخادع، وإخفاء الأسرار. وبمقدور الأولاد أن يكونوا مدمنين على تعاطي المخدرات دون أن يظهروا بهيئة البائس أو العيون الجاحظة، إذ يستطيعون التمثيل بسرية مطلقة، إذا شك الوالدان بابنهما فيجدر ملاحظة ما إذا كان لديه تقرحات في الفم أو الشفتين أو الأنف، وما إذا كان يبدو كالسكران أحياناً، أو «لا يرى بوضوح»، أو ما إذا كان يرافق «شمامي» المخدرات، وقتها يتعين على الوالدين الاستجابة لناقوس الخطر.



واجب الآباء والأمهات لوقاية أبنائهم من المسكرات والمخدرات

تفرض التربية الوالدية على الآباء والأمهات عدداً من المسؤوليات لوقاية أبنائهم من المسكرات والمخدرات، وأبرزها:

- **تقوية الإيمان عند أفراد الأسرة بشتى الوسائل الممكنة**: إذ إن الإيمان هو أفضل خط دفاع ذاتي ضد تعاطي المخدرات وشرب المسكرات، فالمخدرات والخمور والقمار محرمة على المسلم، فكلمة خمر التي وردت في الآية القرآنية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠) تعني أية مادة مسكرة، وتنطبق هذه الصفة على أي مادة تضعف العقل وتجعل متعاطيها يفقد سيطرته وتحكمه بنفسه سواءً كانت بنسبة ضئيلة أو كبيرة، لأن «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ خمرٍ حَرَامٌ» (مسلم).
- **قم بتوعية أسرتك بالأمراض التي يجلبها التدخين، وشرب الخمور، وتعاطي المخدرات، وبيّن الآثار الضارة لها**: واستعن بحضورهم مع شخص كان يعاني فعلياً من تعاطي المخدرات سابقاً، كي تحصل التوعية المطلوبة، ويطلب من الأولاد كتابة موضوع عن مخاطر المخدرات والخمور اجتماعياً وطبياً واقتصادياً، أو الطلب منهم عرض هذا الموضوع على الأسرة، وإذا كانوا بحاجة إلى المال؛ للقيام بأبحاثهم فإنهم يستحقون بلا شك مكافأتهم على جهودهم.
- **الإشراف والمراقبة الواعية للأولاد**: إن إشراف الكبار على سلوك الأولاد رادع فعال، فلا يقدم الأولاد على إيذاء أنفسهم لو كان هناك شخص بالغ يراقبهم، ولا يتعين الإذن لهم بأن يتأخروا حتى وقت متأخر من الليل خارج البيت، كذلك لا يحسن أن يتركوا وحدهم في المنزل حين خروج الوالدين للترفيه، وينبغي على الوالدين التركيز على عادة المشاركة بالفعاليات الاجتماعية لأفراد الأسرة جميعهم ما أمكنهم ذلك، وأن يخططا لقضاء أطول وقت ممكن معاً داخل المنزل وخارجه، إضافة إلى أن إعطاء المراهقين الكثير من المال عامل إفساد لهم ويمكّنهم من شراء المخدرات وما هو غير مشروع.
- **التفتيش الواعي لغرف الأولاد**: يجب على الوالدين تفتيش غرف أولادهم، في بعض الأحيان، والتأكيد لأبنائهم أنهم يدركون حاجتهم إلى الخصوصية ولكن الحرص واجب، ولا يحسن بالأم أو الأب القول: «أنا أفعل هذا من أجلك» بل يقال: «أنا مسؤول عن سلامتك وراحتك»، ولا يكون التفتيش لغرفهم بدافع الانتهاك العشوائي لخصوصيتهم، بل أن يكون بحثاً عن سبب حقيقي يفهمه المراهقون، كما ينبغي تفتيش الجيوب، والحقائب، والمحفظات من وقت إلى آخر دون علمهم.
- **عدم المبالغة في منح الخصوصية للأولاد**: تؤدي المبالغة في منح الأولاد الخصوصية إلى نتائج سلبية، فلا يوضع لهم جهاز التلفاز أو حاسوب متصل بالإنترنت في غرف نومهم، حيث سلطت جمعية (الحذر من شرب الخمور، ٢٠٠٩) الضوء على الأرقام التي تشير إلى الزيادة الكبيرة في كمية الخمور التي يشربها من هم في سن ١١ إلى ١٣ سنة في المملكة المتحدة.
- **التركيز على اختيار الأصدقاء الصالحين لأولادهم من المجتمع والأقارب والجيران**: ويحسن بالآباء والأمهات بذل الجهد الكبير للبحث عن الرفقة الصالحة من الأصدقاء لأبنائهم؛ لأن نتائج هذا الفعل تستحق كل الجهد المبذول فيه.

يقع الأولاد في بعض الأحيان في المشاكل على الرغم من وجود كل هذه التدابير الوقائية، ويرتكبون الأخطاء، فلا داعي للهلع؛ لأن لوعة القلب والغضب والمعاناة التي تنتج عن ذلك الذعر، يمكن أن تكون طاغية ومهلكة، عندها يتعين طلب نصيحة المختصين، لمساعدة الآباء والأمهات في حل المشكلات.

ومن المهم أن يتحكم الوالدان بمشاعرهما، وأن يضعا المشكلة في إطارها الصحيح، بحيث لا يكون تأثيرها مدمراً لشؤون الأسرة جميعها، ففي أغلب الحالات يمكن فعل الكثير بوجود المساعدة المختصة للوصول إلى علاج كلي أو جزئي، ويكون النظر في التدخل العلاجي؛ هو الخطوة المنطقية التي يجدر اعتبارها، وإن ما يحسن أن يتجنبه الوالدان، هو الاختباء وتجنب طلب العون، بسبب خوفهم من وصمة العار التي ستلتحق بهم إذا علم الناس بوجود مدمن للمخدرات أو الخمور في الأسرة، أو ربما الخوف من العواقب القانونية.

مشاركة الأولاد ببعض الأفكار: ويحسن بالآباء والأمهات مشاركة أولادهم الأفكار الآتية للوقاية من الوقوع بمشكلات إدمان شرب الخمر:

١. الخمرة هي أم الخبائث والشرور كلها

إن شرور الخمر وخبثها لم يعد يخفى على أحد، بخبثها الصحي ناهيك عن خبثها المعنوي الذي يدفع السلوك دفعاً نحو الشر فاستحقت بذلك أن تكون «أم الخبائث» و«والشرور كلها»، وهناك قصة من التراث عن مخاطر شرب الخمر، فيها أن سيدنا عثمان رضي الله عنه قام خطيباً في الناس فقال: «اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِث، إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلَا قَبْلَكُمْ تَعَبَّدَ، فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّا نَدْعُوكَ لِلشَّهَادَة، فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَة وَضِيئَة عِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيَةُ خَمْر، فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَة، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ، أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَة كَأْسًا، أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ، قَالَ: فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا، فَسَقَتْهُ كَأْسًا، قَالَ: زِيدُونِي فَلَمْ يَرِمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ، فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا وَاللَّهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ، وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلَّا لَيُوشِكُ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ» (النسائي).

٢. الكوكايين يؤذي الجنين

ظهر في الولايات المتحدة في منتصف الثمانينيات نتيجةً لتعاطي المخدرات وباء أسموه أطفال الكوكايين، وسببه تعاطي الأمهات الحوامل للكوكايين، ولاحظ الأطباء أن الأطفال الذين يولدون للنساء الحوامل اللاتي يتعاطين الكوكايين يختلفون عن غيرهم من الأطفال، فهم يعانون من نقص الوزن، ويرتجفون، ويصرخون كثيراً، ويرتعبون من العناق أو اللمس، ويذهلون من سماع الأصوات وهم دون سن المدرسة، ثم يبقى الكثير منهم غير قادر على الجلوس بثبات أو التركيز الذهني حتى في أثناء الأنشطة التي يستمتعون بها. إن أطفال الكوكايين هؤلاء هم جيل ضائع (Begley ,1998)

٣. ليس كل الأولاد أبرياء

في عام ١٩٨٧ دعا رئيس جمعية الشباب المسلم في أمريكا الشمالية (MYNA- Muslim Youth of North America) مسؤول الشرطة في هيرندن، بولاية فيرجينيا، إلى ندوة حول الوقاية من المسكرات في قاعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وروى رئيس الشرطة هذه القصة:

«حدث أن تلقيت مرة الكثير من الشكاوى حول فقدان أشياء ثمينة في المدينة، اشتبهت بصبي عمره ١٤ عاماً، فذهبت إلى والديه ومعي رخصة تفتيش لغرفة الصبي، رد علي والداه بحزم: «مُحالٌ أن يكون ابننا الفاعل، فهو صبي رائع وصالح». سألتهما: «هل سبق لكما أن فتشتما غرفته؟» قالا: «أبداً، فهو يصر على أنها غرفته الخاصة ولا يسمح لأحد بدخولها، ويقفلها دائماً عندما يخرج»، وعندما دخلت غرفته وجدت الأشياء الثمينة المفقودة: أجهزة تلفزة وكاميرات، وأجهزة ستيريو، وساعات، ومجوهرات، نصحت والديه قائلاً لهما: «مع أنكما أكرمتماه بغرفة خاصة له، إلا أنكما لا تزالان تملكان المنزل، ولديكما الحق في الدخول أينما شئتم في المنزل، وأنه يتعين عليكما تفقّد غرفته من وقت لآخر».

نصيحة من مراهق مدمن على الخمور

نصف لِتر من البيرة كثير، ولكن برميلاً كاملاً لا يكفي!

إياك أن تشرب أي كمية من الخمر، حتى لو كانت الكمية قليلة جداً، فبمجرد أن تشرب هذه الكمية فستقع في الهاوية، حتى تصل إلى درجة لن يرضيك معها برميل كامل منها، ثم تجرب شراباً من نوع آخر أقوى طعماً وأكثر فتكاً، وهكذا إلى أن تصل إلى تعاطي المخدرات المدمرة.

هل يمكن أن يحدث هذا لولدك؟ إذا اتبعت توصيات رئيس الشرطة فيندر حدوث ذلك!

الإدمان مقابل التواصل الأسري السليم

يحسن بالآباء والأمهات أن يسألوا أنفسهم هذا السؤال:

«هل علاقتنا صحية مع أولادنا؟ وهل نشعر بأننا بعيدون عنهم؟» تُعرّف العلاقة الصحية مع الأولاد: أنها الشعور بالحماسة والعاطفة والتطلع لرؤية أولادك والقرب منهم، وأن يشعر الأولاد بالشعور نفسه عند لقائك. وعندما يشعر الإنسان بأنه مرتبط بالآخرين فإنه يرغب بجوارهم، والتمتع بقربهم، وتبادل الأفكار والحديث والتحاور معهم.

يقبل الأفراد على إدمان الخمور والمخدرات عندما يشعرون بالعزلة عن المجتمع. ففي الولايات المتحدة الأمريكية ١٦,٦ مليون شخص في عمر ١٨ سنة أو أكبر (أي ما يعادل ٧٪ من هذه المرحلة العمرية) تعرضوا لحالة من الإفراط في شرب الخمور في عام ٢٠١٣. (National Institute on Alcohol abuse and Alcoholism).

أما في بريطانيا فهناك ١٢٪ من الأفراد في عمر ١٥ أو أكبر، قد تعرضوا لحالة من الإفراط في تناول الخمور في عام ٢٠١٠.

والآباء الذين يحتسون الخمور لا يميلون للكلام أو اللعب مع أبنائهم، فعندما ينصرف الآباء عن أبنائهم فإن الخمور والمخدرات والتدخين تقومان بدور البديل لإشباع رغبات الأبناء المكبوتة، حيث يتشبثون بالشيء الذي يمنحهم الرضى واللذة المؤقتة، كما أن تناول الخمور يرتبط بالحالات الانتحارية سواء بالأفكار الانتحارية أو بالسلوك الانتحاري والاكتئاب.

يتعين تعلم كيفية التواصل مع الأقارب والتقرب منهم، فالمرور بتجارب ومشكلات مشتركة تجعل علاقة أفراد الأسرة أوثق وأمتن، وتكمن مسؤولية التربية الوالدية مراقبة الوالدين لأولادهم بشكل مستمر، والتدخل المبكر في الوقت المناسب، فلا استراحة أو أخذ إجازة من هذه المسؤولية، فالأمر مثل دفع عربة صعوداً بلطف وحزم، فإذا توقف المرء لحظةً عن الدفع فسوف تهوي العربة لمكانٍ سحيق، فإذا كان أبناؤهم ممن يرتادون الحفلات مثلاً؛ فيتعين على الوالدين معرفة حقيقة ما يحدث في تلك الحفلات، وعادة ما يصعق الآباء والأمهات عندما يعرفون أن أبناءهم ضبطوا يشربون الخمور ويتعاطون المخدرات مع مجموعات من الرفقاء في المدارس أو الحيّ، أو فرق موسيقية، فلا يتخلَّ الوالدان عن مسؤوليتهم لاعتقادهم أن أولادهم في أيد أمينة خارج المنزل. فالثقة وحدها لا تكفي، فلا بد من التأكد والتحقق والتثبت دائماً ومبكراً، كما يتعين على الآباء والأمهات التأكد من جليسات وجلساء أبنائهم عند غيابهم عن البيت، من عدم العبث بأشياء تتعلق بأدوية أو عقاقير فقد يجدون في خزانة الأدوية بالمنزل أقراصاً منومة كي ينوموا أطفالكم؛ لينعموا هم وقتها بالراحة والحرية في فعل ما يريدون! إن أفضل «جلساء للأطفال» هم الأجداد الذين يتمتعون بالخبرة والحب والحنان.

إذا كان كلا الوالدين مدخناً، فهل يمكن أن يتجنب أولادهما التدخين - قصة شخصية!

مع أن والديّ كانا مدخنين، فأنا لم أدخن قط، فما سبب ذلك؟ سببه أن أبي كان يقول لي: «يا بني، أنا ضحية لهذه العادة السيئة، أتمنى أن أتركها، لكنني لا أملك الإرادة القوية، لذلك فهو خطأ ويدمر صحتي كما ترى»، وعندما كنت أنظف خرطوم الشيشة المليء بالقطران والمعجون الأسود، قال لي: «يا بني، كل هذه الأشياء القذرة تملأ صدري الآن!»

إذا كان الوالدان يرتكبان أخطاء فعليهما أن يعترفا بذلك ويوضحا لأولادهما عواقب ارتكابها، كي يتجنبوا مثل هذه الممارسات السيئة، وينطبق هذا المبدأ على أية عادة سيئة: التدخين، وشرب الخمر، والسهر، والنوم حتى الظهيرة، والإفراط في الأكل، وقضم الأظافر، والتحدث بصوت عالٍ، وعدم الإصغاء للآخرين، والنوم المفرط. وعلى أي حال، يجدر بالآباء والأمهات توخي الحذر في اختيار ما يناسب من النصائح لعمر الولد، وكذلك الجو الملائم لتوضيح أضرار عاداتهم السيئة ومشكلاتها، ومِن ثمَّ حماية أولادهم من فقدان ثقتهم بهما، وثقتهم بأنفسهم، أو عدم احترام الأبناء وتقديرهم لوالديهم.

قم بتأسيس تواصل سليم مع أولادك كونك قدوة صالحة ونموذجاً يحتذى به

ماذا يجدر بالآباء والأمهات قوله لأبنائهم إذا كانوا، أي الآباء والأمهات، مدخنين أو يشربون الخمور، أو يتعاطون المخدرات؟ لا يوجد حقاً بديل عن كون الوالدين قدوة حسنة لأولادهما، ومع ذلك، إذا كان الوالدان مدمنين وعاجزين عن ترك تعاطي المخدرات، فينبغي على الأقلّ أن يعترفا بالتقصير، وأن يشرحا لأولادهما الأضرار الناشئة عن الإدمان، وتجنب ما وقعا فيه، وأن يبينا لهم كيف أن الإدمان على شرب الخمور وتعاطي المخدرات مأساة مريرة. فالكذب والتسويغ والنفاق يزيد الوضع سوءاً؛ لأن الأولاد حينئذ يعتقدون أنه لا بأس أن يكونوا كاذبين أو منافقين لتسويغ أخطائهم.

برامج الرعاية بعد المعالجة: استخدام الدين كوقاية

إذا وقع الابن أو الابنة ضحية شرب المسكرات أو تعاطي المخدرات، فإن العلاج في مركز متخصص للرعاية يعد المرحلة الأولى للعلاج؛ وما بعد الرعاية هي المرحلة المهمة والحاسمة، فغياب الرعاية الكافية بعدئذ يمكن أن يؤدي إلى ضياع جهود الوالدين والمركز العلاجي وذهابها، فالعناية البَعدية تعني مواصلة التقدم والتحسن الذي تحقق في مركز العلاج، وبذلك استمرار العلاج ودوامه قد يكون أهم من العلاج نفسه.

يواجه الآباء والأمهات صعوبة بالغة في رعاية ما بعد العلاج المتخصص، فمن الخطورة بمكان عندما يتحسن حال الولد بعد خضوعه لبرنامج العلاج المكثف أن لا يواصل الوالدان العلاج! فقد يعيد خلاف واحد من الابن مع الوالدين إلى إساءة سلوكه والانتكاس إلى الوراء، وإن مكالمة هاتفية من غير تعقل قد تعيد الولد إلى الاتصال بأصدقاء السوء، وإن رشفة واحدة، أو استنشاقة، أو ابتلاع كبسولة واحدة، قد تعيده إلى الإدمان! فالفوز في المعركة الأخيرة تحدده الرعاية البَعدية!

ويذكر سكوت (Scott, 1989) أن مراكز علاج تعاطي المخدرات على الدوام تطبق مفهوم «السلطة الإلهية والقوة العليا» في علاجها، إذ يتجاهل علم النفس الإشارة إلى كلمة اللّه تعالى في ما يختارونه من علاج، فكما سبق وقلنا: كلمتان مفقودتان عند الغرب «اللّه أكبر» و«اللّه أعلم»؛ على الرغم من أن المستشارين المتخصصين يعلمون حق العلم أن البرامج الروحية والدينية برامج فعالة، ولا يضاهيها شيء آخر في الفعالية والنتائج.

فانتباه الوالدين دوماً مطلوب في الأوقات جميعها، وخاصةً في الحالات الآتية: إذا كان ولدهم يميل إلى الانتحار، أو ينفر من نطاق السيطرة، أو يعرض الآخرين للخطر، أو بحاجة إلى المواد المضادة للسموم بسبب

تعرضه للكيماويات، أو عليه أن يدخل مركز إعادة التأهيل، أو حكم عليه بالسجن، أو يصاحب أصدقاء السوء. وإذا كان على الوالدين أن يزورا ولدهما في إحدى هذه المؤسسات، فينبغي ترتيب زيارات دورية برفقة شخص متدين حكيم لإبقاء ولدهم على صلة بالله تعالى.

خرق القانون

قد ينتهي المطاف بمتعاطي المسكرات والمخدرات من الأولاد إلى خرق القانون، فيصبح بذلك جانحاً، والجانح هو من يكون دون السابعة عشر من العمر، ويرتكب فعلاً يعاقب عليه القانون، ومعظم الآباء والأمهات لا يخطر في بالهم أن أبناءهم سيسجنون يوماً ما، ومع ذلك فإن هذا يحدث للكثيرين، ويمكن الوقاية من ذلك إذا ربى الوالدان أبناءهما وبناتهما على احترام القانون.

أما إذا كان الآباء والأمهات يتجاوزون السرعة المحددة للقيادة، ويقطعون الإشارة الحمراء، ويغشّون في إقراراتهم الضريبية، ويكذبون على موظفي الجمارك، ويسرقون من مكان العمل، ويكذبون نيابةً عن أولادهم حين يتغيبون عن المدرسة، فمن الطبيعي بعد كل هذا أن يشعر الأولاد أن القانون في الحقيقة ليس له أي احترام عند والديهم، كذلك إذا كان الآباء والأمهات ينظرون إلى الشرطة كعدو، حينها سينظر أولادهم للشرطة نظرة معادية تماماً كنظرة والديهم.

ولدى بعض المهاجرين في الغرب اعتقاد خطأ، وهو أنهم يعيشون كأقلية مسلمة في بلد تحكمه القوانين العلمانية، فلهم مطلق الحرية في مخالفة هذه القوانين، ويدحض الشيخ (طه جابر العلواني) هذا المفهوم الخطأ فيقول: عندما يدخل شخص دولة أجنبية، فهو في حقيقة الأمر يوقع «عقداً» مع تلك الدولة على الالتزام بدستورها وقوانينها، ويترتب عليه إذاً، بوصفه مسلماً، احترام الاتفاقيات جميعها والعهود التي قطعها للدولة التي يعيش فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ (المائدة:٤٦) كما أمرنا الله تعالى ورسوله ﷺ بقوله: «الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ» (صحيح الجامع الصغير). والمسلم الذي لا ينوي اتباع قوانين بلد ما؛ عليه ألّا يدخلها، أو أن يعلن بصراحة عن عصيان قوانينها، وفي هذه الحالة يُمنع منها بحكم القانون.

إذا وجد المواطنون داخل بلادهم أن قانوناً معيناً فيه ظلم لهم؛ فيلزم أن يسعوا لتغييره وفقاً للإجراءات القانونية والديموقراطية كما هو مفصل في الدستور، ويحرم الإسلام على الأفراد تطبيق القانون بأيديهم وكما يحلو لهم، فمما لا شك فيه أن هذا سيؤدي إلى الفوضى والظلم، وفي الوقت نفسه، على المسلم ألا يرتكب الظلم إذا كان مما تأمر به القوانين المدنية، إذ لا يجوز للمسلم إطاعة القانون الذي يأمره باقتراف الحرام، وفي هذه الحال، وعندما يكون القانون غير عادل، فإن العصيان المدني السلمي هو الطريق الفعال والأسلم لتغييره، كما أكد فعل ذلك غاندي ومارتن لوثر كينغ، وكما فعله قبلهم بوقت طويل سيدنا محمد ﷺ؛ عندما تحدى زعماء قريش الكفار وقاد أتباعه إلى الحج سلمياً في مكة مما أسفر ذلك عن معاهدة صلح الحديبية عام ٦٣٠ م.

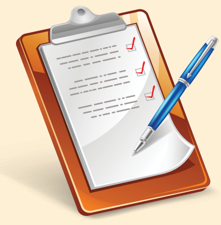
إحدى الودائع التي لا يمكن تعويضها: جسمك أمانة!

لدينا أصول ثابتة، وأصول منقولة، وأصول لا يمكن تعويضها، ومع أننا نستطيع شراء المزيد من السيارات والمنازل والأثاث، إلا أنه ليس لدينا سوى جسم واحد،

ولا نستطيع شراء جسم آخر بديل عنه عند إصابته بضرر، وهو أمانة استودعها الله تعالى عندنا، وعلينا أن نعتني به وفقاً لإرشادات وتوجيهات خالقه عز وجل الذي صاغه وصورّه وأوجده.

ينحصر دورنا فقط في أن نكون أوصياء وأُمناء على هذه الأمانة والوديعة الثمينة التي ائتُمنّا عليها. ويجدر أن يترجم هذا عملياً في المواقف والمجالات جميعها مثل: الحرص على النظافة، والتغذية الصحية، والنوم الكافي، وتجنب المسكرات والمخدرات، والابتعاد عن ممارسة الجنس خارج نطاق الزوجية.

الأنشطة



النشاط ٣٦: جدول الفحص الطبي

اجلس مع عائلتك وارسم جدولاً بالفحوص الطبية اللازمة لأفراد الأسرة جميعهم، بما في ذلك رعاية الأسنان والفم، وتشاور مع أمين مكتبة أو معلم أو ممرضة أو طبيب أو مستشفى بهذا الخصوص، ثم وزع نسخة من الجدول النهائي لكل فرد من أفراد الأسرة كي يحاسبوا أنفسهم عليها.

النشاط ٣٧: خطة الأسرة للياقة البدنية

ناقش مع أولادك موضوع التمارين البدنية التي تمارسها عائلتك، ثم اتفق مع أفراد الأسرة على خطة للرياضة البدنية، وضع جدول تمارين لممارستها باعتدال، ثم حاول زيادة التمارين وتنوعها تدريجياً ودورياً، كذلك حاول المشي بدلاً من السيارة، ولتفعيل هذه الرياضة يجدر أن تضع ميزانية لشراء المعدات الرياضية اللازمة حسب جدول التمارين الذي وضعته، أو للاشتراك والحصول على عضوية في نادٍ رياضي، ولا يفوتك الالتزام بالتغذية الصحية الموازية للتربية الرياضية.

النشاط ٣٨: استخدام ألفاظاً ترحيبية ذات معنى ومغزى

عندما تلتقي أولادك في المرة القادمة، بدلاً من قولك: مرحباً، كيف حالك؟ كيف الأمور؟ جرب تحيةً ملؤها الاهتمام والمحبة والعطف، وأسأل الأسئلة الآتية:

- هل أكلت طعاماً مغذياً اليوم؟
- هل نمت جيداً؟
- هل قرأت شيئاً اليوم؟
- هل أعنت أحداً اليوم؟
- هل صليت في الأوقات المقررة؟
- هل مارست الرياضة اليوم؟
- هل ابتسمت في وجوه أصدقائك؟
- هل قبّلت والدك/ والدتك/أشقاءك وصافحتهم وحضنتهم؟
- هل فعلت أي خير؟

ليس مهماً أن تسرد كل ما ورد أعلاه، فاختيار عدد قليل منها يكفي.

أضف أي مسألة ذات صلة بهذه الموضوعات وفقاً للمناسبة والحالة الخاصة للولد.

النشاط ٣٩: عادات النوم

اشرح لأطفالك آداب النوم، وتناول الطعام، مع الاقتداء بالأحاديث أدناه:

روى ابن ماجة أن الرسول ﷺ (رَأَى رَجُلًا مُضْطَجِعًا عَلَى بَطْنِهِ فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ ضِجْعَةٌ لَا يُحِبُّهَا اللَّهُ») (سنن الترمذي). فيعد النوم على البطن والأكل متكأً عادات غير صحية للظهر والأعضاء الداخلية، والنوم على الجانب

الأيمن هو الأكثر فائدة، على حين أن النوم على الجانب الأيسر يتسبب في ضغط الرئتين والمعدة والكبد على القلب، مما يسبب الإجهاد للبدن، وإنها لعادة محمودة أن تتبع ضوء النهار: نم مبكراً بعد صلاة العشاء، وانهض مبكراً لصلاة الفجر قبل شروق الشمس.

النشاط ٤٠: خلقُ جو منزلي مناسب

يحسن بالآباء والأمهات أن يجلسوا مع أولادهم لمناقشة خطة عمل يسيرة، والاتفاق على تنفيذ الفقرات الآتية في المنزل: الحب، الفرح، الضحك، التواصل المنفتح، الثقة المتبادلة، التشجيع، التميّز، وتحقيق الإنجازات. كذلك الاهتمام بأولادهم من حيث أكلهم وصلاتهم ولعبهم معاً، واحترامهم وتكريمهم وتقبيلهم ومعانقتهم والابتسام لهم. حتى إن لم يعتد الوالدان على هذه الممارسات، فلن يكون الوقت متأخراً كي يبدأوا تطبيق هذه الأمور كلها أو معظمها، والمهم أن يحرصوا على تنفيذها بصدق.

النشاط ٤١: مناقشة استباقية حول علامات متعاطي المخدرات

يجدر بالآباء والأمهات الجلوس معاً ومناقشة ما ينبغي القيام به، عندما يكتشفون الأدلة التي تشير إلى أن ولدهم يتعاطى المخدرات، ولا بد من اتخاذ هذه الخطوات: التشاور مع المختصين، وتثقيف أنفسهم في هذا الموضوع، والتحدث مع الأصدقاء والأقارب الحكماء، وتجنب الهلع والذعر والحزن الشديد، أو الضرب والإكراه، لأنها طرائق مضرة للتعامل مع المشكلة، وهي منهِكة عاطفياً وتزيد الأمور سوءاً.

النشاط ٤٢: جسّد دور ضابط شرطة ومثّله

يقترح الآباء والأمهات على أولادهم المراهقين تخيل أنفسهم قضاة، أو ضباط شرطة، أو ناشطين اجتماعيين، يتعين عليهم القيام بوظائفهم. فما هي مسؤولياتهم؟ وما هي تصرفات الأولاد التي تحصل أثناء قضائهم يومهم في العمل؟ هل عملهم جيد أو غير جيد؟ وهل يمكن أن يتخيلوا أنفسهم يعتنون بالمجتمع حولهم ويراقبون المجرمين؟

يساعد أداء هذه الأدوار الأولاد على إدراك أن المشرفين والمعلمين ورجال الإطفاء ورجال الشرطة والنساء الشرطيات بشر عاديون، لديهم بيوت وعوائل وأقارب ومشاعر وعندهم مشكلات، تماماً مثل أي شخص آخر، فإذا واجه الأولاد المراهقون مشكلات في هذه المجالات؛ حينها يعرّفهم الوالدان بضابط شرطة حقيقي أو ناشط أجتماعي، كي يتيح لهم معرفة المزيد من المعلومات عن هذه الوظيفة.

ويعد القيام بزيارة إلى المحكمة للاستماع إلى المرافعات التي تجري تجربة لا تنسى، فرؤية المكان على الحقيقة، والتعرف على العمل هناك، والاطلاع على كيفية عمل المحامين والقضاة في المحاكم، هو التعليم الميداني الحقيقي، وإنها لفكرة جيدة تنظيم مثل هذه الزيارة التي تفتح عيون الأولاد على واقع المجتمع.



الفصل الثاني عشر

التربية الجنسية للأبناء

- **مقدمة**
- **ماذا تعني التربية الجنسية؟**
- **لماذا التربية الجنسية؟ وهل ينبغي تعليمها؟**
- **ماذا نعلّم الأولاد في التربية الجنسية؟**
  - مدى خطورة الزنا (الاعتداء الجنسي) ونتائجه الكارثية
  - العبرة من العقوبة الشرعية للزنا
- **المشهد الأمريكي**
  - القيم الأخلاقية والجنس في أمريكا بين الأمس واليوم
  - تصورات بعض الأمهات والبنات عن الجنس في أمريكا
  - لماذا فضل أستاذ بارز مغادرة الولايات المتحدة؟
  - الأمراض المنقولة جنسياً في أمريكا وإنجلترا
  - حمل المراهقات في أمريكا: إنجاب الأولاد للأولاد
  - نوعية حياة المراهقات الأمريكيات الحوامل بين خياري: الإجهاض والتبني
    - حكم الإجهاض في المنظور الإسلامي
    - حكم التبني في المنظور الإسلامي
- **التربية الجنسية في الإسلام**
- **واجب الوالدين تجاه أولادهم في التربية الجنسية**
- **واجب الوالدين تجاه أولادهم بالتربية على النظافة المتعلقة بالجنس**
- **علاقات العشيق والعشيقة (boyfriend - girlfriend) ومتطلبات التربية الوالدية**
- **عمل قوم لوط (المثلية الجنسية) ومتطلبات التربية الوالدية**
- **المراهقون والعذرية قبل الزواج**
- **الحل الإسلامي لمعضلة الجنس: خريطة الطريق الوقائية**
  - الحياء
  - آداب اللباس
  - لا اختلاط بلا حدود، ولا خلوة مطلقاً
  - ضغط الأصدقاء على الأولاد وضغوط أخرى
    - ضغط الأصدقاء
    - ضغوط أخرى
    - ما العمل تجاه ضغط الأصدقاء والضغوط الأخرى؟
  - الزواج المبكر
    - معضلة النظام التعليمي مقابل الزواج المبكر
  - حماية الأولاد من الاعتداء الجنسي
    - نصائح عامة لحماية الأولاد من الاعتداء الجنسي
    - نبِّهوا أولادكم حول الدعارة في الوقت المناسب
    - عندما يكون طفلك ضحية لزنا المحارم أو الاغتصاب
  - منهج دراسي مقترح في التربية الجنسية في الإسلام
- **الأنشطة ٤٣-٤٤**

مقدمة

لا يخفى أن لموضوع الجنس وتعليمه أهمية كبيرة، بيد أن معظم الآباء والأمهات يشعرون بالحرج عند مناقشة الجنس، فيتركون تربية أولادهم الجنسية للمدارس ولغيرهم من الناس، ولا يدركون أن التعامل الصحيح مع مسألة الجنس يضمن للإنسان أن يكون لائقاً بدنياً، وصحياً، وعقلياً، وقلبياً، وروحياً، واجتماعياً، وفي المقابل تؤدي ممارسة الجنس بطرق غير مشروعة إلى مأساة، وتسبب أضراراً اجتماعية وجسمية. ولا تقتصر الإصابة بالأمراض على من يمارسون الجنس المحرم، ولكن تعرض أزواجهم وذرياتهم للإصابة بها أيضاً، وقد تكون الإصابة شديدة إلى حد لا يمكن الشفاء منها.

حرّم الله تعالى الزنا، وحذرنا من الانحلال الجنسي والأخلاقي لما يجلبه من مصائب وحسرات، فجعل ممارسة الجنس محصوراً في إطار الزواج فقط، حيث إن الأمراض المنقولة جنسياً تنشأ من ممارسة الجنس المحرم، وقد تظهر أنواع جديدة من الأمراض كنتيجة للانحراف؛ فيتعين على الآباء والأمهات القيام بدور نشط وفعال في تثقيف أنفسهم جنسياً كي يتثقفوا أولادهم ويعلموهم ما عرفوه.

ماذا تعني التربية الجنسية؟

لدى كثير من الناس تصورات وأفكار مختلفة عن التعليم الجنسي (التربية الجنسية) ، فهل هو التعليم الذي يخص علم التشريح وعلم الوظائف الحيوية في جسم الإنسان، أم علم الجِماع، أم التكاثر والحياة الأسرية، أم الوقاية من المرض والحمل غير المرغوب فيه؟ وهل تعليم الأولاد الجنس يعطيهم الإذن لممارسته؟ قال معلم ذات مرة: «ليس المقصود من تعليم أبنائكم الجنس أن نخبرهم بأن يمارسوه أو لا يمارسوه، ولكن كل ما نعلمهم إياه هو أن عليهم، إذا قرروا ممارسته، معرفة كيفية الوقاية من الأمراض التي يسببها، إضافة إلى الحمل غير المقصود»، حيث إن معظم برامج التعليم الجنسي غير مكتملة، كما تتجنب الدخول في القضايا المهمة مثل: الأخلاق والقيم، الخلل الوظيفي الجنسي، والانحراف الجنسي، والزواج.

هناك نوعان من القضايا الأساسية في تعليم الجنس، والتربية الجنسية للأولاد التي تطرح في المدارس الغربية خاصة، أولاها: حقائق التكوين العضوي ومخاوف مرحلة المراهقة عند الأولاد الذين لم يتحدث معهم والداهم عن الحيض والاحتلام، والقضية الأساسية الثانية هي إعطاء الشباب النشطين جنسياً معلومات كافية لتجنب الحمل غير المرغوب فيه، وما يمكن أن يترتب عليه من إجهاض، لأن هذه المعلومات تحميهم من الأخطار الجسيمة، أما القضية الأساسية الثالثة التي لا تقل أهمية عن القضيتين السابقتين هي الدين وما يتبعه من المسؤولية الأخلاقية؛ فبهما يجب أن تضبط ممارسة الجنس وحدوده مع الآخر، في ميزان سماوي يحفظ إنسانية الإنسان ورغباته في آن واحد، وهذا هو الجانب المفتقد في التربية الجنسية التي تطرح في المدارس إلا القليل منها.

إذ تُعَلّم بعض المدارس شيئاً من آليات التكاثر، إضافة إلى المسؤولية الأخلاقية، في حين توفر مدارس أخرى معلومات قليلة متفرقة. ويشغل تعليم الجنس في كثير من المدارس حيزاً كبيراً من المنهاج الدراسي للتربية الاجتماعية والأخلاقية، فإذا طلبت ألا يحضر ولدك هذه الدروس؛ فإن ذلك لا يجدي نفعاً، لأن الموضوعات الجنسية في هذه المادة تجدها في مواد أخرى أيضاً، مثل: مادة اللغة الإنجليزية أو

التاريخ أو التربية البدنية أو الفن أو برنامج التربية الدينية الأسبوعي، فهي عادةً تطرق في العديد من المواد، ومما لا شك فيه أن الجنس غدا جزءاً لا يتجزأ من حياتنا.

ولا يشجع معظم ما نتلقاه عن التربية الجنسية حول الحياة الزوجية السعيدة، لذلك أصبحت حياة العديد من المتزوجين مملوءة بالإحباط لنقص معرفتهم ومهاراتهم في كثير من الأحيان، إضافة إلى الاعتقادات الشائعة وغير الصحيحة مثل: «قدرة الرجل على إثارة زوجته وإرضائها جنسياً تأتي طبيعياً»، ولا شك أن معرفة كيفية إنشاء حياة زوجية سعيدة هي جزء حاسم ومفصلي في التعليم، ومما يؤسف له أن هذا النوع المفيد لا يقدم للشباب في أي مرحلة من حياتهم.

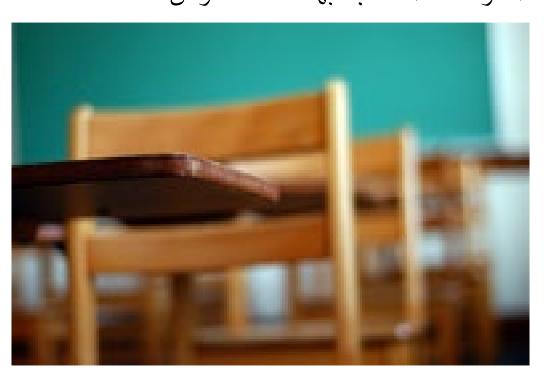
إذا أصبح ابنك المراهق نشيطاً وفعالاً جنسياً، فمن المحتمل أن تكون أنت آخر من يعلم بذلك، لأن المراهق يحاول عادةً أقصى ما يستطيع الحفاظ على خصوصياته، ويكوّن المراهقون شبكة علاقات سرية بينهم، يعرفون من خلالها الكثير عن أصدقائهم وبسرية تامة بعيداً عن الآباء والأمهات.

يكمن الحل الحقيقي والمرضي لمسألة التربية الجنسية وتعليم الجنس هو الأخذ بنموذج النبي محمد ﷺ والاقتداء به في تربيته لمن حوله، بما يحفظ عليهم فطرتهم ويوجهها الوجهة المناسبة بما يرضي اللّه تعالى، بعيداً عن السلبيات المؤدية للهلاك، حيث إن طريقة تعليم الجنس في المدارس اليوم تنطوي على إيجابيات وسلبيات كثيرة، فيجدر بالآباء والأمهات بتربيتهم الوالدية أن يحملوا على عاتقهم مسؤولية توجيه أولادهم؛ لأن المعلومات المتوفرة للأولاد من المجتمع، والمدرسة، والتلفاز، والإنترنت، والهاتف الجوّال وأصدقائهم تختلط فيها السلبيات والإيجابيات.

لماذا التربية الجنسية؟ وهل ينبغي تعليمها؟

يحرص المراهقون حرصاً شديداً على معرفة كل ما بوسعهم معرفته عن الجنس، فهم يعيشون في اضطراب وحيرة، ويتعطشون إلى تلقي إجابات واقعية وشخصية وافية، وحينما تسنح لهم فرصة لمناقشة الجنس بجدية، فإنهم يتكلمون بانفتاح، وعادةً ما تكون أفكارهم معقولة ومنطقية، وهم يبحثون عن المعايير والمعنى، راغبين في التكيف مع حياتهم الجنسية، ويبرز السؤال هنا: هل يتعين أن تدرس مادة تعليم الجنس (التربية الجنسية) للمراهقين في المدارس؟

يأتي هذا التعليم في كثير من الأحيان في وقت متأخر؛ لأن الجنس في الواقع يجري تعلمه بصورة مشوهة وغير لائقة على الإنترنت، وفي ساحة المدرسة، وفي الشارع، قبل ذلك بوقت طويل، كما يتعرض الأولاد للجنس بالكلمات والصور التي تملأ محيطهم باستمرار، والتي غالباً ما تكون مبتذلة وفاضحة، ولا ننسى الشاشتين الكبيرة والصغيرة، والشوارع التي هي مصدر لا ينضب للمعلومات غير المنضبطة، ولا يتردد باعة البذاءة والإباحية أبداً في تبادل «تفاصيل» الجنس والمشاعر التي ترتبط به، ونشر ذلك بين الأولاد، ويوفر لهم أصدقاؤهم تجاربهم وخبراتهم في هذا المجال، الحقيقية منها والمتخيلة، عن طيب خاطر، في حين يحافظ الآباء والأمهات والمعلمون وينأون عن مشاركة الأولاد المعلومات المناسبة بهذا الخصوص.



للتربية الجنسية جانبان: المعلومات، والقيم. ويعد البيت أفضل مكان لتعلُّم القيم واكتسابها، ويعتبر الخبراء أن الوالدين هما أفضل من يقدم المعلومات لهم، وننوه هنا إلى أهمية الانتباه إلى أنه ليس كل الأسئلة المتعلقة بالجنس تظهر من التعطش للمعرفة، بل هناك بعض الأولاد الذين يهدفون إلى إحراج والديهم بأسئلتهم عن الجنس، مما يدفعهم إلى تجنب الإجابة عن مثل هذه الأسئلة، كما أننا لا نتوقع من الوالدين أن يكونا دائماً صريحين وعالمين بكل ما يتعلق بالنشاط الجنسي.

يتعين على الوالدين أن يوفرا لأولادهما المعلومات التي سبق أن تأكدا من صحتها بعد بحث ودراسة، مع إحالة الأسئلة الأخرى التي لم ينلها الفحص والتدقيق إلى المختصين للإجابة عنها، ويحسن بالوالدين تشجيع أولادهما المراهقين على المشاركة في مناقشات حول الجنس، ليس تلك التي تجري برعاية المدرسة فقط، بل وهي الأهم، تلك التي تجري في أماكن العبادة والمراكز الاجتماعية؛ إذ قد تسهم المعلومات المنقولة نقلاً موضوعياً وأميناً في التقليل من العداء، وتزيد من تبادل الثقة بين الأجيال، كذلك قد تعيد للكبار ثقتهم في الشباب، وقد يجد الشباب، مع وجود هذه الفجوة في السن، أن البالغين حقاً معنيون ومهتمون براحتهم ومشاركتهم الإنسانية.

وقد يتساءل المرء: هل يحتاج الأولاد حقاً إلى تعلُّم الجنس؟ وهل نعلّم فرخ البطة السباحة قبل أن نرمي به في الماء، أم نكتفي بوضعه في الماء وندعه يسبح؟ لقد كان الرجال والنساء على مدى آلاف السنين يمارسون الجنس دون الحصول على تعليم رسمي فيه، وفي كثير من الحضارات التقليدية كانوا يبدأون بتعلّم الجنس عن طريق التجربة والخطأ بعد الزواج، ولكن إنجاب اثني عشر طفلاً ليس دليلاً على الحب والمودة بأي حال من الأحوال، ولا شك أن تعليم الجنس المناسب والصحي أمر مهم في الوصول إلى زواج سعيد.

من الذي تُلقى عليه مهمة تدريس مادة الجنس والتربية الجنسية؟ إنّ لكل شخص دوراً يؤديه في هذا المجال، ويحسن بالآباء والأمهات معرفة الحقائق والقضايا المهمة، والحرص على تأدية دور فعال في هذه التربية، ومن المستحسن في الغالب أن يجيب الأب عن أسئلة أبنه، وتجيب الأم عن أسئلة أبنتها، فلا يمكننا الاعتماد على تعليم الجنس في المدرسة أو من وسائل الإعلام ووسائل الاتصال الإلكترونية، ومن واجبنا دعم الأبعاد الأخلاقية والمعنوية الغائبة في هذه التربية، وينتظر من الوالدين ملء هذه الفجوة، كذلك يحسن بمعلمي المدارس، وطبيب العائلة، وطبيب الأطفال، والمثقفين والمطلعين، وعلماء الدين، القيام بدورهم في هذا الموضوع، وهناك واجب آخر يقع على الشقيقة الكبرى نحو أختها الأصغر سناً، وعلى الأخ الكبير نحو أخيه الأصغر سناً.

ويحسن بالوالدين في تربيتهما الوالدية ألا يلتزما الصمت في ما يخص الجنس، الذي يتعلمه أولادهم في المدارس، فهذه الأخيرة قد تمدهم بمعلومات مغلوطة غير صائبة، وستصيبهم الحيرة بسبب «الحقائق» المتضاربة التي تيلقونها من الغرباء ومن أصدقائهم، وهذا سيؤدي بهم إلى أن تتشكل لديهم مواقف غير صحيحة حول الحياة الجنسية، والتي يمكن أن تؤثر عليهم سلباً بعد ذلك في سنوات النضج، فتجنب تعليم الجنس لم يعد خياراً صائباً، ويحسن بنا أن نكون واقعيين، فالآباء والأمهات الذين يحاولون منع أولادهم من تعلم الجنس هم كمن يضرب رأسه في جدار من الطوب، ومن المؤكد أن من الأفضل لأولادهم أن يتعلّموا من شخص راشد مثقف ومسؤول أخلاقياً؛ حيث يكون قادراً على تجنب أي إشكال أو تأثير مضر من تأثيرات البيئة.

لقد ناقش القرآن الكريم والسنة النبوية قضايا الجنس بوضوح وحكمة، فهما لا ينظران إلى كلمة جنس على أنها كلمة مستقبحة، فهي تشكل جانباً مهماً

من حياة الإنسان، ويناقش القرآن بلغة راقية قضية التكاثر، والخلق، والحياة الأسرية، والحيض، والقذف. كما ناقش النبي ﷺ مع أصحابه، وبكل احترام وأدب، الكثير من جوانب حياتهم الجنسية في هذا الشأن، كقوله: «..وفي بضع أحدكم صدقة» (مسلم)، وربما يعود أحد الأسباب التي تمنع الوالدين المسلمين من مناقشة الجنس مع أولادهما إلى طريقة تربيتهما وموروثهما الثقافي، فيمكن أن يكون الوالدان جاهلين بالجنس حقاً، أو غير مرتاحين في حياتهما الجنسية أو في التعبير عنها.

يذكر ابن القيم في كتابيه زاد المعاد والطب النبوي ما يلي: «وَأَمَّا الْجِمَاعُ وَالْبَاهُ، فَكَانَ هَدْيُهُ فِيه أَكْمَلَ هَدْيٍ، يَحْفَظُ بِه الصِّحَّةَ وَتَتِمُّ بِه اللَّذَّةُ وَسُرُورُ النَّفْسِ، وَيَحْصُلُ بِه مَقَاصِدُهُ الَّتِي وُضِعَ لأَجْلِهَا»، «وَمِنْ مَنَافِعه -أي الجماع-: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ النَّفْسِ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى الْعِفَّةِ عَنِ الْحَرَامِ، وَتَحْصِيلُ ذَلِكَ لِلْمَرْأَةِ، فَهُوَ يَنْفَعُ نَفْسَهُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، وَيَنْفَعُ الْمَرْأَةَ...

ماذا نعلّم الأولاد في التربية الجنسية؟

يُعدّ الكثير من الآباء والأمهات بناتهم لبداية الدورة الشهرية، وكذلك يهيئون أبناءهم لبداية ظهور السائل المنوي عند البلوغ، ولكن بعض الآباء والأمهات لا يهيئونهم لهذه المرحلة؛ الأمر الذي يسبب الخوف والضيق لأبنائهم المراهقين؛ لأن أي نزول تلقائي وغير متوقع للدم يرتبط في ذهن الفتاة بمرض أو خلل خطير، وإذا تبع البلوغ للفتيان ممارسة العادة السرية والاستمناء، فيمكن أن يصيب الشاب بالقلق والذنب، إذ إن تدفق السائل المنوي يجعلهم يظنون أن شيئاً ما قد تمزق داخلهم، أو أصابهم مرض داخلي، وهم يشعرون بالخجل والخوف من الحديث عنه. كانت هناك فتاة تحاول يائسة وقف دم دورتها لأشهر عدة باستخدام المناديل، ظانة أنها قد أصيبت بمرض عضال، وتخشى أن تخبر أحداً بذلك، وفي النهاية اكتشفت معلمة ثيابها الملطخة بالدم وساعدتها، فقد كانت تغسل ثيابها مراراً وتكراراً وحدها في الحمام عند نزول دم الحيض خوفاً من أن تراها والدتها.

يحسن ببعض الأمهات التفكير في مواقفهن وتجاربهن الخاصة تجاه الحيض قبل أن يتحدثن إلى بناتهن عنه، ومن المفيد للفتى أيضاً أن يعرف شيئاً عن ذلك؛ لأنه سيفيد منه في وقت لاحق عند الزواج ليعرف كيف يتعامل مع زوجته عندما تعاني من ألم الحيض بصورة طبيعية، أو حين يصيبها التوتر قبله، أو المزاج السيء مؤقتاً بسببه، فليس من المعقول أو اللائق اعتبار الأمر كله نجساً ومحرجاً، أو التعامل مع الحائض في هذه الفترة على أنها شخص غريب الأطوار يجب تجنبه.



لقد قدم لنا النبي ﷺ النصح والإرشاد والنموذج العملي بتجنب جرح شعور المرأة الحائض أو بتركها وإشعارها بأنها نجسة، بل كان النبي ﷺ يحرص على تكثيف إظهار الود والاحترام لها؛ مراعاة لما يعتريها ومخالفة لما ساد عند العرب واليهود من نبذ المرأة فترة حيضها، وبذلك تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَّكِئُ فِي حِجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ» (مسلم)، وقالت أيضاً: «... وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ-أي تأخذ اللحم المتبقي على العظم بأسنانها- وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ» (مسلم)، فكل ما يتعين علينا تجنبه مع المرأة الحائض هو الجماع، وما دامت أعضاء المرأة التناسلية مغطاة، والرجل في منأى من وصول الدم إليه، فيمكن للزوجين اللجوء إلى المداعبة لتلبية رغبتهما كما يشاءان.

لقد أصبح تعليم الجنس في المدارس الثانوية الحكومية في أمريكا في أغلب الأحوال، مع استثناءات قليلة، سلسلة من الدروس حول كيفية استخدام الواقي الذكري، وتجنب الأمراض، وشرح طرق الإجهاض. والفكر السائد في الولايات المتحدة حالياً هو أن الشباب سوف يمارسون الجنس على كل الأحوال، لذلك يتعين أن نساعدهم في القيام بذلك بطريقة آمنة، ونادراً ما يأتي على ذكر المنظور الأخلاقي والقيمي أو تفعيله، فإذا ذكر فلا يشار فيه إلى الجانب الروحي والديني وإرضاء الله تعالى، وتنتزع الصفوف الدراسية المختلطة الشعور الفطري والطبيعي المتعلق بخلق الحياء عند الشباب، وحتى في الصفوف غير المختلطة؛ يشجع الأطفال على تجربة الجنس، ويعطون نصائح وإرشادات في طريقة التقبيل أو الاستمناء بوصفه جزءاً طبيعياً من استكشاف الحياة الجنسية، ومما لا شك فيه أن الأولاد المسلمين، الذين لم يمروا بهذه التجربة، لا يحسنون التصرف ومعرفة ما سيفعلون، وقد يشعرون بالحرج من سؤال والديهم حول هذا الموضوع.

مدى خطورة الزنا (الاعتداء الجنسي) ونتائجه الكارثية

يُعّدُ الجماع خارج إطار الزواج (الزنا) شكلاً من أشكال الاعتداء الديني والأخلاقي في الإسلام، ويذهب بعضهم إلى أنه عندما ينتج عنه أطفال غير شرعيين، فإنه يكون أكثر فتكاً للمجتمع من جريمة القتل في بعض الحالات، حيث سيكون هناك تأثيرٌ على المدى الطويل للزنا على الأسر والمجتمع يمتد للأجيال القادمة، وتظهر نتائج الزنا في واحد أو أكثر من العواقب الآتية: الأمراض، والإجهاض، والإعاقة وتخلف الأطفال بسبب الأمراض الجنسية التي تنقل إلى الزوجة الحامل ومن ثم لأولادها، الأطفال من السفاح، الأسر الأحادية، الأسر المفككة، والنَسب المختلط أو المجهول، خيانة الأمانة، والدعارة.

يحط الزنا من كرامة الإنسان ويحد من قدره، وينتهي الأمر بالمجتمع الذي يسمح بانتهاك المحرمات الجنسية مثل الزنا إلى معاناته من انتهاك محرمات جنسية أكثر خطورة مثل البغاء، وحينما تنتهك المحرمات على نطاق ضيق تتولد الجرأة لانتهاكها على نطاق أوسع، فالعهر والزنا من الكبائر التي تستدعي عقوبة الله عز وجل في الدنيا والآخرة، ولا يعد الإسلام الزنا من الخطايا الشخصية فقط، بل يعده اعتداء على المجتمع أيضاً، وإذا أصبح الزنا مقبولاً اجتماعياً، فإنه يتلف نسيج المجتمع من أساسه، وذلك بتقويض الأسرة وتحطيم أركانها، والواقع أن العقاب القانوني للزناة في القرآن الكريم هو الجلد (مئة جلدة) في مكان عام؛ كي يكون رادعاً للناس وزاجراً لهم، وفي الماضي كانت مخاطر الزنا وخيمة على المجتمع، وكان الرجم عقوبة له في التوراة (راجع الكتاب المقدس، سفر التثنية. ٢٢:٢٣-٢٤)، ومن الجدير ذكره أنه في التاريخ الألماني كانت المرأة إذا ارتكبت فاحشة الزنا وهي متزوجة، أي ثبتت عليها الخيانة الزوجية، عرُّوها أمام الملأ في الشارع ورجموها بالطين. والرجم للمتزوج المحصن ليس منصوصاً عليه في القرآن الكريم، وبعض العلماء المسلمين لا يرون صحة الرجم نظراً للخطورة وللعار الذي يلحق بتهمة الزنا، وقد أوجب الفقهاء أن يشهد أربعة عاقلون راشدون بالغون أمام المحكمة بتفاصيل حادثة الزنا، وتأتي ضرورة اشتراط أربعة شهود للمشتبه بهم أساساً لحماية المجتمع من الفعل العلني والجهر به، وإذا توفر ثلاثة شهود فقط فيتحتم عليهم السكوت والستر على المشتبه بهم، وذلك لحماية خصوصيتهم وشرفهم. كذلك لإيصال رسالة مفادها أن الزنا ليس مسألة فردية فقط؛ بل هو من الأمور الاجتماعية التي تنخر في المجتمع. ولإيصال رسالة كذلك مفادها أن الشخص بريء من تهمة الزنا حتى تثبت إدانته بأربعة شهود ثقات، ولا يعتد بشهادة

أقل من أربعة شهود موثوق بهم؛ إذ إن شهادتهم لا تمثل دليلاً قاطعاً، وربما في قادم الأيام يعد الفقهاء اختبارات الحمض النووي دليلاً مقبولاً في المستقبل للإدانة. والزنا الذي يرتكب أمام أربعة شهود أو أكثر هو بمثابة نشر للرذيلة وتعميمها في المجتمع، وليس فقط إرضاء لشهوة شخصية تكون بالسر.

والزنا، إضافة إلى ما سبق، انتهاك لعقد الزوجية، فما يقرب من نصف الزيجات الأولى في الولايات المتحدة مصيرها الطلاق في غضون سنتين، وأحد الأسباب الرئيسة لذلك؛ هو علاقة غرامية نشأت خارج نطاق الزواج لأحد الزوجين، ولا يكترث كثير من الناس بتعاليم الكتب السماوية التي تحرم الزنا، إذ يقول الإنجيل، «لا ترتكبوا الزنا»، ويؤكد القرآن: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾، وهو ما يعني أن الزنا ليس فقط أمراً محرماً، ولكن علينا أيضاً أن نبتعد عنه ونقطع أي سبيل يوصل إليه. إن السبل جميعها التي تؤدي إلى الزنا، مثل المواعدة، والملابس المثيرة، والعري، والفحش، والمواد الإباحية، وشرب الخمر، وتعاطي المخدرات، تندرج تحت التحريم، والإدانة والإنكار، وقد جاءت أحكام اللباس للرجال والنساء؛ لتحمي كلاً منهما من الإغراء والإثارة والشهوة.

ويفتقر بعض الرجال إلى ضبط أنفسهم، فيقترفون كبائر الذنوب التي قد تصل إلى الاغتصاب. فصوت الشهوات والميول والرغبات الجنسية أعلى بكثير من صوت الكلمات والمواعظ والمحاضرات، فما هو الموقف الحقيقي الذي ينبغي على المجتمع القيام به تجاه الجنس؟ وما هو مفهومنا للأخلاق؟

نفتقر في معظم المجتمعات إلى القدوة العملية في الالتزام الأخلاقي، ويحار المراهق من التناقض السائد: فمن جهة، يرى أن المجتمع مندفع وراء هاجسي الجنس والمال، فيصور الجنس في الأفلام لتحقيق المتعة والأرباح، كما ينشر على لوحات الإعلانات بكثرة لتسويق السلع التجارية. ومن جهة أخرى يؤكد المجتمع ضرورة الامتناع عن الجنس قبل الزواج؛ الأمر الذي يخلق عند المراهقين الصراع والتوتر والاضطراب. فإذا كان المجتمع يسمح بالإثارة المستمرة للجنس، فإنه لا يمكنه منع المصادر الشخصية من سوء الاستغلال الجسدي والتنفيس الجنسي، كذلك أصبح كثير من الشباب يحملون أفكاراً «متحررة» ويرون أن «الوقوع في الحب» يتطلب تعاطي الجنس مع أي شخص دون الالتزام بالمسؤولية المستقبلية تجاه هذه العلاقة، وقد يقود ذلك للفوضى الجنسية في المجتمع وإلى الطلاق.

وهناك ضغوط اجتماعية كبيرة على المراهقين للاندماج مع أصدقائهم والاستماع إليهم ولوسائل الإعلام، ولو استمعوا، بدلاً من ذلك، لصوت ضميرهم؛ لأمكنهم تجنب هذه المشكلات، فالذين يمارسون الجنس قبل الزواج يكتشفون بعد فوات الأوان أن الأمر لم يكن يستحق كل هذا العناء، ففي مقابل عدد قليل من الدقائق في التلذذ يجدون أنفسهم في مواجهة متاعب وحزن دائم مدى العمر من جراء ما فعلوه، وسيجدون أن قرار ممارسة الجنس دون زواج قد يكون أسوأ قرار اتخذوه في حياتهم، ويوم الحساب سيكون عليهم أن يقفوا أمام الله تعالى ويجيبوه عن تصرفهم السيء.

تتحدث (نتالي)، طالبة جامعية عمرها ١٩ سنة، عن مشكلتها قائلة: (Faber & Mazlish, 1982) «أعيش أنا ووالداي بِبِرَكَةٍ من القيم الصامتة: لا أسئلة عميقة، ولا إجابات حقيقية، وهما حقاً لا يريدان أن يعرفا ما يجري معي في حياتي، ولا أستطيع أن أقول لهم ذلك؛ لأنني فتاة صالحة وأتحلى بالأخلاق التقليدية، وقد يكون من الصعب بالنسبة لي أن أجد شخصاً يحبني حباً ودياً، فأنا أرغب أن أواعد شاباً لكن عادةً ما تكون اللقاءات القليلة الأولى ممتعة وسارّة، ثم تأتي الضغوط: أنت مدعوة لحفلة فيها الخمور والمارجوانا (المخدرات)، ثم بعد ذلك من المقطوع فيه أنك سوف تستجيبين لدعوته لك لفراشه، ويقولون: «إذا فعلت فسوف يبتسم معك العالم، وإذا لم تفعلي فستبكين وحدك»، لذلك فأنا مغمورة بالعفّة والدموع معاً».

فالنتيجة المفجعة أن بعض الأولاد لا يميزون بين الصواب والخطأ، حيث إن الولايات المتحدة الأمريكية تعاني من مشكلات الإيدز، والمخدرات والعنف، ولن تزول أي من هذه المشكلات؛ حتى تأخذ المدارس على عاتقها مرة أخرى تعليم الأخلاق والقيم، وتهيئ المناهج الدراسية بيئةً ومناخاً أخلاقياً يكمّل توجيه الوالدين وتربيتهما.

فالمدارس التي لديها الشجاعة الكافية لتعزيز الفضيلة والحث على ممارستها، هي أفضل لبناء مجتمع صحي من جيش من الأطباء والمستشارين والشرطة والناشطين الاجتماعيين.

يرى المؤلفون أن التسلسل التالي يمثل كلياً أو جزئياً ما يحصل عادةً بين الشباب اليوم:

صديق، صديقة ← إغراء وإغواء ← الجماع قبل الزواج ← فقدان العذرية والشرف ← الحمل المنبوذ ← الإجهاض القسري أو الزواج المبكر أو الأطفال غير الشرعيين ثم التبني ← (الفقر والبؤس، تفكك الروابط الأسرية، الأمراض، الموت!).

يتعرض الشخص المنحرف جنسياً للإصابة بأمراض مثل: السيلان، والزهري، والهربس، والإيدز، وعادة ما ينقل هذه الأمراض إلى زوجته البريئة، وإذا كانت الزوجة حاملاً فقد يصيب المرض طفلهما، ويمكن أن يولد الطفل أعمى أو معاقاً، وإذا أصيبوا بمرض الإيدز، فوقتها يكون الرجل مسؤولاً عن الموت المؤلم والبطيء لزوجته وطفله، فضلاً عن نفسه.

يسبب الزنا المشكلات للأطفال الذين يولدون خارج الزواج، وقد يرفض الرجل الزاني أن يتحمل مسؤوليتهم لأنه غير متزوج رسمياً بأمهاتهم، وهو بهذا ينكر عملياً حق أولاده بالعيش في منزل آمن وكريم ومستقر، ومثله المرأة التي تحمل من غير زوجها، فهي وإن نجحت في إخفاء هذه الحقيقة عن الجميع، لا تستطيع إخفاءها عن نفسها، كما قد لا يعرف الطفل أباه وأقاربه الفعليين، ولن يكون الوالد العضوي بسبب ذلك قادراً على القيام بدور الأب للطفل والزوج للأم، وهو إذا تحمل مسؤولية الطفل فسيكون مكرهاً على ذلك لأنه يتعارض مع رغبته.

وقد تصاب الأم بمرض من الأمراض المنتشرة مثل الإيدز، مما يهدد حياة زوجها وأولادها، فهي بفعلتها هذه تسلب الحق الأساس لكل فرد في معرفة أسرته الحقيقية، وقد يكتشف الوالد المخدوع أو الطفل الحقيقة أثناء اختبار مطابقة الدم أو فحص الحمض النووي، إن الشخص المتزوج الذي لديه علاقات أخرى سيفضح أمره عادة، عاجلاً أم آجلاً، وهذا غالباً ما يؤدي إلى فاجعة الطلاق، الذي له تأثيرات وخيمة على الأطفال والأسرة والمجتمع.

لا تطبق عقوبة الزنا في الإسلام إلا في المحكمة التي تطبق القوانين الإسلامية بشكل رسمي، فلا يسمح للأفراد بتطبيق القانون بأيديهم، ولكن يلزم الذهاب

إلى السلطة المسؤولة مع الأدلة المطلوبة -ويا للأسف- هناك حالات كثيرة يفقد فيها بعض الآباء صوابه ويقتلون بناتهم مع أصدقائهن بدافع «الشرف المزعوم»، ولا سيما إذا حملن نتيجة لهذه العلاقة المحرمة، وبعض هؤلاء «قتلة الشرف» قد يقتلون بناتهم لمجرد الاشتباه بسوء سلوكهن فقط، أما أصدقاؤهن الذين يملكون حرية أكبر في التنقل؛ فعادة ما يلوذون بالفرار ولا تنال العقوبة سوى الفتاة.

الطريق غير الأخلاقي	النتائج		الطريق الأخلاقي	النتائج
الزنا سهل ومغرٍ ومتوفر.	أمراض جنسية جسيمة منقولة		لا تقربوا الزنا	والدان يتمتعان بصحة جيدة أطفال أصحاء
جنس مبتذل يؤدي إلى	حمل المراهقات الإجهاض		الزنا عسير الوصول إليه، وغير مغرٍ، وغير متاح	أسر من والدين يُربون أئمة للمتقين
جنس غير مسؤول	أولاد غير متزوجين ينجبون أولاداً فقر، طلاق، أسر مفككة، أسر الوالد الواحد، فوضى جنسية، ارتفاع معدلات الجريمة	مقابل	تعظيم الجنس النظيف والاحتفاء به	انخفاض معدل الجريمة
	ارتفاع حالات الاغتصاب		تنظيم الجنس وضبطه بالزواج، الحث على الجنس المسؤول	أسرة سعيدة مع أطفال سعداء ندرة الاغتصاب في المجتمع

العبرة من العقوبة الشرعية للزنا

قد يبدو من الغريب اليوم اعتبار الزنا جريمة في القوانين الوضعية، إلا أنه كذلك في الإسلام، والأديان السماوية الأخرى، وذلك لما له من عظيم الضرر على حياة الإنسان والمجتمع، ويتطلب هذا الموضوع فهماً عميقاً لطبيعة الإنسان لإدراك الحكمة من تحريمه؛ ناهيك عما ذكر سابقاً من أضراره الأسرية أو الصحية.

يعد الهدف الرئيس من إقامة الحدود في الشريعة الإسلامية، هو إحلال السلام والأمن في المجتمع عامةً، وعندما تتعلق الجريمة بالممتلكات المادية أو القتل؛ فإن الشريعة الإسلامية تتطلب إحضار شاهدين اثنين لإثبات هذه الوقائع، أما إذا ارتبطت الجريمة بالزنا؛ فيطلب شهادة أربعة شهود. لماذا؟ لأن الزنا لا يقتصر تأثيره على الفرد الذي يرتكب هذا الذنب، بل يمتد تأثيره أيضاً على المجتمع.

هناك أيضاً حاجة لتحقيق التوازن في النهي عن المنكر وحماية الخصوصية والشرف، فهناك فرق كبير بين ارتكاب الإثم في الخفاء إشباعاً لشغف الإنسان وهواه؛ والارتكاب العلني الذي ينتشر بين الناس ويهدد شرفهم وأمنهم؛ لذا حتى العاصي مطالب بالتوبة والإقلاع عن الذنب والاحتياط للستر وعدم المجاهرة بالمعصية لقول النبي ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ» (البخاري).

و في الإسلام، إذا شهد الزنا أقل من أربعة أشخاص فلا يجوز لهم التفوُّه بكلمة واحدة عما شاهدوه، وإن تكلموا فستتم معاقبتهم بتهمة القذف والتشهير وإثارة الفضائح في المجتمع. كما لا يُرغِّب الإسلام في نشر أخبار الباطل من الذنوب والرذائل؛ لأن ذلك يجعلها مألوفة أكثر بين الناس، ويفتح لها المجال تدريجياً لتحظى بالقبول والاستحسان والتساهل في المجتمع.

المشهد الأمريكي

يوضح الدكتور أطهر (١٩٩٦) كيف تقدم المدارس الأمريكية العامة للأولاد تربية جنسية مفرغة من القيم، وكيف يتعلم الأولاد معلومات غير صحيحة عن الجنس من وسائل الإعلام. انظر: تعليم الجنس: رؤية إسلامية، حرره د. شاهد أطهر، الموقع:

(Sex Education An Islamic perspetive)

يدرَّس الجنس في معظم المدارس الأمريكية من الصف (٢-١٢)، بتكلفة المليارات من الدولارات، ويركز فيه المعلمون على الجوانب الوصفية للجنس دون التطرق إلى القيم الأخلاقية، أو كيفية اتخاذ القرارات السليمة في حياتهم الجنسية، ويتم التركيز الرئيس على الوقاية من الأمراض التناسلية وتجنب الحمل في سن المراهقة، بعد وصف الأعضاء التناسلية وطريقة تأديتها لوظيفة التكاثر، كما يركز فيها على «الجنس الآمن» بعد ظهور مرض الإيدز، وعادة ما يعني هذا المصطلح استخدام الواقي الذكري (condom) عند الجماع. ومن الجدير ذكره أن ضرائب أموال المواطنين الأمريكان تعطى إلى بعض المدارس لتوزيع الواقي الذكري للأولاد مجاناً، إضافة إلى توزيع وسائل منع الحمل الأخرى على من يزورون العيادات الصحية بالمدرسة، وتتوفر أماكن البيع الأوتوماتيكي للواقيات الذكرية في ممرات بعض المدارس والجامعات.

لقد أصبح دور الوالدين في موضوع الجنس مهمشاً، وفي بعض الأحيان مثاراً للسخرية ، فعادةً كلما طرح الصبيان على والديهما سؤالاً حول الجنس أسكتوهم أو لجأوا إلى تغيير الموضوع، ولذلك يستقي الأولاد معلوماتهم عن الجنس غالباً من الغرباء من جانب، كما يتعرضون لترويج بعض المعلمين للرذائل غير المقبولة خلقياً ودينياً من جانب آخر، ويورد الدكتور شاهد أطهر الأمثلة الآتية مما يدعو إليه بعض المربين المضلِّلين:

أ. العري في المنازل أمام أفراد العائلة (في الحمام أو غرفة النوم)، بحجة أنها طريقة مناسبة وصحية للتعريف بالحياة الجنسية للأطفال دون ال ٥ سنوات، إذ يتيح لهم ذلك الفرصة لطرح الأسئلة. لقد أظهرت دراسة عن أمريكا أجريت عام ١٩٩٧ أن ٧٥٪ من الأطفال الذين تعرضوا لمضايقات وتحرشات جنسية (٥٠٠،٠٠٠ حالة سنوياً) كان الفاعل فيها أحد الأقارب (الوالد أو زوج الأم أو زوجة الأب أو الأقرباء) ووقعت في الأماكن المألوفة للأطفال. (Abel et al, 2001).

ب. لعب الأطفال بالأعضاء التناسلية لطفل آخر هو مجرد «استكشاف ساذج»، وليس فيه ما يدعو إلى التوبيخ أو العقاب، والمقلق في ذلك أن هذا المربي يعرف تماماً أن صبياناً في سن ١٢ سنة قد اغتصبوا بنات لا تتجاوز أعمارهن ٨ سنوات، وهو يهمل طبعاً ذكر الحالات التي تحول فيها هذا «الاستكشاف الساذج» إلى ممارسة جنسية مشينة.

ج. الأولاد الذين يُضبطون وهم يقرأون مجلات مستقبحة يتعين علينا أن لا نشعرهم بالذنب، بل على الآباء والأمهات استثمار هذا الموقف كفرصة لشرح بعض الجوانب المفيدة للحديث عن موضوعات الميول الجنسية والقيم والاستغلال الجنسي. هذا جهل واضح؛ لأن العديد من هذه المجلات توصل لقرائها رسالة بأن الجنس سلعة، وأن المرأة هي عبارة عن «دمى» للرجال ليلعبوا بها كيفما يشاؤون. فالشعور بالذنب ليس عاطفة ضارة ما دام يحفّز الناس إلى الندم وتصحيح أخطائهم، لا

بل إن الشعور بالندم على اقتراف ذنب من أجل الإحساس بالتصرف الخطأ ثم تصحيحه بعد ذلك، هو آلية مهمة من آليات تدريب الأطفال كيف يقيمون سلوكهم ويتحملون مسؤولية تصرفاتهم.

د. إذا كان أولادك بالفعل نشطين وفعالين جنسياً، فبدلا من إيقافهم يجمل بك حماية صحتهم ومستقبلهم من خلال المعلومات والوسائل التي تحميهم من الأمراض التناسلية. إن هذا النوع من المربين لا يظن أن توفير معلومات جنسية كهذه يعني إعطاء الضوء الأخضر لممارسة الجنس المحرم، يجب على الآباء والأمهات الشروع فوراً بنقاش لائق ومناسب حول العلاقات الجنسية المشينة، ويمكن أن تطرح مواضيع للنقاش مثل: حالة حمل غير مرغوب به لامرأة من المجتمع، والإعلانات الفاضحة والمبتذلة والخادشة للحياء العام، والموسيقى، والأغاني البذيئة، وبرنامج تلفازي يحثُّ على الإباحة الجنسية.

فتعليم الجنس في المدارس الحكومية الأمريكية لم يقلّل من معدل الإصابات بالأمراض التناسلية في سن المراهقة، ولا من حالات الحمل والإجهاض، كذلك لم يغير من سلوك وعادات المراهقين الجنسية، -ويا للأسف-، فإن الذهاب للكنيسة لا يساعد في التقليل من كل ذلك أيضاً (أطهر، ١٩٩٦).

تقدم المدارس عادة معلومات قليلة عن علم الأحياء، إضافة إلى وسائل منع الحمل التي يحتاج إليها الأولاد، فإذا كان أولادك يذهبون إلى مدرسة تمنع تدريس علوم الأحياء وجسم الإنسان، فسوف يتلقون بالتأكيد ثقافة جنسية من مصادر وقنوات أخرى متعددة، ويتعين على الأبوين الانتباه لذلك والتدخل شخصياً لتعليم الأولاد مباشرة.

عند البلوغ يصيب العديد من الآباء والأمهات المسلمين وغيرهم من المتدينين، القلق من أن الأخلاق المرتبطة بالجنس -كما تقدمها المدارس الحكومية في الغرب- لا ترقى إلى معايير عقيدتهم، وأن إعطاء نصائح لأولادهم تخص وسائل منع الحمل قد يدفعهم إلى ممارسة الجنس، وفي الأحوال جميعها على الأبوين التأكد من طبيعة ومحتوى المعلومات المقدمة في المدارس.

صواب أم خطأ؟

كلما عرفوه أكثر؛ فعلوه أكثر!

لا يود معظم الآباء والأمهات لأبنائهم أو بناتهم أن يناموا بين حين وآخر في أماكن مختلفة خارج البيت دون علمهم، ومع ذلك فعندما يبدأ ابنهم أو ابنتهم عند المراهقة في تكوين حياة خاصة بهما بعيداً عن مراقبة الوالدين تضعف السيطرة عليهم، فالبراءة التي يريدها الآباء والأمهات في أولادهم قد تتلاشى في مكان لعب الطفل قبل سن الـ ١٠ سنوات، حيث إن الأولاد يستقون المعرفة حالياً من الإنترنت، والتلفاز، والهاتف النقّال، والسينما، وعلى الغالب فإن «المعرفة» الجنسية المكتسبة مما يشاهدون ستكون على الأرجح «متقدمة» كثيراً عن معرفة الآباء والأمهات في الواقع.

الإيدز هو السبب الأول للوفاة في تايلاند

أصبح الإيدز السبب الرئيسي للوفاة في تايلاند، متجاوزاً بذلك حوادث السير وأمراض القلب والسرطان، حسبما ذكر نائب وزير الصحة العامة (سورابونج سويبونج لي). ولم يكشف المسؤول الأرقام الدقيقة لكنه قال: لا نستطيع تحديد الأرقام الحقيقية للمصابين بفيروس نقص المناعة البشرية المكتسبة (الإيدز)؛ لأن أقارب الضحايا في الريف لا يبلِّغون عن سبب الوفاة الحقيقي، وصرح الوزير بعد عودته من اجتماع لمنظمة الصحة العالمية في جزر المالديف: «ذكر وجهاء القرية أن أغلب الوفيات من غير الحوادث يبلّغ عن سببها بأنه سكتة قلبية، مما أدى إلى الاعتقاد الخطأ بأن معظم التايلانديين يموتون من أمراض القلب، لكننا أجرينا دراسة إحصائية عشوائية جديدة، وتبين أن أكبر سبب للوفيات في المناطق الريفية هو الإيدز»، وأعلن مكتب بانكوك المعني ببرنامج الأمم المتحدة الخاص بفيروس (الإيدز) أن الوفيات من هذا المرض ستستمر في الارتفاع؛ لأن التايلانديين، الذين أصيبوا في بداية انتشار الوباء قبل ١٠ سنوات بدأت تظهر أعراض المرض عليهم ويموتون بأعداد كبيرة، ويقدر مجموع الذين أصيبوا بالإيدز بنحو مليون من عدد سكان تايلاند البالغ ٦٠ مليوناً، وقد مات ثلثهم حتى الآن.

(Aids Education Global Information System, 2001)

القيم الأخلاقية والجنس في أمريكا بين الأمس واليوم

هناك تعارض كبير بين القيم السائدة عند الناس حالياً، حيث يشعر بعض الآباء والأمهات أنه قد حان الوقت لقبول الواقع الجديد، ويكبر مع قلقهم على أولادهم الخوف من إصابتهم بالأمراض الجنسية، والحمل المنبوذ، والسمعة المشينة، كما يتمنون تجنب المخاطر بتقديم تعليم الجنس الصريح المفضوح إلى الحد الذي يلجأ معه بعضهم إلى توفير المعلومات ووسائل الوقاية من الأمراض الجنسية ومنع الحمل لأبنائهم المراهقين.

ويرفض الآباء والأمهات الآخرون رفضاً قاطعاً تعليم الجنس، فهم يدركون أن وسائل منع الحمل تشجع على ممارسة الجنس قبل الزواج، كذلك يعرفون أن المجتمع يعارض ممارسة المراهقين للجنس؛ لأن إطلاق الشهوة الجنسية في وقت مبكر تعرض العلاقات الإنسانية والحضارة للخطر.

فالمهمة الرئيسية للشباب؛ هي الحصول على المعرفة الضرورية والاستعداد لحياة صالحة مستقيمة في مرحلة البلوغ، كذلك في مرحلة تكوين الأسرة، وأفضل طريقة لإنجاز هذه المهمة؛ هي تجنب ممارسة الجنس قبل الزواج، ويجد بعضهم أنه حتى مناقشة الجنس تبدو أمراً غير محبب وتنم عن ذوق سقيم، كما يشعر آخرون أن النقاش المفتوح حول الجنس يحفز على ممارسته، حتى عندما يكون الهدف ضبط النفس عنه. يعبر أحد الآباء عن كونه قدوة لأبنائه فيقول: «عندما نكون نحن البالغين قدوة حسنة، ونتحلى بالسلوك اللائق، عندها فقط يمكننا أن نطالب أولادنا بأن يصبحوا على النحو الذي نحبه.

لا يخفى أننا نعيش في عصر هبطت فيه الأخلاق الجنسية إلى أدنى مستوياتها، سواء في الواقع أو في الأدبيات، فلم يعد الجنس في الولايات المتحدة موضوعاً محظوراً، إذ أصبح يدرّس في المدارس ويناقش في البيوت، وصار من المُسَلَّمات أنه إذا تعرض الشباب للإغراء فسوف يستسلمون له، لذلك يعد الاقتراب من الفتى بمثابة شبهة للفتاة، والفتاة في حاجة إلى من يرافقها ويحميها، ويسهم في ذلك أن كثيراً من الأولاد في أيامنا هذه يملكون سيارات، والعديد من الفتيات لديهن الحرية في الخروج من البيت دون ضوابط وقيود. فإذا توفّر الإغراء بحدوده القصوى، مع الإشراف بحدوده الدنيا، فكيف يمكن أن نتوقع من الشباب الالتزام بالقواعد الأخلاقية على أرض الواقع؟

كانت الفتاة الخلوقة في الماضي تصر على العفة، وعندما تواجه بإصرار صديقها كانت تسمح له فقط بالمعانقة؛ وكان هذا حلها الوسط الذي يرتضيه المجتمع، ولكن في وقتنا الحاضر لا يقتنع كثيرٌ من المراهقين بهذا الحل، فيشعر الفتيان بالاستياء منه؛ لأن التلفاز والأفلام والمجلات تحفزهم على الإفراط في العلاقة، كما تستاء الفتيات منه، لأنهن يتحولن بهذا الحل إلى مجرد أداة للهو دون إطفاء سعار الرغبة الجنسية.

وتجد الفتيات في سن الجامعة اللاتي يردن المحافظة على عذريتهن صعوبة بالغة في ذلك، لأن الفتيان يرفضون مواعدتهن، وتعتبرهن الفتيات الأخريات أنهن «من الطراز القديم»، كما أن الفتيات الجادات في «الحفاظ على أنفسهن وأجسادهن لأزوجهن مستقبلاً» يجدن أنفسهن معزولات اجتماعياً، فتبدأ الشكوك تراود الفتاة العذراء، تحت هذه الضغوط، في أنها طبيعية، وتصبح وكأنها وحدها الملتزمة أخلاقياً في مواجهة الإغراء والإدانة. -ويا للاسف- هناك العديد من الفتيات يمارسن الجنس في هذه الأجواء، ليس بدافع الحاجة ولكن إذعاناً لهذه الضغوط. ومما يزيد الأمور غموضاً على الفتاة الآن أنها كانت في الماضي تتخذ من الخوف من الحمل ذريعة للعفة والطهر، ولكن زال هذا العذر الآن بعد أن أصبح من السهل الحصول على الأساليب العديدة لمنع الحمل، وغدت موانع الحمل تباع في المحلات والمتاجر علانية، كما توزع بعض المدارس وبعض الكنائس الواقي الذكري مجاناً.

قال جيسون البالغ من العمر ١٨ عاماً لوالده أثناء زيارة والده لجامعته عن موضوع الحياة والحب: «لقد اكتشفت الفرق الحقيقي بين الفتيان والفتيات، ففي حين تستعمل الفتيات الجنس وسيلة للحصول على الحب، يغتنم الفتيان هذا الحب وسيلة للحصول على متعة الجنس، وقد يقول لسان حاله فلسفتي هي «حُبهن ثم اتركهن». سأله والده: «وماذا يحدث للفتاة بعد أن تمنحها أنت وأقرانك الحب ثم تتركونها؟» أجاب جيسون: «هذا ليس من شأني، وأحاول ألا أشغل تفكيري بهذا الأمر». بعدها سأله والده: «حسناً، فكر بما يأتي، يقولون في المشرق: إذا أنقذت رجلاً من الموت، فأنت مسؤول عن حياته، وهكذا، إذا وضعت خطة لإغواء فتاة كي تحبك فسوف تصبح مسؤولاً عن مشاعرها»، لقد أكد والد جيسون في كلامه هذا على مبدأ أساس:

إن الصدق والمسؤولية يرتبطان بالعلاقات البشرية جميعها، وإن الحالات والمواقف كلها، سهلة أو معقدة، اجتماعية أو جنسية، تتطلب الكرامة، والنزاهة والوفاء الشخصي.

تصورات بعض الأمهات والبنات عن الجنس في أمريكا

إن ارتباك المراهقين وحيرتهم حول السلوك الجنسي في تصاعد مستمر؛ لأنهم يفتقرون إلى التوجيه المناسب من الوالدين والمعلمين، ونذكر في ما يأتي بعض الأمثلة من أقوال المراهقين:

- تقول سلمى التي تبلغ من العمر ١٦عاماً: «لا يمكنني أن أسأل أمي عن أي شيء يخص الجنس؛ لأنني إذا فعلت ذلك تبدأ باستجوابي عن سبب سؤالي، وتصر على تلقي الإجابة مني: «لماذا تريدين أن تعرفي ذلك؟» ثم تسترسل وتؤكد « لا بد أنك تريدين كذا وكذا..»
- تقول جولييت ١٤عاماً: «ترى والدتي أن الجهل يؤكد البراءة، ويجن جنونها عندما أسألها عن الجنس. وتجيبني عادة: «حينئذ سوف يفهمك زوجك ما تحتاجين إلى معرفته عن هذا الموضوع».
- يقول لويس ١٨ عاماً: «أحصل على معلومات مغلوطة من والديّ، إذ يخبرني أحدهما: «لا تفعل ذلك وإلا ستضع نفسك في مأزق!»، ويقول الآخر: «ابذر بذورك وأنت في مقتبل شبابك.» فأتمنى أن يتخذ الآباء والأمهات قرارهم في مسألة الجنس، فإذا عدّوه أمراً حسنا لنا فليخبرونا بذلك، وإذا كان أمراً سيئاً لنا، فلا تغرونا، ولا تثيرونا، ولا تربكونا به.»

- يقول جوشوا ١٥عاماً: «يريد أبي منا أن نكون دائماً صادقين وصريحين، ولكن الصدق يتوقف عند موضوع الجنس، فهو أحد الموضوعات التي لا يرحب بصراحتي عند الكلام فيها.
- يقول جوناثان ٢٢ عاماً: «ينظر فتيان الكلية إلى الجنس على أنه رمز للرجولة والنضج، ويعد للبنات ضمانة اجتماعية ضد عدم شعبيتهن ووحدتهن.
- وعبّر مراهق عن معضلة الجنس في قوله: «إذا شاهدت فيلماً كوميدياً أضحك، وإذا شاهدتُ فيلماً حزيناً أبكي، وإذا صادفتُ أمراً يغضبني أصرخ، ولكن إذا شاهدت فلماً يثيرني جنسياً فماذا يمكنني أن أفعل بعد ذلك؟»

تشير هذه المناقشات آنفة الذكر إلى أن هناك حاجة للتربية الجنسية المناسبة لتكون علاجاً للجهل السائد، فلا يمكن للمجتمع أن يبقي على سكوته السلبي ويترك الشارع والشاشة والمجلات والإنترنت والهواتف الذكية يحددون معايير الجنس وقيمه.

لماذا فضل أستاذ بارز مغادرة الولايات المتحدة؟

روى أستاذ في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا (IIUM) القصة الآتية:

في يوم من الأيام، رجع ابنه الذي كان يدرس في الصف الثالث الابتدائي في ولاية ميتشيغان في أمريكا إلى البيت، وشرح له بالتفصيل كيف أن أحد الطلاب قام بممارسة الجنس مع زميلته داخل الفصل الدراسي بصورة كاملة! ولهذا السبب حزم الأستاذ أمتعته بسرعة وغادر أمريكا مع أسرته المكونة من خمسة أطفال! لا شك أن التعليم الجنسي الخالي من القيم؛ أنتج جيلاً منغمساً في ممارسة الجنس انغماساً غير مسؤول، والثقافة السائدة جعلت من الجنس أمراً جذاباً ومتاحاً وممتعاً، ويسهل الوصول إليه إلى حد يبدو تجنبه أمراً صعباً وغير طبيعي للكثيرين؛ لأن الصور الجنسية الماجنة أصبحت شائعة وذائعة ومثيرة.

الأمراض المنقولة جنسياً في الولايات المتحدة وإنجلترا

قد يصاب المراهقون بمرض يسمى «الأحادية» mononucleosis ويسميه بعضهم «مرض التقبيل» لأنه ينتج عن التقبيل بين الأفراد، ويهاجم هذا المرض الكبد، ويتطلب أسابيع عدة من الراحة السريرية. وهناك أمراض معدية أخرى تنتشر عن طريق الاتصال الجنسي، وهي:

- مرض السيلان (gonorrhea)، الذي يمكن أن يصيب الرجال والنساء بالعقم، وهو فقدان القدرة على إنجاب الأطفال.
- الهربس (herpes) ويسبب ظهور بثور مؤلمة جداً على الأعضاء التناسلية ويتكرر ظهورها مراراً وتكراراً طوال حياة الشخص.
- الزهري (syphilis)، الذي يلحق الضرر تقريباً في كل عضو من أعضاء جسم الإنسان خاصة الدماغ.
- الإيدز (AIDS) (متلازمة نقص المناعة المكتسبة)، الذي يؤدي إلى موت بطيء ومؤلم. ويجدر ذكره هنا أن العلاج بالأدوية المضادة للفيروسات القهقرية داخلية المنشأ antiretroviral قد يؤخر ظهور مرض الإيدز لسنوات.

وعدم ممارسة الجنس خارج إطار العلاقة الزوجية يعد أكبر ضمان للزوجين لتجنب الإصابة بالأمراض التناسلية، فالأمراض المنقولة عن طريق الجنس تنتشر بين غير المتزوجين الذين يمارسون الجنس مع عدة أشخاص أو بين الأزواج الذين يخونون شركاءهم ويمارسون الجنس مع آخرين، لقد كان هناك مرضان منتشران من الأمراض التي تنتقل بالاتصال الجنسي في عام ١٩٤٠ وهما الزهري والسيلان، وفي وقتنا الحاضر تم التعرف على أمراض جديدة بين مدة وآخرى، وعادة ما تكون صعبة العلاج بمرور الوقت،

ولا يوجد إلى الآن علاج فعال للإيدز والهربس. وتشكل هذه الأمراض رادعاً لمنع الناس من الانحراف عن الطبيعة والفطرة النقية.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «...لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم» (البيهقي) .

وتشمل المخاطر الصحية لممارسة الجنس قبل الزواج أيضاً الصدمات الجنسية-النفسية، وسرطان عنق الرحم، والحمل غير المرغوب في سن المراهقة، ويتعرض الفرد لمجموعة متنوعة من الإصابات عندما يمارس الجنس قبل اكتمال نمو أعضائه التناسلية، كما يكون مفعول بعض هذه الإصابات وأضرارها طويلة الأمد. كما يعتقد أن سرطان عنق الرحم له صلة بالتدخين وبالجنس الذي يمارس في سن مبكرة مع أشخاص متعددين، ويتعين على النساء المعرضات لهذا الخطر إجراء الفحوص العادية لعنق الرحم، (Cancer Research U.K).

و وفقاً لتقرير جمعية American Sexual Health Association في ٢٠٠٨ ارتفعت تكاليف التأمين الصحي نتيجة زيادة عدد المصابين بالأمراض المنقولة عن طريق الجنس من النساء والرجال، فحوالي ١١٠ مليون شخص أصيبوا بتلك الأمراض، ويصاب شاب من بين كل أربعة شباب تحت عمر العشرين بهذه الأمراض المنقولة جنسياً كل عام، كما ذكرت الجمعية أيضاً أنه على الأقل ١٥٪ من إجمالي النساء الأمريكيات العقيمات كان بسبب عيب في القنوات من التهاب الحوض PID الذي غالباً ما ينتج عن عدم علاج مرض منقول جنسياً.

وفي عام ٢٠١٢ تم تسجيل ١,٤٢٢,٩٧٦ حالة من مرض الكلاميديا و٣٣٤,٨٢٦ حالة إصابة بمرض السيلان في أمريكا بجانب أمراض منقولة جنسية أخرى (CDC) ، وتزداد المخاوف من انتشار وشيوع مرض الإيدز، وفي إنجلترا حصلت حوالي ٤٤٠,٠٠٠ حالة إصابة بأمراض منقولة جنسياً في عام ٢٠١٤،

ويعد مرض الكلاميديا من أكثر الأمراض المنقولة جنسياً، وازداد شيوع وانتشار أمراض أخرى خلال العقد الأخير مثل: السيلان والزهري والثآليل التناسلية والصدفية البثرية أو الهربس وبالأخص بين الذكور.

الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين هم أكثر عرضة للإصابة بالأمراض المنقولة جنسياً، وبين عامي ٢٠١٣ و ٢٠١٤ حدث ازدياد بنسبة ٤٦ ٪ في حالات الإصابة بالزهري و ٣٢٪ زيادة في حالات الإصابة بالسيلان، وسجل هؤلاء الرجال ٨١٪ من جميع حالات الإصابة بالزهري و٥٢ ٪ من جميع حالات الإصابة بمرض السيلان. (PublicHealthEngland)

سجل معدل الشفاء من الأمراض المنقولة جنسياً في الولايات المتحدة الأمريكية نسبة أعلى من أي من البلدان الصناعية الأخرى، هناك ٢٠ مليون إصابة جديدة من هذه الأمراض (CDC) والآن بين كل عشر فتيات تحت عمر العشرين هناك أربعة فتيات تصاب بمرض منقول جنسياً، والذي قد يسبب العقم أو الموت.

(Office of Adolscent Health)

حمل المراهقات في أمريكا: إنجاب الأولاد للأولاد

يعد الجماع (الزنا) قبل الزواج شكلاً من أشكال الاعتداء الجنسي، الذي يمكن أن يؤدي إلى الحمل، فمع كل وسائل منع الحمل التي يستخدمها المراهقون، هناك حالات كثيرة حدثت من الحمل المنبوذ لأمهات غير متزوجات، وهذا شيء مهلك للمراهقات، ففي ذروة صدمة الفتاة النفسية عليها أن تقرر الاختيار بين مصيبتين: الإجهاض، أو أن تصبح أماً لطفل بلا أب وإلى الأبد، وليست مثل هذه الحالات نادرة الحدوث: فعلى الرغم من انخفاض معدل حمل المراهقات في الولايات المتحدة الأمريكية في ذروته عام ١٩٩١، إلا أنه في عام ٢٠١٣ ما يقرب من ٨٩٪ من الـ ٢٧٣,١٠٥ طفل الذين ولدوا لأمهات ما بين (١٥-١٩ سنة) كان سفاحاً خارج نطاق الزوجية (CDC data eited by the Office of Adolescent Health).

أخيراً اعترف ...

كان لي صديق مسلم في أثناء الدراسة في جامعة ليفربول في المملكة المتحدة عام ١٩٦٢ وكان يواعد فتيات إنجليزيات، وناقشته مرات عدة عن مفاسد المواعدة الغرامية ولكن دون جدوى أو استجابة، وبعد ثلاث سنوات من المواعدة المتواصلة، قال لي ذات يوم: «سوف تكون أنت سعيداً عند الزواج لأنك وزوجتك ستكونان عذراوين يوم الزفاف، لذلك سوف تبدآن علاقتكما الجنسية الحميمة الأولى، وسوف يكون ذلك جزاء مميزاً وثميناً، في حين أنه عندما أتزوج أنا ستكون زوجتي واحدة بين عدد كبير من الفتيات اللاتي ضاجعتهن، ولن تشكل العلاقة الجنسية مع زوجتي أمراً مميزاً فريداً، وقد تشك زوجتي بعلاقاتي دائماً!!»

نوعية حياة المراهقات الأمريكيات الحوامل بين خياري الإجهاض والتبني

أثبتت NCSL أن ٤٠٪ فقط من الأمهات المراهقات يستكملن المرحلة الثانوية من الدراسة... وثلثي العائلات التي تكونت من المراهقين تعيش في فقر، وأسرة واحدة من بين أربعة أسر تقريباً تعتمد على المعونات الحكومية خلال الثلاث سنوات الأولى من ميلاد الطفل، ويكون الأداء الدراسي لأبناء الأمهات المراهقات أسوأ من نواحي عدة، ٥٠٪ منهم أكثر عرضة لإعادة العام الدراسي، بل ربما في التوقف الكامل عن الدراسة في المرحلة الثانوية مقارنة بأبناء الأمهات الأكبر سناً، وهم معرضون أكثر للإصابة بمشكلات صحية وللسجن في مرحلة المراهقة، وللحمل أثناء المراهقة وللبطالة في مرحلة الشباب المبكر. (Saul Hoffman, et al).

وتنفق الولايات المتحدة الأمريكية مليارات الدولارات كل عام على الدعم المالي والرعاية الصحية لإعانة الأمهات المراهقات.

هل هناك أطفالٌ غير شرعيين أم آباءٌ وأمهاتٌ غير شرعيين؟

من الخطأ وصف الأطفال البريئين بغير شرعيين فلا يوجد ما يسمى أطفالاً غير شرعيين، بل يوجد فقط آباء وأمهات غير شرعيين يظلمون ويظلمن أطفالاً أبرياء!

حكم الإجهاض في المنظور الإسلامي

فات الأوان! اكتشف الوالدان أن ابنتهما حامل، فماذا بمقدورهما أن يفعلاه بوصفهما والدين لحل هذه المشكلة؟ تملي الحكمة عليهما القيام بفحص للحمض النووي لتحديد هوية والد الطفل، ثم يتعين عليه عندئذ أن يتزوج الفتاة «العزباء» ليجعلها امرأة لينظر لها كونها أماً شريفة!

فالبنت الحامل التي تدرك أنها لا تقدر على رعاية طفلها وحدها، قد تلجأ إلى عملية إجهاض، فتبدأ رحلة البحث عن الطبيب الذي سيقتل الجنين قبل أن ينمو ظاهراً في بطنها، ويعتقد بعضهم أن الإجهاض مقبول، وأن الجنين لا يعد نفساً في الأشهر القليلة الأولى من الحمل، ومع ذلك فإن الجنين تدب فيه الحياة من لحظة تلقيح الحيوان المنوي للبويضة، وإذا تركت البويضة المخصبة فسوف تنمو لتصبح إنساناً كاملاً، لقد جاء ضمناً في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام:١٥١).

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (الفرقان:٦٨).

ورد في الحديث الشريف قوله ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ» (مسلم).

يتبين من الحديث أن الجنين لا تُنفخ فيه الروح حتى الشهر الرابع، فإذا حدث أن مات الجنين وهو في عمر أربعة أشهر لسبب معين أو حصل إسقاط، فيتعين تسميته، وأن يدفن ويُصلى عليه.

يعلمنا الإسلام الرحمة واحترام حياة الإنسان، وأن لكل إنسان الحق في العيش (إلا إذا ارتكب جريمة قتل تستحق الإعدام قانوناً)، وهذا ما يسمى حق الحياة، وهو الحق الأساس الأول الذي منحه الخالق للجميع. لذلك فإن إجراء الإجهاض لسبب غير مقبول يعد في عداد الجريمة كما يرى معظم العلماء المسلمين، لأنه قتل لنفس بريئة لا حول لها ولا قوة ولا ذنب.

والحالة الوحيدة التي يسمح للمرأة فيها بالإجهاض؛ هي إذا كان الاستمرار في الحمل يعرض حياتها للخطر حسب تقرير الأطباء. ويذكر بعض الفقهاء حالات أخرى مثل: أمراض صحية في الجنين مثل: (التشوهات والعاهات التي لا يرجى البرء منها) والاغتصاب، وسفاح المحارم، على ألا يكون الحمل قد تجاوز أربعة أشهر؛ فذلك إزهاق للروح، كما وضع الفقهاء شروطاً صارمة للإجهاض بعد الأربعة أشهر أي بعد نفخ الروح، وفي كلا الحالين سواء قبل نفخ الروح أو بعدها فإن اتخاذ قرار الإجهاض يحتاج إثباته إلى رأي أهل الاختصاص في الفقه والطب معاً، وهذا يعني أن الإسلام لا يشجع الإجهاض بأي وقت وحال، ما يجعل له ضوابط وإلا رجع حكمه إلى الأصل وهو الحرمة؛ فالإسلام يرى ضرورة احترام الحمل والمحافظة عليه لاستمراريّته بعيداً عن أيّة اعتداءات إنسانية، والإجهاض جائز في حالات استثنائية يقررها العلماء فقط مثل: تجنب خطر واقع على حياة الأم، كما ذكرنا.. إلخ.

ومع أن الإجهاض جائز في عدد قليل جداً من الحالات في بعض المذاهب، إلا أنه محظورٌ كوسيلة لتحديد النسل، أو لتجنب التكلفة الاقتصادية للحمل غير المخطط له، أما إذا قررت الفتاة الحامل الحفاظ على الجنين؛ فستصبح والدة لطفل بلا والد، وهو وضع يجلب المشقة الكبيرة للأم غير المتزوجة والطفل الذي ليس له والد.

حكم التبني في المنظور الإسلامي

بعد أن يقدم الوالدان كل ما في وسعهما لمنع ولدهما من الجنس خارج الزواج يفاجآن بوجود حفيد لهما في بيتهما، فماذا عساهما أن يفعلاه؟ هل يكون التبني هو الحل؟

قبل الإجابة لا بد من بيان معنى التبني أصلاً وما يتعلق به من أحكام، إذ له معنيان هما:

الأول: أن يضم الإنسان إلى نسبه البيولوجي ولداً ليس له (ابن غيره) وينسبه إليه نسبة الابن الصحيح وتثبت له كامل الحقوق.

وهذا المعنى للتبني حرمه الإسلام بنص القرآن الكريم الذي أبطل تبني رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة -الذي كان مسموحاً به قبل الإسلام- لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤-٥).

وقول النبي ﷺ الذي يؤكد عدم صحة التبني بالنسب: «الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الحَجَرُ» (البخاري)؛ إذ أن ابن الزنا ينسب لأمه وأهلها فقط.

الثاني: أن يضم الإنسان ولداً ليس له مع أولاده الحقيقيين ضم رعاية وتربية وكفالة لا ضم نسب، أي دون إلحاقه بالنسب.

وهذا النوع من التبني بحثه الفقهاء تحت باب أحكام اللقطاء أو مجهولي النسب، وهو في العموم مندوب إليه، من باب التعاون والرحمة؛ فهي منفعة ثنائية البعد بحق المتبني والمتبنى؛ وذلك لحماية المتبنى من الضياع والتشرد؛ ولما يحققه من رعاية لأبناء مجهولي النسب لا ذنب لهم بما ارتكب بحقهم حتى ولو كانوا أبناء زنا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ﴾ (الأنعام: ١٦٤)، وقول النبي ﷺ: «ليس على ولد الزنا من وزر أبويه شيء» (المستدرك)، كما يحقق للمتبني فطرة

الأمومة والأبوة لمن ابتلي بالعقم، بل ذهب الفقهاء لما هو أبعد من ذلك باعتبار أن ضم اللقطاء واجب كفائي على المجتمع كله؛ لما في تركه تعريض للنفس البريئة للهلاك، واشترطوا في المتبني أن يكون صالحاً للرعاية وذا أمانة يحفظ عند مثله لقيط، وتعطى الدولة حق متابعته في قيامه بحق ذاك اللقيط.

وليس كل الأطفال المتبنيين محظوظين لينتهي بهم المطاف للعيش مع أسر حميدة، ومن لا يحظى منهم بهذه الحياة؛ فسينشأ في دور الأيتام، أو يتنقل من مركز رعاية إلى آخر، وقد يعاني من سوء المعاملة هناك، وإذا عُرف عن الطفل في بعض المجتمعات أنه غير شرعي؛ فإنه يتعرض للمضايقة والتعليقات، ذكراً كان أم أنثى، وعادة لا يتقبله الآخرون بينهم، فينشأ هؤلاء الأطفال في كثير من الأحيان مضطربين وغير أسوياء بسبب المعاملة التي يتلقونها، وبدأت اليوم مؤسسات تربوية خاصة تُنشىء لهم مثل قرى (SOS)، كمحاولة تربوية لتخطي التحديات والضغوط الاجتماعية التي يتعرضون لها.

والسؤال المطروح هنا: هل يسمى الطفل المتبنى باسم أبيه المتبني؟ يعدّ القرآن النسب مسألة خطيرة، ويحرم تزوير الهوية الشخصية الحقيقية.

وإذا كان الأب البيولوجي للمتبنى غير معروف؛ ينص القرآن على أنهم يعدون إخوان المتبني وأخواته في الدين وأصدقاءه المقربين، ويمكن في هذه الحالة أن يطلق عليهم اسم عائلته المتبناة، فليس المقصود بالأمر هنا متعلق بالتسمية الحرفية، ولكن دعمه ليحظى بالقبول والكرامة هو الأهم. وضرب لنا النبي ﷺ مثلاً عملياً وكريماً بالزواج من زينب (ابنة عمته) بعد أن طلقت من ابنه بالتبني سابقاً زيد بن حارثة؛ تأكيداً على مبدأ الأخوة والاحترام والكرامة:

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ (الأحزاب:٣٧).

يمكن للمرء التفكير في التشابه القائم في المعاملة الظالمة للمتبنى بإخفاء نسبه، بين كل من حقبتي ما قبل الإسلام، والقرن الحادي والعشرين؛ إذ كانت تسمية الطفل باسم الأب الذي تبناه أمراً شائعاً في الجاهلية أيضاً، والمطلوب وقف هذه الممارسات وتسمية الأبناء باسم آبائهم الأصليين إذا كانوا معروفين لديهم، وأهم من ذلك كله تقديم ما هو أفضل للمتبنّى والحفاظ على كرامته وحقوقه، ويترك تفصيل ذلك للثقافة السائدة والعُرف باحترام وتكريم.

التربية الجنسية في الإسلام

يقر الإسلام أن الله سبحانه وتعالى خلق الحاجة الجنسية، ويناقش الجنس في القرآن وسنة النبي ﷺ مناقشة لا تخدش الحياء والمروءة والكرامة الإنسانية، وفي إطار الزواج والحياة الأسرية، ولا يعامل الإسلام المرأة أنها مجرد أداة للمتعة الجنسية، لكنه يتعامل معها معاملة الاحترام والكرامة في إطار علاقة تكاملية تفي بالحاجة الإنسانية وبإرادة الله تعالى، على حين يعدّ الجنس خارج الزواج كبيرة من الكبائر التي يعاقب عليها، وأن الجنس بين الزوجين فضيلة يكافأ عليها كأي عبادة من العبادات الأخرى التي يتقرب بها الإنسان إلى الله تعالى، حيث إن القوانين والشرائع الإسلامية التي تتعلق بالجنس ثابتة واضحة وطبيعية، ولا تتغير بضغط الأصدقاء أو بتغير قيم المجتمع أو القوانين، وإن المحافظة على العذرية إلى وقت الزواج فضيلة واجبة، خلافاً لما يحدث في بعض المجتمعات التي قد تعد ذلك سلبية من السلبيات، يقول تعالى:

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ (المرسلات:٢٠-٢٣).

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء:٣٢).

كما وصف النبي ﷺ العلاقة الزوجية بالعمل الذي يثاب عليه المرء، فيا له من كرم الله مع خلقه يغدقه عليهم بلا حدود حين يأتي الإنسان شهوته فيثاب على ذلك؛ لأنه أتاها حلالاً ولم يأتها حراماً، وبذلك ندرك الحكمة في قول رسول الله ﷺ: «...وفي بَضعِ أحدِكم صدقة. قالوا: يا رسولَ اللهِ! أيأتي أحدُنا شهوتَه

ويكونُ له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعَها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعَها في الحلالِ كانً له أجر» (مسلم).

ويبين الرسول ﷺ خطورة إفشاء أسرار فراش الزوجية للآخرين فيقول: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفضي إلى امرأته وتُفضي إليه ثم ينشر سرها» (مسلم).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «بينما أنا مع رسولِ الله في الخميلةِ (اللحاف) إذْ حِضْتُ، فانسللتُ، فأخذتُ ثيابَ حَيضتي ، فقال: ما لك، أنَفَسْتِ؟ قلت: نعم، فدخلتُ معه في الخميلة» (البخاري).

وتروي أم سلمة رضي الله عنها أنها تسللت تسللاً لطيفاً من السرير كي تترك جانب الرسول ﷺ في ليلة من الليالي، ومع ذلك عندما اكتشف أنها فعلت ذلك لأن الحيض أتاها، طلب منها أن تغطي نفسها ثم اضطجع بجانبها مرة أخرى، كما اعتاد النبي ﷺ وزوجته عائشة النوم «معاً تحت غطاءً واحد»، حيث تؤكد ذلك أحاديث عدة، منها على سبيل المثال لا سبيل الحصر:

قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَّكِئُ فِي حِجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ» (مسلم).

«اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ» (مسلم) ويصف القرآن الكريم العلاقة بين الأزواج والزوجات فيقول: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧)، إن هذا التشبيه المجازي بالملابس شيء شخصي جداً، حيث تلتصق الألبسة بالجسم، لذلك يتعين على الزوجين أن يكونا قريبين أحدهما إلى الآخر، وملتصقين بغلاف الحياء والستر والتقوى، فهكذا يكون كلّ من الزوجين لشريكه، كذلك مطلوب أن يكون أحدهما قريباً من الآخر لتحقيق متعتهما والتحصن ما أمكن ذلك، وبالتجمّل الحسي والمعنوي.

والجنس تعبير عن الحب، ولا يكتمل أحدهما دون وجود الآخر، وتقع على الزوج مسؤولية إخبار زوجته بالأمور التي تتعلق بالحياة الجنسية، خاصة في ما يحبه ويكرهه، ولا يحسن مقارنة زوجته بالنساء الأخريات، ويتعين على الزوجات كذلك فعل الشيء نفسه لتحقيق أقصى قدر من المتعة، كما تحتاج الزوجات إلى إدراك أن احتياجات أزواجهن الجنسية تختلف عن احتياجاتهن، فبدلاً من أن تكون الزوجة متلقية سلبية عند ممارسة الجنس؛ يجدر بها أن تكون مشاركة فاعلة ومحبة لزوجها أثناء ذلك، ولا يخفى أن كلاً من الزوجين يتعرض لإغراءات وضغوطات قوية خارج البيت، الأمر الذي يضعهما في وضع منافسة مستمرة غير عادلة من التأثيرات والإغراءات الخارجية، وبذلك يترتب على كل منهما أن يكون راغباً وجاهزاً لتلبية وإرضاء احتياجات الطرف الآخر؛ فتتحقق مصلحة كل منهما.

وتفصل سنة النبي ﷺ في آداب الجماع بين الزوجين وتوجيهاته وضوابطه؛ بما يجعل كلا منهما يبلغ المتعة القصوى التي تقوم على إشباع حاجاتهما الفطرية، دون أن يكون ذلك لطرف على حساب الآخر، ومن تلك الآداب:

١. الذِّكر عند الجماع: قول النبي ﷺ : « أَمَا إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَرُزِقَا وَلَدًا لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ» (البخاري)

٢. النهي عن ممارسة الجنس من الدبر لقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، والحرث مكان الولد وهو القبل وليس الدبر، وقول النبي ﷺ: «لا تأتوا النساء في أدبارهن» (أحمد).

٣. وجوب الاستحمام (الغسل) بعد الجماع والاحتلام؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ (المائدة: ٦) وقول النبي ﷺ: «إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الْأَرْبَعِ وَمَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ» (مسلم).

٤. التمهيد أو ما تسمى مقدمات الجماع: مثل اللمس والمعانقة والتقبيل والكلام الرقيق، وغيره.

٥. في حين لم يرد في النصوص الشرعية ما يحرم الجنس صراحة عن طريق الفم.

يفاجأ كثير من الرجال، مسلمين وغير مسلمين، عند اكتشاف الجوع الجنسي لزوجاتهم، وذلك لأن العديد من الرجال قيل لهم مسبقاً إنه من السهل على المرأة أن تلبي احتياجات الرجل الجنسية، وكل ما عليها فعله هو السكون وتسليم نفسها، ولم يفهم هؤلاء الرجال إن العمل الجنسي يتطلب مهارة، وأنه واجب ديني يترتب عليهم معه معرفة كيفية إرضاء احتياجات زوجاتهم الجنسية وإشباعها، إضافة إلى أنه يتعين على الرجال تعلُّم تقنيات المداعبة، وإدراك أنهم إذا أرضوا أنفسهم وتركوا الزوجة «محبطة»، فإنهم يتسببون في حرمان شديد لزوجاتهم وهذا يعد نوعاً من الأنانية.

في ضوء ما سبق يمكن القول يتعين على الرجال كافة الاهتمام بزوجاتهم والاعتناء بهنّ ومعاملتهن معاملة كريمة، ومساعدتهن على أن يكنّ وفيات لهم، وذلك بالقيام بالواجب الحق في الحصول على الإشباع والرضى الجنسي الكامل، كما ينهى الإسلام عن وقوع الزوج على زوجته من غير مقدمات، وهذا ما يحصل في الجماع الذي لا يسبقه تمهيد من كلام وتقبيل ومداعبة ومعانقة، ويحض الرجال على أن يكونوا مراعين لمشاعر زوجاتهم، وأن يظهروا الاهتمام بهن، كما يتعين على الرجال فهم حقائق الحاجات الجسمية في حياة الأنثى الجنسية، وتعلّم فنون إشباع رغبات زوجاتهم، والمضي قدماً في التمتع بحياة سعيدة وهانئة بمشاركتهن كل ما هو متعة مباحة، فأي رجل لا يوفر هذه الحقوق لزوجته يتعين عليه أن يدرك أنه يسبب لها التوتر وعدم الارتياح، كذلك يتركها في مواجهة مضنية مع الإغراءات القوية التي تعترض طريقها في الحياة.

واجب الوالدين تجاه أولادهم في التربية الجنسية

يتعين على الوالدين تعليم أولادهما النظر إلى الجنس نظرة إيجابية خالية من الخرافات: فليس الجنس من الشيطان، وليس شراً أو قذارة إذا تعاملنا معه تعاملاً سليماً، إنما هو هبة من الله الرحيم، ونعمة مباركة منه، وقبس من بعض مباهج الجنة، ومع أن الجنس هو فعل ممتع ومبهج ومريح، كما هو مقدر له أن يكون، فهو أيضاً مما يمكن أن يستغله الشيطان فخاً للإفساد، والانحراف، والحرمان، والتسبب بمعاناة كبيرة للإنسان على وجه الأرض قد يفوق ما يسببه أي عامل آخر، حيث إن مخاطر الجنس عظيمة، فحسب الإنسان أن يقوم بارتكاب فعل جنسي خطأ ليؤدي به إلى أن يعيش مدى الحياة في حقل ألغام من الفجائع التي لا نهاية لها؛ لذلك يحسن أن تلبّى حاجة الجنس وفقاً لأوامر الخالق بطريقة نقية وصحية، من دون إفراط أو حرمان أو معاناة.

لقد كان النبي ﷺ منفتحاً ولطيفاً وصادقاً في فهم احتياجات الرجال والنساء، ولم يكن مفرطاً، فهو نفسه ﷺ استمتع بالعلاقة الزوجية، وهذا بالتأكيد ما تنقله لنا زوجته عائشة رضى الله عنها، وقد كانت تعرف الرسول ﷺ معرفة وثيقة وقريبة لم تتوفر للآخرين؛ وقد نقلت ذاك اللطف العاطفي الذي أحاطها به النبي ﷺ بأرقى صورة وأدق تفاصيله، منهاجاً لاحقاً للأمة من بعده، وهي أحاديث كثيرة، مثل قولها: «كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيّ فيشرب...» (مسلم)، وحتى مخالطة الريق لزوجته كانت في آخر اللحظات التي ختمت بها حياة المصطفى؛ إذ قبضت روحه الشريفة في حجرها وبعد أن خالط ريقه ريقها بالسواك الذي قضمته ثم ناولته له، وكانت هذه إحدى مفاخر السيدة عائشة رضي الله عنها، كما تروي: «أن رسول الله ﷺ: مات في اليوم الذي كان يدور علي فيه في بيتي، فقبضه الله، وإن رأسه لبين نحري وسحري، وَخَالَطَ رِيقُهُ رِيقِي ثُمَّ قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سِوَاكٌ يَسْتَنُّ بِهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ أَعْطِنِي هَذَا السِّوَاكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَأَعْطَانِيهِ فَقَضِمْتُهُ ثُمَّ مَضَغْتُهُ فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَنَّ بِهِ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى صَدْرِي» (البخاري).

ويتعين أن تضع المتع الجنسية في حسابها الاعتبارات الأخلاقية، إذ تؤدي الإباحية في الجنس إلى انهيار الأسرة والمجتمع، وإلى الكذب والخداع، وفقدان المسؤولية، بل إلى أنواع من الجرائم مثل: الاغتصاب والسرقة وتعاطي المخدرات والقتل، وإذا تعمق في قلب الإنسان مراقبة الله تعالى له في السر والعلن فعليه

أن يكون قادراً على مقاومة الإغراءات بمسؤولية، وأن يميز الصواب من الخطأ. وبالمقابل، فإن الكبت والحياء الشديدين يعيقان كثيراً من الناس عن الحصول على الثقافة الجنسية اللازمة ومعرفة طرائق المضاجعة الأكثر إشباعاً للرغبات.

واجب الوالدين تجاه أولادهم بالتربية على النظافة المتعلقة بالجنس

يؤكد الإسلام المحافظة على الأعضاء التناسلية نظيفة، ويضطلع هنا دور الوالدين باعتبارهم الموجه اللصيق والمصدر الأمين لاستقاء المعلومات عن سبل النظافة والعناية المرتبطة بالأعضاء الخاصة في جسم الإنسان. وللمحافظة والعناية والتوجيه صور عدة، أبرزها:

الجنس أثناء الحيض: كان اليهود في العصور الوسطى يتجنبون المرأة في الدورة الشهرية تجنباً تاماً، في حين أوصى الرسول ﷺ صحابته بالرفق بزوجاتهم ومؤازرتهن أثناء فترة الحيض، على أن يتجنبوا جماعهن ولمس أعضائهن التناسلية.

ويحسن بالأمهات تقديم نصائح عملية للفتيات عن كيفية استخدام الفوط الصحية والتخلص منها دون التسبب بانسداد المرحاض، إذ الدورة الشهرية أمر طبيعي فلا داعي لأن يكون الحديث عنها سرياً ومحرجاً، خاصة إذا كانت الابنة في حاجة إلى مساعدة وتعاني من الشعور بالتعب أو الألم.

شعر العانة: أوصى النبي ﷺ أن يزال شعر العانة عند الرجال والنساء دورياً، على الأكثر مدة أربعين يوماً؛ حتى يبقى الجسم نظيفاً جذاباً ومهيأً للشريك الآخر؛ فنمو شعر العانة شيء طبيعي وصحي، والتعود على إزالته يولد الشعور بالراحة والنظافة، فقد روى أنس بن مالك ﷺ: «وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الْإِبِطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، أَنْ لَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» (مسلم).

لن يصاب الفتى بالقلق إذا بدأ يلاحظ نمو شعر صدره أو ساقيه أو شاربه، خلافاً للفتيات اللاتي يصبن بالهلع إذا اكتشفن وجود شعر طويل داكن حول حلمات أثدائهن، ويكرهن منظرهن إذا غطى الشعر القاتم الطويل أرجلهن أو أذرعهن. ويحسن بالأمهات تعليم بناتهن كيفية استخدام كريمات إزالة الشعر أو غيرها من الوسائل التي تحافظ على بشرتهن ناعمة وجذابة، ولا داعي لأن تقلق الفتيات ويخشين من التحول إلى ذكور إذا نما شعر الشارب أو تحت الأبط عندهن، أو إذا نمت شعيرات قليلة على ذقونهن، فما عليهن سوى إزالة الشعر أو صبغه إذا تسبب في مشكلة لهن، ومن ناحية أخرى، يحسن أن تشعر الفتيات بالراحة والطمأنينة عند التعامل مع أجسامهن، وألّا يكن مهووسات بإرضاء الرجال في مظهرهن.

الختان للذكور، والخِفَاض للأناث: حض النبي ﷺ على ختان الذكور في سن مبكرة، لأنه يعزز النظافة ويزيد من التمتع الجنسي عند الزواج. كما يقلل ختان الذكور من خطر الإصابة بالسرطان، ويقلل من الالتهابات، ويقلل كذلك الألم أثناء التبول.

و هناك فرق بين ختان الذكر، وخِفَاض الأنثى، فالختان للذكر يعني قطع الجلدة التي تغطي الحشفة، بحيث تتكشف كلها؛ أما الخفاض للنساء فهو قطع الجلدة التي فوق مخرج البول دون مبالغة في قطعها، ولذلك سمى «خِفَاض» (الشيخ جاد الحق على جاد الحق، رقم الفتوى ٧٠٩).

و نورد هنا رأي دار الأفتاء المصرية الحديث حول «الخفاض»: إن الكثير من العلماء يرون الخفاض عادة، وليس من الشرع، فهو نابع من تقاليد شعبية موروثة، ويرون أن موضوع الخفاض تغير في العصر الحالي، وأصبح له أضرار جسيمة على البنت من الناحية النفسية والجسدية، ويرون أن هذا يستوجب القول بحرمته، ويردون على من يوافق على الخفاض استناداً لحديث أم عطية، علماً بأن هذا الحديث عند بعض المحدثين فيه ضعف «الدرر السنية، ٨/٣٢٤» (فاطمة الزهراء، ٣ سبتمبر ٢٠١٧).

وبناء على ما سبق، ليس هناك إلزامية في الخِفَاض،

بل هي مسألة متعلقة بالبيئة والثقافة، وليس أمراً شرعياً.

السائل المنوي والاحتلام عند الفتيان: يشعر بعض المراهقين بالحرج الشديد إذا رأوا تلوثاً أو إفرازات على ملابسهم الداخلية، كما يرتعبون إذا رآها والداهم، ولا سيما الأم عند غسيل ثيابهم، إن من المفيد طمأنتهم بأن وجود كمية معينة من الإفرازات يعد أمراً طبيعياً، فإذا كانت الإفرازات ملونة، أو يشوبها الدم، أو لها رائحة، فقد يحتاجون إلى تغيير ملابسهم الداخلية أكثر من مرة في اليوم، إضافة إلى الاستشارة الطبية، ويتعين عدم الخلط بين المني والبول، لأن المني سائل طاهر – عند الشافعية والحنابلة– ولا يلزم غسله للصلاة مثل غسل البول، فيكتفى لتنظيفه سكب الماء على الملابس التي يقع عليه إذا كان رطباً وفركه إذا كان ناشفاً حتى يختفي لأنه لا يعتبر نجساً.

علاقات العشيق والعشيقة (boyfriend - girlfriend) ومتطلبات التربية الوالدية

لا يلقي الأولاد الصغار في المجتمع الأمريكي بالاً لمن يلعب معهم، ويفضل أغلب الصبيان في سن الثامنة اللعب مع الصبيان وكذلك الحال عند البنات، ويكوّن الأولاد في كثير من الأحيان علاقة «أفضل صديق» بين سن (١٠–١٢ سنة)، وغالباً ما يحافظون على هذه الصداقة الوثيقة طوال فترة المراهقة (D'Oyen ,1996).

عندما يكبر المراهق يلازمه الارتياح بصداقاته مع الرجال الآخرين، وإذا كانت علاقته مع أسرته جيدة، فستكون لديه علاقات وثيقة مع والده، وإخوته، وأعمامه، وأخواله، وأبناء عمومته وأبناء أخواله، وفي المستقبل مع أبنائه البالغين، وتستمر المرأة المتزوجة في الارتياح بصداقاتها مع نساء أخريات، مثل والدتها، وأخواتها، وقريباتها، وجاراتها وغيرهن من النساء.

وتبقى الصداقات البريئة تسير بصورة جيدة ما بقيت ضمن حدود معينة، وبناء عليه يتعين أن لا تعط للصبيان والبنات ممن ليسوا من الأقارب أو المحارم (الأشخاص الذي يحرّم زواج أحدهم من الآخر) فرصة للتلاقي معاً في مكان منعزل (خلوة)، ويتعين أن يكون كل منهم حيياً ومحتشماً في اللباس والسلوك، وأن لا يؤذن لهم للخوض في موضوعات غرامية غير مهذبة.. فالإسلام لا يبيح علاقات المواعدة الغرامية، وعلاقات العشيق والعشيقة (Boy friend/Girl friend) التي تنتشر في كثير من المجتمعات، في حين توفر اللقاءات أثناء اجتماع الأسر أو الأنشطة التي تقام في المسجد، إضافة إلى الزيارات الودية، الكثير من الفرص لتبادل الأفكار، وقضاء وقت ممتع، في حدود الاحتشام بين البنين والبنات؛ ويكون ذلك بديلاً شرعياً ومقبولاً عن العلاقات المحرمة.

فالشائع في كثير من المجتمعات الليبرالية المتحررة خروج البنين والبنات معاً في مواعيد غرامية، وأن يكون لهم عشاق وعشيقات عدة قبل الزواج، وهم يظنون خطأ أن زواجهم سيكون أفضل إذا جرّبوا الجنس قبل الزواج، أو يحبذون تجريب عشاق متنوعين قبل أن يكتشفوا شريك حياتهم المناسب، أو أنهم يريدون فقط قضاء وقت «ممتع» معهم، وقد يعيشون معاً أو المساكنة، وهم يمثلون دور الزوج والزوجة دون عقد زواج رسمي أو عرفي، وهذا ما يطلق عليه اسم «العيش معاً»، وقد ينجبون طفلاً حتى قبل أن يقرروا الزواج، أو قد يقررون عدم الزواج مطلقاً.

تُحرِّم العديد من الشرائع السماوية هذا السلوك بسبب المشكلات الكبيرة التي يسببها، وإنه لمن المحزن أن الضغوطات التي تمارس على الشباب للتصرف بهذه الطريقة أصبحت أقوى مما سبق، كما دأبت الإعلانات التجارية التلفازية، والأفلام، والإنترنت والكتب المدرسية، على إقناع الناس أنهم إذا لم يكن لديهم عشيق أو عشيقة، فهناك شيء خطأ فيهم، ويحاول بعض تلاميذ المدارس في سن التاسعة تقليد من يكبرونهم في السن، وذلك بالتفاخر بالأمور التي اقترفوها مع الجنس الآخر، كي يبدوا لأصدقائهم وكأنهم يعيشون حياة مثيرة شيقة للغاية، كما يحاولون إشعار الآخرين أنهم من «الطراز القديم» أو أغبياء إذا لم ينضموا إليهم، ولكن دعونا نلاحظ ماذا يحدث

بالفعل لهؤلاء الأولاد مع نموهم وتقدم أعمارهم؟

ينحدر غالباً الشباب الذين ينغمسون في علاقات جنسية نشيطة في سن مبكرة جداً من عائلات تكثر فيها المشكلات، فهم كثيراً ما يكونون أولاداً لأبوين مطلّقين، أو ربما يفتقدون الحب أو الاهتمام داخل المنزل؛ لذلك يبحثون عن صداقات مع الجنس الآخر؛ ليحصلوا على التقبيل، واللمس، والقرب والصحبة. وربما يقودهم ذلك للخطر، إذ يمكن لمشاعرهم أن تخرج بسهولة من سيطرتهم فينزلقون إلى الزنا، وعندها تتضاعف مشكلاتهم.

عندما يتخذ المراهقون عشيقة قبل الزواج فإنها تعد في نظر المسلم والملتزم بالإرشادات الربانية من جميع الشرائع السماوية، «مستعملة» مثل الملابس القديمة المستعملة، وإذا تمادت الفتاة في علاقتها قبل الزواج إلى درجة المضاجعة فإنها تفقد عذريتها. ويشدد الإسلام على احترام العذرية، وكذلك الكثير من الثقافات والشرائع السماوية خاصة عند البنات، فالفتيات اللاتي يتصرفن تصرفات لا مبالية ويفقدن عذريتهن يجدن صعوبة في العثور على زوج محترم، في حين يعلي الإسلام من قيمة ضبط النفس والعفة عند الرجال والنساء على حد سواء، ويرفض معظم الآباء والأمهات في هذه الثقافات تزويج ابنتهما إلى من عُرف بالانحلال وكانت له عشيقات قبل الزواج، ويعود ذلك في تقديرهم إلى أن مثل هذا الرجل قد يمل من زوجته بعد فترة ويتركها من أجل امرأة أخرى يشتهيها، أو قد لا يعاملها معاملة كريمة كما يجب عليه.



وقد ينتج عن المضاجعة (غير الشرعية – الزنا) الحمل، فوسائل تحديد النسل ليست دائماً فعالة، وإذا حملت الفتاة من الزنا، فيعد ذلك فجيعة لها ولطفلها، ووصمة عار لعائلتها. والأمومة مسؤولية كبيرة، حتى لامرأة ناضجة وضمن أسرة مستقرة، فكيف لفتاة غير متزوجة أن تتحمل هذه المسؤولية بمفردها وتدير أمورها وقد أصبحت أمّاً في سن (١١ سنة) لطفل والده في سن (١٤ سنة)، يفتقد أي استعداد لممارسة الأبوة ومسؤوليتها، وقد اندفع كلاهما إلى مصاف الأبوة والأمومة دون دعم من أسرتيهما؟ وإذا لم يكن الاثنان قد نضجا تربوياً وتعليمياً وعاطفياً واقتصادياً؛ فكيف يمكن أن يوفرا حياة طيبة لنفسيهما ولأطفالهما؟

ثم إن هذا ليس من العدل في شيء لطفلٍ ما يزال في باكورة حياته، ففي كثير من الأحيان يصيب الأب الصبي الرعب ويرفض الاعتراف بولده، وتنقطع أي علاقة له بعد ذلك بالبنت الأم، فتترك وحيدة تماماً مع طفلها الذي يحرم من حب أبيه ودعمه، ويعيش أمثال هؤلاء أوقاتاً عصيبة وحرجة للغاية، وقد لا يتمكنون من إنهاء دراستهم، ويضطرون لقبول عمل وضيع أو غير مناسب لسد حاجاتهم الأساسية، وتسديد الفواتير التي يطالبون بأدائها.

ماذا يمكن أن يفعل الوالدان بشأن ابنتهما، وبهاجس هيام الفتيات بالفتيان في المجتمعات الليبرالية المتحررة؟ يلاحظ الآباء والأمهات ابنتهم تراقب الفتيان أثناء نموها، ويسمعونها تتحدث عن الفتيان «المثيرين» الموجودين حولها، وحين يسمعونها لأول مرة تتحدث عن علاقة غير شرعية؛ يشعرون بالغضب والاضطراب، ففكرة أن صبياً يروق لابنتهم وهم يعدونه وحشاً، ثم يحاول الوصول إلى علاقة جسدية معها، تجعل الآباء والأمهات يشعرون بالاشمئزاز منه والرفض التام.

إن من المهم أن يملأ الوالد قلب ابنته بحبه وعاطفته، وأن تربى على احترام الذات والمسؤولية والقيم الأخلاقية، بحيث لا تضعف عندما تلتقي رجلاً أقل نبلاً وفضيلة وهرمونات أكثر نشاطاً أمام ضغوطه عليها، بعد أن علمها والداها سابقاً من قبل كيف يجدر بها أن تتصرف معه ومع أمثاله، وعادة ما تخبرهم البنت نتيجة لهذه التربية، عمن يتعرض لها من هؤلاء الصبيان، فعندما تتلاشى السرية والكتمان بين الآباء والأبناء؛ فسوف تزول مخاوف الوالدين.

وإن تعليم الفتاة فن المحادثة سيحميها جسدياً من الأولاد، وتتكون لديها الثقة والمهارة كي تقول لهم: «هذا غير مقبول» بدلاً من الإذعان والاستسلام بهدوء لطلباتهم، ويتعين على الوالدين أن يبينوا لابنتهما خرافات الوقوع في الحب مع الأولاد، ففي أحوال كثيرة يحاول الفتيان خداع الفتيات، كما تحاول بعض الفتيات خداع الفتيان، والفتاة «الحاذقة» هي التي تسوغ ميلها الجنسي بالوقوع في «الحب»، وهذا هو أحد الأسباب التي تدفع بالفتاة المراهقة إلى الضعف أمام الرومانسية والعبارات «الحلوة» المنمقة من الفتيان، ويبرر «كلام الحب» لها «فعل الحب» الذي ارتكبته، وهي تعتقد أن ما يعد هو صواب بالنسبة لها هو صحيح أيضاً وصائب بالنسبة لغيرها من البنين.

يختلف الصبي جسدياً ونفسياً عن البنت كما يربى تربية مختلفة، إذ يمكن للصبي المعاشرة الجنسية دون أن يحب من يعاشرها، وغالباً ما يجد نفسه مثاراً جنسياً، حتى في غياب البنات فيبحث عندئذ عن تفريغ لطاقته الجنسية بأي وسيلة، وهي قد تكون أي بنت تقريباً يستطيع الوصول إليها، فالكيل بمكيالين يسمح له بممارسة الجنس دون تعلق عاطفي مسؤول من طرفه، وتعد نصيحة بعضهم المشهورة «اقض وقتاً ممتعاً معها ولكن لا تجلبها معك للمنزل» نصيحة مضللة للبنين.

فعدم سماح الفتاة لنفسها أن تُستخدم كأداة وسلعة أمر بالغ الأهمية، ويقابله في الأهمية من جانب الصبي ألا يجعل من الفتاة أداة لرغباته وشهواته، ويتعين على البنين والبنات على حد سواء معرفة أن هناك قواعد صارمة للحب والجنس، وأنه ليس من العدل للبنت أن تثير الصبي، ولا للصبي أن يراود البنت عن نفسها، وقد يتبع الصبي شهوته الضالة العمياء، ويتمادى إلى أقصى حد تسمح له البنت، دون التفكير في استعدادها لذلك، أو في مسؤوليته عن ذلك الفعل القبيح الشنيع.

عمل قوم لوط (المثلية الجنسية) ومتطلبات التربية الوالدية

يعد مثليّ الجنس هو الشخص الذي ينجذب جنسياً لشخص من جنسه، ويميل إليه ويختار إقامة علاقات جنسية معه، ولا ينجذب إلى الجنس الآخر مقارنة بالشخص الطبيعي الذي يميل إلى الجنس الآخر في العلاقات الجنسية، ويطلق على النساء اللاتي يمارسن الجنس مع نساء أخريات اسم (سحاقيات).

وندخل هنا في مناقشة قضية ذات أهمية كبيرة معنوياً وأخلاقياً، وهي فعل عمل قوم لوط، الذي يرفضه الإسلام ويعارض نشره والترويج له، وما ننشده هنا هو مساعدة الآباء والأمهات الذين يشعرون أن ولدهم مثلي الجنس في عالم يدين ذلك، بينما أعطته بعض الأنظمة العلمانية الشرعية والقبول.

تحرم النصوص الشرعية في الإسلام وغيره من الشرائع كالإنجيل ما يقوم به المثليون جنسياً، يقول الله تعالى مخاطباً قوم لوط:

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (الشعراء: ١٦٥-١٦٦).

وقال تعالى في موضع آخر يصف السبق إلى الفاحشة

عند قوم لوط: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٠).

ويقول النبي ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط» (الترمذي) .

وورد في الإنجيل: «وإذا اضطجع رجلٌ مع ذَكَرٍ اضطجاعَ امرأةٍ فقد فعلا كلاهما رِجْساً، إنّهما يُقتلان، دمُهما عليهما». (سفر اللاويين: ٢٠: ١٦).

إنها مشكلة مزعجة للغاية قد يواجهها الآباء والأمهات، فبعد أن يكونا قد أديا واجبات الوالدين أداء سليماً وصحيحاً، يكتشفان فجأة أن ابنهما مثلي الجنس، فماذا يمكنهما أن يفعلا لمواجهة هذه المشكلة؟

إذا كان الابن في سن المراهقة وبدا عليه علامات أو توجهات مثليي الجنس، فمن المهم لوالديه التعامل معه بحذر وطلب المساعدة المناسبة له.

تعد المثلية الجنسية أمراً صعباً بالنسبة للآباء، ويعتقد البعض أنه كلما قل علمهم بها زادوا ارتياحاً، ويفخر الآباء برجولة أبنائهم الكاملة، وبأنوثة بناتهم.

ورغم ذلك فلا بد من مواجهة الحقائق؛ فوفقاً لاستقصاء Gallup في عام ٢٠١٥ أن ٣,٨٪ من الأمريكيين يعدون أنفسهم مثليين، أو مزدوجي الجنس، أو متحولين جنسياً، أما في بريطانيا ووفقاً لدراسة National Survey of Sexual Attitudes and Lifestyles في ٢٠١٠ (تعلن نتائجها كل ١٠ سنوات) أن ١٪ من النساء و١,٥٪ من الرجال يعدون أنفسهم مثليين جنسياً، و١,٤٪ من النساء و١٪ من الرجال يعدون أنفسهم مزدوجي الجنس، وذلك ما بين أعمار (١٦-٧٤ سنة) (The Guardian, 2015).

وقد أصبح مثليو الجنس نشطين وفعالين أكثر فأكثر في مطالبتهم المزيد من الحقوق، فهم ينظمون باستمرار مسيرات احتجاج، ويحاولون بإصرار تغيير القوانين التي تحد من حريتهم، وأصبح من الممكن أن ترى رجالاً يقبّل بعضهم بعضاً من الشفاه، أو يلبسون كالنساء في الأماكن العامة، ويدعى الذين يتشبهون بالنساء في لباسهم «transvestites». كما أصبح في بعض البلاد وكثير من الولايات الأمريكية باستطاعة الرجل أن يتزوج الرجل، وأن تتزوج المرأة المرأة، وبعقد رسمي يثبت في السجلات الحكومية، وهؤلاء الأزواج من مثليي الجنس، والسحاقيات، يطالبون بأن يعاملوا مثل المتزوجين الطبيعيين، ومع أنهم لا يستطيعون إنجاب الأطفال فإنهم قد يتبنون الأطفال سداً لعجزهم بالإنجاب، وكل شخص يجرؤ على إدانة سلوكهم يوصفونه بـ «المرتعب من المثليين»!

وأدى تطوير حبوب منع الحمل في الولايات المتحدة في الستينيات، وإباحة الإجهاض، وتعاليم علم النفس الشائع، إلى ما صار يشار إليه بالثورة الجنسية، لقد بدأ الناس في المجتمعات المتحررة جداً المطالبة بالسماح لهم بالحرية في ممارسة الجنس مع من يرغبون، بغض النظر عما إذا كانوا متزوجين أو غير متزوجين، ومن الجنس نفسه أو من الجنس الآخر، وأنه يتعين على الناس احترام ميولهم الجنسية، فبدأبعض الناس يتقبلون هذه الأفكار إلى أن وصل الأمر في العديد من البلدان إلى أن التمييز ضد مثليي الجنس يعتبر مخالفاً للقانون.

كيف يمكن للإنسان أن يصبح مثلي الجنس؟ طرحت نظريات عدة للإجابة عن هذا السؤال، وفصّلت هذه النظريات القول في جزئية: هل هو أمر اختياري، أم أنه «يولد» مع هذا الإنسان ويكتشفه عندما يكبر بالسن؟

لقد كان معظم الخبراء ينظرون للشذوذ الجنسي حتى حقبة السبعينيات على أنه نوع من أنواع المرض العقلي أو الانحراف، وثبت الطب على فكرته القديمة التي توضح سبب سعي فرد إلى حب فردٍ من نفس جنسه، وتنص على أن صبياناً معينين ممن كانت أمهاتهم ضعيفات أو قاسيات أو باردات المشاعر نشأوا كارهين لكل النساء نتيجة لما عانوه من أمهاتهم، وأن بعض الفتيات ممن أسيئت معاملتهن من آبائهن نشأن كارهات للرجال جميعهم. وفي التسعينيات بدأ بعض أصحاب المهن الطبية والسلوكية تطوير نظرية ادعت

أن الشذوذ الجنسي كان في الواقع اختلافاً طبيعياً في التوجه الجنسي الإنساني، وادعوا أن المثلية الجنسية تنشأ في جينات الفرد، وأنها صفة يمكن أن تتوارث، مشيرين إلى وجود بعض العائلات التي يظهر فيها مثليو الجنس أكثر من غيرها، مع أنه يمكن أن يعود سبب ذلك أيضاً إلى طريقة تربية هذه الأسر لأطفالها.

إضافة إلى ما سبق، أدى اكتشاف حالات نادرة جداً من بعض الحيوانات تمارس فيها علاقة جنسية مع من هو من جنسها نفسه إلى استنتاج بعضهم أن ذلك قد يكون طبيعياً عند الإنسان أيضاً، فهذا انحراف غريب في التفكير يدعونا إلى أن نطرح السؤالين الآتيين: هل أفعال الحيوانات الوحشية (وبنسبة نادرة وضئيلة جداً) تؤخذ مقياساً في تحديد قاعدة عرفية في التصرفات الإنسانية، أو سبباً من الأسباب لمنح سلوك إنساني معين القبول الاجتماعي؟ وهل يعد الناس الحيوانات قدوة لهم في هذا الفعل والسلوك؟

فالقيم الإنسانية لا تستنتج وتأخذ من سلوك الحيوانات؛ لأن الناس مختلفون عن الحيوانات، فقد كرَّم اللّه تعالى بني آدم وفضَّلهم على الكائنات جميعها.

ونناقش أدناه بعض الأسباب المحتملة للاضطراب الجنسي، علماً بأن عوامل التجربة والبيئة ومسائل تشكيل العلاقات، لها تأثير بالغ الأهمية:

- **الارتباك والاضطراب في تفسير الصداقة**: يصيب بعض الشباب الذين لديهم مشاعر قوية تجاه صديقهم من الجنس نفسه الحيرة والاضطراب والخلط بسبب الكلام عن الشذوذ الجنسي، ويبدأون بالتساؤل عما إذا كانوا هم أيضاً مثليي الجنس، فقد تشعر الفتاة بسرور بالغ حين وجودها مع أفضل صديقاتها وممن تقضي معهن أوقاتاً ممتعة، وتتولد عندها الرغبة العارمة في العناق والقبلات، ثم تشعر بالذنب حيال تلك المشاعر حين تختلط عندها بالمشاعر الجنسية، فإذا وصلت بسبب ذلك إلى قناعة بأنها سحاقية؛ فربما تحاول إقناع صديقتها بممارسة الجنس معها، فالوصول إلى حل وقائي لهذه المشكلة يتعين أن يوفر الوالدان تثقيفاً جنسياً كافياً لأولادهم قبل حدوث مثل هذا الشيء، وبعده إن حدث.
- **نقص الحب المقدم للأطفال**: إن المراهقين الذين تضعف علاقتهم مع والديهم وأقاربهم يشعرون بفراغ عاطفي وحاجة إلى من يلمسهم ويحبهم، ولأنهم لا يجدون ذلك من والديهم، فإن الرغبة تكون جامحة للمس صديق من جنسهم وعناقه، ويتطور الأمر إلى الوقوع في الأفعال الجنسية، فالعلاج لهذه الحالة هو علاج وقائي يتطلب تهدئة مشاعر الأولاد وتطمينها عن طريق إغراقهم بالحب والمودة، بدءاً من الرضاعة الطبيعية واستمراراً بعدها، كذلك يتعين أن تستمر علاقات الود والمحبة بين أعضاء العائلة الواحدة جميعها وإلى الأبد، وبهذا فإن الشخص يتشبع بالحب الطبيعي داخل البيت ولا يبحث عنه خارجه.
- **التحرش الجنسي بالأطفال**: يستغل بعض الشباب البالغين الأطفال ويعتدون عليهم جنسياً بالقوة، إلى أن يصبح ذلك بعد تكراره عادة من عاداتهم، حيث وجد (Paul et al,2001) في دراسة منهجية لـ (٢٨٨١) رجلاً من الذين أقاموا علاقات جنسية مع غيرهم من الرجال؛ خمسهم أي ٢٠٪ منهم تعرضوا للتحرش الجنسي حينما كانوا أطفالاً، فالحل الوقائي لهذه المشكلة هو المراقبة المستمرة من الوالدين لأبنائهما، وتفقّدهم الدائم لهم، والتأكد من صلاح من يصادقون ويصاحبون، وأن يدركا أن جرائم الاعتداء على الأطفال غالباً ما تكون من أحد أفراد الأسرة، فاليقظة أمر بالغ الأهمية.
- **خلل هرمون الشذوذ**: يولد بعض الأطفال وهم يعانون من نقص في الهرمونات الذكورية أو الأنثوية، أو يصابون بأمراض نادرة تسبب هذا

النقص الذي يمنعهم من التصرف الطبيعي كالرجال والنساء العاديين. فالهرمونات مواد كيميائية تفرز من مختلف أجهزة الجسم، وهي المسؤولة عن نمو الخصائص الجنسية الجسدية عند الإناث مثل: كبر حجم الصدر والرغبة في عناق الأطفال، والخصائص الذكورية عند الرجال مثل: نمو الشارب واللحية والعضلات، والرغبة في ممارسة الرجولة، والتفاخر بالقدرة العضلية. فالشاب الذي لا تتوافر عنده هرمونات ذكرية كافية لنمو لحيته، أو لغلظ صوته، كما يحصل مع غيره من الشباب الذكور، ولا يشعر في داخله بشعور أنه ذكر، لا بد له من مراجعة الأطباء المختصين.

- **التأخر في الزواج:** الرجال والنساء الذين يحرمون من الزواج في السن المناسب يشعرون برغبة قوية في تلبية رغباتهم الجنسية، وإذا لم تلب هذه الرغبات بالوسائل المناسبة، تتسلل طرائق بديلة ملتوية إلى عقولهم، فينصح بتشجيع الأبناء على الزواج المبكر والحض عليه عند بلوغ السن الشرعية المناسبة، لأنه حق من حقوق الأبناء، ويقع على والديهم واجب تسهيل هذا الأمر لهم.

وينبغي على الآباء والأمهات الذين يكتشفون أن لدى ولدهم ميولاً شاذة التحلي بالصبر، وأن يكونوا على فهم ودراية لما يحيط به، ثم أن يبحثوا عن مساعدة من متخصص مباشرة دون تأخير أو إبطاء لهم، وأن لا يتوقفوا عن منح حبهم العميق لأولادهم.

تُعلّم بعض من المجتمعات الأطفال في سن مبكرة أن ممارسات مثليي الجنس يعد أمراً مقبولاً في المجتمع، ولا تضع هذه المجتمعات خطاً فاصلاً بين ما هو مقبول وما هو مرفوض، كذلك تملي على الأولاد تجاهل الفروقات بين السلوك الاعتيادي وغير المقبول، وتزيّن لهم اتباع شهواتهم ورغباتهم، وهنا يأتي دور التربية الوالدية التي تدعو الوالدين أن يبينوا لأولادهم أن سلوك مثليي الجنس سلوك خاطئ، كما يجب أن يتدخل الوالدان مباشرة إذا اكتشفا أن معلماً ما يشجع أولادهم لمثل هذا السلوك.

على الذكور أن يكونوا رجالاً بحق!

وذلك باحترام المرأة وغض البصر والدفاع عن الضعفاء وتجنب تعرّي أجسادهم والاحتشام.

على الإناث أن يكن نساءً بحق!

وذلك بارتداء الملابس الساترة المحتشمة والغض من أبصارهن واجتناب المغازلات والتهتك المغري وحماية شرفهن ضد اعتداء الرجال وسوء خلقهم.

المراهقون والعذرية قبل الزواج

يصل الأطفال في العديد من الدول المتقدمة صناعياً مثل أمريكا وكندا وبريطانيا إلى سن البلوغ مبكراً عن ذي قبل، فتبلغ الفتاة عادةً ما بين (٨-١٣ سنة) والصبيان يبلغون الحلم بين عمر (٩-١٤ سنة)، فبداية الحيض أو الحلم تبدأ نحو ستة أشهر مبكراً عما كانت عليه من أربعين سنة مضت، ونمو الثدي يبدأ سنتين مبكراً عن ذي قبل، وهناك علامات بلوغ أخرى بما فيها رائحة الجسد، ونمو شعر العانة، كل هذه العلامات أصبحت تحدث مبكراً عن ذي قبل (University of California Berkeley,2014)

وقد ترجع تلك الظاهرة للاستهلاك المتزايد للمنتجات الحيوانية، الناتجة من حيوانات تتغذى بكثافة على جرعات منتظمة من المضادات الحيوية والهرمونات، التي تستخدم كمحفزات لنمو الحيوانات.

ومن ناحية أخرى، ارتفع متوسط سن الزواج الأول في الولايات المتحدة الأمريكية حيث يقدر عمر الرجل عند زواجه لأول مرة بـ٢٩ سنة، أما النساء ٢٧ سنة في عام ٢٠١٣. (Pew Research 2014 Center)، أما في بريطانيا فهو ٣١ سنة للرجال و ٢٩ سنة للنساء في عام ٢٠١٢، (Office for,2014 NationalStatistics).

وإذا كان الآباء والأمهات قد نجحوا في منع أولادهم من ممارسة الجنس قبل الزواج، واستطاع الأولاد كبح رغباتهم الجنسية أثناء سن البلوغ حتى زواجهم، فإن هذا يعني انتظار حوالي (١٦ سنة بعد البلوغ للأولاد قبل الزواج، وتمثل هذه الفترة الذروة الطاغية للرغبة والطاقة الجنسية لدى الشاب؛ الأمر الذي يعد تحدياً صعباً للبالغين حديثاً).

لقد كان معظم الناس قبل (١٠٠ سنة) يتزوجون بعد البلوغ مباشرة؛ لتأمين معيشتهم واستمرار حياتهم، كما كان من المهم للمجتمع أن يتزوج الرجال والنساء مبكراً عندما تكون قواهم الجنسية وحيويتهم في ذروتها؛ وذلك لارتفاع وفيات الأطفال الرضع وانتشار الأمراض، والحروب المتكررة التي تبيد عدداً كبيراً من الناس. وللأسف تكيفت بعض المجتمعات مع الزواج المتأخر بإطلاق القيود الجنسية، لكن ذلك لا يعد حلاً عند الملتزمين دينياً، الذين تمنعهم قيمهم من ارتكاب الحرام، ولا شك أن الصراع الداخلي دون ممارسة الجنس شاقّ جداً على المراهقين، وقد لا يستطيعون السيطرة الجنسية الممتدة من سن البلوغ حتى الزواج (الذي قد يتمّ بعد ٢٠ عاماً)، فيعاني المراهق؛ إذ يضجّ جسمه بالهرمونات الضاغطة عليه لتلبيتها، إضافةً إلى البيئة المليئة بالإغراءات في كل مكان.

ويفضّل أن تتبنى المجتمعات الإسلامية الزواج المبكر للتعامل مع المشكلة على الرغم مما قد تسببه تداعيات الزواج المبكر من عقبات، ولكن يتعين على الوالدين إيجاد الطريقة المناسبة الفعالة للتوضيح لأولادهم أسباب تحريم الجنس خارج إطار الزواج على الرغم من حاجتهم إليه بإلحاح. وللأسرة الممتدة دورٌ كبيرٌ في مد يد العون لمن يتزوج مبكراً، والمساهمة في تربية الأطفال، ويحتاج كل ذلك تخطيطاً مبكراً وحكمة من عقلاء العائلة.

وإن وجدت عقبات تحول دون بالزواج المبكر، تزداد هنا الحاجة لتربية والدية واعية متابعة لأحوال أبنائها، ومتفهمة لاحتياجاتهم الجسدية، وموجهة لهم إلى الطريق الصحيح، وهذا يساعد المراهق على تجنب عادة الاستمناء حتى لا يصبح هاجساً عنده.

كما ويحسن بالآباء والأمهات أن يكونوا صريحين مع أولادهم حول كيفية التعامل مع أجسامهم، إذ يحتل الجنس مساحة كبيرة من تفكير الشباب، مع أنه الموضوع الأقل طرحاً للمناقشة بين الوالدين وأبنائهما، وحتى عند طرحه للنقاش فإنه لا يناقش بواقعية. ويذهب الفقهاء المسلمون إلى الفتوى للمراهقين بأن الاستمناء حرام، مع أن قليلاً من العلماء قد أجازوه بقيود وضوابط. وعلى أي حال فإن معظم المراهقين يمارسونه، ويعيشون مع الإحساس بالعار أو الشعور بالذنب لممارستهم له، بسبب هذا الرأي الفقهي. ولا بد من الوصول إلى التوازن والتوسط في هذه المسألة، وذلك بأن يلجأ إلى العادة السرية فقط كملاذ أخير وتحت ضغوط معينة.

والواجب الأهم، الذي يقع على عاتق الآباء والأمهات هو شغل وقت أولادهم باستمرار في ممارسة الرياضة، أو تنمية عادة الصوم عندهم يومين في الأسبوع، وإشراكهم في الأنشطة الجماعية. وينبغي على الوالدين إعلامهم أن إساءة تفريغ الطاقة الجنسية سواء بالزنا أو الاستمناء يحدث مشكلات صحية لا يحمد عقباها، وأنه يتعين تجنب مواضع الإغراء والإثارة الجنسية والالتزام بغض البصر، وما سبق يساعد المراهق على تجنب الطرق المحرمة في تحقيق الاحتياجات الجنسية.

الحل الإسلامي لمعضلة الجنس: خريطة الطريق الوقائية

يكمن النهج الأساس لمعضلة الجنس في التجنب الذي يبدأ بغض البصر: ولا تقربوا الزنا، أي تجنب الاقتراب من الزنا بتجنيب نفسك وعدم تعريضها إلى أي موقف أو موضع قد يؤدي بك إلى ارتكاب هذه الخطيئة ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء: ٣٢).

العبارة المهمة هنا ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا ﴾: أي لا تقتربوا منه؛ وتجنبوه، واحموا أنفسكم منه، إنها تعني أن على المرء سد السبل والذرائع كلها المؤدية إليه، إلى الحد الذي سيصل في النهاية إلى تعذر الوصول إليه عملياً، كما يجب على المجتمع مواجهة هذه الكبيرة، وأن يكون أسلوبه وقائياً مما يجعل من الصعوبة بمكان ارتكاب هذه الخطيئة، وذلك باتخاذ تدابير تجعل الجنس غير المشروع غائباً قدر الإمكان، ويكون بمنع أنواع التجارة به جميعها، وتجفيف موارده ومنابعه؛ الأمر الذي يوجه السلوك في المجتمع توجيهاً صحيحاً، ويحافظ على مؤسسة الزواج نظيفة وآمنة لا يشوبها شائب الخيانة.

لا يعد هذا النوع من الأخلاق- المحافظة على نظافة الأسرة من الخيانة الجنسية- جديداً أو خاصاً بالدين الإسلامي، فهو من صلب تعاليم الأديان الأخرى مثل المسيحية، واليهودية، والهندوسية وغيرها. وليس من عاقل يعتقد بصواب الحياة الجنسية المضطربة، أو أن يصبح الإنسان عبداً لشهواته ولرغباته المادية. إن المؤمنين بالله تعالى يعدّون الزواج هو وحده الإطار المثالي لممارسة الجنس، والمشكلة هي أن الأجيال الشابة في عدد غير قليل من المجتمعات العلمانية التحررية الآن ترفض الاتجاه الجنسي المحافظ الذي يمنع ممارسة الجنس إلا بالزواج.

إن ممارسة الجنس خارج إطار الزواج يعد من السبل المؤدية إلى الأمراض التي تنتقل عن طريق الجنس، وهي مفتوحة على مصراعيها في وقتنا الحاضر، ويتطلب تجنبها بعض التضحية، فثمار العفة حسنة ومجزية، على حين أن العذاب الذي يؤول عن التساهل الجنسي غير المشروع أمر فظيع وأليم، ويرى الناظر في مجمل النظام الإسلامي أنه يركز على حماية حرمة الأسرة، كما أنه يركّز بشكل كبير على حفظ المجتمع وأفراده مثل: الحشمة في اللباس، وتجنب الجنس خارج نطاق الزواج، والامتناع عن شرب الخمور وتعاطي المخدرات، وتجنب المواعدة الغرامية، والاتصال المثير للشهوة، والاختلاط بلا حدود أو رقابة، ومشاهدة الأفلام الإباحية، والمناظر المبتذلة على شاشة التلفاز والإنترنت والهواتف الذكية وغزارة الإعلانات والموسيقى المثيرة جنسياً، وتعد كل تلك التوجهات أو الضوابط جهوداً جادة نحو إغلاق السبل الموصلة إلى الزنا وقطعها على من يسير فيها. ويضاف إلى ما سبق أن الآباء والأمهات يتعين عليهم أن يتحملوا مسؤولية شرح مخاطر الجنس اللامسؤول لأبنائهم المراهقين، وهذا ما يسمى في علم التربية بـ (التربية الوقائية) أو (المنهج الوقائي).

يلزم بالمنهج الوقائي ضد الزنا والعلاقات الجنسية غير الشرعية أن يبدأ مبكراً في سن الطفولة، وأن تتضافر معه الجهود الفردية والجماعية للتخفيف من سعار الشهوة الجنسية لدى المراهقين.

يقر القرآن بوجود الرغبة الجنسية العارمة في الناس، وحتى النبي يوسف عليه السلام، تحت ضغط الإغراء، كان يمكن أن يذعن لشهوته لولا رحمة ربه به التي تداركته فصرفت عنه تلك اللحظة الحرجة عندما استعصم بربه من مراودة امرأة العزيز له.

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (يوسف: ٢٣-٢٤).

لقد أودع الله تعالى الشهوة الجنسية في الرجال والنساء، وهي عادة ما تكون ساكنة إلا إذا أثيرت

وحرّكت، وقد أوجب الله تعالى إشباعها عن طريق الزواج فقط، وإذا كان الإغراء الذي يتعرض له المرء شديداً، فإن الشهوة قد تثور في وقت مبكر ويصبح من الصعب التحكم بها، ولا يخفى أن الشهوة الجنسية هي أكثر وضوحاً وطغياناً لدى الرجال، وهم أقل قدرة على التحكم بها من المرأة، وإن بلوغ سن المراهقة للذكور يوقظ المشاعر الجنسية القوية، على حين تمتلك المرأة قدرة أكبر من الرجل بكبح جماح شهوتها وسلوكها الجنسي، وجعل الله تعالى لكل ذلك حكمةً بالغة.

وليس من الغرابة أن تبرز البيئة الجنسية المتساهلة على نطاق واسع في العديد من المجتمعات في القرن الحادي والعشرين، ثم لا يقدم المجتمع إلا القليل جداً لمساعدة الشباب، إذ يعيشون في واقع يرمي المراهقين في البحر وأيديهم مقيدة ثم يقول لهم: «احذروا البلل!» كما يشعل الإغواء الجنسي نار الشهوة الجنسية في المراهقين، بينما يتوقع المجتمع منهم الامتناع عنه والتحلي بضبط النفس، فمثل ذلك كوضع سمكة أمام قط جائع ثم يقال له: «لا تأكل!»، لا شك أن الطريق إلى تحقيق العفة عن ممارسة الجنس سيكون أسهل بكثير في غياب الإثارة والإغراء.

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتلّ بالماءِ

يثار الرجل جنسياً بسهولة عن طريق اللمس، والرؤية، والسمع، والشم، أو حتى التخيل، ومن المهم إزالة وسائل الإغراء والإغواء والإثارة جميعها قدر الإمكان، ومن الحكمة أن يعتمد الرجل، لتجنب الوقوع في رذيلة ممارسة الجنس، الأسلوبَ الوقائي الدفاعي الذي يقوم على تجنب المشكلات أساساً، بدلاً من الاقتراب منها ثم الدخول في صراع عنيف لمحاولة الخروج منها، فحينما يثار الإنسان تضعف دفاعاته كثيراً، ويصبح احتمال الاستجابة للإغراء أكبر بكثير.

النهج القرآني نهج وقائي وشامل في هذه المسألة، ويبرز السؤال هنا: كيف يستطيع المراهقون الحفاظ على المعايير الأخلاقية في مجتمع متساهل جنسياً؟ وهل ذلك ممكن للإنسان؟ فمن مبادئ الشريعة الإسلامية أن أي وسيلة تؤدي إلى الشر فهي شر، لذلك يتعين تجنب كل سبيل ينبه السبات الجنسي، ويفقد أو يقلل تحكم الإنسان بغرائزه.

نذكر أدناه قائمة بالعديد من الخطوات التي توصد -تغلق بإحكام- الطرق المؤدية إلى الجنس غير المشروع، مع الأخذ بعين الاعتبار أن مقاومة الإغراء والإغواء عمل مستمر يمتد مدى الحياة، ويتعين تعاون الآباء والأمهات، والأسرة الممتدة، والمدرسة، ووسائل الإعلام، والمجتمع، وسائر مؤسسات المجتمع الإنساني ذات الصلة في تنفيذ تلك الخطوات والاحتياط لها، وأبرزها على سبيل الإجمال: الحياء، وآداب اللباس، ولا اختلاط بلا حدود ولا خلوة مطلقاً، وضغوط الأصدقاء وضغوط أخرى، والزواج المبكر، وحماية الأولاد من الاعتداء الجنسي، ومنهج تعليمي مقترح في التربية الإسلامية للجنس، وفيما يأتي تفصيل كل واحدة على حدة.

أولاً: الحياء

إن من المهم ترسيخ مفهوم الحياء عند الأولاد منذ الولادة باحترام أعضائهم التناسلية، فيلزم الآباء والأمهات ألا يلمسوا الأعضاء التناسلية للطفل إلا عند الاستحمام مع وضع اليدين داخل قطعة قماش ولمدة قصيرة، كذلك يتعين أن تغطى الأعضاء التناسلية للأطفال من عمر ثلاث سنوات وما فوق بالقماش عند الاستحمام، ويتعين تجنب كشف الأعضاء التناسلية للطفل عامة.

الحياءُ صفة في النفس تحمل الإنسان على فعل ما يجمل و يزين، وترك ما يدنس و يصيب.

وبذلك يعرف العلماء الحياء أنه خلق يبعث على ترك القبيح. ويجمل بالأبوين تنميته في نفوس أولادهم على الدوام، بحيث يصبح عرفاً عند كل من

الأسرة والمجتمع حتى عند غسل الميت، إذ ينبغي على المسؤولين حين غسل الميت تجنب النظر في الأعضاء التناسلية أو لمسها مباشرة، واستخدام قطعة قماش في تنظيفها. وقد حدد النبي ﷺ مدى الحياء وأبعاده حين قال: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰه، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» (مسلم).

وقَالَ رَسُوْلُ اللّٰه ﷺ: «إنّ ممّا أَدرَكَ النَاسُ من كَلَامِ النُّبُوّةِ الأُولَى: إذا لَم تَسْحِ فاصْنَعْ مَا شِئتَ» (البخاري) وقال ﷺ: «مَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» (البخاري).

و يقسم الجرجاني (الجرجاني، كتاب التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان، ص ١٥٥، ١٩٩٥) الحياء إلى نوعين:

١- **نفساني:** خلقه اللّٰه تعالى في عامة الناس، كالحياء من كشف العورة، وتجنب ممارسة الجماع بحضور الآخرين، وهذا النوع من الحياء موجود في البشر وقد جبلوا عليه.

٢- **إيماني:** يمنع المؤمن من ارتكاب المعاصي خوفاً من اللّٰه تعالى.

كما ينبغي على الآباء أن يعلموا البنين والبنات ويدربوهم على الأفعال الآتية التي تؤصِّل خلق الحياء فيهم:

١. غض البصر عن الجنس الآخر أو عن المشاهد الفاحشة.

٢. المشي بحياء من غير إثارة للغرائز أو تشبه بالجنس الآخر.

٣. التحدث بلطف واحترام دون إيحاءات مثيرة للغرائز.

٤. ارتداء ملابس محتشمة تغطي الجسم تغطية فيها الذوق والجمال.

ونذكر في ما يلي ثلاث حالات لا يكون الحياء (الخجل) فيها مطلوباً، وهي حالات محدودة ومنضبطة؛ حتى لا يفهم الأمر على إطلاقه.





١. في طلب العلم: اطلبوا العلم (والتزود منه خير) خاصة في التعاليم الدينية المتعلقة بالجماع بين الأزواج والحيض والحمل والاحتلام. صاغ الفقهاء، في سياق التعليم، عبارة: «لا حرج في الدين» أو (لا حياء في العلم).

٢. في الإصلاح: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنه واجب يطلب ممارسته بحزم وحكمة.

٣. في الزواج: ليس هناك حياء بين الزوجين في بيتهما. قال رسول اللّٰه ﷺ: «احفظ عورتك إلا من زوجك ...» (أبو داود، وابن ماجه). فالإسلام يحرم الجنس بين غير الزوجين، ولكنه في الوقت نفسه لا يضع حدوداً تقريباً بين الزوجين في خصوصيتهما في غرفة النوم.

وإذا أهمل الوالدان غرس خلق الحياء في نفوس أطفالهما، فلسوف يسبب ذلك المعاناة للمجتمع كله؛ لأن الحياء أساس قوي للتحصن من الإغراء والإغواء، وفي ما يأتي بعض الملاحظات التي تنتج عن غياب الحياء في بعض الدول:

- تجد تحت ستار الفن وحرية التعبير العديد من المتاحف والميادين العامة في بعض البلدان مملوءة بصور وملصقات لرجال ونساء عراة، إضافة إلى التماثيل التي تكشف الأعضاء التناسلية، وتجد مثل هذا أيضاً في بعض المعابد في الهند.

دُرَرٌ عن الحياء

- إذا لم تستح فاصنع ما شئت.
- الحياء لا يأتي إلا بخير.
- ما كان الحياء في شيء قط إلا زانه، وما نُزع من شيء إلا شانه.
- الإنسان بلا حياء كالشجرة بلا لحاء.

هناك خط فاصل بين الفن والإباحية المخلة بالآداب، في حين ينظر إلى التعرّي في التقاليد الفنية الغربية على أنه تطور يرمز إلى الفضيلة والشرف ومجد الرجل، ومثال ذلك تمثال للفنان مايكل أنجلو يمثل سيدنا داود عليه السلام ، النبي الذي يمثّل كل الفضائل، فيظهره التمثال عارياً تماماً، ومثله كثير من التماثيل في المعابد الموجودة في مختلف أنحاء العالم، ومنها الهند، والتي تصور أناساً عراة في إطار ديني. والحق أن تمثال داود ما هو في الحقيقة إلا رمز يجسد رجل عصر النهضة الأوروبي وليس النبي. فيتعين على الوالدين أن يفكرا بعمق في كل ما يخص موضوع التقبل الاجتماعي وتفسير العري وكيفية شرحه لأبنائهم.

- في متحف بسانتياغو، عاصمة تشيلي، منحوتات لرجل وامرأة في وضع الجماع الفاضح.
- أقامت فتاة شابة في الولايات المتحدة كاميرات فيديو في غرفة نومها وحمامها، وكانت تبث صوراً حية ومباشرة ٢٤ ساعة في اليوم للمشاهدين عبر الإنترنت.
- سجل خمسون ألف شخص في الولايات المتحدة لمشاهدة أول ولادة طفل تنقل حية ومباشرة على شبكة الإنترنت بالتفاصيل كاملة. (Time، 29 يونيو، 1998).

ونذكر في ما يأتي بعض آداب الحياء:

- الاستئذان قبل الدخول إلى غرف النوم.
- يجب على الآباء والأمهات والأشقاء تغطية أجسامهم والاحتشام في اللباس داخل المنزل وخارجه.
- يجمل بالوالدين الحذر من استخدام الكلمات البذيئة بوجود الأطفال، وتجنب الحديث الغرامي الجنسي أمامهم.
- يجب أن لا يكون هناك أي اتصال جنسي مكشوف بين الزوجين أمام الأطفال، بما في ذلك التقبيل العميق، ولمس الأعضاء التناسلية وخلع الملابس.
- نوم الأولاد في أسرّة منفصلة عند بلوغهم ١٠ سنوات.
- يربى الصبيان والبنات منذ الصغر على غض البصر عند النظر إلى الجنس الآخر.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(النور: ٣٠-٣١).

غض البصر أمر مهم، كما دلت على ذلك أيضاً سنة رسول الله ﷺ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ» (أحمد).

«يا علي إن لك كنزاً في الجنة، وَإِنَّكَ ذُو قَرْنَيْهَا، فلا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى –أي إذا كانت عن غير قصد– وليست لك الآخرة» (أحمد).

«حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ دَمَعَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهِرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ» (الحاكم).

- يجمل أن تربى البنات على المشي بكل احترام وحشمة لتجنب الإغراء الجنسي للذكور، ويتعين ألا يكشفن أرجلهن أو صدورهن، وأن يتجنّبن الكلام بطريقة توحي بالإثارة، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (الأحزاب: ٣٢).
- بعض أنواع الموسيقى أثرها مدمر (تلك التي تثير الغرائز الجنسية وذات الكلمات الخليعة)، فالمراهقون يميلون إلى سماع الموسيقى ذات الطابع الجنسي، حيث تتدرج من الرومانسية إلى المستوى العدائي أو المنحدر أخلاقياً، فقد أظهرت الدراسات أن المراهقين الذين يميلون إلى سماع الموسيقى ذات الكلمات الإباحية أكثر عرضة لممارسة الجنس في سن أبكر (Pediatrics, 2007)، فموسيقى الروك الجنسية الفاضحة تثير الرغبة الجنسية، وبعض أغاني (الهارد روك) تحتوي على كلمات إباحية، وعلينا منع الأطفال من استماعها، فعندما يتعرض الأطفال لهذا النوع من الموسيقى يفقدون الحساسية ضد الرذائل.
- تشكل المواد الإباحية خطراً بالغاً على الأولاد، لأنها تثير الرغبات الجنسية، وتوصلها إلى حد يصعب على الفرد لجمها، كما أن لها تأثيراً على المدى الطويل في تفكيرهم كونها تحثهم على تخيّل هذه المشاهد الفاحشة لوقت طويل، وتجعلهم يحلمون بأحلام اليقظة التي تدور في فلك هذه المناظر المستقبحة.
- تحط المواد الإباحية - من أفلام، وأغاني ماجنة، أو صور عريات، أو عرضات أزياء، أو نجوم سينما - من قدر النساء وتجعلهن أداة وسلعة لممارسة الجنس، وكأنهن مجرد وسيلة ماديّة لإطفاء شهوة الرجال. فإذا أثير الرجل بأي شيء من المثيرات، فإنه يستطيع إشباع شهوته مع زوجته، في حين لا يتاح للعزب ذلك؛ الأمر الذي قد يكون سبباً آخر من الأسباب التي تشجع على الزواج المبكر. ولا يمكن أن نلوم الرجل على شهوته ورغباته؛ ولكنه يلام حين يطلق العنان لها دون قيد أو ضابط أو رادع، مثلما يفعل بعض الرجال المتزوجين (دون أن يدركوا ذلك) حين ينظرون بإعجاب إلى النساء الأخريات.

كما تشكل صور عارضات الأزياء ونجمات السينما على لوحات الإعلانات وعلى أغلفة المجلات والملصقات مشكلة كبيرة، فهي تلتصق في التفكير لوقت طويل بصور الفنانات الجميلات مقارنة مع الزوجات اللاتي يتقدمن بالعمر، وتظهر السمنة على أجسادهن، والتعب في ملامح أبدانهن، فيتعين على الزوجين تقدير علاقتهما واحترامهما؛ فعلى الرغم من تقدم العمر يمكن أن يحافظ الزوجان على جاذبيتهما؛ بالتخطيط السليم، واتباع نظام غذائي صحي، وممارسة التمارين الرياضية المناسبة بانتظام.

ما سبق يؤكد واجبات التربية الوالدية، ما يعني أنه يجب على الوالدين في الوقت الحاضر أن يكونا على بينة من مخاطر المواد الإباحية الموجودة في الإنترنت، والمواعدة الغرامية، والحديث الجنسي الرخيص الفاحش. ومراقبة أولادهما مراقبة صحيحة، ووضع أجهزة الحاسوب في مكان عام من البيت، وليس في مكان معزول بغرفة نوم الولد، علماً بأن التقنية تمكن الشاب من التغلب على المحددات بأساليب متعددة.

ثانياً: آداب اللباس

يتعين على الفتيات والفتيان الحشمة في السلوك والمظهر، بتجنب الملابس المثيرة والمغرية، أو الملابس الضيقة والشفافة التي تظهر معالم الجسد ومفاتنه، وبتأكيد التزام كل من الفتيات والفتيان باللباس الذي يتوافق مع تكوين كل منهم، وهنا ندرك الحكمة في تحريم تشبه كل منهما بلباس الآخر، فقد قال النبي ﷺ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ» (أبو داود).

ومن باب مراعاة خصوصية الفتاة باعتبارها محل جذب بالنسبة للفتيان، هناك شروط نذكرها على العموم:

١. أن يكون مستوعباً لجميع بدنها إلا الوجه والكفين.

٢. أن لا يكون مزيناً بصورة تلفت النظر.

٣. أن لا يكون شفافاً (لا يشف).

٤. أن لا يكون ضيقاً (لا يصف).

٥. أن لا يكون معطراً أو مبخراً وما يقوم مقامها في التأثير من أنواع العطور على اختلاف مسمياتها.

٦. أن لا يشبه لباس الرجال المتعارف عليه في المجتمع.

٧. أن لا يشبه النساء غير المسلمات ممن لهن لباس خاص مرتبط بالعقيدة أو المناسبات الدينية الخاصة.

٨. ان لا يكون لباس شهرة يقصد به الاشتهار بين الناس.

يمكن القول أن ما يرتديه الفتيان والفتيات له أهمية كبيرة، ومن الأقوال المأثورة: «ما ترتديه يعكس ما بداخلك»، ويرتدي الناس عادةً الملابس المختلفة وفقاً للمناسبة: للعبادة الأسبوعية، أو المقابلات، أو المناسبات السنوية، أو الحفلات، أو الرياضة، وهم يقصدون من وراء ذلك الاندماج، أو الإقناع، أو زيادة فرصهم بالقبول ضمن مجموعة معينة، ولا يحبذ الآباء والأمهات عامة لأولادهم الملابس التي توحي بالتمرد، ولو ارتديت الملابس اللائقة بكل حالة فلا شك أنك ستترك انطباعاً، حيث إن الملابس والسلوك والموديلات التي لا تتجاوز الحدود، هي الخيارات المحتشمة للفتيات والشباب.

ويجمل بالوالدين إعطاء ابنتهما الصغيرة «خيارات» مقبولة ما أمكن ذلك، فسيأتي عصر قد يكون فيه لابنتهما التي لا تتجاوز السنتين أو الثلاث؛ آراء قوية حول ما ترتديه، وستقاوم الخيارات التي يقدمها والداها بخصوص لباسها، والحل الذي يتفق والعقل هو أن يقدّما لها خيارين إلى ثلاثة من الملابس لاختيارها؛ حتى تشعر أن لها رأياً في ما ترتدي وهذا يريحها ويفرحها.

في البداية قد لا يبهج الأولاد في المدارس ارتداء الملابس نفسها (الزي الموحد)، ولكنهم سرعان ما «ينسون» أمر ملابسهم، فلا يهتمون بها، وهذا بدوره من الحلول التي تجنب الوالدين المناقشات والقرارات المزعجة حول «ما يرتدون» كل صباح، ويتعين أن تدرك الفتيات حقيقة أن المظهر «المثير» قد يروق لهن ويبدو «جميلاً»، إلا أنه ينقل إشارات غير صائبة إلى الفتيان مما ينتج عنها عواقب سيئة.

ثالثاً: لا اختلاط بلا حدود، ولا خلوة مطلقاً

الخلوة هي لقاء خاص بين رجل وامرأة في مكان منعزل أو وراء باب مغلق لا يراهما فيه أحد مثل: غرفة في فندق أو مكان منعزل خارج المدينة، وهو فخ جنسي شيطاني، لذلك يجب منع الخلوة مهما كان الثمن. وقد قدم لنا النبي ﷺ تحذيراً مبكراً عندما قال: «...وَلَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا...» (ابن حبان).

كما يتعين تجنُّب الاختلاط المبالغ فيه بين الفتيان والفتيات، ولا بأس من لقاءات الأقارب بوجود مراقبة معقولة من الآباء والأمهات عن كثب، على أن يكون ذلك في حدود الآداب والحشمة، وفي أجواء منضبطة ومناسبة ومقيدة، تفرض أحياناً اجتماع الأقارب في المناسبات الخاصة أو زيارات المرضى وغيرها.

قد ينجذب الصبي لفتاة حين يراها بانتظام في مدرسة أوجامعة، أو مكتبة، أوسوق، فيقترب منها ويبدأ بالحديث معها محادثة بريئة لمعرفة ما إذا كانت مهتمة به، وبعد الحديث قد يتطور الأمر إلى موعد غرامي في مكان فيه خصوصية أكثر لهما، في حديقة أو في منزل، حيث لا أحد يراقبهم، ثم قد يتجرأ على لمسها أو تقبيلها، وإذا سمحت له فعل ذلك، فسيتمادى ليصل إلى أبعد من ذلك، وربما ينحدرون إلى ممارسة الجنس دون تخطيط مسبق منهما؛ الأمر الذي قد يؤدي إلى فجيعة.

المصيدة!

نظرةٌ، فابتسامةٌ، فسلامٌ، فكلامٌ، فموعدٌ، فلقاءُ، فلمسٌ، فإثارةٌ، فطريقٌ بلا عودة، فكبيرةُ الجنسِ، فالمشكلات والمصائب!

وقد تكون النتائج أمراضاً منقولةً جنسياً، أو حملاً، أو إجهاضاً، أو طفلاً غير شرعي (زنيم)

ولا يحسن أبداً أن نتساهل بالقاعدة أعلاه؛ لأن الخلوة طريق لحدوث المصائب، وتشكل دعوةً جامحة للشر، حتى للأشخاص الملتزمين دينياً؛ لأن البشر جميعهم من لحم ودمٍ وعواطف ومشاعر.

- **المواعدة الغرامية بين المراهقين**

يعد نظام المواعدة «بوابة الجنس» للمراهقين، وعادة ما يجلب الألم والمعاناة للأفراد المعنيين، ولأسرهم، ولمجتمعاتهم، ويعتقد بعض الطلبة في الجامعات أنه إذا دفع الفتى ثمن العشاء عن الفتاة ولم «تكمل المشوار معه إلى النهاية» فيكون لديه الحق حينئذ في إجبارها على الجنس معه، ما يجدر ذكره هنا أن العديد من المواعيد الغرامية تنتهي بالاغتصاب ولا يبلّغ عنها (Bohmer 1993؛ Norris et al ,1999). إن كل ما يسهم في إضعاف إرادة النفس تجاه الجنس، ويؤدي لفقدان السيطرة على الذات، مثل الخمور، والمخدرات، والموسيقى المثيرة، والملاعبة، والخلوة، والتقبيل - خارج إطار الزوجية- يجب تجنبها؛ لما لها من دور في تهيئة الفرد لممارسة الجنس، حيث قد تصل هذه الأمور إلى «نقطة اللاعودة».

المواعدة الغرامية والحرية الجنسية قبل الزواج تلحقان الضرر بالزواج بعدئذ، وإن افتراض كون الزوجين «جرب أحدهما الآخر» ليتعرفا على بعض بشكل أفضل؛ لا أساس له من الصحة والواقع، وأي مجتمع يأذن بمثل هذه السلوكيات يعاني من أسر قلقة ومن ارتفاع في معدلات الإجهاض والولادات غير الشرعية والطلاق.

رابعاً: ضغط الأصدقاء على الأولاد وضغوط أخرى

يضم ضغط الأصدقاء الأسباب وراء وقوعهم في ممارسة الجنس المحرم، أي تلك الدواعي من منظورهم ووفق رؤيتهم المحدودة تارة، والمغلوطة تارة أخرى، أو المختلطة ببعض التقاليد والأعراف الموروثة بعيداً عن المنهج الرباني وتوجيهاته، أما الضغوط الأخرى فتشمل: الإغراء الجنسي، والمسكرات والرقص المختلط، وهو ما سيتم تفصيله وفق الآتي:

- **ضغط الأصدقاء**: هناك أسباب كثيرة وراء وقوع الأولاد في ممارسة الجنس، وأكثرها شيوعاً ضغط الأصدقاء وتشجيعهم، ويسوغون فعلهم هذا لأنفسهم ولغيرهم بالفكرة المضللة التي تقول: الكل يفعله! وهناك أسباب أخرى تدفعهم إلى ممارسة الجنس قبل الزواج، وهي رغبتهم في أن يكونوا ذا أهلية ذكورية في نظر البالغين؛ الأمر الذي يعدونه من التقدم الاجتماعي، وربما يعانون من نقص في احترام الذات، ويرجون سد هذا النقص إذا أصبحوا آباء وأمهات. كما يعود سبب ممارستهم الجنس في بعض الأحيان إلى غياب الخيارات الأخرى التي تشغلهم عن ضغط طاقتهم الجنسية، كذلك انعدام الحب والتقدير في المنزل؛ الأمر الذي يدفعهم إلى البحث عن التعلق والحب الذي افتقدوه داخل المنزل في مكان آخر خارج المنزل، لذلك ينبغي على الآباء والأمهات إغراق أولادهم بالحب، وإشغال وقتهم في الأنشطة المفيدة، والتواصل المنفتح معهم لتحصينهم من الوقوع ضحية هذه الوسائل جميعاً.
- **ضغوط أخرى**: الإغراء الجنسي في كل مكان، فهو شائع ومنتشر في المقام الأول في أغلب المجلات وبين الأصدقاء وعلى شاشات التلفاز والهواتف الذكية، وازداد بكثرة كم المحتويات الجنسية المعروضة على شاشة التلفاز سواء عن طريق المسلسلات أو البرامج الرئيسة، أو حتى الإعلانات؛ فوفقاً لدراسة في عام ٢٠٠٥ تحتوي ٧٠٪ من برامج التلفاز في أمريكا على مضمون جنسي (بما فيها كلام غرامي وأفعال جنسية تبدأ من القبلة الحميمة إلى مزاولة الجنس كاملاً)، وذلك بزيادة من ٦٤٪ في ٢٠٠٢ و٥٦٪ في عام ١٩٩٨، فنسبة البرامج ذات المحتويات الجنسية في أوقات ذروة المشاهدة على المحطات الرئيسة ارتفعت؛ حيث أن ٧٧٪ تحتوي على مضمون جنسي في عام ٢٠٠٥ بالمقارنة بين ٦٧٪ في عام ١٩٩٨ و٧١٪ في عام ٢٠٠٢. ومن بين أعلى ٢٠ برنامج يشاهده المراهقون، فإن ٧٠٪ منهم يحتوي على مضمون

جنسي و٤٥٪ منهم يحتوي على ممارسات جنسية. (The Henry J. Kaiser Family Foundation, 2005).

وفي دراسة عام ٢٠١٠ في ٢٥ دولة أوروبية وجد أن ٢٣٪ من الأطفال ما بين عمر ٩-١٢ عام قد تعرضوا لمحتويات جنسية على الإنترنت وغيرها، وتعد شبكة الإنترنت هي الأعلى في عرض هذه المحتويات الجنسية مقارنة بالتلفاز ١٤ ٪ وأفلام والفيديو ١٢ ٪ (EU Kids Online, 2014)، كما يبث في الولايات المتحدة الأمريكية نحو (٢٠٠,٠٠٠) مشهد جنسي سنوياً في الإعلانات، والمسلسلات والبرامج الرئيسة.

- **المسكرات**: الكحول والمخدرات ضررها بالغ وأثرها شديد؛ لأنها تقلل من القدرة على ضبط النفس والتحكم بالعواطف، وهي تبدد الموانع الخلقية فتقود للانغماس في الجنس أو ارتكاب مخالفات أخرى.
- **تجنب الرقص المختلط**، وأخطره الرقص الذي ينطوي على اللمس والتلاصق بين البنين والبنات، بما في ذلك التقبيل والملاعبة والمعانقة والتدليك والفرك، لأن كل هذه الأفعال تثير سعار الجنس في الجسم، وبذلك تقرب من احتمالية الجماع.

هناك تعريف للرقص مع الجنس الآخر يقول:

الرقص هو تعبير عمودي لرغبتنا الأفقية!

ما العمل تجاه ضغط الأصدقاء والضغوط الأخرى؟

- يتعين على الآباء والأمهات تقديم النصح لأبنائهم بالحكمة وعدم الاكتفاء بتوفير المأوى والغذاء والملبس والاحتياجات المادية؛ لأن الإرشاد والتوجيه الروحي والأخلاقي هو الضمان الأفضل في مسارات الحياة المتشابكة الصعبة.
- يحسن بالوالدين تدريب أولادهما على «التفكير السليم» وإشغالهم «بغذاء الفكر» الأخلاقي والعقلي مع الأهداف والقيم السامية. ونعرض مثالاً على النصيحة من سيرة النبي ﷺ حين تحدث مع شاب يستأذنه بالزنا، لأنه لا يستطيع التحكم برغباته الجنسية، فخاطبه النبي ﷺ بلغة المنطق والقلب، فسأله إذا كان يقبل على أن يمارس رجل الجنس مع أمه، أو أخته، أو عمته، أو خالته، أو زوجته، فكان إجابته في كل مرة «لا»؛ لذلك أجاب النبي ﷺ أن المرأة التي يريد الشاب أن يزني بها هي بالتأكيد إما أن تكون أم شخص ما أو أخته أو ابنته أو عمته أو خالته أو زوجته. ففهم الرجل، وتاب، ودعا الرسول ﷺ الله له بالمغفرة وطهارة النفس.
- من المهم تقوية شعور الفرد بهويته، وأن يتجنَّب التقليد الأعمى للناس في كل شيء! ويستطيع الوالدان تنمية ذلك في أبنائهما بتربيتهم على نظام قيم متميز، فيه مرجعية رصينة، والنظرة الكونية الشمولية، والالتزام بقانون محدد في الحياة، وبهذه الطريقة يبقى حاضراً أمامهم ضرورة تجنب شرب الخمور، أو أكل لحم الخنزير، أو تعاطي المخدرات، أو ممارسة الجنس المحرم قبل الزواج.
- كذلك يتعين على الآباء والأمهات عدم الوقوع في علاقات خارج نطاق الزواج؛ كي يبقوا قدوة حسنة لأولادهم.

خامساً: الزواج المبكر

لا يوجد سن محدد للزواج، وهناك صيحات تنادي بتأخير الزواج بعد الحصول على شهادة جامعية، أو على فرصة عمل، أو بلوغ سن ٢٦، وبالمثل، تقول الفتيات إنهن يردن الزواج بعد بلوغ سن ال ٢٤، إذ يعلنّ: «أنا غير مستعدة للزواج بعد»، وعلى الشباب إدراك أن ليس لديهم سوى خيارين مشروعين: الزواج، أو عدم الزواج ؛ أما ممارسة أي علاقة جنسية قبل الزواج، فهو ليس بديلاً مقبولاً قط، يقول الله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ (النور: ٣٣).

الحل النبوي:

«... أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأُفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغبَ عن سنّتي فليس مني» (البخاري).

«مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ امْرَأَةً صَالِحَةً، فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي» (الحاكم).

«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» (البخاري).



عندما يظهر على الفتى أو الفتاة الحاجة الماسّة للزواج، وعدم استطاعة الانتظار والصبر، فيجب على الوالدين حينئذ بذل قصارى جهدهما لتحقيق ذلك وإذا لم يفعلوا ذلك، فإنهم يدفعون أولادهم دفعاً نحو الشر بطريقة أو بأخرى، وقد حدد النبي ﷺ بعض أهمّ واجبات الآباء والأمهات نحو أبنائهم، بقوله: «من حق الولد على ولده أن يعلمه الكتابة، وأن يحسن اسمه، وأن يزوجه إذا بلغ» (السيوطي، الجامع الصغير).

وإذا لم يُعِر الوالدان طلب ولدهما انتباهاً، وفشلا في ترتيب الزواج، فمسؤولية الذنب الذي يرتكبه تقع عليهما أيضاً، إن ما سبق من مسؤولية الوالدين في إعانة أولادهما على الزواج لا يعني بحال من الأحوال قسرهما على الزواج. سيما عندما يقرران أن أولادهما يتعين أن يتزوجوا من أقاربهم، فيسلبان أولادهم حرية الاختيار، ويحرمونهم حقهم في رؤية زوجهم المستقبلي ومعرفته قبل الزواج. ومن جهة أخرى، يجمل بالوالدين التأكد من موافقة كل من الفتى والفتاة على الزواج من شريكه؛ إذ القناعة عامل مهم لإيجاد علاقة ناجحة ودائمة بين الزوجين والعائلتين، والمطلوب من الوالدين تقصي الأهداف السامية في تربيتهم للزواج وليس لتحقيق دوافع أنانية ذاتية لهم.

يؤدي المجتمع أدواراً عدة في تيسير الزواج، ومن ذلك:

- توفير بيئة صحية للفتيان والفتيات للالتقاء والتعارف، ومنع الخلوة والاختلاط الحر بين الجنسين دون رقابة وإشراف.
- تقديم دورات تعليمية وإرشادية واستشارية للفتيان والفتيات قبل الزواج؛ من أجل إعدادهم ليكونوا أزواجاً وآباء وأمهات ناجحين، مثل نموذج ماليزيا في رخصة قيادة الزواج التي جعلتها دورة إلزامية لكلا الخاطبين كشرط لإتمام العقد منذ زمن (مهاتير محمد).
- الابتعاد عن التعمق والإسراف والمغالاة في قضايا المهور ومصاريف الزواج والاحتفالات الباهظة الثمن، كما ورد في الحديث: «أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ صَدَاقًا -أي المهر-» (الحاكم).

معضلة النظام التعليمي مقابل الزواج المبكر

ولّد نظامنا الدراسي الحالي مشكلة جنسية معقدة، فأصبح الحصول على شهادة جامعية أو درجة علمية متقدمة يستدعي تأخير الزواج حتى منتصف العشرينيات، في حين أن ذروة الرغبة الجنسية للرجال هي في أواخر سن المراهقة، كذلك يكون لدى الفتيات أثناء المرحلة الأخيرة من المراهقة شعور قوي من التبعية العاطفية التي تجعلهن عرضة للضعف أمام الإغراء.

و قد لا يكون أمامنا إلّا خياران: الزواج المبكر أثناء سنوات الدراسة، أو الامتناع عن الجنس حتى التخرج من الجامعة، وقد يكون الزواج المبكر حلاً مُرضياً إذا كان المجتمع يعدّ المراهقين يهيّئهم للعناية بالزوج وبالأولاد بما يكفي من مسؤولية. ومن الصعوبة بمكان في المجتمعات الحديثة الطلب من المراهقين التحلي بالصبر والبقاء على عذريتهم حتى بلوغهم منتصف العشرينيات في وسط مستنقع من الإغراءات والإثارة الجنسية اليومية المستمرة، ويزخر التاريخ بدروس مفيدة ومهمة في هذا الموضوع، إذ لم تكن هذه المشكلة في الماضي موجودة لأن الزواج المبكر كان هو التقليد المتعارف عليه، وكانت

الشبكة الاجتماعية تدعمه وتؤيده، وطبق في زمن الرسول ﷺ، وبعده لقرون عدة، نظام اجتماعي متكامل يقوم على مايأتي:

أ. تشجيع الزواج المبكر

ب. توفير العائلة الممتدة للمساعدة المطلوبة في رعاية الأولاد والأحفاد، وكان من الشائع أن تجد ثلاثة أجيال من العائلة يعيشون معاً في مسكن واحد، وعلاقاتهم وثيقة بينهم، وكانت العائلة النووية هي الاستثناء، كما كانت الأسر أقل تنقلاً بكثير مما هو عليه حال الأسر اليوم.

ج. يسمح الإسلام بوسائل معينة لتحديد النسل والتخطيط السكاني لمساعدة الأمهات الشابات الصغار جداً لتأخير الحمل؛ حتى يصبحن جاهزات لهذه المسؤولية، ويتوقف ذلك على تعاون الزوجين وثقافتهما، وقد كان الصحابة الكرام يعزلون كوسيلة متاحة في ذلك الزمن لتنظيم النسل، فقد ورد أن جابر بن عبد الله ﷺ قَالَ: «كُنَّا نَعْزِلُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَالقُرْآنُ يَنْزِلُ» (البخاري). أما في الوقت الحاضر فيمكن للأمهات العاملات خارج المنزل أو الحاصلات على شهادة جامعية، أن يتفرغن في البداية لتربية الأطفال بدوام كامل، وفي الوقت نفسه يمكن أن يشغلن عملاً بدوام جزئي حتى يبلغن منتصف الثلاثينات، وبعد ذلك يمكنهن العمل بدوام كامل أو بدوام جزئي بعد بلوغ أولادهن، سواء كن يعملن متطوعات أو مقابل أجر، وحينها لن يكون هناك ضرر على الأولاد، وكذلك لن يحرم المجتمع من الأمهات المختصات اللاتي يملكن ثروة من الخبرة والحكمة.

د. ولا يصح النظر إلى الأولاد ما بين (١٣-١٩ سنة) على أنهم غير أكفاء، والتعامل معهم على أنهم مستهلكون فحسب، وأنهم لا يملكون أدنى درجات المسؤولية والإنتاجية، ويبدو أن الاتجاه المعاصر يميل إلى تمديد مرحلة الطفولة إلى أوائل العشرينيات، وأن تعتمد هذه الشريحة من الشباب اعتماداً كلياً على الآخرين بدلاً من أن يكونوا مسؤولين ومستقلين ومنتجين.

كما يحدثنا القرآن الكريم عن أنبياء صغار، مثل إبراهيم ويوسف وموسى وعيسى (عليهم السلام أجمعين)، وغيرهم ممن كانوا قدوة لنا، وأنجزوا مهاماً كبيرة أثناء سنوات شبابهم، هناك أيضاً قصة أصحاب الكهف، الذين كانوا فتية آمنوا بربهم وساروا على الصراط المستقيم، ويسر الله لهم تحقيق إنجازات مهمة.

إن النموذج الحالي لتأخير الزواج حتى منتصف العشرينيات ليس نموذجاً مرضياً، وقد مورست أنظمة أخرى من الزواج المبكر في أنحاء العالم في الماضي، فالحمل والولادة من الناحية الطبية أسهل في سن مبكرة، ولن يكونا أفضل في أواخر العشرينيات أو أوائل الثلاثينيات من العمر، حيث يصبح الحمل الأول أشد صعوبة مع التقدم في السن، فالقضية تنذر بالخطر، وعاجلة، وذات أبعاد متعددة، ويتعين علينا التعامل بفعالية مع معضلة المعاناة الضاغطة في ضبط النفس جنسياً، وضرورة الزواج المبكر، والحاجة إلى تأسيس عائلة في سنوات المراهقة التي يخطط لها سواءً مع أطفال أو دونهم.

كان من بين صحابة رسول الله ﷺ العديد من القادة ممن في سن المراهقة: شارك أسامة بن زيد في غزوة الأحزاب وعمره ١٥ سنة، وقاد الجيش وعمره ١٨ سنة، حيث كان تحت إمرته في الجيش العديد من كبار الصحابة. كما شارك في غزوة أحد العديد من الشباب وعمرهم ١٥ سنة مثل سمرة بن جندب، ورافع بن خديج، وشارك في غزوة الأحزاب كل من عبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، والبراء بن عازب، وعمرو بن حازم وأسيد بن ظاهر وكلهم في سن ١٥ عاماً، وقاد قتيبة بن مسلم الباهلي جيش المسلمين لغزو الصين في سن الـ ١٨، وهناك أمثلة كثيرة مشابهة للصحابيات من الشابّات أيضاً. ومن بعد الصحابة مثال محمد الفاتح الذي اعتلى حكم إحدى ولايات العرش، وهي ولاية (اماسيا) في عهد أبيه السلطان مراد وعمره آنذاك (١١) عاماً، ما يعني أنه ربي على المسؤولية وتعاليم الوحي حتى بلغ به أن يكون هو ما ينطبق عليه حديث النبي ﷺ في فتح القسطنطينية بقوله: «لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، وَلَنِعْمَ الأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ» (الحاكم)

سادساً: حماية الأولاد من الاعتداء الجنسي

يضم هذا البند نصائح لحماية الأولاد من الاعتداء الجنسي، وكذلك ضرورة التنبيه على موضوع الدعارة بالطريقة والوقت المناسبين، وأخيراً الحلول الممكنة إذا وقع الأولاد في اغتصاب المحارم، وفق التفصيل الآتي:

نصائح عامة لحماية الأولاد من الاعتداء الجنسي

من الطبيعي للأطفال أن يثقوا بالبالغين، ويربى الأطفال المسلمون خاصةً على احترام وطاعة الكبار، ويتهيبون من عصيانهم، كما يخشون الأولاد البالغين القساة، لكن إذا كان الأطفال يعرفون ما يجب القيام به؛ فيُمكنهم حماية أنفسهم من الإساءة والاعتداء، ونورد أدناه نصائح للأطفال تحميهم من عدوان البالغين السيئين. ويضطلع بإسداء هذه النصائح الوالدن بالدرجة الأولى بإعتبارها من مسؤوليات التربية الوالدية، يليهما باقي مؤسسات المجتمع سيما التعليمية منها:

- إذا كان هناك شخص غريب يتصرف تصرفات غير عادية، أو يحاول التقرب منك، أو يحدق بك، أو يقطع طريقك، أو يتبعك، فاهرب وابحث عمّن يساعدك أو ينجدك، وإذا تأكدت أنه يلاحقك، فاصرخ وقتها «حريق! حريق!» «الحقوني الحقوني» لأن الناس عادة يسارعون على الفور للمساعدة؛ الأمر الذي يربك المعتدي.



- لا تركب سيارة أو تذهب إلى أي مكان مع شخص غريب، حتى لو بدا ودوداً يعلم الكثير عنك ويعرف اسم والديك أو مدرستك أو عنوانك، ولا تخف من أن تقول «لا» بصوتٍ عالٍ.
- تجنب الأماكن المهجورة والأحياء غير الآمنة، وإذا اضطررت للدخول إلى هذه الأماكن فلا تمش وحدك فيها، خاصة في المدن الكبيرة، ومن الأفضل للبنات عند الذهاب مشياً إلى المدرسة أن يذهبن في مجموعات، أو برفقة شخص بالغ.
- احفظ غيباً رقم طوارئ الشرطة، وتعلم كيف تتصل بهم، حتى في الظلام، كذلك احمل دائماً هاتفاً جوالاً، أو بطاقة هاتف، للاتصال السريع بوالديك أو بالشرطة عند اللزوم.
- إذا اضطررت إلى الانتظار داخل السيارة أو في المنزل وحدك، فاحرص على غلق الأبواب والنوافذ، وإذا جاء شخص غريب إلى منزلك أو اتصل بالهاتف وأنت وحدك، فلا تذكر له أنك وحدك، ولا تعطه عنوانك أو أي معلومات أخرى على الهاتف، وإذا طلب الكلام مع والديك فأخبره أنهما مشغولان أو نائمان أو أنهما طلبا عدم إزعاجهما، وتظاهر بأنك تتحدث مع شخص آخر موجود معك في الغرفة.

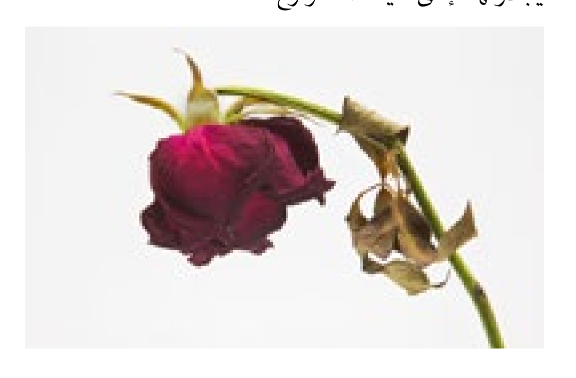
- إذا شعرت بعدم الارتياح تجاه نظرات شخص إليك، أو لطريقة كلامه معك، فأخبر بذلك شخصاً بالغاً ممن تثق بهم.
- تعلم بعض فنون الدفاع عن النفس وطرائقه، وكن على ثقة أنك لا تحتاج إلى أن تكون قوياً جداً كي تحمي نفسك، ولكن يحتاج الأمر بسهولة إلى التفكير بذكاء والتصرف بسرعة، وهناك دروس في الدفاع عن النفس يكون التركيز فيها على وسائل حماية النفس، وليس على القتال العدواني.
- كن حذراً من التعري، ويجب على الأطفال ألا يتعروا أمام الآخرين أبداً؛ حتى لو أمام بعضهم البعض ممن يقاربونهم في السن. ويمنع القانون في معظم البلدان تعري الأطفال.
- إذا كنت خائفاً من شخص ما، اقرأ السور القرآنية التي تحصنك وتحميك (الفاتحة، وآية الكرسي، والفلق، والناس، وأي آي تحفظه من القرآن الكريم)، وحافظ على تكرارها إذا لزم الأمر، وادع الله أن يعينك وينجيك، فالله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين.

تعليم الأبناء أذكار الصباح والمساء، وأدعية الخروج من المنزل والعودة إليه، وتدريبهم على استيداع أنفسهم أمانة عند الله تعالى حتى يرجعوا بالسلامة.

نبهوا أولادكم حول الدعارة في السن المناسب

لا يعلم الأولاد بواقع حياة المومسات والعاهرات، وهو مسمى «المرأة المستضعفة غير الفاضلة» عند المفكر الراحل (ماجد الكيلاني، ٢٠٠٥)، وهو مسمى أطلقه على كل من تتاجر بشرفها وتنحدر بذلك أخلاقها لدرجة البهيمية، والتي تفقد بها- مع مرور الزمن- لذة المتعة التي تسعى إليها، فمن المهم أن يشرح الوالدان لأطفالهما التفاصيل المروعة لحياة المومس، فهي تجبر على ممارسة الجنس وبطريقة مؤلمة، ومع ما قد يصل إلى عشرين رجلاً كل يوم، وفي كثير من الأحيان تصاب نتيجة لذلك بالعدوى بالأمراض الجنسية الخطيرة مثل: الإيدز وغيرها، وتموت في سن مبكرة.

يختار عدد قليل جداً من الفتيات أن يكن مومسات، وعادة ما يرغمن على البغاء من رجال أشرار، فقد يضطررن إلى مغادرة منازلهن بسبب تعرضهن للضرب المتكرر داخل البيت أو بسبب الاعتداء الجنسي عليهن، أو يكن متعاطيات للمخدرات وفي حاجة ماسة إلى المال للإنفاق على هذه العادة، وبعضهن يخطفن عند السفر بمفردهن، ويبقين حبيسات الغرف في البلدان الأجنبية، حيث يجهلن لغة ذلك البلد ولا يعرفن كيفية طلب المساعدة، وقد لا يرين أسرهن مرة أخرى، وتخدر أخريات أثناء مقابلة لوظيفة محترمة – في ما يبدو- مثل: خادمة أو مربية، ثم ينزع منهنّ جواز سفرهن ومما يحملن، ويهرّبن إلى بلاد أخرى وقد يؤول بهن الأمر إلى أن يحبسن بالقوة في غرف مقفلة «هناك ما لا يقل عن ٤٠٠٠ من المومسات في بريطانيا قد تمّ الاتّجار بهنّ، وتقول جماعات مكافحة الاتجار بالبشر: إن العدد الحقيقي يفوق ذلك بكثير» (Morris, 2008) وتهرب بعض الفتيات من منزلهن أحياناً بسبب أجواء الاكتئاب التي تكتنف أجواء البيت، لذلك يقمن بهذه التصرفات طمعاً في الحصول على الراحة خارج منازلهن، حيث يلتف عليهن القوادون (الرجال المسيطرون على المومسات ويتاجرون بهن) ويجبروهن على ممارسة الدعارة، ويذهب جزء يسير من المال الذي يدفعه (العملاء الزناة) إلى الفتيات والباقي يذهب أكثره إلى القوادين، فيتعين على الآباء والأمهات الانتباه الشديد إلى أنهم حين يحولون حياة أطفالهم في البيت إلى حياة بائسة بتصرفاتهم؛ فهم عملياً يدفعونهم إلى الهروب من الظروف المؤلمة التي يجدونها إلى حياة الشوارع.



فأي طفل يعاني من مشكلات خطيرة في المنزل ولا يحسن معرفة ما يتعين عليه القيام به، وكيف يتصرف تجاه وضع كهذا، لابدّ أن ينشد المساعدة من البالغين الثقات (قريب أو إمام مسجد أو معلم أو مستشار أو ضابط شرطة)، حيث إن الهرب من البيت أو اللجوء للمخدرات للتخلص من المشكلات التي تواجه الفرد ستزيد الأمور تعقيداً ولا تحلها.

لا تعرف الفتيات الصغار أي معلومات عن الدعارة، حيث إنهن يكونَّ صوراً ذهنية خاطئة في الخيال عنها. وقد يتخيلن أن حياتهن ستكون رائعة بالمتع الجنسية، أو أنها مهنة مربحة، وسوف يحصلن على مستحضرات التجميل التي يحلمن بها، ويرتدين الملابس الغالية الجذابة، التي تجعل الكثير من الرجال يلاحقونهن، وتفوح منهن دائماً رائحة العطر الطيبة، ويعشن في فنادق خمسة نجوم، كل هذه الأوهام يمكن أن تستحوذ على عقولهن، إلا إذا بيّن لهن الوالدان الحقائق في وقت مبكر. -ويا للأسف- فإن وسائل الإعلام تروج الحياة «الرائعة» للبغايا؛ إذ تصورهن يعشن حياة الأثرياء الرغيدة.

عندما يكون طفلك ضحية لزنا المحارم أو الاغتصاب

من الشاق على النفس للغاية أن يكتشف الوالدان أن أحد الأقرباء استغل فرداً صغيراً من العائلة بالاعتداء الجنسي عليه أو عليها، ويكون من الصعب أحياناً إثبات الجريمة أو الاعتراف والتصديق بها، وفي هذه الحالة من الأفضل أن يذهب المعتدى عليه إلى المُرشِد أو المعلم أو المستشار أو الشرطة، وإذا ثبت ارتكاب جريمة، فيتعين إبلاغ الشرطة؛ لأن الأمان حق لكل فرد، وليس لأحد أن يُجبر على الاتصال الجنسي المحرّم شرعاً وقانوناً.

أصبح الاغتصاب أكثر شيوعاً اليوم سواءً في المجتمعات الليبرالية المفتوحة أو غيرها؛ جراء التراجع القيمي في ضبط العلاقة بين الرجل والمرأة، فقد وجدت دراسة قومية أمريكية أن تقريباً واحدة من بين كل خمسة نساء أي ١٨,١٪ ورجل من بين كل ٧١ رجلاً أي ١,٤٪ تعرض للاغتصاب في فترة ما في حياتهم، وأظهرت الدراسة أيضاً أن ١٣٪ من النساء و٦٪ من الرجال تعرضوا للإكراه الجنسي في حياتهم و ٤,٨٪ من الرجال تم إجبارهم على جماع أشخاص آخرين (CDC,2012).

في دولة إنجلترا ودولة ويلز عام ٢٠١٥ ارتفعت حالات الاعتداء الجنسي التي سجلتها الشرطة بنسبة ٣٧٪ حيث سجلت ٢٩,٢٦٥ حالة اغتصاب و ٥٨,٩٥٤ حالات اعتداء جنسي أخرى (United Kingdom Office for National Statistics, 2015).

وفقاً لمنشور إحصائي صدر عن وزارة العدل ووزارة الداخلية ومركز الإحصاء القومي في المملكة المتحدة في ٢٠١٣ أن حوالي ٨٥,٠٠٠ امرأة و ١٢,٠٠٠ رجلاً تم اغتصابهم سنوياً في إنجلترا وويلز فقط، وهناك الكثير من حالات الاغتصاب والاعتداء الجنسي لم يتم تسجيلها ولم يُبلغ عنها.

وفي المملكة المتحدة في عامي (٢٠١٠-٢٠١٢) وجد The National Survey of Sexual Attitudes and sexual assault أن امرأة من بين كل ١٠ من نساء، ورجل من بين كل ٧٠ رجلاً تعرض للإكراه الجنسي، وأكثر من نصفهم لم يخبروا أحداً بالحادث. (Wellcome Trust, 2013). ومن الجدير بالذكر أن من بين ضحايا الاغتصاب أطفال من الجنسين وبعضهم صغار جداً في العمر،

كما تتعرض المسنات للاغتصاب أيضاً من متسللين يقتحمون منازلهن.

ويساق على الحالات المذكورة سابقاً بعض الأمثلة، منها: قبضت الشرطة في لندن على رجل لقيامه بأكثر من ١٠٠ واقعة اعتداء على أفراد مسنين ما بين (٦٨-٩٣ سنة)، وأُطلق عليه لقب «مطارد الليل» وكان معظم الضحايا من النساء والعديد من هجماته تضمنت اعتداءات جنسية واغتصاب. (BBC News ,2009).

عندما تتعرض الفتاة للاغتصاب تصاب بالشعور بالحرج والعجز والاضطراب، وقد تشعر بالذنب اعتقاداً منها أنها أساءت التصرف بطريقة ما بحيث

دفعت المعتدي لارتكاب جريمته، وهو اعتقاد غير صحيح، أو ربما تشعر أيضاً بالخجل الشديد والرعب من أن تخبر أحداً بأمرها.

ولا تنصح الفتاة بالصراخ أثناء محاولة الاغتصاب لأنه يتسبب بهلع المهاجم، مما قد يدفعه إلى خنق ضحيته لإسكاتها؛ فقد وجد العديد من النساء والأطفال مقتولين خنقاً، ومع أن الصراخ قد يجذب السامعين إلا أنه من غير المرجح أن يستدعي من يقدم يد العون، إضافة إلى ذلك، فإن من الأفضل حمل جهاز إنذار شخصي يشغّل، وربما يرمى به، أو يرمى ببعض الأشياء الشخصيّة الأخرى من أقرب نافذة، حيث إن التخريب ورمي الأشياء وتحطيمها كفيل بجعل سكان المبنى يتصلون بالشرطة، وإذا كان بالإمكان انتزاع شيء مهما كان صغيراً -حتى لو كان زراً أو قليلاً من الشعر- من المهاجم لمساعدة الشرطة في التعرف على هويته.

ويتعين على المراهقين أن يعوا تماماً خطورة المواعيد الغرامية؛ لأنها فرصة يسيرة لحدوث الاغتصاب بعد تعاطي المخدرات، والتي يمكن أن تسكب في المشروبات الكحولية وغير الكحولية، ويتعين توفير المشورة لضحايا الاعتداءات لمساعدة الضحية في التكيف نفسياً مع الصدمة واليأس والغضب والخوف الواقع.

سابعاً: منهج دراسي مقترح في التربية الجنسية في الإسلام

ينبغي أن يكون هناك تعليم وتربية إسلامية للجنس في المنزل والشروع به من سن مبكرة، وترسيخ الإيمان بالله الخالق قبل تعليم التشريح وعلم الوظائف الحيوية؛ لأنه من دون الإيمان بالله تعالى وخشيته قد يعتقد أن أنواعاً معينة من السلوك جائزة لإشباع الشهوة والرغبة، ويجمل بالأب تعليم ابنه، والأم تعليم ابنتها، وفي حال لم يتيسر ذلك للأب فأفضل خيار بعده هو معلم للبنين ومعلمة للبنات (يفضل طبيب/ طبيبة أو ممرض/ ممرضة). كما يلزم أن يصمم المنهاج الدراسي وفقاً لعمر الطفل، وأن يدرس الفتيان والفتيات منفصلين، وتكون الإجابة عن الأسئلة ذات صلة فقط بموضوع التعلم، على سبيل المثال، إذا سأل صبي عمره ست سنوات: «كيف دخلت بطن أمي؟» فلا حاجة لوصف الفعل كله بالتفصيل.

يتضمن المنهاج الدراسي للتربية الجنسية في الإسلام (أطهر، ١٩٩٠) الآتي:

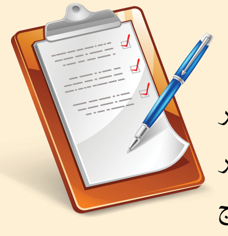
- **التربية الجنسية في الإسلام**
- **النمو الجنسي: ابتداءً من عمر الخمس سنوات**
  - جدول زمني لمرحلة البلوغ
  - التغييرات الجسدية أثناء مرحلة البلوغ
  - الجوانب العقلية والعاطفية والاجتماعية لمرحلة البلوغ
- **علم الوظائف الحيوية للجهاز التناسلي: البكراء من عمر العشر سنوات**
  - للبنات: الأعضاء، والطمث، ومتلازمة ما قبل الحيض
  - للبنين: الأعضاء، والدافع الجنسي، المني
- **الحمل، وتطور الجنين، والولادة: ابتداءً من عمر الـ ١٥ سنة**
- **الأمراض التي تنتقل بالاتصال الجنسي**
- **الأخلاق الاجتماعية والدينية**
- **كيفية مقاومة ضغط الأقران والأصدقاء**

يتعين أن يتعلم الأطفال معلومات عن الجنس وفقاً لسنهم ومتطلبات هذه المرحلة العمرية، وإلا سيتلقون معلومات من الأصدقاء ووسائل الإعلام غير صحيحة، ويحسن القيام بذلك بطريقة غير مباشرة، فالتفسيرات الجنسية الصريحة، وإزالة الحواجز جميعها بين الآباء والأبناء قد يؤدي إلى نتيجة غير محمودة، فعلّم أولادك الفروق البدنية بين الجنسين، والآداب، والمحظورات، للوصول إلى حياة صحية ملتزمة بأوامر الإسلام، ويجمل أن توضح الأدوار المختلفة والأهداف لكل من الرجال والنساء بطريقة جلية لا لبس فيها وفقاً لمراحل تطور الطفل.

ويأتي دور التربية الوالدية بصفة خاصة حيث يؤكد الوالدان على الأخطار التي يمكن أن يجلبها صديق السوء، ويتعين أن يظهرا نفورهما من السلوك غير اللائق، وأن يُبَيّنا لهم كيف يستطيعون كشف السلوك الخطأ والتعرف عليه وتجنبه، كذلك توجيههم توجيهاً عملياً إلى الصحة الجنسية. ومن واجب الوالدين أيضاً مساعدة أبنائهما بكيفية اختيارهم لأصدقاء الخير، وعدم ترك أولادهما المراهقين في جهل بخصوص السلوك الجنسي السليم، كما أنه يجب أن يمنعا أولادهما من البقاء خارج المنزل إلى وقت متأخر من الليل، وحظر نومهم خارج المنزل مع وجود مراهقين آخرين من الجنس الآخر، إلا عند وجود بالغين مأمونين ويوثق بهم في الإشراف الدقيق على ذلك.



الأنشطة



النشاط ٤٣: إثراء عقول أولادك!

اعتاد بنيامين فرانكلين دعوة أحد الضيوف لتناول العشاء مع عائلته والدخول في حوار فكري معه بحيث يسمع أولاده المحادثة ويستفيدون منها، دون إدراكهم أنهم كانوا هم الجمهور المقصود حقيقةً (Franklin,1909). بمقدور الوالدين دعوة ضيوف من معارفهما أو من خارج والطلب منهم طرق الموضوعات التي تهم الأولاد في موضوع الحديث.

النشاط ٤٤: نظام لمخطط عمل جيد للأولاد

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ (هود: ١١٤).

قال النبي ﷺ: «اتّقِ اللّه حيثما كنت، وأتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُهَا، وخالِقِ الناسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» (الترمذي).

يعلق الوالدان جدولاً على الثلاجة فيه اسم كل ولد، وأمامه ثلاثة أعمدة:

«رصيد إضافي»، و «حسن»، و«سيء»، وعندما يفعل الولد ما يطلب منه، توضح علامة الصح √ تحت عمود «حسن» مقابل اسمه، وإذا ارتكب خطأ، توضع علامة X تحت عمود «سيء»، وإذا فعل الخير دون الطلب منه، يمنح علامتين من الصح √ √ تحت عمود «رصيد إضافي». ويعطى الرصيد الإضافي حتى لو كان فعل الخير في أماكن دون وجود الوالدين (كالمدرسة أو عند الأقارب أو منازل الأصدقاء)، ويطلب الوالدان من أولادهما أن يخبروهما بالعمل الجيد الذي يقومون به وأن يصدّقا ما يقولون.

وتحسب النقاط في نهاية كل أسبوع، ويكافأ كل ولد وفقاً للنتائج، وإذا ما فاق عدد √ عدد X، يعطى الولد جائزة (غير باهظة الثمن)، وإذا زاد عدد X على عدد √ فلا يعطى أي مكافأة، وإذا لم يحصل الولد على أي جائزة، فيشجع على القيام بعمل أفضل في المرة القادمة، وقد يستغرق الأمر أكثر من أسبوع لكسب الجائزة، ومن المهم وضع علامة تحت عمود «حسن» مهما كان العمل الصالح صغيراً، وذلك لتحفيزهم وتربيتهم على أنه مهما كان الفعل صغيراً، فإنه سيسهم في إحداث التغيير الإيجابي.

ومع أنه لا يتعين تربية الأولاد على فعل الخير لاكتساب جائزة، إلا أن هذه الطريقة تساعد في غرس الأخلاق والنوايا الحسنة في نفوس الأولاد منذ الصغر، كما تجعلهم يقدرون الأشياء الملموسة مثل: الهدايا الصغيرة وعبارات التقدير أكثر من المفاهيم المجردة. ومن الجدير ذكره أن يبين الوالدان لأولادهما أن السلوك إما أن يكون «حسناً» أو «سيئاً»، وأن الأولاد أنفسهم لا يوصفون بأنهم حسنون أو سيئون، بل هو سلوكهم الذي يوصف بذلك فقط، وأن الوالدين يحبونهم كما هم بصرف النظر عن إنجازاتهم، وإن كانت تلك المحبة تزداد عندما يرون سلوك أولادهم الحسن.

وسن:

	رصيد إضافي	حسن	سيء
السبت	ساعدت أختها في لبس حذائها √ √	ساعدت والدتها في التنظيف √	
الأحد		أدت صلواتها √	لم تنظف أسنانها X
الإثنين			ضربت أخاها الصغير X
الثلاثاء		ساعدت المعلمة في حمل الوسائل التعليمية √	
الأربعاء	درجات عالية في المدرسة √ √		
الخميس			
الجمعة		حفظت شيئاً من القرآن √	
المجموع	√ ٨		٢ X
الرصيد	√ ٦ (تستحق مكافأة)		

خالد:

	رصيد إضافي	حسن	سيء
السبت	ساعد أخاه في حمل حقيبته √ √	رتب سريره √	
الأحد			صوت عال X
الإثنين		نظف أسنانه √	ألقى القمامة على الأرض X
الثلاثاء			
الأربعاء	درجات عالية في المدرسة √ √	أكل كل ما في طبقه √	
الخميس			ضرب أخاه X
الجمعة		حَفظ شيئاً من القرآن √	
المجموع	√ ٥		١ X
الرصيد	√ ٤ (يستحق مكافأة)		



الفصل الثالث عشر

هل تختلف تربية البنين عن تربية البنات؟



مقدمة

تعد مناقشة الاختلافات بين الرجال والنساء أمراً مهماً، فهي تعيننا على فهم أدوارهما المتكاملة واحتياجاتهما المختلفة، كذلك تؤثر تأثيراً مباشراً في العلاقة بين الأزواج والزوجات، وفي العلاقة بين الآباء والأمهات وأبنائهم وبناتهم أيضاً، حيث تبنى العلاقات السليمة على الفهم المتبادل لأوجه التشابه والاختلاف بين الجنسين، وتؤثر فكرة الآباء والأمهات عن الاختلافات القائمة بين البنين والبنات على مستقبل علاقتهم بأطفالهم، إذ تصبح المفاهيم والأفكار كلمات، وتصبح الكلمات أفعالاً، وتصبح الأفعال عادات، وتشكل العادات السلوك.

لا تدور المناقشة حول هذا الموضوع عن أيهما أفضل أو أهم من الآخر: الذكور أم الإناث؛ لأن القرآن الكريم والنبيﷺ حسما هذه المسألة بوضوح. يقول الله عز وجل:

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ (آل عمران:١٩٥).

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ﴾ (النساء:٣٢).

وقال النبي ﷺ: «إنما النساءُ شقائقُ الرجال» (أحمد).

يُعَامِلُ الإسلام الرجل والمرأة بالمساواة والعدل، فكلاً منهما يقوم بدور مختلف، ولكنه في الوقت نفسه مكمل لدور الآخر وليس متناقضاً أو منافساً لهذا الدور قط، فأفضلية الإنسان غير مرتبطة بجنسه، إنما بعمله وتقواه.

فروقات طبيعية معينة

من حكمة الله عز وجل أنه خلق الرجل والمرأة متكاملين لا متماثلين؛ إذ التشابه والتطابق المطلق محال حتى بين الجنس الواحد، فالاختلاف والتنوع من حكمته الجمال، وتكامل الوظائف وتمايزها لا تفاضلها؛ إذ ميزان التفاضل التقوى، وليس الجنس، فالرجل فاضل في ميزاته مفضول في ميزات المرأة، والمرأة كذلك فاضلة في ميزاتها مفضولة في ميزات الرجل؛ ما يجعل ذلك الاختلاف مجالاً للانجذاب بينهما، إذ الإنسان ينجذب إلى ما يفتقده لا إلى ما هو موجود فيه.

وفي ضوء ما سبق، تتضمن الفروقات الطبيعية -التي سنطرحها- بين الرجل والمرأة: المنطق مقابل العاطفة، والميول بين الذكور والإناث، والارتباط العاطفي، والحواس، والمنزلة عند التنافس والفروقات الجنسية، وهو ما سيتم تفصيله بما يأتي:

المنطق مقابل العاطفة

يشير سمولي (Smalley, 1995) إلى بعض الفروقات القائمة بين الذكور والإناث:

- لدى الإناث (XX كروموسوم) نظام مناعة أقوى من الرجال (XY كروموسوم).
- عدد خلايا الدم الحمراء عند الذكور أكثر منه عند الإناث، وهو الذي جعل من الذكور يملكون طاقة أكبر تتدفق في أجسامهم.

- لدى الذكور عضلات أكثر من الإناث، كذلك جمجمتهم أسمك، وجلدهم أثخن من الإناث.
- يتبع نحو ٨٠٪ من الرجال والنساء نمطاً واحداً يسيرون عليه في استخدامهم لجهتي الدماغ، إذ تستخدم الإناث الجهتين كلتيهما، ويفضلن بصورة عامةً استخدام الجانب الأيمن من الدماغ، الذي يعتقد أنه مكان المشاعر، والعواطف، والفن، والشعر، والحب، والموسيقى، والقدرة اللفظية، مع قدرتهن أيضاً على استخدام الجانب الأيسر من دماغهن.
- يفضل الذكور عامة استخدام الجانب الأيسر من الدماغ، وهو الذي يعتقد أنه مكان المنطق، والقدرة على تصور الأماكن، والانتصار والغلبة، وإلقاء المحاضرات، والمحاسبة، والهندسة.
- وبصورةٍ عامة، يستطيع كل من الذكور والإناث استخدام كلا الجانبين من الدماغ إذا دربوا أنفسهم على ذلك. ويشير غراي (Gray, 2003) إلى أن الرجال يحبذون اتخاذ القرارات، والغلبة، وتقديم الحلول، والانتعاش بالإنجازات، في حين تحبذ النساء التعبير عن مشاعرهن، ومناقشة مشكلاتهن، وينظرن بتقدير وامتنان إلى أولئك الذين يستمعون إليهن، لذلك هن في حاجة إلى أن يكن محبوبات ومحميات.
- الإناث عامة أشد انتباهاً وتيقظاً من الذكور، لأن سمعهن وشعورهن حساسان بدرجة أكبر مما هي عند الذكور، كما تعدّ الإناث أقل عدوانية من الذكور، كذلك يكون تعليم الذكور أشق في مرحلة الطفولة من الإناث.

الارتباط العاطفي

- تشير الدراسات إلى أن الاستجابات الانفعالية للطفل الذي عمره يوم واحد ليس سببها عائد إلى التدريب والتجربة أو التنشئة الاجتماعية، فقد



أُجريت دراسة على أطفال استمعوا إلى أصوات أطفال آخرين يبكون، وأصوات حيوانات، وأصوات رتيبة غريبة مؤلفة على الحاسوب، وكانت النتيجة أن استجاب الأطفال بقوة لصوت الإنسان العاطفي المنبعث من حزن وضيق (Cassidy,1999)، وكانت الطفلات هن اللاتي استجبن أكثر لصوت الإنسان الحزين الواقع في مشكلة، وقد تستمر معهن هذه الاستجابة نفسها طوال حياتهن، ومع أن كلا الجنسين يستجيب لصراخ الآخرين، حتى في اليوم الأول من ولادتهما، إلا أن استجابة الإناث أكثر تعاطفاً، لأن الإناث أكثر ميلاً إلى تخيل وقع المثيرات على الآخرين باستحضار وقعها على أنفسهن، وقد تبين أن الإناث لوقت طويل هن الأوائل في تقديم الرعاية، فهن خط الدفاع الأول للطفل بمواجهة العالم، وهن بذلك موجهات بتكوينهن العضوي لتلبية احتياجات الآخرين.

الميول بين الذكور والإناث

يشير سمولي (Smalley,1998) في محاضراته المتكررة إلى العديد من الميول بين الرجال والنساء كالتالي:

- يميل الذكور إلى اكتشاف الحقائق والتعبير عنها، في حين تميل الإناث إلى التعبير عن مشاعرهن وعواطفهن. لقد طلب في دراسة أجريت على الفتيات والفتيان الأمريكيين أن يقولوا أي كلمات يرغبونها وتخطر في بالهم، فاختارت الفتيات كلمات لها علاقة بالمحادثات الكلامية التي تجري بين الناس، في حين أن ٦٠٪ من الفتيان أصدروا أصواتاً من غير أن يتفوهوا بأي كلمة واضحة. ويتكلم المواطن الأمريكي عادةً ١٢٠٠٠ كلمة في اليوم، في حين أن المواطنة الأمريكية العادية تتكلم ٢٥٠٠٠ كلمة أو أكثر في اليوم. كما تتحرك عضلات الشفة عند الإناث الأطفال عند الولادة أكثر مما تحرك عند الذكور. (Eliot, 2009).

- ويميل الذكور إلى تقديم الحلول عند وقوع مشكلة، فعندما تشتكي زوجة لزوجها يبدأ هو في تقديم حلول لمشكلتها، على حين أن الإناث يوفرن التعاطف والمحبة والمعونة النفسية لمن وقع في مشكلة ما.
- يُنشّأ الذكور ليكونوا أكثر موضوعية وعقلانية، في حين تنشأ النساء ليكنّ أكثر اهتماماً بالشخصية الفردية، فمثلاً إذا شاهد الرجل مباراة كرة سلة؛ فلن يكون حريصاً على معرفة نبذة عن حياة اللاعبين، على حين تولي المرأة اهتماماً أكبر بمشاهدة المباراة إذا كانت تعرف أسماء اللاعبين وأسرهم.
- النساء مدربات على التركيز في بناء العلاقات على نحو أوثق وأقرب مما يتدرب عليه الرجال. إضافة إلى أن الذكور يتعلمون إلى حد ما فصل أنفسهم عن محيطهم الخارجي، على حين تستمد الإناث هويتهن ممن يعرفونهن ومن محيطهن.
- كذلك لا تعزل المرأة نفسها عن منزلها وأطفالها ووظيفتها، وتبقى مشغولة التفكير بها، فلو خرجت من منزلها ونسيت أن تغسل الأطباق، فإنها ستفكر باستمرار في العودة إلى المنزل وغسلها لأنها تعدّ منزلها جزءاً مهماً منها. وأما شعور الرجل؛ فمختلف تجاه منزله، فهو ينظر إليه أساساً على أنه مكان للراحة، وإن غسل الصحون في الوقت المحدد ليس من أولوياته.
- يميل الرجال إلى تذكر الأشياء العامة في علاقاتهم، على حين أن النساء يركزن أكثر على التفاصيل في العلاقة، مثل: لباسهن، وأصناف الطعام التي تناولوها مع أزواجهن في أول ذكرى لزواجهم، زيادة على ذلك، يكون لدى النساء رغبة أقوى في تكوين علاقات حسنة مع الآخرين، ولديهن القدرة على إدراك العلاقة السيئة بسرعة أكبر من الرجال.
- طلب بعض الباحثين من مجموعة أزواج أن يسألوا أنفسهم الأسئلة الآتية: ما هو تقويم علاقتنا الزوجية في مقياس من ٠–١٠ درجات؟ وما الذي يجب فعله لتحسين علاقتنا ووصولها إلى درجة ١٠؟

أجاب الأزواج عن السؤال الأول والثاني بدرجتين أعلى من الإناث، في حين حرصت الزوجات على أن يكن أكثر دقة في الإجابة عن نوعية العلاقة التي يحببن أن يصلن إليها مع أزواجهن.

- للزوج حاجة للشعور بالمقدرة والتقبل من الناس حوله، خاصةً عندما تمدحه زوجته وتتجنب توجيه الانتقادات له (ما لم يطلب هو منها ذلك)، في حين تحتاج النساء إلى طاقة عاطفية أكبر؛ لأنها مهمة لتوفير الرعاية المناسبة للأطفال.
- يكون الرجال أقل تسامحاً من النساء تجاه تصرفات أطفالهم، «جلس أب مع ابنه الذي يبلغ من العمر ٤ سنوات مدة يوم كامل، وخلص في آخر اليوم إلى أنه إذا عاقب ابنه باستمرار طوال اليوم فلن يكون ذلك كافياً لمجابهة التصرفات السيئة من طفله أثناء اليوم! على حين أن الأمهات أقل ميلاً إلى التفوه بالكلمات المعيبة عن أولادهم، وأكثر حنواً عليهم إذا وضعن في الموقف نفسه.»
- يعاني الرجل صعوبة في التواصل العاطفي مع زوجته، بينما لا تجد المرأة صعوبة من جهتها، وقد يرجع هذا إلى التكوين العضوي العام للمرأة والرجل وإلى التربية والتدريب، فالنساء أكثر مهارة في بناء صداقات وعلاقات وثيقة من الرجال.

> يقول الدكتور (وارن): عندما يأتي مريضٌ جديد يسأله: «اذكر لي أسماء ثلاثة من أصدقائك المقربين»، فإذا كان المراجع امرأة، تكون إجابتها سريعة عادةً وتذكر أكثر من ثلاث صديقات لها، لا بل قد تواجه صعوبة في الاقتصار على ذكر ثلاثة أسماء فقط، أما إذا كان المراجع رجلاً؛ فغالباً ما يتوقف عن الكلام ويفكر، ثم يوجه السؤال للطبيب: «ماذا تعني بالضبط بعبارة: أصدقاء مقربين؟» إن معظم الرجال ليسوا بارعين في بناء صداقات وثيقة، فهم يستمتعون بالاجتماع مع أقرانهم عند مشاهدة المباريات أو في رحلات صيد الحيوانات وصيد الأسماك، ولكن يبقى التساؤل «هل يعد هؤلاء أصدقاء مقربين باشتراكهم في هذه النشاطات؟»
> (Wolgemuth ,1996)

- لا يعد الرجال جمالهم أولوية في حياتهم، وهذا عائد إلى طريقة تربية العديد منهم، فأولويتهم في الحياة أن يحافظوا على وضع مالي قوي، في حين تتربى المرأة غالباً على التركيز على الحسن والجمال أكثر من قلقها على الوضع المالي، فترى من الضروري أن تكون جذابة بغية جذب رجل وجعله يلتزم بمسؤولية إعالة الأسرة والأطفال.
- بيّن جور ورفاقه (Gur et al,1999) أن أدمغة النساء تعمل بدرجة حرارة أعلى نوعاً ما، حيث يتدفق المزيد من الدم أثناء عمل الدماغ، كما تحافظ أدمغتهن على بقائها مشحونة بدرجة أكبر قليلاً من أدمغة الرجال.
- نضج الإناث أسرع من نضج الذكور، إذ يتحدثن ويتحركن بسهولة في سن مبكرة، ويبدو أن أدمغة الإناث والذكور تتطور وتنمو وفق مسارات مختلفة، ولا أحد يعرف سبب ذلك حتى الآن، وليست هذه الاختلافات ثابتة، فقد تتوسع وقد تضيق وفقاً للسن، ففي حين تستخدم البنت الكلمات بسهولة أكبر من الصبي، فإن من المحتمل في وقت لاحق أن يلحق الصبي بملكة الفتاة في الكلام.
- تمكننا دراسة تصاوير الخلايا العصبية أن نتنبأ بنمط سلوك معين للاختلاف في التكوين العضوي، فيميل الرجال إلى السلوك الجسدي، في حين تميل النساء إلى استخدام الألفاظ والكلمات، وهذا هو الغالب في تصرفات الناس من الجنسين. ومن الجدير ذكره أن التكوين العضوي؛ هو الذي يتحكم بالسلوك أكثر من الثقافة في مثل هذه الحالات، وعلى أي حال، فإن أي اختلاف وظيفي قد يكشف لنا الكثير عن ثقافة الإنسان وعن تكوينه العضوي من جانب آخر، فأدمغتنا متشابهة في الأساس، حتى ولو كنا نستخدمها استخداماً مختلفاً، فإذا نظرنا إلى دماغي الرجل والمرأة فسيبدوان متشابهين تماماً في المظهر، أما الاختلافات بينهما؛ فيتعين البحث والفحص أو التمحيص الدقيق بعناية شديدة بسبب اختفائها، إذ إن الفروقات تبدو صغيرة جداً لا تكاد ترى، ولا تزال شديدة الغموض فيتعذر الجزم بأنهما مخَّان مختلفان، رغم أن الناس يتصرفون بطرائق مختلفة إلا أن أنماط السلوك الأساسية متشابهة عند الرجال والنساء.
- ولا شك فإن الكثير من الأبحاث والدراسات معنية في إيجاد الفروقات بين الجنسين، وتصرفاتهم، إلا أنه باستطاعتنا التأكيد على أن هذه التباينات مبنية على الأدوار التكميلية للرجل والمرأة وليس على التفاضل بينهما.

الحواس



ليس من الغريب أن الإناث يمتلكن حواساً متناغمة تناغماً رائعاً وفريداً، فحاسة الشم عندهن أكثر دقة وحدّة منها عند الذكور، خاصة أثناء وقت التبويض (نزول البويضة إلى الرحم)، كذلك هنّ أكثر حساسية وتأثراً باللمس من الذكور، وتعد هذه القدرة حاجة ماسة للطفل، فعندما يُحمل الأطفال الخُدَّج (المولودون قبل الأسبوع السابع والثلاثين من الحمل) أو حتى يُلمسون من بشرتهم لمساً لطيفاً، فإنهم ينمون وينضجون بأسرع مما لو لم يُلمَسوا، كما يكتسبون وزناً بنسبة ٤٧٪ أسرع من الأطفال الذين يتركون وحدهم، حتى لو تناول كلاهما الكمية نفسها من الغذاء (Dodd, 2005).

تتناسب ألفاظ الأمهات وعباراتهن تناسباً متناغماً مع مشاعر أطفالها واحتياجاتهم، فعندما شُغّل شريط للأطفال فيه أصوات مسجلة لأمهاتهم تبين أن الأطفال يلتفتون وينتبهون لصوت المرأة ذات النبرة العالية أكثر من أصوات المرأة نفسها حين تتحدث عادياً مع البالغين، إضافة إلى ذلك، فإن قلب الصغير يبطئ ويهدأ وينتظم خفقانه بلطف أكثر حين يسمع نغمة صوت أمه الموسيقي، ويبدو أن هذه الراحة التي تمد بها الأم طفلها أساسية وتكوينية ومستمرة منذ بداية النمو الذي يحدث للطفل في الرحم، هذا التعالق بين الأم والطفل - حكاية قلبين - هو بداية الفروقات العاطفية بين الذكر والأنثى.

المنزلة عند التنافس

قد يبدو أن فكرة المنزلة تنشأ في وقت مبكر جداً عند الذكور، ولا يبدو أنها تأخذ حيزاً كبيراً من تفكير الفتيات، وتبدو الفتيات عامة أقل تصميماً على أن يكنّ رقم واحد مع بعض الاستثناءات، وتوضح دراسة نموذجية للعب الأطفال هذه النقطة باستكشاف طريقة لعب مجموعات من الأطفال من الجنس نفسه للعبة: تمثيل دور «الطبيب»، حيث يرغب الذكور جميعاً في هذه اللعبة أن يكونوا هم الطبيب، أي المسؤول الأول الذي يعطي أوامر للآخرين، ويتجادلون لفترة طويلة فيمن سيكون الطبيب، في حين يكون أمر الإناث أيسر، إذ سيسألن من التي تريد أن تكون الطبيبة، بعد ذلك سيتفاوضن، وسيوزعن أدوار الطبيبة والممرضة والمريضة بارتياح.

يرغب البنين، أكثر من البنات، في الدخول بمباريات ومنافسات فيها فائزون فعليون، ويبدو أنهم يرتاحون أكثر عند وجود مواجهة ومنافسة تسجل فيها النتائج والأهداف، كما تكون ألعاب البنات عادة أقصر مدة من ألعاب البنين، ويكثر جدال الصبيان في المباريات التي يلعبونها، وعلى الرغم مما سبق فإن الخلافات بين البنين تنتهي عادةً بسرعة ويسر أكبر من الخلافات التي تحدث بين البنات، وذلك أن البنات يستجبن عاطفياً بدرجة أقوى تجاه النزاعات والخلافات، وقد يكون ذلك نتيجة للثقافة، حيث إننا في ثقافاتنا وتقاليدنا الموروثة نشجع الفتيات على أن يكن أكثر عاطفية، في حين نشجع الصبيان على تجنب الانفعال العاطفي.

ومهما حاولنا الفصل بين التكوين العضوي والثقافة في تشكيل السلوك والشخصية لكلا الجنسين؛ فلن يكون ذلك فصلاً حاسماً وقاطعاً، كذلك فإن حجم الدور الذي تقوم به كل من الطبيعة والتنشئة، وتأثيرهما في السلوك والشخصية، هو بمثابة حلقة مترابطة يؤثر ويتأثر بها كل عاملٍ بالآخر، ويكون التأثير العضوي أقوى في البداية، لكن يبرز تساؤل مهم هنا وهو: كيف نستطيع أن نحدد نقطة البداية في هذه الدائرة؟

تعابير الوجه



النساء أكثر مهارة من الرجال في تفسير تعابير الوجه وفهمها، كما تميل النساء إلى الابتسام أكثر من الرجال، بينما يكتفي الرجال غالباً بتشجيع النساء على الابتسام، ويذهب بعضهم إلى أن هذا قد يكون مرده إلى وجود تاريخ يقوم على أساس علاقات

التحكم والسيطرة بين الجنسين، ثم إن النساء أكثر مهارة من الرجال في قراءة التعابير غير اللفظية أيضاً مثل: لغة الجسد وحركات الوجه.

وقد وجد عند دراسة قدرة كل جنس على تمييز تعابير الوجوه بالنظر إلى الصورة الشخصية لشخص ما؛ أن كلا الجنسين بارعان بالدرجة نفسها في ملاحظة متى يكون الشخص سعيداً، كذلك تميز النساء بسهولة الحزن في وجه الشخص، سواء أكان ذكراً أم أنثى، وبدقة تصل إلى نسبة ٩٠٪، ومن ناحية أخرى، يستطيع الرجال تمييز تعابير عدم السعادة على وجه رجل آخر بنحو ٩٠٪ من الحالات، ولكنهم يصيبون بنسبة لا تزيد على حوالى ٧٠٪ من الحالات عند نظرهم في وجوه النساء، مما يشير إلى أن وجه المرأة يتعين أن يبدو حزيناً حقاً؛ كي يلاحظ ذلك الرجال، وإلّا فإنهم لن يستطيعوا ملاحظة التعابير غير الظاهرة بوضوح على وجوههن.

هل سبق لك أن تساءلت عن سبب أن سور القرآن الكريم تبدأ بالآية «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ وهل تتبين ما يتضمنه ذلك من تلميح إلى الوالدين بأن يكونا محبين وعطوفين وحنونين تجاه أطفالهما؟

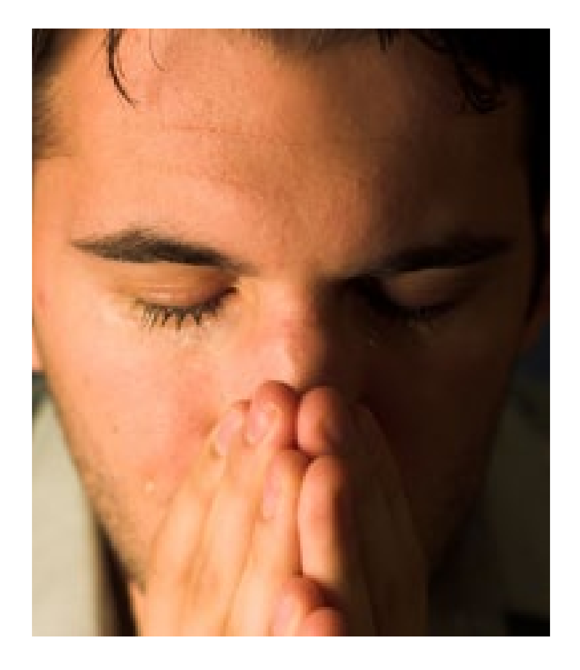
الفروقات الجنسية

عندما سُئِلت بعض الزوجات السؤال الآتي: «إذا لم تتحقق المعاشرة الجنسية بينك وبين زوجك؛ فكيف ستشعرين حينئذ؟» أجاب معظمهن أن كل شيء سيكون على ما يرام، وأنه يكفيهن فقط العناق والقبل، في حين أجاب الرجال إنهم سيشعرون بشعور فظيع إذا لم يتمكنوا من ممارسة الجنس مع زوجاتهم. (Fisher et al, 2012).

النساء أقوى من الرجال في التحكم بالغريزة الجنسية، فهن قادرات على تحمل غياب ممارسة الجنس لمدة زمنية طويلة، على حين أن الرجال يشق عليهم ذلك، ويتعين استثارة النساء عن طريق اللمس كي يصلن إلى الإثارة الجنسية، في حين أن كلمة واحدة كفيلة بإثارة الرجل جنسياً، وبذلك ندرك الحكمة في النهي الإلهي للمرأة عن التكسر أو الخضوع في الكلام عند مخاطبتها أو تعاملها مع الرجل الأجنبي عنها (غير المحرم)، وأمرها بالاعتدال الطبيعي في صوت الكلام وأدائه، بالمقابل فإن المرأة قادرة على معاشرة زوجها دون إحساس بالإثارة، على خلاف ذلك الرجل الذي لا بد أن يشعر بالإثارة الجنسية الكاملة كي يمارس المعاشرة.

من الضروري للرجال أن يغضوا من أبصارهم، لأنهم أضعف في التحكم بالإثارة الجنسية، فالجنس عامة نشاط مهم جداً يتعين تنظيمه وضبطه، والأطفال ناتج من نواتجه، وتوجيهه الحكيم يؤدي إلى بناء مجتمع سليم صحي معنوياً ونفسياً واجتماعياً، وبذلك ندرك الحكمة في الربط بين الإيمان وحفظ الفرج وغض البصر، إذ لا يلتزم بالأخير إلا شخص مؤمن، تأتيه التوجيهات الربانية لتلزمه بما هو مؤهل له.

يعد نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية بشهوة غير جائز شرعاً، وكذلك انجذاب المرأة للرجل بالصورة نفسها، لما قد ينتج عن ذلك من عواقب وخيمة جداً، خاصة إذا قارف الرجل مع المرأة فاحشة الزنا وحملت بطفل منه سفاحاً.



حكمة وجود الفروقات بين الجنسين: الأدوار والتكامل وليس التفاضل

تربّى المرأة وتعلَّم لأن تكون حساسة وعاطفية بشكل عام؛ لتستعد مستقبلاً لحماية أطفالها من أي تهديد يواجههم، والأمر نفسه أيضاً شائع عند الحيوانات، إذ تحمي القطة صغارها وتخفيهم عن القطط الأخرى جميعها خاصة من الأب، خشية أن يأكلهم. ويفرز جسد الأم هرمونات خاصة في فترة الحمل تساعدها أثناء الإنجاب، وأيضاً في تغذية طفلها وحمايته.

ينجذب الرجل إلى المرأة جنسياً، ويؤدي ذلك به إلى أن يتحمل مسؤولية خدمتها وخدمة أطفالهما؛ وعليه أن يكون سخياً لتوفير احتياجاتها مع الأطفال، حين تكون الأم أكثر اهتماماً برعاية نفسها وأطفالها. ولا يتعرض الرجل لتبعات الدورة الشهرية والحمل والولادة والرضاعة؛ مما يجعله يسعى في مناكب الحياة للحصول على الدخل اللازم لإعالة الأسرة وتأمينها باحتياجاتها كلها.

وتشرح الفروقات التكميلية في الطبيعة البشرية للرجال والنساء قوانين الأسرة الإسلامية وإرشاداتها، إذ تتمثل الطبيعة الجنسية المتميزة لكل من الرجال والنساء في مفهوم العورة والأعضاء الجنسية للرجال والنساء، وتنحصر عورة الرجل ما بين السرة والركبتين، الأمر الذي يتيح له الانهماك في العمل البدني اليومي دون عوائق أو قيود، وبحيث لا تغري الأجزاء المكشوفة من جسمه النساء على نحو يجعلهن يفقدن السيطرة والعقلانية في التحكم بأنفسهن فيسقطن في حباله، ولكن العكس صحيح بالنسبة للمرأة، فجسدها هو عامل جذب وإغراء وإثارة للرجال، ويسهل استثارة الرجال جنسياً عند رؤية جسد المرأة، وبذلك فإن كل جسدها عورة، ما عدا الوجه واليدين، إذ لا توجد فعلياً حاجة حقيقية للمرأة كي تكشف جسدها للرجال، إلا أن كشف الوجه أمر مختلف تماماً؛ لأن له آثاراً ووظائف حيوية، مثل التعبير عن شخصية المرأة وهويتها، وبذلك يوفر المفهوم الشامل والمفصل للعورة حماية قوية للأسرة وتأمين فعال ضد الاختلاط اللامحدود واللامشروط الذي يهدم الأسرة والمجتمع، ومع ذلك لا توجد أي قيود على ستر الجسد وانكشافه في إطار العلاقة بين الزوج والزوجة كما يوضح القرآن الكريم: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧).

يتساوى الرجال والنساء في المجتمع، ولهم حقوق متساوية، وتكون أدوارهم مكملة بعضها بعضاً، استناداً إلى خصائص كل منهما الجسدية والنفسية، فالأسرة مؤسسة إنسانية خاصة تعمل على نحو فعال، وتوفر مزايا وفوائد لكل من الرجال والنساء والأولاد.

ففي العادة تكون النساء اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين (٢٠-٤٠ سنة) الأساس، الذي تقوم عليه الأسرة، وتتوافر فيهن الصفات المميزة، مثل: الحنان والعطف، مما يمكنهن من توفير السلام والراحة والطمأنينة لأسرهن، إذ يحتاج الزوج إلى الهدوء والراحة، خاصة بعد عودته من عمل يوم حافل وطويل في كسب الرزق، فيعد هذا منهن أولوية طبيعية في هذه المرحلة من حياتهن، ومع ذلك، لا يعني هذا أن الزوجات لا يستطعن أن يفعلن أموراً كثيرة أخرى إضافة إلى ذلك، كما أنه لا يعفي الآباء من مهمة المشاركة وتوفير الرعاية والأمان داخل المنزل.

ولا يتعين أن تفسَّر الصفات المميزة لكل منهما عن الآخر على أنها ضعف للنساء وقوة للرجال، بل هي مناسبة وملائمة للدور المحدد الذي يضطلع به كل منهما. وتلقي الشريعة الإسلامية المسؤولية القانونية لتوفير دخل الأسرة على الزوج، وليس على الزوجة، بصرف النظر عن حالتها الاقتصادية، وذلك لأن المسألة هي مسألة اختلاف في الأدوار والاستعدادات، اختلافاً يتناسب ومسؤوليات كل منهما، فقرار خروج الزوجة للعمل هو في يدها، وليست مجبرة عليه، وذلك لأن مسؤولية توفير حاجات أطفالها تقع بكاملها على عاتق زوجها، أما إذا اختارت المرأة أن تخرج إلى سوق العمل؛ فلا حرج في ذلك إذا استطاعت أن تتحمل أعباء العمل والأمومة والجمع بينهما بحكمة،

وكان ذلك بموافقة الزوج كذلك فلها الحق عندئذ في أن يكون لها دخلها المالي وأن تكون أماً على حد سواء.

ولا يُنقص من حقوق أي من الزوجين أو مسؤولياته وجود الفروقات النفسية واختلاف وظائف الأعضاء بين الجنسين أثناء مراحل التطور والنمو المختلفة، وقد تكون سمةٌ معينةٌ ما إيجابيةً عند توفّرها في المرأة مثل الصوت الناعم، ولكنها قد تكون سلبية لو وُجدت عند الرجل، والعكس صحيح.

أولويات الرجال والنساء الأمريكيين

أجرت جريدة (واشنطن بوست) بالتعاون مع جامعة هارفارد استطلاعاً شمل (٤٠٠٠) رجل وامرأة، وخلص هذا الاستطلاع إلى أن الأولويات عند الرجال والنساء في الولايات المتحدة هي كالآتي:

- مواجهة الضغوطات النفسية والاقتصادية للحياة الحديثة.
- تعزيز الروابط العائلية.
- التواصل الفعال مع الأطفال.

في حين يوافق العديد من الرجال على عمل المرأة خارج المنزل، بينما نجد رجالاً يفضلون الأمهات اللآتي يقضين وقتهن في المنزل تفرغاً لرعاية الأطفال والعناية بهم، ويرى أغلب الناس أن السبب الرئيس لخروج النساء الأمريكيات للعمل؛ هو كسب المزيد من الدخل المادي لتلبية ضروريات الحياة. (مجلة الأسرة، العدد ٦١، ١٤١٩هـ).

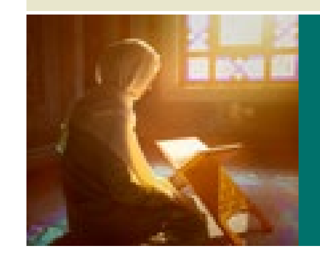
من الجدير ذكره أننا لم نلحظ أولوية دينية أو روحية عند أحدهما، ويا ترى هل لو وجدت تلك الأولوية ستجير لصالح من؟ الرجال أم النساء؟

أصبحت النساء في الوقت الحاضر – ويا للأسف – ضحايا في الغرب، وفي العالم الإسلامي، إذ يتوقع من النساء في الثقافة السائدة في الغرب الخروج للعمل، ويُنظر إليهن على أنهن مقصد للمتعة الجنسية والترفيه الرخيص، وأنهن سلعة تجارية، بالمقابل لا تنال المرأة في بعض البلدان الإسلامية تعليماً، ولا تُهيّأ للقيام بأعباء الأمومة الجسيمة، كما أن كثيراً منهن ليس لديهن أي إحساس بالأمان، ويذعن تحت رحمة أزواجهن، وهن مهملات ومهمشات في العديد من البلدان.

ذكر الشيخ الراحل محمد الغزالي في مذكراته أنه في أثناء مرحلة طفولته في القرية كنت ترى النساء في كل مكان من القرية إلا في المسجد، إنه لأمر محزن ألا تجد في بعض البلدان مكاناً مخصصاً للنساء في المسجد. ومن الجدير ذكره هنا أن معظم طلبة الدراسات الدينية في تركيا في وقتنا الحاضر من النساء. «ومع أن الهندسة المعمارية للمساجد لا تأخذ باعتبارها كثيراً المكان المخصص لصلاة النساء، إلا أننا نجد في بعض البلدان الإسلامية أمثلة مشرقة بهذا الجانب، إذ يخصص للنساء مثلاً في مساجد أسطنبول جزء من المكان الرئيسي للصلاة، وأحياناً مسجد منفصل؛ كي يؤدين صلاة الجماعة فيه (مراد ٢٠٠٩). فكيف يمكننا أن نتوقع تربية الأم لأطفالها دون توفير التعليم الديني الكافي أو توجيهها لسماع خطبة الجمعة الأسبوعية على الأقل؟ وماذا نتوقع منها ونحن نحرمها من ارتياد المؤسسة التعليمية الأكثر تأثيراً في المجتمع الإسلامي – خطبة الجمعة؟! مع أن أحاديث النبي ﷺ تحض على تعليم المرأة العلوم الشرعية وغير الشرعية.

قال رسول الله ﷺ: لا تمنعوا إماءَ اللّه مساجدَ اللّه ... (مسلم)

يترك للنساء – بسبب واجباتهن العائلية الإضافية – الحرية في الذهاب للصلاة في المسجد أو الصلاة في المنزل وفقاً لأدوارهن ومسؤولياتهن، وفي الواقع، فإنه من واجب الأزواج تسهيل أمر ذهاب زوجاتهم للمسجد بمساعدتهن بدلاً من إثقال كاهلن بالأعباء.



متى يبدأ الفصل بين الجنسين؟

يبدأ معظم الأطفال بالتفكير في الفروقات بين الجنسين في يوم ميلادهم الأول (Beal, 1993)، وعندما يبلغون السنتين أو الثلاث فإنهم يدركون جنسهم، لذلك عندما يبدي طفل الثلاث سنوات ملاحظات بصوت عال عن شكل أعضاء جسمهم، أو أعضاء غيرهم، فإنهم ربما يتكلمون عن شيء كانوا يتأملونه لمدة سنتين من قبل، ويرى الأطفال العالم منقسماً إلى قسمين، وحين يعرفون جنسهم، فإن إحساسهم الذاتي يجعلهم سرعان ما يدركون أنهم إما بنون وإما بنات، ويبدأون وقتها بتعلم كيفية الانسجام مع هذا الواقع، ويصبح سلوك الأولاد في الثالثة تقريباً فارقاً بين الجنسين، فتصبح الفتيات أقل عدوانية ويخترن ألعاب ودمى «البنات»، مثل لعبة المنزل، ويميل الصبيان إلى عدم التقيد بنظام أو قانون، ويصبحون مهتمين بلعب ودمى «الصبيان» مثل: الشاحنات والسيارات والألعاب والمسدسات البلاستيكية، ودمى شخصيات من أفلام الكرتون الحركية وغيرها.

وتتحدد الهوية لكل جنس بتأثير الغدد وإفرازاتها، خاصة عند سن البلوغ وما بعده، وتتحدد في جانب آخر من الاستجابات النفسية لإدراك الاختلافات التشريحية في مرحلة الطفولة المبكرة، ويأتي الجانب الأكبر من تحديد الهوية الجنسية من التعرف الإيجابي على خصائص جنسه من أمه أو أبيه الذي يشابهه في الجنس نفسه، أما في حالات الرجال المخنثين والنساء المسترجلات؛ فتكمن المشكلة في بعض أجزائها في إشكالية العلاقات مع الآباء والأمهات على الرغم من وجود الغدد الطبيعية.

الذي يجعل من الصبي يشعر بأمان لأنه ذكر؛ هو الحب ممن حوله ومن مجتمعه خاصة حين يرى أباه يستمتع بحقيقة أنه رجل، ويحتاج الأب أن يشعر بالرضى في علاقاته التنافسية والتعاونية والتواصلية بالرجال الآخرين في مجتمعه، فالهوية الجنسية في جسم الصبي الذي ينمو ويكبر لا تعتمد على ما إذا كان والده أو رجال المجتمع عامة، يطاردون الأشرار، أو يعملون في مصنع، أو يطهون الطعام، أو يشيدون المباني، فما دام الأب سعيداً أنه رجل، وعلاقته حسنة مع ابنه، فإن هوية الولد الذكورية يُرجَّح أن تكون سليمة وآمنة.

أما الأب الذي لا يشعر دائماً بالأمان في رجولته سوف يكشف لابنه باستمرار، ومن غير قصد منه، بأقواله وأفعاله أنه غير سعيد، ولسوف يؤثر هذا على اكتساب الصبي هوية ذكورية سليمة، فرفض الأب لأي عمل منزلي كونه من اختصاص الإناث فقط، أو أنه لا يناسب الرجال، هو أحد السبل التي يشير فيها لابنه ضمنياً إلى عدم ارتياحه من ذكوريته.

وتكبر البنت وتطمح أن تكون امرأة، وتستعد لذلك وتسعى أن تكون محبوبة وموضوع رضى عنها من قبل أمها، وهذه من جهتها تستمتع بقيامها بدور المرأة، وتلاحظ ذلك ابنتها، أيا كان ذلك معناه في ثقافتها، سواء أكانت الأم مزارعة، أم عضواً في مجلس الشعب (النواب)، أو ربة أعمال.

وليس مطلوباً من الوالدين التطابق التام في تربية أبنائهم وبناتهم، ولا يحسن أن يكون هناك مفاضلة لأحد الجنسين على الآخر في المنزل. ومع اختلاف أدوارهما فإنه ينبغي أن يكون للاهتمام برعاية الأطفال والمنزل نفس التكريم مثل مكانة العمل في مكتب، أو مصنع، أو في أي موقع في المجتمع.

ويأتي هنا دور التربية الوالدية، إذ يجدر أن يعامل البنون والبنات بالعدل والمساواة، ولكن ليس بالطريقة نفسها، وفقاً لاختلاف أدوارهما، كما يحسن أن يتعلما مواجهة الحياة، وأن يكونا قادرين على القيام بأدوارهما بنجاح، دون أن يتعلم الصبيان العدوانية وعدم الاهتمام، ودون أن تتعلم البنات أن يكن عاجزات ومعتمدات اعتماداً كاملاً على الذكور، كما يتعين تجنب تشجيع البنات على أن يكن عاطفيات جداً، أو اللجوء إلى البكاء كلما عجزن عن الوصول إلى مبتغاهن، وكذلك التقليل من العدوانية الزائدة عند البنين والابتعاد عن العنف كلما عجزوا عن الوصول إلى مبتغاهم.

ويتعين أن يوفَّر الوالدان للبنين والبنات لعباً ودمى مناسبة لجنس كل منهما بدلاً من الاقتصار على نوع واحد من دمى شخصيات المغامرة التي يشاهدونها في التلفاز، فيجدر أن تتوفر لهم اللعب التركيبية البنائية جنباً إلى جنب مع الدمى الخاصة بكل من الإناث والذكور.

ومن المهمّ ألا نحرص على المبالغة في ما نُلبس البنات، وفي الوقت ذاته ألا نستهين أو نهمل ما نلبس البنين. ويتعين لكل من الأم والأب أن يبديا من الاهتمام بِشَعر ابنهما القدر الماثل لما يبديانه لِشَعر ابنتهما، كما يستحب أن يطبق مفهوم المعاملة نفسها على الملابس. ويليق أن نختار الملابس التي لا تعيق الفتاة عن اللعب، فليس عدلاً أن يحمل الوالدان ابنتهما على أن ترتدي تنورة، ثم يصرخون في وجهها حين تظهر ملابسها الداخلية، ويتعين السماح لابنتهما بارتداء بنطال مريح، وليس ضيقاً بحيث يتيح لها حرية الحركة في اللعب مثل شقيقها. كما يصح أن تتعلم الابنة ممارسة الرياضة واللعب، وتقدر قدراتها البدنية مثل أخيها.

ويتعين أن يربى الابن على ألا يفكر أو يسمح لنفسه بأن يضرب فتاة أبداً، حتى على سبيل اللعب معها. كما تربى الأبنة على ألا تسمح لصبي أن يضربها أبداً، وإذا فعل ذلك فعليها أن تدافع عن نفسها قدر استطاعتها بدلاً من الاكتفاء بالبكاء أو الهرب.

التعليم مهم لكلا الجنسين بالتساوي والتكافؤ نفسه كلما أمكن ذلك، وإلى أن يتخرجا من الجامعة.

رجال مخنثون ونساء مسترجلات

عبر الرسول ﷺ عن استيائه البالغ إزاء الرجال المخنثين والنساء المترجلات، فقد نهى عن تشبه الرجال بالنساء كما ورد: «لعن النبي ﷺ المخنّثين من الرجال، والمترجّلاتِ من النساء» (البخاري).

الرجل رجل، والمرأة امرأة، وكلاهما يحسن أن يكون شاكراً وممتناً لما هما عليه! فلا يتشبه أحدهما بالآخر أو أن يقلده، ومن الثابت أن يكون من السهل التمييز بين البنين والبنات في إطار الثقافة التي يعيشون فيها، مع أن هذا الأمر أصبح في أيامنا هذه ملتبساً في بعض الحالات، لقد خلق الله البنين والبنات مختلفاً بعضهم عن الآخر، وذلك لأن أدوارهم مختلفة، ولكنها في الوقت ذاته متكاملة، وإنها لنعمة أيما نعمة أننا مختلفون كي ينجذب بعضنا إلى الآخر، كذلك تغدو الحياة أكثر متعة وتنوعاً، فلا يصح أن نستهين بهذه الفروق المميزة والجذابة في الخليقة.

ولا يستطيع أي من الجنسين الفوز في «معركة» تصادم الجنسين المفتعَلَة «فالعدو» خفي وغير واضح، وللنساء المتطرفات في التحرر تأثير ضار في الثقافة الغربية، إذ يدعي بعضهن أن المرأة قوية وصلبة مثل الرجال، وأنها تستطيع أن تفعل كل ما يقوم به الرجل، كما تدعي بعض المغاليات أن المرأة مستقلة تماماً ولا تحتاج إلى الرجل، وأن حاجة المرأة للرجل تشبه «حاجة السمكة لدراجة هوائية»، كذلك يذهبن إلى أن المرأة تستطيع أن تقوم بمهام المجتمع كافة دون الحاجة إلى الرجل.

وتمثل هذه الادعاءات تناقضاً مع مبادئ الرسالات السماوية، فعل سبيل المثال وجهة النظر النصرانية السائدة تناقض مع هذه الادعاءات، إذ دعا نبي الله عيسى المسيح عليه السلام الرجال أن يكونوا لطيفين وعطوفين، ولكن في الوقت نفسه أن يكونوا جريئين وقادرين على تسلم زمام القيادة، إن بإمكان أي «أحمق» أن يكون شخصاً قوياً شديداً، ولكن الرجل النبيل المهذب؛ هو من يعامل المرأة بشرف وأدب واحترام، وإن اتخاذ القرارات داخل الأسرة هو من واجب الرجل، ولكن على ألا يكون ذلك إلا بعد التشاور الفعلي والمنفتح مع امرأته، كما أن على الأزواج معاملة زوجاتهم باحترام وأدب.

يتطرق القرآن الكريم إلى قضية المساواة والتكامل بين الجنسين على النحو الآتي:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ (النساء:٣٢).



- مئة رجل يصنعون مخيماً وامرأة واحدة تصنع بيتاً. (مثل صيني)
- تساءل الإمبراطور ثيموستوكليس «من هو أقوى شخص في العالم؟ الجواب: يحكم الأثينيون الإغريق، وأنا أحكم الأثينيين؛ وأنت يا زوجتي تحكمينني؛ وطفلي يحكمك.» فالطفل هو الذي يتحكم في العالم!
- هل يمكن للرجل أن يفهم المرأة فهماً تاماً؟ وهل يمكن للمرأة أن تفهم الرجل فهماً تاماً؟
- هل يمكن للرجل استيعاب مدى معاناة الحمل والولادة بالكامل؟ ذلك مُحال، ولكن يمكن أن يتصور ألم المغص الكلوي الحاد ليقرب له صورة ذلك الألم.
- إذا كان لك أن تختار بين أن تعلّم رجلاً أو تعلّم امرأة، فمن ستختار؟ إذا اخترت أن تعلّم رجلاً فأنت تعلّم مواطناً واحداً، ولكن حين تعلّم امرأة فأنت تعلّم شعباً!

وضع التربية الوالدية نسبةً للجنس في أمريكا

أصبحت تربية الأولاد اليوم ملقاة على عاتق الأم في العديد من الأسر، أما الأب فهو معاون فقط، وهناك عدم تكافؤ بين الرجال والنساء في مهام العناية بالأطفال؛ ففي الولايات المتحدة يعطي الأب ٧ ساعات في الأسبوع من وقته بينما تقدم الأم ١٤ ساعة، وتقضي الأمهات ١٨ ساعة أسبوعياً في الأعمال المنزلية و٢١ ساعة في العمل، أما الآباء فيقضون ١٠ ساعات في الأعمال المنزلية و٣٧ ساعة في العمل. (Pew Research Center, 2013)

تقريباً ٦٠٪ من الأسر ذات الأبوين مع أطفال دون ١٨ سنة يكون بها الأبوان عاملين بأجر، وفي الأرجح يقضي الأب معظم وقته في العمل، وتقضي الأم معظم وقتها في رعاية الأبناء والقيام بالأعمال المنزلية، وبصورة عامة في هذه الأسر تقضي الأم معظم الوقت في رعاية الأبناء، حتى عندما تقوم بعمل مماثل لعمل الأب.

نشرت مجلة Family Relations دراسة في ديسمبر ٢٠١٣ ركزت فيها على الأمهات والآباء الذين لديهم نفس طبيعة العمل، واستخلصت ما يأتي:

- في حالة الأطفال عمر تسعة أشهر تقضي الأم ٧٠٪ من وقتها اليومي في رعاية الأبناء، في حين أن الآباء يقضون ٥٠ ٪ من وقتهم فقط.
- وحتى بعد حساب الوقت الذي تقضيه الأمهات في الرضاعة واستخراج الحليب، وُجِدَ أن الأمهات تقضي ضعف الوقت الذي يقضيه الآباء في الرعاية الروتينية للأبناء مثل (الاستحمام والطعام وتغير الحفاضات).
- يقوم الآباء بدور المساعد أكثر من قيامهم بدور المربي الأساس. (The Ohio State University, 2013)

لم تعد مسؤوليات تربية الأطفال في القرن الواحد والعشرين مقتصرة على جنس معين، بل توزع حسب الطرف الذي لديه أوقات متاحة ومن هو الأقرب في المسافة، بل وأصبحت تميل لأن تكون مهمة متساوية الفرص، أما مهمة تغيير الحفاضات فتتبع القول المأثور «مسؤولية من يشم الرائحة أولاً» وليس تبعاً لما تعارف عليه في الماضي «أبي لم يقم بهذا أبداً فلماذا أنا؟»

وتفند الدراسة من عام ١٩٦٥-٢٠١١، التي أعلن عنها The Pew Research Center في عام ٢٠١٣، أن الآباء أخذوا على عاتقهم أعمال منزلية ومهام رعاية الأبناء أكثر منذ عام ١٩٦٥، في حين زاد الوقت الذي تقضيه الأمهات في وظائفهن، وبذلك بدأ دورهن في الانحصار. ففي بريطانيا عام ٢٠١٢ قدرت نسبة الأمهات العاملات بـ ٦٤ ٪؛ و٢٩ ٪ من الأمهات عاملات بدوام كامل. (United Kingdom Department for Education, 2014)

ولا يعد الأب كـ «جليسة الأطفال»، الذي كان يطلق على فتاة في سن المراهقة عندما تقوم برعاية الأطفال، فهو الآن يشارك في الرعاية لأولاده ويقضي وقته معهم، حيث إن دخول المرأة وهيمنتها في العمل العام جعلت كلاً من الرجال والنساء يعيدون النظر في الأدوار الأسرية التقليدية، إنهما حين يعود كلاهما إلى المنزل من العمل، وقد قضيا تقريباً الوقت ذاته خارجاً، فلا يرد نقاش حول من الذي يجلس ويقرأ الصحيفة، ومن الذي يحضّر العشاء، ومن الذي يساعد الأطفال في الاستحمام، ومن الذي يهيئهم لسريرهم؛ إذ إن ظروفهما في العمل متشابهة الآن، فتحل هذه المسائل بتقاسم الواجبات والأدوار: يحضّر أحد الوالدين الوجبة، في حين يساعد الآخر الأطفال في الحمام وحملهم إلى أسرّتهم عند النوم.

حتى مسؤولية تأديب الأطفال قد أصبحت مشتركة بين الأب والأم، فنادراً ما تهدد الأمهات أطفالهن اليوم باستخدام القول القديم: «انتظر حتى يصل والدك إلى المنزل» إذ تقع مسؤولية التأديب الآن تحت قاعدة «من رأى التصرف الخطأ أولاً»؛ الأمر الذي خفف من مسؤولية التأديب الشاقة التي كانت ملقاة على كاهل الأب وحده سابقاً.

سبب الخلل في التوازن بوضع التربية الوالدية نسبة للجنس

نورد في ما يأتي الأسباب التي تبديها الأمهات كمسوغ لتحمّلهن المسؤولية الأكبر في رعاية الأطفال والعناية بهم:

- تتجنب النساء عادة إثارة ضجة أو خلافات مع الأزواج.
- النساء أكثر ميلاً نحو الرعاية والعناية بسبب قدرتهن على التواصل اجتماعياً، وذلك بسبب استحساناتهن المتعلقة بالفطرة وتكوينهن البيولوجي.
- يحمل المجتمع النساء المسؤولية في المقام الأول عن مشكلات تربية الأطفال، فلا يرغب العديد من النساء التخلي عن هذه المسؤولية.
- تردد الكثير من النساء في مشاركة الرجال لهن في هذه الواجبات، لأنهن يشعرن أن ذلك يفقدهن السيطرة، وسيضطررن إلى مشاركة الرجال لهن في التعلق العاطفي بالأطفال، إضافة إلى مشاركته محبة الأطفال ومودتهم، أو أنهن لا يوافقن على الطريقة التي يؤدي بها الرجال هذه الواجبات.

أما الرجال فيوردون الأسباب الآتية لتسويغ قلة مشاركتهم في رعاية الأطفال:

- أخشى أن شيئاً رهيباً سيحدث عندما أكون مسؤولاً عن الطفل.
- لن أتمكن من الاستجابة لطلبات الطفل، وسأفقد أعصابي من كثرة طلباتهم.
- إن أمهم أفضل في العناية بهم، ولن أتقن هذا العمل أبداً.
- إذا انشغلت طويلاً في العناية بأولادي فسأفقد فرصة ترقيتي في عملي بسبب الضغط الكبير على كاهلي، إضافة إلى ضيق الوقت لدي.
- فرص ملازمة الآباء أطفالهم وحضور محاضرات حول مراحل نمو الأطفال في المدرسة؛ هي أقل من فرص الأمهات.
- ليس هناك نموذج تربوي أبوي يحتذى به لدى الرجال حالياً.
- لا يحصل الرجال على نظم دعم وتشجيع لدورهم في التربية.
- تعيق بعض الأمهات مشاركة الآباء المتزايدة في التربية.

يقضي جيل اليوم من الآباء مع هذا كله وقتاً أطول في رعاية أطفالهم والعناية بهم؛ مما كان يفعله آباؤهم سابقاً، لذلك يبدو التغيير في السلوك في وقتنا الحاضر واضحاً وجلياً.

الخرافات والحقائق حول الرعاية الوالدية للأولاد في أمريكا

نقدم في ما يأتي لائحة ببعض الشبهات الشائعة مقابل الحقائق حول ما يقدمه الآباء من رعاية وعناية بأطفالهم في أمريكا:

الشبهات الشائعة	الحقائق
• النساء دائماً أفضل في رعاية الأطفال	يمكن أن يتعلق الأطفال بآبائهم بنفس درجة تعلقهم بأمهاتهم.
• من السنوات الأولى، لا يكون الآباء مهمين كثيراً لأطفالهم، لكن يصبح دورهم أهم عندما يكبرون.	• يتعامل الآباء بإحساس عال مع أطفالهم مثل الأمهات.
• تأديب الأطفال هو أهم دور للأب	• يختلف لَعِبُ الآباء الأمريكيين مع أطفالهم عن لعب الأمهات، حيث يختار الآباء الألعاب البدنية واليدوية، ويقضون وقتاً أطول من الأمهات في اللعب معهم نحو(٤٠٪ مقارنة بـ ٢٥٪ مع الأمهات). (Yogman 1981، Parke 1996).
• كون الأب هو القائم على احتياجات أبنائه فلا يتعين عليه قضاء وقت طويل معهم.	• الآباء يملكون الحنان: سجّل الأطفال الذين تلقوا رعاية كاملة من الآباء نتائج فوق العادية في الاختبارات النموذجية.
• يحتاج الأطفال إلى أن يكونوا أكثر ارتباطاً بأمهاتهم كي ينموا نمواً صحيحاً.	• لأسلوب تربية الأب تأثير كبير على كيفية نمو الأطفال اجتماعياً، حيث إن الآباء الذين يتمتعون بالمحبة والعقلانية والحزم في توجيه أبنائهم ينتجون أطفالاً ذوي كفاءة عالية. بينما الآباء غير المحبين، والذين يميلون إلى العقاب والتسلط ينجبون أطفالاً غير مستقلين، ويميلون إلى الانصراف عن أبنائهم ويكونون عادةً قلقين ومتوترين.
• حينما كنت ابناً لم تكن علاقتي وثيقة بوالدي، وهأنذا رجل على ما يرام، ولا أشكو من أي علة، لذلك ليس مهماً أن تكون علاقتي كأب وثيقة مع طفلي. لا يمكن توجيه اللوم لي على تقصيري كوالد؛ لأن أبي رباني بالطريقة نفسها.	• نحن دائماً مسؤولون عن أفعالنا، حتى إذا لم يكن والدانا قدوة حسنة لنا، فيتعين البحث عن قدوة حسنة خارج البيت.
• نجاحي وتميزي في عملي؛ هو أهم شيء يمكن أن أقدمه لمساعدة أسرتي.	• رفاه الأسرة ومصلحتها يُقدَّمان على العمل، وتعطى الأولوية لهما دائماً.

قال الشاعر قيس بن ذريح: (٦٢٥م – ٦٨٨م)

أتبكِي عَلَى لُبْنَى وأنتَ تركتَها وكُنْتَ عليهَا بالملاَ أنتَ أقدرُ

ويقول الدكتور أسعد الصالح:

ندمنا على فعلٍ ما ينبغي لهُ الصبرُ حلاًّ وليس الندمْ

بعض الآباء والأمهات كثيراً ما يفسدون، ويسيئون، ويعتدون على أطفالهم، ثم يندمون على أفعالهم.

وقد يأتي ندمهم هذا متأخراً جداً! ولات ساعة مندَمِ.

الاحتياجات المختلفة للبنين والبنات في ظل التربية الوالدية

لا أحد يعرف بالضبط ما إذا كان سبب اختلاف احتياجات البنين والبنات يعود إلى الطبيعة أو التنشئة، ومع ذلك يمكن للوالدين القيام بدور حاسم في مساعدة أطفالهم على تلبية احتياجاتهم.

ونذكر في ما يأتي بعض النصائح لتشجيع الصبيان والبنات على القيام بتكاليف الحياة على عاتقهم (مقتبس من Friedman, 1998):

ماذا تحتاج البنت الصغيرة من التربية الوالدية؟

- **الثقة بالنفس:** تحتاج البنات إلى تشجيع متكرر عن طريق استخدام الكلمات والعبارات التي تعزز السمات والصفات المرغوبة، كقول الوالدين للبنت على سبيل المثال: «يا لها من شجاعة أن تصعدي الدرج وحدك دون مساعدة»، ومن المهم أيضاً أن تعرف البنات أن والدَيهن يثقان بهن ويدركان أنهن ذكيات وكفؤات، كما يحسن إعطاء البنات المزيد من الفرص ليكن قائدات، كإتاحة المجال لهن، على سبيل المثال، لاختيار نشاط ما، ووضع القواعد له، وإنهاء النزاعات التي تحدث بين المشاركين فيه، ولا شك أن البنت التي تتدرب على القيادة تكون أقدر على تولي مسؤولية تعليمها وعملها في المستقبل.
- **الاكتفاء الذاتي:** من المهم أن تشعر البنات الصغيرات أنهن كفؤات، وذلك بالسماح لهن بإنجاز كل ما يستطعن دون مساعدة أحد كحمل كوب من العصير، أو تسريح شعرهن، أو بناء برج في لعبة المكعبات، ومن المفيد تذكير البنات أن العديد من النساء قد يحتجن للعمل معظم حياتهن، لذلك تحتاج الفتاة إلى أن تكون مستعدة لإعالة نفسها، ويستشهد الوالدان بأمثلة إيجابية من نساء قدوات صالحات يجمعن بين أعباء العمل والأنشطة التطوعية والحياة الأسرية.
- **العلاقات المكانية والتنسيق:** يحسن أن يوفَّر للبنت لعبٌ ودمى متنوعة لتلهى بها، بما في ذلك الشاحنات والسيارات، ومكعبات البناء، واللعب التي تُعبّأ بالماء، ومجموعة متنوعة من الكرات، ولُعبٌ يمكن أن تركب عليها أو أن تتسلقها.
- **اللياقة البدنية:** يلعب الوالدان مباريات فيها نشاط حركي مع ابنتهما، مثل: الزحف، أما البنات اللاتي لا يزلن صغيرات جداً، ولا يقدرن على ممارسة الرياضة المنظمة؛ فيمكنهن الاستفادة من المساحة الواسعة للملعب في هذه المباريات، ومن مضامير الركض؛ لممارسة النشاطات الحركية الأخرى، كرياضة الشقلبة اليدوية مثلاً. كما يجدر بالوالدين عدم الاهتمام بما يحدث من عواقب هذه الممارسة، وعدم الانزعاج إذا ما اتسخ شعر ابنتهم أو ملابسها أو بدنها، أو عندما تفوح منها رائحة العرق عند تسلق الأشجار أو اللعب في العشب، كذلك ينبغي تشجيعها على اللعب بالطين والرمل، أو المشاركة في الألعاب الرياضية في الهواء الطلق.

- **مهارات صنع القرار:** على الآباء إتاحة المجال لابنتهما في الاختيار، وتحمل مسؤولية قراراتها التي تتخذها، ولتدريبها على ذلك يمكن أن يدعماها، وهي ما تزال في سن الرضاعة، تختار الكوب أو الصحن اللذين تحب أن تستخدمهما في وجباتها، كذلك أن يدعماها مثلاً في اختيار الصديقة التي تود دعوتها للعب معها.
- **حب الاستطلاع:** تحتاج البنت إلى أن توفَّر لها كل فرصة ممكنة لاستكشاف بيئتها المحيطة بها، فعندما تكون طفلة يتعين أن يعد المنزل إعداداً آمناً لها كي تتجول بأمان في أنحائه، وينصح الوالدان أيضاً أن يأخذا ابنتهما في رحلات خارج المنزل: إلى المكتبة، والحديقة، وحديقة الحيوانات، والمتجر، والسوق الشعبي، وأماكن العبادة، كذلك يمكن أن يطلب الوالدان من مدرسة طفلتهما أن تنظم لتلميذاتها زيارات إلى مزارع، ومصانع، وورش عمل حرفية، وحدائق، ومحاكم، ومراكز أخرى ذات أهمية تربوية.
- **انطباع البنت حول جسمها:** يجمل بالوالدين التركيز على الإنجاز الذي تحققه البنت أكثر من تركيزهم على مظهرها الخارجي، ومن الأفضل التحدث مع ابنتهما مُسهباً حول ما يمكن أن تنجزه، بدلاً من إطالة الحديث في موضوع مدى جمالها في ملابسها التي تلبسها، وتكرار استخدام العبارات التي تركز على هذا الجانب فقط، فعلى سبيل المثال، يفضّل أن يقولا لها: «لقد قمت بعمل رائع»، بدلاً من «تبدين جميلة اليوم.»
- **مهارات التحليل النقدي:** إذا كان الأطفال يشاهدون التلفاز والأفلام؛ فيمكن للوالدين العمل على أن ينال أبناؤهم النظرة الناقدة لما يشاهدونه على الشاشة لمناقشته معاً والبحث عن الأدوار «التقليدية»، على سبيل المثال، إجراء نقاش حول ما يعرض على شاشة التلفاز من أجساد النساء، وإغناء النقاش بطرح مثل هذه التساؤلات: هل تقدم الفتيات السمينات في شاشات التلفزة والأفلام على أنهن غير محبوبات؟ وهل يراد من إظهار صورتهن كأداة ترفيه للناس بقالب هزلي؟ وهل تعرض أجساد الفتيات بقصد الإغراء وجعلهن رموزاً للجنس؟ وهل يُظهر الإعلام المرئي هذه الفتيات على أنهن ذكيات، أم على أنهن جسد جميل فحسب؟
- **الكفاءة في الرياضيات والعلوم:** يتعين أن توفر للبنت الفرص التي تتيح لها ممارسة المواد العلمية، مثل العلوم والرياضيات والتكنولوجيا، وعلى الرغم من أنه يتوفر عند البنات الاستعداد والرغبة والحرص على استكشاف العالم، إلا أنه في كثير من الأحيان لا تتوفر لهن التجربة أو التشجيع على ذلك.
- **كنّ قدوة عملية:** يحسن بالأمهات والعمات والخالات وغيرهن من النساء الأقارب، أن يكنّ قدوة للبنت في احترامهن لأنفسهن وغيرهن من النساء؛ حتى يكون ذلك دافعاً لها للتغلب على النظرة السائدة عن البنات بأنهن لا يتعدّين أن يكنّ: «السكّر والتوابل وكل شيء جميل.»

ماذا يحتاج الولد الصغير من التربية الوالدية؟

- **قدوة من الذكور:** إذا لم يتخذ الأولاد في أحوالهم جميعهما فرداً من القدوة والنماذج الحسنة من الذكور، فسوف يستقون معلوماتهم من وسائل الثقافة السائدة، مثل: الرياضة، والتلفاز، والإنترنت التي تعرّف الرجولة على أنها تشمل أربعة أمور أساسية: الجنس، والعنف، والرياضة والممتلكات المادية. ومن واجب الوالدين، كونهما مقدمي الرعاية لأولادهما، إعادة التفكير في العلاقة بين الرجال والنساء والصبيان على أسس سليمة.
- **العاطفة الجسدية:** يحتاج الصبيان إلى الحضن الدافئ والحنان بقدر حاجة الفتيات الصغيرات، لذلك على الوالدين تطمين ابنهما عندما يبكي، وأن يقضوا معه وقتاً في القيام بألعاب لطيفة، والحفاظ على استمرار التحاضن معه وهو يتقدم بالعمر.
- **المهارات اللفظية:** ينبغي على الوالدين الحديث مع ابنهما كثيراً حتى في مرحلة الطفولة، لأن صوتهما يمده بالراحة والطمأنينة والتشجيع؛ الأمر الذي يساعده على تطوير لغته وأفكاره.

- **الاهتمام بالآخرين:** من المهم أن يشرح الوالدان لابنهما تأثير أفعاله في الأشخاص الآخرين، ويدّرب على الانضباط ولا يعاقب، لأن عقاب الأولاد يجعلهم يركزون على ما تسبب به العقاب من ألم لهم، بدلاً من معرفة الأثر الذي يسببه سوء السلوك على والديهم أو رفاقهم في اللعب.
- **مهارات الحلول السلمية:** يحتاج البنون إلى تعليمهم طرائق بناءة في إنهاء الخلافات التي تقع لهم، فإذا لجأوا إلى الضرب أو العض في خلافاتهم مثلاً، كما يفعل الكثيرون في مرحلة الطفولة، فيجدر بالوالدين أن يبيّنوا لهم أن إلحاق الأذى بالآخرين أمر لا يمكن تحمله، وأن يقترحا عليهم سبلاً أخرى كي يعبّروا عن غضبهم في المواقف المماثلة.
- **المسؤولية عن أفعاله:** من المهم تجنب تطبيق المعايير المزدوجة بين البنين والبنات، فإذا عدّ الوالدان أن هناك بعض السلوكيات غير المقبولة من ابنتهما، فيجدر تطبيق المعايير نفسها في الحكم على سلوكيات ابنهم، ولا يتذرعان بقولهم: «الصبيان صبيان» ليتسامحا مع ابنهما.
- **التعبير عن العواطف:** يتعين تشجيع الصبيان على التعبير عن مشاعرهم، بما في ذلك البكاء، وإذا مُنع الصبيان من إظهار مشاعرهم بالحزن لأنهم ذكور، يؤدي ذلك إلى قمع هذه المشاعر واكتسابها عندما يكبرون أيضاً.

ردود عقلانية على الفروقات بين الجنسين في التربية الوالدية

يمكن للوالدين المساهمة الكبيرة في جعل الأطفال يشعرون بالارتياح للفروقات القائمة بين البنين والبنات، إذ:

- بمقدورهم أن يردوا على ملاحظات ابنتهما، واكتشافاتها للفروق بين الجنسين بتوجيهها التوجيه السليم في شرح الأمر.
- يمكن للوالدين أن يكونا قدوة في السلوك الذي يريدان لأولادهما الالتزام به، على سبيل المثال أن يتأكدا من أن يرى ابنهما أمه تقص العشب، وتقود السيارة، وأن يرى أباه ينظف الغبار، أو يطبخ، أو يغسل الأطباق، ونجد في بعض الأرياف أن معظم العمل الشاق مثل: جلب الماء إلى المنزل، والعمل في الحقول تقوم به النساء.

يجب على الآباء والأمهات أن يكونوا على وعي بما يأتي:

- القلق إذا ظهر في سلوك طفلهم أثناء اللعب عدوانية، وليس مهماً أن يرغب الولد (صبي أو بنت) اللعب بدمى باربي أو أن يلبس ملابس نسائية أحياناً، بينما إذا كان هذا الفعل هو كل ما يريد أن يقوم به ولا يرغب أن يقوم بشئٍ غيره، أو إذا كان يكثر من تكرار اللعب بهذه الأشياء وباستمرار فهنا تحتاج هذه المشكلة للحل.
- في حالات قليلة قد يتحدث بعض الأطفال الذين يعانون من الكآبة عن أمنيتهم في أن تكون أجسامهم مختلفة، خاصة أعضاءهم الجنسية، فيتعين على الوالدين في هذه الحالة أن يشعروا بالقلق إذا تعدى الحديث المجرد من طفلهم إلى محاولة عملية، أو حتى التحدث عن تشويه جسمه، فعندها يحسن طلب مساعدة متخصصة.
- لا يصح أن ينظر الوالدان إلى مزاج طفلهم السائد على أنه مرض، فإذا كان ابنهما غير سعيد أو مكتئباً أو قلقاً أو مهموماً، فيحسن عرضه على طبيب أطفال نفساني متخصص في اكتئاب الأطفال واضطرابهم؛ ليتأكد من مدى خطورة ما يعاني منه.

- قد يكون العلاج بالعقاقير خطيراً، لذلك لا ينصح بتقديم الأدوية للأطفال بسهولة، في حين ينصح بتوفير العلاج القائم على التحاور والحديث معهم.
- ليس من المهم أن تجد من تلقي باللائمة عليه من الوالدين، فمن المرجح أن تكون الأشياء التي يحبها الطفل، والتي تصنف على أنها غير عادية وغريبة، لا علاقة لها بما فعله الوالدان.

الاختلاف في التعلم بين البنين والبنات

«يستوعب الصبيان والبنات المعلومات استيعاباً متفاوتاً منذ المرحلة الزمنية التي تسبق دخولهم المدرسة، بمعدلات مختلفة، ولأسباب مختلفة، وحسب مقاييس النجاح المختلفة» (Gurian, 2001) حيث يكون الصبيان عادةً أكثر اهتماماً في المجسمات والأشياء، بينما تركّز البنات على الناس والعلاقات. أما في مرحلة المدرسة الابتدائية؛ يكون تحديد موقع فرنسا على الخريطة أسهل على الصبيان عادةً، في حين يكون أسهل على الفتيات تعلم اللغة الفرنسية، كما أن الصبيان أفضل من البنات في انتقاء الإجابة الصحيحة بين عدة إجابات والتأشير عليها، على حين تتفوق البنات في الاستماع إلى الأسئلة وكتابة الإجابة عنها، ولا نزال مع ذلك، -وياللأسف-، نعلّم البنين والبنات بالطريقة نفسها، وهو أمر يؤدي إلى الإخفاق وسوء السلوك.

ومما لا شك فيه أننا نستطيع أن نحسِّن المستوى الدراسي لكثير من الأولاد ضعيفي الأداء إذا أدركنا الاختلافات بين البنين والبنات، وتمكنا تثقيف أنفسنا حول أسلوب وطريقة مساعدتهم على النجاح والتفوق، وفي هذا السياق استخدمت استراتيجيات (مايكل غوريان) الناجحة في تحويل الطلبة المتأخرين دراسياً إلى طلبة متفوقين، ويمكن أن يستفيد كل فصل دراسي من هذه الاستراتيجية؛ لأنها تعزز جوانب القوة عند البنين والبنات وتساعدهم على التغلب على جوانب ضعفهم. وتفصيل استراتيجيات (مايكل غوريان) على النحو الآتي:

- **للبنات:** يتعين على الوالدين تعزيز قدراتهن القيادية، وتشجيعهن على ممارسة ألعاب تتضمن الحركة واستخدام مهاراتهن الكتابية، وتيسير إتقانهن استخدام الحاسوب، وتشجيعهن على دخول المنافسات في مجال الرياضيات والعلوم.
- **للبنين:** يحسن بالوالدين تشجيعهم على توظيف طاقتهم في التنظيف، والمساعدة في الأعمال المنزلية عامة، ونقل الأشياء في أنحاء المنزل؛ ومساعدتهم على التحكم بمشاعرهم، مثل: الغضب والحزن والسعادة، وسرد القصص والأساطير لهم لتطوير قدرتهم الدماغية على التخيل، إضافة إلى تطوير مهاراتهم اللفظية، والسماح لهم بممارسة النشاط الحركي، مثل الألعاب البهلوانية، وتثقيفهم إعلامياً، وجعلهم يشتركون في حل النزاعات، والتدريب على خدمة المجتمع.

وتثير قضية التعليم غير المختلط بين الجنسين جدلاً كبيراً، إضافة إلى أن البنين والبنات يتعلمون بطريقة مختلفة، فذلك يستلزم استخدام أساليب تدريس مختلفة داخل الصفوف الدراسية، وتبرز هنا الأسئلة الآتية: لماذا لا تستخدم غرف دراسية للبنين منفصلة عن الغرف الدراسية للبنات للوصول إلى تعليم أكثر كفاءة وفعالية؟ وكيف يمكننا استخدام أسلوبين مختلفين في فصل دراسي واحد في آنٍ واحد بما يناسب الجنسين؟ وهل يمكننا فعل ذلك؟

وإذا فعلنا جميع ما ذكرناه في التساؤلات أعلاه، فكم نحتاج من الوقت والمال للوصول إلى نتائج فعالة؟

يوصي (Michael Gilbert, 2007) بعدم الاختلاط في المدارس، ونلخص مقاله على الإنترنت بهذه المقاطع:

قرر المخططون في المجال التربوي في الستينيات خلط الجنسين في المدارس في عمر مبكر خوفاً من أن يؤول الفصل بينهما إلى عدم المساواة، كذلك سعياً منهم لكسر القوالب السائدة التي تخص كلا الجنسين، لقد كانت أكثر الصفوف الدراسية في المدارس العامة في أمريكا عام ١٩٦٥ غير مختلطة؛ وبحلول عام ٢٠٠٠ أصبح من النادر أن نجد مدارس تخلو من الاختلاط.

ومن الجدير ذكره أن التحصيل الدراسي للبنين

أضعف من مستوى البنات، كما أن البنين يتركون الدراسة بأعداد أكبر. والفتيان الذين يتمكنون من الانضمام إلى الجامعة يجدون أنفسهم أقلية، إذ تفوقهم الطالبات في العدد بنسبة تتراوح من ضعفين إلى ثلاثة أضعاف تقريباً.

وعندما يصل الصبيان الصغار حالياً في الولايات المتحدة إلى المدرسة، يدخلون عالماً يتحكم فيه المدرّسات والإداريات، فنسبة المعلمين الذكور في المدارس الحكومية قطرياً هي الآن في أدنى مستوى لها منذ ٤٠ سنة. وتقرأ التلميذات في هذه المدارس قراءة أسرع من التلاميذ، ويتحكمن بعواطفهن على نحو أفضل من التلاميذ، كما أنهن أكثر ارتياحاً في ما يخص التركيز والاندماج والمشاركة الفعالة في التعليم الذي يتبع طرائق التعليم التعاوني المشترك ضمن مجموعات؛ إذ يركز أيضاً على التعبير عن المشاعر، في حين يفضل التلاميذ التعامل البصري، ولا يملكون السيطرة على حركات اليد التي تتقنها التلميذات بسهولة ويسر في الصفوف الدراسية الأولى، أما حين يكون هناك عمل أو نشاط بدني، أو منافسة حركية، أو بناء، فنادراً ألا يتقنها التلاميذ؛ إذ إنهم مستعدون للقيام بأي شيء إلا التعبير عن مشاعرهم.

يفرض التعليم المختلط الحاجة إلى إيجاد مواد تعليمية، وإلى مراقبة للبس الزي الموحد، وإلى معايير للسلوك لا يظهر فيها أي تحيز لجنس على آخر، ونتيجة لذلك، تحول مصطلح «يساوي» إلى «يماثل» أو «يطابق» في السبيل إلى الوصول إلى عالم متوازن في موضوع الفرق بين الجنسين في مدارسنا، ولكن تبقى هناك مشكلة أساسية وهي: أن البنين والبنات ليسوا متماثلين، ولا يتطورون وينمون بالطريقة نفسها ولا في الوقت نفسه، ويعرف تماماً أغلب الآباء والأمهات ممن لديهم بنون وبنات أن الأبناء الذكور يتطورون وينمون ببطء أكثر من الإناث في الأشياء كلها، في المفردات وخط اليد والقدرة على الجلوس بيسر وسهولة.

ويجد الأولاد صعوبة في التركيز داخل الصفوف الدراسية، وهم غالباً ما يتجاهلون التعليمات، ويكون أداؤهم العام غير متقن، وهم عرضة للمعاناة من اضطرابات النمو ثلاث إلى أربع مرات أكثر من البنات، وعرضة لأن يعانوا من صعوبات في التعلم ضعف ما يمكن أن تتعرض له البنات غالباً. كما يعاقب العديد من الأولاد على غضبهم المفاجئ، الذي قد يؤدي إلى إيذاء جسدي، وتجري السيطرة والرقابة عليهم بالعلاج بالأدوية؛ لأنهم يتصرفون كمجرد، أولاد فمثلاً (١-٥) من الصبيان القوقازيين يُعطون الريتالين، (وهو مسكن قوي لفترات معينة)، بل يمكن ألا يسمح لهم بالجري في أثناء الاستراحة وبين الحصص الدراسية.

يكون الأولاد في المدرسة الابتدائية أكثر عرضة للرسوب بنسبة ٥٠٪ من البنات، كما أن نسبة تركهم المدرسة الثانوية أكثر بنحو الثلث من البنات، ويعد الصبيان من الأقليات والأسر ذات الدخل المحدود؛ الأكثر معاناة من هذا الأمر، وتبين في نهاية الأمر أن النظام التعليمي الأمريكي ينتج أعداداً كبيرة من الفتيان لا يملكون استعدادات وغير مهتمين بمواصلة تعليمهم، حتى لو أظهر لهم أن له تأثيراً كبيراً يحقق لهم دخلاً مادياً وفيراً في المستقبل، وهذا أمرٌ لا تُحمد عقباه في نهاية المطاف على الرجال والنساء ومستقبل البلاد الاقتصادي أيضاً.

يعني هذا أن الصبيان غالباً ما تكون بداياتهم في المدرسة غير موفقة، وهم يخفقون باستدراك ما فاتهم من الدراسة، وكثيراً ما ينشأ عندهم نفور منها.

تنوه مرغريت ميد (Margaret Mead) إضافة إلى علماء الأنثروبولوجيا الآخرين، إلى أن الثقافات المتطورة جميعها تقريباً؛ دربت البنين والبنات وأعدتهم منفصلين ومن دون اختلاط الجنسين.

ومن بين ٩٠,٠٠٠ من المدارس المختلطة في أمريكا هناك أقل من ٢٥٠ مدرسة عامة غير مختلطة في ٣٣ ولاية، وقد كان عدم الاختلاط في المدارس الدينية والخاصة منتشراً في أمريكا منذ زمن طويل.

حيث كانت هذه المدارس ناجحة ومزدهرة ومتطورة، ونذكر مثالاً على ذلك لطلبة الصف الرابع في مدرسة فلوريدا الابتدائية، عندما وُضِعُوا في صفوف غير مختلطة، حققت طلبتها، ارتفاعاً مذهلاً في الاختبارات، وأظهرت تجارب أخرى أجريت في الولايات المتحدة وكندا وإيرلندا نتائج إيجابية مذهلة أكدت تفوق البنين والبنات عندما يبتعدون عن المنافسة والضغوطات الاجتماعية التي يعانون منها؛ بسبب وجود الجنس الآخر معهم في نفس الصفوف الدراسية المختلطة، كذلك بينت الدراسات انخفاض نسبة مشكلات الانضباط للطلبة في مثل هذه المدارس غير المختلطة.

وهناك نتائج إيجابية تَظهر من التعليم غير المختلط للبنين والبنات، وهي تشمل التفوق في القراءة، وتعلم اللغة الأجنبية، وقضاء وقت أطول في حل الواجبات المدرسية والإقبال على الدراسة، وبروز الطموحات في إكمال التعليم العالي.

كما أظهر تقرير الجمعية الوطنية لمجالس الدولة للتربية والتعليم National Association of State Boards of Education (NASBE) عام ٢٠٠٢ «أن الآثار الإيجابية في المدارس غير المختلطة أعظم ظهوراً على البنات، وكذلك على الطلبة من الأقليات من كلا الجنسين.»

الفصل بين البنين والبنات في المدارس والصفوف الدراسية

كان القائمون على إدارة مدرسة غرين كاونتي، في ولاية جورجيا في الولايات المتحدة الأمريكية، يخططون لتكون مدرستهم أول مدرسة في أمريكا غير مختلطة بالكامل، ويوضع فيها الطلاب والطالبات في غرف دراسية منفصلة، لقد اتخذ هذا القرار بعد سنوات عدة من تكرار حصول الطلبة على نتائج متدنية في الامتحانات، كذلك من ارتفاع معدلات ترك المدرسة، وضبط حالات حمل بأعداد كبيرة بين الطالبات المراهقات، إلا أنه في نهاية الأمر عارض كثير من الآباء والأمهات والمعلمين التغيير بسبب عدم مشاورتهم في هذا الأمر، ودفنت هذه المحاولة في مهدها.

قال مراقب مدرسة ماك ولوف: إن الطلاب والطالبات يختلفون في طريقة تعلمهم، ومن شأن فصلهم أن يفرض على المعلمين تخطيط دروسهم وفقاً للمتطلبات الخاصة لكل جنس، كذلك فإن الطلاب سوف لن يكثروا من إساءة التصرف في الصفوف الدراسية؛ لأنهم سيكونون غير منشغلين في محاولة إثارة إعجاب الطالبات، ومن ناحية أخرى، من المرجح أن الطالبات سيرفعن أصواتهن في الصف الدراسي، لأنهن أقل شعوراً بالحرج من أن يبدين ذكيات أمام الصبيان، بخلاف ما يحصل عادة عند وجود الطلاب معهن في الصف الدراسي نفسه. (India Times, 2008).

يلتزم نظام الصفوف غير المختلطة بتخطيط الدروس على النحو الذي يتناسب مع جوانب القوة عند «الجنسين» واحتياجاتهما، وخلاصة الأمر أن الطلاب والطالبات يتعلمون بطريقة مختلفة، ولسوف يكونون أكثر نجاحاً إذا صممت الدروس وفقاً لاحتياجات كل جنس منهم على حدة.

ويؤكد ساكس (Sax, 2006) أن الشعوب لا تدرك حقيقة الفروق بين الجنسين، ويعتقد أن عرضه للنقاش لا يعد أمراً صائباً سياسياً، ونتيجة لهذه الأفكار فإن المدارس لا تساعد الطلبة في استثمار إمكاناتهم الاستثمار الأمثل، ونحن بغير قصد ندفع الطالبات إلى عدم الإقدام على دراسة علوم الحاسوب مثلاً، كذلك ندفع الطلاب إلى عدم الإقدام على الدراسة في تخصصات معينة مثل: الفن واللغات. وبيّن جوريان (Gurian, 2001) أن البنات عادة ينصتن أفضل من البنين، كذلك هن أكثر حساسية للضوء. وأشار إلى أن البنين يحتاجون غالباً إلى الحركة والنشاط؛ كي يبقوا متيقظين متنبهين، في حين أن البنات أكثر ميلاً إلى السلوك المؤدب، إضافة إلى أنهن أفضل انتباهاً وتركيزاً من البنين، وقد استخدمت أساليب تدريس مختلفة للتعامل مع مثل هذه الاختلافات (Chandler and Glod, 2008).

وعلى هذا نوصي بتطبيق النظام الآتي، الذي نفذ

بنجاح في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا (IIUM)، في مدرستها للمراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية:

١. من الحضانة حتى الصف الثالث: لا يفصل بين الطلاب والطالبات، ويقوم على تعليمهم مدرسات.

٢. من الصف الرابع إلى الصف السادس: يوضع الطلاب والطالبات في غرف دراسية منفصلة ولكن يدرسون في المدرسة نفسها، ويسمح بالاختلاط في الأنشطة وأثناء الاستراحة، ومع ذلك، فمن الممكن للطلاب والطالبات في هذه المرحلة أن يجتمعوا في الصفوف الدراسية نفسها ولكن منفصلين، كل في جهة من غرفة الصف، على النحو الآتي:

النموذج المقترح للصفوف الدراسية (الصف ٤-٦)	
أولاد	بنات

٣. الصفان السابع والثامن: مدارس منفصلة للطلاب والطالبات، ويفضل أن يكون المعلمون من الجنس نفسه، حيث إن الطلبة من ١٣ حتى ١٤ سنة يكونون في مرحلة بلوغ حساسة جداً، ومن الخطورة خلطهم قبل أن يفهموا خطورة الاعتداء الجنسي.

٤. الصف التاسع إلى الصف الثاني عشر: مدارس منفصلة مع معلمين من الجنس نفسه فقط.

٥. التعليم الجامعي: الفتيان والفتيات في الصفوف الدراسية نفسها، ولكن يجلسون في خطين عموديين متباعدين، وعادة ما يتصرف المراهقون بمسؤولية في هذه المرحلة العمرية، وقد ينجحون في اختيار الزوج المستقبلي، لا سيما عندما يسهم أعضاء هيئة التدريس والوالدان في تقديم الدعم والتوجيه المناسبين، وهذا ما حدث في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، وهو وضعٌ مرضٍ للجميع، ولأجل هذا الغرض تعقد دورة عن تربية الأولاد للطلبة جميعهم.

التربية الوالدية ونوع الجنس من منظور إسلامي

عندما جاء الإسلام في عام ٦١٠م كان يتحكم بثقافة المجتمع العربي الأفكار الذكورية والشوفينية (العدائية أو العنجهية في التعامل مع المخالف)؛ كما كان إنجاب الإناث وصمة عار وخزي.

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (النحل:٥٨).

كان الرد القرآني على هذه الثقافة أن الله تعالى، هو الذي يهب الإنسان الأولاد، سواء أكانوا جميعهم إناثاً، أو ذكوراً، أو كانوا من الجنسين معاً، هدية منه وهبة:

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ (الشورى: ٤٩).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات:١٣).

ينحدر البشر جميعهم من ذكر واحد (آدم) وأنثى واحدة (حواء)، وعندما يتعلق الأمر بالأدوار المحددة للجنسين، فقد أسس الرسول ﷺ لكل العصور المفاهيم والممارسات الآتي ذكرها في وسط هذا المجتمع العربي الذي يسيطر عليه الرجال وينفردون به:

- قال رسول الله ﷺ: «خيرُكم خيرُكم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي» (الترمذي وابن ماجه).

كان الرسول ﷺ يساعد في الأعمال المنزلية:

حدّثت عائشة وأم سلمة عن النبي ﷺ أنه: «كان يَخيط ثوبَه، ويخصفُ نعله، ويعملُ ما يعملُ الرجالُ في بيوتهم ...» (أحمد).

– لم يقسم النبي ﷺ الأدوار المتعددة إلى مجموعتين مميزتين فقال: إن هذه «وظيفة للمرأة» وهذه «وظيفة للرجل». وعند الدخول في موضوع الأدوار التكوينية: الأمومة والحمل والرضاعة الطبيعية، فقد قرر القرآن واجباً على الأب يتمثل في تقديم الدعم الكامل، المادي والعاطفي والنفسي للأم وللطفل زيادة على ذلك، فإن النبي عليه السلام كرم الأمهات تكريماً لم يحظ به الأب.

قال مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السُّلَمِيِّ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: «وَيْحَكَ، أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «ارْجِعْ فَبَرَّهَا» ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: «وَيْحَكَ، أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَبَرَّهَا» ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ أَمَامِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: «وَيْحَكَ، أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَيْحَكَ، الْزَمْ رِجْلَهَا، فَثَمَّ الْجَنَّةُ» (ابن ماجه).

– كذلك حث النبي ﷺ على العدل والمساواة بين الجنسين، وكان قدوة في حياته الخاصة بإنجاز الأعمال المختلفة داخل بيته؛ الأمر الذي كان يُعدُّ ثورة وتغييراً في مناخ ثقافة عربية ووثنية متعصبة للذكورية.

الحزم في تحريم العلاقات الجنسية خارج إطار الزوجية

الإسلام حازم في تحريم أي علاقة جنسية خارج إطار الزواج بين الرجل والمرأة، وهذه القاعدة مبنية على أساس حماية الأسرة والمجتمع من الأمراض ومن كل ما من شأنه أن يقوضها أو يفككها، ولا يقبل الإسلام الحل الوسط في هذا الأمر، ويغلق السبل جميعها التي تؤدي إلى الاتصال الجنسي غير المشروع، مثل: شرب الخمور، وتعاطي المخدرات، والتحرش، وطرائق الإثارة والإغواء، كذلك يؤكد الإسلام إجراءً مهماً لحماية الأسرة، يتمثل في فصل نوم الأشقاء عند سن العاشرة، حيث يعمل على فصلهم في سرر منفصلة عند النوم للوقاية من أي مشكلات جنسية قد تقع.

قال رسول الله ﷺ: «مُروا صبيانَكم بالصلاة لسبعِ سنين، واضربوهم عليها لعشرِ سنين، وفرّقوا بينهم في المضاجع» (أحمد وأبو داود).

– يُعدّ الإسلام البنات لأدوار الأمومة ورعاية الأطفال، وكذلك للعمل خارج المنزل، والقيام بأدوار مختلفة في المجتمع، بما في ذلك المشاركة الفعالة في الجيش، إذ شاركت النساء في عهد النبي ﷺ الرجال في الجهاد في سبيل الله تطبيب الجرحى ومداواة المرضى.

وعلى النساء أن يكن مشاركات ناشطات في المجتمع سواء بمشاركة رسمية أو غير رسمية، وبدوام كامل أو بدوام جزئي، وبأجر أو من دون أجر في الأعمال التطوعية، وبأنشطة سياسية أو غير سياسية، وذلك بعد أن يبلغ أطفالهن سنّاً معينة، ويتعين تشجيع كل ما يناسب أوضاع النساء من عمل، من اختيار المهنة والتدريب والتجربة والاحتياجات الاقتصادية، وليس هذا مجرد واجب عليهن، ولكنه حقٌّ من حقوقهن الخاصة، في حين أن دعم أفراد الأسرة يُعدُّ واجباً على الرجل.

وتترك بعض التفاصيل في دور الجنسين لثقافة العصر كي تحددها، فعلى سبيل المثال، كان شعر الرجل في زمن الرسول ﷺ طويلاً، وكان الشعر الطويل للرجل في الغرب في منتصف التسعينيات، يحول دون حصوله على وظيفة مناسبة، ولكن أصبح الشعر الطويل الآن في القرن الحادي والعشرين مقبولاً ولا عيب فيه.

ومن ناحية أخرى، كانت الأعمال الشاقة في الماضي تسند إلى الرجال؛ لأنها كانت تتطلب بنية جسدية قوية، أما في أيامنا هذه، فإن العديد من الأعمال الشاقة لا تتطلب عضلات أو قوة بدنية، وذلك بسبب توافر تقنية المعلومات والإلكترونيات وأجهزة الحاسوب، وهناك اليوم مهن وحرف معينة مثل: الهندسة، والبناء، والنقل، يمكن أن تقوم بها المرأة بسهولة، كما أن هناك مجالات عمل يقوم بها كل من الرجال والنساء على السواء؛ مثل: التدريس، والمطاعم، والتمريض، وأعمال السكرتارية، وتقانة المعلومات، وإدارة الفنادق.



وعندما يتعلق الأمر بالملابس، فيمكن لكل من الرجال والنساء ارتداء الملابس التي يختارونها ويرتاحون بها، شريطة مراعاة الحشمة والحياء والعفة، وللنساء على ألا تكون ضيقة جداً أو شفافة، وأن تغطي الجسم، وألا تكون مبتذلة. ونجد في بعض البلدان الإسلامية، مثل: باكستان، أن لبس السراويل - التي هي في الغالب من لباس الرجل- جزء من لباس المرأة التقليدي.

ولدى الرجال والنساء الكثير كي يتعلم بعضهم من بعض، ويمكن القول إن هناك بعض الأنوثة في كل رجل وهناك بعض الرجولة في كل امرأة، فكلاهما لديه هرمونات الذكورة والأنوثة معاً، ولكن بنسب متفاوتة عند كل منهما، ولا يعد هذا غريباً على الإطلاق إذا أمعنا النظر في الآيات الآتية:

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧).

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ (آل عمران: ١٩٥).

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (الزمر: ٦).

والموقف الحاسم بين الجنسين هو في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٣٢).

ويخاطب القرآن الكريم البشر جميعهم، لكن في بعض الحالات تخاطب آيات القرآن الذكور وحدهم، أو الإناث وحدهن، عندما يكون هناك دور محدد لأي منهما يراد تنفيذه، وفي الأحوال جميعها، يخاطب القرآن الكريم المرأة والرجل خطاباً مفعماً بالاحترام والتكريم.

منهج الله تعالى هو المنهج الأمثل: أمثلة من الصين وألمانيا والهند

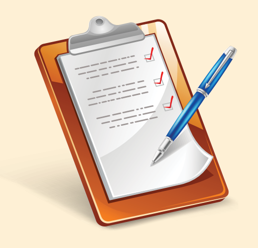
دبر الخالق كل شيء في هذا الكون وفق مقاييس دقيقة، وقدره تقديراً صحيحاً، ووهبنا بيئة متوازنة، وعندما نعبث بالسنن الطبيعية التي أوجدها الله تعالى أو نصطدم بها، لا نلقى إلا الفساد والفوضى؛ وخير مثال على هذا الصين، ففي محاولة للتحكم في النمو السكاني؛ أصدرت الصين قانوناً مثيراً للجدل يقضي على الزوجين الاقتصار على إنجاب طفل واحد فقط لكل أسرة، وإلا يُحرمون من المنافع والمزايا التي تقدمها الدولة لرعاياها، لقد أدى هذا إلى إيجاد مجتمع يتحكم فيه الذكور، لأن الناس يفضلون طفلهم الوحيد أن يكون ذكراً وليس أنثى؛ كي يساعد أسرته في رفع دخلهم المادي بصورة أفضل، واستمر هذا التفضيل لعقود عدة، فسبّب نقصاً كبيراً في عدد النساء، مما أدى إلى انتشار الجرائم، والخطف، والبغاء، ناهيك عن الآثار الضارة لعمليات الإجهاض الكثيرة جداً التي أجريت. هذا الخلل الكارثي دفع الحكومة في نهاية الأمر على إلغاء هذه التجربة الاجتماعية «غير الطبيعية» والسماح للأسر بالعودة إلى حالتها الطبيعية. ويفسر القرآن القانون الإلهي في الخلق على النحو الآتي:

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: ٤٩-٥٠).

التوازن بين الجنسين موجود طبيعياً وفقاً لخلق الله المتقن منذ أن خلق آدم وحواء، وقد حاول النازيون في ألمانيا إجراء التجارب على صفات الأفراد بهدف إيجاد «إنسان خارق القدرة»، وذلك في برنامج شامل يتضمن إجراءات عدة تشمل تحديد الهوية، والعزلة، والتدريب، ومرة أخرى، كانت النتيجة الفشل الكبير لهذه المحاولة.

يشير أغنيفيش وآخرون (Agnivesh et al, 2005) إلى قتل الأجنة الإناث في الهند - الإجهاض الانتقائي للإناث - بحيث أدى إلى وجود «فجوة بين الجنسين» مقلقة، إذ فاق عدد الذكور عدد الإناث بـ ٥٠ مليون. - ويا للأسف- سهّلت التقانة هذا الأمر، فبينما كانت تقتل العديد من الطفلات في الماضي بعد الولادة، أصبح من الأسهل للآباء والأمهات، ومن المربح جداً للأطباء، ممارسة قتل الأجنة من الإناث بوساطة تقنية الموجات فوق الصوتية التي تضمن عدم تعريض الأم للمخاطرة أو الملاحقة القانونية العقابية، فاضطرت الحكومة نتيجة ذلك إلى إدراج الكشف عن جنس الجنين عن طريق الفحص بالموجات فوق الصوتية ضمن الأعمال غير القانونية التي يعاقب عليها، وذلك في محاولة منها للحد من هذا الفعل.

وكان يُظن أن انتشار هذه الممارسة بين الطبقات الفقيرة والأمية هو بسبب ارتفاع مهور الزواج إضافة إلى العادات المتعلقة بالزواج، لكن قتل الأجنة من الإناث شائع أيضاً بين طبقة الأغنياء والمتعلمين تعليماً عالياً، وهو على ما يبدو يتناسب طرداً مع ارتفاع مستويات التعليم، فهو أقل نسبة بين النساء اللاتي حصلن على التعليم حتى الصف الخامس، وأعلى بين النساء ممن يحملن الشهادات الجامعية، ويجري تهريب فتيات من بنغلاديش الفقيرة ونيبال ومن المناطق القبلية في الهند لبيعهن لغايات الزواج منهن بنحو ٢٠٠ دولار، وهذا أقل من ثمن الثور في تلك البلدان، حيث يصل سعره إلى ١٠٠٠دولار (Hughes et al, 1999). - وللأسف- أنه في كثير من الثقافات في الهند يحتفلون بولادة الذكر على حين ينعون ولادة الأنثى.



الأنشطة

النشاط ٤٥: أشكُرُ الله على ما أنا عليه! الحمد لله

علم طفلك أن يقول ما يأتي مراراً وتكراراً:

- أحمد الله على الأشياء الرائعة جميعها التي منحني إياها.
- أحمد الله على خلقي إنساناً.
- أحمد الله على خلقي بنتاً.
- أحمد الله على خلقي صبياً.
- أحمد الله على خلقي أسود البشرة، أو أبيض البشرة، أو بنّي البشرة، أو أصفر البشرة.
- أحمد الله تعالى على ما أنا عليه الآن.

النشاط ٤٦: النبي ﷺ نموذج الاحتضان العائلي

يقرأ الوالدان مع أولادهما السيرة النبوية (سيرة الرسول ﷺ) ويستنتجون مافيها من دروس وعبِرَ. ويتناقشون حول دور الأسرة الممتدة في تربية الرسول ﷺ، وحمايته؛ منذ أن كان صغيراً إلى بروز دعوته. ويتذاكرون المواقف الرائعة والشجاعة لكل من جدّه عبد المطلب وعمّه أبي طالب، وكيف انعكست هذه التربية والمواقف على شخصية الرسول ﷺ.

يحسن أن ننصح الوالدين أن يرويا لأولادهما تجاربهما الشخصية التي تدور حول موضوع، التدبير الإلهي، ويناقشا معهم القرارات المفصلية التي اتخذاها في حياتهم عند مفترق الطرق، كذلك مناقشة موضوع كيف تعرف أحدهما على الآخر وتزوجا، إضافة إلى موضوع إنجاب أولادهما، وكيف وصلا إلى الحال التي هما عليها اليوم، وكيف أن وراء كل ذلك تدبيراً وتقديراً إلهيين: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (التكوير: ٢٩).



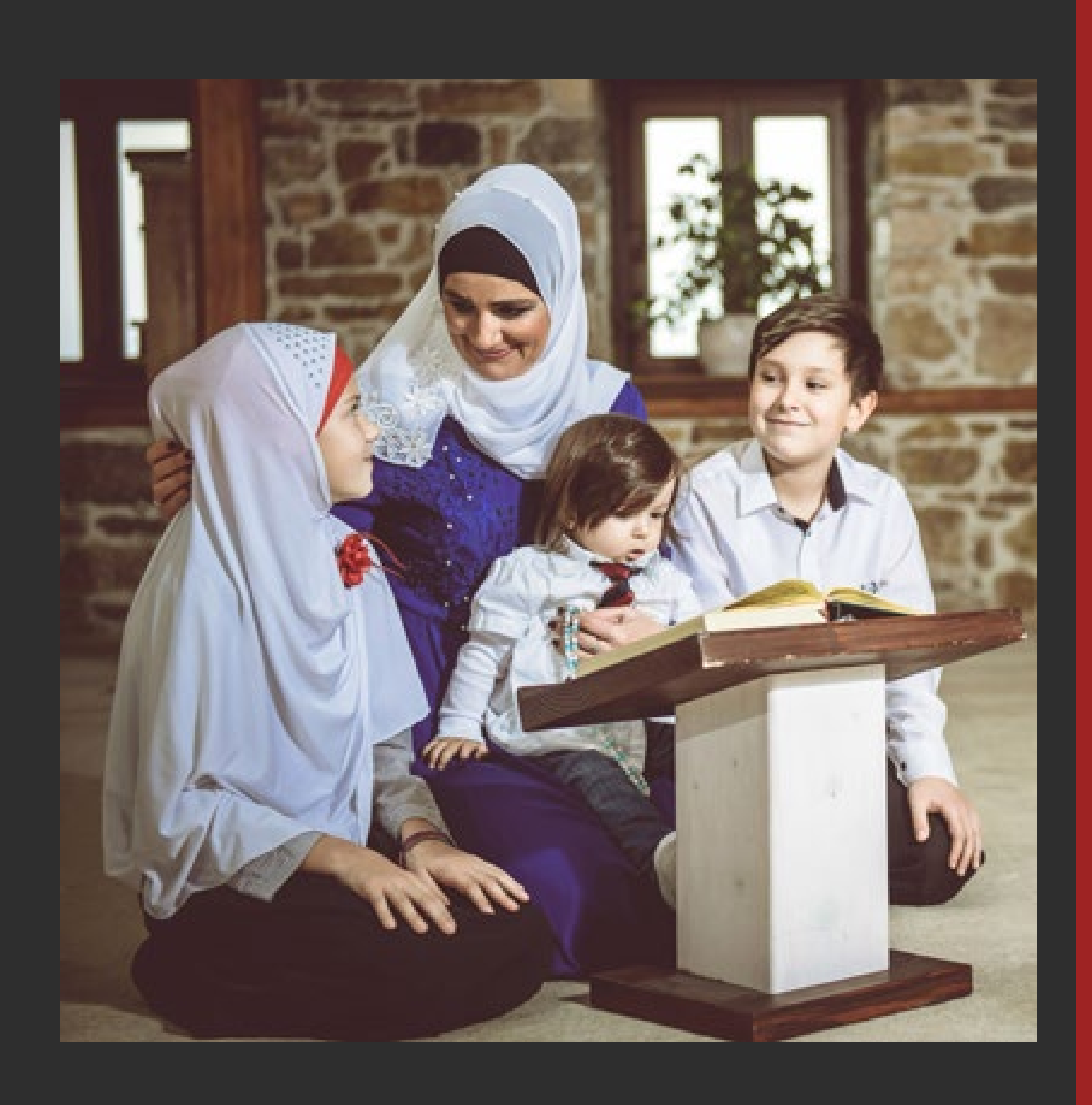
الجزء الثالث [١٤-١٧] معدن الشخصية وبناء صفاتها الأساسية

الفصل الرابع عشر: تعليم الحب والصدق والأمانة والثقة بالنفس واختيار الصحبة الصالحة للأولاد

الفصل الخامس عشر: تنمية الشجاعة والإبداع والشعور بالمسؤولية

الفصل السادس عشر: تعليم الاستقلالية

الفصل السابع عشر: الآثار السلبية للتلفاز والفيديو وألعاب الحاسوب والإنترنت والهواتف الجوّالة



الفصل الرابع عشر

تعليم الحب والصدق والأمانة والثقة بالنفس واختيار الصحبة الصالحة للأولاد

أولاً: تعليم الحب

ثانياً: الصدق والأمانة والثقة بالنفس

ثالثاً: اختيار الصحبة الصالحة للأولاد



أولاً: تعليم الحب

- مقدمة
- أسس التمكين العاطفي
- الحب: مفهوم الذكاء الإبداعي والقرآن
- مفهوم القلب في القرآن
- نصائح مفيدة للآباء والأمهات لمساعدة الأطفال على تكوين شخصية مُحِبّة
- ماذا لو قال لك ولدك: «أكرهُكَ!»
- الطفل الأول
- لماذا يحب الآباء والأمهات أولادهم؟
- الحب وثقة الآباء والأمهات بأنفسهم
- سبل عملية لإنماء المودة والتعاطف
- طرائق متعددة لإشعار أطفالك بحبك: إحصاء
- هل يحسن بالوالدين تعليم الكراهية لأبنائهم؟ أحياناً!
- نشاط ٤٧

مقدمة

يولد الأطفال ولديهم القدرة على الحب، ويقع على كاهل الآباء والأمهات تنمية هذه القدرة وتطويرها. إنهم يبدأون بالاستجابة لمداعبة والديهم وهم في عمر ستة أسابيع. ولا يخفى أن قدرة الوالدين على الحب عامل مؤثر جداً في تطوير قدرة طفلهما عليه، ويبدأ تأثير هذا العامل في الطفل تأثيراً ملحوظاً وهو في عمر ستة أشهر.

إنه لأمر محمود للآباء والأمهات إظهار المودة لأطفالهم، ليس ضمنياً فقط، ولكن صراحة، وبالالتصاق الجسدي أيضاً. كان هناك تقليد شائع بين شريحة من الأمريكيين من أصل أوروبي يتمثل في كبح الالتصاق الجسدي، خاصة بين الأب وابنه، وهذا يفسر في جانب منه السبب الكامن وراء انجذاب الأطفال الأمريكيين إلى الجنس الآخر في وقت مبكر، بسبب نقص المودة الجسدية والحنو من والديهم في مرحلة الطفولة.



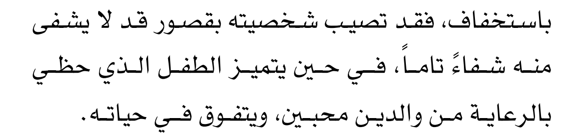
وقد انتقد الدكتور (سبوك) الخبير الأمريكي في التربية الوالدية نقص الحب والمودة والعاطفة بين الآباء والأبناء، فقد نشأ هو نفسه بهذه الطريقة، وأخطأ الخطأ نفسه حين ربّى أطفاله أيضاً بالطريقة نفسها. ومن الجدير ذكره هنا أن الإرشادات الإسلامية في العلاقة القائمة بين الأباء والأبناء تشجع على المصافحة والتقبيل والمعانقة.

ويأخذ الأطفال انطباعهم الأول عن الناس من والديهم، وإذا كان الوالدان من النوع الذي يفيض قلبه بالمحبة، فإن ذلك كفيل بأن ينمي قدرة أطفالهما على الحب، ولسوف يفترض الأطفال بسبب هذا أن الناس جميعهم ودودون، فيألفون الآخرين. ويحسن بالآباء والأمهات تجنب الخلافات غير المهمة مع أطفالهم، حتى إن كان طفلهم صغيراً، كما أنه يتعين وضع الأشياء المؤذية والمواد القابلة للكسر مثل: الأدوية، والنظارات، والسكاكين بعيداً عن متناول طفلهما بحيث لا يستطيع لمسها؛ الأمر الذي سيقلل بدوره من عدد قول: «لا» للطفل. ويتعين تهيئة البيت ليكون بيئة ودية وآمنة للأطفال، جسدياً وعاطفياً.

يبدأ بناء الحب الضروري للطفل بالرضاعة الطبيعية، إضافة إلى الحضن، والابتسام، واللمس، والتقبيل، والتدليك الحنون، مع استخدام ألفاظ الحب والترحيب والتقبل.

ويلاحظ الأطفال مع تقدمهم بالعمر طريقة تصرف والديهم مع الآخرين، سواء أكانا محبين حنونين، أم قاسيين بغيضين، فسوف يؤثر هذا على نظرة الطفل للعالم وسلوكه وميوله تجاه الآخرين أيضاً، وكما يلاحظ الأطفال كيف يتعامل والداهم مع الحيوانات الأليفة وغيرها من الحيوانات والنباتات والبيئة، لذلك يجمل بالآباء والأمهات حين يتعاملون مع الطبيعة إظهار مشاعر المحبة والمودة وحمدهم لله تعالى على الرياح والمطر، والثلج، والشمس، والقمر، والنجوم، وليس شتمها عندما ينزعجان منها.

> الحب هو من أعظم الهدايا التي يقدمها الوالد للطفل أثناء الظروف الحلوة والمرة التي تواجهه في الحياة. فقوة محبة الوالد هي من أشد القوى تأثيراً.



الدفء والتقبل والقبول والترحيب من الوالدين أو أولياء الأمور هي المكونات الأساسية للتنمية العاطفية الصحية للطفل، وهي التي تشكل شخصية الأطفال في المرحلة العمرية من سنتين إلى ثلاث سنوات. وقد يعاني الأطفال الذين عاشوا في دور أيتام تفتقد الحنو والرعاية أو الذين عوملوا بخشونة في دور الحضانة، من قصور في الشخصية مدى حياتهم، وظهرت أمثلة ذلك في الاتحاد السوفييتي سابقاً.

وعندما تهمل أفكار الطفل وعواطفه، وينظر إليها باستخفاف، فقد تصيب شخصيته بقصور قد لا يشفى منه شفاءً تاماً، في حين يتميز الطفل الذي حظي بالرعاية من والدين محبين، ويتفوق في حياته.

أسس التمكين العاطفي

يعزز الوالدان القوة العاطفية عند أطفالهم عندما يغمرونهم بالحب الواضح المرئي، فأظهر لأطفالك فخرك بهم، وفرحك بإنجازاتهم الصغيرة، وبلعبهم اللطيف، ودعهم يلعبون بحرية، في جوٍّ من الأمان دائماً، واقرأ لهم، واعرض عليهم صوراً، وأجب عن أسئلتهم. فالأطفال يدركون أنهم ضعفاء، وعديمو الخبرة، ومعتمدون على غيرهم؛ لذلك يعتمدون على قيادة والديهم وحبهم وطمأنتهم.

يراقب الأطفال والديهم مراقبة دائمة ويشكلون أنفسهم على قالبهما، وهكذا يكتسبون قيمهم وأخلاقهم وقوة شخصيتهم وقدرتهم على مواجهة المواقف المختلفة. وهم يتعلمون من مرحلة الطفولة كيف يكونون مواطنين بالغين، وأزواجاً، وآباء وأمهات، عن طريق مراقبة والديهم وكيفية تأدية هذه الأدوار كلها.

يعبر الآباء والأمهات عن الحب بطرائق لا تعد ولا تحصى، مثل: تعابير الوجه السعيدة، وانفراج أساريرهم عند لقائهم، والإظهار العفوي للمودة في حركات الجسم، والبهجة والفرح لإنجازات أطفالهم، وطمأنتهم عند إصابتهم بضرر أو تخوفهم، والحرص على سلامتهم من أي تهديد، فحب الوالدين هو الذي ينشئ الحب في نفوس الأطفال، فهم ينطلقون من حبهم لوالديهم لتشكيل العلاقات الإيجابية في حياتهم المستقبلية مع الأصدقاء والمعلمين والأزواج والأبناء والجيران والزملاء.

فالأطفال يكتسبون الثقة بأنفسهم من حب والديهم واحترامهما لهم، وهذه الثقة بالنفس تعينهم على الشعور بالارتياح تجاه أنفسهم، وكذلك مع مختلف أنواع الناس لبقية حياتهم، وإن الاحترام والحب من الوالدين هما اللذان يعلمان الأطفال احترام والديهم، وحبهم واحترامهم للآخرين كذلك.

والأطفال في حاجة ماسة إلى تعلم الحب في هذا المجتمع العنيف، كي يسهم ذلك في تعويضهم عن العنف الذي يجدونه في كل مكان حولهم، وإذا لم يعلم الوالدان أطفالهما الثقة بالنفس والحب داخل البيت، فكيف يمكنهم تعلّم ذلك من أي شخص آخر، أو في أي مكان آخر؟

الحب: مفهوم الذكاء الإبداعي والقرآن

يصف القرآن الفؤاد أنه مقر الحدس والإدراك والعاطفة والتعاطف. وأظهر معهد القلب في Boulder Creek في ولاية كاليفورنيا أن القلب أداة قوية في معالجة التصورات والإدراكات، وحل التحديات، وإظهار القيم. فتناغم القلب والدماغ مع الحب هو ما يكوّن ذكاء كاملاً، وذاتاً كاملة، وإن الفؤاد والقلب هما المركزان الروحيان والعاطفيان للجسم.

عندما ينطلق الناس من قلوبهم فإنهم يحبون أن يستكشفوا، ويتعلموا، ويبدعوا، والأطفال يستجيبون ويستمعون أفضل عندما يفعلون ذلك «من قلوبهم». وعندما يكونون «غائبي القلب» يسيطر عليهم الإحباط أو الغضب أو الملل أو الشفقة أو القلق، كما يتصورون مشكلاتهم غير قابلة للحل، ويحافظ الأطفال الذين يتعلمون الحب على البقاء سليمين صحياً ومتوازنين، ويطورون منظوراً كاملاً عن الحياة، ويصبحون أقدر على اتخاذ قرارات حكيمة، والاهتمام اهتماماً أفضل بأنفسهم وبالآخرين، وعندما يكبرون يعلمون أطفالهم كيفية الحب. (Bradley et al 2009)

يبين جولمان في كتابه «الذكاء العاطفي» أن الدروس العاطفية التي يتعلمها الطفل تشكِّل شبكات الدماغ، وأن الذين يتفوقون ويتميزون عادةً ليسوا من الذين يملكون ذكاءً منطقياً عالياً، ولكن ممن لديهم ذكاء عاطفي عالي المستوى. ويشمل الذكاء العاطفي السيطرة على الاندفاعات الآنية، والانضباط الذاتي، والقيم والإيثار والرحمة. (Goleman, 2005).

فالمقولة الشائعة أن قدرات الأطفال الفكرية مستقلة عن قدرتهم على منح الحب وتلقيه غير صحيحة. وإن التصورات والميول العقلية والعاطفية، والاستجابة للأفعال، والقدرة على صناعة القرار، كلها ذات صلة مباشرة بصحة قلوبنا. وتقوم الملكات الإدراكية الحسية العليا في الدماغ بأداء أفضل عندما تكون الإيقاعات الكهربائية المنتجة من القلب متوازنة ومتناغمة، كما يخلق الحب والرعاية والتقدير والرحمة إيقاعات قلبية متوازنة ومتناغمة.

مفهوم القلب في القرآن

يصف القرآن قلب الإنسان بخصالٍ كثيرة، وكلها مؤشرات على أن القلب هو أكثر بكثير من مجرد مضخة ميكانيكية، وأهم أوصاف القلب في القرآن هي أنه مَقَرٌّ لـ:

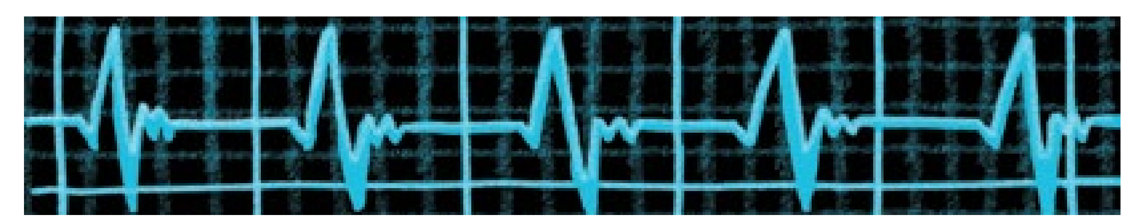
١. الجوانب الإيجابية:

الإيمان – التقوى – الهداية – التعقل – اللين – الخشوع – الخير – القوة – الاطمئنان – الرأفة – الطهارة– الإنابة – الفقه – السكينة – الرحمة

٢. الجوانب السلبية:

المرض (ضعف الإيمان) – الإثم – النفاق – الرعب – القسوة – الزيغ – الإنكار – العمى – الغل – الارتياب – الغمرة (الجهالة) – التحجّر – اللهو والانشغال

يذكر القلب في ١٤٥ موضعاً من القرآن الكريم، والحاجة ماسة لإجراء المزيد من البحوث لتوسيع معرفتنا بالقلب والفؤاد والصدر، مع وجود بعض الإشارات للتمييز بين هذه المصطلحات، وهو أمر ليس سهلاً؛ إذ يحتاج إلى عمق في علم المعاني والبديع وسائر فنون اللغة العربية والتفسير، فيمكن القول أن القلب هو مركز العقل ومحله، وأما الصدر فالقلب محل العقل يقع في صدر البدن وهو الجزء العلوي لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦)، وأما الفؤاد فهو القلب محل العقل وزيادة عليه الإنارة واللمعان بنور الإيمان والفطرة لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل: ٧٨)، وقوله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ (النجم: ١١).



تنمو عند الناس الحكمة، والقوة، ووجاهة اتخاذ القرارات، والتواصل المرموق، عندما تتحقق الموازنة بين العقل والقلب، وبازدياد الحب والحساسية يغدو التواصل أكثر وضوحاً، ويتضاعف التفاهم. ويعزز الحب والرحمة والتقدير من قوة الإبداع والقدرة على حل المشكلات، ومن إمكاناتنا على اتخاذ خيارات دقيقة.

عندما يفتقر الأطفال للحب، ويعيشون بخوف أو قلق دائم، فإنهم يصبحون متوترين ومضطربين، وتقل قدرتهم على التكيف، وبسبب تكيفهم مع التوتر والاضطراب فإن أنماط الخلايا العصبية للدماغ تتبنى على التوتر والضغط النفسي، لذلك فإن الأطفال الذين يفتقرون إلى الحب يواجهون صعوبة أكثر من غيرهم أثناء التعلم، في حين أن الأطفال الذين نشأوا في البيئة المفعمة بالرعاية والاهتمام يحبون التعلم.

ويستجيب القلب للحب، ويمكن قياس ذلك في (جهاز التخطيط الكهربائي) وفي إيقاعات (جهاز قياس تغير نبضات القلب). وتتسبب مشاعر الغضب أو القلق أو الإحباط أو التوتر في عدم توازن وخلل ضربات القلب. يحتاج الأطفال إلى الحب لكي يولد المشاعر الإيجابية والأمل بالمستقبل.

لقد بينت الدكتورة إلهام الطالب (في ورشة دراسية لمركز آدمز ADAMS, 2008) أن مقولتي: «أحبك من كل قلبي» أو «أحبك من أعماق قلبي» هما مقولتان صحيحان في الواقع، إذ إن القلب مركز المشاعر الإنسانية والحب والشعور.



نصائح مفيدة للآباء والأمهات لمساعدة الأطفال على تكوين شخصية محبة

يولد الطفل مهيّأً لكي يحب، والأمر متروك بعد ذلك للوالدين في رعاية تلك الملكة والعمل على تطويرها، فإذا أظهر الوالدان الحب لأطفالهما، فسوف يمكنونهم على الحب في المقابل. ونورد في ما يأتي بعض الخطوات العملية لمساعدة الأطفال على تكوين شخصية محبة.

- **ابدأ عندما يكونون صغاراً جداً**

اغرس الحب في طفلك بأن تغدق عليه الحب فتحمله، خاصة عندما يكون رضيعاً، ومن الممارسات التي تمدهم بالحب، والأمان: المعانقة، والتقبيل، والتحدث معهم.

- **تعليم الأطفال مبدأ «تعاملوا مع الآخرين كما تحبون أن يعاملوكم»**

علم أطفالك كيفية التعامل مع الآخرين دون أنانية وحب للذات. عندما يدرك الطفل كيف يود أن يعامله الآخرون يجعله يتأنى قبل الشروع بتصرف غير مناسب مع الآخرين، وأن الطريقة التي يعامل بها الناس ستنعكس على معاملة الناس له، والقاعدة هي أن تردّ «بطريقة أفضل»، الأمر الذي سيضمن الود بدلاً من العداء.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ (النساء:٨٦).



- **الحب يتجذّر عن طريق القدوة العملية**

الذي يهم الأطفال عملياً؛ هو كيفية إظهار الآباء والأمهات حبَّهم لهم، وحبهم بعضهم بعضاً، وحبهم لأفراد الأسرة الآخرين. أظهِرْ الحب بوضوح كافٍ، وسوف يُظهر أطفالك الحب بالطريقة نفسها.

- **قدّر الصفات المميزة والمتفردة لكل شخص**

لدى كل طفل صفات شخصية متميزة وفريدة، ومهمة الوالدين هي إعانتهم على إظهار الحب إظهاراً سليماً وصحيحاً. ويحسن بالوالدين من تعليم الحب الصبور لأطفالهما غير الصبورين، والحب الشجاع لأطفالهما غير الشجعان، والحب السخي لأطفالهما الأنانيين.

ماذا لو قال لك ولدك: «أكرهُكَ!»

بعد كل الحب الذي قدمتماه لولدكما، فضلاً عن العناق، والقبلات، والألعاب، والهدايا، وزيارات الأطباء، والراحة، والعناية اللامتناهية التي وفرتماها له، فقد يقول لك هذا الطفل العزيز الغالي: «أكرهك!» فهل يحدث حقاً أن يكره الأولاد والديهم؟ لا، بالطبع!

هم يكرهون من والديهم منعهم عن مضغ العلكة كفطور، أو معارضتهم للذهاب إلى حفلة ما. إنهم يقولون ذلك فقط بدافع الغضب والإحباط، وليس الكراهية والبغضاء. يتعلم الأطفال مبكراً أنهم يجلبون الكثير من الاهتمام عندما يقولون: «أكرهك»؛ لأن ردة فعل والديهما، مع أنها قد تكون سلبية، ستستدعي الاهتمام الفوري، وسيكون الوالد/ الوالدة متألماً نفسياً بحيث يستسلم لمطالب ولده في نهاية الأمر بمجرد أن يقول الطفل إنه لم يقصد أن يقول ذلك. فمثل هذه العبارة ما هي إلا محاولة من الولد لإزاحة الحدود التي وضعها الوالدان للحد من تنفيذهما لرغباته وكذلك لجذب انتباههما. ومن المهم أن يحافظ الوالدان على أعصابهما هادئة عند سماع ذلك، فمع أن الأولاد يعرفون أن قول ذلك قد يتسبب في كره الوالدين لهم، إلا أنهم يفعلون ذلك لكسب أمر أهم في نظرهم، وهو الاستجابة والاهتمام من والديهم، وهم سوف يتعلمون سريعاً أن قول: «أكرهك» لن تنتج رد فعل قوي من والديهم، ولن يكونوا قادرين على التلاعب بهما في المستقبل.

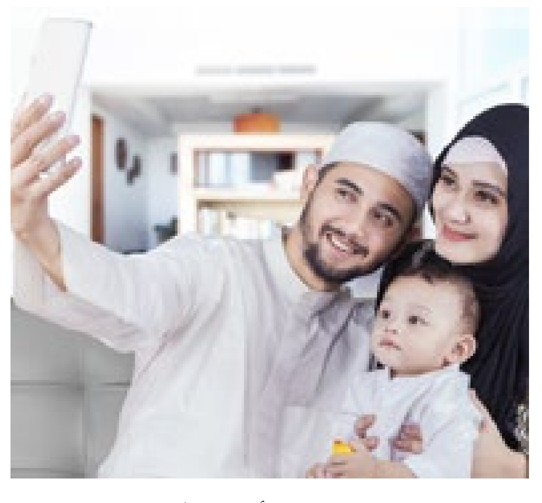
ولكن يتعين أن يعي الوالدان بدورهما المشاعر التي تكمن وراء عبارة الكره هذه، ويمكن أن يجيبوا ولدهما بالقول: «يبدو أنك غضبان جداً»، مع الامتناع عن قول أي شيء مؤذ له أو لها. ومن المفيد لو استطاع الوالد/ الوالدة الابتعاد عن هذا الموقف، والمشي إلى غرفة المعيشة، والجلوس على الأريكة، وأخذ نفس عميق مرات عدة، ومن المستحسن أيضاً دعوة الزوج/ الزوجة للتشجيع والتطمين، ولتستعد بعد ذلك لإجراء مزيد من النقاش مع أولادك في وقت لاحق فيه هدوء أكثر: «سوف نتحدث عن ذلك لاحقاً عندما يهدأ غضبنا».

الطفل الأول

يريد الآباء والأمهات ذوو الآمال العريضة أن يكون لأبنائهم طموحات عالية يرغبان من الطفل الأول تحقيقها، كما يأمل الوالدان أن ينجح الولد في تحقيق ما لم يفلحا في تحقيقه هم، ويخافان من أن طفلهما الأول قد يرتكب أخطاءهم الماضية نفسها. ومن ناحية أخرى، فهؤلاء الآباء والأمهات اللحوحون غالباً ما ييسرون الأمور على طفلهم الثاني بعد أن يكونوا قد استنفدوا تركيزهم على الطفل الأول، لذلك يخرج الطفل الثاني نسبياً أكثر استقلالية في تصرفاته ومشاعره من الطفل الأول.

من السهل أن تقول للوالدين الجديدين: «استرخيا في التعامل مع طفلكما الأول، ودعوه ليكون على سجيته» وهذا مثل أن تطلب من المتدربين الجدد أن يسترخوا في المرة الأولى التي يركبون فيها حصاناً أو يقودون سيارة. ويعد اصطحاب الطفل الأول إلى أماكن لعب الأطفال الآخرين فرصة رائعة لمشاركة الآخرين، وقضاء الوقت معهم، وتعلم مبدأ الأخذ والبذل لهم، ومن المفيد أيضاً زيارات الآخرين، والترحيب بزيارة الأطفال الآخرين له كي يقضي وقتاً ممتعاً معهم.

من المفيد أن ينجب الوالدان أطفالهم واحداً تلو الآخر، دون أن يتركوا فجوة زمنية طويلة تفصل بين الولد والذي يليه أو يسبقه، لأن هذا يسهل على الأطفال ممارسة حياة اجتماعية متميزة بعضهم بعضاً لأنهم في سن متقاربة، بدلاً من نمو الطفل وحيداً، ومن الأسهل عادةً للكثير من الآباء والأمهات تربية جيل بأكمله دفعة واحدة، ثم الانتقال إلى مرحلة جديدة في حياتهم، وإذا تركوا فجوات زمنية طويلة في إنجاب أطفالهم فقد ينتهي الأمر بهم إلى أن يعيشوا متزامنين مع أطفال، ومراهقين، وشباب، ومِن ثمَّ رعاية ثلاثة أجيال في حقبة واحدة، ولا شك أن ذلك يشكّل عبئاً ثقيلاً على الآباء والأمهات الذين سيقضون بهذا معظم حياتهم «يعتنون بالأطفال» دون حصولهم على استراحة من هذا الواجب، ولن



يتوافر لهم إلا وقت قصير لأنفسهم أثناء تقاعدهم.

يخطف الطفل الجديد في الأسرة جلَّ اهتمام الوالدين غالباً، وحين يأتي الناس للزيارة وتقديم الهدايا، وتركز تعليقات الجميع عادةً على وصف جمال الطفل الجديد، وغالباً ما تكون الأم متعبة، والأب مشغولاً جداً بالقيام بالمهمات الجديدة مع قدوم المولود الجديد. ثم يقلّ اهتمامهما بأطفالهما الآخرين، فيشعر الإخوة والأخوات بالإهمال، خاصة الولد الأصغر بعد حضور من هو أصغر منه، ومن الطبيعي أن يشعر بالحسد عندما يتحول كل الاهتمام منه إلى المولود الجديد.

ومن الجدير ذكره أن الحسد يفسد الحب، لأنه تمني زوال النعمة عن الآخرين وانتقالها إلى الحاسد. وإنها لمشكلة خطيرة على الوالدين محاولة نزعها من أطفالهما في وقت مبكر. وقد عدّ النبي ﷺ الحسد شراً اجتماعياً، إذ قال ﷺ: «لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما لم يتحاسدوا» (الطبراني).

ومن أجل منع الحسد أو تقليله بين الأبناء، يمكن للوالدين القيام بما يأتي:

- اجعل كل أطفالك يشعرون بأنهم محبوبون ويحظون بالاهتمام والتركيز.
- تأكد من أن أطفالك الآخرين لا يشعرون بقدر أقل من الحب والرعاية، بل اجعلهم يشعرون أنهم يحظون بالمكانة الكبيرة السابقة نفسها على الرغم من انضمام فرد جديد إلى الأسرة.

- تجنب المقارنة والمنافسة بين الإخوة والأخوات.
- الإنصاف والعدل في التسامح، والمكافآت، والانضباط والمديح.
- إغداق القبلات والأحضان على أطفالك جميعهم ما أمكن ذلك.
- مشاركة الأطفال الأكبر سناً الشعور بالمسؤولية المشتركة في رعاية المولود الجديد، ومشاورتهم قدر الإمكان في صنع القرار وتنفيذه في ما يتعلق بالطفل الجديد.

لماذا يحب الآباء والأمهات أولادهم؟

جعل الله تعالى حب الأبناء فطرة، بل هي أحب المحبوبات إلى النفس، ويقول يوريبيدس (Euripides): «هنا، وفي هذا الأمر، كل البشر متساوون، الأغنياء منهم والفقراء، فهم جميعاً يحبون أطفالهم» وقال طاغور: «لا أحبه لأنه ولد صالح، بل فقط لأنه طفلي».

الحقيقة المحزنة أن بعض من الأطفال غير محبوبين ممن حولهم لأنهم:

١. ولدوا بسبب «حادث» أي لم يخطط لهم، ولم يكن مرغوباً في إنجابهم أصلاً، أو بسبب الضغط الاجتماعي، أو الاغتصاب.

٢. إذا ماتت الأم أثناء الولادة ينظر إليهم وكأنهم هم سبب الوفاة.

٣. أبناء والد مجرم.

٤. إناث في مجتمع يفضل الذكور، أو النقيض، ففي بعض البلدان يتلقى الوالدان التهاني فقط إذا كان المولود صبياً.

ويبرز السؤال على ما ورد أعلاه، فلماذا يعامل الأطفال معاملة سيئة بلا ذنب اقترفوه؟

لا تربط بين الحب وتصرفات الأولاد، لأن ذلك يمكن أن يفسَّر على أن الوالدين يضعان شروطاً لحبهما لأولادهما. لا يجمل بالوالد/ الوالدة أن يقول: «سأحبك أكثر عندما يصبح سلوكك مقبولاً.» إن مما لا شك فيه أن الأطفال يحتاجون إلى الحب، خاصة عندما يبدو أنهم لا يستحقون ذلك، كما يحتاج الوالدان إلى إقناع أطفالهما أن حبهما لهم لا ينبني على أدائهم وإنجازاتهم، بل هو مستقل عن ذلك، وأنهما يحبانهم كما هم، ولأنهم أولادهما، إن مدى نجاح الوالدين في تربيتهما لأولادهما يحكم عليه من درجة شعور أطفالهما بالأمان، وأنه مرغوب بهم، وقبل كل شيء، أنهم محبوبون، ولا يخفى أن المديح مرغوب به عند الأطفال، إذ يحتاجون إلى الشعور بالحب بذلك المديح أكثر من غيرهم. قال مارك توين: «المديح أمر طيب، والمجاملة أمر طيب، ولكن المودة أثمن وأغلى مكافأة يمكن أن يفوز بها الفرد.»

أَحْبِب الفاعلين، ولكن اِكْرَه الأفعال الشريرة!

يجمل أن تكون علاقة الحب بين الآباء والأبناء دون شروط، فعليهم قبول بعضهم للآخر كما هم عليه على الرغم مخاوفهم، وقلقهم، وخصوصياتهم (عاداتهم، وطرائق تعبيرهم، وسلوكياتهم). ونعني بعبارة (دون شروط): دون تحيز أو إطلاق للأحكام. وقد يكون أطفالك، أو لا يكونون، الأجمل أو الأكثر ثقافة وتعليماً أو شهرة وشعبية، لكنهم (بإرادة الله) جاؤوا إلى الحياة، وهذا وحده يؤهلهم للحصول على الحب والقبول غير المشروط.

لا يكفي أن تحب الأطفال الصغار بصمت، عبّر عن حبك لهم بكلام مسموع

لقد علّم النبي ﷺ الصحابة التصريح بحب بعضهم لبعض.

«أَنَّ رَجُلا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعْلَمْتَهُ؟» قَالَ:لَا، قَالَ: «أَعْلِمْهُ» قَالَ: فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ» (سنن أبي داود).

الحبّ وثقة الآباء والأمهات بأنفسهم

ثقة الوالدين بنفسيهما هي المفتاح لعلاقة المحبة مع أطفالهما، وإذا فشل الوالدان في إقناع أبنائهما بأنهما يعرفان حقيقة وطبيعة العلاقات معهم، وماذا يتمنون أن يكون عليه الأولاد، فسيحاول الأولاد التحقق واختبار الوالدين باستمرار مما يزيد من مستوى التوتر في العلاقة، كما يؤثر على المودة بينهما، وكلما يقل التوتر تزداد المودة والحنو في علاقاتهم، ثم إن سلطة الوالدين تعدّ سلطة استبدادية أو لا مبالية عند غياب الحبّ. فالآباء والأمهات الواثقون بأنفسهم يزودون أطفالهم بالحب ونفوذ سلطتهم على حد سواء، ويحافظون على التوازن والاعتدال بكونهم ذوي سلطة ومحبين معاً بلا تعسف، فهم متنفذون بحب ورحمة، وهم باضطلاعهم بهذه السلطة يمدون أطفالهم بدرجة كبيرة من الأمان والراحة والسعادة.

ثقة الوالدين بنفسيهما هو المفتاح

سبل عملية لإنماء المودة والتعاطف

يحب الآباء والأمهات أطفالهم، ويتسرب الشعور هذا إلى الأطفال فيحسون أن والديهم يحبونهم، ولكن لا يعدّ هذا كافياً، بل يحسن التعبير عن الحب بطرائق متنوعة. فنجد حالات يصدم فيها الآباء والأمهات الذين لايعبرّون بوضوح عن حبهم حين يكتشفون أن أطفالهم لا يدركون أنهم يحبونهم. وإن من سبل تنمية المحبة والتعاطف عنصر التجربة الذي يشمل النية والعمل، والنية هي الرغبة في التعبير عمّا في قلب الإنسان للآخرين، وإظهار الاهتمام بهم صراحةً. أما العمل؛ فهو القيام بفعلٍ ما وفقاً للنية. فعلى سبيل المثال، يتبرع الوالدان بانتظام بالقليل من المال والوقت لمجموعة يحبونها أو يطلقان ابتسامة وتحية صادقة للناس المارّين أمامهم، ولا يهم مقدار الكمية، بل يكفي أنهما يفعلان شيئاً منتظماً دائماً ولو كان قليلاً. يقول الرسول ﷺ «وأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» (البخاري)، وتقول الأم تيريزا: «لا نستطيع أن نفعل أشياء عظيمة على هذه الأرض، بل يمكننا أن نفعل أشياء صغيرة لكن مع حب كبير».

ونذكر أدناه بعض الوسائل لتنمية حب الأطفال لأبويهم:

- ركز على «الأشياء الكبيرة» وتجاهل «الأشياء الصغيرة.»

يتمي التعاطف الامتنان، وعندما تتفكر في النعم الكبيرة للحياة – مثل نعمة أنك تستطيع قراءة هذا الكتاب– تستطيع تنمية الحب.

- أكثر المشاركة مع أطفالك؛ لأن حبك لهم يترجم بإشراكهم واهتمامك بهم في الطعام والمال والأقلام والأوراق والملابس وأجهزة الحاسوب والسيارات والكراسي والكتب والرحلات والأفكار.
- أخبر أفراد الأسرة أنك تحبهم (خاصة قبل سفرك).
- ألِّف أغنية خاصة مع أطفالك تقول: «أحبك».

الحب هو المشاركة

- ينبغي أن يمتلئ قلب الطفل بالحب والاهتمام بالآخرين، وأن يحب لنفسه ما يحبه للآخرين. قال النبي ﷺ: «لا يؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفْسه» (البخاري).
- مشاركة .. آمالنا المشرقة، ومخاوفنا المرعبة، وضحكاتنا المدوية، ودموعنا الرقراقة، وأحلامنا الجميلة، وهمومنا المقلقة، وهممنا العالية، وحبنا المتدفق، ووعينا الدائم، وكلما زادت مشاركتنا للآخرين، زاد حبنا لهم واهتمامنا بهم.
- إن أفضل وسيلة لنسيان مشكلاتنا الخاصة؛ هي مساعدة الآخرين في حل مشكلاتهم.
- قد تنسى من ضحكت معه، لكنك لن تنسى من بكى معك في أوقات حزنك.

قصة حقيقية من كتاب جون غراي: المريخ والزهرة (John Gray: *Truly Mars and Venus*)

أخبرتني إحدى معارفي، وكانت صحتها آخذة في التدهور، أنها لم تتحدث مع ابنها لثلاث سنوات لنشوب خلاف بينهما حول زوجته، وقالت إنها لن تكلمه إلا إذا اتصل هو بها أولاً. فاقترحت عليها أن تكون هي التي تبدأ بالاتصال، ولكنها أصرت بقولها: «لا أستطيع ذلك، يجب أن يعتذر هو أولاً.» لقد كانت على استعداد للموت دون التحدث مع ابنها الوحيد. ثم قررت أن تبادر الاتصال بعد تشجيع لطيف مني. ودُهِشَتْ عندما رأت ابنها شاكراً وممتناً جداً لاتصالها، واعتذر منها وطلب سماحها. عندما ينتهز فرد فرصته ويمد يده مبادراً بالتواصل، فلا شك أن الجميع سيربحون.

البغضاء في القلب مثل الحامض، قادرة على تلف الأوعية التي تحويها وتدمّر كل الذي تسكب عليه.

ومن المهم بذل المودة والحب لأولادنا، وعدم قصر اهتمامنا بهم على كوننا بنكاً يوفر لهم كل ما يحتاجون إليه من أموال، فمع أهمية ذلك وضرورته، إلا أنه لا يضاهي الحب والمودة والحنان.

ويبرز هنا سؤال هو: ما هو المقدار الكافي من الحب؟ يمكن للوالدين إيداع الكثير في مصرف الحب بإظهار الحنو الرحمة لأطفالهما، ولكن من المؤكد أن لا أحد يرفض كثرة الودائع مهما زاد مقدارها!!

كلما زاد تقديم الوالدين للحب، زاد تلقيهما له أيضاً. يستطيع الفرد السيطرة والتحكم بمقدار ما يبديه من الحب، ولكن تلقي الحب من الآخرين ليس بيد الفرد، وعندما يبذل الوالدان لأولادهما الغالي والنفيس، فهما لا ينتظران ولا يتوقعان مقابلاً لذلك، حيث إن المحبة نفسها هي المكافأة والجزاء. ولا يدرك الأطفال كاملاً مقدار الحب الذي يكنه لهم والداهم حتى يصبحوا هم أنفسهم آباء وأمهات.

يتعين على الوالدين المبادرة في حل الخلافات مع أطفالهما، فهناك الكثير من الناس الذين يتمسكون بمشاعر الاستياء لخلاف صغير أو سوء فهم، وهم ينتظرون بعناد شخصاً آخر ليبادر بالإصلاح بينهم، معتقدين أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يغفر بها الخطأ، أو تعود الصداقة أو العلاقة الأسرية إلى سابق عهدها. وكلما تمسك الناس بغضبهم، تتحول «الصغائر» إلى «كبائر» في عقولهم، كما يعدون مواقفهم أهم من سعادتهم، في حين يفهم الإنسان المعتدل والمتوازن أن كونك على صواب لا يفوق أهمية أن تكون سعيداً، لذلك يجمل بالناس كظم غيظهم وغضبهم، وتحسين العلاقات مع الآخرين، حيث إن سماحنا للآخرين أن يكونوا على حق لا يعني بالضرورة أننا على باطل، يا له من شعور مريح وسعيد عندما يكظم المرء غيظه وغضبه إضافة إلى غبطته بالسماح للآخرين بأن يكونوا على حق، وفي المقابل سوف يصبح الآخرون أقل عدائية وأكثر حباً لمن عارضهم سابقاً.

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصّلت:٣٤).

- يستحق الحبّ منّا التضحية بالوقت والجهد والمال من أجل الأطفال، وهو أمر تراكمي مثل حلقة مغلقة من التغذية الراجعة الإيجابية، فكلما زاد حب الآباء والأمهات لأطفالهم كثرت تضحياتهم، وعندما تكثر التضحيات يزداد الحب غزارةً، وهكذا ... إلخ.
- على الآباء والأمهات أن يسألوا أنفسهم كل صباح: لمن أقدم اليوم حباً خاصاً من أفراد أسرتي؟ ويمكن أن يوسعوا الدائرة هذه لتشمل شخصاً من خارج الأسرة، ولا شك أن حباً يومياً كهذا من شأنه أن ينفي الكره عن حياتك.



طرائق متعددة لإشعار أطفالك بحبك: إحصاء

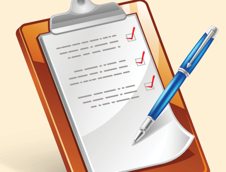
سأل سامون (Samon, 1999) ٥٥ أماً وأباً لهم أطفال تتراوح أعمارهم بين ١- ١٦ سنة، كيف يحافظون على تواصل أطفالهم؟ كان الجواب في كل حالة: قضاء بعض الوقت مع الأطفال في فعل شيء ما، ويشمل هذا مشاهدة شيء ما، وقراءة شيء ما، وطبخ شيء ما، والكلام عن شيء ما، والمشاركة في شيء ما، والبقاء معاً، فاقض بعض الوقت مع أطفالك بنشاط مشترك، ونورد في ما يأتي قائمة بالأنشطة الأسرية لإنماء الحب بينهم:

- المشي معاً
- اكتشاف الأشكال في السُّحُب / النظر في السماء ليلاً.
- مشاهدة برامج فيديو/ والاستماع إلى برنامج إذاعي/ وقراءة شعر أومشاهدة مسرحية معاً.
- السماح لهم بتصفيف شعرك.
- ممارسة الرياضة والمصارعة معاً.
- تعبئة كراسة بالصور والملصقات.
- اصطحابهم إلى السوق، ومشاركتهم في قرار شراء حاجيات البيت.
- اللعب معاً، ويستحسن اختيار ألعاب قليلة الثمن وصديقة للبيئة (لا تحتاج للكهرباء أو البطاريات)، ومحفزة للدماغ، ويمكن لعبها في أي لغة، وألطف على العينين من النظر إلى الشاشة.
- القيام بالواجبات المدرسية معهم، ولكن ليس عنهم.
- الدعاء والصلاة معاً.
- تلاوة القرآن الكريم.
- النشيد، والموسيقى، والأغاني معاً.
- غسل الملابس وطيها معاً.
- الرسم معاً.
- المعانقة ومسك الأيدي والتقبيل (ليس على الفم).
- الذهاب إلى المتاحف معاً.
- ارتداء الملابس القديمة والتأنق بها معاً.
- اصطحابهم إلى مكان العمل.
- أخذ الأطفال إلى المعارض، والألعاب، وحديقة الحيوانات، والمباريات، وركوب الخيل، والمسيرات، والمتنزهات، والنزهات (إلى الغابة/ إلى الصحراء/ على الشاطئ، والمسرحيات، والمهرجانات الترفيهية).
- البقاء في البيت والإصغاء لهم إصغاءً كاملاً، دون الانشغال بالرد على المكالمات الهاتفية أو قراءة البريد.
- زيارة الأجداد والأقارب معاً (صلة الرحم).
- تنظيف البيت وكنسه معاً.
- تحضير الخبز والبسكويت والكعك والوجبات معاً.
- النظر في ألبومات الصور العائلية معاً.
- قطف الفاكهة من الحديقة أو المزارع العامة معاً.
- البستنة معاً.

هل يحسن بالوالدين تعليم الكراهية لأبنائهم؟ أحياناً؟

مـع أن التركيـز يتعـين أن يكـون علـى الحـب، ولكـن كذلـك لا تغيـب الكراهيـة عـن البـال، فكلاهمـا مهـم. فـإذا كان النـاس يحبـون الله والأنبيـاء والآبـاء والأمهات والأقـارب والبشـر والحيوانات والنباتـات والبيئة والكون، فـلا بـد أنهـم مـن الناحيـة الأخـرى يكرهـون الشـيطان ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (فاطـر:٦)، والأذى والفسـاد والكـذب والغش والسـرقة والاعتـداء الجنسـي والمخـدرات وشـرب الخمـور والتدخـين والغيـرة والحسـد والعنصريـة والتعصـب والتمييـز والغضـب، مـع التنبُّـه إلـى أنـه يتعـين تعليـم كـره المنكـرات، ولكـن ليـس المرتكبـين لهـا، أي أن نكـره الشـر، لا فاعلـه، وهـي قاعـدة تربويـة مهمـة للتمييـز بـين الفعـل والفاعـل، أو بـين السـلوك والشـخص؛ لـذا الـذي يُنتَقَـد هـو السـلوك أو الفعـل الخاطـئ.





الأنشطة

النشاط ٤٧: الطقوس اليومية التي تخص الحب

يقول فتى عمره ١٧ سنة: «ما أزال أحب تفقّد أمي لي في غرفتي قبل أن تنام.»

الوالدان: ناقشا الطقوس اليومية التي تمارسونها في الحب مع طفلكما. ولا تنسيا الدعاء في مختلف المواقف اليومية!



ثانياً: تعليم الصدق والأمانة والثقة بالنفس

- **مقدمة**
- **ثقوا بأولادكم ولكن تأكدوا أين هم؟**
- **مبادئ عامة**
  - قيم الأسرة
  - الوالدان قدوة حسنة
  - أنواع الكذب: الأبيض والخبيث والتخيلي
  - الفرق بين الخيال والواقع
  - كافئ الصدق
  - إستأذن قبل أن تأخذ
  - حلّ المشكلات قبل وقوعها (التربية الوقائية)
  - الأولاد الأكبر سناً
- **تكامل صفات الشخصية مع النظرة الكونية الشمولية**
- **لماذا يكذب الأطفال؟ وكيفية العلاج؟**
- **المنهج النبوي لعلاج الكذب**
- **كيف تتجنب تدليل أولادك؟**
  - لا تقلل من أهمية الأنضباط
  - لا تلب المطالب جميعها
  - تجنب المقارنات المثبطة
  - تجنب الاسترضاء ورشوة الأولاد
  - لا تستسلم للشعور بالذنب
  - سلاح نوبة الغضب عند الأولاد
- **الأنشطة ٤٨-٥٢**

مقدمة

يقلق معظم الآباء والأمهات عندما يكذب طفلهم للمرة الأولى، ولا داعي للقلق لأن الكذب عند معظم الأطفال مرحلة عابرة متجذرة في التطور الطبيعي للطفل، والكذب في جزء منه رد فعل غريزي خوفاً من العقاب، ولكنه في جزء آخر سلوك مكتسب، ينبغي على الوالدين بذل أقصى الجهد لغرس الصدق في نفوس أطفالهما. ويعدّ الكذب استجابة طبيعية من الطفل لعوامل كثيرة،

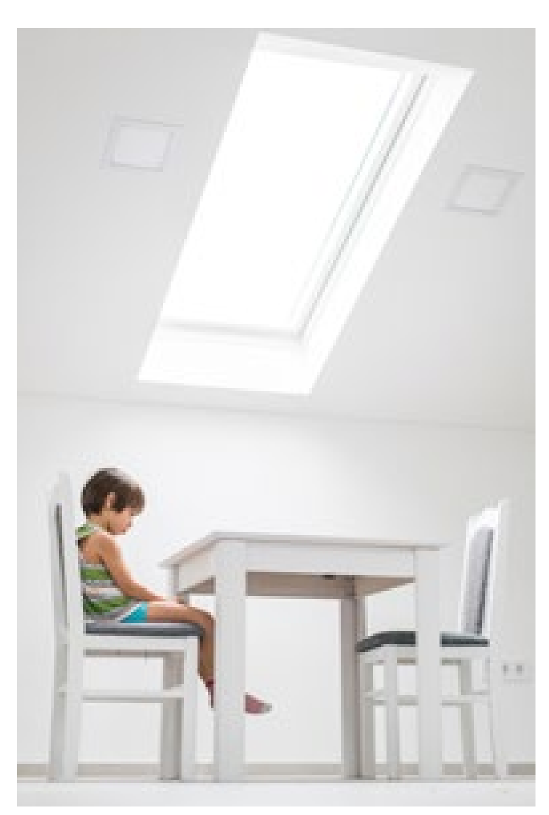


من بينها الدفاع عن النفس.

يخلط الأطفال بين الواقع وخيالاتهم وأحلامهم، ولذلك لا يصح للآباء والأمهات التقليل من أهمية تخيلات أطفالهم. فأحلام اليقظة والخيال عنصران رئيسان من معدن شخصية الفرد، حتى إذا كان بالغاً. والقدرة على التظاهر أنك شخص آخر، أو أنك موجود في مكان آخر، هو في كثير من الأحيان محرر ومخفف للإجهاد والتوتر، فلا تفرط بانتقاد أطفالك من هذه الظاهرة، وإذا كان الأطفال يشعرون أن عليهم دائماً تسويغ أفعالهم للآباء والأمهات، فقد يزيد من محاولاتهم للكذب تجنباً للتوبيخ.

أطلقت قريش على النبي ﷺ صفتي «الصادق الأمين»، والأمانة لها معان كثيرة منها: الوثوق والصدق والمسؤولية والرعاية والاهتمام. فالصدق والأمانة جانبان ضروريان لشخصية إمام وقائد المتقين.

ويحسن بالآباء والأمهات تربية أطفالهم بأنفسهم على



الصدق والأمانة، حتى تكونا صفتين واقعيتين في حياتهم يتمثلونهما ويتحلون بهما إلى أن تتأصلا في نفوسهم، ولا يخفى أن الأطفال سيكونون أمناء عندما يرون أن الآخرين يثقون بوالديهم ويأتمنونهما على أموالهم وممتلكاتهم وأسرارهم، وعادةً ما يختار الناس الأشخاص الأمناء قادة لهم في المجتمع. والأمانة صفة من صفات المسلم التي يحضنا النبي ﷺ على التحلي بها: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِه (الكلام) وَيَدِهِ (الأفعال) وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» (البخاري).

الثقة بين الآباء والأبناء أمر مهم، فأسّسها، وحافظ عليها، وطوّرها، وإذا كان من الصعب أحياناً الثقة ببعض الأطفال؛ فإن على الآباء والأمهات التظاهر والتصرف كما لو أنهم يثقون بهم، وإذا كان الطفل لا يقول الحقيقة، فيحسن بالآباء والأمهات الحذر عند توجيه الاتهامات

لـه، فقـد يواجههـم فـي سـؤاله: «ألا تثقـون بـي؟» لذلـك يتعيـن علـى الوالديـن التظاهـر أن الثقـة موجـودة إلـى أن يجـدوا وسـيلة مريحـة وفعّالـة للتعامـل مـع كـذب طفلهـم معهـم. كذلـك يجمـل أن يعلـم الأطفـال أنـه مـع السـلطة تأتـي المسؤولية، وتأتـي مـع المسؤولية الثقـة. ويتعيـن علـى الأولاد أن يتعلمـوا كيـف اسـتطاع آباؤهـم وأمهاتهـم كسـب ثقـة الآخريـن ومـا هـي التصرفات المؤدية لفقـدان الثقـة بالشـخص حتـى يتجنبوهـا.

إن كسـب الثقـة عمليـة متواصلـة ومسـتمرة، ومـع أن علاقـة الأطفـال قـد تكـون موقّتـة مـع والديهـم فإنهـا قـد تتعـرض أحيانـاً للاهتـزاز والانهيـار بسـبب الكـذب؛ الأمـر الـذي سـيؤدي إلـى تـردد الوالديـن فـي الثقـة بأطفالهمـا مـرة أخرى، إلا أنـه مـن المهـم المحافظـة علـى هـذه الثقـة والتحلّـي بالصبـر مـع أولادهـم عنـد ارتكابهـم الأخطـاء.

ثِقْوا بأولادكم ولكن تأكدوا: أين هم؟

قـد يثـق الآبـاء والأمهـات بأولادهـم خـارج المنـزل، ولكـن فـي الوقـت نفسـه، يتعيـن التحقـق والتأكـد مـن الأماكـن التـي يرتادونهـا مـع معرفـة الأشـخاص المصاحبيـن لهـم، ويمكـن أن نفعـل ذلـك مـن غيـر إشـعارهم، بحيـث لا يظـن الأولاد أن ذلـك ينـم عـن عـدم ثقـة والديهـم بهـم أو أنهمـا يراقبانهـم. إن مجـرد اصطحـاب الوالديـن لأولادهـم للمدرسـة صباحـاً لا يعنـي أنهـم سـيمكثون فـيها طـوال اليـوم، فقـد يهـرب الأطفـال مـن المدرسـة دون علـم معلميهـم، لذلـك يتعيـن علـى الوالديـن التحقـق مـن وقـت لآخـر مـن سـجلات المدرسـة، أو أصدقـاء أولادهـم، أو الجيـران تحققـاً مباشـراً أو غيـر مباشـر، فقـد حـدث أن وقـع الكثيـر مـن الأولاد فـي مُلمات وجرائـم بعـد هروبهـم مـن المدرسـة، ومـن المهـم أيضـاً التحقـق مـن غرفهـم وملابسـهم مـن وقت لآخـر للتأكـد مـن عـدم وجـود الدخـان، والأمـوال المسـروقة والأشـياء الثمينـة. فاشـرح لأولادك مـا تفعلـه وأسـباب فعلـه.

- عامل النـاس كمـا لـو أنهـم علـى مـا يجـب أن يكونـوا عليـه، وسـتعينهم بذلـك علـى أن يصبحـوا بالفعـل علـى أحسـن مـا يمكنهـم أن يكونـوا.
- (Johann Wolfgang Von Geothe)
- ثـق بالنـاس، وسـيكونون صادقـين معـك؛ وعاملهـم برقـيّ فسـيظهرون رقـي أنفسـهم.

(Ralph Waldo Emerson)

(Exley 1997)

مبادئ عامة

نذكـر فـي مـا يلـي بعـض الجوانـب المهمـة عنـد التعامـل مـع الأولاد:

قيم الأسرة

علـى الأولاد أن يدركـوا أن الكـذب منـاف للأخـلاق، ومخالـف للطبيعـة والفطـرة. كذلـك وضِّـح لهـم أن الكـذب لـه عواقـب سـلبية، ودرّبهـم علـى الصـدق والأمانـة بالقـول وبالفعل، ويجمل بالآبـاء والأمهـات مناقشـة معتقداتهـم مـع أطفالهـم حـول الكـذب، ومشـاركتهم بأمثلـة وعظيـة مناسـبة لعمرهـم علـى عـدم الصـدق. أورد فـي قائمتـك للقيـم الأسـرية فقـرة: سياسـة «الصـدق». ومـن المهـم أيضـاً أن تعـرّف الصـدق والأمانـة لـلأولاد تعريفـاً مفهومـاً لهـم كـي يسـتوعبوه ويلتزمـوا بـه فـي حياتهـم.

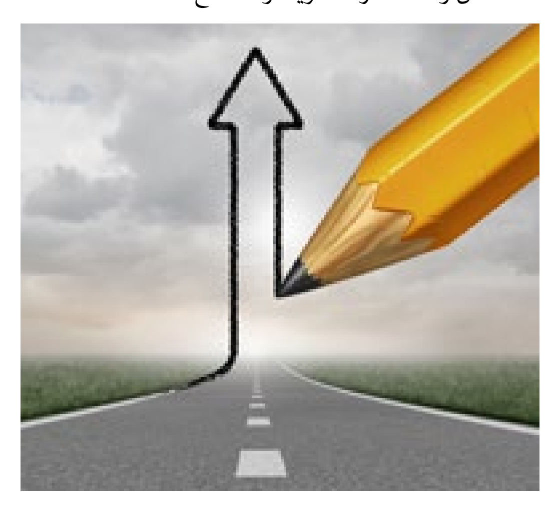
الوالدان قدوةٌ حسنةٌ

انصـح الأولاد وعظهـم للالتـزام بخلـق الصـدق، ولا تكـذب أمامهـم فـي إخبـار شـخص عـن مـكان وجـودك، ولا تسـرق مـن المتاجـر أو أربـاب العمـل، ولا تغـشّ فـي الإفصـاح عـن دخلـك لدائـرة الضرائـب، ولا تخـن زوجـك. وسـل نفسـك: «مـا الرسـالة التـي أوصلهـا؟» فـي أي تصـرف منـي. كذلـك مـن المهـم تجنـب المغالطـة وخاصـة أمـام الأولاد، ويجمـل بالآبـاء والأمهـات تجنـب الكـذب عـن أعمـار أولادهـم عنـد شـراء التذاكـر لولدهـم الـذي تجـاوز الثانيـة عشـرة فـيدعون أنـه أصغـر مـن ذلـك للحصـول علـى سـعرٍ مخفـض.

كما يحسن ألا يطلبوا من أولادهم الكذب تخويلاً عنهم بأن يقولوا لهم مثلاً عند اتصال أحدهم: «قل له إني في الحمام»، كما أنه يحسن بذل كل جهد للوفاء عملياً بالتزاماتهم، واحترام المواعيد، والقيام بتطبيق ما يقولونه، وإعطاء عهود ووعود يستطيعون الوفاء بها، ولا سيما تلك التي تتعلق بأولادهم. وإذا حدث أن حالت الظروف القاهرة دون إمكانية التنفيذ فينبغي الاعتذار وتقديم تفسير مقنع لأولادهم بعيداً عن الأعذار الواهية ولوم الآخرين، ولا يورّون بالكلمات كما يفعل بعض الناس مثل من قال: «نعم لقد وعدتكم لكنني لم أعدكم بالحفاظ على وعودي».

أنواع الكذب: الأبيض والخبيث والتخيّلي

من المهم أن نشرح للأطفال الفرق بين الكذب المؤلم والضار والكذب المؤدب. ومع أن الناس قد ينكرون أنهم يكذبون، فإن الجميع قد يفعل ذلك، على سبيل المثال: ما الفائدة من القول للجيران إنهم قبيحون مثلاً؟ أو الرد على السؤال الرتيب: كيف حال فلان؟ بقولنا: إنه في حال فظيعة ومزرية ويحتاج إلى علاج نفسي؟ ولا يخفى على أحد أننا أحياناً لا نقول الحقيقة، ولكن من باب التأدب والاحترام والحكمة، كما في المثالين السابقين؛ علّم أولادك التمييز بين كل من الكذب والمبالغة وسرد القصص والاستعارة اللغوية والخداع.



الفرق بين الخيال والواقع

حدد لأولادك الفرق بين ما هو حقيقي وما هو خيالي، وناقش معهم أحلامهم بعد النوم، وناقشهم في الفرق بين ما يشاهدونه في الأفلام وما هو واقعي، وفي ما يرد في القصص الخيالية فحسب، وما يحدث في الواقع.

كافئ الصدق

إذا كان يشق على الأطفال قول الحقيقة، فمن المهم أن تثني عليهم عند صدقهم، فالأطفال يحبون أن يتلقوا الاهتمام، ولا بد من تشجيعهم على قول الحقيقة حتى لو سبب لهم ذلك أحياناً الوقوع في مشكلة. ومن المفيد الإشارة إلى مواقف الصدق التي قام بها أولادهم كلما أمكن ذلك، وفي الوقت نفسه الإعراب عن خيبة الأمل عند الوالدين حال اكتشاف مواطن الكذب.

استأذن قبل أن تأخذ!

يمكن أن يسن الآباء والأمهات قاعدة في بيتهم تقضي أن يستأذن الجميع قبل أخذ أي شيء يخص فرداً آخر في الأسرة. إن هذا من شأنه أن يعلم الأولاد الاهتمام بممتلكات الآخرين واحترامها، كما يعلمهم أن السرقة من أي إنسان أمر خطأ ينبغي اجتنابه.

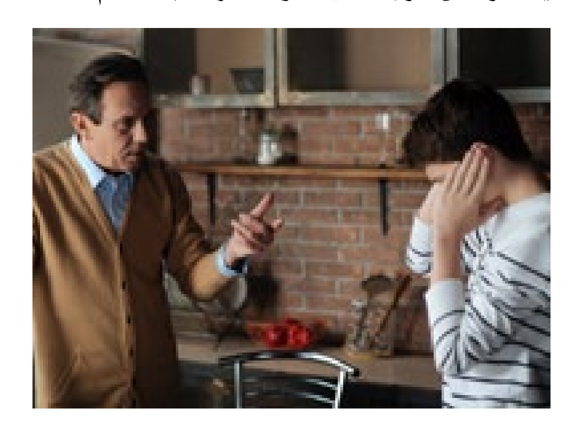
حلّ المشكلات قبل وقوعها (التربية الوقائية)

أصبحت اللذة والمتعة الآنية مشكلة خطيرة، لدرجة أن الكثير من الناس، حتى أولئك الذين يملكون مدخرات قليلة، يعانون من زيادة الوزن، ويجدون صعوبة في الامتناع عن شراء ما لا يلزمهم، وأصبح أيضاً من الصعب تأجيل تنفيذ رغباتهم السريعة، أو الاعتراف بما يقترفونه من أخطاء. علّم أطفالك الاعتراف بأخطائهم والاعتذار عنها وتأجيل تحقيق مسراتهم وملذاتهم، ودرّبهم على ذلك، ولا يجمل كذلك أن ننتظر حتى يسرق الأطفال أولاً لنعلمهم نتائج السرقة والعواقب الوخيمة لذلك. وضّح لأطفالك السلوكيات غير المقبولة مسبقاً قبل أن يقوموا بها.

الأولاد الأكبر سناً

إذا كان للآباء والأمهات أولاد كبار بالسن يكذبون باستمرار وغير صادقين عموماً، فيتعين اللجوء إلى مساعدة شخص مختص. ولا شك أن الكثير من البالغين كانوا يكذبون في سن المراهقة بسبب حاجتهم إلى الخصوصية، فالأولاد في سن المراهقة لا يرغبون دائماً بمشاركة أسرارهم مع والديهم، حيث إنهم يتعرضون في هذه المرحلة إلى تغيير سريع، وهم في صراع مع التغييرات التي يمرّون بها عند البلوغ، في الوقت الذي ما يزال الآخرون يعدونهم أولاداً صغاراً بعد، وهو الوقت الذي يسود فيه إخفاء الأسرار عن الأهل، لذلك كان من المهم أن تحترم خصوصياتهم. كذلك يجمل أن يحترم المراهقون توقعات الآباء والأمهات وآمالهم فيهم، بأن تحدد عواقب الكذب تحديداً واضحاً، وأن يتفق عليها كل الأطراف، وإذا كان ولدك المراهق يرافق مراهقين آخرين يكذبون؛ فحاول أن تفصله عنهم وتمنع هذه الصداقات وما شاكلها.

ومن المهم أن يدرس الأولاد أهمية الثقة والصدق والأمانة في العلاقات، بما في ذلك الثقة بأنفسهم، لذلك يجمل أن لا نضعهم في مواقف تكثر فيها شبهة وقوع خداع أو مبالغة (على سبيل المثال: ألعاب المخادعة، والتسويق الذي يتطلب منافسة شديدة تشد الأعصاب). كما لا يتعين أن يلاموا على الكذب إلا إذا تبين أنهم هم المسؤولون فعلاً عن ذلك. وينبغي أن يكون النقاش حول خداعهم في جلسة خاصة كي لا يخافوا من قول الحقيقة والاعتراف بخطئهم.



تكامل صفات الشخصية مع النظرة الكونية الشمولية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (الصفّ: ٢-٣).

علق لوحات في منزلك فيها تعريف للصدق، والأمانة، والوفاء بالوعد.

ضمّن مناقشاتك في الموضوعات المختلفة كلاماً عن الفضائل، كالصدق والأمانة. مثلاً عند كلامك عن السياسة والدين، والتاريخ، والعلوم، والأدب، واللغة، والرياضيات. قدّم، على سبيل المثال، سؤالاً عند الكلام عن الحساب عند موظف الصندوق في مصرف ما، بقولك: هل مهارته لإخفاء السرقة لها أي علاقة بالأخلاق؟ وهل للعلماء واجب أخلاقي لاستثمار اكتشافاتهم وإبداعاتهم لصالح البشرية؟ وهل كان الأشخاص المذكورون في التاريخ ملتزمين بالأخلاق؟ وهل المؤلفون والأدباء يتحلون بالكرامة والنزاهة؟ لا شك أن الكذب مشكلة خطيرة لا يمكن تجاهلها، ويتعين التعامل معها فوراً ولكن بحكمة. والكذب ضارّ جداً بحيث وصفه النبي ﷺ على النحو الآتي:

سئل النبي ﷺ: هل يّكذِبُ المؤمن؟ قال: لا، ثم أتْبَعها ﷺ بقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ (النحل:١٠٥) (كنز العمال).

- لعل معظم ما يقال من صدقٍ في عالمنا اليوم، هو مما يقوله الأطفال فحسب.
- (Oliver Wendell Holmes www.azquotes.com)
- وقال ولد عمره ٩ سنوات: من الصعب أن تكذب وأنت تنظر في عيني أمك.

على الرغم من أن الأطفال يولدون صادقين، فإنهم بوعي أو من دون وعي، يتعلمون الكذب عادةً من سلوك الوالدين والأشقاء والآخرين. ولا يختلف اثنان على أن الكذب سلوك مكتسب وليس صفة وراثية.

ويتعلم الأطفال مع مرور الوقت الكذب حتى يصبح ذلك جزءاً من شخصياتهم، في حين يلجأ المراهقون غالباً إلى الكذب لتسويغ أخطائهم، وإخفاء أسرارهم تجنباً للمواقف المحرجة، وكلما كذب الأطفال أكثر ترسّخ الكذب عندهم أكثر، فالكذب يولّد ويدفع إلى المزيد من الكذب، تماماً كما يولِّدُ الصدقُ الصدقَ ويحثّ عليه وقد بين لنا هذا رسول الله ﷺ في الحديث: (إنّ الصدقَ يهدي إلى البِرّ، وإنّ البِرَّ يهدي إلى الجنّة، ولا يزالُ الرجلُ يصدق ويتحرى الصدقَ حتى يُكتبَ عند الله صدّيقاً. وإنّ الكذِبَ يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجورَ يهدي إلى النار، ولا يزال الرجلُ يَكذِبُ حتى يُكتَبَ عند الله كذّاباً) (البخاري ومسلم).

لماذا يكذب الأطفال؟ وكيفية العلاج؟

نورد هنا بعض الأسباب المحتملة التي تدفع الأطفال إلى الكذب:

- تجنب العقاب.
- إدّعاء ملكية أشياء ليست لهم.
- الشعور بالتجاهل، والهجر، والتخلي عنهم.
- التباهي أمام أصدقائهم بما ليس فيهم.
- الافتخار بفعلهم لأشياء لم يفعلوها.
- الاعتقاد بجواز الكذب لأن والديهم يكذبان.

يكمن السبب الرئيس لكذب الأطفال في التهرب من العقاب، ويدفعهم للكذب بشكل أساسي أحد أمرين: اللذة أو الألم، سيما أن الأطفال يعيشون على مبدأ اللذة وتجنب الألم وهو ما تنطلق منه جميع تصرفاتهم، لذا يتعين على الآباء والأمهات تعليم أطفالهم الاعتراف بما يقترفون من أخطاء، وطلب المسامحة ممن أخطأوا بحقه كلما أمكن ذلك. وإذا أخذ طفلهم مثلاً شيئاً من أحد المحلات دون دفع ثمنه فينبغي على الوالدين التأكد من أن الطفل سيعيده، ويقابل مدير المحل مباشرة ويعتذر له، وإذا وقع الأطفال في نمط معين من الكذب فيحسن بالوالدين البحث عن أسباب ذلك.

يمارس الأطفال غالباً مجموعة متنوعة من الأنشطة بحيث لا يستطيعون تحمل الضغوط العالية الواقعة عليهم، فقد يكذبون لأنهم لا يستطيعون تحمل هذه الضغوط. وقد يكذب بعض الأطفال لشعورهم بالملل، أو لأنهم يشعرون بقلة الاهتمام بهم. وقد يستمر الأطفال بسرد القصص التفصيلية والأكاذيب للحصول باستمرار على المزيد من هذا الاهتمام الضروري لهم.

يكون تتبع سلوك الأطفال في المواقف التي يكذبون فيها مفيداً في اكتشاف ما إذا كانت هناك مشكلة كذب خطيرة، فلعل الأطفال يكذبون فقط أثناء اللعب، أو حين اقترافهم للأشياء السيئة، أو ربما بحضور أصدقائهم ليكونوا في بؤرة الاهتمام. وكل ظرف من هذه الظروف يحتاج استجابة مختلفة من الآباء والأمهات.

ويجب إيقاف الكذب عند حده منذ الكذبة الأولى؛ لأن الشخص الذي تمرّس على الكذب سيعيش حياة مؤلمة. ولا تعاقب الطفل على خطأ اقترفه إذا اعترف بالحقيقة، ولكن من المهم أن تكون هناك عواقب لما يفعله، فإذا سبب الأذى لطفل آخر مثلاً؛ فينبغي أخذه إلى والدي هذا الطفل ليتأسف لهما ويطلب مسامحتهما، وإذا قبض عليه يغش في اختبار ما في المدرسة؛ فيتعين أن يرسب في المادة على الفور، فإذا اعترف بالحقيقة فلا يعاقب بشكل مباشر.

ومن المكافآت للولد على قول الحقيقة التي نحض الوالدين على الالتزام بها؛ عدم الرد بغضب وبانفعال عاطفي شديد على ارتكاب الأولاد لسلوك ما والاعتراف به، بل الرد بعقلانية، والتعامل مع المشكلة بحكمة. ويحقق هذا هدفين مهمين.

الأول: يضمن أن خطوط التواصل بين الآباء وأبنائهم ستكون مفتوحة على مصراعيها، كما يُكافأ الأبناء على الصدق؛ لأن سبب الكذب عادةً هو الخوف من العقاب.

والثاني: سيرغب الأطفال في تجنب خيبة آمال والديهم بهم، وذلك للعلاقة الوطيدة التي تنشأ بينهم بسبب التحاور والثقة والمودة القائمة. حيث إن علاقة الحب بين الطرفين بطبيعة الحال سيكون لها تأثير «مانع» و «مقوم» لسلوكهم الخطأ. ويتعين على الآباء والأمهات ألا يخشوا من أن قاعدة: «لا عقاب عند الصدق» ستقود إلى سلوك متهور؛ لأن الحب المتبادل يتيح الكثير من السيطرة على زمام الأمور.

- «حبل الكذب قصير».
- يؤدي الكذب إلى فقدان ثقة الناس بك، ويجعلهم يشعرون بخيانتك وتلاعبك.
- عندما تقول الحقيقة، فإنك لن ترتبك، ولن تضطر إلى تذكر ما قلته، كذلك لن تنسى ما قلته.
- يولّد الصدق قوة من شأنها أن تدفعك نحو المزيد من النجاح، بينما تجد مع الكذب قوى جارفة تدفعك باتجاه الفشل.

ونذكر في ما يأتي علاج الكذب الوارد في كتاب «الخلق الكامل» لمحمد جاد المولى (٢٠٠٤):

- إذا كان الطفل يكذب لأنه يتكلم كثيراً؛ فوجّهه كي يبقى صامتاً.
- إذا كان يكذب لأنه يخاف من العقوبة القاسية؛ فكن لطيفاً ورؤوفاً به.
- إذا كان يكذب بدافع الجشع، أو لاقتناء شيء ما؛ فلا تمنعه من الحصول على ما يريده.
- إذا كان يكذب لخداع الآخرين أو تسخيفهم فعاقبه على ذلك.
- إذا كان يكذب بسبب تأثير بعض أصدقاء السوء؛ فابحث له عن أصدقاء أفضل منهم.
- واجهه بخلاف ما يرجو أن يحقق من أكاذيبه.

يتعين أن يعلم المراهقون أن الكذب وصمة عار، وأنه يتعارض مع الخير، والبر، والصدق، والعدالة، والاحترام. وينصحنا ابن خلدون في هذا الشأن بالآتي: تثقيف الكاذب وتوعيته بالجانب الذميم والرذيل من الكذب، وتناقضه مع السلوك البشري القويم، لأن النفوس الأبية العزيزة تأبى الكذب وتأنف منه، وتحب البر والحقيقة والعدالة والصدق.

ولا شك أن استخدام الإكراه في التعليم مضر للمتعلمين، خاصة للأطفال. فعندما يربى الطفل في جو قاس قائم على الخضوع والقهر فإنه سيعاني من الاضطراب والاكتئاب مما يقوده إلى الكسل ويدفعه للكذب وارتكاب السوء.

اروِ للأطفال قصصاً هادفة

يروي الشيخ عبد القادر الجيلاني من بغداد: «كنت تعهدت لأمي أن أقول الحقيقة دائماً، غادرت مكة المكرمة، وتوجهت إلى بغداد طالباً العلم، وأعطتني أمي ٤٠ ديناراً للرحلة، هاجمت عصابة من اللصوص قافلتنا قرب حمدان. سألني لص منهم: كم من المال لديك؟ قلت: ٤٠ ديناراً، فتركني ظاناً أنني أمزح. ثم سألني لص آخر السؤال نفسه، فقلت له: ٤٠ ديناراً، فأخذني إلى رئيسهم الذي سألني: «لماذا تقول الحقيقة؟» أجبته: تعهدت لأمي أن أقول الحقيقة دائماً، ولا أريد أن أخلف وعدي»، فخاف الرئيس، وصرخ مذعوراً: «أنت تخاف من إخلاف وعدك لأمك، وأنا لم أخف أن أخلف وعدي مع الله؟!» وطلب من العصابة إعادة ممتلكاتنا كلها وقال: إنني تائبٌ إلى الله على يديك» فقال له أتباعه: «كنت زعيمنا في السرقة، وستكون اليوم زعيمنا في التوبة» فتابوا جميعاً ببركة الصدق وقول الحقيقة».

بعد رواية هذه القصة لأطفالك عَلِّق عليها بالآتي: هذه قصة هادفة وردت في كتب التراث، والعبرة من القصة هي أن الصدق يمكن أن ينقذك، ويمكن أن ينقذ الآخرين كذلك. (محمد هاشم العشيري، أنوار الحب.

المنهج النبوي لعلاج الكذب

بين أيدينا أساليب نبوية لعلاج الكذب يمكن أن نتبينها في الأحاديث الشريفة التالية:

١. «أتى رسولَ الله ﷺ رجلٌ، فقال: إني رجلٌ لا أصلّي، وأنا أزني وأكذب، فمن أي شيء أتوب؟! قال: من الكذب. فعهد أن لا يكذب. فلما انصرف وأراد الزنا فقال في نفسه: إن قال لي رسول الله ﷺ: هل زنيت بعدما عاهدت؟ فإن قلتُ: لا، كذبت. وإن قلتُ: نعم، يضربُني الحد» (مستدرك الوسائل، النوري)، والتوجيه هنا؛ أنه عندما تتجنب الكذب - الذي هو من كبائر الذنوب- فإنك تتجنب أيضاً الخطايا والرذائل الأخرى.

٢. عدم قول الحقيقة مسألة خطيرة، حتى في المواقف التي تبدو تافهة، فعلى سبيل المثال يوجهنا النبي ﷺ التوجيه الآتي: «من قال لصبي تعال هاك (الحلوى) ثم لم يعطه فهي كذبة» (أحمد).

قال النبي ﷺ: «إنّ شرَّ الناس ذو الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجه» (البخاري).

إن الصدق والأمانة، إضافة إلى الحب والشجاعة، هي خصال شخصية الأطفال الذين ينالون رضا والديهم، وسنتحدث عن المسؤولية والاستقلالية والإبداع في الفصول القادمة.



يحتاج الأولاد إلى التشجيع عندما يرتكبون الأخطاء بقدر حاجتهم إليه عندما يطلبون حلًا لمشكلة تعترضهم، أو يغيّرون سلوكاً خاطئاً عندهم، أو يتجاوزون إخفاقاً أصابهم، وما دامت الأخطاء جزءاً من الحياة؛ فمن المهم أن يحرص الآباء والأمهات على أن تتغير نظرة الأولاد لأخطائهم، فينظرون إليها على أنها تجاربُ ودروسٌ وخبراتٌ للتعلم والتدّرب، بدلاً من اعتبارها محطات للفشل واليأس والإحباط، فلا تدع الفشل والإخفاق يثبط معنويات الأولاد، واجعل منه فرصة لتشجيعهم بدلاً من تثبيطهم. هناك فرق كبير بين قولنا: «كيف وصلت إلى هذه الدرجة من الغباء؟ «وقولنا: «أنا متأكد أنك ذكي وكفؤ وقادر!» فالتشجيع يساعد الولد على التعلم والطموح، ويحفزه على العمل لتقديم الأفضل في المواقف المقبلة في حياته. وقولنا للأولاد إنهم فاشلون، خاصة حين يسمعونها من أفرادٍ يحترمونهم ويقدرونهم فقد يتسبب في أن يصبحوا فاشلين فعلاً وواقعاً.

الأفكار ذات الطبيعة المحبطة مثل: «لقد أخفقتُ، إنني لا أصلح لعمل أي شيء»، كفيلة بأن تحرم الأولاد من التمتع بالحياة، كما أنها تستنزف طاقتهم العاطفية، وتزيد من احتمالية نزوعهم إلى اختيار الطريق السهل في المواقف المختلفة، وذلك بالانسحاب عند شعورهم بالضغط، والتقاعس عن محاولة الوصول إلى أهدافهم التي يعتقدون أنها بعيدة المنال. فالنجاح على المدى البعيد بالاستمرار في الدراسة ومقاومة إغراء الأصدقاء يتطلب الثقة بالنفس، فالأولاد ضعيفو الثقة بالنفس أكثر تسرعاً وأقل اهتماماً بعواقب أفعالهم، فهم لا يتمتعون بالثقة الكافية التي تحثهم على السعي لتحقيق أهدافهم، وهذا النوع من الأولاد أكثر عرضة للسعي إلى اللذة العاجلة، وإلى تعويض هذا النقص ربما بشرب الخمور وتعاطي المخدرات والجنس والعنف.

وينبغي أن ندعم الأولاد بفكرة أنه ليس هناك ما

ينقصهم، وأن ينظروا إلى الأخطاء على أنها فرص للتعلم. الأولاد يملكون الطاقة اللازمة لاختيار الأفضل لهم (الدراسة للامتحان بدلاً من الخروج مع أصدقائهم)، وهم يمتلكون الأمل داخلهم، ومتفائلون وميّالون إلى النجاح بالاجتهاد والمثابرة في العمل، ويلحظون ثمار جهودهم، ويعرفون في قرارة أنفسهم أنهم فائزون وناجحون، كما أن شعورهم بالسعادة بعد نجاحهم أنهم دائماً أقرب إلى النجاح في المستقبل منهم إلى الإخفاق.



يبني كل من الحب والشجاعة والإبداع والصدق والشعور بالمسؤولية؛ بشكل مباشر أو غير مباشر، الثقة بالنفس والاعتداد بها، وتتفاعل كل هذه الصفات في ما بينها، ويقوي بعضها بعضاً، وهي كذلك تزيد من الطاقة العاطفية ورأس المال النفسي للولد.

- نحن الذين نقرر في ما إذا كان نصف الكوب مملوءاً أو نصفه فارغاً، لذلك عزز الشجاعة عند الأولاد وثقتهم بأنفسهم في كل فرصة.
- إذا زرعت الشوك، فستحصد الشوك، لذا ازرع الزهور.

كيف تتجنب تدليل أولادك؟

يتعين على الأولاد أن يتدربوا على كيفية التعامل مع المنافسة والضغوطات التي تواجههم، ويتعلّموا كيفية التعامل مع لفظة «لا»، أي الرفض الذي يصدر من الآباء والأمهات والمعلمين والأصدقاء والغرباء، تعاملاً إيجابياً، فدرب أولادك على التعامل مع خيبات أملهم وتجاهلهم ورفضهم من الآخرين، ونورد في ما يأتي بعض الطرائق التي تجنب الآباء والأمهات تدليل أولادهم:

لا تقلل من أهمية الانضباط

يميل بعض الآباء والأمهات إلى تدليل أطفالهم. ولا شك أن توفير كل شيء لهم، سواء من الدمى أو الألعاب أو المال أو الشوكولاتة، قد يسهم في إفساد الأطفال في سن مبكرة. كما أن نشأة الأطفال في عائلة ثرية يجعلهم مدللين إذا توفر لهم الكثير من كل شيء. ويحسن بالآباء والأمهات عدم إعطاء أولادهم أكثر مما هو مناسب ومعقول، وسيساعدهم هذا على أن يكونوا أكثر استعداداً لمواجهة الأوقات العصيبة والهنيئة على حد سواء في الحياة.

لا تلبِّ المطالب جميعها

يستمد الآباء والأمهات ارتياحهم ورضاهم عن أنفسهم غالباً من تلبية رغبات أولادهم، إلا أن عليهم مع ذلك عدم تلبية بعض رغباتهم عمداً، لأنه إذا وفرت لهم كل رغبة وأمنية ربما سيصبحون معرضين لأن يصبحوا نرجسيين، أحياناً يصبحون غير منطقيين وغير عقلانيين وعنيفين ومحبطين، أو ربما لن يكونوا قادرين على تقبّل الرفض في أي مقابلة لوظيفة في وقت لاحق من حياتهم، فضلاً عن أنهم سيكونون أكثر عرضة من غيرهم للإصابة بالاكتئاب، أو غير قادرين على تخطي إخفاقاتهم والتحرر من آثارها.

تجنب المقارنات المثبّطة

يتعين على الآباء والأمهات الحد من ميل ولدهم لمقارنة ما عنده بما عند غيره من الأولاد، وإذا طلب الولد شراء لعبة كونها عند جاره؛ فيحسن رفض طلبه حتى لا ينتهي الأمر به إلى مساواة نفسه باستمرار بما عند الآخرين بالناس الذين لديهم من الإمكانات المادية التي تجعلهم يحصلون على أي شيء في القادم من حياته.

تجنب الاسترضاء ورشوة الأولاد

يميل بعض الآباء والأمهات إلى السعي إلى إرضاء أولادهم باستمرار، ومع أن الاسترضاء يحقق مكاسب على المدى القصير؛ إلا أنه يستجلب الخسائر على المدى الطويل، ويجب على الآباء والأمهات إدراك ذلك ويتعين عليهم أن يكونوا صادقين، وأن يقولوا «لا» لمطالب أولادهم غير المعقولة وغير المنطقية، فلا يعقل أن تجعل حياتك كلها رهناً لمطالب أولادك.

لا تستسلم للشعور بالذنب

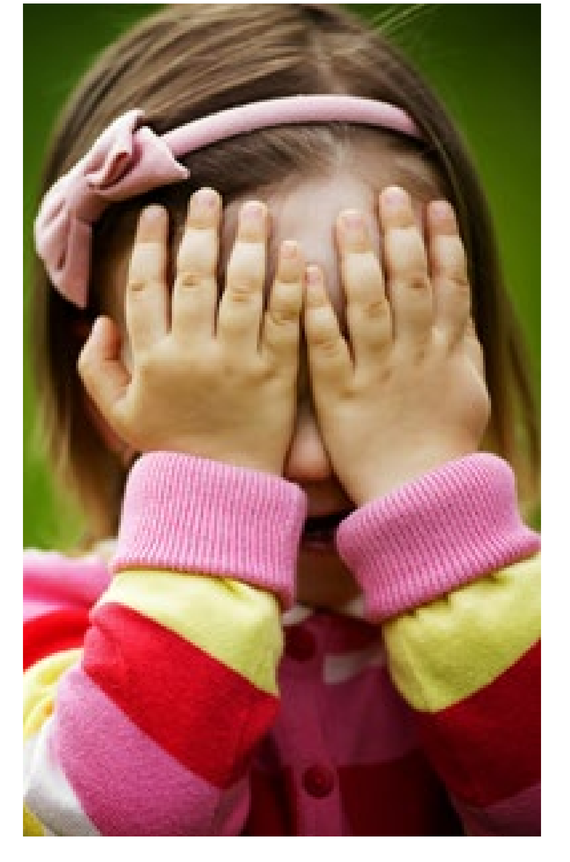
يميل بعض الآباء والأمهات إلى إرضاء أولادهم بسبب شعورهم بالذنب تجاههم لسبب أو لآخر، فعلى سبيل المثال ترجع الأم العاملة إلى بيتها في وقت متأخر فلا يتوفر لها الوقت لتساعد ولدها في واجباته المدرسية، ويطلب الولد المثلجات بدلاً من وجبة العشاء فتوافق الأم تكفيراً عن ذنبها، علماً بأن الولد ذكي جداً ويعرف السبب وراء هذه الرشوة. فعلى الآباء والأمهات امتلاك الشجاعة لأن يقولوا «لا» بغض النظر عن نوبات غضب ولدهم، التي قد يلجأ إليها كلما أراد شيئاً، ولم يستطع الحصول عليه بالطرق المعقولة.

يحتاج الأولاد إلى أن يتعلموا كيفية التعامل مع «لا» الرفض عن طريق سماعهم لها من والديهم وأصدقائهم ومعلميهم وجيرانهم، فهذا مهم لنضجهم العقلي والنفسي.

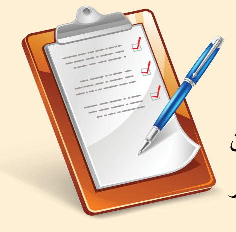


سلاح نوبة الغضب عند الأولاد

لا تدع ولدك يستثمر بكاءه كأداة ضغط، فهناك البكاء الذي يصدر عن حاجة حقيقية مثل: الجوع والحمى والألم والخوف، وهو يتطلب اهتمام الوالدين، وهناك نوع آخر من البكاء الذي هو عبارة عن نوبة غضب يسعى الولد من ورائها الحصول على شيء كمالي، لذلك يبكي بصوت عال مع الصراخ. ويحسن بالوالدين تجاهل مثل هذا النوع من البكاء، وإلا فسيصبح عادة ونمطاً متبعاً من الولد، وسيعلو صراخه شيئاً فشيئاً إلى أن يستسلم الوالداه. ويعطي هذا التصرف رسالة خاطئة للولد بالتحكم بالوالد أو الوالدة بسلاح البكاء، عندما يكون البكاء جزءاً من نوبة الغضب تجاهله، ولا تصرخ في وجه الولد، والتزم الهدوء والتحكم بأعصابك، وتقبل مشاعر الولد، ولكن لا تستسلم، وحين تنتهي نوبة الغضب سيتعلم الولد أن البكاء الذي لا لزوم له لن يكون سلوكاً مقبولاً.



الأنشطة



النشاط ٤٨: تبادل الخبرات والتجارب

شارك أطفالك بالكلام عن مواقف قلت فيها الحقيقة (عندما كان من الممكن أن تكذب)، كذلك ناقش الموضوعات الآتية: ما عواقب الكذب؟ وما علاجه؟ وما العبر المستفادة من الكذب؟ ويمكن للأطفال أيضاً المساهمة في هذا الموضوع بقصص حقيقية حدثت معهم، أو مع أصدقائهم.

النشاط ٤٩: أهم خصلة ذميمة تريد أن يتخلص منها أطفالك

ما هي الخصلة الذميمة الأكثر ضرراً التي تريد من طفلك الابتعاد عنها؟

- اروِ لأطفالك قصصاً حقيقية عن أشخاص دُمرت حياتهم بسبب الكذب، ولو أنهم كانوا صادقين لتمتعوا بحياة ناجحة وسعيدة.

- ذكّر أطفالك وناقشهم في حقيقة أن كفار مكة المكرمة كانوا ينادون الرسول محمد ﷺ «الصادق الأمين» قبل النبوة وأثر ذلك بعدئذ على انتشار الرسالة نتيجة لصدق حامل الرسالة وأمانته!

النشاط ٥٠: اختبار درجة الالتزام

تتداخل السمات المختلفة للشخصية الحسنة بعضها بعضاً، ويتعين على أفراد الأسرة جميعهم مناقشة أهمية الالتزام في جو أسري والإجابة عن هذه الأسئلة:

- هل أفي بوعودي؟
- هل أفي بالتزاماتي؟
- هل أعيد ما استعرته بسرعة؟
- هل أقيم صلواتي في وقتها؟
- هل احترم الكبار؟
- هل أسدد ديوني في الوقت المحدد؟
- هل أنجز واجباتي في الوقت المحدد؟
- هل أنا دقيق ومنضبط بمواعيدي؟

النشاط ٥١: الرضا

تأمل ممارسات أسرتك وأقاربك وأصدقائك في ضوء الحديث الشريف:

«ارضَ بما قسَمَه اللّهُ لك؛ تكُنْ أغنى الناس» (الترمذي).

النشاط ٥٢: المشاركة الفعالة

اقرأ البنود الآتية مع أولادك، واربط الفقرات المحددة بتجاربهم الشخصية.

١. التعلم الأكثر فعالية هو عندما يتفاعل الأولاد بنشاط وحيوية في استكشاف العالم من حولهم: محاولة فهم الأمور، والسقوط ثم محاولة النهوض، والتعبير عن أفكارهم وآرائهم وعواطفهم استجابة لما يرونه. وينبغي على الآباء والأمهات نقل أفكارهم ودروسهم لأولادهم أثناء مرحلة الاستكشاف عند الأولاد.

٢. خصص وقتاً كافياً للولد كي يصمت، وينظر حوله، ويأخذ نفساً عميقاً، ويعبِّر عن الإحباط، ويفكر. وليس هذا علامة ضعف، فهو إنما يفكِّر في الواقع، ويحاول تحديد ما يجب أن يفعله بما هو متوفر لديه. ويا للأسف الكثير من الآباء والأمهات سيجيبون عن الأسئلة بدلاً عن أولادهم، ويحمونهم من المواقف التي فيها تحدٍّ لقدرات الأولاد، ويأخذون على عاتقهم السيطرة على الوضع عندما يرون ولدهما وهو يحاول جاهداً فهم شيء ما، وإن لهذا من غير شك تأثيراً سلبياً على ثقة الولد بنفسه وبقدرته على حل المشكلات، ومهارته في الصبر والتفاوض. إنه يتعلم بذلك طريقة واحدة لا وجود لغيرها في حل مشكلاته، وهي الاعتماد على الآخرين.

٣. ينبغي على الآباء والأمهات القيام بدور الخبير والمدرب والمعلم، فيتيحون الفرصة للأولاد كي يستخدموا علمهم ومهاراتهم وقدراتهم، ويكون دور الآباء هو توجيه الأولاد ومساعدتهم في التغلب على المواقف الصعبة واستخدام قدراتهم الخاصة.

٤. يحسن بالآباء والأمهات السماح لأبنائهم بارتكاب الأخطاء؛ فساعد الولد على فهم ما أصاب فيه، وما أخطأ فيه أيضاً، وعلى فهم السبب في ما فعل، وكيف يمكن أن يفعله بطريقة أفضل مستقبلاً، فليس الفعل وحده هو المهم، بل الجهد الذهني الذي بذله لإنجاز العمل، وتجنب تكرار الأخطاء نفسها في المرات القادمة، والاستفادة الكاملة من ذلك كتجارب تثري حياته.

٥. إن أواصر علاقة الوالد مع الولد، والولد مع الوالد، ستتوطد وتتعمق بالمشاركة والانخراط الفعال في النشاطات المختلفة معاً، وحين توجد هذه العلاقة والرابطة، فإن الولد سوف يكون أكثر استعداداً لمشورة والديه عند ظهور التحديات في السنوات الآتية من حياته، حين تصبح التحديات أكثر تعقيداً.

ثالثاً: اختيار الصحبة الصالحة لأولادك

- أصدقاء أبنائك
- هناك عدة أنواع من الأصدقاء
- بعض المشكلات مع أصدقاء السوء
- ضغط الزملاء اليومي في المدرسة
- اختيار الأصدقاء الصالحين
- ماذا لو اختار ولدك أصدقاء غير مناسبين؟
- لماذا يحصل التجاذب القوي بين المراهقين؟
- عيش الأسر في أحياء غير ملائمة
- الأنشطة ٥٣-٥٥

أصدقاء أبنائك

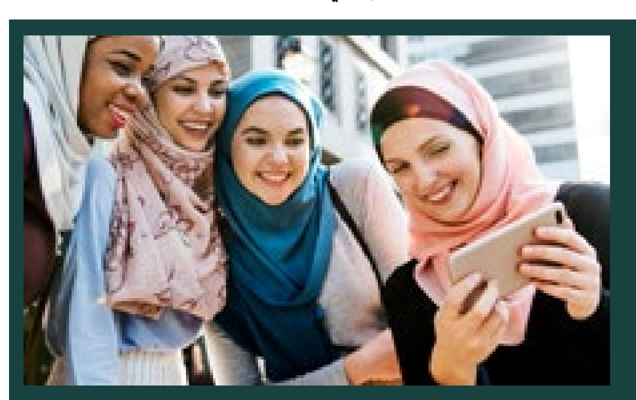
في عالم الفيزياء، القطبان المتشابهان يتنافران، والقطبان المختلفان يتجاذبان، والعكس في عالم الأحياء «الطيور على أشكالها تقع»، إننا نحاول إقامة علاقات ودية مع الناس الذين نلتقي بهم: الجيران، والأولاد في المدرسة، والباعة في السوق، وغيرهم. ويتعين عليك معاملة الجميع باللطف والاحترام، لكن من الأفضل، في الوقت نفسه، تجنب إقامة علاقة صداقة قوية مع الذين يضيعون حياتهم بلا هدف ولا قيمة، وأن نتخير أصدقاءنا من المؤمنين الملتزمين ما أمكن، فهؤلاء لن يمانعوا من إيقاف اللعب لبضع دقائق، ولو كان في منتصفه، للسماح بأداء الصلاة، كذلك يقدرون تجنبك للخمور أو تعاطي المخدرات أو اللهو مع النساء.

وفي بعض الأحيان، ليس بالإمكان إقامة صداقات مع من يشاركونك القيم السامية لأنك تعيش بعيداً عنهم، وأطفالهم لا يذهبون إلى مدرسة أطفالك، ومع ذلك فقد تجد صديقاً في مكان قريب من منزلك، من عائلة طيبة وخيِّرة، وربما من دين آخر، لكن يشترك معك في القيم نفسها، ويحترم عاداتك وتقاليدك. فمنظمات المجتمع المحلي، مثل: النوادي الرياضية والكشافة ومؤسسات حماية الطبيعة، يمكن أن تكون تجمعات مناسبة لتكوين صداقات مع الشباب ممن لديهم هدف وغاية في الحياة، ويريدون أن يستمتعوا بالحياة استمتاعاً سليماً ومفرحاً وخالياً من المنغصات.

الصديق الحق هو الشخص الذي يقاسمك قيم الانتماء والولاء والوفاء والتعاطف والكرم والتفهم، ولا بد أن تتبنى بعض المعايير، بوصفك شخصاً بالغاً، لاختيار الصديق، لكن هذه المعايير قد لا توافق معايير أولادك المراهقين. والأمر المقلق هنا أن الأصدقاء يؤثرون كثيراً على أولادك المراهقين وقد يفوق تأثير أي جهة أخرى، فهم يؤثرون على طريقة لبسهم وتصرفاتهم وعلاقاتهم مع الآخرين. فالبحوث التي أجريت منذ ١٩٩٥ حتى الآن تشير إلى أن تأثير الوالدين على المراهقين أكثر من تأثير الأقران.

وبينما تميل الفتيات إلى تكوين صداقة خاصة مع صديقة واحدة فقط أو مجموعة صغيرة من الفتيات، يميل الفتيان إلى التحرك والبحث عن الصداقات في مجموعات كبيرة، أو تحديد أصدقائهم بناءً على من يشترك معهم في ممارسة رياضة ما، أو في حبهم لهواية معينة، وهذه الصداقات مهمة ويمكن أن تكون عميقة جداً، كما يمكن أن تنقطع هذه العلاقة فجأة إذا خرق الشخص الآخر قواعد الولاء والانتماء المتعارف عليها بين الأصدقاء.

فلا تنزعج إذا رأيت أولادك يهتمون بأصدقائهم أكثر مما يهتمون بأسرتهم، إذ لا يحتاج أحدنا إلى بذل جهد كبير للمحافظة على علاقته بأقاربه وقد ولد بينهم، فكل ما عليه القيام به هو تلمس كيفية أن يكون سعيداً معهم، لأنهم يحبونه ويهتمون به، على حين أن الأصدقاء يجمل أن يبحث عنهم بنفسه، ويتعين أن يقنعهم بأنه سيكون شخصاً مرغوباً ومحبوباً بحسب معاييرهم كي يكسب صداقتهم في النهاية.



اكسب ألف صديق ولا عدواً واحداً!

س: ما الأمر المشترك بين قائد كرة القدم وقائد خيّر؟

ج: كلاهما يقدر المثابرة والشجاعة وروح الفريق والأمل.

س: ما الأمر المشترك والمختلف بين الجنود وأعضاء المافيا والجرائم؟

ج: كلاهما يظهر الولاء المطلق والشجاعة الفائقة لمنظماتهم – الجنود لوطنهم، والمافيا لعصابتهم، أما الجنود ففي سبيل الخير، وأما المافيا ففي سبيل الشر.

لاحظ أن الأصدقاء اليوم هم أساس عائلات الغد، وهناك مثل إيطالي قديم يوضح: «إذا أردت أن تشتري بقرة فاشترها من مزرعتك»، يعني: إذا أردت أن تختار أحداً فمن الأفضل أن تختار ممن تعرفه معرفة كافية.

هناك عدة أنواع من الأصدقاء

- الزملاء – وهم الأفراد الذين يعمل معهم المراهقون، أو يشتركون معهم بنشاط أو عمل ما، وقد لا يحب أولادك زملاءهم، ولكن يحسن أن يتعايشوا معهم لإنجاز العمل المطلوب منهم.
- المعارف – وهم الأفراد الذين يعرفونهم معرفة يسيرة، ولا يشعرون بمشاعر قوية تجاههم.
- الأصدقاء العاديون – وهم الناس الذين يعرفونهم ويودونهم في المدرسة والحي.
- الأصدقاء المقربون – أولئك الذين يعرفونهم جيداً ويهتمون بشأنهم، ويثقون بهم، ويشاورونهم في أمورهم ويعتمدون عليهم.
- الأخلاء – وهم من كانت مشاعرهم تجاههم مشاعر المحبة وليس مجرد الرغبة بمصاحبتهم، ويشاركونهم في كل شيء تقريباً، ومهما تجادلوا معهم فسوف يظلون أقرب الأصدقاء لهم.

الصداقة حبل له طرفان – يربط بين شخصين موجودين في نهاية كل طرف، ومن الصعب أن ترتبط بشخص دون أن يرتبط معك، والصداقة أيضاً بذل وعطاء، ويتعين فيها أن تُعطي مثل ما تأخذ من التسامح والمودة والدعابة والاهتمام والتضحية، كما يستحسن أن يحافظ الطرفان على التواصل الدائم بينهما.

والناس بشكل عام مُعرَّضون إلى تغير الأحوال والأمزجة والنفسيات، فوضح لأولادك المراهقين أن لا يلوموا أنفسهم إذا انتاب أصدقاءهم وقتٌ عصيب، أو أبدوا حماسة أقلّ من المعتاد تجاههم، ويجمل مشاركتهم أحزانهم وأفراحهم. فالصداقة تتطلب المشاركة الوجدانية، والتواصل بالكلمة الطيبة، والتعاطف الإيجابي مع الأحوال المختلفة التي يمر بها الأصدقاء. ويستاء الآباء والأمهات إذا رافق أولادهم المراهقون أصدقاء «غير مُرَحَّب أو مرغوب بهم، شباب يحملون قيماً مختلفة لما يحاولون تربية أولادهم عليها، و «الأصدقاء غير المرغوب بهم» هم ممن لا يتّقون اللّه، أو ممن يدخنون ويتعاطون المخدرات، أو يتكلمون بلغة منحطة، أو يخالفون القانون ويقعون في مشكلات مع الشرطة، أو يشجعون على ارتكاب المخاطر. أخيراً، ضع أمامك أيضاً أن الأصدقاء «غير المرغوب فيهم» قد تجذبهم إليكم مناقب أولادك وأسرتك الحميدة ويعدونكم قدوةً حسنة، فعليك في هذه الحالة أن تنمّي الخير فيهم ما أمكن ذلك.

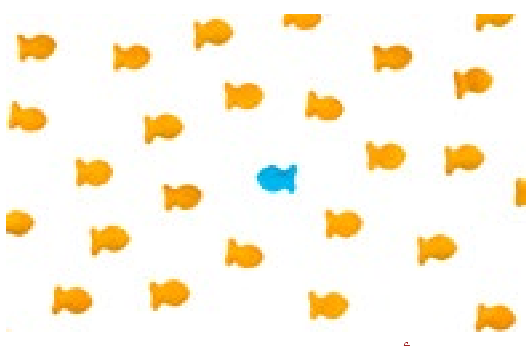
بعض المشكلات مع أصدقاء السوء

- يتلفون ممتلكاتك.
- أفظاظ وغير لطفاء.
- يسيطرون على منزلك.
- يخوّفونك ويتجاهلونك.
- تحزن لأنهم يبعدون أولادك عنك، ويقودونهم إلى الشر.

ضغط الزملاء اليومي في المدرسة

يفرض النظام المدرسي ضغطاً على الولد كي يكون مقبولاً من زملائه، والولد المسلم الذي يعيش في بيئة مختلفة يجد نفسه في وضع غير مريح لاختلاف اللون

واللغة وأدب اللباس (خاصة للبنات) والعادات الغذائية. وتترجم المعتقدات الدينية المختلفة عادةً إلى مجموعة مختلفة من الأفعال، وقد ينظر زملاؤه إلى هذه الاختلافات على أنها تهديد لهم. وقد يسبب اختلاف لون البشرة مشكلات في العلاقات مع الآخرين إذا كانت البيئة مشحونة بالعنصرية، سيما المجتمعات متعددة الثقافات.



اختيار الأصدقاء الصالحين

يتعين عليك معرفة أصدقاء أولادك معرفة كافية، فادعهم إلى منزلك لتكوّن فكرة عامة عنهم، ولمعرفة درجة تأثيرهم على ولدك، وقد تكون دعوتهم هذه هي الفرصة الوحيدة ليتعرّفوا على بيت مؤمن، فتخيل الأثر الإيجابي الكبير لمظهر عائلتك وجوهرها الإيماني على بعض الشباب من أصدقاء أولادك الذين يدخلون بيتك!

تحدث مع أولادك حول الأسس التي يتبعونها في اختيارهم لأصدقائهم، خاصة إذا كان هناك بعض الاختيارات التي تقلقك، فيتعين التعامل مع هذا الصنف من الأصدقاء الذين يسببون القلق بحذر وعناية. وعلى كل حال لا بد أن يبدأ أولادك باتخاذ قراراتهم لاختيار الأصدقاء، لأنك إذا تتخذ هذه القرارات دائماً عنهم فإنك بذلك تعلمهم الاعتماد على الآخرين، وهذا لن يكون لصالحهم، سيما عندما يستقلون في عيشهم، فأنت لن تكون دائماً حولهم أو معهم.

قم بشيئين مهمين عند مناقشة موضوع اختيار الأصدقاء مع أولادك، هما:

- اذكر لهم عبارات تبدأ بـ «أنا». تحدث عن شعورك أنت عندما قابلت صديقة بنتك مثلاً: «عندما كنت تلعبين مع ياسمين بدا لي أنها كانت تنتزع الأشياء من أيدي الآخرين، وإن رؤيتي لفتاة تتصرف بأنانية لا يسرّني»، أو «عندما تحدثت مع خالد لاحظت أنه ذكر أباه بسوء وهذا ما أزعجني منه».

إنك بهذا تقدم لابنك أو لابنتك فرصة لإبداء الملاحظات المشابهة، دون الشعور بأنهم مضطرون للدفاع لأنهم اختاروا صديقاً معيناً، تجنب أن تقول: «أنت دائماً تختار أصدقاء أنانيين وطائشين لتلعب معهم، أليس كذلك؟»

- اطرح أسئلة، اسأل ولدك/ ابنتك عما إذا لاحظ المشكلات نفسها تصدر من صديقه، وكيف شعر عندئذ، واستمع بعناية لإجاباته كي تتعرف على معايير التقويم الفعلي عند ولدك لأصدقائه، وإذا اتضح لك أنه يشاركك المخاوف والاهتمامات نفسها، فيمكنك أن تقول له: «هل تظن أن من الأفضل لك قضاء المزيد من الوقت مع أصدقائك الآخرين ووقتاً أقلّ مع هذا الصديق؟» ابدأ هذه المسألة في أقرب وقت ممكن، واسمح لأولادك بمناقشة أمر أصدقائهم معك بصراحة، وسوف يبني هذا «جسراً» متيناً للعلاقة بينكما، ويمكنك استعماله عندما يكبرون.

ماذا لو اختار ولدك أصدقاء غير مناسبين؟

قالت إيمان القاضي (خبيرة اجتماعية متخصصة):

«قد يختار الولد صديقاً غير مؤدب، فلا ترتعبوا أيها الآباء والأمهات، لأن الأولاد قد ينجذبون طبيعياً إلى المجهول بدافع الفضول، وعندما يشبعون هذا الفضول فقد لا يعودون يهتمون بالأمر. وإذا حاولنا قطع هذه الصداقة فجأة وعنوة بالسلطات الوالدية؛ فإن ذلك قد يؤدي إلى أن يتمسكوا أكثر بهذا الصديق، فقط من باب المناكفة»، والحل أنه عندما يكون هذا الصديق في منزلك مع ولدك يمكنك أن تقول له: «أهلاً وسهلاً بك، لكن يتعين الالتزام بقواعد هذا المنزل.»

وقد يؤثر على الولد كثيراً صديق من نفس الدين، ولكنه غير ملتزم به، ويرتكب الرذائل والآثام. ويتذكر أحد المؤلفين هنا الصدمة التي تعرض لها ولداه (كانت أعمارهما سبع وتسع سنوات) عندما زارا إسطنبول للمرة الأولى في السبعينيات. ولم يتصورا أنهما سيجدان في إسطنبول من يشرب الخمور، ومن يعرضون الصور الجنسية الفاضحة على أرصفة الشوارع نهاراً جهاراً، ويجاهرون في الإفطار في نهار رمضان، لأنهما تربيا في بيئة منزلية دينية في أمريكا، فأوضحت لولديهما أنه ليس كل من يولد مسلماً يلتزم بالضرورة بتعاليم الإسلام.

ويتأثر الأولاد بآراء والديهم ومبادئهما، لذلك كان من المهم للآباء والأمهات معرفة الأوقات والظروف التي لا يلتزم الأولاد بهذه المبادئ. وتبرز هنا التساؤلات الآتية: ما هي العوامل التي أوصلت الولد إلى صديق السوء هذا؟ ولماذا نرى ولداً يدخن وآخر معه لا يدخن؟ وما الذي يوفره الصديق ولا توفره الأسرة؟

يُعَدُّ تشجيع الأولاد على الانضمام للأنشطة المفيدة أمراً مهماً في اختيار أصدقائهم، ونذكر في هذا المجال بعض النصائح الإضافية:

- إذا كان هناك ولد لا تحبه قادم إلى بيتك فاقترح دعوة أصدقاء آخرين تحبهم كي يأتوا أيضاً، ومن ثَمَّ يتهيأ جوّ أفضل.
- احرص على بقاء الولد منشغلاً عن دعوة أصدقائه غير المرغوب بهم بأمور أخرى (بزيارة قريب مثلاً).
- ضع سلسلة من الآداب والقواعد التي تطبق على الحاضرين لبيتك جميعهم مثل: منع الصراخ أو إطلاق الشتائم أو الضرب أو إتلاف الأثاث وبعثرته.

احرص كل الحرص على أن تعرف من هم أصدقاء أولادك

لماذا يحصل التجاذب القوي بين المراهقين؟

يتأثر المراهقون بأصدقائهم لسببين رئيسين:

- لأنهم يختارون أصدقاءهم بأنفسهم، خلافاً لعلاقاتهم مع أقاربهم الذين ليس لهم يد باختيارهم.
- لأن علاقتهم مع أصدقائهم تنتج عادةً من التقارب في العمر، والخبرة، والمشاعر، والهوايات، والتحديات، والمشكلات، والظروف، وبيئة المدرسة.

يشكل المراهقون مجموعات اجتماعية خاصة بهم، وبثقافة ورموز ولغة وقيم وعادات خاصة أيضاً، كذلك يميل المراهقون في العوائل غير الناجحة إلى التشاور قليلاً مع آبائهم وأمهاتهم، وكثيراً مع أصدقائهم، وخلافه صحيح في العوائل الطبيعية والجيدة. وبقدر ما يقل تفاعل المراهقين مع الوالدين، والمعلمين، وكبار السن، يزداد ميلهم إلى التفاعل مع أصدقائهم. ويتأثر المراهقون في الأمور المالية تأثراً أكبر بوالديهم، بينما يتبعون أصدقاءهم في الهوايات والملابس والنوادي وقضاء وقت الفراغ والرحلات والجولات ونوع السيارات.

بَيَّن النبي ﷺ تأثير الأصدقاء بعضهم بعضاً، فقال: «المرءُ على دِينِ خليلِه، فليَنظرْ أحدُكم من يُخالِل» (الترمذي).

«المرءُ مع من أحبَّ» (البخاري ومسلم).

«إنَّما مَثَلُ الجليسِ الصالحِ والجليسِ السوءِ كحاملِ المسكِ ونافخِ الكِيرِ، فحاملُ المسكِ إمّا أن يُحْذِيَكَ، وإما أن تبتاعَ منه، وإمَّا أن تجدَ منه ريحاً طيِّبة، ونافخُ الكيرِ: إما أن يَحرقَ ثِيابَكَ، وإمّا أن تجدَ منه ريحاً خبيثَة» (مسلم).

عيش الأسر في أحياء غير ملائمة

يسبِّب أصدقاء السوء مشكلات خطيرة وحقيقية يصعب تجنبها، وقد يجلب أصدقاء المدرسة والحي الدمار للأسرة. وإذا كانت الأسرة تعيش في مكان

ليس فيه أصدقاء مناسبون لأولادهم، فيتعين أن تبحث الأسرة عن أصدقاء مناسبين في أحياء وأماكن قريبة. ويُعدُّ هذا محاولة مهمة يسيرة من الآباء والأمهات للفوائد الكبيرة التي سوف تجنى في وقت لاحق.

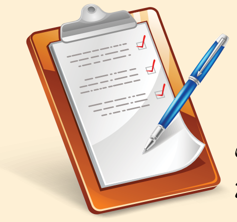
وفي القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ (الفرقان: ٢٧-٢٩).

الآباء والأمهات: اسمحوا لولدكم/ ابنتكم بدعوة أصدقائه أو أصدقائها لبيتكم، وراقبوهم، وادرسوا سلوكهم دراسة منصفة وعادلة، وحاولوا أن تصادقوا أصدقاء أولادكم.

دعا الدكتور جيمس كولمان (James S. Coleman)، الرئيس السابق للجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع وواحد من أشهر علماء الاجتماع في العالم، إلى الانفتاح بين الأجيال، أي أن يعرف الوالدان والدي أصدقاء أولادهما، الأمر الذي يُعزِّز الانفتاح على المجتمع، ويزيد القدرة على تعزيز السلوك الحسن ونبذ السلوك السّيّء.



الأنشطة



النشاط ٥٣: قدوة ولدك

اطلب من ولدك/ ابنتك تسمية ثلاثة أشخاص يود أو تود اللقاء بهم، وسبب ذلك. إن هذا يمكن أن يكشف الكثير عن تصورهم «لقدوتهم»، ناقش مع أولادك موضوع القدوة الحسنة والسيئة أيضاً.

النشاط ٥٤: الولد ذو التأثير السيّء

ناقش الوضع التالي: ثم فكر في الخيارات أدناه.

ابنة جارك التي تبلغ من العمر تسع سنوات لها تأثير سيّء على ابنتك التي تبلغ من العمر سبع سنوات. وتلتقي البنتان معاً تقريباً كل يوم، وأنت تريد أن تقلل من لقاءاتهما هذه، فهل:

١. تطلب من ابنتك أن تقول للفتاة إنها لن تلعب معها، وإنها لن تستطيع مصاحبتها بعد الآن.

٢. تقول أنت لابنة الجيران إنها ممنوعة من اللعب مع ابنتك، وزيارتها في منزلك، وإنه لا يمكن لابنتك زيارتها في منزلها.

٣. تسمح للاثنتين باللقاء معاً فقط حين تستطيع مراقبة سلوكهما مراقبة تامة.

٤. تتحدث مع جارك بحكمة وتبين له مخاوفك من وجود البنتين معاً والمصالحة المشتركة بينكما.

يسبب الصديق السيّء القلق لكثير من الآباء والأمهات، ونذكر أدناه ملاحظات على الإجابات أعلاه:

١. لا تجعل ولدك يوضح المشكلة للولد الآخر بنفسه، فهما على الأرجح صغيران على فهم مخاوفك، وقد ينظر إليك الجميع على أنك الشخص «الشرير».

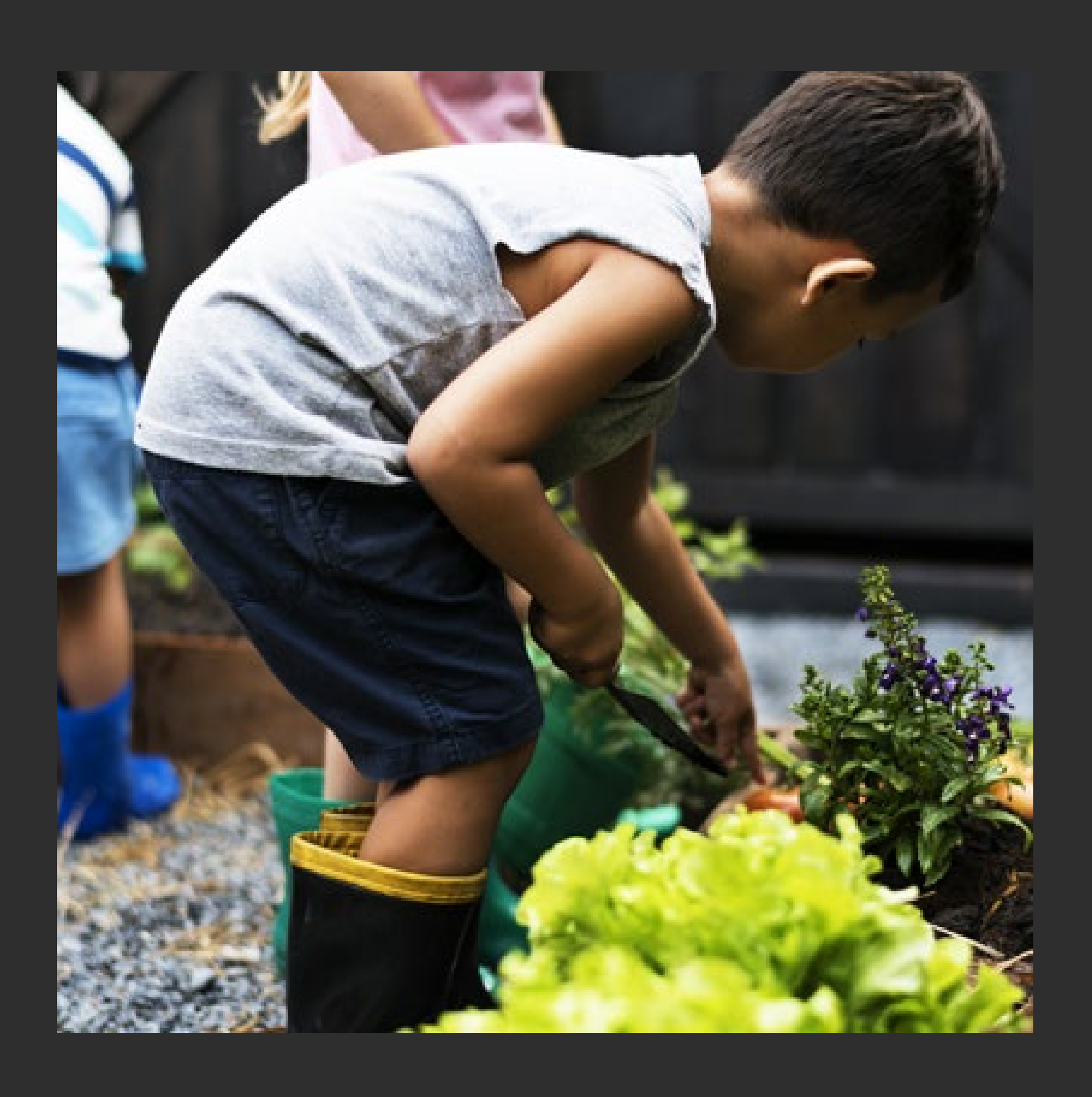
٢. محاولة شرح ما يقلقك، ووضع قوانين لأولاد الآخرين، أمر لا يروق لهم.

٣. هذا يتطلب الكثير من وقتك، لأنك ستصبح مشرفاً ومراقباً بدوام كامل، وهذا أمر مقلق ومرهق للغاية مع مرور الوقت.

٤. ليس من السهل مواجهة الجار بما تعدّه سلوكاً غير لائق من أولادهم، ومع ذلك فهذه هي أفضل وسيلة لحل المشكلة.

النشاط ٥٥: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لتصرفت تصرفاً مختلفاً!

يحاول الوالدان في جلسة الأسرة الإجابة عن السؤال التالي: «إذا كان لي أن أبدأ حياتي مرة أخرى، فما الذي أود أن أغير من أفعالي؟» اعترف بأخطائك لأولادك، وشجعهم على المشاركة بذكر أخطائهم كذلك، وأذكر القصص والحوادث الواقعية أثناء مسيرة حياتك والدروس المستقاة.



الفصل الخامس عشر

تنمية الشجاعة والإبداع والشعور بالمسؤولية

أولاً: تنمية الشجاعة

ثانياً: تحفيز الإبداع

ثالثاً: تعليم المسؤولية



أولاً: تنمية الشجاعة

- مقدمة
- مقتبسات عن البسالة
- المبادئ الأساسية للشجاعة والخوف
- تطور الخوف عند الأطفال
- حاجة الأطفال لتعلم الشجاعة العاطفية مع الشجاعة البدنية
- بين الشجاعة والانسجام الاجتماعي مع الآخرين
- ضغط الأصدقاء
- الوالدان والشجاعة والممارسات الثقافية
- الأنشطة ٥٦-٦٢



مقدمة

الشجاعة هي المواجهة والتعامل المباشر مع أي وضع خطير أو شاق أو مؤلم، بدل الانسحاب من المواجهة. فالشخص الشجاع هو الذي لا يخاف، أو هو من يتصف بالشجاعة التي من مقتضياتها وعناصرها: البسالة والثبات والحزم والجرأة والبطولة. ويجمل بالوالدين تعزيز صفة الشجاعة في أولادهما وغرسها في نفوسهم، ويكون ذلك بتعزيز الأمل، والتفاؤل بالنجاح، واحترام أحلام الأطفال لآمالهم المستقبلية. كما ينبغي تعليم أولادهما التحكم بالمواقف التي تمر بهم، وذلك بالمحافظة على هدوئهما، وتقديم الدعم اللازم لأبنائهما دون أن يتملَّكهم الهلع والخوف.

كذلك ينمي الوالدان البطولة (وهي الشجاعة المتسامية بالنبل) وذلك بالاهتمام بالآخرين ونجدتهم واحترامهم.

ونذكر في ما يأتي التعريفات السلوكية للشجاعة:

١. الذود عن الحق، حتى لو كنت وحدك.

٢. رفض ضغط الأقران السلبي.

٣. محاولة التجربة حتى لو كنت تخاف الإخفاق أو الخطأ.



٤. التعبير عن نفسك حتى لو عارض بعضهم ما تقول.

وفي ما يأتي بعض الحالات الأكثر شيوعاً والتي تتطلب شجاعة عند الأولاد:

١. قول الحقيقة حتى ولو أوقعك ذلك في مشكلات.

٢. التعامل مع المتنمّرين بالحكمة.

٣. التعامل مع ضغط الأقران.

٤. مفاجآت بداية الدوام المدرسي.

٥. اختلاف مظهرك اختلافاً واضحاً مثلاً (الحجاب للبنات، وارتداء الكوفية للبنين).

٦. تحقيق إنجاز أعلى من الإنجاز السابق.

٧. التعبير عن آراء مخالفة لآراء الآخرين.

هناك حالات تصبح فيها الشجاعة نوعاً من التمرد

والسَّفه، مثل عصيان الوالدين والمعلمين ومخالفة الأنظمة والقوانين. ويدخل في هذا الباب أيضاً التهوّر وعدم العقلانية والتمرد على الثقافة والدين، ومن المهم تجنب الخلط بين الدين وثقافات البلدان المختلفة، لأن بعض الممارسات الثقافية تخالف كلياً التعاليم الإسلامية. هناك على سبيل المثال، الزواج القسري، وإعطاء حضانة الأطفال للأب تلقائياً عند الطلاق بغض النظر عن سلوكه، وحرمان الأطفال (خاصة البنات) من التعليم، وحرمان المرأة من ميراثها الشرعي، فكل ذلك مخالف للتعاليم الإسلامية، ولا يجوز في الإسلام منع النساء والفتيات من الخروج، في الوقت الذي يسمح فيه للرجال والفتيان بالذهاب إلى أي مكان، وفي أي وقت، ومع أي شخص يودون مرافقته، ولا تجوز معاقبة النساء والفتيات عند أدنى شك في تصرفاتهن. ومعظم هذه الممارسات يعزى خطأً لتعاليم «الدين»، ويخطئ الآباء والأمهات أيضاً عند إجبار أطفالهم على الكذب والسلوك غير الشريف.

مقتبسات عن البسالة

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس» (البخاري).
- عندما دخل حمزة الإسلام تحدى الكفار بأن يمس أحد منهم النبي ﷺ بأذى. وحصل على لقب «سيد الشهداء» حين قتل أثناء معركة أُحد في هجوم جبان جاءه من خلفه، لقد كان حمزة رجلاً شجاعاً بحقّ.
- «الشجاعة هي أول الخصال، فإذا لم تملك الشجاعة فلن تستطيع الإفادة من أي من الشيم الأخرى» صامويل جاكسون.
- قال توماس جيفرسون: «شخص واحد يتحلّى بالشجاعة يُعدّ أغلبية».
- سيبقى الشر منتصراً ما دام الخيرون محجمين عن العمل الباسل.

المبادئ الأساسية للشجاعة والخوف



الخوف نقيض الشجاعة، وهو واحد من أكبر الدوافع الأساسية عند الإنسان. وقد يكون الخوف ردود فعل مكتسبة، أو استجابة وقائية فطرية. ويتعين على الوالدين مراقبة المخاوف الثابتة والمتغيرة وملاحظتها. فالخوف المتغير يأتي ويعود لفترة محدودة، ثم يزول، ويُعدُّ هذا أمراً عادياً، في حين أن الخوف الثابت يدوم أو ربما يزداد. وليس أمراً عادياً أن يعاني الأطفال من مخاوف ثابتة من أمور كالطيران، والمرتفعات، والقطط، والكلاب، والعناكب، والأماكن المزدحمة والأماكن المظلمة. والمخاوف الثابتة تتطلب صبراً لا ينفد للتغلب عليها، بل قد تتطلب علاجاً من المختصين. وتعد المخاوف المقبولة جزءاً من الحياة اليومية؛ لأنها تساعد البالغين والأطفال على الاستجابة السريعة للخطر، ومن هذه المخاوف: الخوف من الثعابين السامة، والنيران المشتعلة، والتعامل مع حامض الهيدروكلوريك. ويعد الخوف غير مقبول إذا سبب تعويق الشخص من القيام بنشاطاته اليومية.

ونذكر في ما يأتي بعض الاقتراحات التي تساعد الأولاد على التعامل مع مخاوفهم:

- الثناء على محاولات الطفل المختلفة، فعندما يحاول الطفل فعل شيء ما فهو يستحق الثناء، بغض النظر عن نجاحه أو إخفاقه، ومن المهم أن نثني على الشجاعة الأخلاقية عند الأولاد وأمثلتها: مخالفة الآخرين حين يقترفون خطأ ما، أو قول الحقيقة حين يكون الكذب أسهل عليهم.
- القدوة الوالدية أفضل منمٍّ للشجاعة، فحينما يتحلَّى الوالدان بالشجاعة، فسيتبعهم أطفالهم في ذلك. ويعد الأطفال مقلدين متحمسين، لرغبتهم بالتصرف مثل البالغين، خاصة والديهم، وعادةً ما تتشابه مخاوف الأطفال مع مخاوف والديهم.
- يتعين على الوالدين توضيح الفرق بين الشجاعة المحمودة والتفاخر أو الاستعراض الصاخب والتهوّر؛ تجنباً لبروز الشخصية الهستيرية أو الاستعراضية عند الأبناء. ويحسن ألا يخلطا بين نقص الشجاعة والخجل والاحترام. ويتعين أن يتعلم الأولاد الدفاع عن حقوقهم وحقوق الآخرين أيضاً. وأن يشرحا لهم كيف تكون «الشجاعة الرصينة الهادئة» ليقولوا «لا» ويرفضوا كل ما يُعدُّ أمراً خطأ بدون حرج، ومتى يقولون «لا» وكيف يقولونها، فالتعليم ليس لذات الكلمة إنما للحاجة لمعيار يضبط وقتها وكيفها كذلك.
- ينبغي على الوالدين خلق جو رحيم من القبول والاحترام في المنزل؛ لأن الأطفال يحتاجون إلى مكان آمن للتعبير عن مخاوفهم علناً، ويعد أي خوف للأطفال حقيقياً مهما بدا أنه غير معقول للكبار، فيجمل بالوالدين تجنب السخرية من مخاوف أطفالهم أو تجاهلها، ويستحسن أن لا يشهَّر بالطفل الخائف، أو يعاقب، ولا أن يبالَغ في الحرص عليه وحمايته.
- يوفر الروتين اليومي الثابت والمعتاد للأطفال الشعور بالقوة والسيطرة، حيث تنبع مخاوف الأطفال في كثير من الأحيان من نقص المعلومات حول ما يحدث في حياتهم. وعندما تكون التغييرات في الروتين ضرورية؛ وقتها تسهم المناقشة الاستباقية في إعداد الأطفال لذلك. وقد تكون الرحلات الميدانية، أو استقبال الزوار، أو التدريبات على إطفاء الحرائق، مخيفة للأطفال، لأنهم يجهلون ما يمكن أن يحدث أثنائها، ويمكن أن يعين في التغلب على هذه المخاوف أن نطلب منهم وصف ما يظنون أو يتوقعون أن يحدث، ومن ثم، بعد وقوع الحدث، يشاركون في مناقشة الحدث وتجاربهم وشعورهم أثناءه، وتستعمل كلمات مثل: «خائف» و «خوف»، و «مرعوب» للوقوف على حقيقة شعور الأطفال في ما حدث.
- لا تدفع الأطفال على مواجهة شيء يخافونه قبل أن يكونوا مستعدين لذلك. وحين يظهرون القدرة على التعامل معه؛ يمكن أن يشجعوا بلطف على مواجهة خوفهم هذا بالتعرض التدريجي لما يجدونه مخيفاً. فعلى سبيل المثال، إذا كان الأطفال يخافون من صوت المكنسة الكهربائية؛ يتعين لمسها عندما تكون مطفأة، أو يشغلها شخص آخر عندما يحضن الوالدان الطفل لطمأنته. كذلك يقرر الأطفال الوقت المناسب لوضع وجوههم تحت الماء عند تعلم السباحة يعطيهم الشعور بالسيطرة ويقلل من خوفهم.
- تجنب إظهار القلق المفرط عندما يخاف الأطفال من شيء ما، فقد تزيد من مخاوفهم من غير قصد ويظنون بأنهم معاقبون لشعورهم بالخوف، كما يحسن إعطاء الأطفال معلومات مناسبة لسنهم عن ما يعدونه مخيفاً لهم، على أن يكون ذلك في لهجة هادئة ومطمئنة، كأن يقول أحد الوالدين مثلاً: «هذا صوت مرتفع جداً، أليس كذلك؟ إنها سيارة إسعاف، لا بد أنها في طريقها لإنقاذ شخص ما».



يحتاج الأطفال إلى تذكيرهم، مع اللطف والحنان، بالأشياء التي لم تعد تخيفهم، فذلك يساعدهم ويمكّنهم من التغلب على المخاوف الأخرى.

- مساعدة الأطفال على فهم الخوف، فعلى سبيل المثال، أن نبين لهم أن: «سماع أصوات مرتفعة، مثل الألعاب النارية والرعد، يمكن أن يكون مخيفاً»، وأن «الكلاب تنبح، لأن هذه هي طريقة 'كلامها' وأحياناً تنبح كثيراً عندما تفرح لرؤية شخص ما»، ولا تتوقع أن تتلاشى مخاوف الطفل بين عشية وضحاها، فكن صبوراً.
- ويتعين أن ينتبه الوالدان إلى أن أطفالهما يفهمون ما يسمعونه فهماً حرفياً، كقولنا لهم أحياناً: «سوف يعتقلك الشرطي إذا لم تجلس في مقعدك في السيارة»، أو عندما يقول غريب: «أنت جميل جداً، سآخذك معي إلى البيت»، والحذر من وصف الموت للأطفال بأنه النوم، لأن ذلك قد يخوف الأطفال من النوم، ولا يحسن أن يقال للطفل إنه سيكون صبياً كبيراً أو فتاة كبيرة عندما يتغلبا على الخوف فقد يشكل هذا ضغطاً نفسياً على الطفل.



تطور الخوف عند الأطفال

العمر	المخاوف الشائعة في مرحلة الطفولة
٦ أشهر	الغرباء
٨ أشهر	الانفصال عن الوالد/ الوالدة، والسقوط
سنة	الانفصال عن الوالد/ الوالدة، والصوت المرتفع، والحيوانات، والأطباء، والاستحمام
سنتان	الانفصال عن الوالد/ الوالدة، والتدرب على استعمال المرحاض، ووقت النوم، والأطباء، والاستحمام
٣ سنوات	ابتعاد الوالد/ الوالدة، والتدرب على استعمال المرحاض، ووقت النوم، والوحوش والأشباح، وأي شخص يبدو مختلفاً عن الأسرة مثل: شخص معاق، أو لون بشرته مختلف، أو ملابسه مختلفة.
٤ سنوات	الصوت المرتفع، والحيوانات، ووقت النوم، والوحوش والأشباح، والناس الذين يبدون مختلفين عن الأسرة، وفقدان أو وفاة أحد الوالدين، وطلاق الوالدين
٥ سنوات	الصوت المرتفع، والحيوانات، والوحوش والأشباح، والضياع، والألم، والذهاب إلى الحضانة، وفقدان أحد الوالدين أو وفاته، أو طلاق الوالدين.

من الطبيعي أن تكون لدى الأطفال بعض المخاوف من صوت الرعد أو الكلاب أو النحل أو الظلام أو أشياء أخرى خيالية مثل الوحش القبيح الذي يسكن تحت السرير، سيما إذا كان يسمع أو يشاهد عنه قصصاً مرعبة، وكلما زادت معرفة الصغار تناقصت الأشياء التي يخافونها. فقد أظهرت إحدى الدراسات أن ٤٣ ٪ من الأطفال ما بين ٦-١٢ من العمر لديهم العديد من المخاوف والهموم. (American Academy of Pediatrics by 2004 cited 2015 Healthychildren.org).. والخوف من الظلام يعد من أكثر المخاوف شيوعاً لدى الاطفال، خاصةً إذا ترك الطفل بمفرده في الظلام، وبعض الأطفال الذين تجعلهم طبيعة مزاجهم أكثر خوفاً من غيرهم. وعندما يُطَمئن الوالدان أطفالهما الخائفين فإنهما يعينونهم على الشعور بالأمان، ويمدهم هذا الشعور بالشجاعة التي يحتاجون إليها لمواجهة مخاوفهم والتغلب عليها.

ويخاف الأطفال الصغار في بداية مرحلة المشي من الغرباء، والانفصال عن الوالدين والمجهول. ويصيب الأطفال ممن هم في سن المدرسة وبعدها القلق من عدم الارتقاء إلى مستوى توقعات والديهم ومعلميهم.

وقد يخشى الأطفال من أشياء لا يمكن تصورها، فعلى سبيل المثال، عندما يبدأ الأطفال في المشي فقد يقلقون من أن تتركهم أمهم وراءها، وعندما تتصرف المياه في الحمام فإنهم قد يظنون أنهم سينزلون معها أيضاً ويختفون، كذلك مما يزيد مخاوف الطفل في محيطه الذي يعيش فيه؛ الأماكن غير المألوفة، والحشود، والظلال من أضواء الليل.



وحين تتصاعد مخاوف الطفل كثيراً، وتصبح محطمة لحياته، فيتعين حينها على الوالدين البحث عن العلاج من شخص مختص، وعند اتخاذ هذا القرار، فلا بد للوالدين من سؤال نفسيهما الأسئلة الآتية: كم المدة التي استغرقتها هذه المخاوف؟ وهل هذه المخاوف ضارة بطفلهما؟ وهل تتعارض هذه المخاوف مع السلوك الطبيعي للأطفال أو علاقات طفلهم بالآخرين؟ وهل تمنع هذه المخاوف طفلهما من اللعب والنوم؟

حاجة الأطفال لتعلم الشجاعة العاطفية مع الشجاعة البدنية

تعني الشجاعة العاطفية ألا تخاف من قول شيء ما، أو كتابة شيء ما، أو فعل شيء ما عاطفي مثل البكاء، فالشجاعة العاطفية هي بسالة حقيقية ومصدر للقوة في الحياة، وتبجّل الأفلام التي تستهدف الفتيان نوعاً واحداً من أنواع الشجاعة، وهو: الوقوف في وجه خصم أقوى جسدياً، وهكذا تُختَصَر شجاعة الرجال على أنها الاستعداد لقتال العدو، أو خداع حيوان كبير، أو هزيمة وحش غريب، أو مواجهة شرير بسلاح، ولا شك أن الأولاد بحاجة إلى نماذج من الشجاعة العاطفية، زيادة على أن يشهدوا الشجاعة في أسرهم وفي الناس من حولهم، ويقع على عاتق المجتمع توفير نماذج من البطولة تتجاوز الشجاعة الجسمية، فمع أن الكثير من البالغين يتمتعون بالشجاعة العاطفية في عملهم أو حياتهم الشخصية؛ إلا أنهم نادراً ما يسمحون لأطفالهم أن يشهدوا مواقفهم المميزة التي تنم عن ضميرهم الحي واللحظات الباسلة، فالناس، ولا سيما الوالدين، بحاجة إلى التحدث عن ذلك أمام أطفالهم، كما يتعين على الوالدين الثناء على بسالة الذين يظهرون الشجاعة في إلقاء خطاب، أو حين يكونون نشطين على الرغم من أنهم معاقون، أو حين يتعلمون لغة جديدة، أو حين يمدّون يد المساعدة عندما يكون من الأسهل إغفال الأمر.

يوجد بعد آخر من الشجاعة الأخلاقية وهي التحكم بالعواطف وامتلاك النفس عند الغضب، على النقيض من القوة البدنية، كما بين الرسول ﷺ حين قال: «ليس الشديدُ بالصُرعَة، إنما الشديدُ الذي يملِكُ نفسَه عند الغضب» (البخاري).

بين الشجاعة والانسجام الاجتماعي مع الآخرين

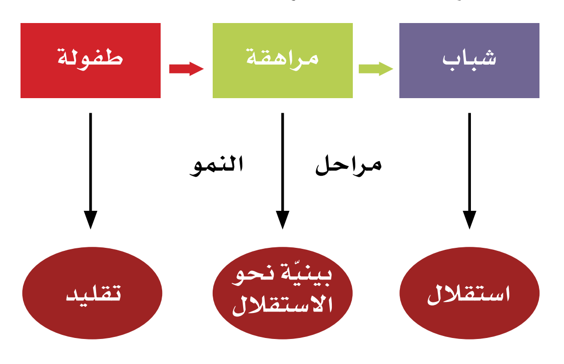
وصف الكثير من البالغين كيفية تطور استجاباتهم للخوف في مرحلة الطفولة بتأثير الوالدين والمعلمين حين كانوا يستخدمون معهم أساليب التهديد والفضح والتشهير، ورُبّي الأطفال على «أن عليهم الإذعان وإلا!» فكان يتوجَّب على الأطفال الاتباع الأعمى لإرادة البالغين، كذلك كان يقال لهم: «على الأطفال أن يُرَوا دون أن يُسمعَ لهم صوت» أو «إخرسْ وإلا سأجعلك تبكي بشدة!»، ولا يخفى ما في هذه العبارات وما شاكلها من إثارة للخوف، وتحطيم للشجاعة في نفوسهم.

يسعى الأولاد القلقون والخائفون للشعور بـ «الأمان» بالبقاء في وظائفهم أو الاستمرار في شركات لا تناسبهم. فخوفهم من العجز عن النجاح يحبطهم نفسياً، ويجعلهم لا يستطيعون إيجاد عمل أكثر ملاءمة لهم، فقلوبهم مليئة بالخوف من الرفض، ويظهر عليهم الشعور بالذنب والخجل والنقص، وتعوزهم الثقة، ولا يشعرون أنهم يستحقون ظروفاً أفضل، ولا يكافحون من أجل الحرية، لأن الحرية تتطلَّب شجاعة، وقد رُبّي هؤلاء منذ الطفولة على فقدان الأمان عندما يكونون وحدهم، وأنهم دائمو الحاجة إلى مساعدة الآخرين، وقد فقدوا الإبداع والابتكار، بل كانت تُقتل في نفوسهم باستمرار أية محاولة للإبداع، ورُبوا بدلاً من ذلك على الاستكانة والإذعان والطاعة العمياء.

ضغط الأصدقاء

عندما يكون الأولاد صغاراً فإن والديهم وأولياء أمورهم يتخذون القرارات المهمة في حياتهم نيابةً عنهم، ولكن على الأولاد أن يتدربوا على اتخاذ قراراتهم وحدهم عندما يتقدمون في السن، إذ لا بد أن يواجه المراهقون بعضَ الظروف الاجتماعية الصعبة التي يتعيّن فيها عليهم أن يتخذوا قراراتهم دون مساعدة خارجية.

وقد يضغط الأصدقاء عليهم بشدة لتجريب التدخين أو الخمور، أو المخدرات، ويكون من المشقة عليهم أن يقولوا «لا»؛ لأن ذلك يجعلهم في وضع الشاذ والمخالف للمجموعة.



يرغب الطفل في الاندماج في مجموعة ما وأن يكون جزءاً منها، ويحب أن يظهر أنه أكثر تعقيداً وتطوراً مما هو عليه بالفعل، ولا يحب أن يُنظر إليه على أنه «طفل صغير»، وأن من المتعذر عليه الدفاع عن نفسه وفعل ما يظن أنه صحيح، خصوصاً عندما يحثّه أصدقاؤه على تجربة شرب التدخين مثلاً، وإلّا فقد تُعَيُّرهُ المجموعة، أو يطردونه من اللعب معهم. وقد يتنافس الأولاد أحياناً في صراعات على السلطة ضمن دائرة صغيرة من الأصدقاء، وتهديد «لن أكون صديقك الأول والمقرّب بعد الآن» سلاح شائع يستعمله الأولاد الصغار بينهم، فالأطفال يرغبون أن يكونوا منتمين لمجموعة ما. ويجمل بالآباء والأمهات أن يبيّنوا لأولادهم تأثير ضغط الأصدقاء، فعلى سبيل المثال، عندما يلعب الأولاد لعبة (الغمّيضة) فمن المهم أن يلعب الجميع وفقاً للقواعد، وإلا فسوف يفسد فردٌ واحدٌ اللعبة على الآخرين، أما إذا أرادت المجموعة القيام بأمر ضار؛ فإن رفض الانضمام إلى المجموعة وقتها يُعَدَّ أمراً صائباً، وإنّ رفض فرد واحد الانسجام مع المجموعة قد يمنح الآخرين الشجاعة لكي يقولوا «لا» أيضاً.

ويتعين على الوالدين مناقشة الفروق الفردية مع أولادهم. فهل على كل واحد من المجموعة أن يكون مثل الآخرين فيها؟ وإذا كان يمكن للأولاد

احترام الفروق الفردية؛ فسوف تكون حياتهم أكثر ثراء في مرحلتي المراهقة والنضج. ويحسن بالوالدين الحديث عن كون ولدهما قائداً أو تابعاً، ويجمل بها الاستماع لأبنائهما والتوضيح لهم أنهما يتفهمان الصعوبات التي يواجهونها في التعامل مع ضغوط الأصدقاء، وإذا استطاع الوالدان الاستماع إلى أبنائهما، ومناقشة القضايا دون إصدار أحكام عليهم، فمن المرجَّح أن الأولاد سيواصلون التحاور مع والديهم ومناقشة مشكلاتهم عندما يكبرون.

قد تكون الصداقة أمراً حميداً، ولكن «ضغط الأصدقاء» قد لا يكون كذلك، ومع ذلك نجد كثيراً من الحالات التي يؤثر فيها الأولاد في أصدقائهم تأثيراً صحياً وإيجابياً وداعماً، وحينما يعامل الآباء والأمهات أصدقاء أولادهم باحترام وتقدير؛ فسوف يقلدهم الأولاد ويتعلمون دروساً قيمة في كيفية معاملة الآخرين.

ولا شك أنه حين يتفهم الآباء والأمهات الاختلافات الموجودة بين الناس، ويقدرون قيمة الأشخاص الذين يظهر عليهم أنهم غريبو الأطوار أو غير عاديين، عندئذ سوف يتعلَّم أطفالهم أن يكونوا متسامحين ومتفهمين للآخرين. كذلك، عندما لا يحكم الآباء والأمهات على الناس من منظور الدخل أو الملابس أو المظهر أو الدين أو الأصول العرقية، فإن أطفالهم سيدركون أنه لا حرج مطلقاً من وجود الاختلافات بين الناس، ومع أنه قد يكون للأصدقاء تأثير قوي على الولد الناضج، إلا أن تأثير الوالدين فيه قد يكون أعظم.

الأصدقاء ضروريون في مراحل حياة الفرد جميعها، وتعلم التعامل والمشاركة الاجتماعية للآخرين هو جزء من نمو الأطفال الطبيعي، ولا بد أن يتعلم الأطفال جميعهم كيفية الاندماج مع المجموعة مع المحافظة على قيمهم وهويتهم المميزة، وعندما يساعد الوالدان أطفالهما في بناء الثقة والشجاعة في نفوسهم، فسوف يستعد الأطفال استعداداً أفضل للتعامل مع ضغوط المجموعة، كما سيتمتعون بما يكفي من القوة لـ «رفض» الأمور غير الصائبة، والتي لا تريحهم. كما تجدر الإشارة بالإضافة لما سبق من تأكيد فكرة أن الاختلاف والفروق بين الأفراد أمر طبيعي، وتوجيه الأطفال لمعرفة أن كل واحد منهم مميز بذاته عن غيره؛ حتى لا يبقى في حالة مقارنات دائمة معهم، بل ننقله للتنافس مع ذاته لا مع غيره.

الوالدان والشجاعة والممارسات الثقافية

تُسهم الشجاعة إلى حدّ كبير في صناعة القائد، ويبدأ تعزيز الشجاعة عند الأطفال في وقت مبكِّر؛ إذ إن الأطفال يولدون شجعاناً، ولا وجود للخوف عندهم من محيطهم، وعادةً ما يكون الآباء والأمهات هم الذين يزرعون الخوف في نفوسهم من الحيوانات والظلام والمرتفعات والأشباح والوحوش والثعابين والكلاب والمياه.

فطريقة تربية الأطفال لها تأثير قوي على مدى الشجاعة عندهم. ومن المعروف في بعض الثقافات استعمال التهديد والتخويف لجعل الأطفال طيّعين، ويؤثر هذا الأمر بلا شك على طريقة تعليم الأطفال الإيمان، والدين، وحفظ القرآن وأسماء الله الحسنى. فالطريقة المثلى في تحفيظ القرآن لأولادك هي أن تبدأ باختيار لهم الآيات التي تتكلم عن الحب والرحمة، وأسماء الله الحسنى وصفاته. فيكون التركيز في البداية على الحب، والعطاء، والجنة، وليس على العقاب والنار والذي يمكن الدخول إليه في مرحلة متأخرة.

اسرد لهم قصصاً من شجاعة الأنبياء. لقد دخل النبي إبراهيم عليه السلام المعبد وكسّر الأصنام بفأسه، ثم علق الفأس على رقبة الصنم الكبير، ولم يخف موسى وأخوه هارون عليهما السلام من غضب الطاغية المستبد فرعون. وصلى محمد ﷺ في الكعبة في مكة المكرمة مع تهديد الكفار له، ورشقوه

بالحجارة ورمي القمامة عليه، إضافة إلى ذلك؛ اسرد على أولادك قصصاً حقيقية لأشخاص شجعان لقيتهم في حياتك، فالمهم من ذلك كله هو أن يتعلم الأطفال استحضار وجود الله في حياتهم، وأن يكونوا شجعاناً وواثقين وصالحين، وألا يخشوا أحداً إلا الله، الذي يحبهم ويرزقهم ويكرمهم ويسامحهم بحفظه ورعايته.

ومن المؤسف أن بعض الآباء والأمهات يعزلون أطفالهم عن اللعب مع الآخرين والمحيط الخارجي بأن يقولوا لهم مثلاً: إنهم يمكن أن يغرقوا إذا سبحوا، وإنهم يتعرضون لخطر السقوط عند ركوب الخيل، وإن ممارسة التسلق والرياضة تعرضهم لكسور الساقين والذراعين، فالآباء والأمهات بذلك يزرعون في أطفالهم الخوف والجبن، وحين لا يقدمون لهم أي خيار ويحرمونهم من صنع القرار، يتصور الأطفال أن الوالدين هما وحدهما اللذان يملكان العلم والمعرفة، وأنهما يقرران ويفكران نيابة عنهم في أمورهم جميعها، كذلك يُسهم الوالدان في إفساد أطفالهما بتوفير كل شيء لهم، وبذل كل جهد من أجلهم، وبأن يخوفاهم من الإقدام على أي مخاطرة في حياتهم، وبمعنى آخر أن يعلماهم الخمول والراحة والجبن وعدم بذل أي جهد، كما يخطئ الآباء والأمهات بالحرص المفرط والخوف الشديد على أولادهم، فلا يصطحبون الأطفال خارج المنزل خوفاً عليهم من أن يمرضوا أو يصابوا بالبرد، ويربونهم على الشك والتهجر من الأولاد الآخرين، ولا يسمحان لهم بالإقدام على أي مخاطرة.

يكمن الحل في تعليم الأولاد أن يكونوا شجعاناً بوضعهم في مواقف وأوضاع تتطلب الشجاعة، وتركهم يتعرضون لمخاطر معقولة ويفكرون في طرق الخروج منها سالمين، زيادة على ذلك لا بد من تعليم الأطفال كيف يكونون آمنين في بيئة غير آمنة، مثلاً في غابة أو في مصنع أو في قارب والقدرة على التمييز بين ما هو آمن وما هو غير آمن، ويجب أن تكون الشجاعة جزءاً من ثقافتنا اليومية.

- كان اسم عم الرسول ﷺ (حمزة) أي «الأسد». وكان يلقب بأسد الله ورسوله بسبب شجاعته وقوته.

يمكننا أن نروي للأطفال قصصاً عن الشجاعة من المملكة الحيوانية أيضاً، منها، مثلاً، وجود رائحة في عرين الأسد تجعل الثعالب يخافون من الاقتراب من عرينه حتى عندما يكون الأسد بعيداً عنه، أو وجود جبن غريزي لدى العصافير حتى عندما تحلق على ارتفاعات عالية، أو تحلي الصقور بشجاعة وكبرياء حتى أثناء الاحتضار.

ففي العرينةِ ريحٌ ليس يَقربُهُ ... بنو الثعالبِ غابَ الأُسدُ أم حضروا

وفي الزرازير جُبنٌ وهي طائرةٌ ... وفي البُزاةِ شُموخٌ وهي تَحتضِرُ

- «يتعين علينا بناء سدود الشجاعة من أجل كبح طوفان الخوف» (Martin Luther King, Jr.)

الحياء أو الخجل؟

ما ندعو إليه هو الحياء وليس الخجل، والخجل هو الانطواء والخوف من لقاء الآخرين والاجتماع معهم. أما الحياء فهو مراعاة الإنسان لشعور الآخرين ابتداءً، والتأدب والاحترام وتجنب التباهي والتظاهر.

الأنشطة

النشاط ٥٦: تبادل التجارب عن الخوف

تحدث مع أطفالك حول بعض المخاوف التي واجهتها أثناء حياتك، وماذا فعلت عندما كنت خائفاً، وافتح المجال لهم للمشاركة بتعليقاتهم، ثم اطلب منهم الحديث عن تجاربهم الشخصية.

النشاط ٥٧: تسع طرق لتربية جبان

ناقش الممارسات الوالدية غير الصائبة أدناه مع عائلتك كلها، وارو أمثلة وقصصاً من تجاربك، وإذا حصلت مثل هذه الأخطاء، فكيف تصحح الضرر الناجم عنها؟

- توبيخ ولدك وإهانته، خاصة أمام أصدقائه.
- شتم ولدك، والقول له إنه لا يصلح لأي شيء وأينما توجهه لا يأتِ بخير.
- لا تثق بولدك، ولا تصدق كلامه أبداً، وأخبره أنه لا يمكن أن يكون على صواب، وأن الآخرين أفضل منه معرفة وخبرة.
- تجاهُل أي شيء حسن يفعله، والتركيز على أخطائه.
- معاملة إخوته وأخواته وأقربائه معاملة أفضل من معاملته، مقارنته دائماً بهم - مدى قبحه وكسله، مقابل جمالهم واجتهادهم.
- الحرص على بقاء طفلك لصيقاً بك باستمرار كي تشعره بالأمان.
- تدليل طفلك بالإفراط في شراء هدايا له.
- امنع طفلك من التحدث أمام أي شخص، وألزمه الصمت دائماً أمام الآخرين (إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب).
- تجنب إعطاء طفلك أي مسؤولية مهما كانت صغيرة، وتعليمه الاعتماد على الآخرين وتجنب المخاطر جميعها.

النشاط ٥٨: الشجاعة والإيمان

ناقش مع أولادك قصة محاولة قريش كف النبي ﷺ عن رسالة الإسلام، فكان معنى جوابه:

«يا عمّ، والله لو وضعوا الشمسَ في يميني، والقمرَ في يساري، على أن أتركَ هذا الأمرَ ما تركتُه حتى يُظهرَه الله، أو أهلكَ دونه، ».

١. ما عناصر الشجاعة التي يمكن تحديدها من حادثة النبي ﷺ حين قال لعمه إنه لن يتخلى عن دعوته؟

٢. ارو وقائع أخرى تدل على الشجاعة من حياة الأنبياء.

٣. ارو قصصاً عن شجاعة صحابة النبي ﷺ من الرجال والنساء.

٤. ارو أحداثاً معاصرة تدل على الشجاعة قام بها أبطال من مختلف الأديان والجنسيات حول العالم.

صف موقفاً أظهرتَ فيه شجاعة، وماذا واجهت من صعوبات في ذلك الموقف؟ وماذا حققت فيه؟ وكيف كان موقف الناس منه؟

اطلب من أطفالك سرد قصصهم الشخصية.

النشاط ٥٩: الشجاعة: مقياس للمراهقين

هل أنت شجاع؟ أورد بعض الأمثلة.

السلوك	صح	خطأ
الدفاع عن الحق حتى لو كنت وحدي.	☐	☐
أستسلم للضغط السلبي من أصدقائي.	☐	☐
الخوف من الفشل لا يمنعني من التجربة.	☐	☐
لا أخاف من التعبير عن شعوري حيال المسائل المختلفة، حتى حين لا يتفق معي الآخرون.	☐	☐
أنا على استعداد لتحمل المخاطر واتخاذ القرارات.	☐	☐
أعتقد أنني شخص شجاع/ غير شجاع للأسباب الآتية:	☐	☐

النشاط ٦٠: تسكين خوف الأطفال أثناء الحروب والكوارث

ناقش الفقرات الآتية مع أطفالك ونفذوا بعضها معاً.

يتعرَّض كثير من الأطفال للحروب والتهجير والكوارث في الوقت الحاضر. ويمكن للوالدين القيام بالآتي للتخفيف من خوفهم من الكوارث:

أ. إغلاق التلفاز عند فقرة الأخبار الحزينة وقدم لهم فقط ملخصاً للأحداث.

ب. حافظ على روتين حياتهم اليومية مثل: وقت النوم، ولعب الكرة، وأوقات الطعام، والصلوات.

ت. ركِّز على رعاية أطفالك، واحضنهم، واقض وقتاً ممتعاً معهم، وامنحهم المزيد من الاهتمام والدفء، وشجِّعهم على التواصل بالاستماع إليهم ومشاطرتهم مشاعرهم، ويشير بعض المتخصصين اليوم إلى لمسات وقبلات محددة يومية للأبناء من المهد إلى اللحد.

ث. كن هادئاً أثناء المواقف المخيفة: لا تخف أو تكتئب، وتجنَّب أن تصبح مهووساً بالأخبار.

ج. أتح المجال لأطفالك للوصول إلى فهم صحيح للحرب بعمل مسرحية مثل: تمثيل إنشاء مستشفى للجنود والمدنيين الجرحى، وتخصيص مكان لأسرى الحرب؛ وتحديد مكان مأوى اللاجئين، ونوعية الطعام وكيف سيقدم لهم، وإنشاء وكالات إغاثة للضحايا، واختيار الأدعية الخاصة بالشدائد.

ح. تواصل عن طريق البريد الإلكتروني أو الرسائل مع الأطفال الذين تعرضوا للكوارث من بلدان أخرى، وتبادل الرسائل والهدايا معهم.

خ. اكتب رسالة إلى شخص (تتضمن دعاء إلى الله): مثل رئيس بلد مزقه الحرب أو الأعداء، أو أحد الناجين من كارثة ما، ارسم صورة تدل على السلام لجندي، أو اخبز الكعك لشخص مصاب، أو اجمع المال لإرساله إلى صندوق معروف للناجين من كارثة ما.

النشاط ٦١: كيف تقول «لا» وتُبقي على الصداقة

نفذ هذه الطريقة التي تتكون من عدة خطوات مع أولادك، بحيث يشعرون بالراحة عندما يقولون: «لا».

يمكنك تمثيل أي عدد ترغب به من المواقف من أجل جعلها مناسِبة لأعمار أولادك.

مثال: صديق ولدك يريده أن يُجِّرب شرب التدخين أو تعاطي المخدرات.

- تقول: «لا، وشكراً: لا أرغب بذلك.»

الطريقة الأولى لمقاومة الضغط من الأصدقاء والمعارف؛ يسيرة جداً: «لا، شكراً، لا أريد ذلك». يشكل ذلك نهاية للموقف في أغلب الأحيان، فقد اخترت أمراً ما ويتعين على الآخرين احترام اختيارك هذا.

- كرر قول: «لا، شكراً».

وقد يواصل ولد آخر في بعض الأحيان الضغط، ويحثك مراراً وتكراراً على أن تجرب ولو لمرة واحدة فقط، وقتها كرر الجواب الأول بكل يسرٍ، وقل: «لا، وشكراً، أنا لا أريد ذلك» مرات عدة ما لزم الأمر ذلك. وفي الحالات التي يكون فيها من المناسب قول «إن ذلك حرام في ديني» لا تنزعج إذا كان عليك تكرار ذلك مرات عدة أيضاً، ولا تحاول تسويغ موقفك هذا، ففي النهاية سيسلم لك بكثرة سماع الإجابة نفسها وينقاد لك، وإذا لم يجد ذلك الحل فاذكر السبب بصوت واضح وواثق.

- اعكس تضييقه عليك: «لماذا تضيّق علي؟»

إذا كان هناك شخص يزعجك مراراً وتكراراً، فحوّل إزعاجه باتجاهه بأن تقول له: «لماذا تشقّ علي؟» فقد يكون هذا كفيلاً بأن يعكس إرغامه عليه ويضطره هو إلى تفسير سلوكه، وهذا يُظهره بأنه يعاني من مشكلة وليس أنت. ويمكنك اقتراح بديل للحفاظ على العلاقة الطيبة بينكما.

- استأذن وغادر: «عذراً، يحسن بي أن أغادر».

قل: «عذراً، علي أن أغادر»، ثم ابتعد دون جدال، ولا ينبغي عليك أن تسوغ تصرفاتك لأحد، ولا أن تضطر لأن تتحمل الضغوط التي تجعلك تشعر بعدم الارتياح.

شَجِّع أولادك على التفكير في أساليب قول: «لا» كلما أراد أصدقاؤهم أو زملاؤهم في الدراسة فعل شيء غير مقبول. فعندما يتعلم الأولاد كيف يمكنهم قول: «لا» ويبقون على صداقاتهم، فإن ذلك يخفف عنهم الكثير من الضغط.

(مقتبس من النصيحة على الموقع www.ehow.com)

النشاط ٦٢: الشجاعة هي ...

اذكر أمثلة، واروِ قصصاً لأولادك مثل الآتي:

الشجاعة هي:

اتباع ضميرك بدلاً من «اتباع العامة».

رفض المشاركة في سلوك مؤذ أو مخز.

التضحية بالمنافع الشخصية لصالح الآخرين.

التحدث بما يمليه عليه عقلك، بغض النظر عن مخالفتك للآخرين.

تحمل المسؤولية كاملة عن أفعالك وأخطائك.

اتباع القواعد والأنظمة، وحث الآخرين على ذلك.

فعل ما تعرف أنه صحيح، بغض النظر عن المخاطر والعواقب المحتملة.

مواجهة الظالمين ودعم المحسنين.



ثانياً: تعزيز الإبداع

- **مقدمة**
- **مفاهيم عامة للإبداع**
- **الاختراعات التاريخية المبدعة**
- **خنق الإبداع عند الأولاد**
- **التوجهات السلبية التي تعيق الإبداع**
- **سبل تطوير الإبداع**
  - طرح الأسئلة الإبداعية
  - الأنشطة العملية
  - تنوع الخبرة
  - أنشطة العصف الذهني
  - اللعب الإبداعي
  - كتابة الأولاد
  - الفن عند الأولاد
- **مفاهيم غير صحيحة: الأفكار «الغريبة» أو «غير النافعة»**
- **ماذا يمكن أن يفعله الوالدان؟**
- **ملحوظة حول اللُعَبْ**
- **الأنشطة ٦٣-٦٦**

مقدمة

الإبداع هو شكل من أشكال التعبير عن الذات، ويشعر الأولاد بالرضا والارتياح العظيمين عندما يعبرون عن أنفسهم تعبيراً صريحاً دون كبت لمشاعرهم. فالقدرة على إبداع شيء جديد وابتكاره تعدّ جانباً مهماً من جوانب الشخصية السليمة، ولا شك أن الخبرات والتجارب تعزز إنتاج أنواع الفن الإبداعي عند الأولاد تعزيزاً ملحوظاً، ويملك الأولاد المبدعون القدرة على التكيف والتناغم مع مشاعرهم في الوقت الذي يطورون فيه مواهبهم، ويضاف إلى ذلك قدرتهم على تجربة طرائق جديدة في التفكير وحل المشكلات، كذلك يتميز الشخص المبدع بأنه محب للاستطلاع، ومحب للتحدي، ومتفائل، وقادر على تأجيل إصدار أحكام نهائية على الأمور، ويمتلك خيالاً خصباً، وينظر المبدعون إلى المشكلات على أنها فرص ودروس وتجارب من أجل التهيئة والتحضير لمواجهة التحديات، والعمل الجاد، وعدم الاستسلام بسهولة، والمثابرة، حيث إن كثيراً من الناس يخفقون لأنهم يقضون تسع دقائق فقط في حل مشكلة يتطلب حلّها عشر دقائق مثلاً.



ويحتاج الأولاد إلى وقت أطول وغير مُتسرِّع يتيح لهم الاستكشاف وتقديم أفضل ما لديهم، ولا يجمل مقاطعتهم والطلب منهم الانتقال إلى نشاط ما إذا كانوا لا يزالون منهمكين انهماكاً منتجاً، ومتشطين في إخراج عمل إبداعي، وهم يحتاجون مكاناً يلهمهم لتقديم أفضل ما لديهم، فبيئة المنزل إذا توفرت فيها الإضاءة الطبيعية والألوان المتناسقة والمقاعد المريحة تشجع على الإبداع، وفي الغرفة التي يعمل فيها الأولاد يستحسن أن تعلَّق نماذج من أعمالهم وأعمال غيرهم في الغرفة التي يشتغلون فيها، ثم إن على الآباء والأمهات تقبل أخطاء أولادهم، وتشجيع روح المخاطرة عندهم، وتعزيز عنصر التفرد لديهم.

وعليهما أن يدركا أن مسيرة «القيام» بنشاط ما تعدّ مهمة جداً للولد الصغير، بل إنها قد تعدّ أكثر أهمية من المنتج النهائي للعمل، ويتعين أن تنصبّ تعليقات الوالدين على إدراك الولد لحقيقة نشاطه وعمله، وعلى تفرد ما أنتجه، فالخوف والحساسية تجعل هؤلاء الأولاد، يترددون في العمل عندما يتوقع منهم إنتاج «شيء ما»، فحين يبدأ الولد في الرسم أو البناء أو تأليف أشعار وأغانٍ من أجل إرضاء غيره يكون قد فقد بعضاً من الحماسة للإبداع من أجل غرضه هذا، اسمح للولد أن يستثمر الأدوات المنزلية، مثل المقالي، والأواني، والعلب، والوسائد، استثماراً مبدعاً، وشجِّعه، وقدّر له ذلك، وقَدِّم للطفل من سن ما قبل المدرسة مواداً وأدوات فنية كي توفر له بيئة تحفيزية على الإبداع في وقت مبكّر من حياته، ولا تجعل الضوابط والقوانين المنزلية شاقة بحيث تصبح الأنشطة الفنية أكثر صعوبة مما يجب أن تكون عليه. إن السهولة مفتاح النجاح في الفن الذي ينتجه الطفل، ولأن الأولاد يكبرون في السن؛ فيمكنك أن تتوقع منهم المزيد من الترتيب والنظافة والتنظيم شيئاً فشيئاً، فالطاقة التي تستنفد في الالتزام بضوابط النظافة والنظام ستكون على حساب الطاقة التي تبذل في الاستكشاف والإبداع.

ويحتاج كل ولد إلى معرفة حقوق الآخرين وقواعد السلامة، فمن دون وجود إطار من التوقعات المعقولة والمنطقية فإن الاستكشاف والإبداع يتجهان نحو



الفوضى، فالتنظيم غير متعارض مع القدرات الإبداعية بل وأحياناً يكون متلازماً معه. ومن ناحية أخرى، الولد المحاط بالسيطرة الكاملة يكون على استعداد لأن يضحي بالإبداع والاستكشاف ليحظى بالموافقة والتقبل، فإذا كان الولد يشعر أن قيمته الذاتية تعتمد كلياً على كونه نظيفاً ومنظماً، عندئذ سيكون هناك القليل من الطاقة أو الشجاعة المتاحة للإبداع، والأهم من ذلك كله أن أوامر مثل «توخَّ الحذر! ونِّظف ذلك» وما شابههما من الكلام المعتاد من الوالدين؛ كفيل بأن تسحق الإبداع وتودي به، ولا بد من التفريق بين القدرات الإبداعية والأنشطة المحفزة للاستطلاع أو الاكتشاف لاستثمار القدرات الإبداعية وغير الإبداعية.

مفاهيم عامة للإبداع

نقدم في ما يأتي: بعض التوجيهات لتعزيز الإبداع والابتكار عند الأولاد:

- تَكيَّف مع أفكار الأولاد بدلاً من محاولة جعل أفكار الأولاد تتكيف مع أفكارك، وتقبل الأفكار غير الاعتيادية من الأولاد وناقشها معهم.
- استخدم قدر الإمكان حلولاً إبداعية للمشكلات التي تحدث في الحياة اليومية، ووفِّر للأولاد الحرية لارتكاب الأخطاء، واحرص على أن تسمح لهم بالتجربة دون أن يعتريهم خوف من الفشل.
- وفِّر وقتاً للأولاد كي يجربوا كل الاحتمالات الممكنة أو معظمها.
- شجع الأولاد على تجربة الأشياء غير العادية، واستمع لأسئلتهم وتعليقاتهم، واستوضح ملاحظات الأولاد بطلبك منهم تكرار ما قالوه، وتوجيه أسئلة أخرى حول هذه التجربة.
- وفِّر للأولاد بيئةً محفزةً ومريحةً، إضافة إلى مجموعة متنوعة من المواد والكتب والألعاب، والكثير من الفرص؛ من أجل تجربة هذه المواد.
- عرّض الأولاد لمجموعة متنوعة من الثقافات والتجارب والأشخاص والأديان وطرائق التفكير، وأتح المجال لهم لإدراك أن هناك طرائق مختلفة للتفكير في حل المشكلات، كذلك حثهم على محاولة اكتساب خبرات جديدة في حدود إمكانياتهم، وزوروا معاً المتاحف التعليمية.
- أظهر تقديرك وإعجابك بالطرق الجديدة في تفكير أولادك وشاركهم بأنشطتك الفنية والعلمية، واعلم أن مشاركتهم في نشاط مشحون بالعاطفة سيثير عاطفتهم وشعورهم وإحساسهم.
- قدِّم من نفسك نموذجاً على المثابرة، وشجِّع الأولاد على إكمال مشروع ما بتشجيعهم في كل خطوة يتقدمون فيها، كذلك ساعدهم في فهم نقاط القوة والضعف التي يملكونها.



الطالب المبدع: التعقيد مقابل اليسر

جرت مقابلة طالب للنظر في التحاقه بمعهد إداري متميز. قال المقابل: «سوف أسألك عشرة أسئلة سهلة أو سؤالاً واحداً صعباً، فماذا تختار؟» أجاب الصبي: «سؤالاً واحداً صعباً!.» إذن أجبني الآن: «ما الذي يأتي أولاً، الليل أم النهار؟»

- «النهار يا سيدي!».

فقال الذي يجري المقابلة: «كيف؟»

- «عذراً يا سيدي، لقد وعدتني أنك لن تسألني سؤالاً ثانياً صعباً!»

فقبله في المعهد!

- نمِّ خيال ولدك، ولا شك أنّ المبدعين يتعاملون بارتياح مع الأفكار الغريبة والعجيبة، ويشجع العصف الذهني على ابتكار مجموعة متنوعة من الأفكار الفريدة والمدهشة.
- تشجيع فكرة أن الأخطاء والإخفاق ليس فاجعة، بل هو فرصة تعليمية تؤدي إلى النجاح، ومثال جميل على ذلك أن أحد المديرين التنفيذيين حذر المديرين الجدد الذين سيعملون تحت أمرته بقوله: «تأكدوا من ارتكاب عدد معقول من الأخطاء.»
- اكتشف الحسن الموجود في السيّء. إن المبدعين يسألون أنفسهم عندما يعرض عليهم حلول ضعيفة: «ما الحسن فيها؟» فقد يكون هناك جانب مفيد حتى في أسوأ الأفكار.

الاختراعات التاريخية المبدعة

١. يبحث المبدعون عادةً عن إدخال التطويرات والتحسينات، فعلى سبيل المثال، صنع أول نوع من المارجرين (السَّمن) من دهون لحم البقر والحليب والماء وضروع البقر المفرومة، فلم تكن لذيذة أو صحية. ثم في بداية القرن العشرين ظهرت مشكلة نقص في دهون لحوم البقر، فبحث الناس عن بديل مناسب ووجدوه في الزيوت النباتية، فتحولت صناعة السمن إلى إضافة الزيوت النباتية مثل: زيوت فول الصويا والذرة وحبوب عبّاد الشمس، التي تزال تستخدم حتى الآن، كما أصبح المارجرين صحياً أكثر، وذا طعم مختلف.

٢. لا يتعين أن تكون عبقرياً كي تكون مبدعاً. فالعلماء المدربون ذوو المهارة العالية ممن يعملون في الصناعة الفضائية؛ لم يكونوا في البداية قادرين على تطوير قلم حبر يستخدم عند انعدام الجاذبية في الفضاء. وكان الحل: استخدام قلم رصاص. وفي النهاية قامت شركة غير مشتركة في البرنامج الفضائي بصنع هذا القلم، ثم طلبت من (ناسا) تجربته، فاتضح أنه نافع فاعتمدته كل من الولايات المتحدة ووكالات الفضاء الروسية.



٣. يمكن أن تكون المشكلة هي الحل، فما يراه شخص على أنه «عقبة» يمكن أن يكون «فرصة» لشخص آخر.

على سبيل المثال، لوحظ بعد وقت قصير من ظهور (الغِراء) فائق القدرة أن من لا ينتبه لهذا الغراء بحذرٍ شديد يمكن أن يجعل أصابعه تلتصق معاً بقوة، ووجد أن هذه المشكلة – التصاق الجلد – قد تكون حلاً لمشكلات أخرى، فبدأ الجراحون في فيتنام باستخدام هذا الغراء (سوبر غلو) في إغلاق الجروح.



وهناك مثال آخر على الغراء: فقد كان هناك عالم كيمياء يعمل في شركة 3M في الولايات المتحدة الأمريكية ويجري تجارب على المواد اللاصقة، فأنتج صنفاً ضعيفاً جداً بحيث يمكن قشره، أي غراء لا يلصق الأشياء إلصاقاً محكماً، وبَدَهي أن يحدث إنتاج غراء ضعيف مشكلة للشركة، لكن هذه المشكلة تحولت مع ذلك إلى حل، وخرج هذا المنتج إلى السوق في عام ١٩٨٠ باسم (Post-It Notes) وأصبح يستعمل في أنحاء العالم اليوم في لصق الأوراق أو الأشياء التي لا تحتاج إلى غراء أو لاصق قوي.

الأمثلة الإبداعية السابقة قد تكون تمت من شركات عملاقة إلا أننا نذكرها هنا لنعطي لأولادنا الأمل والحافز بقابلية إبداعاتهم مستقبلاً.

خنق الإبداع عند الأولاد

قد يكون من المستهجن أن ننظر إلى الإبداع بكل هذه الأهمية ولكن بعد ذلك نقتله في شخص أولادنا. نذكر هنا عدة أشكال من «قتلة الإبداع» الشائعة حسب ما ورد في (Amabile and Hennessey, 1992): والتي ما زالت تطبق إلى الآن:

- الرقابة اللصيقة ومحاصرة الأولاد بحيث يشعرون أنهم تحت المراقبة؛ الأمر الذي يسبب في خنق المخاطرة والإبداع عندهم.
- التقويم القاسي: عندما نشعر الأولاد باستمرار بالقلق حول ما يفعلون، فإننا بذلك نضعف قدراتهم الإبداعية.
- المكافآت الكثيرة: الاستخدام المفرط للجوائز يحرُم الولد من المتعة الذاتية التي يحصل عليها من قيامه بالأعمال الإبداعية نفسها، وعندما لا يتوقع الإنسان مكافأة، يصبح أكثر إبداعاً، ويستمتع أكثر بمسيرة الإبداع. فالمكافأة غير المتوقعة التي تأتي بعد اكتمال مشروع ما؛ قيّمة، ولكنها ليست ضرورية للإبداع، وإن الدوافع الخارجية الكثيرة (مثل المال أو الامتيازات الخاصة) تُضْعِف الإبداع.
- المنافسة الشديدة: إشراك الأولاد في منافسات غير متكافئة مع الآخرين يقتل التحفيز والإبداع.
- تحديد الخيارات: إن إملاءنا على الأولاد الأنشطة التي يتعين أن يشتركوا فيها، بدلاً من السماح لهم من اتباع فضولهم وعاطفتهم، يقتل الإبداع وحب الاستطلاع لديهم.
- الضغط: تؤدي التوقعات الفخمة والمبالغة من الآباء والأمهات لأداء الأولاد المتميز إلى هدم الإبداع عندهم.

التوجهات السلبية التي تعيق الإبداع

هناك العديد من الطرائق الأخرى التي تعيق الإبداع، ونذكر في ما يأتي العبارات الشائعة المستخدمة التي تحد من الإبداع عند الأولاد:

- أوه، لا، هذه مشكلة كبيرة! إن رد الفعل على المشكلة يُحدث في بعض الأحيان مشكلة أكبر من المشكلة ذاتها، لذلك تجنَّب تضخيم المشكلة. حيث إن الناس السعداء يواجهون المشكلات بالترحاب، لأنها قد تُشكِّل لهم فرصاً للتقدم، وتكمن المشكلة في الفرق بين ما لديك وما تريد، وإحساسك أن هناك شيئاً أفضل من حالتك الراهنة، والذي يساعدك في الوصول إلى هذا الوضع الأفضل هو الإبداع والابتكار.
- مستحيل! هذا ليس ممكناً: وتعني هذه العبارة الاستسلام قبل المعركة؛ إذ إن افتراضنا أن أمراً ما هو شبه مستحيل سوف يُضفي على المشكلة قوة وسلطة لم تكن تملكها من قبل، ويعد الاستسلام قبل البدء من أسوأ الأمراض، وتخيل لو أننا كلنا يئسنا من المحاولة، فماذا كان سيحصل: لم يكن البشر ليطوروا، أو يجدوا علاجاً للأمراض، أو للصواريخ أن تخترق الغلاف الجوي الأرضي، فالتوجه المناسب والصحيح يكمن في اعتقادنا: «الصعب نفعله فوراً؛ أما المستحيل فيتطلب مدةً أطول لإنجازه»
- هذا صعبٌ عليك لا يمكنك فعله: أو لا يمكن فعل أي شيء. ويردد بعض الناس عبارات مثل: «ربما تحتاج المشكلة إلى خبير كبير ليحلها لأني لست ذكياً بما فيه الكفاية لأحل مثل هذه المشكلات» أو «لا أستطيع حلها لأنني لست خبيراً»، وفي الواقع أن معظم الابتكارات في الصناعة يقوم بها أفراد (وليس اللجان أو مجموعات البحث) غير متخصصين، فالموقف الإيجابي والمهارات

السليمة كفيلان بحل أي مشكلة، كما أن الالتزام بحل المشكلة هو مفتاح الحل، لأنه، حتى لو لم تتمكن من استئصال المشكلة، فإن بإمكانك دائماً تحسين الوضع القائم.

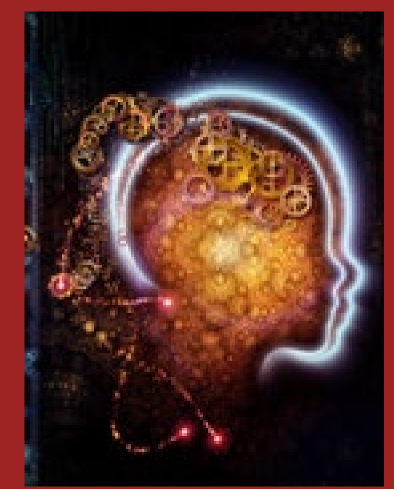
- هذا فكرٌ طفولي. نسخر كثيراً من الإبداع عندما نتظاهر بأننا دائماً ناضجون ومثقفون، ومع ذلك إذا استطعت حل مشكلات زواجك، أو تنال ترقية وعلاوة في وظيفتك، أو تقنع صديقاً بعدم الانتحار، فهل يهمك حينئذٍ أن يصف الناس طريقتك للحل بأنها «طفولية»؟
- ماذا سيظن الناس بي؟ هناك ضغط اجتماعي قوي يحيط بالإنسان ليجعله دائماً إنساناً عادياً وأن يكون طبيعياً. وهذا مما يؤدي إلى تحجيم الإبداع.

التقدم والتطور يحرزه أناس لا يأبهون بسخرية الآخرين من أفكارهم الإبداعية الغريبة في الظاهر. الأخطاء في المحاولات الجديدة ليست شيئاً ساراً، ولكنها بلا شك تعليمية.



حينما كان توماس أديسون يبحث عن أفضل الخيوط كي يستخدمها في إشعال المصباح الذي اخترعه؛ جرب شعيرات من لحية أحد أصدقائه، و١٨٠٠ شيء آخر. ونجح في الوصول إلى الخيط المطلوب بعد حوالي ١٠٠٠ محاولة فاشلة، فسأله شخص عما إذا أصابه يأس أو إحباط في أثناء بحثه ذلك، فقال: «اكتسبت الكثير من المعرفة والخبرة، إذ إنني الآن أعرف الأشياء جميعها التي لن تنفع.»

اختراعات مهمة من غير المختصين!



- لم يكن الأخوان رايت (Wright) اللذان اخترعا الطائرة مهندسي طيران، بل كانا ميكانيكيين للدراجات الهوائية.
- الذي اخترع قلم الحبر الجاف هو مدقق للأخطاء المطبعية، واسمه لاديسلاو بيرو (Laszlo Jozsef Biro)، ولم يكن مهندساً ميكانيكياً.
- تمت القفزة الواسعة في تصاميم الغواصات على يدي قس إنجليزي - ج. دبل يو. غاريت (George William Garrett)، ومدير مدرسة إيرلندي - جون هولاند (John Holland).
- اخترع ايلي ويتني (Eli Whitney) الذي كان محامياً ومدرساً محلج القطن.
- اخترع ضابط عسكري (جورج مانبي George Manby) طفاية الحريق.
- اخترع موسيقيان الفيلم الملون Kodachrome .
- اخترع ساعاتي (في أثناء العبث بصب النحاس الأصفر) صب الحديد الصلب المستمر.
- رفض الكيميائيون صانعي صابون المنظفات الاصطناعية عندما عرضت عليهم أول مرة، وكان أول من وصل إلى اختراع هذه المنظفات كيميائيين من الذين يعملون بصناعة الصبغة.

- قد تخفق: افترض أنك تسمح لمخاوفك من الإخفاق بالتحكّم بإقدامك على المجازفة والمحاولة، ولهذا ستجرب فقط ثلاثة أشياء في العام لأنك متأكد من نجاحها، فتكون النتيجة: النجاح ثلاثة، والفشل صفر. والآن لنفترض أنك في السنة التالية لن تأبه باحتمالات الإخفاق وتترك التحكم ببرامجك جانباً، لذلك جربت أثني عشر مشروعاً، وفشلت في ستة منها، فكانت النتيجة النجاح ستة، والفشل ستة. فأيهما تفضل: ثلاثة أو ستة نجاحات؟ وتخيل ماذا قد تتعلم من اثني عشر فشلاً؟

سبل تطوير الإبداع

هناك العديد من التقنيات لتطوير الإبداع، ونذكر بعضها:

طرح الأسئلة الإبداعية

اطرح أسئلة ذات مستوى عال على ولدك تستثير وتستحوذ على تفكيره كاملاً.

- ما الأكثر ابتكاراً وإبداعاً: السيارة الأروع قيادة والأكثر فعالية كما تتصورها، أم القبة أو المئذنة أو الكاتدرائية التي تجمع بين جوهر الفن والإيمان جمعاً فريداً من نوعه؟
- هل يبتكر أي إنسان أفكاراً جديدة، أم أن الناس يعيدون فقط اكتشاف الأشياء القديمة؟
- ما الأصعب: بدء مشروع إبداعي، أم إنهاؤه؟ ولماذا؟
- هل الإبداع في حل المشكلات؛ يختلف اختلافاً جوهرياً عن الإبداع في الفن؟

الأنشطة العملية

- استخدم ناسخة أو حاسوباً من أجل تكبير أدوات صغيرة وتصغير كبيرة. قم بعمل صفحة من لاصقات.
- اخترع لعبة ورق. يمكنك أن تبدأ ذلك بتغيير لعبة ورق سابقة، ثم غيرها مرة أخرى، واعمل الشيء نفسه في الألعاب الآتية: أحجار الدومينو، بأن تجمع بين مجموعتين من أحجار الدومينو، وكذلك مثلها في لعبة الطاولة.
- جرِّب الطهي مع إضافة توابل جديدة وغير عادية لم تستعملها من قبل. لتكن الروائح دليلك لاختيار المناسب من التوابل لطبختك الجديدة.
- ادخل إلى الإنترنت والعب لعبةً تتبع فيها روابط لا تستند فيها إلى معلومات موجودة، ولكن اختر الحرف الأول من كل رابط لتدخل على روابط جديدة، وشاهد كم من المواقع العشوائية والمسلية التي تجدها.
- أنشئ مكاناً ذا بيئة صحية ترغب العيش داخله، واستعمال فقط الأدوات المنزلية والمواد الطبيعية فيه.
- انظم شعراً خاصاً بك باستعمال كلمات عشوائية.

تنوع الخبرة

- نظّم رحلات في عطلك تجمع فيها بين أعراق وثقافات وأديان عديدة بطرائق مبتكرة.
- تخيل أنك من كوكب آخر، ومثّل بأنك كنت في زيارة لكواكب أخرى، فالخيال يعزز الإبداع.

أنشطة العصف الذهني

- ناول طفلاً قطعة من الصلصال واطلب منه أن يتخيل أنه هو الصلصال.
- ضع الطفل، ذهنياً، في زمن ومكان مختلفين، ثم اطلب منه مثلاً وصف كيفية قيامه بطهي وجبة من دون وجود كهرباء أو فضيات أو أطباق.
- ضع قائمة بأسئلة تتصور أنت أنه لا يمكن الإجابة عنها الآن.

اللعب الإبداعي

اجعل أطفالك يستعملون مواد مألوفة ولكن بطريقة جديدة أو غير عادية، واشترك في تقمُّص الأدوار واللعب الذاتي والموجّه على مدار اليوم.

يُعزِّز اللعب، بدءاً من مرحلة الطفولة الأولى، النمو البدني، وذلك عن طريق تشجيع تطوير الاسكتشاف الحسي والمهارات الحركية، ويصبح الأطفال، باللعب والتكرار للمهارات البدنية الأساسية، ذوي مهارة وكفاءة عند القيام بالمهام الصعبة تدريجياً. إن الأطفال الذين يلعبون بلعب البناء مثلاً يواجهون التحديات المرتبطة بالقياسات، والتساوي، والتوازن، والشكل، والعلاقات المكانية.

ويعني اللعب الدرامي تقليد الناس في المجتمع، إضافة إلى أنه يساعد الأولاد في تجربة الأدوار الاجتماعية المختلفة. كما يتعلم الأولاد في اللعب الدرامي تدريجياً أن يأخذوا احتياجات بعضهم بعضاً بعين الاعتبار، وأن يقدروا القيم الأخلاقية المختلفة.

ويستطيع الأولاد باللعب؛ التعبير عن مشاعرهم وانفعالاتهم وأفكارهم وآرائهم، ويساعد اللعب في التخفيف من الإجهاد والضغط الواقع على الأولاد، كذلك يشعرون في أثناءه أنهم متحررون من قيود الكبار، وغير مقيدين بالارتقاء لمعايير الكبار وأفكارهم وآرائهم.

ويجب أن نكون حذرين، بصفتنا موفري الرعاية، بأن نتجنب سيطرتنا على اللعب، فإذا أردنا مشاركة الأولاد اللعب فعلينا أن نذعن لما يكون من بنات أفكار الأطفال في اللعب، وليس موجهين لهذا اللعب، لأننا بحاجة إلى التركيز على إلهاماتهم وليس إلهاماتنا، وإن تمثيل مسرحية مع أولادك يساعد في تطوير عدد من المهارات، بما في ذلك القراءة وفهم الناس. وإن لكل إنسان شخصية مميزة، فيتعين على الولد استكشافها ليقوم بتمثيله، وله مشاعر ينبغي أن يفهمها قبل القيام بدوره، وهو يتعلم بعد ذلك «الدور» المخصص له بقراءة القسم المتعلق بدور الشخص الذي سيمثل دوره، واطلب من الأولاد تقديم كل ما يقتضيه الدور، ويكون تنظيم ذلك كله عليك مع الأزياء اللازمة.



كتابة الأولاد

يمكن أن يملوا عليك قصة كي تكتبها، وبعد ذلك يمكن أن يوضحوها ويشرحوها لك، وفي الوقت الذي يكون فيه طفلك قادراً على التعبير ببعض الكلمات، فيمكنه أن يبدأ في الكتابة. ولا تقلق بشأن هجائه للكلمات في هذا الوقت، فذلك يأتي في مرحلة تالية. ويمكنك أن تبدأ في تعليمه طريقة كتابة مؤلفي الكتب في الوقت الذي يكون طفلك متحمساً للكتابة. وعادةً ما يبدأ الكاتب بمسودة، ثم يعود إليها، وبشكل تدريجي، يحرر وينقح، حتى يصبح ما كتبه جاهزاً للنشر، وهناك طريقة جيدة لتعليم ولدك الكتابة، وهي أن تطلب منه اختيار قصة يحبها كثيراً، ثم ساعده في معرفة كيفية كتابة القصة بشكل أكثر وضوحاً. ويمكن أن تتحول القصة بعد ذلك إلى كتاب مكتوب باليد. ويستطيع الأطفال الأكبر سناً أن يفعلوا شيئاً مدهشاً بتأليف كتب باستعمال الحاسوب، فلا تهمل قيمة القراءة، وإن الكتّاب البارعين قارئون بارعون، ولسوف تلهم القراءة طفلك الكثير من الأفكار الخيالية المفيدة للكتابة.

الفن عند الأولاد

- وفّر أنشطة فنية حرة وغير مقيدة للأطفال؛ فبدلاً من عرض نموذج لمشروع فني للأولاد كي يقلدوه؛ شجّعهم على استعمال خيالهم. وبدلاً من استخدام كتاب التلوين بتكرار الرسومات نفسها، شغّل موسيقى لأصوات بعض الحيوانات في الطبيعة، واطلب من الأطفال رسم ما يسمعون!
- وفّر بيئة تنعش الحواس الخمس لأولادك وتثيرها؛ فأتح لهم أن يتحسّسوا ملمس الورقة، ورائحة الطباشير الملون، والاستماع إلى صوت شحذ أقلام التلوين، ومشاهدة تغيير الألوان عند خلط الدهانات!



- شجّعهم على الاستكشاف العفوي، ووفّر لهم الأدوات اللازمة لذلك، مثل: الطباشير والأقلام الملونة والغراء وأوراق الجدران والدهانات. واسمح للأولاد أيضاً باكتشاف خصائص هذه المواد وكيفية استعمالها. فهل يمكن للأولاد استعمال أصابعهم بدلاً من فرشاة الرسم مثلاً؟ وهل يمكنهم رسم صورة في الوحل باستعمال عصا؟ وهل يمكنهم جعل أجسادهم تأخذ شكل شجرة؟ وهل يمكنهم وصف ماهية اللون الأرجواني؟ وهل يمكنهم السير حول الغرفة بفرح، أو بحزن، أو بطريقة مضحكة؟
- امتنع عن انتقاد ما تراه سيئاً منهم؛ ويتعيَّن أن نحمي الأطفال من الانتقادات والأحكام التي تصدر عن الآخرين من الكبار أو من أصدقائهم، أو حتى من أنفسهم، فكل مخلوق جاء فريداً من نوعه، وهذه فكرة من المهم أن تترسخ في عقول الأطفال مبكراً منذ مرحلة ما قبل المدرسة. ويتعيَّن أن يتفهم الوالدان أن كل إنسان هو مدير نفسه في الفن، ويستطيع أن يمارسه بالطريقة التي يرغب فيها، وسيصاب الأولاد بالتوتر والقلق إذا وُصف عملهم باستمرار بأنه قبيح أو غير كامل أو مضيعة للوقت.



مفاهيم غير صحيحة: الأفكار «الغريبة» أو «غير النافعة»

ينظر الآخرون إلى بعض سمات الإبداع الشخصية عند الأولاد المبدعين على أنها غريبة أو غير نافعة. ونذكر أدناه بعض الأمثلة على ذلك:

- التفكير الحر: عندما يتحدث الأولاد المبدعون حول الأفكار؛ قد يبدو للسامع أنهم غير منضبطين وفوضويون.
- العفوية والسذاجة: يتحمس الأولاد المبدعون للأفكار الغريبة، وقد لا يرون فيها ما يلحظه الكبار من مشكلات وعيوب.
- روح الدعابة: قد يرى الأولاد المبدعون الدعابة والطرافة في الأفكار التي يعدها الكبار جدية جداً. وهذه القدرة على التساؤل وفهم الأمور من وجهات نظر مختلفة قد تُفسَّر من الكبار على أنها ساخرة وممجوجة.
- أحلام اليقظة: يتعلم الأولاد المبدعون من أحلام اليقظة ما يمكنهم من حل مشكلاتهم، وإن إطلاق عنان العقل في التأمل والتفكر يمكن أن يساعد الخيال على تشكيل روابط جديدة، مع أنه قد ينظر إلى ذلك على أنه تشتت للذهن وانحراف عن الهدف.
- العزلة: يتطور الإبداع بدءاً من مجرد أفكار سهلة وغير منظمة، وقد يحتاج الأولاد إلى عزلة وحدهم حين تبدأ أفكارهم بالانطلاق.
- النشاط: قد تتقدح الأفكار من «لا شيء»، وحين تأتي الفكرة فإن الولد المبدع قد يستغرق منشغلاً بالكامل في الفكرة الجديدة.

وإنها لعادة حميدة أن توفر للأولاد أقلام رصاص وأوراق في عدة أماكن مناسبة في المنزل لتسجيل أفكارهم.

> إن هبة التخيل الجامح عندي تفوق بمراحل موهبتي لاستيعاب المعرفة الإيجابية.
> (Albert Einstein)

ماذا يمكن أن يفعله الوالدان؟

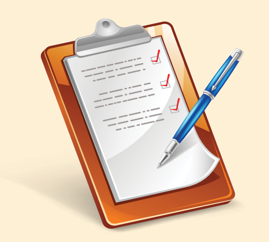
- **كُن قدوة:** انظر بتقدير لأفكارك الفضولية الطفولية والحماسية و«المجنونة»، وانفتح بنفسك على التجارب الجديدة، وشارك الآخرين باهتماماتك الإبداعية، وكن سعيداً باهتمامات ولدك.
- **ثق بولدك:** الأولاد الذين يشعرون بالثقة والمحبة سوف يمتلكون الشجاعة للإبداع والابتكار والتميُّز على الآخرين. والقلق المفرط حيال نظرات المجتمع التقليدية عنهم والأدوار النمطية الجامدة للجنسين يمكن أن تضعف قابلية الإبداع عند الأولاد.
- **شجع ولدك:** شجِّع فيه التجربة والاستكشاف، وعود نفسك على الاستماع لولدك باهتمام دون إطلاق الأحكام عليه. وادعمه حين يفشل وتجنب «المدح الفارغ له.»
- **إثراء البيئة:** وفر المواد التي تشجع الأولاد على التألق في الخيال، وتمكنهم من إنتاجهم الفني، فالمجلات والكتب والصحف والألعاب والملابس والمجوهرات ممكن استخدامها في مجموعة متنوعة من المشاريع، كما يمكن استعمال قصاصات الأقمشة والسجاجيد في تصميم الألحفة والأغطية والفرش الجميلة.
- **شاهدوا التلفاز معاً:** هذه فكرة مثيرة للجدل لما للتلفاز من تأثير سلبي عامةً على الأولاد، والمطلوب هو التركيز على الأفلام الوثائقية مما له علاقة قوية بالبيئة والفلك والجيولوجيا.
- **ساعدهم وناقشهم بانطباعاتهم وتخيلاتهم أثناء المشاهدة المشتركة معهم.** يحب الأولاد الرسم في مرحلة مبكرة قبل أن يبدأوا في الكتابة، ويميلون إلى إملاء أفكارهم على الكبار أو على الأولاد الآخرين ليكتبوها لهم. وفي ما بعد شجع ولدك على كتابة مذكّراته أو إنشاء صحيفته الخاصة.

ملحوظة حول اللُعَب



فكّر في الألعاب التي تشتريها لأطفالك، لأنها يُستحسن أن تكون من النوع الذي يُشجِّع الإبداع، وأن تكون تعليمية. وألعاب البناء (مثل الليجو) تحفِّز على التفكير، على حين أن بعض الدمى (Bratz) تقود إلى الخلط بين أدوار الجنسين، وتشوّش الطفل. واللعب بالدمى أمر صحّي للأطفال، إضافة إلى أنه يوفِّر لهم الصحبة، كما يستطيعون أن يمثلوا مع الدمى أدوار الأمهات، أو الأصدقاء. واشتر لهم اللعب التي تعلم النسيج والحياكة والخياطة والمشغولات الخشبية، وتعد أدوات القياس من نوع الأشرطة، وبعض المطارق الصغيرة (تستعمل تحت إشراف شخص بالغ) نافعة أيضاً. أما الألعاب التي يروج لها التلفاز كثيراً، أو الأغلى سعراً، ليست بالضرورة هي الأفضل. وإذا كان لديك أكثر من طفل، فحاول شراء الألعاب المشتركة التي تسمح لهم باللعب معاً.





الأنشطة

النشاط ٦٣: التمارين العائلية لتعزيز الإبداع

جرِّب الأدوات الإبداعية الآتية مع الأطفال:

١. اللعب الإبداعي: أنشطة من نوع «اتبع القائد» تشجع الطفل على التفكير بطريقة إبداعية، وأن يتذوق متعة المكافأة وهو يرى الآخرين يحتذون به في حركته، وفي مجال البناء يمكن استعمال مواد سهلة (حجر وطوب وطين ورمل وصلصال وماء) تتيح للطفل بناء الهياكل المختلفة وتصميمها.

٢. مفهوم القصة المستمرة: يبدأ شخص القصة ثم يضيف كل شخص جزءاً آخر. اقرأ قصة ومثّلها، واستعمل الدمى لتمثيل قصة مختارة.

٣. لعبة تمثيل الأدوار: تساعد ألعاب المحاكاة الأطفال على رؤية وجهات نظر الآخرين واستكشاف مشاعرهم.

٤. أسئلة مفتوحة الإجابة: اعرض صورة على الطفل واسأله: «ماذا يفعل الناس في الصورة؟» و«ماذا يقولون؟» و«ما الذي كان ممتعاً في يومك؟» بدلاً من سؤالك: «هل قضيت يوماً حسناً؟»

٥. اطلب من الأطفال استخدام حواسهم:

- اطلب من الأطفال إغلاق أعينهم ثم يُخِّمنون ماذا وضعت في أيديهم (قطعة من المطاط أو حجرة صغيرة أو قطعة قماش...).
- اطلب من الأطفال إغلاق أعينهم ثم يُخمِّنون ما يسمعونه (أصوات خلط بطاقات، رنين القطع النقدية، فرك ورق الصقل الرملي، تمزيق ورقة أصوات حيوانات).

٧. اسأل الأطفال عن التغييرات: اطلب منهم تغيير الأمور لجعلها على الطريقة التي يودون أن تكون عليها. على سبيل المثال:

- ما الذي سيكون طعمه أفضل لو كان أحلى؟
- ما الذي سيكون أجمل لو كان أصغر؟
- ما الذي سيكون أكثر متعة لو كان أسرع؟
- ما الذي سيكون أفضل لو كان أكثر هدوءاً؟
- ما الذي سيكون أسعد لو كان أكبر؟
- كيف سيكون هجاء اللغة الإنجليزية أو الفرنسية لو كتبنا الكلمة حسب نطقها مثل العربية؟

حاول كتابة فقرة باستعمال هذه الطريقة الصوتية. وهناك لغات أخرى من هذا القبيل، هل يمكن تسمية بعضها؟

٨. اطـرح أسـئلة مـع أجوبـة متعـددة: بعـض الأمثلـة باسـتعمال مفهـوم الميـاه كذلـك مفاهيـم أخـرى مثـل: النـار والريـاح والرمـال والسـيارات والدخـان والثلـج:

- ما هي بعض استعمالات المياه؟
- ما الذي يطفو على سطح الماء؟
- كيف يساعدنا الماء؟
- لماذا كان الماء البارد بارداً؟
- ما الذي يبقى دائماً تحت الماء؟
- ما هي الألوان المختلفة للماء؟

٩. اسأل «ماذا سيحدث لو ...» مثل:

- ماذا سيحدث لو كانت كل الأشجار في العالم زرقاء؟
- ماذا سيحدث لو اختفت كل السيارات؟
- ماذا سيحدث لو ارتدى الناس كلهم نفس الملابس؟ أو حملنا كلنا نفس الاسم؟
- ماذا سيحدث لو استطعت أن تطير؟
- ماذا سيحدث لو لم ينظف أحد المنزل؟
- ماذا سيحدث لو كان كل الناس صالحين؟ أو كانوا كلهم شريرين؟
- ماذا سيحدث لو أن كل الناس مرضى؟ أو كانوا كلهم أصحاء؟

١٠. اسأل «بكم طريقة ...» الأسئلة:

- بكم طريقة يمكن استعمال الملعقة؟
- بكم طريقة يمكن أن تستعمل الزر؟
- بكم طريقة يمكن أن تستعمل الخيط؟
- بكم طريقة يمكن أن تستعمل مشبك الورق؟

النشاط ٦٤: السمات المهمة في الشخصية

عندمـا نـزل الوحـي علـى النبـي محمـد ﷺ، عـاد خائفـاً إلـى بيتـه، فطمأنتـه زوجتـه خديجـة، وذكـرت لـه بعـض أخلاقـه الحميـدة، منهـا أنـه:

- يصل الرحم.
- يساعد الضعفاء والمظلومين.
- يعين على نوائب الدهر.
- يكرم الضيف.
- يحمل الكلَّ.

ناقش مع أطفالك أهمية كل من هذه السلوكيات. واكتبوا قصة معاً تتضمن هذه السلوكيات.

النشاط ٦٥: شرح الأسئلة الصعبة

اجمع بعض الآباء والأمهات لمناقشة الإجابة عن هذه الأسئلة، التي كثيراً ما يطرحها الأطفال (عند الحاجة؛ اطلب من الآخرين المساعدة).

- من الذي خلق الله؟ «لماذا يعاقب الله من لا يؤمن به؟» و«لماذا هناك الكثير من الناس الذين لم تصلهم الرسالة الإلهية؟» و«كيف يمكننا العيش إلى الأبد في الجنة دون ملل؟»
- كيفُ تفَسِّرُ مفهومَي «المخيّر» و «المسيَّر» بطريقة تُشَجِّع التفكير الاستباقي، من جهة، وقبول إرادة الله من جهة أخرى؟ من أين نأتي؟ ما هي نهايتنا؟ ما وصف الآخرة؟ هل نستطيع رؤية الله؟ ولماذا لا نستطيع؟ إن الله قادر على أن يجعل الجميع يؤمنون به، فلماذا لا يفعل ذلك؟

هذه هي الأسئلة الصعبة التي يسألها الأطفال، ونحن بحاجة إلى شرحها وفقاً لسنهم ونضجهم.

بيّن رسولُ الله ﷺ أن الجنة فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر! وهي نظام جديد تماماً للوجود الأبدي ولا تستطيع حواسنا البشرية استيعابه وإدراكه، وبالإمكان إرشاد الوالدين لكتب تربوية مُتخصِّصة في الإجابة عن أسئلة الأطفال الحرجة بصورة تقنعهم، وفي ذات الوقت لا توقف عندهم العقلية السؤولة.

النشاط ٦٦: تصوُّر اللص هو المهم بالنسبة له: حلّ مبتكر

حث الأطفال على قراءة القصة الحقيقية الآتية، ثم فكروا معاً في بعض المشكلات التي تواجه الأسرة وكيفية حلها:

عندما رأى المدير التنفيذي لشركة الخطوط الجوية الأمريكية حارساً في المطار، التفت إلى مدير المطار وسأله: «هل يمكننا خفض النفقات؟» رد المدير بالقول: «كيف؟» فقال المدير التنفيذي: «أن يناوب الحارس لثلاث ليال فقط، تُختار عشوائياً، فلن يعرف اللصوص أي ليال يكون فيها الحارس موجوداً. وأثير السؤال نفسه في العام الآتي حول خفض النفقات، وكان الرد نفسه: «كيف؟» واقترح المدير التنفيذي وضع كلب مخيف بدلاً من الحارس. وفي السنة الثالثة، ومرة أخرى، طرح السؤال نفسه. وكان الحل أن يحرس الكلب بعض الوقت فقط، وفي السنة الرابعة، قال الرئيس التنفيذي: «لأن تصور اللصوص للمسألة هو ما يعتدُّ به، لماذا لا تجوّع الكلب، وتسجل نباحه العالي المرعب، ثم تشغل المسجِّل تشغيلاً عشوائياً في الليل؟» ونجح الأمر! واقتصدوا في النفقات بالاستغناء عن توظيف حارس ليلي. (MSNBC ٣ نوفمبر ٢٠٠٧).



ثالثاً: تعليم المسؤولية

- **مقدمة**
- **إرساء الأسس: التوجهات والنظرة الكونية العامة**
- **الفرص في مراحل النمو المختلفة**
  - الرضيع والطفل الصغير
  - الطفولة المبكرة
  - من سن المدرسة إلى ما قبل المراهقة
  - مرحلة المراهقة
  - مرحلة الشباب والبالغين
- **مبادئ ينبغي ترسيخها**
  - اجعل العمل ممتعاً
  - اعملو معاً
  - مبادئ عن العمل في حديقة المنزل
  - بناء المسؤولية تدريجياً
  - عارض مقولة «هذا ليس من عملي»
- **اقتراحات عملية**
- **ربط الامتيازات بالمسؤولية: أمثلة**
- **الأنشطة ٦٧-٦٨**

مقدمة

المسؤولية تعنى أن يتصرف الإنسان بحكمة دون أن يُطلب منه ذلك، ومن دون أي ضغط أو تهديد عليه، وهي أيضاً القابلية على اتخاذ القرارات وتحمل تبعاتها ونتائجها، قال النبي ﷺ: «من لم يهتمَّ بأمرِ المسلمين فليس منهم» (أحمد).

«ما آمنَ بي من باتَ شبعانَ وجارُه جائعٌ إلى جَنْبِه وهو يَعلم به» (الطبراني).



يعدُّ تعليم الأولاد المسؤولية أمراً بالغ الأهمية، فيجمل أن يُعلَّم الأطفال ويُدرَّبوا على تحمل مسؤولياتهم تلقائياً ومن غير تذكير أو أن يُطلب منهم ذلك، يتطوع الولد المسؤول لتقديم الخدمة والمساعدة من غير أن يطلب منه أو يُكلفَّ بالمهمة. ويملك الولد المسؤول دافعاً قوياً للإنجاز والتفوق. وإحدى الطرائق لغرس المسؤولية في نفوس الأولاد هي تربيتهم على المراقبة والمحاسبة الذاتية، وذلك بأن يستوعب الأطفال أهمية أعمالهم وتداعياتها، فيصيرون بذلك أولاداً مسؤولين. ونذكر هنا عادة مهمة يكتسبها الأولاد، وهي محاسبة أنفسهم قبيل الخلود إلى النوم على أفعالهم التي قاموا بها أثناء اليوم، فهذا يغرس فيهم نظام «التدقيق والانضباط والمحاسبة الذاتية» وكأنك تجعل من الولد «شرطياً داخلياً» على نفسه. وزيادة على ذلك، يتعين على الآباء والأمهات غرس حب الله تعالى والخوف منه في قلوب أطفالهم وعقولهم لإبقائهم متيقظين متنبهين كي يهتدوا ويتمسّكوا بالصراط المستقيم في كل وقت وظرف، ومما يعزز إحساس الأولاد بالمسؤولية أن نغرس في نفوسهم مبدأ: أن الله مع كل فردٍ أينما يكون!

تتعدى المسؤولية مجرد أن يتذكَّر الولد القيام بالأعمال المنزلية، أو أن يكون مطيعاً فحسب، فهي تشمل أيضاً التمييز بين ما هو حق وما هو باطل، وإدراك كيفية تأثير أفعال الفرد على الآخرين وفهم أسباب أهمية الالتزام بالقوانين المرعية، فيحسن بالآباء والأمهات أن يتصرفوا كمسؤولين لكي يُعلِّموا أبناءهم المسؤولية بالأسوة الحسنة.

مثال جميل: تسابق الأب والابن للوصول إلى المتجر قبل أن يُغلق، وتوقفا كي يساعدا امرأة تحمل طفلها في عربة وهي تصعد الدرج. سيتعلم الطفل من هذا الموقف أن تبذل أقصى ما تستطيع كي تساعد الناس حتى لو فوتّ ذلك بعض المكاسب المالية واضطرك إلى تغيير خطتك ومطلبك.

عندما يبادر الأولاد إلى تحمُّل المسؤولية بدلاً من الآباء والأمهات فيتعين ملاحظة ذلك باهتمام والإفصاح عن تقديرهم لأولادهم. حيث إن المكافأة على السلوك المرغوب يُشجِّع على القيام بالمزيد من التصرفات المرغوبة. وكثيراً ما يتغافل الناس عن المواقف التي يتصرف فيها الولد بمسؤولية، أو يأخذونها على أنها واجبٌ مسلَّم به. والأسوأ من ذلك أن كثيراً من الآباء والأمهات لا يعلّقون إلا عندما يشاهدون أفعالاً غير مسؤولة عندها يقول الطفل لنفسه: «عندما أصيب لا أحد يذكر، وعندما أخطئ لا أحد ينسى».

عند قيام الولد بعمل مفيد؛ فيجمل بالآباء والأمهات أن يتفوهوا ب: «شكراً لك، ساعدتني كثيراً.» كما عليهم أن يحرصوا على إظهار التقدير والثناء لولدهم على السلوك الإيجابي، مع أنه قد لا يكون مهماً لولدهم، مثل: «لاحظت أنك وضعت كتبك في غرفتك بدلاً من تركها على طاولة الطعام، وهذا أمر لطيف تحمد عليه لذلك يمكنني الآن أن أعدّ الطاولة للعشاء»، أو: «يا له من عمل طيب أنك علَّقت سترتك فور عودتك للبيت» إن صنع قرارات صائبة هو شرط أساس لتعزيز السلوك المسؤول، ومن النادر للأطفال الذين يملى عليهم بما يجب أن يقوموا به في كل حين أن يتخذوا خيارات مدروسة؛ لأنهم لم يحصلوا على التدريب والتربية المطلوبة سابقاً كي ينمو أولاداً مسؤولين.

ومن المهم أن يترك للأطفال الخيار، إذ ينبغي عليهم في مرحلة البلوغ اتخاذ خيار تلو الآخر. فبدلاً من تحديد العمل المنزلي الذي يحسن أن يقوم به كل فرد من أفراد الأسرة؛ ضع قائمة بكل ما يجب القيام به في المنزل، وناقش في اجتماع الأسرة من سيقوم بكل عمل، واتفقوا على تقاسم الأعمال وتدويرها بينهم، بحيث يتم تحديد عمل كل فرد برضا الجميع، مع الأخذ بعين الاعتبار وضع نظام تناوب وتوزيع للأعمال. وإشراك الأولاد في اختيار وجدولة الأعمال المنزلية يثبت لهم أن والديهم يثقان بهم ويقدران آراءهم؛ إذ يصبحون شركاء في تحمُّل المسؤولية وأنهم جزء من فريق كل عضو فيه يشارك في إدارة أمور المنزل بيسر وسهولة. وهي بذلك وسيلة عملية لتعليمهم اتخاذ القرار، والشورى، وتحمُّل المسؤولية وروح الفريق.

إرساء الأسس: التوجهات والنظرة الكونية العامة

إذا كنا آباء وأمهات على المستوى المطلوب، فنصف المهمة قد أنجزت، ويبقى النصف الآخر وهو مساعدة أولادنا على السير على خطانا.

يحتاج الأولاد إلى المعرفة الكافية والسمات الشخصية الحسنة لإعدادهم للحياة. والمسؤولية هي واحدة من أهم عناصر الشخصية الحسنة، ويبدأ اكتساب المسؤولية من العقلية الذهنية أو تكوين منظومة من المبادئ والافتراضات التي يلهمها الآباء لأولادهم. وإذا كانت النظرة الكلية الكونية للوالدين هي أن يلعب الأطفال ويمتعوا أنفسهم فقط، فسيحققون توقعات والديهم هذه، ثم يتذمرون بالمقابل من القيام بواجباتهم المنزلية.

إذا غلب على ظن الآباء والأمهات أن أطفالهم سوف يكونون دائماً أنانيين؛ فسيصبح هذا الظن والافتراض واضحاً للطفل، إذا كان توقع الأبوين ضئيلاً من الأولاد فسوف يربون أولاداً أنانيين، ومجادلين وقليلي العون لأنفسهم وللآخرين. ومن ناحية أخرى، إذا كانت النظرة العامة الشاملة للوالدين هي أن الجميع، بغض النظر عن العمر والقدرة، يجب أن يُسهم في رفاه الجميع، وأن أعمالهم، وميولهم، وتوقعاتهم، يجب أن تعكس ذلك، فسوف يتعلَّم أولادهم قيمة المسؤولية.

إننا نريد تربية أطفال ناجحين في الحياة، فالأطفال الذين يتعلمون المسؤولية يكونون أقل اعتماداً على غيرهم، وأكثر ميلاً لتحمل مسؤولية أفعالهم في مرحلة البلوغ. فالمسؤولية مهارة مكتسبة، لذلك يحتاج الأطفال إلى أن نُوفِّر لهم الأدوات اللازمة للتدرب وتعلم هذه المهارة المهمّة.

ويحسن أن نبدأ في تعليم الطفل المسؤولية في سن مبكرة، والأطفال الذين يربَّون في بيئة وجو خال من العواقب والجزاء؛ تفوتهم فرص تعلمهم المسؤولية. ويذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك؛ عندما يحاولون خلق جنة آمنة لأطفالهم، فلا يسمحون لهم أن يجربوا تحمل عواقب أفعالهم السلبية. ويمكن أن نطلق على هؤلاء الآباء والأمهات مسمى «ممكّنين» (أي يمكّنون الأطفال من الاعتماد المفرط اللامسؤول). ويكبر هؤلاء الأطفال مع الشعور بالمزايا وبالاستحقاقات، ويتبنون توجهاً مشحوناً بالمشكلات: «العالم مدين لي» بدلاً من تبنّي التوجه السليم: «سوف يعاملني العالم على أنني فرد مسؤول إذا تصرفت بمسؤولية تجاه العالم».

ولا شك أن التعليم والتدريب جزءان حاسمان وأساسيان في العلاقات الأسرية، وأن يكون الإنسان مسؤولاً يعني توجّهاً سليماً أولاً ومهارة مكتسبة ثانياً، فلا يرتب الأطفال ألعابهم ما لم نعلّمهم ذلك، ولن يتعلم البالغون إعادة الأشياء التي استعاروها أو



المحافظة على مواعيد العمل بدقة، إلا إذا دربناهم على ذلك. وأفضل وسيلة لتعليم الأطفال المسؤولية هي أن يقوم الوالدان ذلك بالتروي، شيئاً فشيئاً، وبالتدريج يوماً بعد يوم.



ابدأ من الصغر

الغصون ما دامت لينة وصغيرة يمكن تعديلها وتقويمها بسهولة لكن إذا صارت خشباً فلن تستعدل:

إنّ الغصون إذا قوّمتَها اعتدلَتْ ولا تَلينُ إذا كانت من الخشبِ

ابدأ من سن ما قبل المدرسة في تحميل أولادك للمسؤوليات تدريجياً. ومن الجميل أن يقال للأولاد قبل ولادة طفل جديد عبارات مثل: «سنقضي وقتاً ممتعاً أثناء رعاية الطفل معاً»، فيتحمسون لفكرة كونهم شركاء في مسؤولية هذا المشروع الخاص، فيبدأ الولد بالمساعدة في العناية بأخيه الصغير، عن طريق إحضار الحفاضات مثلاً، أو وضع ملابسه الوسخة في سلة الغسيل، أو ترتيب اللعب التي ينثرها أخوه. علِّم طفلك، عن طريق إشراكه والتواصل معه، أن العمل معاً، وتقديم الخدمات للآخرين شرف وليس عيباً، والخدمة المقصودة هي «المشاركة الفعالة في الأنشطة» بدلاً من الوقوف متفرجاً على والديهم.

لقد تطرقنا في فصول سابقة بشيء من التفصيل في عدة مواضيع، ولكن لا بد من الإشارة إليها هنا باختصار لأهميتها الشديدة في بناء المسؤولية وتحملها في مراحل النمو المختلفة التي يجمل بالأبوين تعليم الأبناء وتدريبهم عليها:

- صلة الرحم ودور الجد والجدة في تربية الأولاد لتحمّل هذه المسؤولية أو بعضها.
- المسجد والجمعيات والنوادي والأسرة الممتدة وتحمل المسؤولية فيها أو التعلم عليها.
- الخدمة المجتمعية والتطوعية للتدريب على تحمل المسؤوليات وتنميتها وتعزيزها.
- المناسبات الدينية والاجتماعية والوطنية لتحميل الأبناء جزءاً من مسؤولية القيام بها والإعداد والمشاركة فيها.
- الجيران والتعامل معهم واعتبارهم في كثير من الأمور كالعائلة الممتدة والمسؤولية البالغة تجاههم.

الفرص في مراحل النمو المختلفة

تتعدد الفرص التربوية التي يمكن للآباء والمربين استثمارها عبر مراحل النمو المختلفة، وقد سبق ذكرها في الأجزاء السابقة للكتاب، حيث إن تقسيم مراحل النمو متعددة وليست موحدة، وحرصنا في كل جزء على تقديم أحد هذه الرؤى والتقسيمات، وهي كالآتي:

الرضيع والطفل الصغير (الولادة - ٢ سنة)

يبدأ الأطفال في هذه المرحلة اختبار الحدود عند والديهم، على سبيل المثال، يتعلَّم الطفل الذي يبلغ من العمر سنتين رمي الألعاب مراراً وتكراراً لجذب الانتباه، ثم يتعلَّم رمي الألعاب بغضبٍ لإثارة رد فعل من الشخص البالغ، وعندها يجب أن يضع الوالدان حدوداً لأطفالهما بدلاً من أن يضع أطفالهم حدوداً لآبائهم، فإذا حدث أن رمى الطفل لعبته؛ التقطها الوالد وأعادها إليه، لكن إذا تعمد الطفل رميها مراراً وتكراراً فيكون الوقت قد حان لوضع اللعبة بعيداً عن متناوله، وبهذا سوف يعرف أن السلوك السلبي لن يكافأ. ويطلق على هذا العمر اسم «السنتين المقلقتين».

يتقدم الأطفال الرضع بالعمر، ويصلون إلى مرحلة الأطفال الصغار، ويتعلمون المزيد من الأفعال التي تختبر صبر والديهم. ويحتاج الأطفال في هذه المرحلة إلى إدراك أن هناك عواقب للسلوك غير المهذب، فإذا قال الوالدان لطفلهما في السوق: «إذا لم تتوقف عن هذا التصرف... سوف نعود للمنزل الآن» بعد ذلك يتعين تنفيذ تهديدهما، وإذا علّم الوالدان أولادهم أن تهديداتهم جادة؛ فسوف تحمل كلماتهم وزناً كبيراً. وهذا ينطبق على كلا الوالدين، وليس أحدهما فقط، كي يظهر اتفاقهما صارماً للأولاد دون تردد يربك الطفل الذي سيفهم أن أباه وأمه يعملان كفريقٍ متناغم.



الطفولة المبكرة (٣- ٦ سنوات)

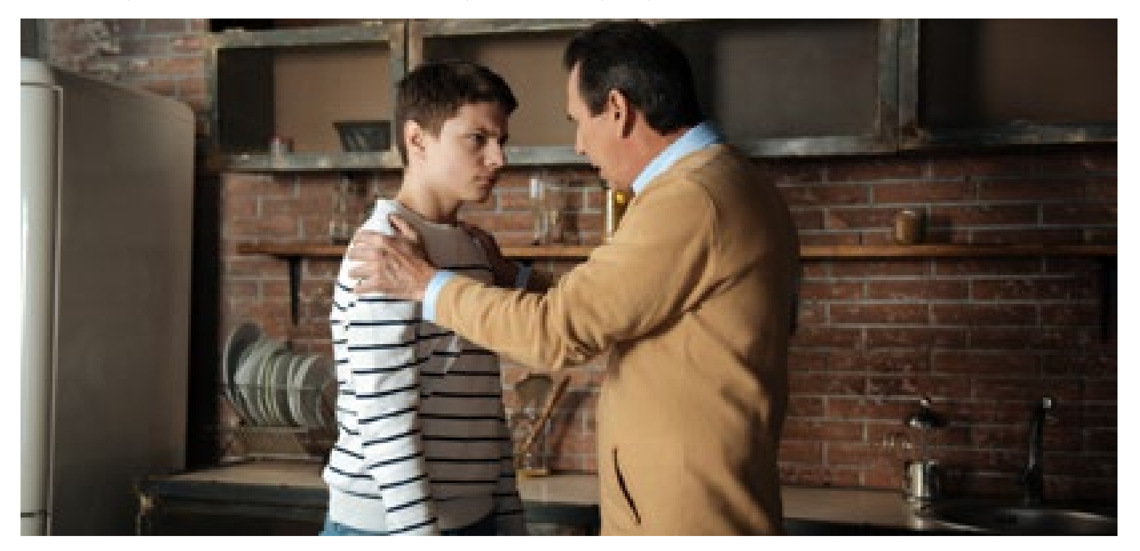
يحتاج الأطفال في سنوات الطفولة المبكِّرة إلى تعلُّم العناية بأنفسهم، فعليهم أن يمشطوا شعرهم، وينظفوا أسنانهم ويشدوا أربطة أحذيتهم، وأن يتأنقوا في اللبس وينظفوا بعد تنفيذ الأعمال بأنفسهم. كما يساعد قيامهم ببعض الأعمال المنزلية الصغيرة في تعزيز احترامهم لذاتهم، ويزيد من مشاعر المشاركة عندهم. ومن يخالف منهم القيام بواجباته فعليه أن يفهم أن هناك عواقب لرفضه. فإذا لم يكملوا الأعمال المطلوبة منهم، مثلاً، فلا يسمح لهم بأن يذهبوا للعب مع أصدقائهم، أو مشاهدة التلفاز، أو يمنعوا مما يعدونه «متعة»، على حين يسمح لهم أن يفعلوا ما يريدون إذا أكملوا واجباتهم.

من سن المدرسة إلى ما قبل المراهقة (٦-١٠ سنوات)

تزيد مسؤوليات الأولاد مع تقدمهم في السن، ويساعد تحديد الوالدين لمخصصات مالية منتظمة لهم في هذه المرحلة على زيادة إحساسهم بقيمة ذواتهم. فيحسن بالوالدين مكافأة الأولاد على كونهم مسؤولين، وذلك بأن يزيدا مثلاً المبلغ المخصص لمصروفهم إذا اعتنوا بالحيوان الأليف بالبيت أو معاملتهم معاملة مميزة إذا حصلوا على درجات جيدة في المدرسة، أو كتابة ملحوظة عن مدى اعتزاز الأبوين وفخرهم بهم كونهم مسؤولين.

وإذا لم يكن أداء الأولاد في المدرسة جيداً، أو لم يساعدوا في مهام المنزل، فمن المهم معرفة جذور المشكلة. ويتحسن أداء الأولاد عامة حين تُرسم لهم حدود واضحة، في حين أن الأولاد الذين لا تُرسم لهم معايير الأداء والإنجاز (سواء في المنزل أو في المدرسة) سيتوقفون عن تحقيق أي توقعات إيجابية، ولا شكَّ أن حس محاسبة النفس للأولاد على أفعالهم يتطلب خلق بيئة مغذية ومشجعة تسمح لهم بأن يفشلوا، كما تسمح لهم بالنجاح.

ويواجه معظم الأولاد قبل المراهقة ضغوطاً شديدة من الأصدقاء حولهم، فنجد أن الأطفال الذين تربوا في مناخ منزلي يدربهم على المسؤولية؛ سيكونون أكثر قدرة من غيرهم على تفادي السلوك السيء والتأثيرات السلبية من الأصدقاء، ثم إن إبقاء خطوط التواصل مفتوحة مع الأولاد تمنحهم متنفساً لمناقشة مخاوفهم مع والديهم بشفافية لإدراك حقيقة مشاعرهم الداخلية.



مرحلة المراهقة (١١-١٧ سنة)

يتعرض المراهقون لفرص كثيرة لاتخاذ الخيارات السيئة، ويدرك المراهق الذي يستطيع التمييز بين الخطأ والصواب أن الأعمال السيئة لها عواقب سيئة، ويحرص لذلك على انتقاء الخيارات الصحيحة. واصل غرس الشعور بالمسؤولية في ولدك المراهق نفسه، ولا شك أن وضع أساس متين للمسؤولية سوف يتيح للوالدين الفرص لمناقشة مستقبل أولادهم معهم. ويتعين على الأولاد أن يدركوا أن كونهم أناساً مسؤولين هو من المكونات الضرورية لنجاحهم. ساعد الأولاد في وضع أهداف محددة وواضحة يمكنهم تحقيقها وانجازها.

مرحلة الشباب والبالغين (١٨ سنة فصاعداً)

إذا تربى أولادك على الشعور بالمسؤولية؛ فسيكونون في هذه المرحلة مكتفين ذاتياً، وسائرين في الطريق التي توصلهم إلى الاكتفاء الذاتي وتكوين حياة منفصلة عن الأسرة، على حين سيجد الآباء والأمهات الذين ربُّوا أولادهم على الاعتماد عليهم أن أولادهم سيظلون

عاجزين عن الانفصال عنهم ليعيشوا حياتهم المستقلة (وأمثال هؤلاء الشباب سيعتمدون على أسرهم باستمرار لمساعدتهم على العيش). والبالغون الذين لم يدركوا عواقب أفعالهم السلبية سيجدون أنفسهم في وضع صعب، وسيظلون يبحثون عن الأعذار ويلقون اللوم على الآخرين. وستبقى علاقاتهم مع الآخرين تحدياً دائماً للبالغين غير المسؤولين.

مبادئ ينبغي ترسيخها

اجعل العمل ممتعاً

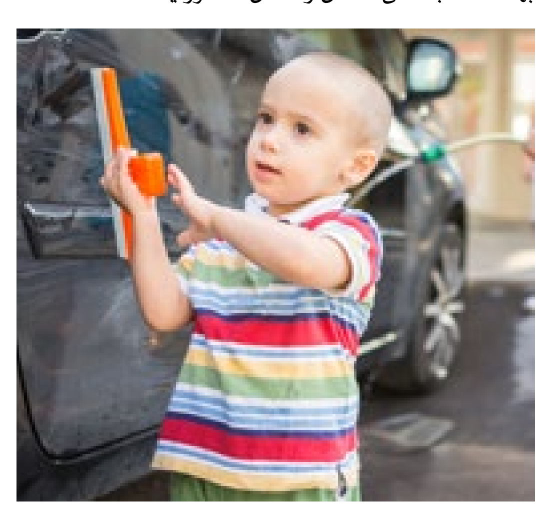
يُصدّق الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة كل ما يقوله والداهم، فالفرصة مواتية لتعليمهم أن العمل يمكن أن يكون متعة. وعلى سبيل المثال، يجعل الوالدان من طريقة ترتيب الألعاب، أو وضع المشتريات من البقالة في أماكنها، لعبة مفرحة لهم، ولا شك في أن هذا التوجه في هذه المرحلة سيجعل الأولاد حين يبلغون سن المراهقة يعملون بجد ليكونوا مفيدين في المنزل. وعلى الآباء والأمهات الحذر في ما يقولونه أمام أولادهم المراهقين، فإذا سمع الأولاد أمهم تقول لهم: «أود أن أقضي وقتاً ممتعاً معك، لولا أنّ عليَّ أن اشتغل الآن» فهي بهذه المقولة توصل لهم رسالة بأن العمل أمر سلبي وغير مرغوب فيه، ويمكنها بدلاً من ذلك القول: «تستطيع قضاء وقت ممتع معي وأنا أكنس الأرض ويمكنك حمل فرشاة المسح، أليس هذا ممتعاً؟»

علِّم أولادك أنه لا يوجد عمل منزلي أو عمل في الحديقة يعد حقيراً وغير لائق، فهذه الأعمال جميعها لائقة ومحترمة. ومن المهم أيضاً إيصال رسالة للأولاد بأن الحصول على العمل هو امتياز وليس حقاً لهم، كما يحسن أن يوضح الوالدان لأولادهم فوائد العمل البدني، فماذا لو لم يستطع الأولاد القيام بالأنشطة أو كانوا عاطلين عن العمل، أو من ذوي الاحتياجات الخاصة، أو لأن في ظهرهم أو رجلهم إصابة تمنعهم من ممارسة هذه الأنشطة؟ لا بدّ أن يكون الجميع، بتأملهم في أحوال من هم أقلّ حظاً، مدركين لنعمة الصحة العظيمة. كما يتعين على الآباء والأمهات ألا يألوا جهداً في استثمار أي فرصة لأهمية العمل البدني، إضافة إلى الإحساس بالمسؤولية.

يحاول الوالدان أن يجعلوا من فترة العمل المنزلي الروتيني وقتاً ممتعاً (بسماع البرامج الإذاعية المبهجة أثناء العمل، أو المزاح الحلو، أو المحادثات الشّيّقة)، إذ يساعد جو الابتهاج على ترغيب الأولاد بالعمل وتحمل المسؤولية. ويفضّل لو أمكن جدولة العمل واللعب بحيث يتمّان في الوقت نفسه لأفراد الأسرة كافة. وهذا من شأنه أن يُجِّنب الأولاد شعور الاستياء الناجم عن انشغال فرد بالعمل في الوقت الذي يستمتع فيه الآخرون باللعب.

اعملوا معاً

قد يجد الآباء والأمهات فائدة من استخدام كلمة «نحن» بدلاً من «أنا» أو «أنت» في تدريب الأطفال. فعلى سبيل المثال يمكن أن يقولوا لهم: «نحن نضع الملابس الوسخة دائماً في سلة الغسيل، بدلاً من رميها على الأرض»، يجمل أن يكون الأولاد دائماً مشمولين بالنشاط، ويؤخذون بنظر الاعتبار، واستعمال كلمة «نحن» تُشَجِّع فيهم السلوك الصحيح أكثر من الوعظ المباشر وإلقاء النصائح المتكررة، كذلك أن يقول الوالد لولده: «هيا لننظف غرفتك معاً» بدلاً من أن يقول له: «نظف غرفتك!». فالأطفال يتعلمون بشكل أفضل، ويطورون عادات مسؤولة عندما يعملون مع والديهم، حيث يشعرون بحبهما لهم، فيقبلون بهذا الحب على العمل وتحمل المسؤولية.



مبادئ عند العمل في حديقة المنزل

عند خروج الأطفال للعب في الهواء الطلق؛ يطلب منهم القيام بعدة أعمال صغيرة قبل أن يبدأوا باللعب، ويمكن أن يكون ذلك بتنظيف ساحة اللعب أو الحديقة، كالتقاط ١٠ حصوات أو أعشاب ضارة أو زهور ميتة أو الأوراق المتساقطة من الشجر، ووضعها في سلة النفايات، إضافة إلى ذلك، يمكن أن يقوموا بأعمال أكبر، مثل السقاية حتى يتعلموا العناية والاهتمام بالممتلكات، كما يجمل بالآباء والأمهات تشجيع أطفالهم على زرع خضارهم ونباتاتهم كلما أمكن ذلك.

أخبرني رجل ليبي أنه قسم حديقته إلى ٦ أقسام، وأوكل كل قسم إلى ولد من أولاده يزرع فيه ما يشاء، فإذا أرادت زوجته شيئًا من الخضراوات اللازمة لطبخ الوجبات العائلية، استأذنت أولادها للحصول على بعض البندورة أو الفلفل أو البطاطا أو البصل أو الكرافس (المقدونس)، فكانت العناية بالحديقة تجري على أكمل وجه، كذلك وضع هذا النظام حداً للخلافات حول توزيع مهام البستنة على الأولاد.

(Sylvia Hunt)

بناءُ المسؤولية تدريجياً

يرتكب الوالدان خطأ جسيماً عند ترك أطفالهم يلعبون فقط، دون القيام بأي عمل، إلى أن يبلغوا سن «المسؤولية»، ليفاجأ الأولاد بعد ذلك بوجود كمٍّ هائل من العمل والمسؤوليات عليهم التدَرُّبُ عليها في هذه المرحلة، وحينها ينبغي مساعدة الأطفال على القيام بعمل أكبر من سابقه تدريجياً، وتحمل المزيد من المسؤولية عاماً بعد عام؛ حيث إن الأولاد في بعض البلدان النامية (خاصة البنات) يقومون برعاية الطفل، وبإحضار الوقود وجلب المياه، فضلاً عن المساعدة في المنزل، كما أن الأولاد من عمر ٨ سنوات في هذه البلدان قد يعملون خدماً وعمالاً عند الآخرين.

يظل الطفل في البداية يعمل بلا أجر على الإطلاق، فإذا بلغ من العمر ١٩ سنة مثلاً يبدأ يعمل بصورة كُلية، وبذلك لا بد من بناء المسؤولية تدريجياً كي يتكيفوا مع العمل بدوام كامل عندما يصبحون بالغين ومن دون مفاجآت.

عارض مقولة «هذا ليس من عملي»

يحسن أن يتعلم الأولاد تحمل المسؤوليات من أفراد العائلة جميعهم بلا استثناء، وأن من يجادل منهم كثيراً حول العدالة في توزيع الأعمال سيفوّت سموّ معنى أن يكون مفيداً للآخرين. وإذا انصَبَّ تركيز الوالدين دائماً على المفاصلة ومن اشتغل أكثر أو أقل فسينمو عند الأولاد الميل إلى الجدال العبثي في المواقف المختلفة، الأمر الذي لا يُفضي إلى تناغم الأسرة ووئامها، فيتعين لذلك تنمية عقلية العمل الجماعي ورعايته. وهكذا يمكن للوالدين، على سبيل المثال، أن يقولا لأطفالهما: «بعد أن تؤدي واجباتك يمكننا جميعاً مشاهدة التلفاز أو نلعب في الحديقة»، أو «إذا أنهينا أعمالنا يمكننا تناول المثلجات أو الفشار هذه الليلة» أو «دعونا جميعاً نذهب في رحلة إلى مكان ما للاحتفال أو لزيارة الأقارب.»



تشجّعُ المكافآت الجماعية على الانسجام، وروح الفريق، والمسؤولية. ويمكن الطلب من الأطفال أن يحلّ الواحد مكان الآخر في العمل عندما يكون أحدهم مريضاً، ومن المهم تشجيعهم على مساعدة بعضهم بعضاً، والتعاون في إنجاز الأعمال وتحمل الأعباء بروح جماعية، كما يتعين حث الأطفال الأكبر سناً على مساعدة الأصغر سناً في الواجبات المدرسية، وأن يساعد الأطفال الأصغر سناً الأكبر سناً في الأعمال المنزلية.

اقتراحات عملية

- لا تغرق الأولاد بالعديد من المهام، فيتعين على الوالدين أن يأخذا في الاعتبار قدرات الأولاد وأمزجتهم، واختيار المهام التي يستطيعون على هذا الأساس إنجازها بنجاح، وسيحفزهم النجاح والثناء على بذل المزيد من الجهد، ولكن تحملهم لأعمال زائدة قد يؤدي إلى الفشل ويدمر الحافز الذاتي لديهم.
- «توقّع» من الأولاد أن يكونوا مسؤولين؛ لأن توقعات الوالدين تحفزهم. وعندما يختار الوالدان للأولاد المهام والأعمال، فيحسن مناقشة الوقت المتاح لإنجازها، ثم السماح للأولاد بالقيام بها مع الافتراض أنهم سينجزونها. واسمح لهم بإكمال المهمة بالطريقة التي يختارونها دون مراقبتهم أو تذكيرهم باستمرار بها، وإذا لم يتمكنوا من الانتهاء من المهمة؛ فيمكن للوالدين مساعدتهم.
- لا تصف ولدك بأنه «غير مسؤول» حتى إن كان يقوم حقاً بفعل أمور غير مسؤولة، كالذهاب إلى السينما بدلاً من تنفيذ وعد لصديقه لمساعدته في الدراسة مثلاً. وينبغي أن يمتنع الوالدان عن إلصاق الأوصاف المحبطة به، ومن الأفضل تشجيعه بدلاً من توبيخه، على سبيل المثال، على تعويض زميله عن تغيبه عن الموعد بدون عذرٍ في أقرب وقت ممكن. وإذا كان الولد يميل إلى النسيان، فينبغي أن يتجنب الوالدان إبداء ملاحظات مثل: «لو لم يكن رأسك ملتصقاً بجسمك لنسيته»، فهذا النوع من التعليقات موجع ومحبط ومؤذ، ويترك ضرراً نفسياً على الولد، ويستساغ أن تطال النعوت والصفات السيئة سلوك الولد وليس ذاته.
- يحتاج الأطفال إلى المساعدة في تنظيم جدولهم، فبيّن لهم كيفية تقدير الوقت الذي يستغرقه عمل الواجبات المدرسية وغيرها، ثم تثبيت ذلك على جدولهم، وساعد الأولاد في إعداد جدول يخص أعمال ما بعد المدرسة، وبيّن لهم كيف أن هناك وقتاً كافياً للقيام بكل واجباتهم المدرسية والمنزلية، فضلاً عن الاستحمام، مع بقاء وقت إضافي للاسترخاء واللعب خارج المنزل.



- قسّم المهامّ الكبار إلى مهام أصغر. فإذا أعطي الأولاد واجب مدرسي بكتابة تقرير مثلاً، فيحبذ أن يناقش الوالدان معه مقدماً كم من الوقت سيحتاجون للبحث في المكتبة، أو البحث في الإنترنت، وكتابة مختلف أجزاء التقرير جزءاً جزءاً، بعد تقسيم المشروع إلى أجزاء، ولوضع خطة لإنجاز كل جزء.

- لا يجوز للوالدين أداء الواجبات المدرسية بالنيابة عن أولادهما. ومن العجيب أن كثيراً من الآباء والأمهات يقعون في هذا الفخ، إما مع أولادهم أو بالنيابة عنهم. يؤكد الوالدان على أولادهما أن واجباتهم هي من مسؤوليتهم شخصياً، وليس من مسؤولية الوالدين، إذ يفترض أن تكون الواجبات المدرسية ضمن قدراتهم، ومع ذلك يحتاج الأولاد إلى بعض المساعدة من حين لآخر وإلى اختبارهم في الإملاء أو المفردات.
- ينبغي أن يتعلم الأولاد تحمل مسؤولية أخطائهم، ولا يحسن بالوالدين التسرع في إنقاذهم من الورطات التي يُقحمون أنفسهم بها. وغالباً ما يتعلم الفرد الدروس من أخطائه أكثر من نجاحه.
- يتعين أن يتعلم الأولاد حسن إدارة المال، وألا ينفقوا أكثر مما لديهم سواء أكان المال من مصروفهم، أو هدية من أحد الجدّين، أو كسبوه من عمل ما. وليس من المقبول اقتراضهم لشراء الأشياء ثم تسديد المبلغ عندما يتوفر لديهم المال مؤخراً، ويعد هذا نقطة ضعف في التدريب، بل عليهم أن ينتظروا حتى يتوفر لديهم ما يكفي من الأموال الخاصة بهم، ويحسن أن يتعلم الأولاد الذين لديهم وظائف؛ توفير بعض الأموال للادخار وللأعمال الخيرية أيضاً، ومع نموّ الأولاد يتعين على الوالدين مناقشتهم في الطريقة المثلى لإدارة أموالهم وخطط الادخار والاستثمار ويمثل هذا الموضوع فرصة مثالية لنبيّن لهم أن الربا محرم في الكتب السماوية، وأن نعطيهم لمحة عن المعاملات المصرفية الإسلامية.
- شجِّع الأولاد على الحصول على وظيفة، ويمكن أن تكون هذه الوظيفة عملاً تطوعياً، أو عملاً بأجر بعد الانتهاء من المدرسة، أو في عطلة الصيف. وإذا كان لدى الوالدين استثمار خاص بهما (متجر، أو مدرسة، أو فندق، أو مطعم، أو مزرعة) فيشجعان أولادهما على البدء بمساعدتهما في مكان عملهما في سن مبكرة، وسيتعلم الأولاد من هذه المشاركة الانتظام في المواعيد، وأن يتعاملوا بلطفٍ مع الناس مهما كانت مواقفهم، وأن يحرصوا على القيام بواجباتهم.



نصائح عامة

- تجنب تدريس الأولاد وهم يشعرون بالتعب أو الجوع.
- يعدّ الانتقاد «سمّاً» أثناء التعليم.
- المسؤولية تتطلب الصبر.

التعامل الأسري ليس كالتعامل في الشركات ... فلا يستطيع الوالدان فصل ولدهما!

يعد السلوك اللامسؤول غير مقبول على الإطلاق في العمل. ويعرف الموظفون واجباتهم وتوقيتها المطلوب ومتى يتعرضون للفصل من العمل عند فشلهم. ومع أن الوالدين لا يمكنهما طرد أولادهما فإنّ بإمكانهما أن يقدما لهم التوجيه والتدريب كي يتحلوا بالمسؤولية المطلوبة في العمل.

وقد يحدث ألا يستطيع الأولاد إنجاز عملهم في أحد الأيام لأي سبب كان، ومع ذلك يمكنهم تماماً -شأنهم شأن أي موظف- أن يطلبوا إجازة مسبقاً فلا يمكنهم أن يأتوا إلى والديهم في بداية اليوم ويقولوا: «أنا أطلب اليوم الإجازة الآن لأنني كنت مشغولاً في الليلة الماضية.»

ربط الامتيازات بالمسؤولية: أمثلة

يظن العديد من الأولاد أن لهم الحق في كل المزايا التي يوفرها لهم والداهم، فيتصرفون كما لو أنهما خلقا لخدمتهم. ويجد مثل هؤلاء الأولاد صعوبة بالغة في قبول المسؤوليات عند البلوغ. وهناك عائلة جعلت من طقوسها السنوية تقديم امتياز جديد، مع كل مسؤولية جديدة لكل ولد من أولادهم كل سنة، كما يعتمد حجم كل امتياز جديد على حجم المسؤولية التي حددت لكل منهم، ويتعين على الأولاد مناقشة خياراتهم مع والديهم، وعلى هذين بدورهما حمل مخاوف الأولاد دائماً على محمل الجد.

مثال ١: أرادت ابنتك اقتناء قطة منذ سنوات عدة وقالت: إنها توافق على رعاية شقيقها الأصغر بالكامل مرة واحدة في الأسبوع إذا لبيت طلبها، لذلك فهي تستحق امتياز شراء قطة ولكن بشرط رعاية القطة بنفسها، ويستحسن تذكيرها أنها لو أهملتها، فسوف تفقد الحق في اقتنائها!

وكما يعامل الوالدان أولادهم بالامتيازات والمكافآت أيضاً يعاملونهم بحكمة، بفرض عقوبات ملائمة على أفعالهم، فمن غير المفيد للأولاد أن يهرع الوالدان لإنقاذهم عند ارتكابهم الأخطاء. فحينما يتذمر الآباء والأمهات كثيراً من أفعال أولادهم نجدهم مع ذلك يسارعون إلى إخراجهم من الورطات التي يقحمون أنفسهم فيها. يتعلم الأولاد المسؤولية من أثر العقوبات المعقولة عليهم. فإذا كانت العقوبات مناسبة، فيكون الأولاد أقل عرضة للنسيان، ومن ثم التهرب من المسؤولية في المرات القادمة، فعلى سبيل المثال، إنّ الغرامة المالية التي يفرضها الوالد على ابنه المراهق بسبب اصطفافه سيارته في مكان ممنوع هو أمر خطأ، فلا تقم بذلك أبداً مع ولدك! والحل أن يسأل الوالد ابنه عن ما هي خطته لدفع الغرامة وكيف يتأكد من تجنب المخالفات مستقبلاً.

مثال ٢: طلبت من ولدك شراء علبة من الحليب أثناء عودته إلى المنزل من المدرسة ولكنه نسي أن يفعل ذلك، فبدلاً من إسراع الأم إلى البقالة لشراء الحليب بنفسها، ينصح بأن تقدم العشاء له، ثم الإفطار في اليوم الذي يليه من دون الحليب.

مثال ٣: يتكرر تأخر الابنة في مغادرة البيت للذهاب إلى المدرسة، وتفوتها الحافلة مرات عدة، مع محاولة والدتها المستمرة لإيقاظها كل يوم في الوقت المحدد، فتضطر الأم في كل مرة إلى توصيل ابنتها إلى المدرسة بسيارتها. وفي الطريق تلقي عليها محاضرة عن ضرورة الالتزام بالمواعيد. فاحتمال تغيير الابنة لسلوكها سيكون ضعيفاً، إلا إذا توقفت والدتها عن الكلام في هذا الموضوع وطلبت منها الذهاب إلى المدرسة مشياً على الأقدام. وإذا كان الطريق إلى المدرسة غير آمن وبعيد، فيمكن أن تخبر الوالدة ابنتها بأنها ستوصلها في وقت لاحق عندما تنهي بعض الأعمال، وهكذا تتعرض الابنة لمساءلة المعلمة عند الوصول إلى المدرسة بعد أن تكون الحصص الدراسية قد بدأت، وسوف يدفعها هذا الأمر إلى تصحيح خطئها والاستيقاظ مبكراً، فالأخطاء عادةً ما تكون فرصاً ثمينة للتعلم، ولا فائدة من انفعال الوالدين عند إخفاق الأولاد، فنادراً ما يستطيع الصراخ أن يحقق نتائج جيدة، فضلاً عن تعكير أمزجة الجميع، ويتعين بدلاً من ذلك إيجاد سبل أخرى لتحسين الوضع، ولسوف يتعلم الأولاد بهذا أكثر مما يتعلمونه من التوبيخ، وسيشعر الوالدان أيضاً برضىً أكبر عند تطبيق مثل هذه الوسائل.

مثال ٤: جاء دور الابن في تحضير العشاء، وهو كثيراً ما ينسى واجبه، ويستمر في المدرسة في لعب كرة القدم، فيصل المنزل متأخراً، وبدلاً من الصراخ في وجهه، أو تحضير الأم للعشاء، يمكنها محاولة تعديل الوضع قائلة: «لدينا مشكلة الآن، فماذا نفعل حيالها

برأيك؟» قد يقرر وقتها أن يسلق بيضاً، أو يحضر سندوتشات خفيفة من الجبن سهلة التحضير، أو يقايض شخصاً آخر من أفراد الأسرة سيحلّ دوره في الليلة التالية ليأخذ مكانه. فإعداد الابن للالتزام بواجباته وأداء مهامه في المستقبل أهم من تحضير المائدة.

كثيراً ما يلقي بعض الأولاد اللوم على الآخرين وعلى الظروف لتسويغ أخطائهم، وعادتهم هذه كفيلة بحرمانهم من التحسن، ويحسن بالوالدين التفكير في الحالات التي رفضوا فيها تحمل المسؤولية الكاملة عندما كانوا صغاراً، وجعلت من والديهم يصابان بخيبة أمل منهما بسبب انعدام المسؤولية عندهما، وأن يتذكرا ذلك دائماً عند تعاملهما مع أولادهما بموضوع المسؤولية.

يتناول القرآن الأفعال وعواقبها:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧-٨).

المسؤولية ومحاسبة النفس مبدآن أساسيان يجمل أن نعلمهما لأولادنا، وسنفصل القول في فصلٍ لاحق عن مفهوم الاستقلالية، الذي يعد مهماً لتعلم المسؤولية.

اطلب من أولادك أن يقوموا بنصيبهم من الأعمال المنزلية، وحمّلهم مسؤولية المحاسبة على التقصير بذلك.

قد يصابون بالانزعاج إذا لم ينجحوا، ولكنهم حتماً سيصدمون بالإخفاق الذريع إذا لم يحاولوا أصلاً.

الأنشطة

النشاط ٦٧: الله تعالى يراقب الجميع

دع أولادك يقرأون القصص التالية: ثم اطلب منهم التعليق.

١. كان هناك لافتة في مخيم صيفي للأولاد موضوعة على خط العشاء كتب عليها: «خذ تفاحة واحدة فقط فالله تعالى يراقبك». وكان هناك لافتة على الكعك في نهاية الخط لم يكتب عليها أي شيء، فكتب ولد لافتة ووضعها على الكعكة وفيها: «خذ قدر ما تشاء لأن الله تعالى عز وجل عن هذا مشغول بمراقبة التفاح.» (القس بيت مارتن في حفل إفطار المعهد العالمي للفكر الإسلامي (واشنطن) في رمضان، أكتوبر ٢٠٠٧).

٢. روى عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال: كنت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يعس المدينة إذ أعيا فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنتها: ياابنتاه: قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء. فقالت: يا أَمتاه وما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين؟ فقالت: وما كان من عزمته يا بنية؟ قالت: لقد أمر منادياً فنادى ألا يشاب اللبن بالماء. فقالت لها: يا ابنتاه قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء، فإنك في موضع لا يراك عمر ولا منادي عمر، فقالت الصبية لأمها: يا أمتاه والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء.

وعمر يسمع كل ذلك، فقال: يا أسلم علّم الباب وأعرف الموضع، ثم مضى في عسسه، فلما أصبح قال: يا أسلم، أمض إلى الموضع، فانظر من القائلة، ومن المقول لها؟ وهل لهم من بعل؟

فأتيت الموضع، فنظرت، فإذا الجارية أيم لا بعل لها، وإذا تيك المرأة أمها وليس لها بعل. فأتيت عمر وأخبرته فدعا عمر ولده فجمعهم، فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أو زوجة، فلو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه أحد منكم إلى هذه الجارية؟ فقال عبد الله: لي زوجة، وقال عبد الرحمن: لي زوجة، وقال عاصم: يا أبتاه، لا زوجة لي، زوجني. فبعث إلى الجارية، فزوجها من عاصم، فولدت لعاصم بنتاً، وولدت الأبنة عمر بن العزيز. (تاريخ دمشق).

النشاط ٦٨: درس عن الحوادث والمسؤولية!

أجب عن السؤال الآتي، وبعد ذلك فكر في التعليقات أدناه.

بينما كان ابنك ذو ١٢ ربيعاً يلعب بالكرة في الفناء الخلفي للمنزل؛ ضرب الكرة فكسرت زجاج نافذة الجيران، فماذا تفعل:

أ. تهاتف الجار لتقول له إنك سوف تدفع ثمن زجاج النافذة، ثم تعاقب ابنك.

ب. تطلب من ابنك الذهاب إلى الجار ليبين له أنه لم يتعمد كسر زجاج النافذة، وإنه سيدفع ثمن الزجاج، ثم تدفع أنت بعد ذلك ثمنه وتحسمه من مصروفه.

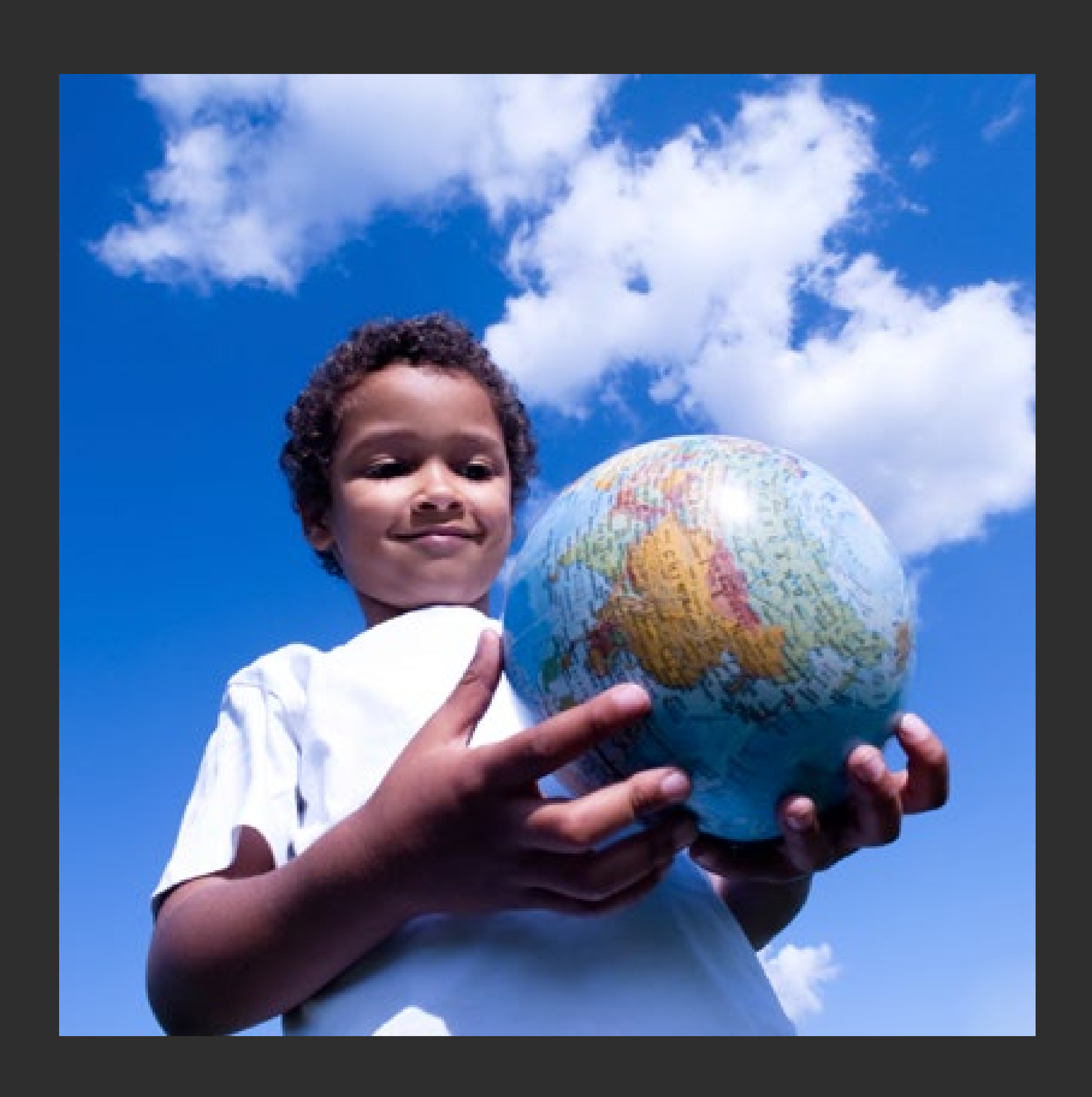
ت. تطلب من ابنك الذهاب إلى الجار ليعترف بأنه حطم زجاج النافذة خطأ، وأنه سيدفع بدل إصلاحها من مدخراته (إن وجدت)، أو يقوم بعمل ليكسب مالاً إضافياً يمكّنه من دفع ثمن الإصلاح.

تعليق: هذه فرصة مثالية لتعليم ابنك تحمل المسؤولية عن أفعاله، دون أن تغضب أو تضطر إلى معاقبته. فإذا اخترت:

أ. أن تهاتف الجار، لم يتعلم الولد أي درس أو عبرة، إلا أن هناك شخصاً ما سوف يدفع لينقذه من أي أزمة أو مشكلة في المستقبل، وسيقول في نفسه: لماذا يعاقبني؟ لقد كان الأمر مجرد حادث.

ب. جيد: إرسال ابنك ليخبر الجار عن النافذة المكسورة، فإنها الخطوة الأولى الصائبة.

ت. ممتاز: الطلب من ابنك الذهاب إلى الجار! ويبلغهم بأنه يتحمل الآن المسؤولية الكاملة عن تصرفاته. هذه الطريقة تعمل على نحو أفضل من الجواب (ب).



الفصل السادس عشر

تعليم الاستقلالية

- **النشوء على «الاتكالية»**
- **حالة الأطفال الباكين**
- **إنجازات محددة لكل عمر**
  - أستطيع فعل ذلك وحدي
- **دعِ الصغار يختارون طريقتهم بأنفسهم**
- **قلق الانفصال عند الأطفال**
- **المراهقون والواقع**
- **تأثير أنماط التربية الوالدية المختلفة: السلطة المسؤولة مقابل السلطة بالقوة**
- **المهارات اللازمة لبناء الاعتماد على النفس**
  - وفّر البدائل للأولاد
  - إظهار الاحترام عند معاناة الولد
  - لا تكن كالمحقق الذي يستجوب الأولاد
  - لا تتعجل الإجابة عن الأسئلة
  - شجِّع الأولاد على الاستفادة من المصادر خارج المنزل
  - لا تسلب الأمل من تطلعاتهم
- **نصائح للآباء والأمهات**
- **النصيحة مقابل الاعتماد على الذات: الابنة وأمها**
- **إذا كره الآباء والأمهات نوعية أصدقاء أولادهم**
- **خطوات اتخاذ القرار**
- **الأنشطة ٦٩-٧١**

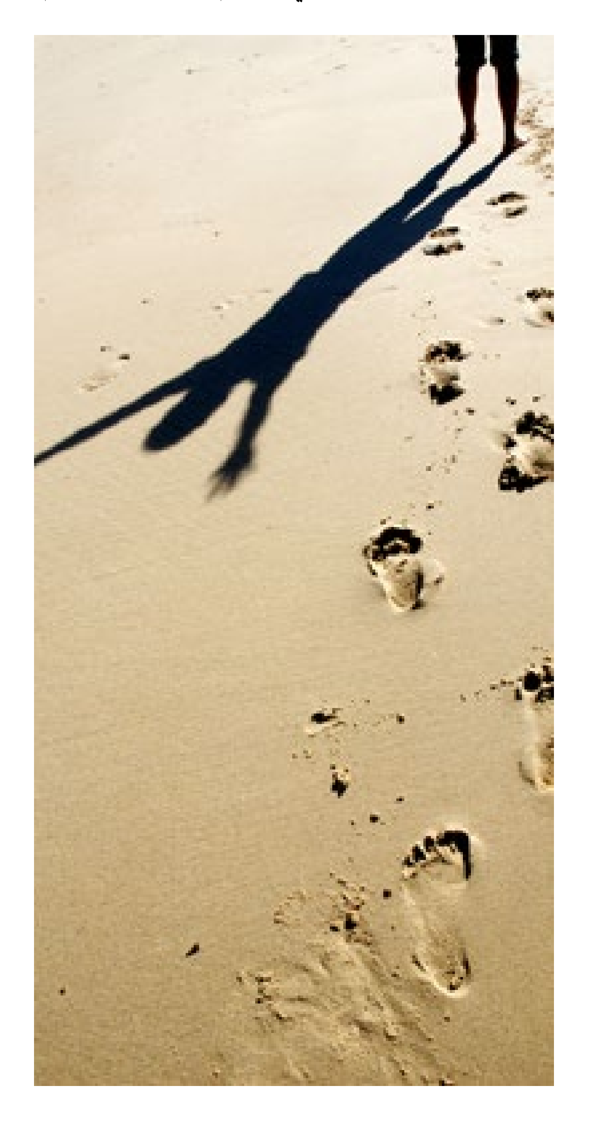
النشوء على «الاتكالية»

تتعدد شكاوى الآباء والأمهات من أن العديد من الأولاد يستمرون في توقع الكثير من المساعدات منهم ولمدة طويلة جداً، ويخفق المجتمع في إعداد أبنائه ليصبحوا مستقلين ومعتمدين على أنفسهم عند مغادرتهم المنزل.

هناك مفارقة بالغة في العمل هنا، فمع أن الآباء والأمهات يريدون سعادة أولادهم، إلا أن الأسلوب الذي يتبعونه في تربيتهم قد يصل إلى خلاف ما يريدون. فالأولاد لم يتدربوا على الاستقلالية؛ لأن آباءهم وأمهاتهم لم يتوقعوا منهم ذلك، وينفق الآباء والأمهات الكثير على أولادهم مالياً وعاطفياً لإسعادهم، ولا شك أنهم صادقون في تفانيهم، إذ يبذلون جهداً كبيراً لتحقيق أقصى طموحاتهم وتوقعاتهم من أولادهم.

يتصف الآباء والأمهات المتميزون بأمرين رئيسين: بما يقومون به تجاه أولادهم، وبما يبذلون لهم. وعادةً يفعلون كل ما بوسعهم للتأكد من حصولهم على المزايا الممكنة كلها. فهم يزينون غرف أطفالهم، ويطلونها بألوان مشرقة مريحة للنفس، ويشترون لهم الكثير من الألعاب التعليمية، ويوفرون لأطفالهم جلسات مكلفة من التدليك الصحي، ويباعدون بين الولادات حسب نصائح بعض الخبراء في نمو الطفل، كما يرسلون أولادهم إلى ألعاب الجمباز، ويضعونهم في مدارس رياض أطفال متميزة، ويلحقونهم بنوادٍ لكرة القدم وهم في سن الرابعة، ويضحون بالوقت والواجبات والصداقات ورغباتهم الخاصة، وأحياناً بحياتهم الجنسية، ويسمحون لأولادهم بمقاطعتهم أثناء عملهم، ويتركون كل شيء لاستثمار كل لحظة لتعليمهم، والأهم من هذا كله، ينتهزون كل فرصة ممكنة كي يتيحوا لأولادهم أن يبنوا ثقتهم بذاتهم (عن طريق امتداح ذكائهم، ولياقتهم البدنية، وحسهم الفني، ومواهبهم، وحسن الهيئة)، كذلك ينظمون حفلات أعياد ميلادهم بدقة كما لو كانت حفلات لأمراء وأميرات، وحتى حين يصبح الأولاد مدللين؛ يواصل الآباء والأمهات مع ذلك شراء المزيد من الهدايا لهم وتلبية طلباتهم جميعها.

يهدف هؤلاء الآباء والأمهات من هذا ألا يُشعر أولادهم بالحرمان من أي شيء، ولكن -للأسف- سلوكهم هذا هو الذي يؤدي إلى حصول فواجع لأولادهم، إذ يكمن الحرمان الحقيقي للأولاد في عدم توقع الآباء والأمهات مغادرة أولادهم البيت، أو الاعتماد على أنفسهم، وتجنبهم للتجارب التي تدربهم على الاستقلال عن الآخرين في حياتهم، ولا سيما والديهم.



ويربي الكثير من الآباء والأمهات في الولايات المتحدة أولادهم في العصر الحاضر تربية مختلفة تماماً عن السابق. لقد كان الأولاد في الماضي يختلطون فقط مع نظائرهم من الأولاد، ويختلط الآباء والأمهات مع أقرانهم من الآباء والأمهات الآخرين، وكانت بعض الأمهات يقلن لأولادهن: «لا تزعجني إلا إذا تعرضت لنزيف»، كما كانت الرياضة تمارس كل يوم بعد المدرسة، بدلاً من إجازة نهاية الأسبوع فقط، ولم يكن الآباء والأمهات يشاركون دائماً في مشاهدة ألعاب أولادهم، وعادةً ما كانوا يتركون تدريس أولادهم للمعلمين. والأهم من هذا كله، لم يكن الآباء والأمهات يفكرون كثيراً في ما إذا كان أولادهم سعداء؛ بل كان يتمحور قلقهم حول سعادتهم هم.

هل نقصد الاعتماد؟ أو الاعتماد المتبادل؟

لا يعني تعليم الاستقلالية للأولاد وتدريبهم عليها أن تكون العلاقة بينهم وبين آبائهم مقطوعة تماماً، فيفضّل أن تكون الاستقلالية اعتماداً على الذات بقدر ما هي اعتماد متبادل على الآخرين يسود بين أفراد العائلة جميعها في مختلف المراحل العمرية.

عندما كان آباء وأمهات اليوم صغاراً في الولايات المتحدة الأمريكية؛ كانت الأسر أكبر والمنازل أصغر والخدمات محدودة، كما كان الكثير من الأولاد يعملون بدوام جزئي أثناء دراستهم الثانوية والجامعية للإنفاق على أنفسهم ودراستهم، وكانوا يحصلون على سيارة عندما يتمكنون من دفع ثمنها من راتبهم فقط. وكانت الفكرة السائدة عند الآباء والأولاد أنهم عندما يصبحون؛ أي الأولاد شباباً راشدين، ويتخرجون من المرحلة الثانوية أو الجامعة ويجدون عملاً، وقتها يصبحون مكتفين ذاتياً من الناحية المالية؛ الأمر الذي أدى إلى نشوء جيل مُستقلٍّ فعلياً.

ويتركز اهتمام الآباء والأمهات في وقتنا الحاضر على أن يسعد أولادهم ولكنهم ينسون غالباً تعليمهم وتدريبهم كيف يكونون سعداء، كذلك لا يركز الآباء والأمهات تركيزاً كافياً على أن يصبح أولادهم كرماء لطيفين يهتمون بالآخرين وليس فقط بأنفسهم، فالأولاد الذين يتلقون الكثير من العطايا من والديهم؛ يشعرون عامة بالقليل من التعاطف مع الآخرين والكثير من الاهتمام بأنفسهم، كما أن الأطفال المدللين عادةً ما يكونون زملاء سيئين لأقرانهم في السكن وأزواجاً أسوأ. وحين يكبر هؤلاء؛ فلا ينتهي عمل الوالدين معهم، بل تكثر طلباتهم ورغباتهم، ولا يستطيع الآباء والأمهات أن يقولوا لهم «لا»، وربما يقولونها دون التزام، لأنهم يريدون السعادة لأبنائهم بأي وسيلة كانت، ويرى هؤلاء الآباء والأمهات أيضاً أن منح أولادهم المزيد يجعلهم أكثر سعادة؛ الأمر الذي يؤدي إلى نشوء أطفال بالغين لا يتحملون المسؤولية، ويعتمدون على غيرهم. أما الآباء والأمهات فيملؤهم الشعور بالامتعاض ويبدو عليهم التعب والإرهاق، ولا يملكون أدنى فكرة عما يتعين فعله حيال هذا الواقع المؤلم.

وليست هذه الظاهرة مقصورة على الأسر الغنية فقط، بل هناك أولاد أمريكيون من عائلات الطبقات الاقتصادية كافةً ممن يعتبرون آباءهم وأمهاتهم مصرفاً يزوّدهم بالمال دائماً. ونرى الكثير من الآباء والأمهات يدخرون المال ويعيشون بتواضع وتقشف كي يقدموا أموالهم لأبنائهم وبناتهم على طبق من ذهب، فيتعلم الأولاد الإسراف والتبذير والاعتماد التام على والديهم.

وعندما يصبح إنجاز الأولاد مهماً جداً يضطر آباؤهم وأمهاتهم التدخل باستمرار في شؤونهم، فتغدو الحدود الضرورية بين «الأنا» و «الآخر» مبهمة، وتتقلص قدرة الأولاد على التعلم. فمساعدة الوالدين تكون وفق حدود ضرورية ومهمة، لكن من الخطأ –

حتى عند مرض الأولاد جسدياً أو عقلياً- أن يبالغا في مساعدتهم، وأن يعاملاهم، بعد أن أصبحوا بالغين، معاملة الأطفال. وقد يبالغ بعض الأحيان في توجيه الأولاد وإرشادهم؛ فيعانون بعد ذلك باستمرار من القدرة على اتخاذ القرارات، ابتداء من «ماذا أرتدي؟» وانتهاءً ب «هل أقبل بهذه الوظيفة؟»، أو «هل أتزوج هذا الشخص؟» فيصبح الشباب الذين دللهم والديهم كثيراً، يشعرون بالاستياء من دور والداهم وتدخلهم في حياتهم حتى وهم في أشد الحاجة لمساعدتهم.

حالة الأطفال الباكين

وفقاً لعالم النفس جيفري سيمبسون (Jeffry Simpson): «إذا كنت مفتقداً للأمان في عمر الواحدة فإنك أكثر عرضة للمشاعر السلبية في علاقتك مع شريكك في عمر الواحد والعشرين. (The Washington Post, 2007) راقب سيمبسون وزملاؤه ٧٨ شخصاً خلال ربع قرن من الزمان واثبتت أبحاثهم أن الطفل الذي يشعر بالأمان يلجأ الى والديه عندما يشعر بالغضب، وبذلك يتعلم أن بإمكانه الاعتماد على والديه لتهدئته ويتعلم التفاعل مع الآخرين، بينما الطفل الذي يفتقد الأمان يصبح رافضاً للآخرين ويدرك أن والديه يهملونه وأن عليه الاحتجاج لجذب الانتباه، فإذا شعر الأطفال بعدم الأمان في عمر الواحدة فسيصبحون ضعفاء وغير معتمدين على أنفسهم في حياتهم المستقبلية.

ويرسخ عند الولد المطمئن فكرة أنه: «يمكنني الاعتماد على والديّ لتهدئتي»، ويتعلم معها اللجوء للآخرين، في حين يرسخ عند الطفل المضطرب فكرة أن: «والدي يرفضني» أو «والدي مهمل» أو«سألجأ للاحتجاج لأحصل على الاهتمام». وإذا كان الطفل يشعر بعدم الأمان وهو في السنة الأولى من عمره؛ فقد يؤثر ذلك عليه عندما يكبر، على حين يشعر الأطفال الذين يحصلون على العناية الكافية بالأمان والطمأنينة؛ الأمر الذي يمكنهم من الاستقلالية،

ملاحظة شخصية

متى تعض اليد التي تطعمك؟ إذا كانت تمنعك من إطعام نفسك بنفسك!

كيف تختار بعض الأمهات القيام بـ «المهمة المستحيلة»!

عندما يحرصن على حماية أولادهن الأحباء على قلوبهن، من كل ما قد يضرهم أو يزعجهم!

هذه ولا شك مهمة محالة.

ويصبح الأطفال الذين يعانون من الهجر والإهمال مفتقدين الأمان، وبذلك تقل قدرتهم على الاستقلال.

الأطفال الذين يبكون ويلجأون لأمهاتهم للحصول على الدعم يحسن أن يحصلوا عليه، فعندما يشعرون بالارتياح، سيستطيعون أن استئناف استكشافاتهم للعالم حولهم، كمثل الزوجين الرومانسيين، إنه من الأسهل على الناس تحمل المجازفات ومجابهة التحديات عندما يعتقدون أن شخصاً ما سيوفر لهم المساعدة والراحة إذا ما صعبت الأمور، فكلما زاد شعور الفرد بالأمان أصبح أكثر إقبالاً على الآخرين طلباً للدعم والمساندة.

إن الأشخاص الواثقين بأنفسهم لا يتحرجون من طلب مساعدة الآخرين – أو تقديم المساعدة لهم- وبذلك يصبحون مؤهلين حقاً للاعتماد المتبادل مع الآخرين.

إنجازات محددة لكل عمر

يعد الأطفال أنفسهم قادرين ومستقلين إذا عوّدهم آباؤهم وأمهاتهم على أن يكونوا أكفياء ومستقلين، ويتعلم الأولاد الاستقلالية عندما يمدهم آباؤهم وأمهاتهم بالحب والدعم، ويشجعونهم على الاستكشاف وحب الاستطلاع، ويدربونهم على

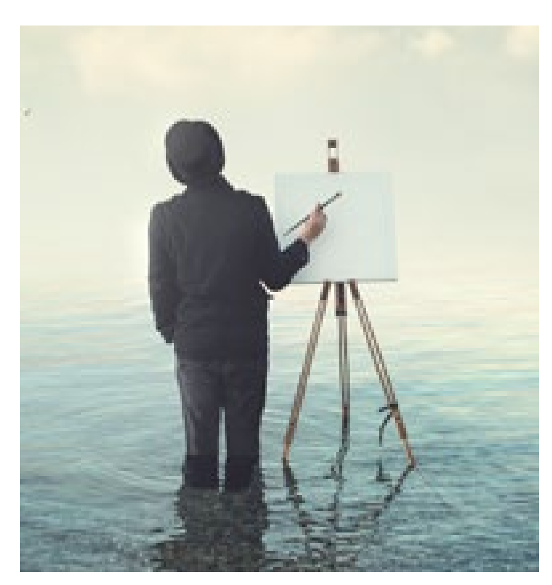
المهارات المختلفة ويسمحون لهم بحرية الاختيار وأحقية الإنجاز، فحماس الوالدين للاستكشاف عند أولادهم يوصل رسالة قوية لهم بأن والديهم يقدّران أهمية أفعالهم، والأهم قبل ذلك كله أن يُعوَّد الطفل أن تكون له رسالة وهدف يسعى لإنجازه مستقى ابتداءً من رسالة الأسرة وأهدافها، كما يُعَان على أن تكون له أهداف أخرى جزئية تناسب مرحلته العمرية وإدراكاته الفكرية، والتربية الوالدية الناضجة هي الحاضرة في ذاك التعود والإعانة والتوجيه المشار إليه.



أستطيع فعل ذلك وحدي

تقود عناية الفرد بنفسه إلى الاستقلالية، وتعدّ جهود الأطفال الصغار التي يبذلونها في رفع رؤوسهم أو في التدحرج أو للجلوس خطى مهمة نحو الاستقلالية، كما يساعد الحب والمودة والرعاية التي يتلقاها الطفل من والديه لوصوله إلى الاستقلالية.

فالبيئة الآمنة هي المطلب السامي عندما يبدأ الطفل بالمشي، حيث إن الأطفال المحبين للاستطلاع لا يدركون ما يهدد سلامتهم مما يحيط بهم ويشجعهم على الاستقلالية، فإتاحة والديهم لهم الاختيار في الأمور الصغيرة يشعرهم بنوع من التحكم بحياتهم. ومن أمثلة الاختيارات: اختيار القصة التي يحبون أن تقرأ لهم، والبرنامج الذي يريدون مشاهدته، والقميص الذين يفضلون ارتداءه، فالأطفال قبل المدرسة قادرون على التعبير عن الكثير من الأفكار والمشاعر والاحتياجات، وعلى اتخاذ خطوات أكبر نحو الاستقلالية.



وعندما يصل الأطفال إلى سن دخول المدرسة، يعطون العديد من الفرص للتدرب على الاستقلالية، مثل قراراتهم حول الأصدقاء، والمشروعات المدرسية واللعب، وكل ذلك هو جزء من اختياراتهم أثناء حياتهم اليومية. ويمكن تدريب الأولاد الأكبر سناً على مهارة التصرف المالي بتحميلهم مسؤولية مالية (على سبيل المثال: إعطاء الولد مصروفاً أسبوعياً، أو الاطلاع على بعض حسابات الأسرة)، ويتعين على الآباء والأمهات احترام خيارات أولادهم ما أمكن، فعند إظهار حماسهم وتقدير إنجازاتهم الصغيرة والكثيرة سيعينهم على التحكم بعالمهم ومن ثم إعدادهم؛ الأمر الذي يعدّهم لحياة مستقلة وصحية.

دعِ الصغار يختارون طريقتهم بأنفسهم

يرغب الأطفال بتجربة الأشياء بأنفسهم، وقد تجد صعوبة في مواكبة تقلبات أولادك عندما يتحولون فجأة من إلحاحهم: «دعني أقوم بذلك بنفسي»، إلى اللصاق الشديد بك بعد دقيقة واحدة والخشية من تركك. ونقدم في ما يأتي بعض النصائح في التعامل مع أطفالك:

> «... افعل كل ما تستطيع لتنمية شعور الأمان عند أولادك وذلك بإغداق المحبة والاهتمام بهم ...»

- التحدي والعصيان ورفض الامتثال لطلبات الكبار عناصر ضرورية لرغبة الأطفال بالاستقلالية.
- الإلهاء وسيلة مفيدة، خاصة عندما يرفض الصغار الأوامر، كما أن عرض خيارات بديلة عليهم تشعرهم بالتحكم في الأمور.
- تَجنّب الأوامر والإنذارات لأنها تثير الصراعات على السلطة والنزاعات التي لا تنتهي عند معظم الصغار. فالتعليم بالتوجيه هو أكثر فعالية. ويبدو أن الصغار يكرهون أي شكل من أشكال تحكم الكبار، فيفضلون ارتداء الملابس والأكل وحدهم دون مساعدة الأبوين، ويعد هذا السلوك الثائر طبيعيا تماماً على الرغم من انزعاج الأبوين منه.

قلق الانفصال عند الأطفال

الآباء والأمهات هم أكثر الأشخاص أهمية لأطفالهم، مما يجعل خوف الأطفال من الغرباء ومن الانفصال عن العائلة أمراً طبيعياً، فبعد أن يقضي الطفل عاماً أو اثنين متعلقاً بوالديه، فيكون من المعقول عنده عدم السماح لهم بالغياب عن ناظريه، ولا شك أن الانفصال صعب للآباء والأمهات وكذلك للأطفال. ونذكر في ما يأتي بعض الإرشادات في التعامل مع الانفصال:

- ينبغي ألا يستمر الانفصال طويلاً وأن يحدث فقط عند الضرورة الملحة التي تستدعي ترك الصغير والانفصال عنه، لا سيما في المرات الأولى، كما يحسن أن يتاح الوقت الكافي للطفل ليتعرف مسبقاً إلى الشخص الجديد الذي سيرعاه بغياب والده أو والدته، ويمهد لذلك مسبقاً.



- من المهم طمأنة الطفل، فحتى الانفصال القصير مثل: الذهاب إلى الحضانة في الصباح، قد يكون شاقاً على نفس الطفل الحساس، مما يوجب على الآباء والأمهات تخصيص بعض الوقت للتحدث مع أطفالهم مسبقاً عن التغييرات التي ستحدث أثناء غيابهم، ويحسن أن يحرصوا كل الحرص على طمأنة الأطفال والتأكيد لهم أنهم سيعودون، كذلك يتعين إعطاء الأطفال الوقت الكافي لتهيئتهم للغياب المتوقع قبل انتقال مسؤوليتهم إلى الشخص الذي سيرعاهم.
- يجب على الوالدين عدم مغادرة المنزل دون إشعار طفلهما بذلك، وقد يكون الوداع مزعجاً أحياناً، إلا أنه أقل قلقاً من اختفاء الوالدين فجأة، ومن المهم أن تُظهر الوالدة (أو الوالد) أمام الطفل شعوراً بالارتياح لأن إظهار التوتر يسبب الشعور بالقلق، ومن المهم أيضاً أن تتجنب تمديد المدة التي حددتها لطفلها.

المراهقون والواقع

يمكن أن نُعرّف مرحلة المراهقة بأنها مرحلة انتقالية من الطفولة إلى النضج بكل أبعادها الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية، وهو مأخوذ من الجذر الثلاثي للكلمة في اللغة العربية «راهق» إذا دنا واقترب. فمرحلة المراهقة مختلفة عن المراحل السابقة من حيث إنه يتعين العناية بالأطفال عناية تشمل الرعاية والوقاية والسلطة، لأن تجربتهم ومعرفتهم في الحياة يسيرة جداً. فضلاً عن توفير الحماية الدائمة لهم نظراً لصغر حجمهم. وفي بعض الأحيان لا يتحتم على الوالدين دائماً تفسير سبب تصرفهما لصغارهما، بل يكتفيان أحياناً بالطلب منهم أن يفعلوا ما يقولان لهم دون ذكر الأسباب التفصيلية؛ لأن الأطفال لا يدركون القضايا المعقدة.

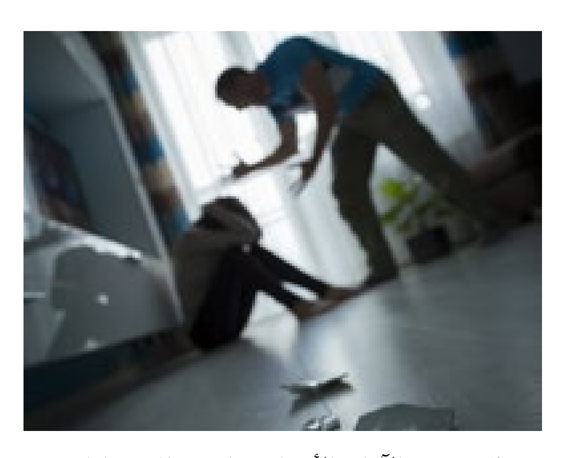
بينما يختلف الأمر مع المراهقين، فبدلاً من قيام الوالدين بدور «القائد الآمِر» يتعين الآن أن يكونا «مفاوضين» ماهرين يصلان إلى تسويات مُرضية للطرفين. ويتعين أن يتعلم المراهقون العيش معتمدين

على أنفسهم لأنهم لا بد سيغادرون المنزل يوماً ما (للدراسة أو الزواج أو العمل...)، حيث سيضطرون إلى العيش دون مساعدة الأم أو الأب، ولمنفعة الجميع فإن على الآباء والأمهات عدم المبالغة في التعلق بأطفالهم الذين يحبونهم، وعادةً ما يصبح هؤلاء مدللين بسبب هذا الحب الشديد. كما يتعين على الآباء والأمهات أن يتغيروا تدريجياً من متشددين صلبين إلى متسامحين ومستعدين لنقل سلطتهم الكاملة في النهاية إلى أولادهم، حيث لم يعد أولادهم صغاراً، ويتعين على المراهقين أن يتعلموا كيف يقللون من اعتمادهم على آبائهم وأمهاتهم.

يصبح المراهقون كسالى عندما تختار الأم لنفسها أن تكون بمثابة خادمة للأسرة، فلا يعتمد الأولاد بهذا على أنفسهم في عمل أي شيء، ولكنهم يكبرون متوقعين أن يكون هناك دائماً شخص ما ينتظرهم ليخدمهم ويؤدي كل المهام المنزلية.

هناك بعض الآباء والأمهات العدوانيين من عاشقي السيطرة في كل موقف، وغالباً ما يتصارعون مع أولادهم الشباب الذين يتدربون على الاستقلالية، فمن واجب الوالدين مساعدة أولادهم المراهقين على التحكم والتصرف بحياتهم الخاصة، وسوف يأتي اليوم الذي يفقد فيه الوالدان بعض السيطرة، ويجمل بالآباء والأمهات أن يتعلموا السماح لأولادهم بحرية الاختلاف معهم، وأن يدركوا أنهم لا يستطيعون السيطرة على عقول أولادهم المراهقين، بل يمكن أن يشجعوهم على التفكير بالبدائل المختلفة، مع تجنب إجبارهم عليها. وإذا عانى الوالدان من الصدمة فعليهما التغلب عليها، وإذا شعرا بخيبة أمل وإحباط لهما، فينبغي أن يتعلما كيف يتعايشان معها، فردود الفعل هذه هي مشكلة الوالدين، وليست مشكلة الأولاد.

ومن ناحية أخرى، يواجه المراهقون أخطاراً متزايدة يوماً بعد يوم، منها: المخدرات، والخمور، والعنف، وقد أصبح خطرها أكثر شراسة من أي وقت مضى، وإن مبدأ «تعلم من أخطائك» في أيامنا هذه قد أصبح يكلف ثمناً باهظاً جداً لمن يخطئ.



يطلق بعض الآباء والأمهات تعابير مثل: «ماذا حدث لك يا ولدي؟» و«لماذا لا تنضج؟» ويعدّ سن المراهقة هذا الفرصة المناسبة التي يعيد فيها الآباء والأبناء تحديد علاقتهما للوصول إلى مرحلة أكثر تطوراً. إنها المرحلة التي يحسن أن يقدم فيها البالغون التوجيه والتطمين لأولادهم المراهقين الذين لا بد أنهم سيقدّرون ويتذكرون ذلك الفضل ولو بعد حين.

ويدرك معظم الآباء والأمهات أن عليهم تقليل التعليق الزائد على أفعال أولادهم في الوقت نفسه الذي تزداد شدة عواقب تصرفات أولادهم.

يسيطر بعض الآباء على إدارة بناتهن في كل صغيرة وكبيرة ويحبون أن يحموهن من كل عارض، مما يجعل انخراطهن في الحياة عندما يكبرن أمراً صعباً وشاقاً، فقد تعودن في ما سبق، ولمدة طويلة، على الاعتماد على آبائهن وأمهاتهن في كل شيء نتيجة لفرط اهتمامهم بهن، وهكذا لا تتدرب بناتهن على اتخاذ القرارات، ولا يستطعن حتى تصريف شؤون حياتهن الروتينية، مثل: تجديد رخصة القيادة، أو ملء طلب تأمين السيارة، أو فتح حساب مصرفي، أو الذهاب إلى التسوق، فيجمل بالآباء والأمهات أخذ الحيطة في هذا الجانب بمنح بناتهم نوعاً من الاستقلالية والاعتماد على الذات شيئاً فشيئاً منذ الصغر، وذلك بإتاحة المجال لهن للاشتراك في النشاطات الموصلة إلى هذا الهدف، أحد تعريفات الاستقلالية: الاستقلالية هي عدد الاختيارات أو البدائل التي يوفرها الوالدان لولدهما.

يتعين على الآباء والأمهات أن يتقبلوا حقيقة أن أولادهم سيرغبون في فصلهم من وظيفتهم الحالية «كمديرين» عليهم، وسيحاولون إعادة توظيفهم بوظيفة «مستشارين» يقدمون التوجيه والنصح. إنهم سيواصلون التأثير على أولادهم، لكن سيتعلمون، في الوقت نفسه، التخلي شيئاً فشيئاً عن السيطرة والتحكم. وإذا تشبث الآباء والأمهات بالسيطرة على أولادهم في كل صغيرة وكبيرة فسوف يواجهون بلا ريب نزاعات لا نهاية لها.

يطالب المراهقون والديهم أن يتركوهم وشأنهم، ويعترف المراهقون السابقون مع تقدمهم بالسن أن معظمهم كانوا يحتاجون لإدراكهم أن والديهم يشعران بالاهتمام والعناية بهم، فعلى سبيل المثال، روى أحد الشباب أنه نشأ في منطقة فيها عصابات كثيرة، وحذره والداه من الانضمام إلى أي عصابة: «كنت أعرف أن والديّ يهتمان بي، لذلك لم أكن بحاجة إلى ما توفره لي العصابات، فقد علمني والداي وربياني على الاستقلالية في التفكير وتجنب اتباع الآخرين دون تفكير.»

الثقة في الأولاد + توجيه وهدي الوالدين ← الاعتماد على الذات والمسؤولية

تأثير أنماط التربية الوالدية المختلفة: السلطة المسؤولة مقابل السلطة بالقوة

تُعَرَّف السلطة المسؤولة أنها التربية التي تعزز الاعتماد على الذات وتشجعها، في حين تُعَرَّف السلطة بالقوة أنها التربية التي تعزز وتشجع الاعتماد على الآخرين. فالكثير من البالغين يعانون من صعوبة اتخاذ القرارات من وقت لآخر؛ إلا أنها عند بعض البالغين مشكلة مستعصية تسبب الفوضى في حياتهم يومياً، وتشكل قرارات مثل اختيار مطعم للعشاء أو شراء الملابس أو اختيار المساق الدراسي المناسب حدثاً صعباً لهم، ويرى بعض هؤلاء أن من الأفضل لهم دائماً تأجيل قراراتهم بانتظار الآخرين كي يقرروا عنهم.

وينشأ نوعان من الخوف عند من تربوا تحت السلطة بالقوة أو القهر والنفوذ. **الخوف الأول** هو الخوف من الإخفاق، فالبالغون الذين يعانون من «رهبة اتخاذ القرار» هم الذين عاشوا طفولة خالية من التدرب على اتخاذ القرارات، فهناك شخص باستمرار (الوالد أو الوالدة) يتخذ القرارات نيابةً عنهم. فقد كان هناك دائماً شخص مستعد لحمايتهم من أي احتمالية للإخفاق في القرارات. ويقول هؤلاء الأولاد: «لماذا نخاطر بالفشل إذا كان هناك من يتصرف عنا؟» وهكذا ينشأ هؤلاء الأولاد أقل قدرة على التفكير، وأكثر تجنباً لاتخاذ القرارات. وهم لا يدركون، وهم محميون من الفشل، متعة ما حرموا منه من الفرحة التي تصاحب اتخاذ قرارات ناجحة.

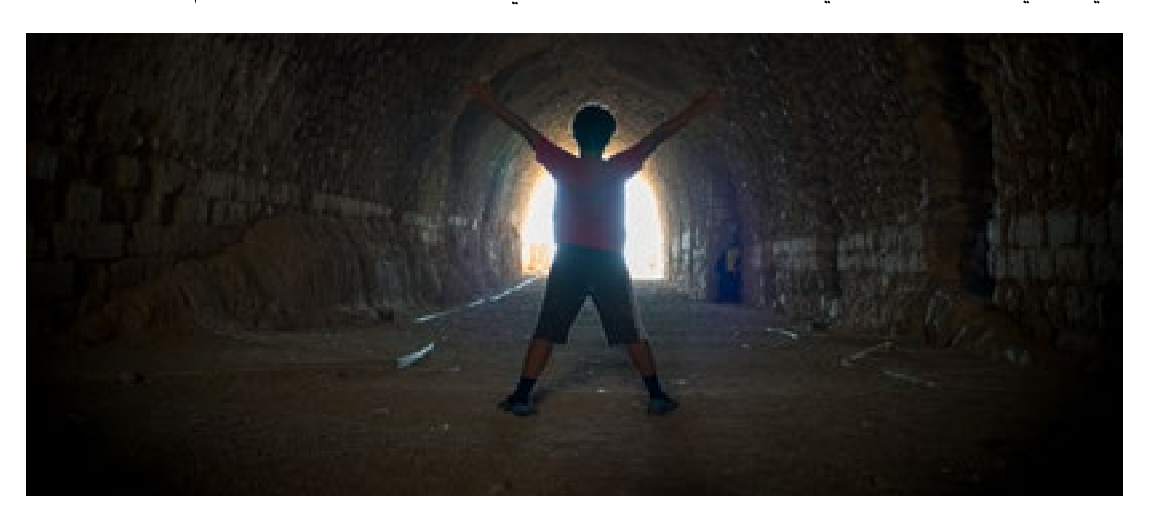
أما **الخوف الثاني** فهو الخوف من الرفض، فالأولاد الذين يربون على التبعية بالقهر، يكبرون وهم بحاجة دائمة إلى موافقة أمهم وأبيهم، وإلى قراراتهما، ومع أن ذلك يكون في السنوات الأولى من حياة الأولاد، إلا أنه في النهاية سيضعف ثقتهم بأنفسهم. فينقلون شعورهم بالحاجة إلى موافقة أمهم وأبيهم إلى أشخاص آخرين في حياتهم يطلبون موافقتهم حيناً، أو يقررون عنهم في أحيان أخرى، ولسان حالهم يقول: «ما دام اتخاذ قرار خطأ يؤدي إلى عدم الرضا والرفض، فالأفضل لي أن أبقى سلبياً وتابعاً».

في المقابل، يعلّم الآباء والأمهات ذوو التربية القائمة على السلطة المسؤولة أولادهم على التعامل مع الإخفاق والرفض بشجاعة، وفي الوقت نفسه يعينونهم على الإقدام على مخاطر مدروسة ومحسوبة تعد ضرورية لاتخاذ القرار الصائب. ويوفر الوالدان الفرصة للتعلم ثم النجاح بإتاحة الفرصة للفشل أيضاً في الواقع. وإن القول: «أرني نجاحاً وسأريك فشلاً» يعني أن العديد من النجاحات تأتي كنتيجة لمحاولات فاشلة سابقة. ولسوف يتعلم الأولاد تجارب كثيرة وخبرات من تلك الإخفاقات، وذلك بتقويم الأخطاء التي حدثت وتجنبها في المرات القادمة، ثم إعادة المحاولة مرة أخرى، وتصبح الأخطاء فرصة وخبرة

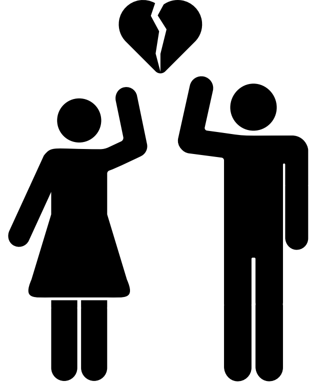
جديدة للتعلم. من الأسلم في التربية الوالدية أن تضع الإرشادات والتوجيهات، لكن لا تخلط المرونة بالتناقضات. ولأن التجانس يعزز السلامة، والقدرة على التنبؤ، وفهم مبدأ السبب والنتيجة، فهو سمة من السمات المهمة لتلك التربية المنشودة، فأساس التربية الوالدية السليمة هو أن تكون مستعداً وقادراً على أن تكون مرناً، وفي الوقت نفسه غير متناقض. والمرونة المتجانسة في التربية الوالدية مع السلطة المسؤولة، تشير إلى العدالة والاستعداد لإعادة تقويم القرارات استناداً لما يستجد من معلومات، أما الصلابة من ناحية أخرى؛ فهي رفض التغيير حتى عند حصول المستجدات. والرسالة التي تصل للأولاد من التربية تحت القوة والنفوذ هي: «لأنني أقول ذلك»، أو «لأنني والدك»، أو «فقط افعل ما أقوله» دون أي منطق أو تسويغ. ويمكن أن يصل الأولاد في النهاية إلى مستوى من الإحباط يثورون على جمود مبادئ والديهم وإملاءاتهم التوجيهية فيبدأون بالقيام بأمور مفادها: «سأتصرف بطريقتي ولنفسي» ولكن دون التفكير «بالسبب والنتيجة»، ولأنهم لم يتدربوا على كيفية تجاوز الإخفاق والرفض؛ فإن تمردهم سيقودهم إلى اقتراف المزيد من الأخطاء، والنتيجة هي الإصابة بالإحباط غالباً، والهزيمة النفسية، وضعف الثقة بالنفس. ونستطيع أن نرى مظاهر ذلك في المجتمع اليوم، متمثلة في المراهقين الجانحين والمدمرين.

إن المراهقين الذين يتحلون بالمسؤولية الحقيقية الكافية، والاستقلالية في حياتهم، أقل عرضة لمخاطر الحياة من غيرهم.

والنتيجة الأخرى المؤسفة للتربية تحت القوة والإكراه هي أن بعض الأولاد تكون ردة فعلهم مخالفة للطرائق



التي وصفت أعلاه، فيشبّون ضعفاء الشخصية بحيث يسمحون لشخص آخر بالسيطرة عليهم، ويظهر هذا في الزواج الذي يميل فيه أحد الزوجين إلى السيطرة والهيمنة، فيبحث عن شريك من النوع الذي يمكن أن يسمح لغيره بالتحكم به والهيمنة على شخصيته، فيشكل هذا الالتقاء علاقة بائسة وتعيسة تنتهي في كثير من الأحيان إلى معاناة وألم وحزن.



المهارات اللازمة لبناء الاعتماد على النفس

تمثل مشكلات مثل العصابات والمخدرات والكحول خطراً كبيراً وتأثيراً طويل المدى على الأبناء سيما في مرحلة المراهقة، وتدفع هذه الأخطار الآباء ليكونوا متسلطين بدلاً من استشاريين، فمناقشة هذه الأخطار مع الأبناء وبث الثقة فيهم أمرٌ مهمٌ للغاية.

تقول ليز التي تبلغ من العمر ٢٠ سنة في ولاية كاليفورنيا، إنها تقدر والديها اللذين تعاملا بانفتاح وصراحة لمناقشتها حول الجنس أو المخدرات، لقد أدرك والداها أن الأولاد في زمننا هذا يواجهون تحديات لم تكن موجودة في زمانهما، ولكنهما أيضاً أوصلا لها رسالة ونصيحة قوية بالابتعاد عن ممارسة الجنس وتعاطي المخدرات، وتشير ليز إلى أن زميلاتها اللاتي امتنع آباؤهم عن مناقشة المخدرات أو شرب الخمر، هن اللاتي كن يشربن دائماً دون علم والديهن. فتشجيع الأولاد على ممارسة «صنع القرار» هو أكثر حكمة من اتخاذ الوالدين القرارات جميعها عنهم، بغض النظر عن مدى المعرفة التي يملكها الأب أو الأم والتي تفوق عادةً ما يملكه أولادهما، فالمراهقون الذين يتمتعون بما يكفي من الاستقلالية والاعتماد على الذات أقل إقداماً على الأمور المحفوفة بالمخاطر.

عندما يعتمد الأولاد على الآخرين والتبعية لهم، فإنهم يشعرون بالعجز والاستياء والغضب مما يشكّل معضلة للآباء والأمهات، ولا شك أن الأولاد يعتمدون علينا بسبب قلة الخبرة، ولدينا الكثير كي نفعله ونقوله ونبينه لهم، فهناك فرصٌ لتشجيع الاعتماد على الذات للأولاد تظهر كل يوم. ونقدم هنا بعض المهارات التي يمكن أن تساعد الأولاد على الاعتماد على أنفسهم. (Faber and Mazlish, 2012)

- كلما استمع الآباء والأمهات إلى أولادهم، أو شاركوهم مشاعرهم، أو دعوهم إلى حل مشكلة معاً، فإنهم بذلك يشجعونهم على الاعتماد على الذات.

قالت إحدى الأمهات: «ما أزال أسمع جدتي تتكلم بإعجاب عن إحدى الجارات: 'هي أروع أم، إذ تفعل كل شيء لطفلها!» وهكذا يظن كثير من الناس، أن الأمهات الرائعات هن اللاتي يفعلن كل شيء لأبنائهن، والأسوأ من ذلك أنهم لا يزالون يحملون الفكرة نفسها. إن الإفراط في السيطرة يؤدي إلى حدوث نزاع حول أمور تافهة، وتنافس للإرادات، والكثير من الإحباط.

- يتعين على الآباء والأمهات التحول تدريجياً لتدريب الأولاد على تحمل المسؤوليات التي هي من حقوقهم وتخصهم، وكلما شعر الآباء والأمهات أنهم بدأوا يشاركون أولادهم مسؤولياتهم، عندئذ يحتاجون إلى أن يسألوا أنفسهم الأسئلة الآتية الكفيلة بأن تذكرهم بتدريب الأولاد على المسؤولية: «هل لدي أي خيار هنا؟ هل أتولى زمام الأمور؟ هل أستطيع أن أُوكل المسؤولية للأولاد في هذا الأمر؟»
- ومن العادات الجيدة أن يتساءل الآباء باستمرار:

✓ ماذا أقول؟ أو هل هذا سيجعل أبنائي معتمدين علي؟ إذا كان الجواب نعم، إذاً لا بد أن أتحاشى قول أو فعل هذه الأشياء!

✓ أو ماذا علي أن أقول أو أفعل لأنمّي من استقلالية أبنائي؟ إذاً علي قول وفعل هذه الأشياء.

ومن أبرز المهارات اللازمة لبناء الاعتماد على النفس عند الأبناء الآتي:

> محاولة حماية الأولاد من خيبة الأمل والإحباط يحجب عنهم في الوقت نفسه الأمل والمثابرة والحلم والإنجاز.

قصة حقيقية لا تصدق!

روت إحدى الأمهات هذه القصة: أشعر برضىً كبير كلما يحتاجني أبنائي الثلاثة بالكامل. ويوماً ما شعرت بمشاعر متداخلة حين اكتشفت أن ساعة المنبه يمكن أن تضبط إيقاظهم بفعالية أكثر مني؛ وتخليت عن قراءة القصص لهم قبل النوم عندما تعلم أولادي القراءة لأنفسهم، وشعرت حينها بمشاعر مختلطة متداخلة حول ازدياد شعورهم بالاستقلالية، وتذكرت قصة سمعتها من المدرّسة في الحضانة حين كانت تحاول إقناع أم شابة أن ابنها سيكون على ما يرام إذا تركته وحده ولم تجلس معه في الصف، وبعد خمس دقائق من مغادرة الأم، احتاج الطفل للذهاب إلى الحمام، وعندما حثته المعلمة على الذهاب، قال متمتماً بتجهم: «لا أستطيع لأن أمي ليست هنا، فهي دائما تصفق لي عندما أنتهي» قالت المعلمة: «اذهب إلى الحمام، وبعد أن تنتهي صفق لنفسك» فبدت الحيرة على الطفل، ولكن قادته المعلمة إلى الحمام وانتظرت خارجه. وبعد بضع دقائق سمعت صوت تصفيق، اتصلت الأم في وقت لاحق من ذلك اليوم بالمعلمة لتقول لها إن طفلها في اللحظة التي وصل فيها إلى البيت قال لها: «أمي، أستطيع التصفيق لنفسي الآن، ولست بحاجة لك لترافقيني إلى الحمام بعد الآن!»

لقد تعجبت المعلمة حين قالت لها الأم: «لقد شعرت بالاكتئاب والإحباط مما حدث مع ولدي!»

وفّر البدائل للأولاد

اسأل الولد إذا كان يريد نصف كوب من الحليب أو كوباً كاملاً؟ أو بيضة مقلية أومسلوقة؟ إذ يمثل كل اختيار للولد، مهما كان صغيراً، فرصة أخرى لبسط سيطرته على حياته، وقد يستاء أو يصبح عنيداً إذا لم يعطَ الخيار ولأنه يسمع دائماً أوامر:

«تتناول دواءك الآن»، «أوقف الخبط على الطاولة»، «اذهب لفراشك حالاً».

بينما إذا أتحنا الفرصة للولد كي يختار، فغالباً ما يُسهم ذلك في الحد من غضبه.

«أدرك كم تكره هذا الدواء، فهل يخفف عليك مرارة طعمه أن تتناوله مع عصير التفاح أو عصير البرتقال؟»

«صوت التطبيل يزعجني. يمكنك وقف التطبيل وتبقى جالساً على الطاولة، أو التطبيل في غرفتك، قرر أنت.»

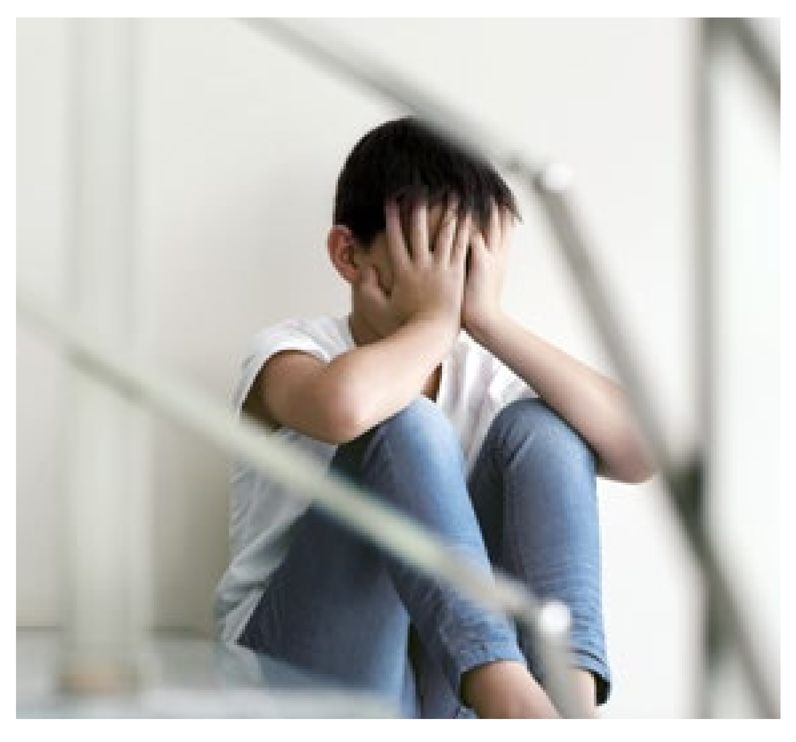
«جاء دور أمك وأبيك في الحديث وحان وقت ذهابك للفراش، فهل ترغب في النوم الآن، أم أنك تريد أن تلعب بعض الوقت وأنت في السرير وتنادينا عندما تكون مستعداً للنوم؟»

> الأشخاص الذين يصعب جداً إقناعهم بأنهم وصلوا إلى سن التقاعد هم الأطفال عندما يذهبون للنوم.
>
> (Brown, 1994)

لا يعد التخيير الإجباري تخييراً قط، بل يعتقد الولد أنها وسيلة أخرى للسيطرة عليه، وإن أحد البدائل هو دعوة الولد ليقترح خيارات مقبولة للجميع. قال أحد الآباء: «كنت وزوجتي على وشك عبور الشارع مع ابننا هاني، الذي يبلغ من العمر ثلاث سنوات، ومعنا طفلنا الصغير الثاني. وكان هاني يكره دائماً أن نمسك يده، ويعاند حتى نضطر تركها في بعض الأحيان في وسط الشارع، فسألته قبل أن نعبر: «يا هاني، يمكنك أن تمسك بيد أمك أو بيدي، أو ربما لديك فكرة أخرى لضمان سلامتك عند العبور، ففكر وقال: 'سأمسك العربة'. وكان اختياراً مقبولاً لدينا».

إظهار الاحترام عند معاناة الولد

عندما نقول للأولاد عند قيامهم بأمر ما بأن هذا الأمر «سهلٌ» كي ينفذونه دون تردد، فذلك لا يسهِّل عليهم الأمر؛ لأنهم إذا استطاعوا إنجاز الشيء السهل يشعرون أنهم لم يحققوا إنجازاً مهماً، وإذا اخفقوا فقد فشلوا بالقيام بشيء سهل، ولكن إذا قيل لهم بدلاً من ذلك: «يمكنك فعل ذلك، فربما كان سهلاً» أو «ربما كان صعباً» فذلك يوصل لهم رسالة مختلفة. فإذا نجحوا، فإنهم يفخرون بأنهم أنجزوا أمراً ذا قيمة، وإذا فشلوا، فيشعرون بالرضا لأن الأمر كان صعباً، قد يكون الأمر السهل صعباً للطفل لقلة خبرته، ولأول مرة يحاول إنجاز شيء لا يعلمه سابقاً.



ويجمل بنا كذلك تجنب قول: «لا بد أن ذلك صعب عليك». فقد يقول الولد في نفسه: «لماذا صعبٌ علي؟ لمَ لا يكون صعباً على الآخرين أيضاً؟» يصعب على بعض الآباء والأمهات الاكتفاء بالوقوف ومشاهدة معاناة ولدهم عند محاولته القيام بعمل ما دون تدخلهم المباشر، فبدلاً من القيام بالعمل عن الولد؛ من الأفضل إعطاء إرشادات مفيدة تعينه على القيام بالعمل مثل: «في بعض الأحيان من المفيد سحب سحاب السروال إلى أسفل قليلاً قبل أن تسحبه إلى أعلى» أو «في بعض الأحيان من المفيد أن تدير مفتاح القفل مرات عدة قبل محاولة فتح الباب مرة أخرى.» وإن عبارة «أحياناً مفيد» مؤثرة جداً هنا، لأنه إذا لم يفد، فإن الولد سيتفادى الإحساس بمشاعر الضعف والعجز.

لا تكن كالمحقق الذي يستجوب الأولاد

«أين ذهبت؟» ... «خارجاً»، «ماذا فعلت؟»... «لا شيء». يستخدم الأولاد أساليب دفاعية لتجاهل الأسئلة التي لا يكونون حينها مستعدين لها، أو ليس عندهم رغبة بالإجابة عنها، مثل عبارة: «لا أعرف» أو عبارة: «دعني وشأني». ولا يعني هذا أن على الآباء والأمهات تجنب الأسئلة للأولاد، لكن الأهم من هذا أن يكونوا واعين وحساسين تجاه تأثير أسئلتهم المتوقع على أولادهم.

لا تتعجل الإجابة عن الأسئلة

يسأل الأولاد، وهم يتقدمون في العمر، مجموعة متنوعة مذهلة ومحيرة من الأسئلة، مثل: «ما هو قوس قزح؟» و«لماذا لا يستطيع الطفل العودة من حيث أتى؟»، و«هل يتعين علي الذهاب إلى الجامعة؟». ويشعر الآباء والأمهات غالباً عند صدور مثل هذه الأسئلة من أولادهم أنه قد سلط الضوء عليهم، فيبحثون في عقولهم للحصول على إجابات فورية ومناسبة.

وعادةً ما يكون الأولاد قد سبق أن بحثوا في خيالهم عن الإجابة، ويكون كل ما يريدونه بالفعل سماع أفكار أخرى متنوعة، لذلك يتوافر عادةً وقت مناسب للكبار لإعطائهم الجواب «الصحيح» لاحقاً إذا بقي هذا السؤال يشغل ذهن الأولاد، وإلا فلا داعي للإجابة عنه. ولا يفيد إعطاء إجابات مباشرة للأولاد، إذ يبدو الأمر حينها كما لو أن الآباء والأمهات يفكرون بدلاً عن أولادهم. والأكثر فائدة للأولاد أن يعاد طرح سؤالهم نفسه عليهم؛ من أجل مزيد من التمحيص والتدقيق، كأن يقال لهم: «هل يحيرك هذا؟ ما رأيك أنت؟»

ويمكن للآباء والأمهات تكرار السؤال نفسه على الولد في ما لو سأل مثلاً: «لماذا لا يستطيع الناس فعل كل ما يريدون؟» أو اظهار التقدير للسائل بالقول: «سؤالك مهم، وقد حير الفلاسفة لقرون». وليس من المهم أن يتعجلوا الإجابة، لأن طريقة البحث عن الجواب هي أيضاً ذات قيمة في حد ذاتها.

كما يحرص الوالدان على تقديم معلومات صحيحة وليست مضللة بحجة أنه صغير، بل على العكس هو في مرحلة بناء المعرفة، فلا بد أن تكون معرفة يوثق بها، ولكن تدلى بطريقة تناسب المرحلة العمرية، وليس شرطاً أن تقدم المعرفة مرة واحدة إنما بتدرج يتماشى ويتوازى مع نمو الأبناء النفسي والاجتماعي والعقلي واللغوي، وهنا يظهر فن التربية الوالدية.

شجع الأولاد على الاستفادة من المصادر خارج المنزل

من إحدى الطرائق للتخفيف من اعتماد الأولاد على أسرهم هو أن نظهر لهم أن هناك مجتمعاً أكبر ينتظرهم خارج المنزل كي يكتشفوه ويسبروا موارده القيمة، وأن العالم ليس مكاناً غريباً عليهم، وسيجدون المساعدة عند الحاجة أثناء الانخراط بالمجتمع. كما أن الانخراط في المجتمع خارج المنزل، زيادة على أنه يوفر فوائد واضحة للأولاد، من شأنه أن يخفف عن الوالدين التحكم بكل شيء يخص أولادهم، والاحتكام إلى مختصين من المجتمع لإقناع أولادهم بالقيام بعمل ما. وعلى سبيل المثال، يمكن أن تقوم المرضة في المراكز الصحية بمناقشة عادات الأكل مع ولدهم الذي يعاني من زيادة الوزن وتقديم النصائح له، ويمكن أن يفسر بائع الأحذية لولدهما تأثير طول مدة لبسه للحذاء على قدميه، ويساعده موظف المكتبة في معاناته بكتابة بحثه، ويشرح له طبيب الأسنان ماذا يحدث للأسنان التي لا تنظف باستمرار، أو آثار تناول الكثير من الحلوى، أو استشارة عالم النفس بإدمان الطفل على ألعاب الحاسوب، هذه المصادر الخارجية من شأنها أن تغني عن مجلدات من المحاضرات من الأم أو الأب.

لا تسلب الأمل من تطلعاتهم

يكمن الكثير من متع الحياة للأولاد في الحلم، والتخيل، والتوقع، والتخطيط، سيما أن إحدى خصائص مرحلة الطفولة هو التفكير التخيلي، فهذا أمر طبيعي، إلا أن الوالدين اللذين يجهلان هذه الخصائص يحولانها إلى مشكلات سلوكية للأبناء ويتعاملان معها بالعلاج أو التخلص منها، وهو عكس المطلوب، فقد يحرم الوالدان جراء ذلك أبناءهم من القيام بالتجارب، وعندما يمنع الوالدان الأولاد من التجارب خوفاً من الفشل فإنهم سيحرمون أولادهم من تجارب ممتعة ومهمة ومفيدة.



نصائح للآباء والأمهات

اسمح لهم بالتحكم بجسمهم

يجدر بالآباء والأمهات التوقف عن رفع شعر المراهقين عن عيونهم باستمرار، وتعديل أكتافهم كي يمشوا باستقامة، وترتيب قمصانهم؛ لأن الأولاد يشعرون أن هذا السلوك المفرط انتهاك لخصوصياتهم الجسدية، ولا يفهم من ذلك عدم توجيه الإرشادات المناسبة لهم، ولكن القضية ليست بذات الإرشاد إنما بالكيفية التي يقدم بها، وهو الإرشاد المملوء بالحب والرعاية والتفهم والصداقة معاً.

لا تتكلم عن الأولاد في حضورهم مهما كانوا صغاراً

لو وضع الآباء والأمهات أنفسهم وهم يقفون بجانب أمهم وهي تحكي عنهم لإحدى صديقاتها الآتي: «لم يكن سعيداً في الصف الأول لصعوبة القراءة عنده، والآن هو أفضل»، أو«لا تكترثي، إنه خجول قليلاً». عندما يسمع الأولاد الحكم عليهم بهذه الطريقة، يشعرون بالحرج، ويرون أنهم يعاملون معاملة الأشياء والممتلكات الرخيصة، وهذا أمر لا ينكر تأثيره السلبي على نموهم النفسي.

اسمح للأولاد بالإجابة عن أنفسهم

كثيراً ما يُسأل أحد الوالدين مراراً وتكراراً في حضور الولد أسئلة مثل: «هل يحب المولود الجديد؟»، أو «لماذا لا يلعب بلعبته الجديدة؟» واحتراماً لاستقلالية الولد واعتماده على ذاته يجب أن يمتنع الوالدان عن التطوع بالجواب، بل عليهم إحالة السؤال للولد: «أمير يخبرك، فهو وحده الذي يعرف»، إضافة إلى ما سبق فإن هذا يزيد ذلك من الحصيلة اللغوية والقدرة التعبيرية لديهم عن احتياجاتهم وآرائهم ومشاعرهم.

أظهر تفهمك لجاهزية ولدك للقيام بأمر ما

يظهر عند الولد أحياناً رغبة قوية في فعل شيء، ولكنه لا يكون مستعداً له عاطفياً أو جسدياً، على سبيل المثال: تريد الطفلة أن تستخدم الحمام مثل «الفتاة الكبيرة»، لكنها لا تستطيع حتى الآن. ويريد الابن الذهاب للسباحة مثل أخيه، ولكنه يخاف من الماء، وتريد الصغيرة أن تتوقف عن مص إبهامها، ولكنها تشعر بالارتياح بفعل ذلك عندما تكون متعبة.ويجمل بالآباء والأمهات التعبير عن ثقتهم في صغارهم تعبيراً إيجابياً بدلاً من إجبارهم أو حثهم أو إحراجهم: «سيأتي يوم تستخدمين فيه الحمام تماماً مثل أمك أو أبيك»، و«لست قلقاً، ستستطيع السباحة عندما تصبح مستعداً لذلك»، و«عندما تقررين، سوف تتوقفين عن مص إبهامك».

احترس من «اللاءات» الكثيرة

سيكون هناك ولا شك العديد من الأوقات التي لن يلبي فيها الآباء والأمهات رغبات أولادهم وأحياناً تكون عدم التلبية تربية، ما دامت في إطارها الواعي والمستبصر بنمط ووقت وآثار ذاك النوع من عدم التلبية، إذ هناك حالات يتلقى فيها الأولاد رفضاً باستخدام كلمة «لا» بطريقة يشعرون أنها هجوم مباشر على استقلاليتهم، فيصرخون ويعانون من نوبات الغضب، ويطلقون الكلمات الحادّة، أو يطغى التجهم على ملامحهم، ويمطرون الوالد بأسئلة مثل: «لِمَ لا ...؟ أنت بخيل ... أنا أكرهك!» ويعاني، حتى الآباء والأمهات الصبورون، من جراء هذه المواقف، فهل يحسن بالآباء والأمهات الاستسلام وقول: «نعم» لكل شيء يطلبه أولادهم؟ لا، طبعاً. ولحسن الحظ أن هناك بعض البدائل المفيدة التي تسمح للآباء والأمهات أن يكونوا حازمين دون الدخول في تصارعٍ مع أولادهم، مثل محاولة صرف انتباههم لأمر آخر؛ الأمر الذي يجنّبهم استخدام لفظة «لا» بكثرة.

استشر ولدك

لا يناقش عديد من الآباء والأمهات أولادهم في كثير من المسائل المتعلقة بهم. فإذا أرادوا مثلاً مكافأة أحد أولادهم بدعوته إلى عشاء في مطعم

بعد نجاحه في الامتحانات؛ فيحسن بهم ترك مسألة اختيار المطعم لولدهم، وألا يفرضوا عليه المطعم الذي يفضلونه هم، فالحفلة في النهاية حفلة الولد وليست حفلة الوالدين، كذلك إذا أراد الوالد شراء لعبة أو دمية فيحسن استشارته في ذلك؛ وإلا فسيكون الوالد قد اشترى لعبة وفقاً لذوقه، وليس لذوق ولده، وينتهي المطاف بالوالد إلى أن يلعب هو باللعبة، بينما يمل الولد من مشاهدته، وقد يبكي بسبب ذلك. إذاً فمن المهم للآباء والأمهات أن يناقشوا أولادهم، ويدعوهم يقررون ما يخصهم، ولا يجبرونهم خاصة على ما يحبون هم أو يكرهون، ولا شك أنه عندما يعامل الأولاد كأصدقاء مقربين، فإن ذلك يساعد في جعل الأمور أفضلَ لكلا الطرفين.

> ورد عن السلف الصالح قولهم: لاعب ابنك سبعاً، وأدبه سبعاً، وآخه سبعاً، ثم ألقِ حبله على غاربه.

علم أولادك الاستقلالية المسؤولة

الاستقلالية التي ندعو إليها هنا هي التي توصف بأنها مسؤولة، ومشبعة بالقيم الإيمانية والأخلاقية، وتسير على الصراط السويّ، ولا نقصد الاستقلالية الفوضوية التي يفتقر فيها الإنسان إلى أي إحساس بالاتجاه الذي يسير فيه، والغاية التي سيصل إليها، والتي ينتج عنها في هذه الحال تحرر النفس من المبادئ والأخلاق والآداب، فيجمل بالآباء والأمهات تأسيس قيم الخير والاستقامة في نفوس أولادهم، إلى جانب الاعتماد على الذات، حتى يصبح أولادهم قادرين على اتخاذ القرارات الصحيحة بأنفسهم، دون مساعدة الآخرين، إضافة إلى مواجهة أي تحديات تقف في طريقهم.

النصيحة مقابل الاعتماد على الذات: الابنة وأمها

عندما يقال للآباء والأمهات: إن إعطاء المشورة للأولاد قد يتداخل مع استقلاليتهم، فالعديد منهم يستاؤون على الفور من هذا القول، إذ يشعرون أنه: طفح الكيل و«بلغ السيل الزبى في هذا الأمر!» فهم لا يستطيعون فهم السبب الذي يدعو إلى حرمانهم من حقهم في تزويد أولادهم بحكمتهم وتجاربهم. فالاستقلالية لا تعني مطلقاً تجنب تقديم المشورة للأبناء بل علينا تخير الوقت المناسب والظرف الملائم بحسب مراحل النمو للأولاد.

مثال رقم ١: تأمل قصة أم لحوحة وابنتها: «لماذا لا تستفيد ابنتي من نصيحتي عندما تواجهها مشكلة؟ كانت ابنتي مترددة في الذهاب إلى حفل تخرُّج صديقتها لأنها لا تحب بعض الفتيات ممن سيحضرن الحفلة، فهن «يتهامسن دائماً ويتلامزن عليها»، فما الخطأ في أن أخبرها بأنها يجب أن تذهب إلى الحفل بغض النظر عما تفعله هؤلاء البنات، لأنها إذا لم تذهب فسوف تخذل صديقتها التي دعتها؟»

حين يقدم الآباء والأمهات نصيحة مباشرة لأولادهم؛ فقد يشعر الأولاد أنهم أغبياء، فيقولون في أنفسهم: «لماذا لم يخطر ذلك ببالي؟»، أو يردون باستياء على النصيحة: «لا تُمِل عليّ كيف أصرّف أموري!»، أو بغضب «ما الذي يجعلك تظن أنني لم أفكر بذلك بالفعل؟»، أما عندما يقرر الأولاد بأنفسهم ما يريدون فعله؛ فإنهم ينشأون واثقين بأنفسهم، ومستعدين لتحمل نتائج قراراتهم.

«هل أقف متفرجاً ولا أفعل شيئاً حين تتعرض ابنتي لمشكلة؟ إن المرات القليلة التي قلت لها فيها: إنها مشكلتك، تعاملي معها بطريقتك، كانت تنزعج كثيراً.» لا شك أن الأولاد سيشعرون بالأذى والهجر إذا تجاهل الوالدان مشكلاتهم. ويحسن بالآباء والأمهات التأكد من أنهم يستطيعون فعل الكثير بعيداً عن التطرف في التجاهل أو الإسراف في تقديم النصيحة المباشرة. ونقدم في ما يأتي بعض الأمثلة على هذه الأفعال:

- يمكن أن يعين الآباء والأمهات أولادهم على فهم الأفكار والمشاعر المتشابكة والمتداخلة – «أفهم مما قلته أن لديك شعورين: تريدين الحضور، ولكن لا تريدين أن تختلطي بالفتيات اللاتي لا تطيقيهن»؟
- يمكنهم أن يساعدوا في تيسير المشكلة بصياغتها في سؤال – «إذن فالسؤال هو: كيف تجدين وسيلة كي تحضري الحفل، وفي الوقت نفسه تتحملين الفتيات اللاتي يغمزن ويلمزن بك؟» ومن المهم أن يبقى الآباء والأمهات صامتين بعد طرح سؤال من هذا القبيل، لأن صمتهم يتيح للولد المجال للتفكير في الحلول الممكنة.
- من المستحسن أن تبين للأولاد المراجع والمصادر المتاحة خارج المنزل – «لاحظت أن «قسم الشباب» في المكتبة فيه بعض الكتب للمراهقين حول موضوع التعامل مع الأنواع المختلفة من المشكلات الاجتماعية، فقد ترغبون في الاطلاع على ما تقوله هذه الكتب في هذا الموضوع».

لنفترض أنني فعلت كل ذلك، ثم وصلت إلى حل، أنا متأكدة من أنها لم تفكر فيه، فهل يمكنني عندئذ أن أذكره لها؟ «نعم، ولكن بعد أن يتاح لها وقت كاف للتفكير. كذلك ستستمع إلى أفكار والديها إذا ما عُرضت بطريقة تظهر الاحترام لاستقلاليتها: «ما رأيك أن تأخذي معك ما سجلته للممثل الكوميدي فلان إلى الحفل، فلربما تنشغل به تلك الفتيات بالضحك بدلاً من إزعاجك؟» فابدأ اقتراحاتك بـ «ما رأيك ... » أو «ماذا لو ... » . فلا بد أن يرسخ في أذهان الآباء والأمهات أن النصيحة، التي تبدو «معقولة ومنطقية» لهم، يمكن أن تكون «غير معقولة وغير منطقية» لأولادهم.

«لنفترض أنني أرى أنه يجمل بها أن تذهب إلى الحفل، فهل أبقى صامتة؟»

بعد أن تستوعب الفتاة المشكلة، عند ذلك يكون من المفيد لها الاستماع إلى أفكار والديها في هذا الشأن وتقول في نفسها:

«يضايقني أن أفوّت المتعة التي سأحصل عليها من الحفل بسبب تصرفات بعض الفتيات، وأظن أن من المهم أن أذهب ولا أخيب أمل صديقتي بي في حضور حفل تخرجها، حتى لو استدعى ذلك مني بذل بعض التضحيات،» ويجمل بالأبناء أن يفهموا القيم الأخلاقية لوالديهم ،حتى لو كانوا لا يرغبون بتمثلها، لقد أعطاهم الوالدان شيئاً من عندهم ليفكروا فيه، ودرساً ليتعلموه.

مثال رقم ٢: قالت إحدى الأمهات: «كنت أدخل باستمرار في نزاعات كثيرة في موضوع الملابس مع ابنتي، والآن أصبحت أسمح لها بأن تلبس ما تشاء، إلا في أيام المدرسة، إذ أضع لها الخيارين المسموح بهما من الزي المدرسي على سريرها، وأدع لها بعد ذلك أن تقرر أيهما تلبس.» فمن فوائد الزي المدرسي الموحد أنه ليس اختيارياً، وبهذا وفر علي الخوض في جدال معها حول ما يجمل بها أن ترتديه!

مثال رقم ٣: قالت أم سامي: «أخيراً وضعت حداً لمتاعبي اليومية مع ابني بشأن ما إذا كان يجب أن يرتدي سترة خفيفة أو معطفاً. لقد قلت له: يا سامي، لقد فكرت بالموضوع، فبدلاً من أن أرشدك كل يوم إلى ما ترتديه، أظن أنك أصبحت الآن قادراً على اتخاذ هذا القرار وحدك، فدعنا نضع جدولاً بدرجات الحرارة، ثم نقرر ما يناسبها من ملابس.» بعد ذلك اشتركنا في وضع هذا الجدول:

درجة الحرارة خارج المنزل	الملابس المناسبة
٦٩ درجة فهرنهايت (٢٠ مئوية) وأكثر	لا حاجة للسترة
ما بين ٥٠ و ٦٨ درجة فهرنهايت (١٠ -٢٠ درجة مئوية)	بلوزة
٤٩ درجة فهرنهايت (٩ مئوية) أو أقل	سترة ثقيلة

هل تجبر ابنتك على الحجاب؟ بقلم نهى بشير

لم يكن والداي يجبراني على فعل أي شيء، ولا أذكر أي حادثة لم يسمح لي والداي فيها بالاختيار. عندما أخبرت أمي أنني سأرتدي الحجاب؛ لم تقل لي: «أجل يتعين أن تلبسيه لأن هذا من دينك» بل أوضحت لي الأسباب وراء ارتداء الحجاب، وأنه في بعض الأحيان قد لا يكون مريحاً، وأن لبسه في الصيف لا يستلزم ارتداء سترة وسراويل جينز معه. «لا، يمكنك ارتداء السراويلات الفاتحة الواسعة التي تسمح للهواء بالمرور في أثناءها، وقميص فاتح، وهكذا عندما يسألك أصدقاؤك عن سبب ارتدائك للحجاب، يمكنك أن توضحي لهم السبب، وهو أنك مقتنعة به، ولا تكتفي بالقول إنه جزء من ديني، أو والداي يجبراني على لبسه.» لقد قابلت فتاتين بعد ذلك وقالتا لي، بعد أن بينت لهما سبب ارتدائي له: «يجمل أن نرتدي مثل هذا». لقد كنت مرتاحة من موقف والديّ في هذه المسألة، وهذا لا يعني أنني لا يمكن أن أعيش من دونهما، بل أجد نفسي دائماً، لسبب ما، وقد انتهى بي الأمر، بعد نقاشهما في مسألة ما، إلى احترامهما أكثر من ذي قبل. أحب عائلتي حقاً وأنا سعيدة أنني أستطيع أن أقول لهم كل شيء تقريباً وأعبر لهما عما في داخلي، وعلاقتي بأختي أميرة قوية. مع أن أميرة هي أكبر مني، إن أجمل ما في عائلتي هو أننا جميعاً نعامل معاملة متساوية.

(١٩٩٨ بشير ورضا)

إذا كره الآباء والأمهات نوعية أصدقاء أولادهم

يريد الآباء والأمهات أن يكون لأولادهم أصدقاء مهذبون، وصادقون، وأذكياء، ولا يشربون الخمر، ولا يدخنون، ولا يتعاطون المخدرات. إنهم يريدون حماية أولادهم، وفي الوقت نفسه، يريدون أن يربوهم على الاستقلالية والاعتماد على الذات.

ومن الجدير ذكره أن الصداقة لدى الأبناء تمر بمراحل عديدة أولاها جماعة اللعب الذين يشكلون أصدقاء أبنائنا، وثانيها الانتقال إلى جماعة القربى ممن يقربونهم في السكن أو في الصلات الاجتماعية؛ إذ يتعرفون عليهم خلال الزيارات العائلية، وأما المرحلة الثالثة فهي التي ينتقي فيه أبناؤنا من يشاكلونهم في طموحاتهم وصفاتهم وتفكيرهم وميولهم، ويشعرون معهم بالأمان والراحة ويشاركونهم أفراحهم وأحزانهم.

وبالقدر الذي تربى عليه الأبناء من معايير الصواب والخطأ؛ فإن تلك المرجعيات تعد موجهاً لهم لنمط ذاك الاختيار للأصدقاء ومواصفاته، لكن هذا لا يعني أن الجميع يسير على الوتيرة نفسها فلكل قاعدة استثناءاتها، ومن هنا يأتي قلق الوالدين من بعض الصداقات التي لا تستمر عادةً إلا لفترة قصيرة، فكثيراً ما يكتشف الولد أن صديقه الذي كان في البداية معجباً به ليس رائعاً. وقد يكون أحياناً السماح للصداقة المعترض عليها أن تأخذ مجراها مؤقتاً، ويجد حلاً أنجع من محاولة وقفها بالقوة بحيث، يكتشف الولد حقيقة صديقه بنفسه. ومن المهم مناقشة الحاجة التي تشبعها تلك الصداقة عن طريق سؤال الأولاد، ما الذي يعجبهم في صديقهم،

وإجابة الأولاد يمكن أن تقود الوالدين إلى السبب الحقيقي لانجذاب أولادهم لذلك الصديق.

من المهم للأولاد أن يتعاملوا مع أنواع مختلفة من الناس، ولكن الصداقة قد تحمل أحياناً تهديداً للأولاد، ويحتمل أن تكون خطرة في حالات معينة، كصداقة المنحرفين الذين يرتكبون أفعالاً تخالف القيم الأخلاقية والقانون وتضر بالمجتمع، فتبرز مسؤولية الآباء والأمهات في مثل هذه الحالات الخطيرة للعمل على منع صداقة أولادهم لمن كان سلوكهم مرذولاً وبشكل مستمر، وأن يحرصوا على الصحبة الصالحة لأولادهم.

ومن شأن رعاية الوالدين لأولادهم، والثقة بهم، والصبر عليهم، أن تضمن تفاعلاً اجتماعياً أفضل لأولادهم. ويحتاج الأولاد إلى مرشدين لمساعدتهم في الانسجام مع الناس، ولكي يشعروا بالرضا عن أنفسهم، ويتحملوا مسؤولية أفعالهم.

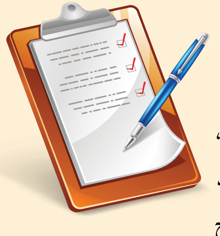
خطوات اتخاذ القرار

تعين القدرة على صنع القرار في رفع مستوى الثقة بالنفس، فالأولاد -الذين يمكنهم ممارسة بعض السيطرة والتحكم بحياتهم وبقراراتهم- يجري إعدادهم كي يكونوا بالغين معتمدين على أنفسهم، ومسؤولين، وأكثر سعادة. ويتعين للأولاد الذين يعتمدون على ذاتهم ويستقلون في قراراتهم المرور بالخطوات الآتية:

- إدراك أنه يجب اتخاذ القرار
- جمع المعلومات التي تساعد في اتخاذ القرار قدر الإمكان.
- تحديد الخيارات والقرارات البديلة.
- فحص النتائج المحتملة للبدائل المتعددة.
- النظر في مدى تناسب الخيارات مع القيم والأهداف الشخصية.
- تمييز الأسباب المضعفة لاتخاذ قرارات معيّنة مثل: ضغط الأصدقاء، والرغبة في إثبات النضج أو إظهار التمرد.
- إعطاء الوقت الكافي لاتخاذ القرار، حيث إن السرعة تتناسب عكسياً مع عمر الطفل؛ فميزة الأطفال أنهم الأسرع في اتخاذ القرار، وهنا تكمن الخطورة الكبيرة.
- تنفيذ القرار، وتجدر الإشارة أن اتخاذ القرار والاعتماد فيه، لا يعني بالضرورة الاستغناء عن مشورة الوالدين والاستفادة من خبرتهما في الحياة، بوصفهما في هذه المرحلة موجهين ناضجين لأبنائهما أكثر من كونهما اللذين سيبتان في القرار، بل يتركان مساحة لأبنائهما في تفهم كيفية اتخاذ القرار، فهي فرصة للتعلم مع المتابعة الواعية في الوقت ذاته.



الأنشطة



النشاط ٦٩: اختبار درجة هيمنة الآباء والأمهات

حاول أن تسأل ولداً، أثناء وجود والده/والدته، عدة أسئلة سهلة حول أي موضوع، وراقب الولد وهو يعطي الإجابات، وكيف يتدخل الوالد للإجابة بدلاً عنه. إن تدخل الوالد بالإجابة نيابةً عن الولد هي أحد المؤشرات على هيمنة الوالد، كذلك راقب كيف يصبح الوالد مضطرباً ومتوتراً عندما تبدو على ولده المعاناة وهو يعتصر ذهنه للإجابة عن السؤال الصعب! فيحسن بالآباء والأمهات أن يتحوّلوا عن موقع المديرين المهيمنين ليكونوا استشاريين موجهين، لو أرادوا تشجيع أولادهم على الاعتماد على أنفسهم.

النشاط ٧٠: اشرح نظام القيم الأسرية لأولادك

من الخطأ إجبار أولادك على اختيار مهنة معينة أنت تفضلها كي يصبحوا نسخة عنك، فاغرس في نفوسهم العقيدة الصحيحة، ومنظومة القيم الأخلاقية، والنظرة الكونية الشمولية العامة التي يحتاجونها كأساس قوي لتصريف أمور حياتهم المستقبلية، كذلك شاركهم قيمك الأخلاقية التي تتعلق بحب البشر والحيوانات والنباتات والبيئة، وتذكر أن كثيراً من الأولاد اليوم يفاجئون آباءهم بإبداعاتهم العديدة في طرائق تحقيق أهدافهم. ناقش أولادك في هذه الموضوعات واسألهم عن سبل تمثل هذه القيم والالتزام بها.

النشاط ٧١: هل أنت والد داعم أو متدخل؟

نبدأ عزباً ثم نتزوج وننجب الأطفال، ويغادر الأولاد العش بعد عقدين من الزمن ويذهبون إلى الجامعة.

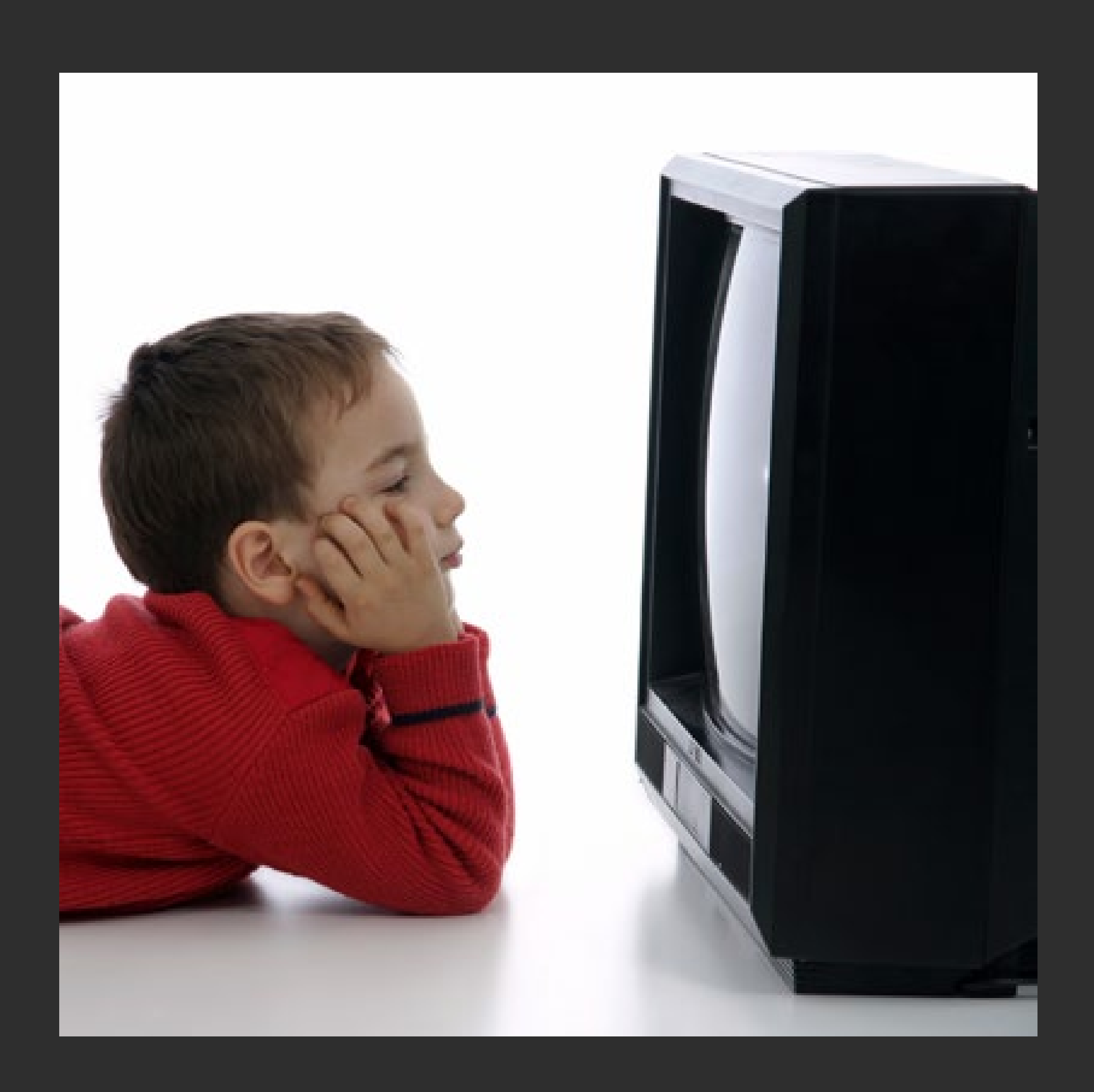
تركت كل من والدتَي الجنرال ماك آرثر والرئيس روزفلت بيتها عند التحاق ابنها بالجامعة، واستأجرت كل منهما بيتاً قريباً من جامعة ابنها لتكون قريبة منه. فلم يكن متوافراً في زمانهما الهواتف المحمولة أو البريد الإلكتروني المستمر ليلاً ونهاراً كي تطمئن كل منهما على ابنها.

ويشير معظم الآباء والأمهات لأولادهم في الجامعات إلى أنهم يحترمون الحدود التي يضعها أولادهم لأنفسهم، وأنهم لا يتدخلون في حياتهم. ونقدم في ما يأتي بعض الأسئلة التي يمكن للوالدين الإجابة عنها كي يتحققا من مدى سلامة تصرفهما وسلوكهما تجاه أولادهما:

- كم مرة تتواصل مع ولدك أثناء سنوات دراسته الجامعية؟ يومياً، أسبوعياً، شهرياً؟
- هل تتصل بأساتذة ولدك؟
- هل تشارك في إعداد واجبات ولدك إذا عانى/ عانت من متاعب في كتابتها؟
- عند زيارة ولدك، هل تقوم بالأعمال المنزلية عنه (تنظيف الغرفة، والغسيل، وإخراج القمامة)؟
- إذا كان ولدك يعاني من متاعب مع زميله في الغرفة، هل تتدخل؟

ناقش إجاباتك مع عائلتك. ونذكر هنا بعض الاقتراحات للتعامل مع الطلبة الذين يعيشون بعيداً عن أهليهم:

- شجع ولدك على أن يبادر بالاتصال لأن ذلك يساعد في تعليمه الاعتماد على الذات.
- يتعين أن ينجز الواجبات وحده، وإذا احتاج إلى العون فسيبحث بنفسه.
- إن ولدك الجامعي بالغ وقادر على الاهتمام باحتياجاته/ احتياجاتها، لذا ينبغي القيام بالأعمال المنزلية وحده. (Kantrowitz and Tyre 2006).



الفصل السابع عشر

الآثار السلبية للتلفاز والفيديو وألعاب الحاسوب والإنترنت والهواتف الجوّالة

- **مقدمة**
- **استبانة مبدئية للآباء والأمهات**
- **الآثار السلبية للتلفاز**
- **تجربة برنامج شارع سمسم للأطفال**
- **عصر ما قبل التلفاز والأجهزة الحديثة**
- **الأوهام التي يصنعها التلفاز**
- **أفكار لمساعدتك في التحرر من التلفاز**
- **حقائق سريعة عن التلفاز**
- **الزائر الغريب العجيب في بيتنا**
- **وضع حدود وضوابط على كمية ونوعية ما يشاهده الأولاد**
- **قائمة بدائل عملية عن مشاهدة الأسرة للتلفاز**
- **خيارات على نطاق أوسع**
  - أنشطة في المجتمع
  - أنشطة في الطبيعة
  - ألعاب
  - تناول الطعام مع الأسرة
- **أضرار الاستعمال المفرط للإنترنت والهواتف الجوّالة**
- **ألعاب الحاسوب**
- **ألعاب الفيديو والأولاد**
- **الإجحاف بإظهار المرأة والرجل في التلفاز وألعاب الفيديو**
- **الأنشطة ٧٢-٧٦**

مقدمة

نشير ابتداءً أن ما نذكره حول التلفاز الذي انتشر وشاع في القرن العشرين، ينطبق معظمه على الأجهزة الجديدة التي عمّت وغطت جوانب الكرة الأرضية جميعها في القرن الواحد والعشرين، وتزداد انتشاراً واستعمالاً وتأثيراً -كماً ونوعاً- كل يوم، وعلى رأسها الإنترنت والهاتف الجوال والحاسوب وملحقاتهم من الاختراعات والاكتشافات، مما نعلم ومما لا نعلم مستقبلاً.

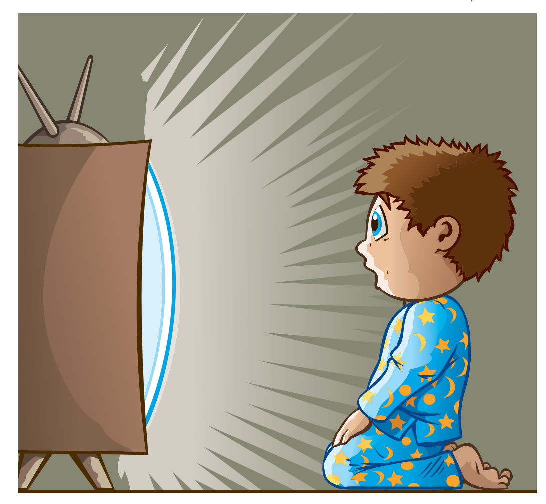
هناك شيء في بيتنا يحتل حيزاً لا يتصور من حياتنا، يجلس بهدوء في زاوية الغرفة، ويقضي وقتاً طويلاً مع أولادنا يفوق بكثير ما نقضيه نحن معهم، ونحن غافلون عنه وعن تأثيره عليهم، وهو قادر على أن يدمر عائلات بأكملها؛ دون أن يدركوا أنه هو السبب لهذا الدمار. هذا الشيء هو التلفاز، ويكمن مصدر خطره علينا أننا نقلل من تأثيره العميق على حياتنا، وهو بالتأكيد ليس التأثير الإيجابي الذي نظن!

استبانة مبدئية للآباء والأمهات

- هل يشاهد الأطفال التلفاز أثناء وجبة الإفطار؟ وقبل الذهاب إلى المدرسة؟
- هل يشاهد الأطفال التلفاز مباشرة بعد العودة من المدرسة؟ أثناء القيام بالواجبات المدرسية؟
- هل تشاهد العائلة التلفاز أثناء وجبات الطعام؟
- كم مقدار ألعاب ومحادثات ولدك له صلة بما يشاهده من التلفاز؟
- هل يكون التلفاز عادةً مشغَّلاً حين يلعب الأولاد وحدهم أو مع أصدقائهم؟
- هل يطلب الأولاد الوجبات السريعة والألعاب التي يرونها في إعلانات التلفاز؟
- هل الحياة الأسرية مُجَدوَلة حسب العرض بالتلفاز؟
- هل يوقف ولدك التلفاز في نهاية برنامج ما، أو يستمر في المشاهدة؟
- هل يتعب ولدك بسبب السهر في مشاهدة التلفاز؟
- هل يتعرض ولدك للخوف أو للأحلام المزعجة بسبب ما يشاهده على شاشة التلفاز؟
- هل يفضل ولدك التلفاز على اللعب؟
- هل يتجاهل ولدك الضيوف الزوار أثناء مشاهدته للتلفاز؟
- هل يؤخّر الولد الصلاة بسبب التلفاز؟

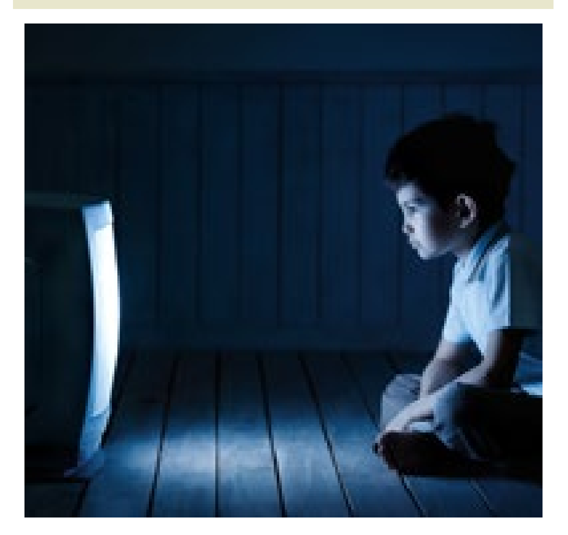


تعد مشاهدة التلفاز إلى حد كبير نوعاً من الإدمان المشابه لتعاطي المخدرات، وينتاب الأولاد حالة من الغيبوبة عند مشاهدة التلفاز، حيث يكونون مستغرقين وغافلين عما يدور حولهم. فلو تحدثت إليهم لا يسمعونك، ولو رن الهاتف القريب منهم لا يردون، حتى إن بعضهم عند الانغماس في مشاهدة التلفاز تتغير تعابير وجوههم ويكون فكهم مرتخياً وفمهم مفتوحاً قليلاً، ولسانهم مرتخياً على الأسنان الأمامية، وتكون عيونهم في حالة نشوة، كذلك يدخلون في حالة من الذهول (الخدر، والبلادة، وانغلاق الفكر) وكأنهم منومون مغناطيسياً من الشاشة التي تومض أمامهم، بدلاً من أن يكونوا يقظين ذهنياً.



ويمكن أن يطول الجدل حول محتوى البرامج التلفازية إلى ما لا نهاية، بسبب وجود بعض البرامج المفيدة والأخرى الضارة، ومع ذلك تبقى قضية المحتوى أقل أهمية من الوقت الذي تهدره، ومدى الفائدة والضرر الحاصل من ذلك كله.

يشاهد بعض الأولاد التلفاز مدةً طويلة بحيث قد يصبح بديلاً عن الأصدقاء، وقاتلاً للوقت.



يكفي أن إدمان فرد واحد على التلفاز يعني أن الأسرة بأكملها تواجه مشكلة خطيرة، إذ يصعب تنظيم أنشطة أسرية والاستمتاع بها بوجود عضو منها يفضل مشاهدة التلفاز على أي نشاط آخر. والانتقال من أنشطة لا صلة لها بالتلفاز مثل: القراءة واللعب والرسم إلى مشاهدة التلفاز سيكون أسهل من الانتقال من مشاهدة التلفاز إلى فعاليات أخرى مفيدة، لأن الولد المستسلم للتلفاز ينجذب لمشاهدته بشدة.

تشير ماري وين (Marie Winn, 2002) إلى أن للتلفاز تأثيراً منوماً على كثير من الناس، وتظهر عليهم أعراض تشبه أعراض المخدرين كالملل والغباء وسهولة السيطرة عليهم، وهناك مشكلتان أساسيتان: المشكلة الصغيرة هي ماذا يحدث أثناء مشاهدة الإنسان للتلفاز؟ أما المشكلة الأكبر فهي: ما الذي لا يحدث عندما يشاهد الإنسان التلفاز؟ إذ يؤثر التلفاز في الأولاد الذين يقضون مئات الساعات، تأثيراً ضاراً يعيق تطورهم الذهني والاجتماعي، ويتمثل ذلك في التوقف عن استعمال مئات الألوف من الكلمات، وعدم الردّ عليها، وفي وجود الآلاف من الأسئلة التي لا يسألها الوالدان ولا الآخرون ولا يُجابُ عليها، ولا يغفل تأثير هذا على الثراء اللغوي أو العقلي عند الطفل على حد سواء.

الآثار السلبية للتلفاز

يركز كثيرٌ من الآباء والأمهات على المحتوى بدلاً من المدة التي تُقضى في مشاهدة التلفاز، وهم يهتمون باحتياجاتهم هم بدلاً من احتياجات أولادهم

ومصلحتهم، لذلك يبحثون عن مصدر لتسلية أولادهم، ليتاح لهم أن ينعموا هم بالهدوء في المنزل، ويتجسد هذا في جليسة أولاد إلكترونية مجانية، وهي لا تشتكي ومضمونة ودائمة الحضور عند الطلب، ولا يتوافر ذلك إلا في التلفاز، وهكذا يتركون لأولادهم الحبل على غاربه في المشاهدة دون ضوابط وتعليمات تنظم ذلك. ويحرم التلفاز الأولاد من التمتع بشخصية مستقلة، ولا يتيح لهم اكتشاف نقاط قوتهم وضعفهم، ولا أن يتعلموا كيفية التواصل الفعال وإجادة الكتابة والتحدث إلى الآخرين، ويحتاج الأولاد إلى أن يفسح لهم المجال ليحلقوا في خيالات يخلقونها بأنفسهم، وليست تلك التي ينسجها الكبار لهم، ويحتاج الأولاد أيضاً إلى التحفيز الفكري الذي يأتي من ألعابهم، وأعمالهم التي يقومون بها بأنفسهم بدلاً من المشاهدة السلبية. ويستعمل كثير من الآباء والأمهات التلفاز في ترويض الولد المفرط النشاط؛ لأنه يدفعه إلى السكون والخَدَر بدلاً من التركيز الذهني الشديد، وغالباً ما يعرض في التلفاز هو من النوع الخيالي الذي يشبه الأحلام. والمدمنون على مشاهدة التلفاز يختل توازنهم، إذ يتوقفون عن الأنشطة التي تنمي النفس والبدن وتطورهما، فمشاهدة التلفاز عملية غير مثمرة وما عداها من أنشطة جديرة باهتمامنا الشديد.

أصبح -للأسف- التلفاز بديلاً عن القراءة، أو الزراعة في الحديقة، أو رسم شيء ما، أو اللعب بالألعاب، أو التحدث مع الآخرين. حيث تعد هذه الأنشطة «ذات المغزى» ليست مرغوباً فيها عندهم مثل التلفاز، فهو يستحوذ عليهم لأنه ممتع ومسلّ جداً، ومع أنه ليس ممتعاً مثل تناول الأولاد للطعام أو احتضاننا لهم، لكنه يبقى جذاباً للغاية، وهو «وَهْم»، بمعنى أنه لا «يقدم» أي شيء، بعكس الطعام ومحبة أفراد الأسرة، اللذين يعطيان الشيء الكثير، ولكن مصدر روعته هو إثارة في المتعة: الصور الخلابة، والأصوات المتنوعة، والموسيقى الآسرة، والمشاهد المألوفة، إضافة إلى المشاهد الخيالية. ومن الجدير ذكره هنا أن ما يفوق نصف الآباء والأمهات الأمريكيين يستعملون المنع من التلفاز كشكل من أشكال الحرمان والعقاب، الذي أصبح الأكثر شيوعاً الآن.

يسلب التلفاز انتباه الأولاد وتقتصر استجابتهم لأي شيء على السكوت. فالتنقل المستمر للصور، والتغيير المتوالي لزاوية الكاميرا، والتغيير السريع في نقطة تركيز المشهد كل بضع ثوانٍ، يمكن أن يؤدي إلى جعل انتباه الأولاد قصير المدى.

فالأولاد من مرحلة ما قبل المدرسة غير مهيّئين للتعامل مع سرعة وتيرة الإثارة الإلكترونية، وقد يكسبون سلوكاً متوتراً، وهو أمر شائع بين الأولاد هذه الأيام، أو قد يصابون بمرض ينتشر بينهم اليوم أيضاً وهو (اضطراب نقص الانتباه وفرط النشاط). Attention Deficit Hyperactivity Disorder.

تجربة برنامج شارع سمسم للأطفال

(شارع سمسم) برنامج تلفازي عالمي للأطفال يعلمهم حروف الألفباء والعديد من المفردات، ويدّعي منتجو البرنامج أن برنامجهم تجربة تعليمية مهمة للأطفال الصغار، إلا أن هناك حقائق أخرى نستنتجها، من أهمها أنه يسبب في إدمان الأطفال للتلفاز. ولاحظ المعلمون أن بعض الأولاد الذين يلتحقون برياض الأطفال والحضانة تعلموا الحروف من شارع سمسم، وأن من أدمنوا على التلفاز أصبحوا أقلّ قدرةً في اللعب التخيلي، وزاد عندهم الركض بلا هدف، ولا يميلون إلى اللعب بالملاعب وألعابهم وانخفض مستوى قابليتهم لدرجة الإحباط، ويعوزهم التسامح والصبر، ويخلطون بين الواقع والخيال.

يتطلب التعلم الناجح تجربة يدوية عملية ونشطة، ولا يتوافر ذلك في برنامج (شارع سمسم) أو ما يماثله من البرامج «التعليمية»؛ لأنها بديل ضعيف للتعليم العملي وجهاً لوجه.



وما أكثر ما يصاب معلمو المدارس الابتدائية بالإحباط عندما يجدون العديد من الطلبة الذين لا يرغبون بالقراءة، وانتباههم قليل أثناء الدروس، وفي حين أن التلفاز يحسِّن مهارات التفكير غير اللفظية؛ فإنه لا يحفز المهارات الأخرى الضرورية للنجاح في المدرسة، ومشاهدة مائة ساعة من (شارع سمسم) يوفر قيمة تعليمية أقل مما يوفره قضاء عشر ساعات في قراءة كتاب مفيد.

كلما شاهد الولد التلفاز أكثر؛ كان تحصيله أسوأ في المدرسة، إذ يتطلب النجاح في المدرسة حب القراءة، والقدرة على التفاعل مع الآخرين والتركيز في الواجبات المملة مثل تعلم جدول الضرب. فالمشاهدة المفرطة للتلفاز تقضي على هذه المهارات جميعها أو تضعفها على الأقل.

عصر ما قبل التلفاز والأجهزة الحديثة

كان الآباء والأمهات قبل التلفاز أكثر حزماً تجاه أولادهم، لأن الحزم كان لازماً لحياة الوالدين، وكان الآباء والأمهات قبل التلفاز يراقبون أولادهم، ويربونهم على اللعب وحدهم مدة من الزمن، وكانوا يتابعون مراحل نموهم ومتطلبات كل مرحلة، وقد ساعدوا الأولاد في كيفية ترفيه أنفسهم بصورة نافعة، ودربوهم على الانتظام في مواعيد النوم، لأن النوم الهادئ ضروري لصحة الأولاد، وكان الوالدان يتأكدان من أن الأولاد ينامون في غرفهم، أو يظلون هادئين هناك يلعبون أو يستمعون إلى الموسيقى، أو يتنقلون بهدوء داخل غرفهم. واختفت بعد ظهور التلفاز كثير من هذه الممارسات، فلا يعرف الأولاد في الوقت الحاضر كيفية تسلية أنفسهم، فبمجرد إيقاف التلفاز، وبدلاً من البحث عن هوايات ومغامرات معقولة، فإنك تجدهم لا يفعلون شيئاً ويرفضون قضاء وقت مرح أو ممارسة الأنشطة الإبداعية أو القراءة.



وكان الأولاد قبل التلفاز قادرين على اكتساب الاستقلالية والتغير؛ من كونهم معتمدين على والديهم (في مرحلة الطفولة)، إلى كونهم متفاعلين مع البيئة المحيطة بهم وفعالين، فالعيش في المجتمع يتعين القدرة على التكيف والتفاعل، وعندما كان الأطفال يبلغون عمر ثلاث سنوات؛ يبدأون بالتواصل والتفاعل مع العالم من حولهم. فمشاهدة التلفاز لا تتطلب تقديم أي جهد بالمقابل، ولكن حين يلعبون مع ولد آخر، مثلاً، يترتب عليهم بذل الجهد والتفكير للتفاعل معه، وينظر الأولاد إلى مشاهدة التلفاز على أنها خالية من التعرض للمخاطر التي ينطوي عليها اللعب العادي؛ فلن يتعرضوا للإصابات، أو يتورطوا في مشكلات، أو يغضب والداهم منهم، وحين يكونون على وشك الانتقال من مرحلة الطفولة، التي يكونون فيها غير قادرين بعد على عمل أي شيء لأنفسهم، فإن التلفاز يعيدهم ويبقيهم في حالة التعلق والاعتماد على الآخرين.

وتسلب الأفلام التلفازية المنتقاة من الكتب خيال الأولاد وتفكيرهم بدلاً من تجربة فكرية يعملون عقلهم فيها وفي تخيلها، وهم لا ينمون ويتطورون مع شخصيات القصة، ولا يفهمون وجهات نظر هذه الشخصيات وصراعاتهم وقيمهم، وأصبح الأولاد يفضلون، بدلاً من قضاء يوم في قراءة القصة من الكتاب أن يشاهدوها على التلفاز كاملة خلال تسعين دقيقة، وهكذا يحصل الأولاد على الترفيه من التلفاز بهذه القصة ولكن لا يحصلون على الشعور بالرضا والاكتفاء، فهم على الأقل سيعيشون جزئياً، أثناء قراءة الكتاب، تجربة القصة، ويصادقون الشخصيات، ويدربون خيالهم، إضافة إلى أن بعض الجوانب في القصة التي تخص الحركة واللون والشعور تجعلهم يرتبطون بالقصة بعلاقة وجدانية وثيقة، وكثيراً ما يودون قراءة الفقرة أو الصفحة مراراً وتكراراً. ويزرع التلفاز في نفوس الأولاد الشعور بالانسحاب، وهو نوع من الاكتئاب يصيب المشاهد عندما ينتهي الفيلم فجأة، وتأتي لحظة الانفصال عنه، في حين ينشأ رابط عميق بيننا وبين الكتب التي نقرأها، وهذا التعلق والارتباط العاطفي المهم لا يتوفر في التلفاز.

ويعزز التلفاز العجز والتبعية للكبار، وكان وقت الفراغ في الماضي يوفر للأولاد فرصاً مهمة للحد من اعتمادهم على الكبار، بينما يعدّ الفراغ الآن مأزقاً وورطة لهم، وهم لا يجدون شيئاً ممتعاً يفعلونه في أوقات فراغهم سوى مشاهدة التلفاز، وهكذا يتناول بعض الأولاد الطعام ويقضون الوقت مع أصدقائهم ويقومون بواجباتهم المدرسية أمام التلفاز.

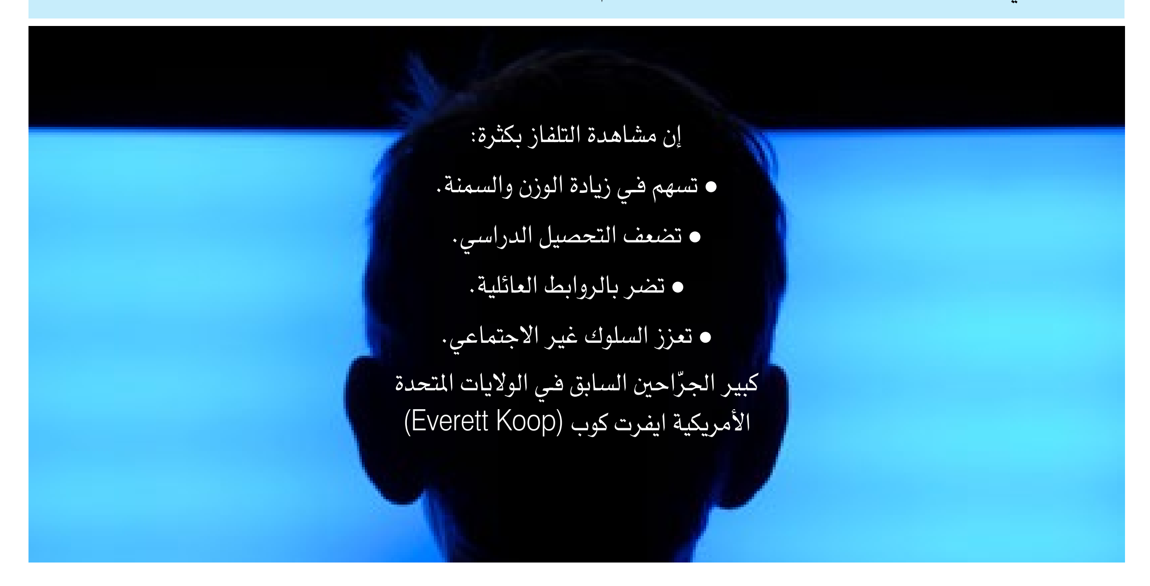
وقد تأثرت الحياة الأسرية تأثراً هائلاً من مشاهدة التلفاز، وأصبح الروتين اليومي مرتبطاً بالتلفاز، وانقرضت الطقوس العائلية، وقلّت المشاركة في النشاطات الاجتماعية والدينية، والسبب الرئيس لهذا كله التلفاز. ويشكو كثير من الآباء والأمهات أن بيوتهم قد تحولت إلى ما يشبه الفندق أو المطعم (مكان لتناول الطعام والنوم)، وهم لا يدركون في كثير من الأحيان حقيقة هيمنة التلفاز على الحياة الأسرية حينها تكون هذه هي النتيجة الحتمية.

ويقوّض التلفاز بناء الأسرة عن طريق سرقة وقت أفرادها بجعلهم يتعاملون مع أشخاص غير حقيقيين، فعلى سبيل المثال تشاهد غالبية العائلات الأمريكية التلفاز أثناء وجبات الطعام ولديهم مجموعة من الأجهزة المتوزعة في أنحاء المنزل، وحتى إن كانوا كلهم يشاهدون برامج تلفازية مهمة عن الطبيعة والأخلاق والأحداث الجارية؛ فإنهم يحرمون أنفسهم من شيء أكثر أهمية، فهل تبادلوا الحديث في ما بينهم عما فعلوه ذلك اليوم؟ وهل وضعوا الخطط، وتبادلوا الآراء، وتشاركوا المُلَح، وتكلموا عن مسراتهم ومشكلاتهم؟ وبأي معنى هم عائلة حقيقية؟ حتى لو افترضنا أن التلفاز في حد ذاته لا يقوض الحياة الأسرية، فإنه بالتأكيد لا يبني الحياة الأسرية، ويسلب الوقت منا على حساب تكوين علاقات الثقة والأمن العاطفي بين أفراد الأسرة، ويقف في طريق الآباء والأمهات في تعليم أولادهم والاستمتاع بوجودهم معهم.

اقرأ ... أهم أداة تعليمية يمكن أن يقدمها الآباء والأمهات لأولادهم هي القدرة على القراءة، وبوجود التلفاز يصبحون قراء كسالى، وينظرون إلى الكتب على أنها مملة وصعبة ورتيبة. وليس هناك إلا عدد قليل من الأولاد المستعدين لبذل الجهد في محاولة قراءة كتاب إلى نهايته فضلاً عن فهمه، ويتطلب قراءة قصة من كتاب لمدمني التلفاز وقتا طويلاً، وكأنه عملٌ شاقٌ، ويفضلونه مشروحاً ومختصراً على التلفاز، ولا يدرك الأولاد حقيقة أنه من الصعب النجاح في الحياة إذا لم يكن الفرد قارئاً ناجحاً.

الأوهام التي يصنعها التلفاز

- دعاني مرةً زوجان، كان لديهما ولدان، من أجل المشورة حول مشكلاتهما الأسرية، وكان كلا الوالدين طبيباً ممارساً ناجحاً، وذكرت الأم أمراً أدهشني فقالت: «ظننت قبل الزواج أن الحياة الزوجية ستكون مملوءة بالمرح والمتعة من دون المسؤوليات الزوجية والأمومة كما يصور لنا التلفاز بممثلات هوليوود» فإذا أمكن خداع من هو مهني محترف بتزييف التلفاز للحياة، فكيف بأولادنا قليلي التجارب أن ينجوا من تأثيره هذا؟
- عندما كنا في الصف الثاني الابتدائي قرأ المعلم لنا قصة قديمة لطيفة عن زوجين كبيرين في السن كان عندهما قطة وكلب، وخانت القطة الزوجين حيث أكلت طعامهما وعصت أوامرهما، في حين ظل الكلب وفياً لهما، فطارد الكلب القطة، التي أسرعت وتسلقت شجرة هرباً من الكلب. وتنتهي القصة بعبارة: «منذ ذلك اليوم، كلما رأى كلب قطة، ركض وراءها كي يعضها»، لقد ظننت لسنوات عديدة أن سبب قتال القطط والكلاب كان هي الخطيئة الأصلية لخيانة القطة لأولئك الزوجين اللطيفين العجوزين. لقد كان الأحرى بالمعلم أن يوضح لنا أن هذه القصص رمزية، خيالية؛ لأن الأطفال يصدقون كل ما يسمعون ويرون. وبالمثل، ينبغي على الآباء والأمهات أن يوضحوا لأولادهم أن ما يشاهدونه على شاشة التلفاز ليس حقيقياً.



أفكار لمساعدتك في التحرر من التلفاز

يمكن للوالدين القيام بما يأتي للحد من مشاهدة أولادهم للتلفاز:

- لا تضع جهاز التلفاز في غرفة نوم ولدك، فهذا كفيل بأن يبعده عن الأنشطة العائلية، ويشغله عن واجباته المدرسية والتفكير والقراءة والنوم، كما سيجد الآباء والأمهات صعوبة في مراقبة مشاهدته للبرامج المؤذية.
- تأكد من بقاء التلفاز مغلقاً أثناء تناول وجبات الطعام، وابدأ حديثاً بدلاً من مشاهدته.
- ضع حدوداً واضحة لمشاهدة التلفاز. وحاول تقييد المشاهدة مدة نصف ساعة في اليوم تقريباً أو ساعة واحدة كل يومين، ووضح قواعدك، وحاول استبدال عبارة «لا يمكنك مشاهدة التلفاز» وتضع عبارة «دعونا نوقف التلفاز حتى نتمكن من ...»
- خصص أياماً أو أوقاتاً معينة تكون خالية من مشاهدة التلفاز، مثل الليالي التي تسبق الذهاب صباحاً إلى المدرسة.

- لا تستخدم التلفاز كمكافأة أو كعقاب، فهذا يمكن أن يزيد من سطوته.
- استمع إلى ما تحب من التلاوات القرآنية أو الأناشيد ذات الكلمات الطيبة أو ذات الكلمات الراشدة عبر قنوات المذياع (الراديو)، ولا تستخدم التلفاز ليكون مجرد خلفية صوتية.
- لا تنزعج إذا اشتكى ولدك بقوله: «أشعر بالملل!» فوقت الفراغ يتعين أن يقود الأولاد إلى اللعب أو التفكير في الفعاليات معاً.
- لا تدعِ التلفاز يحل محل ما هو مهم مثل: المحادثات الأسرية، وممارسة الرياضة، واللعب.

اقتباسات حكيمة

لقد غيّر التلفاز الولد من قوة لا تقاوم لكائن لا يتحرك.

كاتب غير معروف

لو دخلت بيتك ووجدت رجلاً غريباً يعلم أولادك كيف يلكم ويضرب بعضهم بعضاً، أو يحاول بيعهم أنواع المنتجات التي يسوقها، فلسوف تطرده من المنزل، ولكن ها نحن ذا، نأتي والتلفاز شغال، ولا نعبأ حتى بالتفكير بما يعرضه من برامج ويسببه من ضرر.

Jerome Singer

لقد قدم التلفاز الكثير من الخدمات للطب النفساني بما بثه من معلومات عنه، كما جعل الناس في حاجة إلى هذا الطب بما يفعله فيهم.

Alfred Hitchcock

إذا حصل الأولاد على الترفية والتسلية بحرفين فقط يرمزان للتلفاز TV «ت . ف»، فتخيل المتعة التي سيحصلون عليها من استخدامهم ستة وعشرين حرفاً في اللغة الإنجليزية. افتح خيال ولدك بأن تفتح له كتاباً.

كاتب غير معروف

(المصدر: www.quotegarden.com)

حقائق سريعة عن التلفاز

- مشاهدة التلفاز هو النشاط الأساس والأكثر أهمية للأمريكيين، فالمواطن الأمريكي النموذجي يشاهد ما بين ساعتين الى خمس ساعات في اليوم بحسب اختلاف الدراسة ووقت المشاهدة من العام (Grolier Encyclopedia)
- تبين دراسة قامت بها جامعة كامبريدج أن الأطفال ما بين ١٤ - ١٥ من العمر الذين يقضون حتى ولو ساعة من وقتهم في مشاهدة التلفاز أو على شبكة الإنترنت يحققون درجات أقل في GCS(The Guardian 2015)
- في عمر ١٨ سنة شاهد الأطفال الأمريكان في المتوسط أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ مشهد عنف يتضمن ١٦,٠٠٠ جريمة قتل على شاشة التلفاز. (American Academy of Child & Adolescent Psychiatry).
- ارتفعت بشدة معدلات السمنة والبدانة بين الأطفال الأمريكيين والبريطانيين خلال الثلاثين عاماً الماضية ومردُّ ذلك لمشاهدة التلفاز واتباع نظام غذائي غير صحي.

تحذير كبير الجراحين في أمريكا: التلفاز يعزز الأمية وينميها

الزائر الغريب العجيب في بيتنا

«قابل والدي قبل بضعة أشهر من ولادتي شخصاً غريباً قدم إلى بلدتنا الصغيرة، وانبهر والدي بهذا الوافد الجديد، فدعاه كي يعيش معنا، وتقبل من في بيتنا جميعهم هذا الغريب بسرعة، ورحبوا به في عالمنا بعد بضعة أشهر، ومع تقدمي في العمر لم أعترض يوماً على مكانته التي حظي بها في أسرتنا. لقد علمتني أمي أن أحب لفظة الله، وطاعة الله، ولكن هذا الغريب عنده ملكة عجيبة في سرد القصص ونسج أروع الحكايات. وكانت المغامرات والقصص الغامضة والكوميديا التي يقصّها علينا وفيرة، وكان باستطاعته أن يشغل أسرتنا بأكملها لساعات كل مساء، لقد كان بمنزلة الصديق لأفراد الأسرة جميعها، وقد اصطحبني وأبي إلى أول مباراة بيسبول، وكان يشجعنا دائماً على مشاهدة الأفلام، بل إنه وضع ترتيبات ليعرفنا على نجوم السينما، وكان هذا الغريب دائم الكلام، ولم يكن أبي يمانع في ذلك أو يعترض عليه، ولكن كانت أمي تنهض أحياناً وتذهب إلى غرفتها لتقرأ في الكتاب المقدس وتصلي، بينما يظل البقية يستمعون إلى قصص الغريب التي يقصها عن أماكن وأزمان بعيدة، إنني أتساءل الآن ما إذا كانت أمي تدعو الله أثناء جلستها التعبدية أن يغادر الغريب منزلنا. لقد كان والدي يملأ منزلنا بالكلام عن الأخلاق والآداب، ولكن هذا الغريب لم يشعر أبداً بوجوب التزامه بها أو احترامه لها، فالألفاظ البذيئة على سبيل المثال،لم يكن مسموحاً بها في منزلنا، لا منّا ولا من أصدقائنا. لكن الغريب كان يتفوه أمامنا بكلمات غير لائقة أحرقت أذني، وكانت تسبب التشنج لأبي، ولكنه لم يواجه الغريب أبداً، ولم يحدث أن سمح والدي بشرب الخمور في منزله أبداً - ولا حتى باستخدامه للطبخ - لكن الغريب كان يقدم لنا الخمور بأنواعها في كثير من الأحيان. وقد صور السجائر لنا على أنها لذيذة، وجعل السيجار جذاباً والغليون مميزاً.

إنه يتحدث بحرية عن الجنس، وتكون تعليقاته أحياناً وقحة، وفي أحيان أخرى محفِّزة، وأحياناً محرجة. وأدرك الآن أن مفاهيمي الأولى عن العلاقة بين الرجل والمرأة تأثرت به كثيراً، فحين أعود بذاكرتي إلى الوراء أتأكد أن فضل الله حال دون تأثير ذلك الغريب علينا أكثر من ذلك، لقد عارض غير مرة قيم والديّ، ومع ذلك فنادراً ما واجهه أحدنا أو طلب منه الرحيل. لقد مرّ أكثر من ثلاثين سنة على انتقال الغريب للعيش معنا، وإلى الآن كلما ذهبت إلى منزل والديّ؛ أجده جالساً في زاويته، ينتظر شخصاً للاستماع إليه ويشاهده وهو يرسم لنا شتى الصور الخلابة.

اسمه؟ إننا نناديه دائماً بالتلفاز». (كاتب غير معروف)

وضع حدود وضوابط على كمية ونوعية ما يشاهده الأولاد

قررت بام (Pam) المشاركة في الأسبوع الوطني لإيقاف تشغيل التلفاز، وكانت أعمار أطفالها آنذاك ٤، و١١، و١٣. لقد تذمروا في البداية، ولكنهم بعد ذلك توقفوا عن الشكوى لأنهم وجدوا أشياء أخرى بديلة يمكن القيام بها في ذلك الأسبوع، لقد بدأ الولدان الأكبر بالقراءة أكثر، وباللعب معاً، حتى إنهما علّما أختهما الصغيرة لعبة كرة القدم. ونظّم الأولاد أنشطة للأسرة، وكانوا ألطف في تعاملهم بعضهم بعضاً، فغياب التلفاز أوجد فرقاً كبيراً في حياتنا، فقد أصبح الوقت المخصص للأسرة متوافراً.

يظن الآباء والأمهات أن عليهم تسلية الأطفال باستمرار، وهم يجدون أنفسهم مجبرين باستمرار على مساعدة أولادهم: «أوه، سأجد لك شيئاً تفعله.» ويرتاحون بعد فترة من الوقت عندما يسمحون لأولادهم باختيار أنشطتهم وأعمالهم بأنفسهم. والصغار خاصة يفيد منهم الوالدان في الأعمال المنزلية، فادعهم للمساعدة في الطبخ، وهنا يبرز هذا التساؤل: ألا يجب على الآباء والأمهات أن يكونوا قدوة لأولادهم؟ إذا رأى الأولاد والديهم مشغولين بأشياء غير التلفاز، فسوف يتعلمون فعل ذلك أيضاً.

خبراء وبحوث في شأن التلفاز للأولاد

يذهب سبوك (Spock 1998) وكذلك الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال American Academy of Pediatrics (1999) إلى أن الأطفال والأولاد يتعين ألا يشاهدوا التلفاز على الإطلاق، لأن «مشاهدة التلفاز للأطفال مرتبط بتأخر تعلم التكلم وقلة التركيز وتأخر النمو المعرفي. ولا يوجد دليل علمي على توفر منافع وفوائد للتلفاز، بل إن أفضل دليل متوفر في هذا الشأن يدل على حصول ضرر.

ويعترف سبوك بأن هذه الطريقة (منع الأولاد من مشاهدة التلفاز) تعد «متطرفة جداً» لمعظم الآباء والأمهات.

ويشير روزموند (Rosemond 1993) إلى أنه يتعين منع الولد من مشاهدة التلفاز؛ حتى يستطيع القراءة والاستمتاع بالكتب، وإذا لم يكن من الأمر بدّ؛ فاقصر مشاهدته على خمس ساعات في الأسبوع لا أكثر.

ويذكر رانكين (Rankin 2006) أن أهم الدراسات تشير إلى أن مشاهدة التلفاز ثلاث ساعات أو أكثر في اليوم ستؤثر سلباً على التحصيل الدراسي للأولاد، ولكن البرامج التعليمية التي يقدمها، والمختارة بعناية، يمكن أن تساعد الأولاد في الوصول إلى تحصيل أفضل، لما لها من ارتباط بزيادة الإبداع أيضاً.

شارك ولدك بالقصص والقصائد المفيدة والملهمة (Bennett 1996)

قائمة بدائل عملية عن مشاهدة الأسرة للتلفاز

يسمح معظم الآباء والأمهات لأبنائهم بمشاهدة التلفاز نظراً لغياب الخيارات العملية لشغل وقت فراغ الأولاد. ويكمن الحل بالمشاركة في أنشطة مفيدة لأفراد الأسرة، ولعل أكبر ضرر يسببه التلفاز للأسرة هو التقليل من الأوقات المشتركة للعائلة، وهذا خطر لا يدركه الكثيرون. ويتعين على الأسر زيادة التفاعل الإيجابي بين أفرادها، والبحث عن بعض البدائل المفيدة، ونوفر أدناه قائمة بأنشطة كثيرة لاختيار ما المناسب منها على المدى القصير والمتوسط والطويل.

كيف تعامل لصاً يسرق أموالك؟ ولكن ماذا تفعل للص الذي يسرق وقتك وعافيتك وحياتك الأسرية؟ إن ما يسرقه التلفاز منك هو أهمّ بكثير من سرقة أموالك، إنه يسلب سعادتك، وقد تتمكن من استعادة أموالك المسروقة بطريقة ما، لكن لا يمكنك استعادة وقتك وسعادتك،

فأمس الذي مرَّ على قربه	يعجز أهل الأرض عن رده
دقات قلب المرء قائلة له	إن الحياة دقائق وثوان

بدائل عن متابعة التلفاز والأجهزة الحديثة

اختر الأنشطة المناسبة لعمر الولد، وهناك كتب سطّرت آلافاً من الأنشطة للأسر للاختيار منها:

١. حضور الصلوات في مساجد مختلفة
٢. تلاوة القرآن الكريم والاستماع إليه
٣. بناء حصن أو قلعة
٤. تنظيم حملة نظافة للمجتمع المحلي
٥. زيارة المكتبة، واستعارة كتاب، وحضور أنشطة في المكتبة
٦. الاستماع للمذياع
٧. زيارة حديقة الحيوانات أو متحف
٨. رسم صورة
٩. زيارة مركز نشاطات الحي، أو إلى الحديقة العامة
١٠. السباحة
١١. قراءة كتاب للأخ الصغير أو الأخت الصغيرة بصوت عال
١٢. التخطيط لنزهة
١٣. المشي أو الركض أو ركوب الدراجة
١٤. الغناء والنشيد أو حفظ قصيدة
١٥. نزهة لمراقبة الطيور
١٦. القفز على الحبل
١٧. التطوع في منظمة مجتمعية أو مؤسسة خيرية
١٨. الذهاب للتخييم بعيداً أو في حديقة المنزل
١٩. إرسال بريد إلكتروني لصديق أو لقريب أو للجدّين
٢٠. زراعة وردة أو خضروات أو حديقة أعشاب
٢١. قراءة مجلات أو صحف
٢٢. التبرع بالأشياء الزائدة للفقراء واللاجئين والجمعيات الخيرية
٢٣. البدء بكتابة اليوميات
٢٤. زيارة محل لبيع الكتب
٢٥. البحث في تاريخ العائلة والأقرباء
٢٦. تعلم النجارة، وعمل رف للكتب
٢٧. عمل منحوتات يدوية كهدايا
٢٨. تأليف قصة وتدوينها
٢٩. التجول في الطبيعة، وجمع البذور والأوراق، ولصق المواد التي تُجمع على دفتر
٣٠. مشاهدة السماء ليلاً باستعمال مناظير، وتحديد الأبراج المختلفة، ومراقبة القمر، وقراءة كتب عن الفلك
٣١. صنع الحلوى لجيرانك
٣٢. الطلب من كبار الأسرة أن يرووا قصة حياتهم وكتابة ذلك
٣٣. عمل مربى الفواكه
٣٤. عمل لبن خاثر
٣٥. ممارسة الرياضة بأنواعها
٣٦. المشي إلى العمل أو المدرسة بدل الركوب بالسيارة
٣٧. لعبة الشطرنج
٣٨. لعبة كرة القدم والطائرة والسلة والطاولة
٣٩. تنظيم مسابقات ثقافية
٤٠. لعبة الداما والدومينو والطاولة
٤١. تعلم استعمال جهاز الحاسوب
٤٢. تعلم قيادة السيارة
٤٣. تنظيم لعبة البحث عن شيء مخفي في الحي

٤٤. غسل الملابس باليد
٤٥. تنظيف المنزل بالمكنسة الكهربائية
٤٦. تنظيف النوافذ
٤٧. طهي العشاء مع الأصدقاء أو العائلة
٤٨. تسوية البيانات المصرفية
٤٩. تلخيص أو كتابة مراجعة لكتاب
٥٠. مناقشة ميزانية الأسرة الشهرية
٥١. إقامة حفل عائلي أو للأصدقاء
٥٢. تبادل المجلات مع الأصدقاء
٥٣. تنظيف غرفتك
٥٤. إرسال رسالة إلى مؤلف تحبه، حي أو ميت
٥٥. اللعب مع حيوانك الأليف أو حيوان الجيران
٥٦. تنظيف ساحة المنزل
٥٧. اللعب بطائرة ورقية
٥٨. الذهاب في رحلة عائلية
٥٩. تعليق المحرار (ميزان الحرارة) على شرفة المنزل أو على شجرة
٦٠. تأليف مسرحية
٦١. اللعب بالثلج وعمل رجل من الثلج
٦٢. قص صور من المجلات القديمة وتنسيقها في دفتر
٦٣. زيارة دار لرعاية المسنين
٦٤. رعاية أو مجالسة طفل صغير لأب وأم جديدين
٦٥. المشي لمسافات طويلة
٦٦. حل الألغاز
٦٧. مصاحبة صديق جديد
٦٨. تشكيل مجموعة لقراءة الكتب معا
٦٩. عمل مزرعة للنمل
٧٠. عمل إفطار جماعي للأصدقاء المقربين
٧١. صنع مركب مصغر يطفو على سطح الماء
٧٢. رسم صور لأفراد عائلتك
٧٣. تعلم كيفية استخدام البوصلة والخريطة
٧٤. تعلم النظام المتري
٧٥. إجراء مقابلة مع شخص مسنّ وتسجيلها
٧٦. جمع النكات، وتدوينها في كتاب، وحكايتها للأهل والأصدقاء
٧٧. تعلم الخياطة
٧٨. زيارة القرية والبادية
٧٩. رعي الأغنام
٨٠. تسلق شجرة
٨١. تعلم بعض الألغاز
٨٢. مشاهدة غروب الشمس وشروقها منفرداً أو مع مجموعة
٨٣. إعداد قائمة للتسوق من البقالة
٨٤. تعلم عبارات سهلة في لغات مختلفة (شكراً لك، وصباح الخير، ومساء الخير، ونعم، ولا، والعد من ١ إلى ١٠، وأيام الأسبوع) .

خيارات على نطاق أوسع

نورد في ما يلي أنشطة أكثر جدية من القائمة أعلاه يمكن أن يقوم بها الأولاد (مقتبسة من بشير وآخرين ١٩٩٨).

أنشطة في المجتمع

- تعلم لغة أخرى إضافة إلى اللغتين الضروريتين والمهمتين: اللغة الأصلية لبلدك الذي تعيش فيه ولغة القرآن وهي اللغة العربية.
- حضور مخيمات الشباب: تأكد من تنظيم أنشطة مفيدة وكافية للأولاد، خاصة أثناء الإجازات الطويلة، على أن تتضمن نشاطات فكرية وروحية، وتشمل أيضاً المسرحيات، والرياضة، والتمثيليات، والألعاب الرياضية، والمسابقات.
- الانضمام إلى نوادٍ للبنين والبنات.
- الانضمام لمجموعات إنشاديّة، واختيار النشيد اللائق والسهل تعلمه على الأولاد، وتشجيعهم الإنشاد في مختلف الاحتفالات الاجتماعية.
- سهرة عائلية.
- اللعب في الثلج والمطر وتحت أشعة الشمس بالألبسة والأدوات المناسبة.

قال عمر بن الخطاب:

«علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل».

- تعلُّم الدفاع عن النفس.
- التسجيل في حلقات التجويد ودروس الشعر.
- تعلم قواعد السلامة عند نشوب حريق.
- تعلم فن المناظرة.
- تعلم فن الحوار.
- تعلم فن خط اللغة الإنجليزية والخط العربي المتنوع بأشكاله البديعة.
- تعلّم بعض الدورات في تنمية الشخصية.
- تعلم الإنعاش القلبي والرئوي والمساعدات الأولية.

أنشطة في الطبيعة

- استكشاف الطبيعة: تتفق الأسرة على المشي لمسافات طويلة معاً، والقيام بنزهات عائلية مسلّية لرؤية عجائب الله في الطبيعة: الطيور والحشرات والزهور والأشجار، كما يمكن للأطفال قضاء الساعات بحثاً عن الحجارة والحصى في النهر والبحر، وركوب الدراجات.
- التحديق في النجوم: نشاط رائع، استخدم لذلك خريطة للأبراج، وخذ معك بطانية، وتزوّد ببعض الخضار والفاكهة، ثم ابحث عن مكان قليل الإضاءة، مثل: الحديقة الخلفية لمنزلك أو قمة تل. وعندما يخيم الظلام تماماً حاول تحديد مواقع الأبراج المختلفة وابحث عنها، ثم دع الأولاد بعد ذلك يتصورون الأشكال التي يحبون في ترتيب النجوم، مثلما يفعلون في السحب أيضاً.

ألعاب

- العب لعبة أصابع اليدين والقدمين، بمقارنة الطول النسبي لأصابعك، يطبق كل شخص أصابع كفّه على أصابع الكفّ الآخر، وسوف تكتشف أن السبابة أقصر من البنصر، والوسطى هي أطول الأصابع، ولكن مع اختلاف في النمط عند كل شخص (خنصر، بنصر، وسطى، سبابة، إبهام)، ثم لاحظ أصابع قدميك: اخلع جواربك واستلق على ظهرك وضع أصابع كل قدم مقابل أصابع الأخرى، ولاحظ اختلاف أصابع قدميك.
- إن عدّ أضلاع الصدر لأولادك أيضاً عملية ممتعة، خاصة إذا قام به أحد الجدّين.
- العب لعبة الحروف الألفبائية. يعدّ كل شخص في السيارة الحروف التي تظهر له من إشارات الطريق من ناحيته، ويتعين أن تجمع الحروف بالترتيب بدءاً من حرف الألف وانتهاءً بالياء، ولا يسمح لأحد أن يلتفت ليرى الإشارات على الجانب الآخر للطريق، ويكون أول شخص يصل إلى حرف الياء هو الفائز.

- أحص البلدان المختلفة التي تظهر لك على لوحات السيارات من البلدان المتعددة في الرحلة.
- العب لعبة «ن – ن نحلة طنانة، أرى شيئاً لا تراه.» وتستطيع بهذا أن تشغل ابنتك ذات السنتين لدقائق عدة. عليك أن تبدأ أولا بقول: «ن-ن-نحلة طنانة، أرى شيئاً لا تراه، ولونه أحمر»، ثم تعطي ابنتك فرصة للبحث في أنحاء الغرفة جميعها وتخمين ما هو الشيء ذو اللون الأحمر الذي تنظر إليه، وعندما تجيب إجابة صحيحة، يحين دورها لتسألك.

أو لعبة «أرى شيئاً بعيني الصغيرة يبدأ بحرف .. » وتقترح حرفاً، ويحسن أن يخمن الولد ما هو الشيء الذي يبدأ بالحرف الذي ذكرته.

- لعبة الشطرنج. من الطرق الفعالة لتدريب أولادك على التفكير والإبداع، إجراء مباراة في الشطرنج التي تعلم الصبر وتنظم الذهن، كما يمكنك من معرفة شيء حول شخصية خصومك، وذلك بتحليل استراتيجيتهم في اللعب، وهل هم عدوانيون أو دفاعيون؟ وهل يقدمون على المخاطرة أم لا؟

أصوات الطبيعة

اطلب من الأولاد الجلوس، ثم إغلاق عيونهم، والهدوء قدر المستطاع، بعد ذلك يحصون كل الأصوات المختلفة التي يمكنهم سماعها. استمعوا لصوت الطيور والحشرات والضفادع وخرير الماء.

عرّضهم للطبيعة

يفرُّ أولادنا من عالم الغابات والأنهار والجبال إلى عالم التلفاز وأجهزة الحاسوب وألعاب الفيديو والهاتف الجوال. فأعدهم إلى حضن الطبيعة الخلّاب.

تناول الطعام مع الأسرة

وفقاً لدراسة قام بها: The National Center on Addiction and Substance Abuse at Columbia University:

- الأطفال الذين يتناولون وجبة العشاء مع أسرهم من خمسة إلى سبع مرات في الأسبوع يحتمل أنهم يتمتعون بعلاقات أكثر متانة مع آبائهم؛ لأن الوجبة مع الأسرة ليست مجرد تناول للطعام، بل تعد جلسة للحوار بين أفراد الأسرة ،تساعد الآباء على معرفة ما يدور في حياة أبنائهم، والتحديات التي يواجهونها ومعرفة الأنشطة التي يحبون ممارستها .(CASA 2012).
- الأطفال الذين يتناولون وجبة العشاء مع آبائهم بكثرة أقل عرضة للتدخين وشرب الخمور والمخدرات. والمراهقون الذين يتناولون العشاء مع آبائهم أقل من ثلاث مرات في الأسبوع هم اكثر مرتين عرضة لتجريب المخدرات مستقبلاً مقارنة بمن يتناولون العشاء بكثرة مع أسرهم. (CASA 2010).
- الأطفال الذين يتناولون العشاء مع آبائهم بصفة يومية يحققون درجات أعلى في الدراسة، وشعورهم بالهمِّ والتوتر في البيت أقل من غيرهم، وتكون ثقتهم أعلى في آبائهم. (CASA 2003).



أضرار الاستعمال المفرط للإنترنت والهواتف الجوّالة

الكثير من النقاش الدائر حول التأثيرات السلبية لمشاهدة التلفاز يمكن أن ينطبق على الهواتف الجوالة والإنترنت وألعاب الحاسوب. قد يفترض كثيرٌ من الآباء والأمهات أن أجهزة الحاسوب هي أجهزة مفيدة وبلا ضرر لحياتنا، وهي في الواقع ليست كذلك، وقد يتوقع الآباء والأمهات من أولادهم استعمال أجهزة الحاسوب استعمالاً معتدلاً ومسؤولاً، والواقع أن بعض الأولاد يستعملون هذه الأجهزة، ويهدرون ساعات في غرف الدردشة في مواقع لا فائدة منها، ويشاهدون المواد الخلاعية والإباحية. فالاستخدام المفرط للإنترنت، تماماً مثل استخدام التلفاز، يعزز اللامبالاة، ويؤثر سلبياً في العمل المشروع، ويزيد السمنة، ويعيق التنشئة الاجتماعية العادية بين الأولاد، كما يعرّض الأولاد للأفكار السيئة وللكثير من الدعايات التجارية. فجهاز الحاسوب أداة قوية تجلب المنافع والمعلومات الضرورية، ومع ذلك يحسن بالآباء والأمهات الإشراف على استعماله، ووضع ترميز لمنع البرامج السيئة، واستخدام تدابير السلامة، وأن يكونوا على دراية أكبر بالإنترنت. فلا تسمح للأولاد بقضاء وقت زائد على الإنترنت، وينبغي إبقاء أجهزة الحاسوب، ما أمكن، في غرفة المعيشة على مرأى ومسمع من أفراد الأسرة، وإن كان انتشار الأنواع المتطورة الجديدة من الحاسوب المحمول والهواتف الجوالة قد جعل ذلك تحدّياً صعباً.

ألعاب الحاسوب

تستنزف ألعاب الحاسوب الكثير من وقت الأولاد، خاصة الصبيان. وما قد يبدو أنه لعبة غير مؤذية يمكن في الواقع أن يضر بالأولاد.

تنطوي كثيرٌ من ألعاب الحاسوب على العنف، وهي تدفع للإدمان، وأدى كثير من حالات الإدمان الشديد إلى وفاة عدد من الأفراد في كوريا الجنوبية. (BBC News, 2005).

وتضعف هذه الألعاب الإحساس بالواقع، بحيث يُختزل العالم الواقعي في لعبة وحلَبَة للمتعة. والألعاب التي تشجع القتال والقتل، على غرار عمليات القتل التي تقوم بها قوات الكوماندوز الخاصة، تبخس من قيمة حياة الإنسان، حيث يدرب الجيش جنوده على القتل باستعمال ألعاب الحاسوب كتلك التي يلعبها الأطفال، زيادة على ذلك تشمل ألعاب الحاسوب موضوعات أخرى مثل: السحر وعالم السحرة والجن والشياطين والتعاويذ الشركية والشعوذة.

–وللأسف– فمع تقدم التكنولوجيا؛ أصبحت هذه الألعاب أكثر واقعية وأقرب إلى الحياة اليومية. ويعدّ هذا أمراً خطيراً أن تمزج العالم الحقيقي بالخيال؛ إذ يتعين تشجيع الأولاد على مواجهة الحياة بتحدياتها كافة وعدم الفرار من الواقع.

ألعاب الفيديو والأولاد

بدأت ألعاب الفيديو بالانتشار في السبعينيات من القرن الماضي، وأصبحت منذ ذلك الحين شائعة بين الأولاد، وأصبح العنف، وتعاطي المخدرات، والجنس، أكثر شيوعاً في هذه الألعاب.

وشهدت المدن الأمريكية: Paducah, (Kentucky) Jonesboro (Arkansas), Littleton (Colorado), Blacksburg (Virginia) وغيرها إطلاقاً للنار في المدارس قام به الطلاب الذين يمارسون كثيراً ألعاب الفيديو العنيفة. وفي مدرسة كولومباين الثانوية Columbine High School في ولاية كولورادو قتل المراهقان إيريك هاريس وديلان كليبولد في مذبحة (Gibbs,1999) ١٣ شخصاً وجرحا ٢٣ شخصاً قبل أن ينتحرا، وكان هذان المراهقان يستمتعان بلعب ألعاب الفيديو في التعذيب وإطلاق النار الدموي التي تدرب الجنود على القتل. وصنع هاريس نسخة معدلة من هذه اللعبة التي فيها قناصان، وأسلحة إضافية، وذخيرة غير محدودة، وضحايا لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، وهي مواصفات مماثلة لإطلاق النار الفعلي الذي خطط للقيام به بعد ذلك. (Anderson and Dill, 2000). وكلما تدرب الأولاد على أعمال عنيفة أكثر، زادت احتمالية قيامهم بهذه الأفعال على أرض الواقع (Clark,1993).

هناك علاقة بين السلوك العدواني للأولاد وتعرضهم للمشاهد العدوانية في ألعاب الفيديو، فكلما شارك الولد في العنف كجزء من لعبة فيديو زادت احتمالية تعاطيه للعنف ضد الآخرين، ويقضي الذكور في ألعاب الفيديو وقتاً أطول من الإناث، وتعزز ألعاب الفيديو السلوكيات المخالفة لقيم المجتمع والأديان مثل: القتل والكلام الفاحش والسرقة.

ترتبط الألعاب العنيفة بالعدائية والقتال الجسدي. وتؤدي هذه الألعاب العنيفة إلى:
١) زيادة الاستثارة الجسدية.
٢) زيادة الأفكار العدوانية.
٣) زيادة المشاعر العدوانية.
٤) زيادة السلوكيات العدوانية.
٥) انخفاض السلوكيات الاجتماعية الإيجابية.

الإجحاف بإظهار المرأة والرجل في التلفاز وألعاب الفيديو

يصور المضمون الاجتماعي لألعاب الفيديو المرأة كائناً سلبياً. فالنساء مثلاً في لعبة (نينتندو) يكنّ دائماً متلقيات مستقبلات ولسن مرسلات مبادرات؛ وأفضل تصوير لهن لا يتعدّى أن يكنّ مجرّد ضحايا، ويستند العديد من الألعاب على السيناريو الذي تخطف فيه امرأة أو تحتاج إلى من ينقذها (Funk ,1993).

ومن صور الإجحاف الأخرى في إظهار المرأة والرجل في التلفاز وألعاب الفيديو:

١. في التفاعل بين الذكور والإناث في برنامج التلفاز، يكون الرجال عادةً أكثر هيمنة وسيطرة.
٢. الرجال على شاشات التلفاز عادةً عقلانيون وطموحون وأذكياء وقادرون على المنافسة، وأقوياء ومستقرون ومتسامحون، في حين أن النساء رومانسيات ومنقادات وخجولات، أو شريرات وماكرات.
٣. ينصبّ تركيز الرجال على القوة والأداء والمهارات؛ وعند النساء على الجاذبية والرغبة والإغراء.
٤. الزواج والأسرة لا أهمية لهما عند الرجل الممثل في كثير من البرامج التلفازية، ولا تستطيع أن تميّز عند ما يقرب من نصف الرجال في ما إذا كانوا متزوجين أو عُزّباً، وتنخفض هذه النسبة إلى ١١٪ عند النساء.

ومعظم الإناث اللاتي يظهرن على التلفاز ليلاً شابات جذابات ونحيلات ومتزينات، ويوضعن باستمرار في مواقف، يكون مظهرهن الخارجي أهم من تفكيرهن ورجاحة عقلهن، ويتوقع منهن أن يكن عاجزات وغير كفوءات، ويملك الرجال ضعف كفاءة النساء، وهم أقدر على حل المشكلات. وتصور النساء على أنهن أداة للمتعة الجنسية أكثر من الرجال، ويصور الرجال على أنهم غير أكفياء في التعامل مع احتياجات الأطفال (Beal 1994؛ Davis 1990؛ Seidman 1999).

تُعرض النساء على شاشة التلفاز الموسيقي الأميركي (MTV) كأداة للمتعة الجنسية، ويحاولن كسب انتباه الذكور، ويصورن في أشرطة فيديو وموسيقى «الراب» كأدوات للشهوة. وتظهر النساء بالملابس القصيرة بنسبة أربعة أضعاف الرجال، في حين يظهر الرجال غالباً في كامل ألبستهم.

تحويله الاهتمام عن أولويات الأسرة: تكرّس ألعاب الفيديو العمل الفردي بدلاً من التعاوني الجماعي، ويشيع في الألعاب مفهوم مفاده أن مجهولاً يقوم بعمل عدواني ضد عدو مجهول، وهناك إحساس قليل بالمجتمع في ألعاب الفيديو، والقليل من اللعب أو العمل كفريق، ولا تسمح معظم ألعاب الفيديو لأكثر من لاعب واحد للعب في كل مرة. وقام المعهد الوطني للإعلام والأسرة بدراسة وإعداد التقارير عن تأثير ألعاب الفيديو لسنوات عديدة، وقد وجد أن العديد من ألعاب الفيديو تمجد ثقافة العصابات، وتحتفل بالوحشية، وتعزز الفجاجة، وتشجع على العنف والوحشية تجاه النساء.

لو قارنا بين الحسنات والسيئات لاستعمال الإنترنت والتلفاز والهواتف الجوالة وما ينتج عنها لوجدنا أن الحياة دونهم أنقى وأطهر وأجمل بصورة عامة. فهي تعني الحرية في قضاء الوقت وامتلاكه والإدارة الذاتية لحفظ الضرورات الخمس المتعارف عليها (الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل). فقد أصبح الإنترنتِ وملحقاته شراً لا بد منه، علماً بأننا لا ننكر فوائده في التواصل السريع مع البعيدين وجعل العالم الكبير بين أيدينا ونتاج العلماء العلمي في بيوتنا كموسوعة طوع بناننا، وهنيئاً لمن استثمره في تطوير نفسه وقدراته وطوبى لمن سخّره للخير وتجنّب شره. وأحسن استثمار الوقت، فما الوقت إلا من أعمارنا ونحن محاسبون ومسؤولون عنه.

لقد أصبح الكثير من الأطفال والشباب ضحية للإدمان على الإنترنت والهاتف النقال الذي استعبدهم بدل أن يسخروه لمنفعتهم، فأضاعوا شبابهم وتراجعت اللغة العربية عندهم، وشككت الدعوات الهدامة بعقيدتهم، وخلقت العزلة بين جيل الصغار والكبار، وصعّدت هذه الأجهزة من التفكك الأسري في القرن الواحد والعشرين.

فالحاسوب موسوعة للمعلومات وليس لعبة، وعلى الأباء والأمهات ترشيد استعماله للأولاد وتحديد وقت الانشغال به؛ كي يكون أداةً فعّالة للتطوير وتنمية المواهب والتعلّم مع تجنب السلبيات ما أمكن.

وباختصار فإن ...

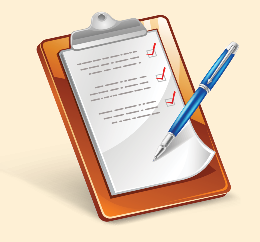
- الأطفال الذين يلعبون ألعاباً أقلّ في الفيديو؛ يكون تحصيلهم أفضل في المدرسة، كذلك يقل عراكهم مع الآخرين.
- على الوالدين أن يشجعوا الألعاب التعليمية ويثبطوا من الألعاب العنيفة عند الأطفال.
- ألعاب الفيديو والتلفاز لها تأثير أقل على الأولاد الذين لديهم شخصية قويمة.
- يتعين أن يضع الوالدان حدوداً لمقدار الوقت الذي يقضيه الأولاد في ألعاب الفيديو.

في ختام هذا الفصل نحب أن نؤكد أن التقنية الحديثة، قد جعلت من الهاتف الجوال بمثابة محطة جامعة لأجهزة التلفاز والفيديو والإنترنيت والحاسوب جميعها، وما سينتج في المستقبل القريب من اختراعات جذّابة تستحوذ أوقات الجيل الناشيء وعقله؛ وبناءً عليه فإن ما أوردناه في هذا الفصل عن تأثير التلفاز ينطبق على الأجهزة المستعملة وعلى رأسها الهاتف الجوّال.

إجمالاً إذا ما قارنا مزايا وعيوب كل هذه الاختراعات والتكنولوجيا الحديثة مثل الإنترنت والتلفاز والهاتف الجوال وغيرها، نجد عموماً أن حياة الأجيال الشابة قد تكون أنقى وأكثر جمالاً وأكثر جدوى من هذه المستجدات، والتي أصبحت شراً لا بد منه على الرغم من فوائدها التي قصرت المسافات بين الأقرباء، وجعلت الأخبار والموسوعات ودوائر المعارف في متناول يد الشباب حالاً، إلا أن العديد من الشباب أصبح ضحية للإدمان والأسر المفككة، فضلاً عن انتشار الأفكار المتطرفة.

إن الاستخدام غير المنضبط لهذه الأجهزة جعل الشباب كالعبيد يقع الواحد منهم أسيراً أمام الشاشات، ويكون دور الآباء هنا هو إرشاد الأجيال الجديدة وتوجيههم لاستخدام هذه الاجهزة بحكمة، فلا بد من التحكم في كيفية ونوعية استخدام هذه الأجهزة حتى لا نتركها تتحكم فينا.





الأنشطة

بدائل الهاتف الجوّال والتلفاز وملحقاتهما

النشاط ٧٢: الزيارات التعليمية

أطلع أولادك على المؤسسات المختلفة، وتذكّر القواعد المهمة الثلاث: «أخبرني وسوف أنسى، أرني وسوف أتذكر، أشركني وسوف أفهم».

- اصطحب أولادك إلى المحكمة؛ ليروا القضاة والمحامين ويشهدوا المرافعات.
- اصطحب أولادك إلى مراكز الشرطة والسجون.
- زر معهم أماكن العبادة لأتباع الديانات الأخرى.
- زوروا المتاحف والحدائق والمكتبات والمزارع.

النشاط ٧٣: زد وعيهم في ما يخص الطعام

اسأل الأولاد عن مكونات الأطعمة، وعن كيفية إعداد الأغذية ووجبات الطعام مثل: الحساء، والخبز، واللبن، والجبن، والكباب، والكبة، والفطائر، والكعك، والعسل، والذرة الصفراء، وصلصة البندورة، والشاي، والقهوة؛ إلخ..

بيّن للأولاد المكونات وطريقة إعداد الصناعات الآتية: الصابون، والشامبو، والورق، والحبر، والملابس، والبلاستيك، والإسفلت، والأحذية، والأثاث، والسجاد.

اطلب من كل ولد من أولادك أن يختار صنفاً واحداً من الطعام مع وصفته، ابتداءً من شراء المحتويات بنفسه أو بمعرفته ليحاول طهيه للعائلة بإشرافك.

النشاط ٧٤: ما الذي تقدره أكثر في حياتك؟

اطلب في اجتماع الأسرة من كل عضو: «إذا بقي لديك يوم واحد فقط من حياتك، فماذا ستفعل فيه؟ ولماذا؟» ثم اطلب من كل فرد المشاركة في مناقشة الإجابات.

النشاط ٧٥: جواهر الحكم للأولاد!

اجمع الأسرة، واطلب من أحد أولادك قراءة الآتي واشرح المعاني المتعلقة به، وشارك بنماذج عملية من تجاربك، وشجِّع الأولاد على المشاركة بآرائهم أيضاً.

يا بنيّ، أحذر من:

- الكريم إذا أهنته
- اللئيم إذا أكرمته
- العاقل إذا أغضبته
- الأحمق إذا مازحته
- الفاجر إذا عاشرته

يا بني:

ذقت الطيبات كلها فلم أجد أطيب من العافية، وذقت المرارات فلم أجد أمرَّ من الحاجة إلى الناس، ونقلت الحديد فلم أجد أثقل من الدَّين، الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك؛ فإن كان لك فلا تبطر، وإن كان عليك فاصبر. (مقولة لأحد الحكماء).

النشاط ٧٦: هل تدير أمور عائلتك بحكمة؟

قائمة مرجعية شاملة: كيف أقيّم وأقوّم دوري كوالد؟

التربية الوالدية مهمة صعبة ولكنها مجزية، ويشارك الوالدان في الرعاية، والتأديب، والإدارة، والقيادة، وتقديم المشورة لأولادهما، وهما كالطبيب العطوف الذي يهدف دائماً إلى المساعدة في تحسين الأمور، ومنع أي ضرر لمرضاه. كذلك يوفر الآباء والأمهات لأولادهم التعليم والتمكين والتشجيع والدعم، ويأخذون بأيديهم إلى الأحسن.

استعرض ممارساتك الوالدية فقرة فقرة. (يستغرق الأمر جلسات عديدة لتغطية النقاط جميعها بتأنٍ).

دورك كوالد:

- هل اخترت زوجي بحكمة؟

الوقت والجهد الذي أقضيه في البحث عن رفيق الحياة لا يعد طويلاً بالمقارنة مع الوقت الذي سأقضيه في التعامل مع الزوج الخطأ في اختياري، فابحثا بدقة حتى تحققا الانسجام معاً.

- هل أوضحت رسالة الأسرة لأولادي توضيحاً كافياً؟
- هل أقوم بشرح القيم والآداب المطلوبة؟ فالذي يجعل المنزل مكاناً رائعاً للعيش فيه ليس الجدران والسقف والأثاث، ولكن القيم والأخلاق والعلاقات الأسرية وأواصرها.
- هل أعزز قدرات كل ولد من أولادي؟ فلكل ولد اهتماماته وهواياته المتميزة، وواجبي هو تعزيزها، إضافة إلى تقوية مواهبهم.
- هل أستعمل موارد العائلة استعمالات نافعاً، وهي: الوقت والمال والمواد؟
- هل أولي اهتماماً كافياً لمشاعر أولادي وتصوراتهم؟ فتصوراتهم لا شك مهمة، ويجمل أن «أضع نفسي مكانهم؛ كي أتفهمهم جيداً.»
- هل أدرب أولادي؟ لا يحب الأولاد أن نتجاهلهم، حتى لو قاموا بأعمال غير صائبة، فيتعين العمل معهم، وشمولهم، وامتداح ما يفعلون من صواب، ومكافأتهم.
- هل قدمت لأولادي التوجيهات المناسبة؟ فيجمل بالآباء والأمهات من الانضباط، إبداء آرائهم في ما يفعل أولادهم، ووضع القواعد التي تنظم حياة الأولاد.
- هل أنا قدوة حسنة؟ فالطريقة التي يتحدث فيها أحدنا مع الآخر، وحول الآخر، ونوع الملح التي نرددها، والوعود التي نعدها، وأصدقاؤنا الذين نختارهم، والمديح الصادق للمستحِّق، كل ذلك يعدّ مهماً جداً.

- هل أؤدي كل واجباتي الوالدية بنية خالصة للّه تعالى الذي وهبني هذه العائلة، وحمّلني أمانة إدارتها ورعايتها؟
- هل وضعتُ الخطط التي تحقق أهداف عائلتنا؟ مع ملاحظة أن الخطة العائلية تفرض الإجابة عن هذه الأسئلة:
  - ما المطلوب إنجازه؟
  - لماذا يحسن القيام بهذا؟ كيف يُسهم هذا في مهمتنا العامة؟
  - متى يتعين إنجازه؟
  - أين نحن الآن في الطريق لتحقيق هذا الهدف؟
  - من الأشخاص الذين نحتاج إليهم لإنجاز هذه الخطة؟
  - كيف ستنجز؟ وماذا تشمل هذه الخطة من أنشطة محددة؟ وما الموارد المطلوبة لها؟

يعتمد أولادك وزوجك عليك تماماً، كما تعتمد أنت عليهم، فلا تخذلهم.



خاتمة

إننا نؤمن أن الأسرة هي الخلية الأولى في بناء المجتمع، ويهدف الإنسان أن تكون الأسرة المكان الحاضن لإعداد المواطنين الصالحين وتنشئتهم، وتجري هذه المهمة على أفضل وجه عندما يتوفر بيت سعيد كمحضن، ومعين دافئ لأفراده، ولا معلم للأولاد أفضل من آبائهم وأمهاتهم، لذلك يتعين عليهم أن يؤدوا واجبهم كقدوات ورعاة ومربين ومدربين ومؤدبين وموجهين ومرشدين لهم.

ويؤسفنا القول إنه لا العالم الغربي ولا العالم الإسلامي جاهزان لتقديم نموذج مُرضٍ للتربية الوالدية، فيجب حينئذٍ أن يتعلم أحدنا من الآخر، ولقد تبنّى الغرب أسلوب حياة خاصاً به، وهو يهتم في الغالب بالحرية الفردية وإشباع اللذة الذاتية العاجلة، حيث أدى ذلك إلى تراجع الأخلاق والقيم، وقد عانى الناس كثيراً في هذا النظام اللأخلاقي الذي ظهرت أعراضه بشكل جلي في الإدمان على الخمور والمخدرات، والاعتداء الجنسي، والزواج المثلي، والعنف، والأطفال غير الشرعيين، وضعف الأسرة وتفككها في نهاية الأمر.

ومن ناحية أخرى، ينتشر في العالم الإسلامي الكثير من صنوف القهر والإكراه والاستبداد والفساد والخوف والتخويف، وتظهر عند بعض المجتمعات من المسلمين عقلية القطيع أو العبيد، وهي عقلية تكبح الشجاعة وتقمع الإبداع وحرية الفكر، إذ أنتجت بعض الفئات في العالم الإسلامي جيلاً من الأولاد غير العقلانيين الذين يغلب على تفكيرهم الاعتقاد بالخرافات والشعوذة والكهانة، وجيلاً من المستهلكين لا المنتجين، والمعتمدين على غيرهم لا المستقلين، الذين تتحكم بهم المصلحة الخاصة ولا يهتمون بالمصلحة العامة في المجتمع.

وينقص غير المسلمين استحضار وجود الله تعالى في حياتهم، ومراقبته، بعد أن غاب عنهم هذا فأسسوا حياتهم على مركزية الإنسان؛ إذ إن إنجازاتهم الكبيرة في مجالات العلم والتكنولوجيا، تفتقد إلى مبدأين رئيسين، هما: الله أكبر والله أعلم. ويحتاج المسلمون إلى إعادة استحضار رقابة الله تعالى في حياتهم، ونشر السلم والتسامح، وتشجيع الحرية وممارسة الشورى، فقد افتقدوا هذه الممارسات لعدة قرون، وأصبحوا ضحية للمستعمرين والفساد والاستبداد ومرتعاً لهم.

التربية الوالدية السليمة هي البذرة التي يمكن أن يزهر منها ربيع الحياة الطيبة، وهي عمل يستمر ٢٤ ساعة و٧ أيام في الأسبوع، و ٣٦٥ يوماً في السنة، وعمل لا إجازة فيه ولا عطلة ولا تفويض لآخرين، ويحيط به عدد لا يحصى من العقبات والتداخلات والضغوطات، كما تتطلب التربية فريقاً متناغماً مكوناً من الأب والأم، مع العقلانية والعلمية والمعرفة التي تكملها العواطف والمشاعر. وإن علم النفس، وعلم الاجتماع، والعلوم الطبية، والتواصل العائلي، والإيمان، جميعها متطلبات لازمة ومهمة للتربية الوالدية.

ويتعين أن ندرك أنه لا يمكننا كسب الفوز مع الجيل الناشيء من أولادنا، ولا بديل لكسبه، إلا بالحب، والصبر، والتواصل المستمر بين الطرفين، ويحسن بنا أن لا ننسى أبداً أن كل ولد في داخله صيحة عالية تقول: «الرجاء أشعرني بأنني مهم»، و«الرجاء تفهمني».

ويظن كثير من الآباء والأمهات أنهم يعرفون أولادهم جيداً، ونقيضه عند الأولاد صحيح أيضاً، ولكن هذا نادراً ما يكون واقعاً بين الطرفين. فقد يتصور الأولاد أن مساعدة الوالدين لهم تدخلٌ في شؤونهم، ونصيحتهم لهم تسلطٌ وتحكمٌ، ومحبتهم تدليلٌ وطفولةٌ، كما أن هناك فكرة شائعة عند بعض الأولاد، وهي أن والديهم لا يحبونهم؛ لأنهم لا يلبون كل مطالبهم.

حاول أن تقلل من الجوانب السلبية وتعزز الجوانب الإيجابية في أسلوب تربيتك لولدك، فيحسن بالآباء والأمهات تحديد نوع التربية التي يتبعون: متساهلة أو استبدادية، أو ديمقراطية، شورية، أو سلطوية، ومطلوب من كل أبٍ وأم أن يجيب عن السؤال: «هل أنا أقوم بتربية أولادي تربية صحيحة؟»

من المهم جداً أن يفهم الوالدان مراحل النمو الجسدية والعقلية والعاطفية للأولاد؛ كي يحققوا الحد الأقصى لإمكانيات كل ولد في الوقت المناسب؛ على سبيل المثال فإن حفظ النصوص سهل عند الأطفال، وكذلك تعلم لغات عدة والموسيقى قبل سن العاشرة.

ولا يفوت أن للأصدقاء تأثيراً كبيراً على الأولاد، لذلك يتعين على الوالدين توفير جو الترحيب في منازلهم بأصدقاء أولادهم، وينبغي للآباء والأمهات إقامة علاقات صداقة معهم، وأن يكونوا كالوالد لأصدقاء أولادهم، الأمر الذي يُسهم في جذب أصدقاء صالحين لأولادهم.

الناس معادن، فيجمل تربية الأولاد منذ الصغر على الحب والشجاعة والإبداع والصدق والأمانة والاستقلال والشعور بالمسؤولية والحرية والثقة بالنفس والكرم واحترام وإكرام الآخرين، ويتعين على الآباء والأمهات تعليم أولادهم مهارات إدارة الوقت بكفاءة وفاعلية، وإدارة الأموال، وآداب الخلاف والاختلاف، وفن صنع القرار واتخاذه، وفن الدعاء، وفن حل المشكلات، وحسن الخلق (الأدب والاحترام والصبر والتواضع)، وفن الاستماع والإلقاء، والحياء، على أن يجري ذلك وفق بيئة منزلية سعيدة تكون الحاضنة لإنتاج الذرية الصالحة المُصْلِحة الراشدة.

إذا كان لي أن أربي ولدي من جديد، فسأبني فيه الثقة بنفسه أولاً، ويأتي اهتمامي بالمنزل بعدها ثانياً، وسأرسم معه بأصابعي أكثر، وأشير إليه بأصابع الاتهام أقل. وسوف أصححه وأقوّمه أقل، وأتواصل معه أكثر. وسأرفع عيني عن مراقبة وقتي معه، وأراقبه بأم عيني، وسأتجول في الطبيعة معه أكثر، وألعب معه بالطائرات الورقية دوماً، وسأتوقف عن الجدّية المفرطة وألعب معه بجدية. وسأجري برفقته عبر الحقول، وأتأمل معه المزيد من النجوم. وسأحضنه أكثر، وأجادله أقل (Loomans, 2000).

ولبناء الشخصية حدٌ زمني موقوت، وللرضاعة الطبيعية تأثيرها البالغ في تكوين الخلايا والشبكات في الدماغ، وفي وقاية الطفل من الكثير من الأمراض. وتبني الرضاعة الأساس النفسي والعاطفي لمستقبل حياته. فالأولاد الذين يعانون من آباء وأمهات منشغلين عنهم؛ يكونون كالأيتام، وقد يعوض بعض الآباء والأمهات قلة قضاء الوقت مع أولادهم بوسائل مادية يمنحونها لأولادهم مثل التلفاز والهاتف الجوال، والمربيات، والهدايا الكثيرة. فمشاهدة التلفاز المفرطة أمر ضار ومقوّض لذواتهم، وليس هناك بديل لقضاء وقت مثمر وطويل مع العائلة. وأعضاء الأسرة الممتدة من الأجداد والعمات والأعمام والخالات والأخوال وأبناء العم وأبناء الخال؛ هم في العادة أفضل المربيين والجلساء للأولاد، ومن خير الموجهين والقدوة الحسنة.

ويُبنى البيت السعيد على التواصل الفعال بين الآباء والأبناء، ويعد الثناء الصادق عنصراً أساسياً في توجيه سلوك الأولاد، فيجب ألا يغفل الوالدان عن مدح أولادهما على الأمور التي ينجزونها ويحسنون أداءها مهما قلّت، ثم إن تنظيم اجتماعات شهرية للأسرة سنّة رائعة تولد الألفة والمودة والرحمة، كما يؤسس والتقبيل والمعانقة والابتسام للمزيد من المودة والطمأنينة والسكينة. وهناك ضرورة لإتقان الآباء والأمهات، فن الاستماع لأولادهم قبل أن يتوقعوا من أولادهم الإصغاء إليهم وإطاعتهم.

إن الأولاد بشكل عام مراقِبون وملاحظون جيدون، ولكن تنقصهم صحة تفسير الأمور وتحليلها، فهم كالرقيب العتيد لطريقة تعامل الآباء مع الأمهات وكيفية معاملة والديهم وأجدادهم وأقاربهم والأشقاء والضيوف والأغنياء والفقراء والخدم والجيران. ويلاحظون أيضاً كيفية معاملتهما للحيوانات الأليفة وغير الأليفة والنباتات والزهور والبيئة، كما يقارنون أقوال والديهم مع أفعالهم، وعندهم قدرة على تمييز

ما هو حقيقي وصادق مما هو نفاق وخداع. وإن مبدأ «افعل ما أقول لك وليس ما تراني أفعله» الذي ينادي به بعض الآباء والأمهات ليس مقبولاً، بل يجمل بالآباء والأمهات أن يفعلوا ما يقولونه وما ينصحون به أولادهم، وحين يرتكبون خطأ ما فما عليهم إلا الاعتراف بأنهم أخطأوا أمام أولادهم اعترافاً صادقاً والتصريح بعدم تكراره.

الأولاد بحاجة إلى قدوة، فإذا لم يتوفر ذلك في الوالدين؛ عندها قد يختارون غيرهما من الناس، وربما يكونون من غير الصالحين. وخير قدوة على ظهر البسيطة هم أنبياء الله تعالى، ويأتي بعدهم أتباعهم وأصحابهم وتلاميذهم، ومن ثّم القادة العالميون الذين يتمتعون بالأخلاق والقيم والأسس القويمة لحياة عائلية فاضلة.

وتؤدي الأمهات الدور الحيوي الأهم في عملية تربية الأولاد، وليس من قبيل المصادفة أن الأنبياء موسى وعيسى ومحمد (عليهم الصلاة والسلام) ربتهم جميعاً أمهاتهم منفردات في مراحل حياتهم الأولى، ويجمل أن يظهر الرجال احترامهم للنساء قولاً وفعلاً تكريماً وإجلالاً لهن ولدورهن المحوري في حياتنا، فإذا عامل الزوج زوجته كالملكة فستعامله كالملك.

التربية الوالدية عمل مهم جداً، فلا تقم به بمفردك، بل كن مع زوجتك كالفريق المتناغم، واستعن بتشكيل مجموعات دعم صغيرة من حولك؛ كي تتم الفائدة المرجوة منها.

إنك لن تستطيع تغيير أسلافك، ولكن بالتأكيد تستطيع أن تحسِّن نفسك وذريتك، وتستطيع بوصفك والداً، أباً كنت أو أماً، أن تحدث تغييراً كبيراً في هذا العالم؛ لذلك لا تفقد الأمل، فإن ذلك قابل للتحقيق إذا توفرت العزيمة والإرادة!

وتتأثر شخصيات الأولاد بالطبيعة، وبالتنشئة، وقبل كل شيء بإرادة الله عز وجل، وليست التربية الوالدية علماً قائماً بذاته فحسب، بل هي علم وفن وتربية روحية أيضاً.

وهذا الكتاب هو الأول في سلسلة، وإن شاء الله سيتبعه كتبٌ أخرى، وهذه دعوة للعلماء والخبراء والمختصين لإغناء ورفد مجال التربية الوالدية بمساهماتهم التي نحن جميعاً في أشدّ الحاجة إليها شرقاً وغرباً.

ليسأل كل منا نفسه وهو يشهد غروب حياته: «هل كنت والداً صالحاً، وقمت بواجبي ودوري في السعي إلى رقي العالم وجعله مكاناً أفضل للعيش؟»

اِبذل أقصى ما تستطيع، ثم توكل على الله واطمئن، فما يهم في النهاية ليس ما ملكت من أنواع السيارات أو المنازل أو المدخرات في المصارف، بل في ما إذا كنت والداً صالحاً! وثم جدّاً معيناً. لا تنتظر طويلاً كي لا يفوت الأوان!

المراجع

المراجع العربية

• أولاً: الكتب والرسائل الجامعية

- إبراهيم، إيمان يونس. **علم نفس النمو**، بغداد: الجامعة المستنصرية، كلية التربية الأساسية، ٢٠١٦م.
- البار، محمد علي. **خلق الإنسان بين الطب والقرآن**، جدة: الدار السعودية، ١٩٩١م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. **الأدب المفرد**، بيروت: دار الصديق للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
- ---------------. **صحيح البخاري**، بيروت: دار ابن كثير، ١٩٩٣م.
- بدرانة، سعد الدين أحمد سعد الدين، **الأساليب التربوية في غرس القيم العقدية لدى الطفل المسلم**، رسالة ماجستير بإشراف شادية التل ومروان القيسي، إربد: جامعة اليرموك، ١٩٩٤م.
- بشير، محمد رضا. وبشير، إكرام. **تربية النشء المسلم بين المخاطر والآمال**، بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٨م.
- البهي، السيد فؤاد. **الأسس النفسية للنمو من المهد إلى الشيخوخة**، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٥م.
- البهي، محمد. **الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر: مشكلات الأسرة والتكافل**، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٢م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. **سنن البيهقي**، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد. **سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م.
- التل، شادية أحمد. **مراحل النمو الإنساني ومطالبها التربوية**، إربد: جامعة اليرموك، قسم التربية، ٢٠٠٥م.
- جابر، عبد الحميد. **علم النفس التربوي**، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٧م.
- الجراجرة، عيسى حسن. **ريادة الإسلام في تفهم خصوصية عالم الأطفال وفي تقرير وتطبيق حقوقهم الخاصة في الرعاية والتربية**، عمان: دار ابن رشد، دار الكرمل، ١٩٨٨م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي. **كتاب التعريفات**، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٥م.
- الجزيري، عبد الرحمن. **الفقه على المذاهب الأربعة**، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣ م.
- الجمالي، محمد فاضل. **تربية الإنسان الجديد**، دمشق: دار الحكمة، ١٩٩٥م.
- الحامد، محمد. **ردود على أباطيل وتمحيصات لحقائق دينية**، دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.
- أبو الحب، ضياء. **الطفل: هذا الكائن العجيب**، بغداد: دار الحرية للطباعة، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٩م.
- ابن حبان، محمد بن أحمد. **سنن ابن حبان**، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٣م.
- حماد، سهيلة زين العابدين. **بناء الأسرة المسلمة**، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.
- حمد، أحمد أحمد. نحو قانون موحد للأسرة في الأقطار الإسلامية، قطر: جامعة قطر، مكتبة الملك فيصل الإسلامية، ١٩٩٠م.
- ---------. **الأسرة: التكوين، الحقوق، والواجبات: دراسة مقارنة في الشريعة والقانون**، طنطا: دار الكتب الجامعية، ١٩٨٦م.
- الحمصي، محمد حسن. **تفسير وبيان مفردات القرآن مع أسباب النزول للسيوطي**، دمشق: دار الرشيد، ١٩٨٤م.
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد. **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٥م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. **المقدمة**، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، بيروت: دار القلم، ١٩٧٨م.
- أبو دواد، سليمان بن الأشعث بن إسحاق. **سنن أبي دواد**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٠م.

- الزعبلاوي، السيد محمد. **تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس**، الرياض: مكتبة التوبة - بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٦م.
- زهران، حامد. **علم نفس الطفل**، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٧م.
- زيدان، عبد الكريم. **المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.
- زين العابدين، وجيه. **الإسلام والتربية الجنسية**، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ١٩٧٩م.
- ــــــــــــ. **الإسلام والطفل**، مكتبة المنار، الكويت، ١٩٨٠م.
- سابق، السيد. **فقه السُّنة**، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧١م.
- أبو سعد، مصطفى. **المراهقون المزعجون**، الكويت: الإبداع الفكري، ٢٠١٠م.
- أبو سليمان، عبد الحميد. **أزمة الإرادة والوجدان المسلم: البعد الغائب في مشروع إصلاح الأمة**، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٤م.
- ــــــــــــ **البعد النفسي في الخطاب الإسلامي المعاصر**، بحث قدم في ندوة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الموسم الثقافي، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ــــــــــــ **دليل مكتبة الأسرة المسلمة**، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٨٨م.
- الصابوني، محمد علي. **صفوة التفاسير**، بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨١م.
- الضامن، ريما كمال. **الأسرة ورعاية الذات الإنسانية للأطفال من ٦ إلى ١٢ سنة**، عمان: دار البشير، ١٩٨٩م.
- الطالب، إلهام. **ورشة عمل دراسية في آدم سنتر**، هيرندن، فيرجينيا: مركز آدم سنتر، ٢٠٠٨م.
- الطبراني، سليمان بن أحمد. **المعجم الكبير (معجم الطبراني)**، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٩٩٤م.
- الطهطاوي، رفاعة رافع. **المرشد الأمين للبنات والبنين**، القاهرة: مطبعة المدارس الملكية، ١٨٧١م.
- العبادي، نضال محمد أمين، **الأحاديث النبوية الواردة في الأطفال**، عمان: كلية أصول الدين، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠م.
- العظم، يوسف. **براعم الإسلام** (في الحياة، وفي العقيدة) ج٢، عمان: المكتب الإسلامي، ١٩٨٥م.
- عفيفي، محمد الصادق، **المجتمع الإسلامي وبناء الأسرة**، موسوعة المجتمعات والنظم الإسلامية، الكتاب الرابع، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨١م.
- علوان، عبد الله ناصح، **تربية الأولاد في الإسلام**، دمشق: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٩٨١م.
- العلواني، طه جابر، **أدب الاختلاف**، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٧م.
- العيسوي، عبد الرحمن، **مقومات الشخصية الإسلامية والعربية وأساليب تنميتها**، الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، ١٩٨٦م.
- الغزالي، أبو حامد. **إحياء علوم الدين**، القاهرة: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
- الغزالي، محمد. **كيف نتعامل مع القرآن**، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٢م.
- فاضل، خليل. **الصحة النفسية للأسرة**، الرياض: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م.
- قطب، محمد. **منهج التربية الإسلامية**، الجزء الأول، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٩م.

- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. **تفسير ابن كثير**، بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨١م.
- الكيلاني، ماجد عرسان. **التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند العربي المعاصر**، دبي: دار القلم، ٢٠٠٥م.
- ابن ماجة، محمد بن يزيد. **سنن ابن ماجة**، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ٢٠١٠م.
- المتقي الهندي، حسام الدين بن قاضي خان. **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م.
- مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، بيروت: دار طيبة، ٢٠٠٦م.
- نافع، إبراهيم. **في بيتنا مدمن: كيف نمنع الكارثة؟**، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩١م.
- الندوي، أبو الحسن. **نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي. **سنن النسائي**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٩٨٦م.
- النغيمشي، عبد العزيز محمد. **المراهقون**: دراسة نفسية إسلامية للآباء والمعلمين والدعاة، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.
- النوري، ميرزا حسين. **مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل**، قم: مؤسسة آل البيت، ١٩٨٤م.
- النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم. **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
- الهاشمي، محمد علي. **شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة**، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٦م.
- ----------. **المجتمع المسلم كما يبينه الإسلام في الكتاب والسُّنة**، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢.
- هويدي، فهمي وآخرون. **الفنون رؤى إسلامية. سلسلة المسلم المعاصر ٣**، القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠١٠.
- يالجن، مقداد. والقاضي، يوسف. **علم النفس التربوي في الإسلام**، الرياض: دار المريخ، ١٩٨٠م.

• ثانياً: المجلات

- **عشرة أخطاء يرتكبها الآباء مع المراهقين وكيفية تجنبها**، مجلة صحتك اليوم، أكتوبر/ديسمبر ١٩٩٧م.
- **ذكاء الطفل: فطري أم مكتسب؟**، الكويت: مجلة المجتمع، ١٩٩٩/٩/٢٣م.
- الرشودي، فاطمة. **مقتطفات**، أمريكا: مجلة المرأة المسلمة، ١٩٩٩.
- سافران، كلير. **٦ أفكار تنجح ولدك في المدرسة**، المختار، مارس ١٩٨٧م.
- أبو سليمان، عبد الحميد. «**تأملات في ظاهرية ابن حزم وإعجاز الرسالة المحمدية**»، مجلة التجديد (كوالالمبور) س٢، ع٣، ١٩٩٨.
- عبد الله، عبد الستار. **في زواج الأقارب: متهم لم تثبت إدانته**، مجلة الأسرة، ١٩٩٦م.
- فكار، رشدي. ندوة «**الإسلام وتحديات القرن القادم**»، القاهرة، ١٩٩٦م.
- النجار، عبد المجيد. **عقيدة تكريم الإنسان وأثرها التربوي**، القاهرة: المسلم المعاصر، س١٩، ع٧٣-٧٤، ١٩٩٥م.
- هويدي، فهمي. **الدين والفن والعولمة**. القاهرة: مجلة المسلم المعاصر، العدد ١٢٢، ٢٠٠٦.

English Bibliography

- Abd al-Ati, Hammudah. The Family Structure in Islam. Indianapolis, IN: American Trust Publications, 1997.
- --------------------------------.Islam in Focus, 3rd rev. ed. Beltsville, MD: Amana Publications, 1998.
- Abdul Hye, Hamid. "Islam on the Rearing of Children." The Muslim World Journal, vol. 18 (issues 11 & 12) India, May/June 1991.
- Abdullah, Nina. "Qur'an Memorization and Memory." Unpublished paper. Reston, Virginia,1994.
- Abel, Gene and Nora Harlow. The Stop Child Molestation Book. La Vergne, Tennessee: Ingram Content Group, 2001.
- AbuSulayman, AbdulHamid. "Islam and the Family." Unpublished paper presented at the Conference on 'Youth'. Brunei, April 4, 1984.
- --------------------------------------. "Islamic Educational Reform: Top Priority in Intellectual Islamic Work." Editorial. The American Journal of Islamic Social Sciences (AJISS), vol. 15, issue 1, USA, Spring 1998.
- --------------------------------------. Islamization of Knowledge: General Principles and Work Plan. Herndon, VA: IIIT, 1995.
- Abu-Talib, Ali. Nahjul Balagha (Peak of Eloquence). Elmhurst, New York: Tahrike Tarsile Qur'an, 1996.
- Adler, Jerry. "Building a Better Dad." Newsweek, June 17, 1996.
- Agnivesh, Swami et al. "Missing: 50 Million Indian Girls". International Herald Tribune, November 25, 2005.
- Ahmad, Imad-ad-Dean. Islam and the Discovery of Freedom. Beltsville, MD: Amana Publications; 1st ed., 1997.
- Aids Education Global Information System (AEGIS), (website article dated August 31, 2001): http://www.aegis.com/news/afp/ 2001/af010886.html
- Akhtar, et al. "Views on Breastfeeding in Medical Science and Islam." Journal of Islamic Medical Association (JIMA), vol. 30, 1998.
- Alcohol Concern. Factsheet: Young People and Alcohol. September 2009. http://www.alcoholconcern.org.uk/publications/factsheets-and-booklets/factsheet-young-people
- 'Ali, 'Abdullah Yusuf. Translation of The Meaning of the Holy Qur'an. Beltsville, MD: Amana Publications, 2004.
- Allain, Annelies. Protecting Infant Health. Penang, Malaysia: International Baby Food Action Network, 1993.
- Altalib, Ilham. The Muslim Family in North America. Ten Unpublished Articles. Reston, Virginia: 1984.
- ------------------. The Human Heart in the Qur'an, Seminar at ADAMS Center, Herndon, Virginia, September 2008.

- Amabile, T.M. & B.A. Hennessey. “The Motivation For Creativity in Children” in T. Pittman & A. Boggiano (Eds.) Achievement And Motivation: A Social Developmental Perspective. New York: Cambridge University Press, 1992.
- Athar, Shahid. “Sex Education for Muslim Youth and Their Parents.” Journal of Islamic Medical Association (JIMA), vol. 22, USA, 1990.
- -------------------. Reflections of an American Muslim. Chicago, IL: Kazi Publications, 1994.
- -------------------. (ed.) Sex Education: An Islamic Perspective. http://www.teachislam.com/ dmdocuments/33/BOOK/
- Atkins, Andrea. “The Gender Divide.” Parenting Magazine, August 1998.
- Badaraco, Joseph. Leading Quietly. Harvard Business Review Press, 2002.
- Badi, Jamal and Mustapha Tajudin. Creative Thinking: An Islamic Perspective. 2nd ed. International Islamic University Malaysia: Kuala Lumpur, Malaysia, 2005.
- Bailey, Joseph. The Serenity Principle. San Francisco, CA: Harper & Row, 1990.
- al-Bar, Mohammad Ali, and Osama Kandil. “Breastfeeding and Islamic Teaching.” Islamic World Medical Journal, July/August 1986.
- Barazangi, Nimat Hafez. “The Education of North American Muslim Parents and Children: Conceptual Change as a Contribution to the Islamization of Education.” AJISS. 7(3), 1990.
- Baron-Cohen, Simon. “The Extreme Male Brain Theory of Autism.” Trends in Cognitive Sciences, vol. 6, issue 6, June 2002.
- Barzinji, Jamal. “The Prophet as a Father.” Lecture at ADAMS Center, Herndon, VA, April, 11, 1993.
- Bashir, Askia H. How to Manage Your Parents (Without Manipulation). Atlanta, GA: KYD Publishers, 1995.
- Baumrind, Diana et al. Parenting for Character: Five Experts, Five Cases. Portland, Oregon: Center for Spiritual and Ethical Education, 2008.
- BBC News. “Breast Milk ‘Boosts Babies’ Brainpower.” 8 May 2002. http://news.bbc.co.uk /1/hi/health/1974976.stm BBC News. “South Korean Dies after Games Session.” 10 August 2005. http://news.bbc.co.uk/1/hi/technology/4137782.stm
- Beal, C. Boys And Girls: The Development of Gender Roles. New York: McGraw-Hill, Inc., 1994.
- Begley, Sharon. “Child’s Brain: Use It or Lose It.” Newsweek, June 17, 1996.
- -------------------. “The Parent Trap.” Newsweek, September 7, 1997.
- ------------------. “A Mother’s Cocaine Use: They Call Them Snowbabies.” Newsweek, September 29, 1998.
- -----------------. and Pat Wingert. “Teach Your Parents Well.” Newsweek, April 28, 1997.
- -----------------. “Tuning Up the Brain.” Newsweek, Fall/Winter 2000.
- -------------------. “Your Child’s Brain”, Newsweek, vol. 127, no. 8, p.54, February 19, 1996.
- Bennett, William. The Book of Virtues. New York: Simon & Schuster, 1996.

- Beshir, Ekram and Mohamed Rida. Meeting the Challenge of Parenting in the West: An Islamic Perspective. Beltsville, MD: Amana Publications,1998.
- Biller, Henry. "The Father Factor in Building a Better Dad."Newsweek, June 17, 1996.
- ---------------. Fathers and Families: Paternal Factors in Child Development. Westport, Connecticut: Auburn House, 1993.
- Blum, Deborah. Sex on the Brain: The Biological Differences Between Men and Women. New York: Penguin Books, 1998.
- Bohmer, Carol and Andrea Parrot. Sexual Assault on Campus: The Problem and the Solution. New York: Lexington Books, 1993.
- Boorstein, Sylvia. It's Easier Than You Think. San Francisco, CA: HarperCollins, 1996.
- Booth, Caroline and Mindy Henderson. I Love My Grandmother Because…. Nashville, TN: Rutledge Hill Press, 1998.
- Boydston, Jo Ann (editor). The Collected Works of John Dewey. Carbondale and Edwardsville: Southern Illinois University Press, 1969-1991.
- Bradley, Raymond et al. Facilitating Emotional Self-Regulation in Preschool Children. Boulder Creek, California: Institute of HeartMath, 2009.
- Branden, Nathaniel, The Psychology of Self-Esteem: A Revolutionary Approach to Self-Understanding that Launched a New Era in Modern Psychology. San Francisco, CA: Jossey-Bass, 2001.
- Brawer, Barney. "Raising Sons in a World of Changing Gender Roles." Women in Higher Education, November 1998.
- Brazelton, Leach; Lemonick, Michael. "War of the Diapers." Time, vol. 153, no.3, January 25, 1999.
- Brizendine, Louann. The Female Brain. New York: Morgan Road Books, 2006.
- Brooks, Arthur. Gross National Happiness. New York: Basic Books, 2008.
- Brown, H. Jackson, Jr. Life's Little Treasure Book On Success. Nashville, TN: Rutledge Hill Press, 1994.
- -------------------------. Life's Little Treasure Book On Marriage and the Family. Nashville, TN: Rutledge Hill Press, 1995.
- -------------------------. Life's Little Treasure Book On Friendship. Nashville, TN: Rutledge Hill Press, 1996.
- ------------------------. Life's Little Treasure Book On Parenting. Nashville, TN: Rutledge Hill Press, 1995.
- Burgess. Fathers and Parenting Interventions. London: Fatherhood Institute, 2009.
- Burt, Sandra and Linda Perlis. Parents as Mentors: A New Perspective on Parenting that Can Change Your Child's Life. Rocklin, CA: Prima Publishing, 1999.
- Campo, Juan. Encyclopedia of Islam. New York: Infobase Publishing, 2009.
- Canadian Child Care Federation. "Children and Creativity." Resource Sheet no. 15, http://www.cccffcsge.ca/docs/cccf/rs015_en.htm

- Cancer Research UK. http://info.cancerresearch uk.org/cancerstats/types/cervix/riskfactors/
- Canfield, Jack and Mark Victor Hansen. Another Sip of Chicken Soup for the Soul. Kansas City, MO: Andrews McMeel Publishing, 1997.
- Chicken Soup for the Father's Soul. Deerfield Beach, Florida: Health

Communications, 2001.
- Carlson, Richard. Don't Sweat the Small Stuff – and It's All Small Stuff: Simple Ways to Keep the Little Things from Taking over Your Life. New York: Hyperion, 1997.
- Carmichael, Mary. "A Shot of Hope." Newsweek. October 1, 2007.
- ------------------------. "Stronger, Faster, Smarter." Newsweek, March 26, 2007.
- Cassidy, Anne. "Take Charge of Your Time." Working Mother, May 1998.
- Cassidy, Jude and Phillip Shaver. Handbook of Attachment: Theory, Research and Clinical Applications. New York: Guilford Press, 1999.
- Cesarone, Bernard. "Video Games and Children." Urbana, Illinois: ERIC Clearinghouse on Elementary and Early Childhood Education, University of Illinois, 1994.
- Chandler, Michael Alison and Maria Glod. "More Schools Trying Separation of the Sexes." Washington Post, June, 15, 2008.
- Clark, C.S. "TV Violence." CQ Researcher, (3), March 26, 1993.
- Clark, Reginald. Family Life and School Achievement. Chicago, IL: University of Chicago Press. 1983.
- Clinton, Hillary R. It Takes a Village To Raise a Child. New York: Simon & Schuster, 1996.
- Coleman, James Samuel. Adolescent Society: The Social Life of the Teenager and Its Impact on Education. New York: The Free Press, 1961; Macmillan, 1963.
- Coloroso, Barbara. Kids are Worth it! Giving Your Child the Gift of Inner Discipline. New York: Harper Collins, 2002.
- Covey, Stephen R. "Secrets of Much, Much Better Family Relationships." Bottom Line, July 30, 1992.
- Davidson, Maurice et al. Working with Fathers: Methods and Perspectives. Stillwater, Minnesota: Nu Ink, 1992.
- Davis, D. "Portrayals of Women in Prime Time Network Television: Some Demographic Characteristics." Sex Roles, vol. 23, pp.325–332, 1990.
- Davis, William et al. An Introduction to Music Therapy. Silver Spring, Maryland: American Music Therapy Association, 2008.
- Dawson, Geraldine. "Imitation and Social Responsiveness in Autistic Children." Journal of Abnormal Child Psychology, vol. 12, 1984, pp.209–225.
- Dodd, Virginia. "Implications of Kangaroo Care for Growth and Development in Preterm Infants." Journal of Obstetric, Gynecologic, and Neonatal Nursing, vol. 34, no. 2, March 2005, pp.218–232.

- D’Oyen, Fatima M. The Miracle of Life. Leicester, UK: Islamic Foundation, 1996.
- The Economist. “Arab Learning: Know Thyself.” October 25, 2003.
- eHow Website. How to Teach Kids to Say No to Peer Pressure. http://www.ehow.com/how_ 6108016_teach-kids-say-peer-pressure.html
- Elbert, Thomas et al. “Increased Cortical Representation of the Fingers of the Left Hand in String Players.” Science Journal, vol. 270, no. 5234, pp.305–307, 13 October 1995.
- Elias, Maurice, Steven Tobias and Brian Friedlander. Emotionally Intelligent Parenting, How to Raise A Self-Disciplined, Responsible, Socially Skilled Child. London: Hodder and Stoughton, 2000.
- Eliot, Lise. Pink Brain, Blue Brain. New York: Houghton Mifflin Harcourt, 2009.
- Elkadi, Iman. “Construction of Muslim Communities: Raising Children.”Al-Ittihad. Gary, Indiana: The MSA of the US and Canada, spring 1972.
- Elkind, David. “The Family in the Postmodern World.” Phi Kappa Phi Journal. 1995.
- Elmore, Tim. Nurturing the Leader within Your Child: What Every Parent Needs to Know. Nashville, TN: Thomas Nelson Publishers, 2001.
- Epinions. “Teaching our Children to Love.” January 2001. http://www.epinions.com/kifm-review-3E0B-2F84CB47-3A52CFB3-prod2
- Exley, Helen. Words of Wisdom. New York: Exley, 1997.
- -----------------. Words of Calm. New York: Exley, 1998.
- Eyre, Linda and Richard. 3 Steps to a Strong Family. New York: Simon & Schuster. 1994.
- --------------------------------. Teaching Your Children Values. Sound recording: 2 cassettes. New York: Simon & Schuster Audio, 1994.
- Faber, Adele and Elaine Mazlish. How to Talk so Kids Will Listen and Listen so Kids Will Talk. New York: Avon Books. 1982.
- -----------------------------. Siblings Without Rivalry. New York: Avon Books. 1998.
- Family Day – A Day to Eat Dinner with your Children. www.casafamilyday.org
- Fannoun, Kathy. Our Loving Grandparents. Chicago, Illinois: Iqra, 1994.
- Ferguson, Andrew et al. Time, May, 24, 1999, vol. 153, no. 20, p.68.
- Field, et al. “Infants of Depressed Mothers Show Depressed Behavior Even with Non- depressed Adults.” Child Development journal, vol. 59, issue 6, December 1988, pp.1569–1579.
- Fisher, et al. “Sex on the Brain.” Journal of Sex Research, vol. 49, issue 1, 2012, pp.69–77.
- Fowler, Lynda. “Encouraging Creativity in Children.” Department of Family & Consumer Sciences, Ohio State University. http://www.ohioline.osu.edu/flm97/nr04.html
- Franklin, Benjamin, The Autobiography of Benjamin Franklin. New York: P. F. Collier and Son, 1909.
- Freedman, Joshua. Creativity for Emotional Intelligence: Ideas and Activities. http://www.kidsource.com/kidsource/content4/creativity.eq.html

- Friedman, Jenny. “Avoiding Gender Stereotypes: Learn How to Overcome the Typical Stereotypes in Raising Your Son or Daughter.” 1998. http://www.americanbaby.com/ab/story.jhtml?storyid=/templatedata/hk/story/data/1172.xml
- Funk, J.B. “Reevaluating the Impact of Video Games.” Clinical Pediatrics, vol. 32 (Feb. 2, 1993), pp.86–90.
- Geoparent, http://geoparent.com/family/growth/independence.htm
- Gibbs, Nancy. “In Sorrow and Disbelief – Special Report: The Littleton Massacre.” Time, May 3, 1999.
- Gilbert, Michael. “Single-sex Schools Help Children Thrive: Bleaching Out Gender Differences Hampers the Education of Both Girls and Boys.” September 20, 2007. http://www. csmonitor.com/ 2007/0920/p09s01-coop. html.
- Gilmartin, Patricia and Jeffrey Patton. “Comparing the Sexes on Spatial Abilities.” Annals of the Association of American Geographers, vol. 74, issue 4, 1984.
- Ginott, G. Haim. Between Parent and Teenager. New York: Avon Books, 1971.
- Glod, Marie. “Schools Try Elementary Approach to Teaching Foreign Languages. ” Washington Post, August 8, 2006.
- Godfrey, Neale and Carolina Edwards. Money Doesn’t Grow on Trees: A Parent’s Guide to Raising Financially Responsible Children. A Fireside Book. New York: Simon & Schuster, 1994.
- Goldscheider, Frances K. and Linda J. Waite. New Families, No Families? The Transformation of the American Home. Berkeley, CA:University of California Press, 1991.
- Goleman, Daniel. Emotional Intelligence. New York: Bantam Doubleday Dell Publishing Group, 1996.
- Gookin, Dan and Sandy. Parenting for Dummies, 2nd ed. New York: HarperCollins, 2002.
- Gordon, Thomas. Parent Effectiveness Training: The No-Lose Program for Raising Responsible Children. New York: Three Rivers Press, 2000.
- Gray, John. Truly Mars and Venus: Men are from Mars, Women are from Venus: A Practical Guide for Improving Communication and Getting What You Want in Your Relationships. New York: HarperCollins, 2003.
- Gur, Ruben and Raquel Gur et al. “Sex Differences in Brain Gray and White Matter in Healthy Young Adults.” The Journal of Neuroscience, vol. 19, no. 10, pp.4065–4072, 15 May 1999.
- Gurian, Anita and Alice Pope. “Do Kids Need Friends?” March 21, 2001. http://www.aboutourkids.org/articles/do_kids_need_friends
- Gurian, Michael. Boys and Girls Learn Differently: A Guide for Teachers and Parents. San Fransisco, CA: Jossey-Bass, 2001.
- Haq, S. Moinul. Trans., Ibn Saad’s Kitab al-Tabaqat [The Book of Classes]. India: Islamic Book Service, 1967.
- Harper, Cynthia C. and Sara S. McLanahan. “Father Absence and Youth Incarceration.” Journal of Research on Adolescence, vol. 14, no. 3, pp. 369–397, September 2004.

- Harris, Judith. The Nurture Assumption. New York: Free Press, 1998.
- Harris, Robert. "Introduction to Creative Thinking." Virtual Salt, July 1, 1998 http://www.virtualsalt.com/crebook1.htm
- Harrison, Harry H., Jr. Father to Son: Life Lessons on Raising a Boy. New York: Workman Publishing, 2000.
- Hart, Michael H. The 100: A Ranking of the Most Influential Persons in History. New York: Hart Publishing, 1978.
- Harvey, Eric et al. The Leadership Secrets of Santa Claus. Dallas, Texas: The Walk the Talk Company, 2003.
- Al-Hassani, Salim. 1001 Inventions: Muslim Heritage in Our World. Manchester, UK: Foundation for Science, Technology and Civilization, 2011.
- Head, Christina. An Educated Decision: One Approach to the Vaccination Problem Using Homeopathy. London: Lavender Hill Homeopathic Centre, 1999.
- Al-Hewar Magazine. vol. 13, no. 4, Spring 2002.
- Hicks, Felicity. "The Role of Music Therapy in the Care of the Newborn," Nursing Times journal, vol. 91, issue 38, pp. 31–33.
- Holy Bible: New King James Version. Austin, TX: National Publishing Company, 1982.
- Hughes, et al. The Factbook on Global Sexual Exploitation. New York: Coalition Against Trafficking in Women, 1999.
- Hyde, Barbara and Brian Sansoni. "Women Better at Hand Habits, Hands Down."American Society for Microbiology, Washington DC. 2005. http://www.eurekalert.org/pub_releases/2005-09/asfm-wba091905.php.
- Ibn Khaldun, al-Muqaddimah, Beirut: Dār al-Qalam, 1992.
- Institute of Medicine. The Hidden Epidemic. Confronting Sexually Transmitted Diseases. Washington, DC: National Academy Press, 1997.
- Islamic Schools Department. "Homework: Your Child and You." (Pamphlet). Plainfield, IN: Islamic Society of North America, 1994.
- Islamic Society of North America. "Greatest Obstacles Confronting Muslim Children Raised in America." Islamic Horizons, vol. 11, no. 11, November 1986.
- Ja'fari, Suzanne Fatimah. Muslim Names. Beltsville, MD: Amana Publications, 1998.
- Jaffe, Charles A. "Your Money." Chicago Tribune, April 2, 1998.
- Jameelah, Maryam. The Generation Gap: Its Causes and Consequences. Lahore, Pakistan: Muhammed Yusuf Khan, 1981.
- Johnson, Anne. "Exploring Women's Creativity: The No-Push Method for Developing Creativity." 1999. http://www.womenfolk.com/creativity/kids.htm.
- Josephson, Michael S.; Val J. Peter and Tom Dowd. Parenting to Build Character in Your Teen. Boys Town, NB: Boys Town Press, 2001.
- Kalb, Claudia. "Farewell to Aunt Flo." Newsweek, February 3, 2003.

- Kane, Frank L. and Bathke, Leigh Anne Nicholson. “Parenting and Child Care.” Newsweek, September 29, 1997.
- Kantrowitz, Barbara and Wingert, Pat. “How Well do You Know Your Kid?” Newsweek, May 10, 1999.
- ------------------------- and Peg Tyre. “The Fine Art of Letting Go.” Newsweek, May 22, 2006.
- Karp, Miriam. “Make Room for Your Child’s Creativity.” Natural Jewish Parenting, issue 3, http://www.jewishholiday.com/creativity.html.
- Kasule, Omar. “Character-Building.” Unpublished paper presented at the Third International Seminar on “Medical Curriculum: The Holistic Approach,” Kuala Lumpur, Malaysia, February 1999.
- Keller, Nuh. Becoming Muslim. Jordan: Wakeel Books. 2001.
- Kendall, Francis. Super Parents, Super Kids. Johannesburg: Delta Books. 1983.
- Kessler, Suzanne J. and Wendy McKenna. “Some Children are Gender Nonconformists.” http://www.webehave.com/hottopic.htm
- Kilpatrick, William. Why Johnny Can’t Tell Right from Wrong and What We Can Do About It. New York: Simon & Schuster, 1993.
- Kindlon, Daniel J. and Michael Thompson. Raising Cain: Protecting the Emotional Life of Boys. New York: Ballantine Books, 1999.
- Knox, David and Caroline Schacht. Parenting Choices in Relationships: An Introduction to Marriage and the Family, 5th ed. Belmont, CA: Wadsworth Publishing, 1997.
- Komurcu, Nuran. “Effect of music therapy on anxiety in pregnant women during labor” (in Turkish). Hemsirelik Forumu, 1999, vol. 2, pp.89–96.
- Kotulak, Ron. cited in: “Unlocking the Mind.” Chicago Tribune, 1993.
- Kuczmarski, Robert J.; Flegal, Katherine M.; Campbell, Stephen M.; and Johnson, Clifford L. “Increasing Prevalence of Overweight Among US Adults.” American Medical Association, vol. 272, no. 3. 1994.
- Kulkarni, Chaya and Lynn Oldershaw. Helping Children Overcome Their Fears. Comfort, Play and Teach: A Positive Approach to Parenting (Get Set for Life program). Toronto, Ontario, Canada: 2005.
- Lazear, Jonathon and Wendy. Meditations for Parents Who do too Much. New York: Simon & Schuster, 1993.
- Lebelle, Linda. Focus Adolescent Services. http://www.focusas.com.
- Leland, John. “Tightening the Knot.” Newsweek, February 19, 1996.
- Lemonick, Michael D. “Eat Your Heart Out.” Time, July 19, 1999.
- ----------------------. “War of the Diapers.” Time, January 25, 1999, vol. 153, no. 3.
- Leonhardt, Mary. “It is Never Too Soon to Foster a Love of Reading in Young Children or Too Late to Help an Older Child Gain a Love of Books.” Bottom Line, May 5, 1991.
- Longfield, Anne and Mike Fitzpatrick. “Should Parenting be Taught?” The Independent, December 4, 1999.

- Maier, Thomas. “On the Life of Dr. Spock.” Biography Magazine, April 1998.
- -------------------. “Raised by Dr. Spock.” Newsweek March 30, 1998.
- Maqsood, Ruqaiyyah Waris. Living with Teenagers: A Guide for Muslim Parents. London: Ta-Ha Publishers, 1995.
- Martin, Daniel. “Schoolgirls Aged Just Ten Falling Pregnant As Underage Pregnancies Continue To Rise.” Daily Mail, 8th February 2010.
- Maternal and Child Health (MCH) Early Childhood Development and Parent Education Program.

http://www.ok.gov/health/Child_and_Family_Health/Maternal_and_Child_Health_Service/

- Matthews, Andrew. Making Friends. Singapore: Media Masters, 1990; Princes Risborough, UK: J. Wilson Booksales, 1998.
- Mayhew, Mary M. Your Star Child: Attracting, Birthing and Parenting an Evolved Soul. Fairfield, IA: Sunstar Publishing, 1995.
- Mazrui, Ali. “North American Muslims: Rising to the Challenge of Dual Identity.” Islamic Horizons, March–April 1996.
- Meiji, Stewart. Parenting: Part Joy, Part Guerrilla Warfare. Novata, CA: Portal Publications, 1999.
- Minawi, Kawther M. et al. The Child’s Rights in Islam. Riyadh: Safir Press, 1992.
- Mirza, Tanveer Ahmad. “Parenting.” Weekly Parenting Workshops at ADAMS Center, Herndon, VA, 1994–1999.
- Moir, Anne and David Jessel. The Real Difference Between Men and Women. New York: Delta Books, 1991.
- Moran, James D. III. Creativity in Young Children, http://www.kidsource.com/kidsource/content2/Creativity_in_kids.html
- Morgan, Michael Hamilton. Lost History: The Enduring Legacy of Muslim Scientists, Thinkers and Artists. Washington, DC: National Geographic Books, 2007.
- Morris, Sophie. “Sex for Sale: The Truth About Prostitution in Britain.” Independent. 26 November 2008.
- Murad, Abdul Hakim. “Ramadan in Istanbul.” Meeting Point, August 2009.
- Murphy, Sam. “Why Barefoot Is Best For Children.” The Guardian newspaper. August 9, 2010.

http://www.guardian.co.uk/lifeandstyle/2010/aug/09/barefoot-best-for-children

- Nash, J. Madeleine. “How a Child’s Brain Develops.” Time, February 3, 1997.
- -------------------------. “Fertile Minds.” Time, February 3, 1997.
- -------------------------. “The Personality Genes.” Time, April 27, 1998.
- National Association for the Education of Young Children. www.naeyc.org
- The National Center on Addiction and Substance Abuse, www.casacolumbia.org.
- National PTA Parenting Guide, http://www.lausd.k12.ca.us/Haskell_EL/parent%20 information/decision.htm, 1994.

- Natural Resources Defense Council. “Benefits of Breastfeeding”, 2010. http://www.nrdc.org/ breastmilk/benefits.asp
- Norris, Jeannette; Nurius, Paula; Graham, Thomas. “When a Date Changes from Fun to Dangerous.” Violence Against Women, vol. 5, no. 3, pp.230–250, March 1999.
- Olasky, Marvin. The Tragedy of American Compassion. Regnery Publishing: 1994.
- Osman, Fathi. Concepts of the Qur’an. Los Angeles, CA: Multimedia Vera International, 1997.
- Parke, Ross (ed.). Review of Child Development Research, vol. 7. Chicago, Illinois: University of Chicago Press, 1984.
- ----------------. Fatherhood. Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press, 1996.
- Parkes, Peter. “Milk Kinship in Islam.” Social Anthropology, vol. 13, issue 3, 2005.
- Paul, J. P., et al. “Understanding Childhood Sexual Abuse as a Predictor of Sexual Risk-taking Among Men who have Sex with Men.” Child Abuse & Neglect, vol. 25, issue 4, April 2001, pp.557–584.
- Piotrowski, Caroline. “Rules of Everyday Family Life.” International Journal of Behavioral Development, vol. 21, no. 3, pp.571–598, October 1997.
- Porter, Dalia and Gabriel Cervantes. All About Dad: Insights, Thoughts, and Life Lessons on Fatherhood. Cincinnati, Ohio: Adams Media Corporation, 2007.
- Positive Parenting. www.webehave.com
- Preschool Education. Encouraging Creativity in Children, 1997–2006, http://www.pre-school education.com/art60.shtml
- Pryor, Fred. How to Manage Conflict, Anger, and Emotion. Fred Pryor Seminars, 1994, 3-volume video set (6 audio cassettes).
- al-Qaradawi, Yusuf. The Lawful and the Prohibited in Islam. Trans. Kamal
el-Helbawy et al. New Revised Edition by Zaynab Alawiye. London: Al-Birr
Foundation, 2003.
- Qutb, Sayyid. In the Shade of the Qur’an. Trans. and ed. Adil Salahi and Ashur Shamis. Leicester, UK: The Islamic Foundation and Islamonline.net, 2011.
- Ramey, C.T. The Abecedarian Project. Encyclopedia of Human Intelligence. Ed. R.J. Sternberg. New York: Macmillan, 1994.
- Rankin, Jane. Parenting Experts: Their Advice, the Research and Getting it Right. Westport, CT: Praeger, 2006.
- Ricks, Shirley. “Father-Infant Interactions: A Review of Empirical Research.” Family Relations, vol. 34, no. 4, October 1985, pp.505–511.
- Riera, Michael. “Uncommon Sense with Parents of Teenagers.” Target The Family, August 1996.
- Robins, Joyce. Naming Your Baby. London, UK: Chancellor Press, 1996.
- Robinson, Holly. “The Working Mother’s Guide to Breastfeeding.” Working Mother, May 1998.

- Rosemond, John. “Tender Loving Discipline.” Hemisphere (United Air Lines), June 1993, p.67.
- ----------------------. “Is Your Family a Healthy One? Family Counselor.” Hemisphere (United Air Lines), December 1994.
- Rycus, Judith; Hughes, Ronald. Child Development and Child Welfare. Washington, DC: Child Welfare League of America, 1998.
- Samalin, Nancy. “Personal Responsibility: How to Teach Children Responsibility.” Bottom Line, February 15, 1994.
- Samon, Katherine Ann. “55 Ways to Make Your Kid Feel Loved.” Parents’ Magazine, January 1999.
- Sample, Steven. The Contrarian’s Guide to Leadership. San Francisco, CA: Jossey-Bass, 2001.
- Sax, Leonard. Why Gender Matters: What Parents and Teachers Need to Know about the Emerging Science of Sex Differences. New York: Broadway, 2006.
- Schachter, Robert and Carole Spearin McCauley. When Your Child Is Afraid. New York: Simon & Schuster, 1988.
- Schirra, Walter. Chicken Soup For the Father’s Soul. Deerfield Beach, Florida: Health Communications, 2001.
- Scott, Buddy. Relief for Hurting Parents: What to Do and How to Think. Nashville, TN: Oliver Nelson Books, 1989.
- Sears, William. Keys to Calming the Fussy Baby. New York: Barron’s, 1991.
- Seidman, S. A. “Revisiting Sex Role Stereotyping in MTV videos.” International Journal of Instructional Media, vol. 26, pp.11–22, 1999.
- Shamma, Freda. Literature for Muslim American Students in K-12 Islamic Schools and Homeschoolers. Presented at the Islamic Education Conference, Georgetown University, Washington, DC, April 2006.
- Shapiro, Laura. “The Myth of Quality Time.” Newsweek, May 12, 1997.
- Shaw, Eva, For the Love of Children. Deerfield Beach, Florida: Health Communications, 1998.
- Sherman, Paul; Billing, Jennifer. “Antimicrobial Functions of Spices,” Quarterly Review of Biology, vol. 73, issue 3, 1998.
- Siddiqui, Dilnawaz. The Muslim Observer. April 30, 1999.
- Silverstein, Shel. The Giving Tree. New York: HarperCollins Publishers, 1986.
- Sinclair, Ian. Health: The Only Immunity: The Alternative to Vaccination. The Informed Parent Publications, 2009.
- Smalley, Gary. “Hidden Keys to Loving Relationships.” 16 video cassettes, 1995.
- Smith, Charles. Mighty Hearts: 8 Steps to Raising Kids with Courage. Paper presented at a Workshop held by the Parenting Education Institute, State College, Pennsylvania, June 2004.

- Smith, David; Gates, Gary. Gay and Lesbian Families in the United States. Washington, DC: Human Rights Campaign, 2001.
- Spock, Benjamin. Raising Children in a Difficult Time: A Philosophy of Parental Leadership and High Ideals. New York: Norton, 1974.
- Stanley, Gary, What My Dog has Taught Me about Life: Meditations for Dog Lovers. Tulsa, OK: Honor Books, 1999.
- Staso, William. "Toddler Brain Development." Washington Families, July 1998.
- Stein, Rob. "Scientists Finding Out What Losing Sleep Does to a Body." The Washington Post, Oct. 9, 2005.
- Sutherland, John and Jane Stoever. "Important Facts about Children and Nutrition." Special Advertising Section, Newsweek, September 29, 1997.
- -----------------------. "Parenting: Child Care." Special Advertising Section, Newsweek, September 29, 1997.
- Taffel, Ron. Why Parents Disagree: How Women and Men Parent Differently and How We Can Work Together. New York: William Morrow, 1994.
- -------------. Getting Through to Difficult Kids and Parents. New York: Guilford Press, 2001.
- Takim, Liyakatali. Overcoming Dualities: Muslim Youth in North America. Unpublished paper presented at the ISNA Conference, Indianapolis, IN, July 5, 1997.
- Time, June 29, 1998. "Giving Birth Online." http://www.time.com/time/community/transcripts/chattr061798.html
- Tremblay, George, Allen Israel. "Children's Adjustment to Parental Death." Clinical Psychology: Science and Practices, vol. 5, issue 4, 1998.
- Turecki, Stanley and Sarah Wernick. "How to Put Your Foot Down without Squashing Your Child." Family Circle, March 16, 1994.
- Underwood, Anne and Kuchment, Anna. "Fussy Kids, Flustered Mom." Newsweek, August 18, 2008, vol. 152, no. 7, pp.60–62.
- UNICEF. The State of the World's Children 2007. New York: United Nations International Children's Emergency Fund, 2006.
- United Nations. Arab Human Development Report. New York: United Nations Development Program, 2009.
- United Nations. World Population Prospects. New York: UN Department of Economic and Social Affairs, 2010.
- Unus, Iqbal. "A–Z Guide for Muslim Fathers," pamphlet. Herndon, VA: IIIT, 1994.
- U.S. Census Bureau, Current Population Survey, Washington DC: March 2002.
- Versi, Ahmed. "Wonder Boy in UK." The Muslim News, February, 1998.
- Villani, S. "Violence in the Media." Journal of the American Academy of Child and Adolescent Psychiatry, 38, 1208, 1999.

- Weiss, Rick. “Study Debunks Theory On Teen Sex, Delinquency.”The Washington Post. Nov 11, 2007. p.A.3
- Willatts, P. et al. “Effect of long-chain polyunsaturated fatty acids in infant formula on problem solving at 10 months of age.”The Lancet, vol. 352, no. 9129, pp.688–691, August 29, 1998.
- Williams, Rowan. “Archbishop Damns Disney.” Daily Mail, July 23, 2002, http://www.dailymail.co.uk/news/article-129452/Archbishop-damns-Disney.html
- Wilmot, John. Earl of Rochester (2013). Selected Poems. Oxford University Press, 2013.
- Wimberly, Ed. A Parent’s Guide to Raising Great Kids. http://www.raisinggreatkids.com/
- Wingert, Pat et al. “Building a Better Dad.” Newsweek, June 17, 1996
- Winn, Marie. The Plug-in Drug. New York: Penguin, 2002.
- Winnicott, D. W. Babies and Their Mothers. MA: De Capo Press, 1992.
- Wolgemuth, Robert D. She Calls Me Daddy: Seven Things Every Man Needs to Know about Building a Complete Daughter. Colorado Springs, CO: Focus on the Family Publishing, 1996.
- The Women’s Committee of the Muslim Students Association of the United States and Canada, Parents’ Manual: A Guide for Muslim Parents. Baltimore, MD: American Trust Publications, 1976.
- Wood, Joyce. “Quality Time.” Family Circle, March 16, 1994.
- Woolf, Marie. “Children to Learn Pitfalls of Being a Parent.” Daily Telegraph, December 30, 1999.
- Wright, Robert. “The Power of Their Peers.” Time, vol. 152, no. 8, August 24, 1998.
- Wulf, Steve. “What Makes a Good School.” Time, October 27, 1997.
- Yogman, Michael. “Games Fathers and Mothers Play with their Infants.” Infant Mental Health Journal, vol. 2, pp.241–248, 1981.
- Zogby International. December 15, 2006.
- Zorn, Eric. “Only Way to Teach Values: Help Kids Discover Them.” Chicago Tribune, April 7, 1998.

Website Resources and Further Reading for Parents

Bullying

http://www.bullying.co.uk

http://www.kidpower.org

http://www.stopbullying.gov Child Intelligence

http://www.raisesmartkid.com

http://www.mensaforkids.org

www.sciencemadesimple.com

www.kidzone.ws/dolch (This site contains a huge collection of sight words)

Drugs

http://www.drugfree.org

http://www.talktofrank.com

http://www.teensusingdrugs.org

Homeschooling

http://www.muslimhomeschool.net

http://themuslimhomeschool.tripod.com

Nutrition

http://www.kidsandnutrition.co.uk

http://www.healthychildren.org

http://www.usda.gov

Problem Teens

http://www.teenswithproblems.com

http://www.empoweringparents.com

Single Parents

http://www.lone-parents.org.uk

http://www.gingerbread.org.uk

http://www.thekidsandme.co.uk (This site lists holidays for single parents to connect with their children)

Teaching Children Responsibility and Work Ethic

http://www.myjobchart.com

http://www.theartofhomemaking.com/teach

childrenwork.htm

http://www.aish.com/family/mensch/Teaching_Children_Responsibility.asp

Television

http://www.insteadoftv.com

http://www.limitv.org

http://www.whitedot.org

GENERAL

American Academy of Pediatrics

www.aap.org

American Heart Association

www.americanheart.org

BBC

http://www.bbc.co.uk/health

Canadian Living

http://www.canadianliving.com/Canadian Living/client/en/Family/Search.asp

Child Development Institute

http://childdevelopmentinfo.com

The Dr Spock Website for Parents

http://www.drspock.com

Family Dawn

http://www.familydawn.com

Fatherhood Institute

http://www.fatherhoodinstitute.org

Josephson Institute-Centre for Youth Ethics

http://www.charactercounts.com

Media-Awareness

http://www.media-awareness.ca/english/parents/marketing/marketers_target_kids.cfm

National Prevention Information Network

http://www.cdcnpin.org

National Safety Council

www.nsc.org

The Nemours Foundation

www.kidshealth.org

Pathfinder Parent Center – North Dakota

http://www.pathfinder.minot.com/index2.html

PBS

http://www.pbs.org/wholechild/providers/play.html

Progressive Parenting Solutions

http://www.progressiveparenting.com

SoundVision

soundvision.com/info/parenting

The Teaching Home

http://www.teachinghome.com/supplement/summer00/training.cfm

Wellness: The Wellspring

http://www.thewellspring.com

http://www.taebeen.com/vb/showthread.php

http://www.the-positive-parenting-centre.com/types_of_parenting_styles.html

http://www.pewsocialtrends.org/2011/12/14/barely-half-of-u-s-adults-are-married-a-record-low/)

http://datacenter.kidscount.org/data/tables/106-children-in-single-parent-families#detailed/1/any/false/36,868,867,133,38/any/429,430)

http://www.save.org/index.cfm?fuseaction=home.viewPage&page_id=705D5DF4-055B-F1EC-3F66462866FCB4E6

http://www.nasponline.org/resources/crisis_safety/youth_gun_violence_fact_sheet.pdf)

https://www.aacap.org/aacap/Policy_Statements/2013/Children_and_Guns.aspx)

http://www.cdc.gov/healthyyouth/obesity/facts.htm)

http://www.aacap.org/AACAP/Families_and_Youth/Facts_for_Families/FActs_for_Families_Pages/Children_And_TV_Violence_13.aspx)

https://www.aacap.org/aacap/Medical_Students_and_Residents/Mentorship_Matters/DevelopMentor/The_Impact_of_Media_Violence_on_Children_and_Adolescents_Opportunities_for_Clinical_Interventions.aspx)

http://stopyouthviolence.ucr.edu/factsheets/FACTSHEET%20MediaViolenceRevised-Spring2010.pdf)

http://www.spssi.org/index.cfm?fuseaction=page.viewPage&pageID=1899&nodeID=1)

http://time.com/3478633/media-violence-children-study/).

http://www.theguardian.com/world/2014/feb/12/school-shootings-newtown-study-gun-violence)

http://info.debgroup.com/blog/bid/297508/Are-Women-Better-Than-Men-When-it-Comes-to-Hand-Washing-Practices)

http://msutoday.msu.edu/news/2013/eww-only-5-percent-wash-hands-correctly/)

http://www.cdc.gov/obesity/data/adult.html

http://stateofobesity.org/obesity-rates-trends-overview/

http://jama.jamanetwork.com/article.aspx?articleid=1832542

http://www.cdc.gov/healthyyouth/obesity/facts.htm

http://www.fitness.gov/resource-center/facts-and-statistics/

http://healthyeating.sfgate.com/nutrition-children-under-age-five-2269.html)

http://www.cdc.gov/healthyyouth/nutrition/facts.htm)

http://www.nlm.nih.gov/medlineplus/news/fullstory_153026.html)

http://business.time.com/2012/09/07/got-milk-increasingly-the-answer-is-no/)

http://pubs.niaaa.nih.gov/publications/AlcoholFacts&Stats/AlcoholFacts&Stats.htm)

http://www.theatlantic.com/health/archive/2012/04/the-benefits-of-breastfeeding/255206/)

http://www.thedoctorwillseeyounow.com/content/kids/art3444.html)

http://pediatrics.aappublications.org/content/129/3/e827.abstract)

http://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.182.8429&rep=rep1&type=pdf

http://www.theatlantic.com/health/archive/2012/04/the-benefits-of-breastfeeding/255206/)



هذا الكتاب

يسرنا في المعهد العالمي للفكر الإسلامي أن نهدي القارئ العربي نسخة مترجمة من كتاب «التربية الوالدية Parent-Child Relations»؛ إذ تمّت ترجمته من اللغة الإنجليزية إلى العديد من اللغات. وهذا يدل على الأهمية الكبيرة لموضوع التربية الوالدية في السياق الحضاري والإنساني المعاصر.

ويمثل هذا الكتاب حلقة متصلة في بناء شخصية الفرد؛ سلوكياً وفكرياً ووجدانياً، لا سيما أن المؤلفين حرصوا على الإفادة من البيئة الأكاديمية من خلال الاطلاع على أحدث الدراسات العلمية المتصلة بالتربية الوالدية بما تتضمنه من بيانات ومقولات وتقارير ودراسة حالات إلخ، وكذلك الإفادة من التجارب الشخصية للمؤلفين من خلال معايشتهم لعدة عقود في العالمين الشرقي والغربي؛ إذ مثّلت هذه التجارب الحياتية معياراً لصدق التنظيرات التي انطلق منها المؤلفون، وتصديقاً لكثير من الأفكار والآراء الشائعة.

لقد حقق الكتاب حضوراً في الساحات الثقافية التي احتضنته، لما يمارسه من مساءلات علمية ومعرفية للقضايا التي تواجه الأسرة بصورة خاصة، والمجتمع بصورة عامة؛ فأُسُسُ التربية الأسرية ومنطلقاتُها وفوائدُها ومعوقاتُ تفعيلها، تشترك في حضورها معظم المجتمعات والثقافات، مع الأخذ بعين الاعتبار النماذج المتعلقة بهذه التربية والظواهر المجتمعية التي ربما تتفاوت من مجتمع إلى آخر؛ إذ يتعرض الكتاب إلى قضايا كثيرة تهم الفرد والأسرة والمجتمع والإنسانية، ويعالجها بطريقة علمية نقدية بِنائية؛ إذ حرص المؤلفون على توفير البديل القادر على معالجة الاختلالات المجتمعية، والمتعلقة بتربية الأبناء خاصة، فلا يُكتفى بتفكيك الظاهرة، بل يُعمل على بناء بديل حضاري متسقٍ مع النص والعقل والفطرة.

يحاول الكتاب دق ناقوس الخطر تجاه بعض الظواهر التي بدأت تنتشر في مجتمعاتنا العربية خاصة والإسلامية عامة، من مثل مفهوم الصديق الحميم "boyfriend"، وانتشار المخدرات بين المراهقين. ولقد أسهب الكتاب في الحديث عن هذه الظواهر في سياقاتها الغربية؛ لمحاولة تلمّس طرق الحذر والاحتراس من الوقوع في شباكها، من خلال البرامج والتجارب والخبرات، فعملية بناء البرامج الفعّالة تحتاج إلى دراسة هذه الظواهر دراسة علمية عملية من خلال: توصيف الظاهرة، ومن ثم تفسيرها، واستشراف مآلاتها، وفي النهاية التحكُّم فيها، وهو ما قام به المؤلفون، فلعلها تكون تجربة عملية وأكاديمية ينتفع بها العالم العربي والإسلامي في تربية أبنائهم من مرحلة الطفولة وحتى مرحلة الشباب.



المعهد العالمي للفكر الإسلامي


9 781565 648197